الرد على تفسير الشيعة

رسالة في منهج الكاشاني في تفسيره الصافي
رد ونقد

رسالة ماجستير

ناقشها كبار أساتذة التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر - القاهرة

إشراف الدكتور/ المحمدي عبد الرحمن

الدكتور / على حسن الدكتور / عبد الرحمن عويس

تأليف

د. محمود صالح سعيد



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١١م - ١٤٣٢هـ

رقم الإيداع

2010/22933

دار الفاروق

مصر - المنصورة

٠١٠٢٢١٨٧٢٧ ـ ٠١٤٥٧٦٤٤٤٠

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَـدُه، ونستعينُه، ونستغفـرُهُ، ونعوذُ به من شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادي لَهُ.

وأشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون﴾

(آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾

(النساء: ١).

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعد:

فإن مـن أصول الإسـلام العظيم الاعتصام بحبل الله جـميعاً وعدم التـفرق قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران، آية: ١٠٣) وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (الأنعام، آية: ١٥٩).

وقـد كان المسلمـون على ما بعث الله به رسوله من الهـدى ودين الحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول، فلما قتل عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - ووقعت الفتنة، فـاقتتل المسلمـون بصفين، مـرقت المارقة (المارقة: لقب من ألقـاب الخوارج، والخوارج: هم الذين خـرجوا على علي - رضي الله عنه- بعـد التحكيم، فـقاتلهم علي يوم النهـروان، وقد أمـر النبي ﷺ بقـتالهم في الأحـاديث الصـحيـحة، فـفي الصحـيحين عشرة أحـاديث فيهم، أخـرج البخاري منـها ثـلاثة، وأخـرج مسـلم

سائرها (١) وساقها جميعاً ابن القيم) (٢) التي قال فيها النبي ﷺ: "تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق"(٣) وكان مروقها لما حكم الحكمان، وتفرق الناس على غير اتفاق.

ثم حدث بعد بدعة الخوارج بدع التشيع (٤)، وتتابع خروج الفرق، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ، وقد خرج التشيع من الكوفة(٥)، ولذلك جاء في أخبار الشيعة بأنه لم يقبل دعوتهم من أمصار المسلمين إلا الكوفة (٦). ثم انتشر بعد ذلك في غيرها.

وكان ظهور هذه البدع بحسب البعد عن "الدار النبوية"(٧) لأن البدعة لا تنمو وتنتشر إلا في ظل الجهل، وغيبة أهل العلم والإيمان، ولذلك قال بعض السلف: من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله للعالم من أهل السنة(٨)؛ وذلك لسرعة تأثرهؤلاء بأعاصير الفتنة والبدعة لضعف قدرتهم على معرفة ضلالها، واكتشاف عوارها، ولذا فإن خير منهج لمقاومة البدعة، ودرء الفرقة، هو نشر السنة بين الناس، وبيان ضلال الخارجين عنها، ولذلك نهض أئمة السنة بهذا الأمر، وبينوا حال أهل البدعة، وردوا شبهاتها، كما فعل الإمام أحمد في الرد على الزنادقة والجهمية، والإمام البخاري في الرد على الجهمية، وابن قتيبة في الرد على الجهمية والمشبهة، والدارمي في الرد على بشر المريسي وغيرهم.

---

(١) شرح الطحاوية ص ٥٣٠ .

(٢) في تهذيب السنن: ٤/١٤٨-١٥٣، وانظر في عقائدهم وفرقهم: الفرق بين الفرق، ص٧٢ وما بعدها، الملل والنحل: ١/١٤٦ وما بعدها، الفصل: ٥/٥١-٥٦ .

(٣) صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: ٧/١٦٨

(٤) منهاج السنة لابن تيمية: ١/٢١٨-٢١٩ .

(٥) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٠/٣٠١ .

(٦) بحار الأنوار: ١٠٠/٢٥٩ .

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٠/ ٣٠٠-٣٠١ .

(٨) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ١/ ٦٠، والقول لأيوب السختياني.

أهمية الموضوع:

ولا شك بأن بيان حال الفرق الخارجة عن الجماعة، والمجانبة للسنة ضروري لرفع الالتباس، وبيان الحق للناس، ونشر دين الله سبحانه، وإقامة الحجة على تلك الطوائف، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيّ عن بينة، فإن الحق لا يكاد يخفى على أحد، وإنما يضلل هؤلاء أتباعهم بالشبهات والأقوال الموهمة، ولذلك فإن أتباع تلك الطوائف هم ما بين زنديق، أو جاهل، ومن الضروري تعليم الجاهل، وكشف حال الزنديق ليعرف ويحذر.

وبيان حال أئمة البدع المخالفة للكتاب والسنة واجب باتفاق المسلمين "حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع؟

فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.

بين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته، دفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء" (١).

وقد وجد العدو المتربص بالأمة في هذه الفرق الخارجة عن الجماعة، وسيلة لإيقاع الفتنة في الأمة، ولا يبعد أنه اليوم يريد أن يستثمر هذه المسألة لمواجهة بوادر البعث الإسلامي المتنامي في أرجاء المعمورة، والوقوف في وجه الصحوة الإسلامية التي امتدت إلى عقر داره، وهو يتخذ من تقارير مستشاريه - الذين يهتمون أبلغ الاهتمام بتاريخ تلك الطوائف وعقائدهم - منهجاً يحتذيه في علاقته مع المسلمين ودولهم، ولذا نلحظ أنه يغذي بعض هذه الطوائف، ويهيئ الوسائل لوصولها لدفة

---

(١) ابن تيمية: مجموعة الرسائل والمسائل: ٥/ ١١٠ .

الحكم والتوجيه.

ولا شك أن بيان الحق في أمر هذه الفرق فيه تفويت للفرصة أمام العدو لتوسيع رقعة الخلاف واستمراره؛ فإن ترك رؤوس زنادقة البدع يسعون لإضلال الناس، ويعملون على تكثير سوادهم، والتغرير بأتباعهم، ويدعون أن ما هم عليه هو الإسلام، هو من باب الصد عن دين الله وشرعه، حتى أن من أسباب خروج الملاحدة ظنهم أن الإسلام هو ما عليه فرق أهل البدعة، ورأوا أن ذلك فاسدٌ في العقل فكفروا بالدين أصلاً.

ومعظم الفرق التي خرجت عن الجماعة ضعف نشاطها اليوم، وفتر حماسها وتقلص أتباعها، وانكفأت على نفسها، وقلت منابذتها أهل السنة.

أما طائفة الشيعة فإن هجومها على أهل السنة، وتجريحها لرجالهم، وطعنها في مذهبهم، وسعيها لنشر التشيع بينهم يزداد يوماً بعد يوم.

ولعل طائفة الاثني عشرية هي أشد فرق الشيعة سعياً في هذا الباب لإضلال العباد إن لم تكن الفرقة الوحيدة التي تُكثر من التطاول على السنة، والكيد لها على الدوام مما لا تجده عند فرقة أخرى.

خطبة الإمام أحمد -رحمه الله-: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب مجمعون على مفارقة الكتاب يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين) (١).

---

(١) هذه هي خطبة الإمام أحمد - رحمه الله - في كتاب الرد على الجهمية والزنادقة الذي صنفه في محبسه ورأيت مناسبتها لهذا الموضوع... الرد على الجهمية والزنادقة ١٣، ١٤, انظر المنهاج ٥/ ٢٧٣.

فقد (كان الناس لما بعث الله محمداً ﷺ في ضلال عظيم، كما في صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار [١] عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، وإن ربي قال لي: قم في قريش فأنذرهم، فقلت: أي رب إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة، فقال: إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابًا لا يغسله الماء، تقرؤه نائمًا ويقظان، فابعث جنداً ابعث مثليهم، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، وأنفق أنفق عليك، وقال: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا..؛ [٢] الحديث بطوله.

ولا شك أن الشيعة يحيكون المؤامرات ضد المسلمين باسم الإسلام فيدسون السم في الدسم فينخدع بهم كثير من المسلمين، وقليل من المسلمين من يتنبه لأخطارهم ويعرف حقيقة أمرهم وغاية نواياهم وقصدهم، فلزم تجلية أمرهم وكشف أسرارهم وهتك أستارهم، فلذلك رأيت أن أسجل موضوع رسالتي العالمية "الماجستير" بهذا العنوان "منهج الكاشانى فى تفسيره الصافى"، وكان اختياري لهذا الموضوع لعدة أسباب منها:

١- أهمية الموضوع وذلك أن الشيعة في هذا الزمن صار لهم دول يحتمون بها ويحكمون تحت ظلها.

٢- كثرة دعاة الشيعة وانتشارهم في أقطار الأرض ومحاولة جذب المسلمين إلى مذهبهم الفاسد.

٣- ولأن كل العلوم إنما وضعت إلا لخدمة كتاب الله سبحانه وتعالى ولاشتمال التفسير على كل العلوم وحاجة الناس المستمرة للتفسير، ونظراً لانتشار وظهور

---

(١) عياض بن حمار المجاشعي التميمي، صحابي جليل، انظر تجريد أسماء الصحابة ١/ ٤٣٠، الإصابة ٧/ ١٨٥، التقريب ١/ ٤٣٧، سكن البصرة، وعاش إلى حدود الخمسين، روى له مسلم والأربعة.

(٢) رواه مسلم كتاب "الجنة وصفة نعيمها وأهلها"، باب "الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار" ٤/ ٢١٩٧- ٢١٩٩ مع اختلاف يسير.

الفضائيات والانترنت ولظهور علماء الشيعـة وكتب الشيعة عليها، ومحاجة أهل الملل الأخرى واحتجاجهم بشبهـات وآراء الشيعة التى تعد طعناً فى أصول وثوابت الإسلام لذا أصبح لزاما عليّ أن آتى علـى هذا التفسير لأظهر مـا فيه من فساد وإفـساد ونقده والرد عليه.

٤- ظهور الشـيعة، ووصـول أعداد منهم إلى مصـر وحرب حزب الله الشـيعى الرافضى مع إسرائيل، كل هذا أدى إلى اهتمام الناس وكثرة سؤالهم عن منهج وعقائد الشيعة التى يخـالفون فيها أصول وثوابت الدين، وان إهمـال هذا الأمر يحدث بلبلة وفرقة، خاصة وأن الخاصة قبل العامة يجهلون أمر الشيعة وخطرهم على الدين.

٥- أن ما صلح أن يكون ردًا على تفـسير الصافى في هذه الرسالة فـهو صالح أن يكون ردًا عليهم في كل أمـورهم، ولذلك رأيت أن يكون بحثي نقلا من كـتاب الصافى اختصاراً ورداً ونقدا.

٦- انخداع بعض المسلمين بالرافضة وظهور من يدعو إلى التقريب بين أهل السنة والشيعـة ووجود معاهد في بعض بلاد أهل السنة لهـذا الغرض بل وجد من يزعم أنه لا فرق بين أهـل السنة والشيـعة في شيء من أمـور الاعتـقاد بل ذلك كـالخلاف بين المذاهب الأربعة.

٧- دعوة الباحثين إلى الإتـيان على كل كتبهم وكشف ما فـيها من أباطيل والرد والنقد، واهتممت بالنقل "الحرفي" في الغالب رعاية للموضوعية، وضرورة الدقة في النقل والعزو، وهذا ما يفرضه المنهج العلمي في نقل كلام الخصوم.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من: تمهيد، وثلاثة أبواب.

* في التمهيد: التعريف بالشيعة، ونشأتها، وجذورها التاريخية، وفرقها، تعريف بصاحب التفسير (الفيض الكاشانى).

* أما الباب الأول: فموضوعه: أقواله في مصادر الإسلام، وينتظم في ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: أقواله في القرآن.
- الفصل الثاني: حصر علم القرآن ومعرفته بالأئمة.
- الفصل الثالث: زعمهم بأن قول الإمام يخصص عام القرآن، ويقيد مطلقه.. الخ..

* وفي الباب الثاني: درست أقواله في أصول الدين في فصول أربعة:

- الفصل الأول: أقواله في توحيد الألوهية.
- الفصل الثاني: أقواله في توحيد الربوبية.
- الفصل الثالث: أقواله في توحيد الأسماء والصفات.
- الفصل الرابع: أقواله في الإيمان وأركانه.

* أما الباب الثالث: فهو يتعلق بأقواله وأصولهم التي تفردوا بها، ودرست فيه عقائدهم التالية:

١- الإمامية، وفيها عرضت لآرائه في الصحابة، وأهل البيت، وحكام المسلمين، وقضاتهم، وعلمائهم، والأمصار الإسلامية وشعوبها، والفرق الإسلامية، والأمة، وفضائل الصحابة وأمهات المؤمنين، والحكم على من سبهم.

٢- العصمة.

٣- البداء.

٤- المهدية والغيبة.

٥- الرجعة.

٦- الظهور.

٧- التقية.

٨- زواج المتعة.

التمهيد

تعريف الشيعة: (١)

١- تعريف الأشعري للشيعة:

ولعل أقدم من عرف الشيعة من أصحاب المقالات والفرق (من غير الشيعة) الإمام الأشعري، حيث قال: "إنما قيل لهم: الشيعة، لأنهم شايعوا علياً - رضوان الله عليه - ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ" (٢).

٢- تعريف ابن حزم:

ومن أدق التعاريف للشيعة - في رأي البعض - تعريف ابن حزم (٣) للشيعة حيث قال: "ومن وافق الشيعة في أن علياً - رضي الله عنه - أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي، وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً" (٤).

ويختار هذا التعريف أحد الروافض، ويعتبره من أدق التعاريف للشيعة، ويعرض عن تعاريف أهل نحلته، ويعلل الرافضي اختياره لتعريف ابن حزم على غيره بقوله: - مما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن حزم هو أن الاعتراف بأفضلية الإمام علي - رضي الله عنه - على الناس بعد رسول الله، وأنه الإمام والخليفة بعده، وأن الإمامة في ذريته هو أس التشيع وجوهره" (٥).

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة.

(٢) مقالات الإسلاميين: ١/ ٦٥ .

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ أو٣٨٣هـ، وتوفي في الأندلس سنة (٤٥٦هـ) ومن آثاره: المحلى، والفصل وغيرهماانظر: (المقري/ نفح الطيب: ٢/ ٢٨٣ .

(٤) الفصل: ٢/ ١٠٧ .

(٥) عبد الله فياض/ تاريخ الإمامية ص: ٣٣ .

ولكن من يقرأ كلام الشيعة عن عقائدهم كالإمامة، والعصمة، والتقية وغيرها يرى أنهم يغالون في كل عقيدة من عقائدهم بحيث يربطون وصف التشيع بالإيمان بتلك العقيدة - كما سلف- ولعل هذا ما لاحظه الشهرستاني حينما قدّم لنا تعريفاً للشيعة يعتبر من أجمع التعاريف لأصول التشيع وأكثرها شمولاً.

٣- تعريف الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم بن أحمد أبو الفتح المعروف بالشهرستاني):

قال السبكي: كان إماماً مبرزاً مقدماً في علم الكلام والنظر، برع في الفقه والأصول والكلام، ومن تصانيفه : الملل والنحل، نهاية الإقدام، وغيرهما. توفي سنة (١):

يقول الشهرستاني: "الشيعة هم الذين شايعوا علياً- رضي الله عنه - على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري قولاً وفعلاً وعقداً إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك" (٢).

ومن هذا التعريف يتبين أن جميع فرق الشيعة - ما عدا بعض الزيدية - يتفقون على وجوب اعتقاد الإمامة، والعصمة، والتقية، وسنرى أن الاثني عشرية يقولون بعقائد أخرى كالغيبة، والرجعة، والبداء.. وغيرها.

كما ينبغي أن يلحظ أن الإمام زيداً وأتباعه لا يحكمون بعصمة الإمام، ولا

---

(١) ٥٤٨ هـ، وكانت ولادته عام ٤٦٧هـ، وقيل: ٤٧٩هـ . انظر: طبقات الشافعية: ٦/١٢٨-١٣٠، مرآة الجنان: ٣/ ٢٨٤-٢٩٠ .

(٢) الملل والنحل: ٦/١٤٦ .

يمنعون الأمة من تعيين من تختاره للإمامة، ولذا يجوّز الإمام زيد إمامة المفضول مع وجود الفاضل، ولا يقول بالتقية، وكأن الشهرستاني يشير إلى ذلك بقوله: "ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك". على أن هناك من الزيدية من يقول بعصمة فاطمة، وعلي، والحسين (١).

التعريف المختار للشيعة:

وفي نظري أن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم، ومراحل التطور العقدي لهم، ذلك أن الملحوظ أن عقائد الشيعة وأفكارها في تغير وتطور مستمر؛ فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً إلا من قدّم علياً على عثمان، ولذلك قيل: شيعي وعثماني، فالشيعي من قدم علياً على عثمان، والعثماني: من قدّم عثمان على علي(٢).

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول: أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط (وهم وإن سموا بالشيعة فهم من أهل السنة؛ لأن مسألة عثمان وعلي... ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها، لكن المسألة التي يضلل فيها مسألة الخلافة.. وقد كان بعض أهل السنة اختلفوا في عثمان وعلي - رضي الله عنهما - بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر - أيهما أفضل -: فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان (٣).

ولهذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن: الشيعة الأولى كانوا على عهد علي كانوا يفضلون أبا بكر وعمر(٤). وقد منع شريك بن عبد الله - وهو ممن يوصف بالتشيع -

---

(١) انظر: ابن المرتضى/ البحر الزخار ص: ٩٦، المقبلي/ المعلم الشامخ ص: ٣٨٦، ابن عباد/ نصرة مذاهب الزيدية ص: ١٦٤-١٩٦)، ومن يقول بالنص على إمامة الثلاثة: علي وولديه" (يحيى بن حمزة/ الرسالة الوازعة ص: ٢٨). وأكثر الزيدية على خلاف ذلك (انظر السمرقندي/ المعتقدات: الورقة ٣٥ (مخطوط).

(٢) انظر: نشوان الحميري/الحور العين ص: ١٧٩، ابن المرتضى/ المنية والأمل ص: ٨١.

(٣) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣/ ١٥٣، ابن حجر/ فتح الباري: ٧/ ٣٤.

(٤) منهاج السنة: ٢/ ٦٠ (تحقيق د. محمد رشاد سالم).

إطلاق اسم التشيع على من يفضل علياً على أبي بكر وعمر؛ وذلك لمخالفته لما تواتر عن علي في ذلك، والتشيع يعني المناصرة والمتابعة لا المخالفة والمنابذة.

وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبي العباس بن مسروق قال: حدثنا محمد بن حميد، حدثنا جرير، عن سفيان، عن عبد الله بن زياد بن جدير قال: قدم أبو إسحاق السبيعي الكوفة، قال لنا شمر بن عطية: قوموا إليه، فجلسنا إليه، فتحدثوا، فقال أبو إسحاق: خرجت من الكوفة وليس أحد يشك في فضل أبي بكر وعمر وتقديمهما، وقدمت الآن وهم يقولون، ويقولون، لا والله ما أدري ما يقولون (١).

قال محب الدين الخطيب: هذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها(٢). ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان قبل شهادته بثلاث سنين، وعمّر حتى توفي سنة ١٢٧هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي بن أبي طالب يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة علويين، يرون ما يراه إمامهم من تفضيل أبي بكر وعمر، ومتى أخذوا يفارقون علياً، ويخالفونه فيما كان يؤمن به، ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله ﷺ ووزيريه وخليفتيه على أمته في أنقى وأطهر أزمانها (٣).

وقال ليث بن أبي سليم: أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحداً (٤).

وذكر صاحب مختصر التحفة: إن الذين كانوا في وقت خلافة الأمير رضي الله عنه من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، كلهم عرفوا له حقه، وأحلوه من الفضل محله، ولم ينتقصوا أحداً من إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ فضلاً عن

---

(١) المنتقى ص: ٣٦٠ .
(٢) انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب: ٨/ ٦٣، الخلاصة ص: ٢٩١ .
(٣) حاشية المنتقى ص: ٣٦٠-٣٦١ .
(٤) المنتقى ص: ٣٦٠-٣٦١ .

إكفاره وسبه (١).

ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، والسلامة والسمو.. بل إن مبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعاً، وصار التشيع قناعاً يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين من الأعداء الموتورين الحاسدين.. ولهذا نرى بعض الأئمة لا يسمون الطاعنين بالشيخين بالشيعة، بل يسمونهم الرافضة، لأنهم لا يستحقون وصف التشيع.

ومن عرف التطور العقدي لطائفة الشيعة لا يستغرب وجود طائفة من أعلام المحدثين، وغير المحدثين من العلماء الأعلام، أطلق عليهم لقب الشيعة، وقد يكونون من أعلام السنة، لأن للتشيع في زمن السلف مفهوماً وتعريفاً غير المفهوم والتعريف المتأخر للشيعة، ولهذا قال الإمام الذهبي في معرض الحديث عمن رمي ببدعة التشيع من المحدثين: قال: "إن البدعة على ضربين (فبدعة صغرى) كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو، فهذا كثير في التابعين وأتباعهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم (بدعة كبرى) كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط على أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - والدعاء إلى ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة، وأيضاً فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلاً صادقاً، ولا مأموناً، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله؟ حاشا وكلا.

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب علياً - رضي الله عنه - وتعرض لسبهم.

والغالي في زمننا وعُرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين فهذا ضال مفتر"(٢). إذن التشيع درجات، وأطوار، ومراحل.. كما أنه فرق، وطوائف.

وقبل أن ندع الحديث حول تعريف الشيعة نشير إلى أنه يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات، أنها دأبت على القول في التعريفات للشيعة

---

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية ص: ٣ .
(٢) الذهبي/ ميزان الاعتدال: ١/ ٥-٦، ابن حجر/ لسان الميزان: ١/ ٩-١٠ .

(الإمامية) بأنهم أتباع علي.. إلخ، وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة تخالف إجماع الأمة كلها، هذه النتيجة هي أن يكون علي شيعياً يرى ما يراه الشيعة، وعلي - رضي الله عنه - بريء مما تعتقده الشيعة فيه وفي بنيه، ولذلك لابد من وضع قيد واحتراز في التعريف رفعاً للإبهام، فيقال: هم الذين يزعمون إتباع عليّ؛ حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة، وليس أمير المؤمنين على ما يعتقدون.

أو يقال: بأنهم المدعون التشيع لعلي، أو الرافضة كما سبق، ولذلك عبر عنهم بعض أهل العلم بقوله: "الرافضة المنسوبون إلى شيعة علي" [١] فهم أيضاً ليسوا على منهج شيعة علي المتبعين له، بل هم أدعياء ورافضة.

نشأة الشيعة وجذورها التاريخية

إن الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة، بل مرت بمراحل كثيرة ونشأت تدريجياً.. وانقسمت إلى فرق كثيرة. ولاشك أن التتبع التاريخي والفكري للمراحل والأطوار التي مر بها التشيع يحتاج إلى بحث مستقل، ولهذا سيكون الحديث هنا عن: أصل النشأة وجذورها التاريخية، ولا يعنينا تتبع مراحلها ونشوء فرقها.. وسنبدأ ببعض رأي الشيعة من مصادرها المعتمدة عندها، ثم نذكر بعد ذلك آراء الآخرين.

فالمنهج العلمي والموضوعية توصي بأخذ آراء أصحاب الشأن فيما يخصهم أولاً.

رأي الشيعة في نشأة التشيع:

لم يكن لهم رأي موحد في هذا، ونستطيع أن نستخلص ثلاثة آراء في نشأة التشيع كلها جاءت في كتبهم المعتمدة، وستعقب كل رأي بالمناقشة والنقد.

الرأي الأول:

إن التشيع قديم ولد قبل رسالة النبي ﷺ، وأنه ما من نبي إلا وقد عرض عليه الإيمان بولاية علي.. وقد وضع الشيعة أساطير كثيرة لإثبات هذا الشأن، ومن ذلك ما جاء في الكافي عن أبي الحسن قال: "ولاية علي مكتوبة في جميع صحف

---

(١) منهاج السنة: ٢/ ١٠٦.

الأنبيــاء، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة مــحمد - صلى الله عليه وآلــه -، ووصية عليّ عليه السلام"(١).

وعن أبي جعفر في قول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ (طه، آية: ١١٥) قال: "عهدنا إليه في محــمد والأئمة من بعده فترك ولم يكن له عزم (وهذا التفسير بعيــد عن الآية.. بل إلحاد في آيات الله. وقد جاء تفسير الآية عن السلف وغيرهم: "ولقد وصينا آدم وقلنا له: ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ ﴾ فنسي ما عهد إليــه في ذلك (أي ترك) ولو كان له عزم ما أطاع عدوه إبليس الذي حسده. قال قتادة: ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ أي صبراً"(٢).

وإنما سمي أولو العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده، والمهدي وسيرته، وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك والإقرار به" (٣).

وجاء في البحــار: أن رسول الله ﷺ قال - كما يزعــمون -: يا علي، ما بعث الله نبياً إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً (٤). وفي رواية أخرى لهم عن أبي جعفر قال: إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبيين بولاية علي (المعالم الزلفى).

وعن أبي عبد الله قــال: ولايتنا ولاية الله لم يبعث نبي قط إلا بها(٥). وعقــد لذلك شيخهم البحراني باباً بعنوان: باب أن الأنبياء بعثوا على ولاية الأئمة ، وقالوا: ثبت أن جمــيع أنبياء الله ورسله وجمــيع المؤمنين كانوا لعلي بن أبي طالب مجــيبين، وثبت أن المخالفين لهم كانوا له ولجميع أهل محبته مبغضين.. فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين فهو إذن قسيم الجنة والنار(٦).

---

(١) الكليني/ أصول الكافي: ١/ ٤٣٧ .

(٢) تفسير الطبري: ١٦/ ٢٢٠-٢٢٢

(٣) الكليني/ الكافي: ١/٤١٦، وانظر: ابن بابويه القمي/ علل الشرائع: ص ١٢٢، الكاشاني/ الصــافي: ٢/ ٨٠،تفســير القــمي:٢/ ٦٥،هاشم البــحــراني/ المحجــة ص: ٦٣٥- ٦٣٦، المجلسي/ البحار: ١١/ ٣٥، ٢٧٨/٢٦، الصفار/ بصائر الدرجات: ص ٢١ .

(٤) انظر: البحــار: ١١/ ٦٠، البحــراني/ المعالم الزلفى ص: ٣٠٣، وهذه الرواية مــوجودة في بصائر الدرجات للصفار، وفي الاختصاص للمفيد.

(٥) النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل: ٢/ ١٩٥، المعالم الزلفى ص: ٣٠٣ .

(٦) الكاشاني/ تفسير الصافي: ١/ ١٦ .

وجـاءت رواياتهم في هذا المعنى في كـثيـر من كـتبـهم المعـتمـدة عندهم: في الـكافـي[١]، وغيرها كثير. حتى قال الحر العاملي صاحب وسائل الشـيعة - أحد مصادرهم المعـتمدة في الحديث - بأن رواياتـهم التي تقول: بأن الله حين خلق الخلق أخذ الميثاق على الأنبياء تزيد على ألف حديث.

ولم تكتف مبـالغات الشيـعة بالقول بمـا سلف، بل قالت بأن: "الله عز اسـمه عرض ولايتنا على السماوات والأرض والجـبال والأمصار"[٢]. ولهذا قال شـيخهم هادي الطهراني - أحد آياتهم ومراجعهم في هذا العصر-: "تدل بعض الروايات على أن كل نبي أمر بالدعوة إلـى ولاية علي - رضي الله عنه-، بل عرضت الولاية على جميع الأشياء فما قبل صلح، وما لم يقبل فسد"[٣].

الرأي الثاني (من آراء الشيعة):

ويزعم بعض الروافض في القديم والحـديث أن الرسول ﷺهو الذي وضع بذرة التشـيع، وأن الشيعة ظهـرت في عصره، وأن هناك بعض الصـحابة الذين يتشيـعون لعليّ، ويوالونه في زمنه ﷺ.

يقول القمي: "فأول الفرق الشيعية، وهي فرقة علي بن أبي طالب المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته، منهم المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي.. وهم أول من سمو باسم التشيع من هذه الأمة[٤]. ويشاركه في هذا

---

(١) الكليني/ أصـول الكافي: ٢/ ٨)، والوافي (الكاشـاني/ الوافي: المجلد جـ ص ١٥٥، جـ ص ١٠)، والبحـار (المجلسي/ البحـار: ٣٥: ١٥١، القمي/ سـفينة البـحار: ١/ ٧٢٩)، ومستدرك الوسائل (النوري/ مستـدرك الوسائل: ٢/ ١٩٥)، والخصال (الصدوق/ الخصال: ١/ ٢٧٠)، وعلل الشـرائع (الـصـدوق/ علل الشـرائع ص: ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٣، ١٤٤، ١٧٤)، والفصول المهمة (الحر العاملي/ الفـصول المهمة ص: ١٥٨)، وتفسير فرات (تفسير فرات: ص ١١، ١٣)، والصافي (تفسـير الصافي: ٢/ ٨٠)، والبرهان (البحراني: ١/ ٨٦).

(٢) النوري/ مستدرك الوسائل: ٢/ ١٩٥ .

(٣) هادي الطهراني/ ودايع النبوة ص: ١٥٥ .

(٤) المقالات والفرق ص: ١٥ .

الرأي النوبختي[١]. ويقول محمد حسين آل كاشف الغطا (المتوفى سنة ١٣٧٣هـ) : إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفس صاحب الشريعة -؛ يعني أن بذرة التشيع وضعت في بذرة الإسلام (لاحظ أن هذا اعتراف منه بأن بذرة التشيع غير بذرة الإسلام) جنباً إلى جنب، وسواء بسواء، ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والري حتى نمت وازدهرت في حياته، ثم أثمرت بعد وفاتها[٢]. وقال بهذا الرأي طائفة من الشيعة المعاصرين[٣].

الرأي الثالث:

يجعل تاريخ ظهور الشيعة يوم الجمل. قال ابن النديم (محمد بن إسحاق بن محمد بن أبي يعقوب النديم، كان معتزلياً متشيعاً. من تصانيفه: الفهرست، توفي سنة (٤٣٨هـ) [٤] إن علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جل اسمه، فسمى من اتبعه على ذلك الشيعة، فكان يقول: شيعتي، وسماهم - عليه السلام - الأصفياء الأولياء، شرطة الخميس، الأصحاب [٥].

هذا رأي انفرد به ابن النديم - حسب علمي - وهو فيما يبدو ويشير إلى تاريخ ظهور الشيعة بمعنى الأنصار والأتباع، وتاريخ إطلاق لقب الشيعة على أنصار علي - رضي الله عنه - وأن علياً - عليه السلام - هو الذي لقبهم بذلك حيث يقول:

---

(١) فرق الشيعة ص: ١٧، وقد وَهِمَ الشيبي في نقله لرأي النوبختي، حيث نسب إليه أنه يقول بأن التشيع نشأ بعد وفاة الرسول ﷺ (انظر: الصلة بين التصوف والتشيع ص: ٢٢)، والرازي (انظر: الرازي (من شيوخ الإسماعيلية) الزينة ص: ٢٠٥ (مخطوط).

(٢) أصل الشيعة: ص ٤٣ .

(٣) انظر: محسن العاملي/ أعيان الشيعة: ١/ ١٣، ١٦، محمد جواد مغنية/ الاثنا عشرية وأهل البيت ص: ٢٩، هاشم معروف/ تاريخ الفقه الجعفري ص: ١٠٥، الوابلي/ هوية التشيع ص: ٢٧، الشيرازي/ هكذا الشيعة ص: ٤، محمد الحسني/ في ظلال التشيع ص: ٥٠-٥١، الزين/ الشيعة في التاريخ ص: ٢٩، ٣٠، المظفر/ تاريخ التشيع ص ١٨، الصدر/ بحث حول الولاية ص: ٦٣، أحمد تفاحة/ أصول الدين: ص ١٨، ١٩ .

(٤) لسان الميزان: ٥/ ٧٢ .

(٥) ابن النديم/ الفهرست ص: ١٧٥ .

"شيعتي".

ولاشك أن هذا القول لا يدل على بداية الأصول الفكرية للتشيع، فهو يعني هنا المعنى اللغوي للشيعة وهو الأنصار، ولهذا استخدم أيضاً ألقاباً أخرى تدل على ذلك كالأصحاب والأولياء، كما أن الوثائق التاريخية - كما سلف - أثبتت أن لقب "شيعتي" والشيعة كما استعمله علي - رضي الله عنه - قد استعمله معاوية - رضي الله عنه -. ويصف د. مصطفى كامل الشيبي - شيعي معاصر - رأي ابن النديم هذا بالغربة، حيث جعل التشيع لقباً أطلقه عليّ بنفسه على أصحابه [١].. وما أدري ما وجه الغرابة، في أن يدعو علي أنصاره بقوله: "شيعتي".

أما د. النشار فيرى في كلام ابن النديم بعض الغلو ولا يذكر النشار وجه الغلو الذي يصف به كلام ابن النديم.[٢]

آراء غير الشيعة في نشأة التشيع:

القول الأول:

إن التشيع ظهر بعد وفاة الرسول ﷺ حيث وجد من يرى أن أحقية علي - رضي الله عنه - بالإمامة، وهذا الرأي قال به طائفة من القدامى والمعاصرين، منهم العلامة ابن خلدون، وأحمد أمين، وبعض المستشرقين، وهذا القول منهم مبني على ما نقله البعض من وجود رأي يقول بأحقية قرابة رسول الله ﷺ بالخلافة بعده.

يقول ابن خلدون: "اعلم أن مبدأ هذه الدولة - يعني دولة الشيعة - أن أهل البيت لما توفي رسول الله ﷺ كانوا يرون أنهم أحق بالأمر، وأن الخلافة لرجالهم دون من سواهم"[٣].

القول الثاني:

ويقول أحمد أمين: "كانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص: ١٨ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفي: ٢/ ٣٢ .
(٣) العبر: ٣/ ١٠٧-١٧١ .

النبي ﷺ أن أهل بيته أولى الناس أن يخلفوه"(١).

القول الثالث:

ويقول بأن منشأ التشيع كان سنة ٣٧هـ، ومن أشهر القائلين بهذا الرأي صاحب مختصر التحفة الاثني عشرية حيث يقول: "إن ظهور اسم الشيعة كان عام ٣٧هـ (٢) كما يقول بهذا الرأي الأستاذ وات منتوجمري (Montgomery Watt) حيث يذكر "أن بداية حركة الشيعة هي أحد أيام سنة ٣٧هـ-٦٥٨م (Montgomery Watt, Islam and the Integration of Society p,104.) " ويبدو أن هذا القول يربط نشأة التشيع بموقعة صفين، حيث وقعت سنة ٣٧هـ بين الإمام على ومعاوية - رضي الله عنهما- وما صاحبها من أحداث، وما أعقبها من آثار، ولكن هذا الرأي لا يعني بداية الأصول الشيعية؛ حيث إننا لا نجد في أحداث هذه السنة فيما نقله المؤرخون من نادى بالوصية، أو قال بالرجعة، أو دعا إلى أصل من أصول الشيعة المعروفة، كما أن أنصار الإمام علي لا يمكن أن يقال بأنهم على مذهب الشيعة، أو أصل من أصول الشيعة، وإن كان في أصحاب الإمام علي كما في أصحاب معاوية من أعداء الإسلام الذين تظاهروا بالإسلام ليكيدوا له بالباطن ما لا ينكر، وقد كان للسبئيين أثر في إشعال الفتنة لا يجحد، وهم وجدوا قبل ذلك، كما أننا نلحظ أنه بعد حادثة التحكيم وفي بنود التحكيم أطلق لفظ الشيعة على الجانبين بلا تخصيص.

القول الرابع:

بأن التشيع ولد إثر مقتل الحسين، يقول شتروتمان (رودلف شتروتمان من المستشرقين المتخصصين في الفرق ومذاهبها، وله عنها مباحث. من آثاره: الزيدية،

---

(١) فجر الإسلام ص: ٢٦٦، وانظر: ضحى الإسلام: ٣/٢٠٩، وقال د. علي الخربوطلي: "ونحن نرى أن التشيع بدأ بعد أن آلت الخلافة إلى أبي بكر دون علي بن أبي طالب" (الإسلام والخلافة ص: ٦٢). كما يقول بهذا الرأي محمد عبد الله عنان (انظر: تاريخ الجمعيات السرية ص: ١٣).). كما قال بمثل ذلك بعض المستشرقين (انظر: دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/٥٨ .

(٢) مختصر التحفة ص: ٥ .

وأربعة كتب إسماعيلية) (١).

الرأي المختار:

عرضنا فيما سبق معظم الآراء في نشأة التشيع، وناقشنا ما يحتاج إلى مناقشة.. والذي أرى أن الشيعة كفكر وعقيدة لم تولد فجأة، بل إنها أخذت طوراً زمنياً، ومرت بمراحل.. ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولها ظهرت على يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التي قالت بأن ابن سبأ أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي، وأن علياً وصي محمد - كما مر - وهذه عقيدة النص على علي بالإمامة، وهي أساس التشيع كما يراه شيوخ الشيعة كما أسلفنا ذكره في تعريف الشيعة، وشهدت كتب الشيعة بأن ابن سبأ وجماعته هم أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان أصهار رسول الله ﷺ وأرحامه وخلفائه وأقرب الناس إليه - رضي الله عنهم - والطعن في الصحابة الآخرين، وهذه عقيدة الشيعة في الصحابة كما هي مسجلة في كتبهم المعتمدة، كما أن ابن سبأ قال برجعة علي(٢) والرجعة من أصول الشيعة كما سيأتي، كما أن ابن سبأ قال بتخصيص علي وأهل البيت بعلوم سرية خاصة. كما أشار إلى ذلك الحسن بن محمد بن الحنفية(٣). وهذه المسألة أصبحت من أصول الاعتقاد عند الشيعة، وقد ثبت في صحيح البخاري ما يدل على أن هذه العقيدة ظهرت في وقت مبكر، وأن علياً - رضي الله عنه - سئل عنها، وقيل له: هل

---

(١) (انظر: نجيب العقيقي/ المستشرقون: ٢/ ٧٨٨.) (Strotnmann, R) (" إن دم الحسين يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة" (دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/ ٥٩ .

(٢) القمي/ المقالات والفرق ص: ٢١، النوبختي/ فرق الشيعة ص: ٢٣، الناشئ الأكبر/ مسائل الإمامة ص: ٢٢-٢٣، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٦، الملطي/ التنبيه والرد ص: ١٨، البغدادي/ الفرق بين الفرق ص: ٢٣٧، الإسفراييني/ التبصير في الدين ص: ٧٢، الرازي/ محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين ص: ٢٤٢، الإيجي / المواقف ص: ٤١٩ .

(٣) قال ابن حجر: الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، أبو محمد المدني، وأبوه يعرف بابن الحنفية، له رسالة في الإرجاء أخرجها محمد بن يحيى العدني في كتاب الإيمان. انظر تهذيب التهذيب: ٢/ ٣٢) (ت ٩٥ أو ١٠٠هـ) في رسالة الإرجاء (رسالة الإرجاء (ضمن كتاب الإيمان، لمحمد بن يحيى العدني ص ٢٤٩-٢٥٠).

عندكم شيء مما ليس في القرآن ومما ليس عند الناس؟، فنفى ذلك نفياً قاطعاً [١].

هذه أهم الأصول التي تدين بها الشيعة (مما ينبغي أن يلحظ أن ربط نشأة التشيع بابن سبأ هو في التشيع المتضمن لهذه الأصول الغالية، أما "التشيع المتوسط والذي مضمونه تفضيل علي وتقديمه على غيره ونحو ذلك فلم يكن هذا من إحداث الزنادقة، بخلاف دعوى النص والعصمة فإن الذي ابتدع ذلك كان منافقاً زنديقاً" [٢].
وهو ابن سبأ وعصابته من اليهود والمنافقين والحاقدين والموتورين)، وقد وجدت إثر مقتل عثمان - رضي الله عنه - في عهد علي - رضي الله عنه - ولم تأخذ مكانها في نفوس فرقة معنية معروفة، بل إن السبئية ما كادت تطل برأسها حتى حاربها علي - رضي الله عنه -فقد أمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الألوهية.[٣] وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر فإن علياً لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل: إنه أراد قتله، فهرب منه. وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروي أنه قال: "لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري")، ولكن ما تلا ذلك من أحداث هيأ جواً صالحاً لظهور هذه العقائد، وتمثلها في جماعة وذلك كمعركة صفين، وحادثة التحكيم التي أعقبتها، ومقتل علي، ومقتل الحسين.. كل هذه الأحداث دفعت القلوب والعواطف إلى التشيع لآل البيت، فتسلل الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلي وآل بيته، وصار التشيع وسيلة لكل من أراد هدم

---

(١) وقد أخرج الإمام البخاري هذا الحديث في باب كتابة العلم (البخاري مع الفتح: ١/ ٢٠٤) وباب حرم المدينة (البخاري مع الفتح ٤/ ٨١) وباب فكاك الأسير (٦/ ١٦٧)، وباب ذمة المسلمين وجوارهم (٦/ ٢٧٣) وباب إثم من عاهد ثم غدر (٦/ ٢٧٩-٢٨٠) وباب إثم من تبرأ من مواليه (١٢/ ٤١-٤٢) وباب العاقلة (١٢/ ٢٤٦) وباب لا يقتل مسلم بكافر (١٢/ ٢٦٠)، وباب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو (١٣/ ٢٧٥-٢٧٦). وأخرجه مسلم في باب فضل المدينة وبيان تحريمها (مسلم مع النووي: ٩/ ١٤٣-١٤٤) وكتاب الذبائح (مسلم مع النووي ١٣/ ١٤١). وأخرجه النسائي (المجتبى: ٨/ ١٩)، والترمذي (٤/ ٦٦٨)، وأحمد (المسند: ١/ ١٠٠).

(٢) ابن تيمية/ مجموعة الفتاوى: ٢٠/ ٤٦٦ .

(٣) انظر: ابن تيمية/ منهاج السنة: ١/ ٢١٩ تحقيق د. محمد رشاد سالم، فتح الباري: ٢/ ٢٧٠، الملطي/ التنبيه والرد ص: ١٨، الإسفراييني/ التبصير في الدين: ص ٧٠ .

الإسلام من ملحد ومنافق وطاغوت، ودخلت إلى المسلمين أفكار ومعتقدات أجنبية اكتست بثوب التشيع وتيسر دخولها تحت غطائه، وبمرور الأيام كانت تتسع البدعة ويتعاظم خطرها، حيث قد وجد لابن سبأ خلفاء كثيرون.

ولم يكن استعمال لقب "الشيعة" في عهد علي - رضي الله عنه - إلا بمعنى الموالاة والنصرة، ولا يعني بحال الإيمان بعقيدة من عقائد الشيعة اليوم.. ولم يكن يختص إطلاق هذا اللقب بعلي - رضي الله عنه - يدل على ذلك ما جاء في صحيفة التحكيم من إطلاق اسم الشيعة على كل من أتباع علي وأتباع معاوية كما سلف.

فإذن كانت الأحداث التي جرت على آل البيت (مقتل علي، مقتل الحسين، إلخ) هي من العوامل المؤثرة للاندفاع إلى التشيع لآل البيت، وكان التعاطف والتأثر لما حل بالآل هو شعور كل مسلم، ولكن قد استغل هذا الأمر من قبل الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر فدخلوا من هذا المنفذ، وأشاعوا الفرقة في صفوف الأمة، وحققوا بالكيد والحيلة ما عجزوا عنه بالسلاح والسنان، ودخل أتباع الديانات الأخرى، والمتآمرون، والمتربصون في التشيع، وبدأوا يضعون أصولاً مستوحاة من دينهم، ألبسوها ثوب الإسلام.. كما سندرس هذا في أصل التشيع.

أصل التشيع (أو أثر الفلسفات القديمة في المذهب الشيعي):

اختلف أنظار العلماء والباحثين في مرجع الأصول العقدية للتشيع؛ فمن قائل بأنها ترجع لأصل يهودي، ومن قائل بأنها ترجع لأصل فارسي، ومن قائل بأن المذهب الشيعي كان مباءة للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية (البوذية: هم أتباع بوذا، ولها انتشار بين عدد من الشعوب الآسيوية، وتتباين عقائد الأتباع حول هذه النحلة؛ فتجعل البوذية اليابانية بوذا؛ جوهراً إلهاً حالاً في الكون، وبوذية الهند - وهي الأصل - لا إله لها، وبوذية الصين مالت إلى الاعتقاد بفكرة كائن مطلق يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا واحد منها، وانظر عن البوذية) [1] وغيرها:

---

(١) محمد سيد كيلاني/ ذيل الملل والنحل ص ١٣، ٢٦، ٣١، محمد أبو زهرة/ الديانات القديمة ص: ٥٣، سليمان مظهر/ قصة الديانات ص: ٧٣.

القول بالأصل اليهودي:

من الباحثين من يرى أن أصل التشيع ذو صبغة يهودية وذلك باعتبارين:

الاعتبار الأول:

أن ابن سبأ كان أول من قال بالنص والوصية، والرجعة، وابن سبأ يهودي، وهذه الآراء صارت من أصول المذهب الشيعي، ولهذا أشار القمي، والنوبختي والكشي، وهم من شيوخ الشيعة القدامى إلى هذا، وذلك حينما استعرضوا آراء ابن سبأ والتي أصبحت فيما بعد من أصول الشيعة، قالوا: "فمن هنا قال من خالف الشيعة: إن أصل الرفض كان مأخوذاً من اليهودية" (١) .

الاعتبار الثاني:

هو وجود تشابه في الأصول الفكرية بين اليهود والشيعة، ولعل أول بيان لذلك وأشمله هو ما روي عن الشعبي(٢) كما أشار ابن حزم إلى شيء من ذلك حينما قال: "سار هؤلاء الشيعة في سبيل اليهود القائلين.. إن إلياس -عليه السلام -، وفنحاس بن العازار بن هارون - عليه السلام - أحياء إلى اليوم"(٣). وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن في الشيعة من الجهل والغلو واتباع الهوى ما أشبهوا فيه النصارى من وجه واليهود من وجه، وأن الناس مازالوا يصفونهم بذلك، ثم نقل ما روي عن الشعبي من مشابهة الشيعة لليهود والنصارى(٤)... وقد قال بهذا الرأي جمع من

---

(١) انظر: القمي/ المقالات والفرق ص: ٢٠ النوبختي/ فرق الشيعة ص: ٢٢، رجال الكشي ص: ١٠٨ .

(٢) عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي، راوية من التابعين، يضرب المثل بحفظه، (تهذيب التهذيب: ٥/٥) ت ١٠٢ هـ.) في هذا الباب (رواه الخلال في كتابة السنة، قال محقق الكتاب: إسناده لا يصح، لأن فيه عبد الرحمن بن مالك بن مغول متروك، ولكن الأمور المذكورة واقعة من الرافضة (السنة للخلال: ٢/٥٦٣-٥٦٥)، وانظر: منهاج السنة لابن تيمية: ١/٦-١٠، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة، (انظر: كاشف الغمة في اعتقاد أهل السنة ص٦١١)، ابن الجوزي/ الموضوعات: ١/٣٣٨، ابن بكر/ التمهيد والبيان: ص ٢٣٣-٢٣٤، (القسم المخطوط).

(٣) الفصل: ٥/٣٧ .

(٤) منهاج السنة: ١/٦ .

الباحثين (من هؤلاء الأستاذ أحمد أمين، حيث قال: "فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة، وقالت الشيعة: إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلاً كما قال اليهود: ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾ والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم: إن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه..." (١)، ويرى جولدتسيهر أن فكرة الرجعة تسربت إلى التشيع من طريق المؤثرات اليهودية والنصرانية (٢) وكذلك يرى فريد لندر أن التشيع قد استمد أفكاره الرئيسة من اليهودية. (انظر: المصدر السابق: ص ١٠٠ وما بعدها)، ويقول فلهوزن بالأصل اليهودي، ويشير إلى بعض أوجه التشابه في الأفكار بين اليهود والشيعة) (٣).

القول بالأصل الفارسي (فارسية التشيع):

يقرر بعض الباحثين أن التشيع نزعة فارسية، وذلك لعدة اعتبارات:

الأول: ما قاله ابن حزم والمقريزي من أن الفرس كانت من سعة الملك، وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسها بحيث إنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، كان العرب عند الفرس أقل الأمم خطراً، تعاظمهم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى، وفي كل ذلك يظهر الله الحق.. فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع، فأظهر قوم منهم الإسلام، واستمالوا أهل التشيع، بإظهار محبة أهل البيت، واستبشاع ظلم علي - بزعمهم - ثم سلكوا بهم مسالك حتى أخرجوهم عن طريق الهدى (٤).

الثاني: أن العرب تدين بالحرية، والفرس يدينون بالملك والوراثة في البيت المالك، ولا يعرفون معنى الانتخاب للخليفة، وقد انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك ولداً، فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب، فمن أخذ

---

(١) انظر: فجر الإسلام ص: ٢٧٦ .

(٢) انظر: العقيدة والشريعة ص ٢١٥ .

(٣) أحزاب المعارضة ص: ١٧٠ .

(٤) ابن حزم/ الفصل: ٢/ ٢٧٣، وانظر: المقريزي/ الخطط: ٢/ ٣٦٢ .

الخلافة كأبي بكر وعمر وعثمان، فقد اغتصب الخلافة من مستحقها، وقد اعتاد الفرس أن ينظروا إلى الملك نظرة فيها معنى التقديس، فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته، وقالوا: إن طاعة الإمام واجبة، وطاعته طاعة الله سبحانه وتعالى[١]. وكثير من الفرس دخلوا في الإسلام ولم يتجردوا من كل عقائدهم السابقة التي توارثوها أجيالاً، وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة إسلامية، فنظرة الشيعة إلى علي وأبنائه هي نظرة آبائهم الأولين إلى الملوك الساسانيين.

يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "إنا نعتقد أن الشيعة قد تأثروا بالأفكار الفارسية حول الملك والوراثة، والتشابه بين مذهبهم ونظام الملك الفارسي واضح، ويزكي هذا أن أكثر أهل فارس من الشيعة، وأن الشيعة الأولين كانوا من فارس"[٢].

الثالث: حينما فتح المسلمون بلاد الفرس تزوج الحسين بن علي - رضي الله عنه - ابنه يزدجرد أحد ملوك إيران، بعدما جاءت مع الأسرى فولدت له علي بن الحسين، وقد رأى الفرس في أولادها من الحسين وارثين لملوكهم الأقدمين، ورأوا أن الدم الذي يجري في عرق علي بن الحسين وفي أولاده دم إيراني من قبل أمه ابنة يزدجرد والذي من هو من سلالة الملوك الساسانيين المقدسين عندهم[٣]، أضف إلى ذلك أن اسم فاطمة - فيما يقال - اسم مقدس عند الفرس، لأن لها مقاماً محموداً في تاريخ الفرس القديم (لأن لفاطمة أثراً جميلاً - كما يعتقدون - في الكشف عن سمرديس المجوسي الذي استولى على عرش الكيانيين، فكانت فاطمة بطلة، وكانت فاطمة مقدسة، ولولاها لما علم شيء من أمر سمرديس المجوسي هذا، ولولاها لما دبر

---

(١) انظر: محمد أبو زهرة/ تاريخ المذاهب الإسلامية: ١/ ٣٧، أحمد أمين/ فجر الإسلام: ص٢٧٧، عرفان عبد الحميد/ دراسات في الفرق: ٢٣، فلهوزن/ أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام: ص ١٦٨، فلوتن/ السيادة العربية: ص ٧٦ .

(٢) محمد أبو زهرة/ تاريخ المذاهب الإسلامية: ١/ ٣٨ .

(٣) انظر في أن أم علي بن الحسين هي ابنة يزدجرد: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٤٧، صحيح الكافي: ١/ ٥٣, وانظر في أثر ذلك: سميرة الليثي/ الزندقة والشعوبية: ص ٥٦، عبد الله الغريب/ وجاء دور المجوس: ص ٧٧، النشار/ نشأة الفكر الفلسفي: ٢/ ١١، عبد الرزاق الحصان/ المهدي والمهدوية: ص ٨٢، رونلدسن/ عقيدة الشيعة: ص١٠١ .

أبوها أوتانس وصحبه مؤامرة عليه) (١).

الرابع: وتلمح الأصل الفارسي أيضاً في روايات عديدة عند الاثني عشرية، تفرد سلمان الفارسي - رضي الله عنه وبرأه الله مما يفترون - بخصائص وصفات فوق مرتبة البشر، حيث جاء في أخبارهم: "أن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً" ، وهذا الوصف لسلمان اعتاد الشيعة في رواياتهم على إطلاقه على أئمتهم الاثني عشر، كما أثبتت رواياتهم بأن سلمان "يبعث الله إليه ملكاً ينقر في أذنه يقول كيت وكيت" ، و"عن الحسن عن منصور قال: قلت للصادق - عليه السلام -: أكان سلمان محدثاً؟ قال: نعم. قلت: من يحدثه؟ قال: ملك كريم. قلت: إذا كان سلمان كذا فصحابه أي شيء هو؟ قال: أقبل على شأنك" فهي تثبت الوحي لسلمان وتوحي بأن صاحبه وهو علي فوق ذلك؟! بل أثبتت أخبارهم لسلمان علم الأئمة والأنبياء، كما جعلت له أمر الإمام والنبي، فقالت: "... سلمان أدرك علم الأول وعلم الآخر" ثم فسرت ذلك، فقالت: "يعني علم النبي ﷺ ، وعلم علي، وأمر النبي ﷺ وأمر علي"(٢).

وجاء في رواياتهم أن سلمان أحد الشيعة الذين بهم - كما يفترون "ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون"(٣). بل بلغ الغلو ببعض الفرق الشيعية أن قالت بتأليه سلمان، وقد وجدت هذه الفرقة في عصر أبي الحسن الأشعري (المتوفى سنة ٣٣٠هـ)، وأشار إليها في مقالاته حيث قال: "وقد قال في عصرنا هذا قائلون بألوهية سلمان الفارسي" .(٤)

وقد تكون هذه الروايات في كتب الاثني عشرية هي من آثار هذه الفرقة، لأن كتب الاثني عشرية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية بكل ما فيها من شذوذ.. وبقاؤها في كتبهم قد يؤذن بخروج طوائف منها مرة أخرى.

---

(١) انظر: عبد الرزاق الحصان/ المهدي والمهدوية: ص ٨٤، عن هيرودوتس: ٢/ ٤٦٢، المقدسي/ البدء والتاريخ: ٤/ ١٣٤، ٦/ ٩٥).
(٢) رجال الكشي: ص ١٥: ١٩,
(٣) رجال الكشي: ص ٦-٧,
(٤) مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٠,

بل نلحظ أن هناك اتجاهاً داخل الدوائر الشيعية لتعظيم بعض العناصر الفارسية التي شاركت في التآمر والكيد ضد دولة الخلافة الراشدة وهو أبو لؤلؤة الفارسي المجوسي قاتل الخليفة العظيم عمر بن الخطاب، فقد أطلق عليه عندهم "بابا شجاع الدين"[١]، واعتبروا يوم مقتل عمر - رضي الله عنه - بيد هذا المجوسي عيداً من أعيادهم، وقد ساق شيخهم الجزائري روايات لهم في ذلك[٢].

القول بأن المذهب الشيعي مباءة للعقائد الآسيوية القديمة:

ويضيف البعض أن المذهب الشيعي كان مباءة ومستقراً للعقائد الآسيوية القديمة كالبوذية وغيرها[٣]، يقول الأستاذ أحمد أمين: "وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح (تناسخ الأرواح: انتقال الروح بعد الموت من بدن إلى آخر؛ إنساناً أو حيواناً، قال بهذه النظرية بعض الهنود، وفيثاغورس من اليونان، وتسربت للعالم الإسلامي)[٤]، وتجسيم الله ﷺ المقصود وصف الله جل شأنه بصفات المخلوقين، وقد وجد هذا عند طوائف من الشيعة كالهشامية أتباع هشام بن الحكم وغيرها - كما سيأتي - أما لفظ الجسم فإن للناس فيه أقوالاً متعددة اصطلاحاً غير معناه اللغوي. انظر في ذلك): [٥]، والحلول (الحلول: هو الزعم بأن الإله قد يحل في جسم عدد من عباده، أو بعبارة أخرى أن اللاهوت يحل في الناسوت)(٦) ونحو ذلك من

---

(١) عباس القمي/ الكنى والألقاب: ٢/ ٥٥ .

(٢) الأنوار النعمانية: ١/ ,١٠٨)، كما يعظمون يوم النيروز، كفعل المجوس (الأعلمي/ مقتبس الأثر: ٢٩/ ٢٠٢-٢٠٣، المجلسي/ بحار الأنوار، باب عمل يوم النيروز: ٩٨/ ٤١٩، وانظر: وسائل الشيعة، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب: ٧/ ,٣٤٦)، وقد اعترفت أخبارهم بأن يوم النيروز من أعياد الفرس (انظر: بحار الأنوار: ٤٨/١٠٨ .

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة: ١/ ٣٧ .

(٤) (المعجم الفلسفي ص ٥٥، التعريفات للجرجاني: ص٩٣).

(٥) ابن تيمية/ التدمرية: ص ٣٢-٣٣ (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام) منهاج السنة: ٢/ ٩٧ وما بعدها، ٢/ ١٤٥ وما بعدها، درء تعارض العقل والنقل: ١/ ١١٨-١١٩، التعريفات للجرجاني: ص ١٠٣ .

(٦) المعجم الفلسفلي: ص ٧٦ .

الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة (البراهمة: هم المنتسبون إلى رجل مهم يقال له: براهم[١] أو: برهام من ملوك الفرس[٢]، يقرون بالله، ويجحدون الرسل.. وهم فرق مختلفة (انظر نفس الموضع من المصدرين السابقين) والفلاسفة والمجوس (المجوس: هم عبدة النار، ويقولون بأصلين؛ أحدهما: النور، والآخر: الظلمة، والنور أزلي، والظلمة محدثة، ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين، إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً[٣] قبل الإسلام"[٤]، ويشير بعض المستشرقين إلى تسرب الكثير من العقائد غير الإسلامية إلى الشيعة ويقول: "إن تلك العقائد انتقلت إليها من المجوسية، والمانوية (المانوية: أصحاب ماني بن فاتك، كان في الأصل مجوسياً، ثم أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وقد خالفته المجوس وسعت في قتله، حتى قتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيسى - عليه السلام - وبقي مذهبه في أتباعه، والمانوية يقولون بالأصلين: النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، وأن النور خير من الظلمة وهو الإله المحمود[٥]، والبوذية وغيرها من الديانات التي كانت سائدة في آسيا قبل ظهور الإسلام"(٦). ويذكر صاحب مختصر التحفة: "أن مذهب الشيعة له مشابهة تامة مع فرق اليهود والنصارى والمشركين والمجوس"، ثم يذكر وجه شبه المذهب الشيعي بكل طائفة من هذه الطوائف(٧).

كما يذكر البعض أنه تتبع مذاهب الشيعة فوجد عندها كل المذاهب والأديان التي جاءالإسلام لمحاربتها (٨).

---

(١) الملل والنحل: ٢/ ٢٥١ .

(٢) المنية والأمل: ص ٧٢ .

(٣) الملل والنحل: ١/ ٢٣٢ وما بعدها، الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٣٤، وانظر: أخبار أمم المجوس/ الكسندر سيبيل.

(٤) فجر الإسلام: ص ٢٧٧ .

(٥) الملل والنحل: ١/ ٢٤٤ وما بعدها، المنية والأمل: ص ٦٠ ، شرح الطحاوية: ص ١٨، الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: ص ١٣٨ .

(٦) فلوتن/ السيادة العربية: ص ٨٣-٨٤ .

(٧) مختصر التحفة ص ٢٩٨ وما بعدها.

(٨) انظر: بركات عبد الفتاح/ الواحدانية: ص ١٢٥ .

الرأي المختار في أصل التشيع:

والذي أرى أن التشيع المجرد من دعوى النص والوصية ليس هو وليد مؤثرات أجنبية، بل إن التشيع لآل البيت وحبهم أمر طبيعي، وهو حب لا يفرق بين الآل، ولا يغلو فيهم، ولا ينتقص أحداً من الصحابة، كما تفعل الفرق المنتسبة للتشيع، وقد نما الحب وزاد للآل بعدما جرى عليهم من المحن والآلام بدءاً من مقتل علي، ثم الحسين.. إلخ.

هذه الأحداث فجرت عواطف المسلمين، فدخل الحاقدون من هذا الباب، ذلك أن آراء ابن سبأ لم تجد الجو الملائم؛ لتنمو وتنتشر إلا بعد تلك الأحداث.. لكن التشيع بمعنى عقيدة النص على علي، والرجعة، والبداء، والغيبة، وعصمة الأئمة.. إلخ فلا شك أنها عقائد طارئة على الأمة، دخيلة على المسلمين، ترجع أصولها لعناصر مختلفة، ذلك أنه قد ركب مطية التشيع كل من أراد الكيد للإسلام، وأهله، وكل من احتال ليعيش في ظل عقيدته السابقة باسم الإسلام، من يهودي، ونصراني، ومجوسي، وغيرهم، فدخل في التشيع كثير من الأفكار الأجنبية والدخيلة، ولهذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن المتسبين للتشيع قد أخذوا من مذاهب الفرس والروم، واليونان، والنصارى، واليهود، وغيرهم أموراً مزجوها بالتشيع، ويقول: وهذا تصديق لما أخبر به النبي ﷺ، وساق بعض الأحاديث الواردة في أن هذه الأمة ستركب سنن من كان قبلها، وقال بأن هذا بعينه صار في المنتسبين للتشيع[1].

فرق الشيعة:

حفلت كتب المقالات والفرق بذكر فرق الشيعة وطوائفهم... والملفت للنظر هو كثرة هذه الفرق، وتعددها بدرجة كبيرة حتى تكاد تنفرد الشيعة بهذه السمة، أو قل: بهذا البلاء، فبعد وفاة كل إمام من الأئمة عند الشيعة تظهر فرق جديدة، وكل طائفة

---

(١) منهاج السنة: ١٤٧/٤، وانظر الأحاديث في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلكم؛: ١٥١/٨، وفي صحيح مسلم، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" رقم (٢٦٦٩)، المسند ٢/ ٤٥٠-٥١١، ٥٢٧ .

تذهب في تعيين الإمام مذهباً خاصاً بها.. وتنفرد ببعض العقائد والآراء عن الطوائف الأخرى، وتدعي أنها هي الطائفة المحقة.

وهذا الاختلاف والتفرق كان محل شكوى وتذمر من الشيعة نفسها، قال أحد الشيعة لإمامه - كما في رجال الكشي -: "جعلني الله فداك، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم؟ فقال: وأي الاختلاف؟. فقال: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم.. فقال: أبو عبد الله أجل هو كما ذكرت أن الناس أولعوا بالكذب علينا، وإني أحدث أحدهم بالحديث، فلا يخرج من عندي، حتى يتأوله على غير تأويله، وذلك أنهم لا يطلبون بحديثنا وبحبنا ما عند الله، وإنما يطلبون الدنيا، وكل يحب أن يدعى رأساً"[(١)]. فيدل هذا النص على أن حب الرياسة، ومتاع الدنيا الزائل كان وراء تشيع الكثيرين، وأن هؤلاء أولعوا بالكذب على آل البيت.. ولهذا كثر الخلاف والتفرق.

وقد ذكر المسعودي وهو شيعي (علي بن الحسين بن علي المسعودي المؤرخ. قال ابن حجر: كتبه طافحة بأنه كان شيعياً معتزلياً، ويعتبره الاثنا عشرية - في تراجمهم - من شيوخهم، توفي سنة (٣٤٦هـ) أن فرق الشيعة بلغت ثلاثاً وسبعين فرقة[(٢)] أن الفرق المذكورة في حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة هو كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد[(٣)].

---

(١) رجال الكشي: ص ١٣٥-١٣٦، بحار الأنوار: ٢/٢٤٦.

(٢) مروج الذهب: ٣/٢٢١، وانظر: الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين: ص ٨٥)، وكل فرقة تكفر الأخرى، ولهذا زعم الرافضي مير باقر الداماد (محمد باقر بن محمد الاسترابادي الشهير بداماد، من شيوخ الشيعة في الدولة الصفوية، توفي سنة (١٠٤٠هـ) مترجم له في: الكنى والألقاب: ٢/٢٠٦، المحبي/ خلاصة الأثر: ص ٣٠١، الحكيمي/ تاريخ العلماء: ص ٨٣.

(٣) الفتاوى ٣/٣٤٥ جمع عبد الرحمن بن قاسم)، وقال المقبلي: حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة رواياته كثيرة يشد بعضها بعضاً بحيث لا يبقى ريبة في حاصل معناها (العلم الشامخ: ص ٤١٤)، ويلحظ أن أحاديث افتراق الأمة: منها ما لا نص فيه على الهالك، وهذه قد أخرجها أكثر المحدثين منهم أصحاب السنن إلا النسائي وغيرهم، ومنها ما فيه بيان أن واحدة ناجية والباقين هلكى، وهذه لم يخرجها من أصحاب السنن إلا أبو داود في كتاب

وكما أخرج أهل السنة حديث افتراق الأمة، فقد رواه الشيعة أيضاً بلفظ: "إن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة تهلك إحدى وسبعون ويتخلص فرقة، قالوا: يا رسول الله، ومن تلك الفرقة؟ قال: الجماعة الجماعة الجماعة"، وبلفظ آخر: "إن أمتي ستفترق بعدي على ثلاث وسبعين فرقة، فرقة ناجية، واثنتان وسبعون في النار"(١).

وليس في رواياتهم هذا التصريح بأن هذه الفرق كلها من الشيعة، كما فيها تصريح بأن الناجية الجماعة وليست الشيعة، هي فرق الشيعة وأن الناجية منها هي طائفته الإمامية(٢)، وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة، أي ليسوا من أمة الإجابة، فهم في اعتقاده لم يدخلوا في الإسلام. وهذه المقالة قد قالها الشيعة من قبل وأشار إلى ذلك الشهرستانيا(٣).

وقد ورد في دائرة المعارف: أنه ظهر من فروع الفرق الشيعية ما يزيد كثيراً عن الفرق الاثنين والسبعين فرقة المشهورة (٤)، بينما يذكر المقريزي أن فرق الشيعة بلغت ثلاثمائة فرقة (٥).

ومرد هذا الاختلاف في الغالب هو اختلافهم حول الأئمة من آل البيت فيذهبون مذاهب شتى في أعيان الأئمة، وفي عددهم، وفي الوقف على أحدهم وانتظاره، أو

= =السنة رقم (٤٥٧٣) وأخرجها الدارمي: ٢/ ٢٤١، وأحمد: ٤/ ١٠٢، والحاكم: ١/ ١٢٨، والآجري في الشريعة: ص,١٨ ومنها: ما يحكم بنجاة كل الفرق سوى واحدة وهي الزنادقة، وهذه قد حكم عليها علماء الحديث بأنها موضوعة.
انظر: كشف الخفاء: ١/ ٣٦٩، والأسرار المرفوعة: ص ١٦١

(١) ابن بابويه القمي/ الخصال: ٢/ ٥٨٤-٥٨٥ .

(٢) جمال الدين الأفغاني/ التعليقات على شروح الدوّاني للعقائد العضدية (ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغاني دراسة وتحقيق: محمد عمارة: ١/ ٢١٥)، وقد نسب رشيد رضا هذا الكتاب لمحمد عبده (تفسير المنار: ٨/ ٢٢١)، لكن حقق محمد عمارة أنه للأفغاني (انظر: محمد عمارة/ الأعمال الكاملة للأفغاني: ١/ ١٥٥-١٥٦، الأعمال الكاملة/ لمحمد عبده: ١/ ٢٠٩).

(٣) الملل والنحل: ١/ ,١٦٥)، والرازي (الرازي: اعتقادات فرق المسلمين: ص ٨٥ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية: ١٤/ ٦٧ .

(٥) الخطط: ٢/ ٣١٥ .

المضي إلى آخر والقول بإمامته.. فضلاً عما تباينوا فيه من التفريع أو تنازعوا فيه من التأويل، ولهذا قال العلامة ابن خلدون بعدما ساق اختلافهم في تعيين الأئمة: "وهذا الاختلاف العظيم يدل على عدم النص"[(١)] أي يدل على أنهم ليسوا على شيء فيما ذهبوا إليه من دعوى أن الرسول ﷺ نص على عليّ والأئمة الآخرين.. إذ لو كان من عند الله لما كان هذا الاختلاف والتباين، ولكن لما وجدوا اختلافاً كثيراً كان من أعظم الأدلة على عدم وجود نص صحيح، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء، آية: ٨٢).

وأمر الإمامة عندهم هو أصل الدين، فلا يقبل فيها الخلاف، كما يقبل في الفروع. وقد عدّ شيخ الشيعة الزيدية في زمنه أحمد بن يحيى المترضى (وهو من كبار شيوخ الشيعة الزيدية حتى كانت مصنفاته الفقهية عمدة زيدية اليمن، ومن المنتسبين لأهل البيت.[(٢)] اختلاف الشيعة عند موت كل إمام في القائم بعده أوضح دليل على إبطال ما يدعون من النص [(٣)].

وقد انحصرت الفرق الشيعية المعاصرة بثلاث فرق، هي[(٤)]:

١- الاثنا عشرية.

٢- الإسماعيلية (الإسماعيلية: وهم الذين قالوا: الإمام بعد جعفر إسماعيل بن جعفر، ثم قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنكروا أمامة سائر ولد جعفر، ومن الإسماعيلية انبثق القرامطة والحشاشون والفاطميون والدروز وغيرهم، وللإسماعيلية فرق متعددة وألقاب كثيرة تختلف باختلاف البلدان، إذ لهم - كما يقول الشهرستاني - دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، وأما مذهبهم فهو كما يقول الغزالي وغيره: "إنه مذهب ظاهره الرفض وباطنه الكفر المحض". أو كما يقول

---

(١) الخطط: ٢/ ٣١٥.

(٢) انظر: الشوكاني/ البدر الطالع: ١/ ١٢٢).) (المتوفى سنة ٨٤٠هـ

(٣) المنية والأمل: ص ٢١.

(٤) انظر: النشار/ نشأة الفكر الفلسفي: ٢/ ١٢، العاملي/ أعيان الشيعة: ١/ ٢٢، محمد مهدي شمس الدين/ نظام الحكم والإدارة في الإسلام: ص ٦١، هبة الدين الشهرستاني/ مقدمة فرق الشيعة: ص / كا.

ابن الجوزي: "فمحصول قولهم تعطيل الصانع وإبطال النبوة والعبادات وإنكار البعث"، ولكنهم لا يظهرون هذا في أول أمرهم، ولهم مراتب في الدعوة، وحقيقة المذهب لا تعطى إلا لمن وصل إلى الدرجة الأخيرة، وقد اطلع على أحوالهم وكشف أستارهم جملة من أهل العلم كالبغدادي الذي اطلع على كتاب لهم يسمى: "السياسة والبلاغ الأكيد والناموس الأكبر" ورأى من خلاله أنهم دهرية زنادقة يتسترون بالتشيع، والحمادي اليماني الذي اندس بينهم وعرف حالهم وبين ذلك في كتابه: "كشف أسرار الباطنية"، وابن النديم الذي اطلع على "البلاغات السبعة" لهم وقرأ البلاغ السابع ورأى فيه أمراً عظيماً من إباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها.. وغيرهم، ولهم نشاطهم اليوم، كما لهم كتبهم السرية. قال أحدهم: "إن لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا"(١).

٣-الزيدية: وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(٢)، وقد افترقوا عن الإمامية حينما سئل زيد عن أبي بكر وعمر فترضى عنهما فرفضه قوم فسموا رافضة.. وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدية لاتباعهم له وذلك في آخر خلافة هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين(٣) والزيدية فرق: منهم من لم يحمل من الانتساب إلى زيد إلا الاسم فهم روافض في الحقيقة يقولون: إن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غير علي، وهؤلاء الجارودية أتباع أبي الجارود - كما سبق -، ومنهم من يقترب من أهل السنة كثيراً وهم أصحاب الحسن

---

(١) مصطفى غالب/ الحركات الباطنية في الإسلام: ص ٦٧، وانظر: أبو حاتم الرازي الإسماعيلي/ الزينة: ص ٢٨٧ ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية؛، الغزالي/ فضائح الباطنية: ص ٣٧ وما بعدها، الملل والنحل: ١/ ٦٧، ١٩١، البغدادي/ الفرق بين الفرق: ص٢٩٤، ٦٢١، ابن النديم/ الفهرست: ص ٢٦٧-٢٦٨، الملطي/ التنبيه والرد: ص ٢١٨، المقدسي/ البدء والتاريخ: ٥/ ١٢٤، الإسفراييني/ التبصير في الدين، ابن الجوزي/ تلبيس إبليس: ص ٩٩، وانظر: الإسماعيلية: إحسان إلهي ظهير.

(٢) الملل والنحل: ١/ ١٥٤، مقدمة البحر الزخار: ص٤٠)، وسموا بالزيدية نسبة إليه (يحيى ابن حمزة/ الرسالة الوازعة ص ٢٨، السمعاني/ الأنساب: ٦/ ٣٤٠

(٣) منهاج السنة: ١/ ٢١، الرسالة الوازعة: ص ٨٧-٨٨) والزيدية يوافقون المعتزلة في العقائد (انظر: المقبلي/ العلم الشامخ: ص ٣١٩، الملل والنحل: ١/ ١٦٢، الرازي/ المحصل: ص ٢٤٧

بن صالح بن حي الفقيه القائلون بأن الإمامة في ولد علي - رضي الله عنه -، ويقول ابن حزم: "إن الثابت عن الحسن بن صالح هو أن الإمامة في جميع قريش، ويتولون جميع الصحابة إلا أنهم يفضلون علياً على جميعهم".[(١)] وطائفة الاثني عشرية هي أكبر الطوائف اليوم، كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ، فقد وصفهم طائفة من علماء الفرق بـ"جمهور الشيعة"، وممن نعتهم بهذا: الأشعري.[(٢)] وهذه الأغلبية للاثني عشرية ليست في كل العصور إذ نلاحظ - مثلاً - أن ابن خلدون يقرر أن شيعة محمد بن الحنفية كانت أكثر شيعة أهل البيت[(٣)] - أي: في عصرها - ثم لم تلبث أن تقلص أتباعها حتى اختفت، كذلك يقول البلخي - كما يحكي عنه صاحب الحور العين - أن الفطحية (وهم أتباع عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق، وهو أكبر أولاد الصادق، وسموا الفطحية؛ لأن عبد الله كان أفطح الرأس، كما يدعون بالعمارية نسبة إلى رئيس لهم يعرف بعمار، وقد قال النوبختي بأنه مال إلى هذه الفرقة جل مشايخ الشيعة وفقهائها، ولكن عبد الله لم يعش بعد وفاة أبيه سوى سبعين يوماً فرجعوا عن القول بإمامته[(٤)]. ولعل هذا من أسباب انقراضها، وقد بقيت روايات أتباع هذا المذهب مدونة في كتب الاثني عشرية المعتمدة، أعظم فرق الجعفرية وأكثرهم جمعاً[(٥)] - يعني في زمنه -.

---

(١) انظر: ابن حزم/ الفصل: ٢/٢٦٦، وانظر في اعتدال الزيدية الحقة في مسألة الصحابة: ابن الوزير/ الروض الباسم ص ٤٩-٥٠، المقبلي/ العلم الشامخ: ص ٣٢٦) وانظر بحث عن الزيدية في: "فكرة التقريب" ص ١٤٦ وما بعدها.

(٢) مقالات الإسلاميين: /١ , ٩٠)، والمسعودي (مروج الذهب: ٤/ ,١٩٩)، وعبد الجبار الهمداني (المغني جـ القسم الثاني ص ١٧٦)، وابن حزم (الفصل: ٥/٣٨، ٤/ ,١٥٨)، ونشوان الحميري (الحور العين: ص ١٦٦ .

(٣) تاريخ ابن خلدون: ٣/١٧٢ .

(٤) انظر: مسائل الإمامة ص ٤٦، فرق الشيعة للنوبختي ص ٧٧-٧٨، مقالات الإسلاميين ١/١٠٢، الحور العين ص ١٦٣-١٦٤)، قال صاحب الزينة (أبو حاتم الرازي الإسماعيلي المتوفى سنة٣٢٢هـ :(وقد انقرضت هذه الفرقة فليس أحد يقول بهذا القول، وعاش عبد الله بعد أبيه سبعين يوماً ولم يخلف ذكراً (الزينة: ص٢٨٧ .

(٥) الحور العين: ص ١٦٤ .

أما الاثنا عشر الذي تقول الجعفرية بأنهم أئمتها، فهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والحسن والحسين، وذرية الحسين.

وفيما يلي بيان بأسمائهم وألقابهم، وكناهم،وسنة ميلاد كل إمام ووفاته:

م	اسم الإمام	كنيته	لقبه	سنة ميلاده ووفاته
١	علي بن أبي طالب	أبو الحسن	المرتضى	٢٣ قبل الهجرة، ٤٠ بعد الهجرة
٢	الحسن بن علي	أبو محمد	الزكي	٢-٥٠هـ
٣	الحسين بن علي	أبو عبدالله	الشهيد	٣-٦١هـ
٤	علي بن الحسين	أبو محمد	زين العابدين	٣٨-٩٥هـ
٥	محمد بن علي	أبو جعفر	الباقر	٥٧-١١٤هـ
٦	جعفر بن محمد	ابو عبدالله	الصادق	٨٣-١٤٨هـ
٧	موسى بن جعفر	أبو إبراهيم	الكاظم	١٢٨-١٨٣هـ
٨	علي بن موسى	أبو الحسن	الرضا	١٤٨-٢٠٣هـ
٩	محمد بن علي	أبو جعفر	الجواد	١٩٥-٢٢٠هـ
١٠	علي بن محمد	أبو الحسن	الهادي	٢١٢-٢٥٤هـ
١١	الحسن بن علي	أبو محمد	العسكري	٢٣٢-٢٦٠هـ
١٢	محمد بن الحسن	أبو القاسم	المهدي	يزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥ أو٢٥٦ هـو يقولون بحياته إلى اليوم(١)

(١) انظر عن الاثنى عشر: الكليني/ أصول الكافي: ١/ ٤٥٢ وما بعدها، المفيد/ الإرشاد، الطبري/ أعلام الورى، الأربلي/ كشف الغمة. وانظر: الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ٩٠/ ٩١، الشهرستاني/ الملل والنحل: ١/ ١٦٩، ابن خلدون/ لباب المحصل: ص١٢٨ وغيرها) .

التعريف بصاحب هذا التفسير: الفيض الكاشاني [1]

محمد بن المرتضى بن محمود المعروف بـ (الملا محسن الفيض الكاشانى) المتوفى عام (١٠٩١ هـ - ١٦٨٠م) من أئمة العرفان والحكمة والالهيات والحديث، ومن تلاميذ صدر المتألهين الشيرازى فى الفلسفة والتصوف، ومن تلاميذ السيد ماجد البحرانى فى الفقه والحديث ومن بيت علم نبغ منه عدد وفير من العلماء والفقهاء، وله اتجاه كبير إلى الطريقة العرفانية والمذاهب الصوفية، ويشبه فى طريقته الغزالى، بل اقتبس كثيرا منه فى مؤلفاته، ويبالغ فى تمجيد محى الدين بن عربى، ويكثر النقل عنه، يعبر عنه ببعض العارفين.

وقد نسبت إليه كثيرة من الأقاويل الفاسدة والآراء الباطلة، التى - كما يقول مترجموه - تفوح منها رائحة الكفر. ومن الذين حملوا عليه الشيخ علي حفيد الشهيد الثانى العاملى، فقد نسب إليه أشياء منكرة، شنع بها عليه. وقد تفرق الناس فيه - كما يقول القمى - فرقا فى مدحه والقدح فيه، والتعصب له أو عليه.

وقد دافع عنه صاحب الروضات دفاعا حارا، ونفى عنه تلك الاتهامات واورد من كلماته فى بعض كتبه، مما يذم بها الصوفيه، ويحمل فيها عليهم حملة منكرة ويصفهم بالشعوذة والبدع والكذب والإفتراء.

أما آراؤه التى شنع عليه بها فهى:

١- قوله بوحدة الوجود، بل وضع رسالة، يصرح فيها كما قيل - بوحدة الوجود، وقد اطلع عليها الفقيه لشيخ يوسف البحرانى المعروف، ورأيه هذا - ان صحت نسبته إليه - انعكاس من أراء استاذه صدر المتأهلين، أخذ عنه وتأثر به، وقد عرفت فيما سبق تفصيل القول بوحدة الوجود.

٢- قوله بعدم خلود الكفار فى عذاب النار.

٣- عدم نجاة أهل الاجتهاد وان كان من أعاظم العلماء، وقد كان الرجل من الاخباريين، الذين لا يرون الاجتهاد على طريقتهم المعروفة.

---

(١) فلاسفة الشيعة للشيخ عبدالله نعمة - دار الفكر اللبنانى ط أولى س,١٩٨٧

٤- قوله بعدم تنجيس المتنجس لغيره.

٥- عدم انفعال الماء القليل بملاقاته للنجاسة.

٦- حلية الغناء، وغير ذلك من الأراء التى انفرد فى الفقه، والتى هى على خلاف رأى الجمهور من فقهاء الشيعة.

٧- أما مؤلفاته فكثيرة، تربو على الثمانين كتابا، بينها ما يشتمل على مجلدات ضخمة، ومن هذه المؤلفات:

* (علم اليقين فى أصول الدين) تناول فيه العقائد الاسلامية فى الكتاب والسنة وقد اختصره فى اسماه المعارف.

* (كتاب أنوار الحكمة) وهو مختصر كتاب " علم اليقين"

* (الكلمات المكنونة فى علوم أهل المعرفة) ولخصها فى كتابه " الكلمات المخزونة" .

* (كتاب تشريح العالم) فى بيان هيئات العالم، وأجسامه وأرواحه، وكيفيته، وحركات الأفلاك، وأنواع البسائط والمركبات.

* (أصول العقائد) فى تحقيق الأصول الخمسة الدينية.

* (جواب الأبهرى) فى كيفية علم الله تعالى بالموجودات منذ الأزل، وأنه كان عالما بالأشياء قبل وجودها أم لا، توجد منه نسخة فى مكتبة الملا محمد على الخراسانى.

* (جواب السؤال عن تحديد الطبائع وحركة الموجود الجسمانى بتجدد الأمثال).

* (جواب مسألة الوجود) وبيان أنه مشترك لفظى أو معنوى.

* (كتاب التوحيد) توجد منه نسخة فى مكتبة السيد راجه محمد مهدى.

* (كتاب الحقائق) المطبوع فى إيران فى هامش جامع السعادات للنراقى.

* (التذكرة) فى الحكمة الإلهية: توجد منه نسخة فى مكتبة الشيخ على كاشف الغطاء، ذكره الطهرانى فى الذريعة ج ٤ ص ٤٨١ .

* (المحجة البيضاء) فى أحياء كتاب الأحياء للغزالى، هو تهذيب للأحياء معتمدا فيه على أحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وله كتب فى التفسير منها:

* (كتاب الصافى) وهو مطبوع فى إيران، وعندنا منه نسخة مخطوطة.
* (كتاب الأصفى).
* ومن كتبه فى الحديث:
* كتاب أسماه " الشافى".
* كتاب الوافى.

ومن مؤلفاته فى الفقه:

* (كتاب معتصم الشيعة) فى أحكام الشريعة.
* (مفاتيح الشرائع). (النخبة).
* وله (تنفيس الهموم) من مثنوياته، ذكره فى الذريعة ج ٤ ص ٤٥٩ .
* (غنية الأنام فى معرفة الساعات والأيام) وتسمى أيضا " من لا يحضره التقويم " وهو فى بيان الأيام والساعات وتعيينها، وساعات النحس والسعد، وما ورد عن الأئمة بذلك، وبيان الاختلاف الواقع فى الأيام والشهور والسنين عند أهل الشرع والروم والفرس والمنجمين، وبيان أحكام النجوم.
* (تقويم المحسنين) يحتوى على ما ورد عن الأئمة من المأثورات فى أوقات السعد والنحس، طبعت مرارا فى بومبى الهند فى مطبعة الإسلام سنة ١٣٠٥هـ.
* (معيار الساعات) فارسى، منه نسخة فى خزانة جامعة طهران، وهو يجرى مجرى كتاب "غنية الأيام".

الحالة السياسية والعلمية والاقتصادية فى عصره

ظهور الأسرة الصفوية (١)

وكانت هناك قوى محيطة بفارس عند مطلع حكم الشاة اسماعيل، فمن الغرب كان يوجد العراق الذى لاذ به مراد بن يعقوب أخر أمراء الآق اقوينلو، والى الشمال كانت توجد امارة تابعة ايضا للآق قوينلو يطمع فيها الشاة إسماعيل وهى امارة البستان وكان عليها علاء الدولة، ومن جهة الشمال والغرب كان الاناضول بلادا عثمانية سنية مجاهدة فى البلقان ضد الدول الاوروبية، وفى مياه الخليج العربى ضد البرتغاليون، ومن الشمال الشرقى كانت توجد قبائل الاوزبك بزعامة محمد الشيبانى الشديد الباس. وكان يسيطر على اجزاء من شمال شرقى فارس، والى الشرق توجد القبائل الافغانية.

تمكن الشاة اسماعيل الصفوى من اخضاع بلاد الفرس كلها لحكمه، ولم يتبق امامه من عدو غير العثمانيين فى الغرب والاوزبك فى الشرق ، وقد اعلن عزمه على اعلاء شان مذهب الشيعة حتى راح يحمل الناس قسرا على الدخول فى هذا المذهب، ولا يتردد فى افناء مدن باسرها والقضاء على العلماء والاعلام زرافات ووحدانا حين يرفضون الاستجابة لدعوته مستمسكين بالاسلام.

وأدى بشاه فارس تعصبه الشديد لإرغام الناس على التشيع قسرا- حتى لامه مؤرخو الفرس انفسهم فى ذلك - أن دخل فى حروب متواصلة مع العثمانيين عند الحدود الغربية من بلاده، ومع الاوزبك عند الحدود الشمالية الشرقية لايران. وكان هؤلاء الاوزبك يحكمون فى بلاد ما وراء النهر التى تضم فيها التركستان.

لقد اصبحت مهمة العثمانيين عالمية وليست محلية، وكان عليهم ان يقوموا بدورهم فى انقاذ العالم الاسلامى من البرتغاليين وانقاذ انفسهم من الضغط الصفوى الشيعى المتواصل فى الاناضول قلب الدوله العثمانية، فبدا السلطان سليم الاول فى ابادة الشيعة فى الاناضول ثم شن حربا شاملة ضد الشاة فى فارس نفسها، وانتصر عليه انتصارا كبيرا فى موقعة جالديران فى عام ٩٢٠ هـ واجبره على عقد صلح مع

---

(١) تاريخ الصفويين وحضارتهم: بديع جمعه - أحمد الخولى.

العثمانيين، فقد اعلن حاكم بغداد ولاءه للسلطان العثماني سليم الاول، واصدر السلطان الفارسي مرسوما بذلك. ولم يستطع الشاة اسماعيل الصفوي ان يقوم بعمل جدى إزاء العراق حتى توفى ٩٣١ هـ.

خلف طهماسب أباه اسماعيل، حفلت مدة حكمه بالحروب المتصلة ضد اعدائه الأوزبك فى الشرق والعثمانيين فى الغرب. وقد رفض طهماسب الاعتراف بالسلطان العثماني خليفة على المسلمين متأسيا فى ذلك بوالده من قبله ، وحدث أن عامل بغداد الفارسي، (من قبل طهماسب) انحاز إلى سليمان فجهز الشاة حمله ضده وأخضعه، فاتخذ سليمان هذه الحرب ذريعة لإعلان الحرب على فارس فلما كان صيف عام ٩٤١ هـ (١٥٣٤م) دخل العراق بجيش قوى، واضطر الشاة الى التراجع فى وجه القوات العثمانية وصار فى ميسور سليمان ان يتقدم الى عاصمة الفرس، تبريز، وان يستولى على بغداد، من غير ما عناء، واقر سليمان العثماني الامن والنظام فى هذه الولايات الواقعة على الحدود التى كان يعتزم الاحتفاظ بها.

ومن ابرز حكام الاسرة الصفوية الذين خلفوا طهماسب الشاة عباس الكبير، الذى عقد صلحا مع العثمانيين فى مطلع حكمه، وتنازل للعثمانيين عن اذربيجان وجورجيا ولورستان، وبعث بابن عمه حيدر ميرزا رهينة الى استانبول، وفرغ بعد ذلك لاقرار الامن فى داخل مملكته ووقايتها من عدوان الاوزبك، وعقد معاهدة مع الانكليز وتمكن بموجبها وبمساعدة الاسطول الانكليزى من الاستيلاء على هرمز وبغداد واسترداد تبريز، ومكن للسلطة الفارسية من تعزيز الحدود فى الشرق، وانشأ قاعدة تجارية خلع عليها اسم بندر عباس.

ونقل عاصمته الى اصفهان، وازدهرت البلاد فى حكمه، وجاءت البعثات السياسية الى مركز حكمه فى اصفهان، كما تاسست مراكز تجارية اوروبية على سواحل الخليج العربى، وقد ظل بالعمل فى تحويل الحج من مكة الى مشهد.

وقد عنى بالفلسفة وعلوم الفقه، وازدهر فى عصره الشعر والموسيقى، كما شهدت بلاد فارس نهضة عظيمة فى صناعة السجاد والقيشانى، وضعفت الاسرة الصفوية بعد الشاة عباس لضعف حكامها وأدى ذلك لزوالها.

ومهما يكن من امر، فان الحروب التى دارت سجالاً بين شاهات الفرس من جانب والاوزبك والعثمانين من جانب اخر قد انهكت قوى هذه الدولة القوية التى

كان يحسب الاوروبيون حسابها، فمهد ذلك لظهور روسيا قوية على مسرح الحوادث، ثم تدخلها هى والدول الاوروبيــة من بعد ذلك فى شئـون امصار العـالم الاسلامى، والاستيلاء على كثير من أراضيه.

وكان من اخطاء الصفويين كذلك استجابتهم للأوروبيين الذين عملوا على دفعهم لحرب العثمانيين الذين كانت فى حوزتهم مساحات كبيرة من الاراضى الاوروبية.

التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه (١)

الصافى فى تفسير القرآن الكريم، كتاب فسر فيه صاحب القرآن الكريم على وفق مبادئ الامامية الإثنا عشريــه، وهو تفسير وسط يقع فى ثلاثة أجزاء، ومتناول لشرح الآيات القرآنية شرحا مختــصرا جدا ولا يطيل إلا إذا وجد فى الآية ما يمكن أن يأخذ منه شاهدا على مبدأ من مبادئه، أو دليلا على عقيدة من عقائده، أو دفعا يدفع به رأيا من أراء مخالفيه، كذلك يطيل عندما يعرض لشرح قصه من قصص القرآن، أو غزوه من غزوات الرسول، والكتاب يعتمد أولا وقـبل كل شئ على ما ورد من التفسير عن الأئمة وعلماء أهل الـبيت، شأنه فى هذا شأن كل كتب التـفسير عند الامـامية الإثنا عـشريه، الذين يعـتـقدون أن أهل البـيت هم أدرى الناس بأسـرار القرآن وأعلمـهم بمعانيه، والكتاب فى جملته يدل على مقدار تعـصب صاحبه لمذهبه وغلوه فى تشيعه، فهو يجادل ويدافع عن مبادئ حزبه، ويطعن فـى صحابة رسول الله، ويرميهم بالنفاق والكفر.. إلى غير ذلك مما ستقف عليه فيما بعد إن شـاء الله تعالى، هذا وقد قدم ملا محـسن الكاشى لتفسيـره باثنتى عشرة مقـدمه، أرى أنه لاداعى لذكره جمـيعا، ولكن حسبى وحـسب القارئ أن أذكر أهم الآراء التى يقول بها المؤلف ويشـرحها لنا فى هذه المقدمات، ثم أذكر طريقته التى سار عليهـا فى تفسيره كما أوضحها هو، ثم أعرض على القارئ بعد ذلك بعض مواقف المؤلف فى تفسيره، ومنها يتبين جليا قيمة هذا التفسيـر وطريقة مؤلفه فيه، ومسلكه الذى سلكه فى شـرحه لكتاب الله تعالى بما يتفق مع مـذهبه ويتمشى مع عـقيدته، وإليك أهم هذه الآراء التى قـالها المؤلف: آل البيت هم تراجمة القرآن، لأنهم جمعوا علمه كله دون من عداهم.

يرى المؤلف أن آل البيت هم تراجـمة القرآن دون من عداهم، فهم الذين جـمعوا علم القـرآن كله وأحاطوا بمعانيـه وأسراره، ووقـفوا على رمـوزه وإشاراته، ذلك لأن

---

(١) التفسير والمفسرون.

القرآن نزل فى بيتهم ـ بيت النبوة ـ ورب البيت أدرى بما فيه، وهو فى هذه العقيدة لا يشذ وحده بل هو رأى هذه الطائفة كلها لافرق بين معتدل ومتطرف.

يرى المؤلف هذا الرأى ويصرح به فى مقدمة تفسيره فيقول: (. . . وإن العترة تراجمة القرآن فمن الكشاف عن وجوه عرايس أسراره ودقائقه وهم خوطبوا به ؟ ومن لتبيان مشكلاته ولديه مجمع بيان معضلاته ومنبع بحر حقائقه وهم أبو حسنه؟ ومن يشرح آيات الله وييسر تفسيرها بالرموز والصراح إلا من شرح الله صدره بنوره ومثله بالمشكاة والمصباح ؟ زمن عسى يبلغ علمهم بمعالم التنزيل والتأويل، وفى بيوتهم كان ينزل جبريل ؟. . وهى البيوت التى أذن أن ترفع، فمنهم يؤخذ ومنهم يسمع. إذن أهل البيت بما فى البيت أدرى، والمخاطبون بما خوطبوا به أوعى، فأين نذهب عن بابهم وإلى من نصير؟. .).

ثم يمضى صاحبنا بعد ذلك فيؤيد قوله هذا بأحاديث يرويها عن أهل البيت كلها - فيما نعتقد وكما يظهر من أسلوبها - من وضع الشيعة وأخلاقهم، فمن ذلك ما نقله عن الكافى بإسناده عن سليم بن قيس الهلالى قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول. . وساق الحديث إلى أن قال: ما نزلت آية على رسول الله وآله إلا أقرنيها وأملاها على فأكتبها بخطى، وعلمنى تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله أن يعلمنى فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله،؟ ولا علما أملاه على فكتبته منذ دعا لى بما دعا ؛ وما ترك شيئا علمه الله من حلال وحرام، ولا أمر ولانهى كان أو يكون من طاعة أو معصية إلا علمنيه. وحفظته فلم أنس منه حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدرى ودعا الله أن يملأ قلبى علما وفهما وحكمة ونورا، فقلت: يا رسول الله - بأبى أنت وأمى - منذ دعوت الله لى بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتنى شئ لم أكتبه، أو تتخوف على النسيان فيما بعد؟. فقال: لست أتخوف عليك نسيانا ولا جهلا) قال: ورواه العياشى فى تفسيره والصدوق فى إكمال الدين. بتفاوت يسير فى ألفاظه، وزيد فى آخره: (وقد أخبرنى ربى أنه قد استجاب لى فيك وفى شركائك الذين يكونون من بعدك، فقلت: يا رسول الله؛ ومن شركائى من بعدى؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبى، فقال: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (النساء: ٥٩). . فقلت: زمن هم؟ قال: الأوصياء منى إلى أن يردوا على الحوض، كلهم هادين مهتدين لا يضرهم من

خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم، لا يفارقهم ولا يفارقونه، بهم تنصر أمتى وبهم تمطر، وبهم يدفع عنهم البلاء، وبهم يستجاب دعاؤهم. فقلت: يا رسول الله؛ سمهم لى.. فقال: ابنى هذا.. ووضع يده على رأس الحسين، ثم قال: ابنى هذا.. ووضع يده على رأس الحسين، ثم ابن له يقال له: على وسيولد فى حياتك فأقرئه منى السلام، ثم تكمله اثنى عشر من ولد محمد. فقلت له: بأبى أنت وأمى أنت فسمهم لى، فسماهم رجلا رجلا، فقال: منهم: والله يا أخا بنى هلال - مهدى أمة محمد، الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، والله إنى لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام وأعرف أسماء آبائهم وقبائلهم [1].

ومنها ما نقله عن الكافى بإسناده إلى زيد الشحام.. قال: دخل قتادة بن دعامة على أبى جعفر عليه السلام فقال: يا قتادة ؛أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال أبو جعفر عليه السلام: بعلم تفسيره أم بجهل؟ قال: لا، بل بعلم ، فقال له أبو جعفر عليه السلام: فإن كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسألك. قال قتادة: سل. قال: أخبرنى عن قول الله تعالى فى سبأ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ فقال قتادة: من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت كان آمنا حتى يرجع إلى أهله. فقال أبو جعفر عليه السلام: نشدتك بالله - يا قتادة - هل تعلم أنه قد يخرج الرجل من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يريد هذا البيت فيقطع عليه الطريق فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟ قال قتادة: اللهم نعم. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا قتادة.. إن كنت إنما فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت أخذته من الرجال فقد هلكت وأهلكت، ويحك يا قتادة.. ذلك من خرج من بيته بزاد وراحلة وكرى حلال يؤم هذا البيت عارفا بحقنا، يهوانا قلبه، كما قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ ، ولم يعين البيت فقيل: إليه.. نحن والله دعوة إبراهيم عليه السلام التى من هوانا قلبه قبلت حجته وإلا فلا، يا قتادة فإذا كان ذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة. قال قتادة: لا جرم والله لا أفسرها إلا هكذا. فقال أبو جعفر عليه السلام: ويحك يا

---

(١) الجزء الأول ص ٥، ٦ .

قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به) (١).

من يجوز له أن يفسر القرآن برأيه:

ولكن هل معنى ذلك أن ملا محسن يرى أن فهم معانى القرآن ومعرفة أسراره أصبح أمرا مقصورا على أهل البيت وحدهم فيكون بذلك قد حجر واسعا وجحد فضل من عداهم من العلماء؟ أو يرى القرآن فى فهمه قدر مشترك بين العلماء جميعا لا فرق بين أهل البيت وغيرهم؟ . . الحق أن صاحبنا يرى أن فى معانى القرآن لأرباب الفهم متسعا بالغا ومجالا رحبا، ولكن من هم أولوا الفهم الذين يجوز لهم أن يعملوا عقولهم فى فهم معانى القرآن واستنباط أحكامه ؟ . . نرى المؤلف يحدد لنا أولى الفهم بحدود، ويقيدهم بقيود لها صلة قوية بمذهبه الشيعى، وذلك حيث يقول: " . . فالصواب أن يقال: إن من أخلص الانقياد لله ولرسوله ولأهل البيت عليهم السلام، وأخذ علمه منهم، وتتبع آثارهم، واطلع على جملة من أسرارهم، بحيث حصل له الرسوخ فى العلم، والطمأنينة فى المعرفة، وانفتح عينا قلبه، وهجم به العلم على حقائق الأمور، وباشر روح اليقين، واستلان ما استوعره المترفون، وأنس بما استوحش منه الجاهلون، وصحب الدنيا ببدن روحه معلقه بالمحل الأعلى، فله أن يستفيد من القرآن بعض غرائبه، ويستنبط منه نبذا من عجائبه، ليس ذلك من كرم الله بغريب، ولا من جوده بعجيب، فليست السعادة وقفا على قوم دون آخرين، وقد عدوا عليهم السلام جماعة من أصحابهم المتصفين بهذه الصفات من أنفسهم، كما قالوا: سلمان منا أهل البيت، فمن هذه صفته فلا يبعد دخوله فى الراسخين فى العلم، العالمين بالتأويل)(٢). المؤلف يرى أن تفسيره للقرآن بما جاء عن أهل البيت هو التفسير المثالى ويطعن فى بقية الصحاب وفى تفسيرهم:

ولما كان المؤلف قد جعل جل اعتماده فى تفسيره، بل كله، على ما وصل إليه من التفسير عن آل البيت، لاعتقاده أنهم أدرى به من غيرهم، فإنا نراه يرى - مع شئ من التواضع التقليدى - أن تفسيره هو التفسير المثالى الذى يجب أن يحتذى، كما نراه لا يعترف بتفسير غيره ممن تقدم عصره، بل ويبالغ فى عدم الاعتراف فيطعن على من عدا أهل البيت من الصحابة ويرميهم بالنفاق وغيره، ولا يرتضى ما جاء عنهم من

(١) الجزء الأول صفحة ١٠، (م٨- التفسير والمفسرون ج٢).
(٢) المصدر السابق.

تفسير، كأن عقول الصحابة جميعا قد عقمت وضلت إلا عقول أهل البيت ومن والاهم.

يقرر المؤلف هذا بكل صراحة وجرأة مع حملة ظالمة على صحابة رسول الله وذلك حيث يقول: ". . هذا يا إخوانى ما سألتمونى من تفسير القرآن، بما وصل إلينا من أئمتنا المعصومين من البيان، أتيتكم به مع قلة البضاعة، وقصور يدى عن هذه الصناعة، على قدر مقدور، فإن المأمور معذور، والميسور لا يترك بالمعسور، ولا سيما أنى كنت أراه أمرا مهما، وبدونه أرى الخطب مدلهما، فإن المفسرين وإن فى القرآن ناسخا ومنسوخا، ومحكما ومتشابها، وخاصا وعاما، ومبينا ومبهما، ومقطوعا وموصولا، وفرائض وأحكاما، وسننا وآدابا، وحلال وحراما، وعزيمة ورخيصة، وظاهرا وباطنا، وحدا ومطلعا. . ولا يعلم تمييز ذلك كله إلا من نزل فى بيته، وذلك هو النبى ﷺ وآله وأهل بيته، فكل ما لا يخرج من بيتهم فلا تعويل عليه، ولهذا ورد عن النبى ﷺ : " من فسر القرآن برأيه فأصاب الحق فقد أخطأ"، وقد جاءت عن أهل البيت صلوات الله عليهم فى تفسير القرآن وتأويله أخبار كثيرة، إلا أنها خرجت متفرقة عن أسئلة السائلين، وعلى أقدار افهام المخاطبين، وبموجب إرشادهم إلى مناهج الدين، وبقيت بعد خبايا فى زوايا، خوفا من الأعداء وتقيه من البعداء، ولعله مما برز وظهر لم يصل إلينا الأكثر، لأن رواته كانوا فى محنة من التقية، وشدة من الخطر، وذلك أنه لما جرى فى الصحابة ما جرى، وضل بهم عامة الورى، أعرض الناس عن الثقلين (١) وتاهوا فى بيداء ضلالاتهم عن النجدين إلا شرذمة من المؤمنين فمكث العامة بذلك سنين، وعمهوا فى غمرتهم حتى حين، فآل الحال إلى أن نبذ الكتاب حملته، وتناساه حفظته فكان الكتاب وأهله فى الناس وليسا فى الناس، ومعهم وليسا معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعا. وكان العلم مكتوما، وأهله مظلوما، لا سبيل لهم بإبرازه إلا بتعميته وإلغازه، ثم خلف من بعدهم خلف غير عارفين ولا ناصبين، لم يدروا ما صنعوا بالقرآن، وعمن أخذوا التفسير والبيان. فعمدوا إلى طائفة يزعمون أنهم من العلماء، فكانوا يفسرون لهم بالآراء، ويروون تفسيره عمن يحسبونه من كبرائهم، مثل أبى هريرة وأنس وبن عمر ونظرائهم وكانوا يعدون أمير المؤمنين من جملتهم، ويجعلونه كواحد من الناس، وكان خير من

٢- أراد بالثقلين كتاب الله والعترة كما أفصح عن ذلك فى أول المقدمة، صفحة ٢ .

يستندون إليه بعده بن مسعود وبن عباس، ممن ليس على قوله كثير تعويل ن ولا له ألى لباب الحق سبيل، وكان هؤلاء الكبراء ربما ينقلونه من تلقاء أنفسهم غير خائفين من مآله، وربما يستندونه إلى رسول الله ﷺ وآله، ومن الآخذين عنهم من لهم يكن له معرفة بحقيقة أحوالهم، لما تقرر عندهم من أن الصحابة كلهم عدول ولم يكن لأحد منهم عن الحق عدول، ولم يعلموا أن أكثرهم كانوا يبطنون النفاق، ويجترئون على الله ويفترون على رسول الله ﷺ فى عزة وشقاق، وهكذا كان حال الناس قرنا بعد قرن، فكان لهم فى كل قرن رؤساء ضلالة، عنهم يأخذون، وإليهم يرجعون، وهم بآرائهم يجيبون، أو إلى كبرائهم يستندون، وربما يروون عن بعض أئمة الحق عليهم السلام فى جملة ما يروون عن رجالهم، ولكن يحسبونه من أمثالهم، فتبا لهم ولأدب الرواية، إذ ما رعوها حق الرعاية، نعوذ بالله من قوم حذفوا محكمات الكتاب، ونسوا الله رب الأرباب، وراموا غير باب الله أبوابا، واتخذوا من دون الله أربابا، وفيهم أهل بيت نبيهم، وهم أزمة الحق، وسنة الصدق، وشجرة النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحى، وعيبه العلم، ومنار الهدى، والحجج على أهل الدنيا، خزائن أسرار الوحى والتنزيل، ومعادن جواهر العلم والتأويل، والأمناء على الحقائق، والخلفاء على الخلائق، أولوا الأمر الذين أمروا بطاعتهم، وأهل الذكر الذين أمروا بمسألتهم، وأهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، والراسخون فى العلم الذين عندهم القرآن كله تأويلا وتفسيرا، ومع ذلك كله يحسبون أنهم مهتدون، إنا لله وإنا إليه راجعون، ولما أصبح الأمر كذلك وبقى العلم سخريا هنالك، صار الناس كأنهم أئمة الكتاب وليس الكتاب بإمامهم، فضربوا بعضه ببعض لترويج مرامهم، وحملوه على أهوائهم فى تفاسيرهم وكلامهم، والتفاسير التى صنفها العامة من هذا القبيل، فكيف يصح عليها التعويل، وكذلك التى صنفها متأخروا أصحابنا فإنها أيضا مستندة إلى رؤساء العامة وشذ ما نقل فيه حديث عن أهل العصمة عليهم السلام، وذلك لأنهم إنما نسجوا على منوالهم، واقتصروا فى الأكثر على أقوالهم، مع أن أكثر ما تكلم به هؤلاء وهؤلاء فإنما تكلموا فى النحو، والصرف، والاشتقاق، واللغة، والقراءة، وأمثالها-مما يدور على القشور دون اللباب، فأين هم والمقصود من الكتاب ؟ وإنما ورد على طائفة منهم ما قويت فيه منته، وترك ما لا معرفة له به مما قصرت عنه همته، ومنهم من أدخل فى التفسير ما لا يليق به، فبسط الكلام فى فروع الفقه وأصوله، وطول القول فى

اختلاف الفقهاء. أو صرف همته فيه إلى المسائل الكلامية وذكر ما فيها من الآراء، وأما ما وصل إلينا مما ألفه قدماؤنا من أهل الحديث فغير تام، لأنه إلى غير منته إلى آخر القرآن، وإما غير محيط بجميع الآيات المفتقرة إلى البيان، مع أن منه ما لم يثبت صحته عن المعصوم، لضعف رواته أو جهالة حالهم ونكارة بعض مقالهم" .. إلى أن قال: " وبالحرى أن يسمى هذا التفسير بالصافى، لصفائه عن كدورات آراء العامة والممل والمحير والمتنافى " (١) .

جل القرآن نازل فى شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم:

ويعتقد صاحبنا أن معظم القرآن إنما نزل فى شأن آل البيت وأوليائهم وأعدائهم، فما كان من آية مدح فهى فى آل البيت وأشياعهم، وما كان من آية ذم أو وعيد أو تهديد فهى فى مخالفيهم، ثم يقوى رأيه هذا ويستدل له بما يرويه عن علماء أهل البيت من روايات واردة فى هذا المعنى، فمن ذلك ما نقله عن الكافى وتفسير العياشى بالإسناد إلى أبى جعفر عليه السلام قال: " نزل القرآن على أربعة أرباع: ربع فينا، وربع فى أعدائنا، وربع سنن وأمثال، وربع فرائض وأحكام "، وزاد العياشى: "ولنا كرائم القرآن" .. ثم مضى بعد ذكره لهذه الرواية وأمثالها فقال: "وقد وردت أخبار جمة عن أهل البيت عليهم السلام، فى تأويل كثير من آيات القرآن بهم وبأوليائهم وبأعدائهم، حتى إن جماعة من أصحابنا صنفوا كتبا فى تأويل القرآن على هذا النحو، جمعوا فيها ما ورد عنهم عليهم السلام فى تأويل آية آية، إما بهم أو بشيعتهم، أو بعدوهم، على ترتيب القرآن. وقد رأيت منها كتابا يقرب من عشرين ألف بيت.. ثم قال: وذلك مثل لما رواه الكافى عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى: (الشعراء: ١٩٣-١٩٥) .. قال: هى الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام. وفى تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السلام قال: يا أبا محمد؛ إذا سمعت الله ذكر قوما من هذه الأمة بخير فنحن هم، وإذا سمعت الله ذكر قوما بسوء ممن مضى فهم عدونا. وفيه عن عمير بن حنظلة عن أبى عبد الله عليه السلام: سأله عن قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الكِتَابِ ﴾ قال: فلما رآنى أتتبع هذا وأشباهه من الكتاب: قال: حسبك.. كل شئ فى الكتاب من فاتحته إلى خاتمته مثل هذا فهو فى الأئمة عنوا

(١) الجزء الأول ص ٢-٤ .

بـــه »(١).

رأى المصنف فى تحريف القرآن وتبديله:

يدين ملا محسن بأن عليا عليه السلام هو أول من جمع القرآن، وأن القرآن الذى جمعــه هو القرآن الكامل الذى لم يتطرق إليه تحريف ولا تبـديل، ويروى لنا أحاديث عن آل البيت كـمستنـد له فى رأيه هذا، فمن ذلك: ما نقله عــن القمى فى تفسيره بإسناده عن أبى عـبد الســلام عليه السـلام أنه قـال: "إن النبى ﷺ قال لعلى عليـه السلام: "يا على؛ إن القرآن خلف فراشى فى الصـحف والحرير والقراطيس، فخذوه واجمعوه ولا تضـيعوه كما ضيعت اليـهود التوراة"، فانطلق عليه السلام فـجمعه فى ثوب أصفر ثم خـتم عليه فى بيته وقـال: لا أرتدى حتى أجمعــه، قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه".

ومنها ما رواه القمى بإسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على أبى عبد الله وأنا أستمع - حروفا من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس، فقال أبو عبد الله: كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فإذا قام اقرأ كتاب الله تعالى على حدة، وأخـرج المصحف الذى كتـبه على عليه الســلام إلى الناس حين فرغ منه وكتـبه فقـال لهم: هذا كتاب الله كـما أنزله الله على مـحمد (، وقـد جمعـته بين اللوحين.

فقالوا: هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القـرآن لا حاجة لنا فيه، فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا، إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لقراءته.

ومن ذلك ما روى عن أبى ذر الـغفارى رضى الله عنه: أنه لما تـوفى رسول الله جمع على عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم، لما قد أوصاه بذلك رسول الله . فلمـا فتحه أبو بكر خرج فى أول صـفحة فتحهـا فضائح القوم، فـوثب عمر وقال: يـا على. . . اردده فلا حاجة لنا فـيه، فأخـذه على عليه السلام وانصــرف، ثم حضر زيد بن ثابت - وكان قـارئا للقرآن - فقال لـه عمر: إن عليا جاءنـا بالقرآن وفيه فضـائح المهاجرين والأنصار، وقـد أردنا أن تؤلف لنا القرآن وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم

---

(١) الجزء الأول ص ٦-٧ .

قال: فإن أفرغت من القرآن على ما سألتهم وأظهر على القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كل ما عملتم ؟. ثم قال عمر: فما الحيلة ؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة، فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه، فدبر قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك. . فلما استخلف عمر سأل عليا عليه السلام أن يدفع إلى القرآن فيحرقوه فيما بينهم فقال: يا أبا الحسن؛ إن كنت جئت به إلى أبى بكر فأت به إلينا حتى نجمع عليه، فقال على عليه السلام: هيهات، ليس إلى ذلك سبيل، إنما جئت به لأبى بكر لتقوم به الحجة عليكم ولا تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا: ما جئتنا به. إن القرآن الذى عندى لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدى، فقال: عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم ؟ قال على عليه السلام: نعم، إذا قام القائم من ولدى فيظهره ويحمل الناس عليه فتجرى السنة به"(١).

ولكنا نجد صاحبنا بعد ما ساق هذه الروايات وكثيرا غيرها يقف منها موقف المستشكل فيقول: "ويرد على هذا كله إشكال. . وهو أنه على هذا التقدير لم يبق لنا اعتماد على شئ من القرآن، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفا ومغيرا، أو يكون على خلاف ما أنزل الله، فلم يبق لنا فى القرآن حجة أصلا، فتنتفى فائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك، وأيضا قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ، وقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ فكيف يتطرق إليه التحريف والتغيير؟ وأيضا قد استفاض عن النبى والأئمة صلوات الله عليهم حديث عرض الخبر المروى على كتاب الله ليعلم صحته بموافقته له، وفساده بمخالفته(٢)، فإذا كان القرآن الذى بأيدينا محرفا فما فائدة العرض ؟ مع أن خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذب له، فيجب رده والحكم بفساده أو تأويله" . وهنا يجيب ملا محسن على إشكاله هذا بجوابين:

أولهما: أن هذه الأخبار إن صحت فلعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود كثير إخلال، كحذف اسم على وآل محمد، وحذف أسماء المنافقين، فإن انتفاء التعبير باق لعموم اللفظ.

---

(١) هذا الحديث المشار إليه موضوع بإجماع أهل العلم.
(٢) الجزء الأول ص ١٠-١١ .

وثانيهما: أن بعض المحذوفات كان من قبيل التفسير والبيان ولم يكن من أجزاء القرآن، فيكون التبديل من حيث المعنى، أى حرفوه وغيروه فى تفسيره وتأويله، بأن حملوه على خلاف ما يراد منه"(١).

ثم ذكر بعد هذا أقوال من تقدمه من شيوخه وعلماء مذهبه وهم ما بين مجيز للتحريف والنقصان ومانع لذلك، ولكل أدلته وحجته، ولا نطيل بذكرها ومن أرادها فليرجع إليها فى المقدمة السادسة (ص ١٤، ١٥).

طريقة المؤلف فى تفسيره:

بين المؤلف فى المقدمة الثانية عشرة من مقدمات تفسيره طريقته واصطلاحاته التى جرى عليها فى كتابه فقال: "كل ما يحتاج من الآيات إلى بيان وتفسير لفهم المقصود من معانيه. أو إلى تأويل لمكان تشابه فيه، أو إلى معرفة سبب نزوله المتوقف عليه وتعاطيه، أو إلى تعرف نسخ أو تخصيص أو صفة أخرى فيه، وبالجملة ما يزيد على شرح اللفظ والمفهوم مما يفتقر إلى السماع عن المعصوم، فإن وجدنا شاهدا من محكمات القرآن يدل عليه آتينا به، فإن القرآن إلى محكماته، وإلا فإن ظفرنا فيه بحديث معتبر عن أهل البيت عليهم السلام فى الكتب المعتبرة من طرق أصحابنا رضوان الله عليهم وأوردناه، وإلا أوردنا ما روينا عنهم عليهم السلام من طرق العامة.. نظائره فى الأحكام ما روى عن الصادق: إذا نزلت بكم حادثة لا تجدون حكمها فيما يروى عنا، فانظروا إلى ما رووه عن على عليه السلام فاعملوا به (رواه الشيخ الطوسى فى العدة).

وما لم نظفر فيه بحديث عنهم عليهم السلام ما أوردناه ما وصل إلينا عن غيرهم من علماء التفسير إذا وافق القرآن وفحواه، وأشبه حديثهم فى معناه... فإن لم نعتمد عليه من جهة الاستناد، اعتمدنا عليه من جهة الموافقة والشبه والسداد، قال رسول الله : "إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نورا، فما وافق كتب الله فخذوه، وقال الصادق: " ما جاءك فى رواية من راو فاجر يوافق القرآن فخذ به، وما جاءك فى رواية من راو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به"، وقال الكاظم: "إذا جاءك الحديثان المختلفان فقسهما على كتاب الله وعلى أحاديثنا، فإن أشبههما فهو حق، وإن

(١) الجزء الأول ص ١٠ ١٤ .

لم يشبههما فهو باطل"، وما ورد فيه أخبار كثيرة فإن لم يكن فيها كثير اختلاف اقتصرنا منها على ما اشتمل على مجامعها، وتركنا سايرها مما في معناه روما للاختصار، وصونا عن الإكثار، وربما أشرنا إلى تعددها وتكثرها إذا أهمنا الاعتماد.

وإن كانت مختلفات نقلنا أصحها وأحسنها وأعمها فائدة، ثم أشرنا إلى موضع الاختلاف ما استطعنا. وما لا يحتاج إلى شرح اللفظ والمفهوم، والنكات المتعلقة لعلوم الرسول، مما لا يفتقر إلى السماع من المعصوم، أوردنا فيه ما ذكر المفسرون الظاهريون من كان تفسيره أحسن وبيانه أوجز وأتقن، كائنا من كان". ثم ذكر أنه اقتبس من تفسير الحسن العسكرى وغيره، وذكر اصطلاحاته فى العزو إلى الكتب التى استقى منها، وفى نسبة الأقوال إلى قائليها ولا نطيل بذكرها (١).

هذه هى أهم الآراء التى يقول بها ملا محسن، والتى استخلصناها من مقدماته التى قدم بها تفسيره. وهذه هى طريقته التى سار عليها فى كتابه الذى نحن بصدده. والكتاب - كما أشرنا آنفا مذهبى إلى حد التطرف والغلو، فهو لا يكاد يمر بآية من القول إلا ويحاول صاحبه أن يأخذ منها شاهدا لمذهبه أو دفعا لمذهب مخالفيه !..

القرآن وأهل البيت:

فمثلا، نجد كثيرا من آيات القرآن لها معان خاصة، ولا صلة لها بأهل البيت، ولا بما لهم من مناقب وشمائل، ولكننا نجد صاحبنا يتأثر بمذهبه الشيعى، فيحاول أن يلوى هذه الآيات إلى معان لا صلة لها باللفظ.. معان تحمل فى طياتها طابع التعصب المذهبى بصورة مكشوفة مفضوحة.

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٣٤) من سورة البقرة.. ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾، يقول ما نصه: "وذلك لما كان فى صلبه من أنوار نبينا وأهل بيته المعصومين، وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى فى جنب الله، فكان السجود لهم تعظيما وإكراما، ولله سبحانه عبودية، ولآدم طاعة، قال على بن الحسين: حدثنى أبى، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ قال: يا عباد الله؛ آدم لما رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور ولم يتبين الأشباح، فقال: يا رب؛ ما هذه الأنوار؟ قال الله عز وجل: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشى

(١) الجزء الأول ص ١٩-٣٠ .

إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح، فقال آدم: يا رب؛ لو بينتها لى؟ فقال الله عز وجل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم عليه السلام ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم إلى ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التى فى ظهره، كما ينطبع وجه الإنسان فى المرآة الصافية، فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا رب؟ قال الله: يا آدم؛ هذه أشباح أفضل خلائقى وبرياتى، هذا محمد، وأنا الحميد المحمود فى فعالى، شققت له اسما من اسمى. وهذا على، وأنا العالى، شققت له اسما من اسمى. وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض، فاطم أعدائى من رحمتى يوم فصل قضائى، وفاطمى أوليائى عما يعيرهم ويشينهم، فشققت لها اسما من اسمى، وهذا الحسن، وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل، شققت اسما من اسمى، وهذا الحسن، وهذا الحسين، وأنا المحسن المجمل، شققت اسميهما من اسمى. هؤلاء خيار خليقتى، وكرام بريتى، بهم آخذ، وبهم أعطى، وبهم أعاقب، وبهم أثيب، فتوسل بهم إلى يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم إلى شفعاءك، فإنى آليت على نفسى قسما حقا لا أخيب بهم أملا، ولا أرد بهم سائلا، فلذلك حين زلت به الخطيئة دعا الله عز وجل بهم، فتاب عليه وغفر له"(١).

وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآيات (١-٣) من سورة البلد ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ يقول ما نصه: "فى المجمع عن الصادق: يعنى آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء وأتباعهم.."(٢).

فأنت ترى من كل هذا أن المؤلف يجد فى إخضاع آيات القرآن لمذهبه، وتنزيلها على وفق هواه وعقيدته، وهذا خروج بكتاب الله عن معانيه الظاهرة المرادة منه!!

طعن المؤلف على الصحابة:

كذلك نجد ملا محسن فى تفسيره هذا، يطعن على أبى بكر، وعمر، وعثمان، وغيرهم من صحابة رسول الله، ويرميهم بما لا يليق بمؤمن فضلا عن صحابى جاهد مع رسول الله وبذل فى سبيل نصرته دمه وماله، كما يطعن فى بنى أمية ويرميهم بكل نقيصة، وهو فى حملته هذه مدفوع بدافع الخصومة المذهبية والنزعة الشيعية.

طعنه على عثمان رضي الله عنه :

(١) الجزء الأول صفحة ٢٩ .

(٢) الجزء الأول صفحة ٣٥٩ .

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآيتين (٨٤، ٨٥) من سورة البقرة . . نجده يفسر الآية تفسيرا مختصرا مقبولا ، ثم يروى عن القمى أنها نزلت فى أبى ذر رحمه الله عليه وفيما فعل به عثمان بن عفان، وكان سبب ذلك: أنه لما أمر عثمان بنفى أبى ذر رحمه الله إلى الربذة، دخل عليه أبو ذر وكان عليلا ومتكئ على عصاه، وبين يدى عثمان مائة ألف درهم أتته من بعض النواحى، وأصحابه حوله ينظرون الآية ويطمعون أن يقسمها فيهم، فقال أبو ذر لعثمان: ما هذا المال؟ فقال: حمل إلينا من بع الأعمال مائة ألف درهم أريد أن أضم إليها مثلها ثم أرى فيها رأيى. . قال أبو ذر: يا عثمان؛ أيهما أكثر؟ مائة ألف درهم أم أربعة دنانير؟ قال عثمان: بل مائة ألف درهم، فقال: أما تذكر إذ أنا وأنت دخلنا على رسول الله عشاء فوجدناه كئيبا حزينا، فسلمنا عليه فلم يرد علينا السلام، فلما أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكا مستبشرا، فقلت له: بأبى أنت وأمى، دخلنا عليك البارحة فرأيناك كئيبا حزينا، وعدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكا مستبشرا، فقال: "نعم. . . قد بقى عندى من فئ المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسمتها، وخفت أن يدركنى الموت وهى عندى، وقد قسمتها اليوم فاسترحت" . فنظر عثمان إلى كعب الأحبار فقال له: يا أبا اسحاق؛ ما تقول فى رجل أدى زكاة ماله المفروضة، هل يجب عليه فيها بعد ذلك شئ؟ فقال: لا، ولو اتخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضة ما وجب عليه شئ، فرفع أبو ذر عصاه فضرب بها رأس كعب، فقال: يا بن اليهودية المشركة، ما أنت والنظر فى أحكام المسلمين؟ قول الله عز وجل أصدق من قولك حيث قال: . . . إلى قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ (التوبة: ٣٤ ، ٣٥) قال عثمان: يا أبا ذر؛ إنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك، ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك، فقال: كذبت يا عثمان؛ ويلك، أخبرنى حبيبى رسول الله ﷺ فقال: "لا يفتنونك يا أبا ذر ولا يقتلونك" ، أما عقلى فقد بقى منه ما أذكرنى حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قاله فيك وفى قومك، قال: وما سمعت من رسول الله فى وفى قومى؟ قال: سمعته يقول: وهو قوله ﷺ : "إذا بلغ آل أبى العاص ثلاثون رجلا صيروا مال الله دولا، وكتاب الله دغلا، وعباد الله خولا، والصالحين حربا،

والفاسقين حزبا: . قال عثمان: يا معشر أصحاب محمد؛ هل سمع أحد منكم هذا الحديث من رسول الله؟ قالوا: لا ما سمعنا هذا من رسول الله ﷺ، قال عثمان: ادعوا عليا. . فجاء أمير المؤمنين فقال له عثمان: يا أبا الحسن؛ اسمع ما يقول هذا الشيخ الكذاب، فقال أمير المؤمنين: يا عثمان ؛ لا تقل كذابا، فأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر " . قال أصحاب رسول الله: صدق على، سمعنا هذا من رسول الله، فعند ذلك بكى أبو ذر وقال: ويلكم، كلكم قد مد عنقه إلى هذا المال، ظننتم أنى أكذب على رسول الله ﷺ، ثم نظر إليهم فقال: من خيركم؟ فقالوا: أنت تقول إنك خيرنا، قال: نعم. . خلفت حبيبى رسول اله ﷺ وهو على بعيره، وأنت قد أحدثتم أحداثا كثيرة، والله سائلكم عن ذلك ولا يسألنى، فقال عثمان، يا أبا ذر؛ أسألك بحق رسول الله إلا ما أخبرتنى عما أنا سائلك عنه؟ فقال

أبو ذر: والله لو لم تسألنى بحق رسول الله ﷺ لأخبرتك، فقال: أى البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فقال: مكة حرم الله وحرم رسوله، أعبد الله فيها حتى يأتينى الموت، فقال: لا، ولا كرامة لك. قال: المدينة حرم رسول الله، فقال: لا، ولا كرامة لك، قال: فسكت أبو ذر. فقال: وأى البلاد أبغض إليك أن تكون بها ؟ قال: الربذة التى كنت بها على غير دين الإسلام، فقال عثمان: سر إليها، فقال أبو ذر: قد سألتنى فصدقتك، وأنا أسألك دين الإسلام، فقال: عثمان: فأصدقنى، قال: نعم، قال أخبرنى، لو أنك بعثتنى فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسرونى وقالوا لا نفديه إلا بثلث ما تملك؟ . . قال: كنت أفديك، قال: فإن قالوا: لا نفديه إلا بكل ما تملك، قال: كنت أفديك، فقال أبو ذر: الله أكبر. . قال لى حبيبى رسول الله ﷺ يوما: "يا أبا ذر ؛ كيف أنت إذا قيل لك أى البلاد أحب إليك أن تكون فيها؟ فتقول: مكة حرم الله وحرم رسوله، أعبد الله فيها حتى يأتينى الموت، فيقال: لا، ولا كرامة لك، فتقول: المدينة حرم رسول الله، فيقال: لا ولا كرامة لك، ثم يقال لك: فأى البلاد أبغض إليك أن تكون فيها؟ فتقول: الربذة التى كنت بها على غير دين الإسلام، فيقال لك: سر إليها" ، فقلت: وإن هذا لكائن يا رسول الله ؟ فقال: "والذى نفسى بيده إنه لكائن" ، فقلت: يا رسول الله أفلا أضع سيفى على عاتقى فأضرب به قدما ؟ قال: "لا . . . أسمع واسكت ولو لعبد حبشى، وقد أنزل الله فيك وفى عثمان خصمك - آية، فقلت: وماهى يا رسول الله ؟ فقال: قول

الله. . . وتلا الآية"(١) .

طعنه على أبو بكر:

ومثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٤٠) من سورة التوبة: ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾، نجده لا يعترف بهـذه المنقبة لأبى بكر، رضى الله عنه، بل ويحاول بكل جهوده أن يأخذ منها مغـمزا على أبى بكر، وذلك حيث يقول ما نصه: وهون أبو بكر، لا تخف، بالعمـة والمعونة. . . فى الكافى عن الباقـر أن رسول الله ﷺ أقبل يقول لأبى بكر فى الغار: اسكن فـإن الله معنا، وقد أخذته الرعدة وهو لا يسكن، فلما رأى رسـول الله حاله قال له: تريد أن أريك أصحـابى من الأنصار فى مجالسهم يتحـدثون؟ وأريك جعفر وأصحابه فى البحر يغـوصون؟ قال: نعم، فمسح رسول الله ﷺ بيده على وجـهه فنظر إلى الأنصار يتحدثون، وإلى جعـفر وأصحابه فى البـحر يغـوصون، فـأضمـر تلك الساعـة أنه سـاحر / آمنتـه التى تسكن إليهـا القلوب. . فى الكافى عن الرضـا: أنه قرأها: "على رسوله" قـيل له: هكذا؟ قال: هكذا نقرؤها، وهـكذا تنزيلها. والعيـاشى عنه: إنهم يحتـجون علينا بقـوله تعالى: (ثانى اثنين إذ همـا فى الغار) ومـا لهم فى ذلك من حجـة، فوالله لقـد قال الله: " فأنزل الله سكينتـه على رسوله" وما ذكـره فيها بخـبر، قيل: هكذا تقرأونهـا؟ قال: هكذا قرءتها"(٢).

طعنه على أبى بكر وعمر وعائشة وحفصة:

ومثلا عند تفسيره لقوله تـعالى فى أول سورة التحريم: . . . (التحريم: ١-٣). . نراه ينقل عن القـمى فى سبـب نزول هذه الآية: "أن رسول الله ﷺ كـان فى بعض بيوت نسـائه، وكانت مـاريه القبطيـة تكون معـه تخدمه، وكـانت ذات يوم فى بيت حفصـة، فذهبت حفصـة فى حاجه لها، فـتناول رسول الله ماريه، فعلمت حـفصة بذلك فغضبت، وأقبلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، فى يومى؟ وفى دارى؟ وعلى فراشى؟ فاستحى رسول الله منها فـقال: كفى، فقد حرمت ماريه على

---

(١) الجزء الأول ص ٤٢، ٤٣ .
(٢) الجزء الأول ص ٢٥٧ .

نفسى، ولا أطؤها بعد هذا أبدا، وأنا أفضى إليك سرا إن أخبرت به فعليك لعنة الملائكة والناس أجمعين، فقالت: نعم، ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلى الخلافة بعدى، ثم بعده أبوك، فقالت: من أنبأك هذا؟ فقال: نبأنى العليم الخبير، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك، وأخبرت عائشة أبا بكر فجاء أبا بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتنى عن حفصة بشئ ولا أثق بقولها فاسأل أنت حفصة، فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذى أخبرت عنك عائشة، فأنكرت ذلك وقالت: ما قلت لها من ذلك شيئا، فقال لها عمر: إن هذا حق فأخبرينا حتى نتقدم فيه، فقالت: نعم.. قد قال رسول الله ﷺ، فاجتمعوا أربعة على أن يسموا رسول الله، فنزل جبريل على رسول الله بهذه السورة قال: وأظهره الله عليه) يعنى أخبرت بما أخبرتك؟ (وأعرض عن بعض).. قال لم يخبرهم بما يعلم مما هموا به من قتله"(١)

صرفه الآيات العتاب عن ظاهرها:

ومثلا عند تفسيره تعالى فى أول سورة عبس: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾... لآيات إلى آخر القصة، نجده يصرف الآيات عن ظاهرها المتعارف بين المفسرين جميعا، ويجعل العتاب موجها إلى عثمان رضي الله عنه، أو إلى رجل آخر من بنى أمية، والذى حمله على ذلك هو ما يراه من أن مثل هذا العتاب لا يليق أن يكون موجها إلى النبى ﷺ أو إلى أحد من الأئمة المعصومين، كما أن سبب العتاب لا يليق أن يصدر منهم، أما توجه العتاب إلى عثمان وصدور سببه منه فهذا أمر جائز وواقع فى نظره، لأن عثمان ليس له من العصمة ما للأئمة، فلهذا تراه يروى عن القمى: "أنها نزلت فى عثمان وبن أم مكتوم"، وكان بن أم مكتوم مؤذنا لرسول الله ﷺ، وكان أعمى، وجاء إلى رسول ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدمه رسول الله ﷺ على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولى عنه، فأنزل الله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾.. ونقل عن مجمع البيان أنها نزلت فى رجل من بنى أمية كان عند النبى فجاء بن أم مكتوم، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله ذلك وأنكره عليه.. ثم قال: أقول: "وأما ما اشتهر من تنزيل هذه الآيات فى النبى ﷺ دون عثمان فيأباه سياق مثل هذه المعاتبات الغير اللائقة بمنصبه، وكذا ما ذكره بعدها إلى آخر السورة كما لا يخفى على العارف بأساليب الكلام،

---

(١) الجزء الثانى صفحة ٣٢٠ .

ويمكن أن يكون من مختلقات أهل النفاق خذلهم الله"(١)

دفاع المؤلف عن أصول مذهبه:

كذلك نجد المؤلف ينظر إلى القرآن من خلال عقيدته، ونراه ينتصر لمذهبه ويتعصب له ويؤيد أصوله بكل ما يستطيع من الأدلة، ويدفع الشبه عنها، ويرد على الخصوم بما يستطيع من أوجه الرد، فلهذا نجده إذا مر بآية من آيات القرآن التى يستطيع أن يستند إليها ويعتمد عليها فى نظره، أخذ فى تأويلها على وفق مذهبه وهواه، وإن كان فى ذلك خروج عن ظاهر النظم القرآنى.

ولاية على:

فمثلا عند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٥٥) من سورة المائدة: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . . نراه يستند إلى هذه الآية استنادا قويا فى أن عليا رضي الله عنه هو وصى النبى ﷺ وخليفته من بعده، فيقول ما نصه: "فى الكافى عن الصادق فى تفسير هذه الآية "أولى بكم" : أى أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا ـ يعنى عليا وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة - ثم وصفهم الله فقال ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ وكان أمير المؤمنين فى صلاة الظهر - وقد صلى ركعتين - وهو راكع، عليه حلة قيمتها ألف دينار، وكان النبى أعطاه إياها، وكان النجاشى أهداها له، فجاء سائل فقال: السلام عليكم يا ولى الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم. . تصدق على مسكين، فطرح الحلة إليه، وأومأ بيده إليه أن احملها، فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية، وصير نعمة أولاده بنعمته، فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله، فيتصدقون وهم راكعون. والسائل الذى سأل أمير المؤمنين من الملائكة، والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة. وعنه عن أبيه عن جده فى قوله عز وجل: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال: لما نزلت: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ . . . لآية، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى مسجد المدينة فقال بعضهم: إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرها، وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسلط علينا على بن أبى طالب، فقالوا: قد علمنا أن محمد صادق فيما يقول، ولكنا نتولاه ولا

(١) الجزء الثانى ص ٣٤٨، ٣٤٩ .

نطيع عليا فيما أمرنا، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ يعنى ولاية على، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ بالولاية.

وعنه أنه سئل: الأوصياء طاعتهم مفروضة؟ قال: نعم، هم الذين قال الله: (النساء: ٥٩).. وهم الذين قال الله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾.. الآية.. وروى المؤلف غير ذلك من الروايات، وكلها يدور حول هذا الشأن، ثم ادعى إجماع الأمة على أنه لم يوت الزكاة يومئذ أحد منهم وهو راكع غير رجل واحد هو على.. ثم علل عدم ذكره باسمه فى الكتاب بأنه لو ذكر باسمه فى الكتاب لأسقط مع ما أسقط.. ثم وفق بين الروايات القائلة بأنه تصدق بحلته، وبين الروايات القائلة بأنه تصدق بخاتمه فقال: "لعله تصدق مرة فى ركوع بالحلة، ومرة بالخاتم.. والآية نزلت بعد الثانية، وقوله تعالى: (ويؤتون) إشعار بذلك، لتضمنه التكرار والتجدد، كما أن فيه إشعارا بفعل أولاده أيضا"(١) وعند تفسيره لقوله تعالى فى الآية (٦٧) من سورة المائدة.

تراجم بعض علماء الشيعة:

تفسير القمى: منزلة الكتاب وصاحبه عند الشيعة

تفسير القمى: لأبى الحسن على بن إبراهيم بن هاشم القمى، وهو يشمل القرآن الكريم كله. وصاحب الكتاب كان فى عصر الإمام العسكرى، وعاش إلى سنة ٣٠٧، وهو ثقة عند الشيعة، يعتبر من أجل الرواة عندهم، وقد أكثر من النقل عنه تلميذه محمد بن يعقوب الكلينى فى كتابه الكافى، الكتاب الأول فى الحديث عند الجعفرية الاثنى عشرية. وقال آقابزرك الطهرانى - صاحب الذريعة - عن الكتاب بأنه أثر نفيس وسفر خالد مأثور عن الإمامين أبى جعفر الباقر وأبى عبد الله الصادق.

تفسير الحسن العسكرى: قصة إملاء الكتاب

التفسير المنسوب للإمام الحسن العسكرى يرويه أبو يعقوب يوسف ابن محمد بن زياد، أبو الحسن على بن محمد بن سيار، ويقولان: إن الإمام أملى عليهما هذا التفسير، ويذكران قصة لهذا الإملاء. وهو تفسير لم يكمل، وإنما يتناول الفاتحة وسورة البقرة إلى قبيل ختامها بأربع آيات.

غلو وضلال:

وهو كتاب يبين عقيدة الإمامية، وما يتصل بها عند غلاة الجعفرية، ويخضع

---

(١) الجزء الأول صفحة ١٦٤ .

الآيات الكريمة لهذه العقيدة الفاسدة، ذكرا ما يأباه ديننا الحنيف، وكل عقل سليم لم يمرضه الهوى والضلال. والكتاب مملوء بالافتراء على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ وعلى أهل البيت الأطهار.

تفسير العياشي:

الذي قال فيه شيخهم المعاصر - محمد حسين الطبطبائي: "أحسن كتاب ألف قديماً في بابه، وأوثق ما ورثناه من قدماء مشايخنا من كتب التفسير بالمأثور، فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف عام إلى يومنا هذا من غير أن يذكر بقدح، أو يغمض فيه بطرف" (الطبطائي/ مقدمة حل الكتاب ومؤلفة: صاج). والعياشي هو محمد بن مسعود أبو النضر، عاش في أواخر القرن الثالث، وهو عندهم جليل القدر، واسع الأخبار، بصير بالروايات (الطوسي/ الفهرست: ص ١٦٣ -١٦٥؟).

تفسير فرات بن إبراهيم:

بن فرات الكوفي، من شيوخهم في القرن الثالث وأوائل القرن الرابع (أغا بزرك الطهراني/ نوابع الرواة: ص ٢١٦). وقد وثقه شيخهم المجلسي فقال: "أخبار تفسير فرات موافقة لما وصل إلينا من الأحاديث المعتبرة" (بحار الأنوار: ١/ ٣٧، وانظر في بيان أنه من مصادرهم المعتبرة عند القدامى والمعاصرين: مقدمة تفسير فرات، لمحمد علي الأوردبادي).

الأحاديث: الكليني:

وفي أوائل الرابع الهجري جدد التأليف الكليني (المتوفى سنة ٣٢٨ أو٣٢٩هـ - في كتابه "الكافي" ثم تعاقب التأليف عندهم بعد ذلك. أول هذه المصادر وأصحها عندهم الكافي (انظر في التعريف بالكافي: الذريعة: ١٧/ ٢٤٥، النوري/ مستدرك الوسائل: ٣/ ٤٣٢، مقدمة الكافي، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ٢٠/ ٧١، وقد أشارت هذه المصادر إلى أن هذا الكتاب أصح الكتب الأربعة المعتمدة عندهم، وأنه كتبه في فترة الغيبة الصغرى التي بواسطتها يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته..، مع أنه الكتاب الوحيد من بين الكتب الأربعة الذي ورد فيه أساطير الطعن في كتاب الله، وبلغت أحاديث الكافي كما يقول العاملي: ١٦٠٩٩ حديثاً (أعيان الشيعة: ١/ ٢٨٠) وقد طبع عدة طبعات، وشرحه عدد من شيوخهم، وقد رأيت من شروحه: مرآة العقول للمجلسي، وقد اعتنى بالحكم على أحاديث الكافي من ناحية الصحة والضعف.. وقد صحح روايات هي كفر بإجماع المسلمين كروايات تحريف القرآن.

الباب الأول
منهجه في كتاب الله

وفيه ثلاثة فصول:

- الفصل الأول: قوله في حجية القرآن.
- الفصل الثاني: قوله في تأويل القرآن.
- الفصل الثالث: قوله في نص القرآن.

في هذا الباب نتناول - بمشيئة الله - أقوال المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من علماء الشيعة التي تبين اعتقادهم في كتاب الله سبحانه، فنعرض- أولاً- لمذهبه في حجية القرآن وخروجه في هذا الأمر عما أجمع عليه المسلمون، وذلك بقولهم: إن القرآن ليس بحجة إلا بقيم (هو أحد الاثني عشر) وكذا قوله: إن علم القرآن عند الأئمة، وقد اختصوا بمعرفته لا يشركهم فيه أحد، وكذا زعمهم بأن قول الإمام يخصص عام القرآن، ويقيد مطلقه.. إلخ.

ثم نعرض - ثانياً - قوله في تأويل القرآن، ونتناول فيه قوله: بأن للقرآن معاني باطنة لا يعرفها إلا الأئمة، وقوله الآخر : بأن جل القرآن نزل فيهم وفي أعدائهم.

ثم نتناول - ثالثاً - قوله في نص القرآن وندرس هل الشيعة تقول بنقص القرآن وتغييره؟

هذا والشيعة تقول بأن القرآن مخلوق، حيث اقتفت أثر المعتزلة في ذلك، وسنتناول هذه المسألة في فصل قوله في الأسماء والصفات - إن شاء الله -.

كما أن للشيعة دعوى شائعة في كتبها، وهي دعواهم تنزّل كتب إلهية على الأئمة.

وكذلك يدعي المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة بأن عند

أئمتها جميع الكتب التي نزلت على الأنبياء.

وسأعـرض لهذه المسألة والتي قـبلها في مبـحث ((الإيمان بالكتب)) والذي هو أحد أركان الإيمان.

وإنما أشرت إليـها هنا حتى يتسنى تصـور عقائدهم المتعلقـة بكتاب الله في مكان واحد، وقد أرجأت الحـديث على المسألتين الأخيرتين للموضعـين المذكورين، لأنهما بهما أولى - فيما يظهر لي.

الفصل الأول
قوله في حجية القرآن

سأقسم هذا الفصل إلى مسائل ثلاث:

- الأولى: قوله : إن القرآن ليس بحجة إلا بقيم.
- الثانية: حصر علم القرآن ومعرفته بالأئمة.
- الثالثة: زعمه بأن قول الإمام يخصص عام القرآن، ويقيد مطلقه.. إلخ.

المسألة الأولى :قوله أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

يزعم المصنف الكاشانى أن القرآن الكريم ليس حجة إلا بقيم معنى هذا أن القيم هو الحجة وهو الحاكم عليه، والهدف واضح بيّن لا يخفى على أى عاقل سوىّ، ألا وهو صرف الناس عن القرآن ، وهو مخطط خبيث مفضوح من كل عدو حاقد على الإسلام وأهله، والمصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة من جملة الأعداء الخبثاء الذين يريدون هدم ونسف الإسلام من جذوره وقواعده بهذه الأقوال الخبيثة الماكرة، وما هذه الأقوال إلا لغو ولغط حول هذا الكتاب العظيم، وقدوتهم فى هذا أبوجهل وأبو لهب حين قالوا كما جاء فى سورة فصلت ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ فالهدف واحد وان اختلفت الوسيلة والطريقة والأسلوب، ألا وهو صرف الناس عن القرآن بل والتشكيك فيه والتقليل من قدره والاستهانة به وعدم الاعتماد عليه ولا الرجوع إليه ولا التحاكم إليه ولا تعلمه ولا تدبره ولا العمل به ولا الدعوة إليه ولا حفظه، وبالجملة نسيانه وإهماله، وصرف كل ذلك إلا الإمام فى كل زمان، فهو مرجعهم وعالمهم وعظيمهم الذى لا يرد قوله لأنه يتحاكم إليه وحده وأى حكم غير حكمه فهو تحاكم إلى طاغوت، وبالجملة فهو الحجة على كل أحد ولا حجة غيره لأنه كما سيأتى بعد، أنه يعلم الغيب وأن معه ملك أعظم من جبريل يسدده ويعلمه أمر الحلال والحرام كل عام فى ليلة القدر وأن الملائكة يدفعون إليه كل عام ما كتبوه على العباد وبالجملة أنهم أعنى علماء الشيعة صرفوا كل صفات الله عن

الله سبحـانه وتعالى ووصفوا بها إمـام كل زمان الذى لا تخلو الأرض من إمام يكون حجة لهم، كما يزعمون (تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا).

ولا يخفى على أى مسـلم عاقل أن القرآن هو حجة الله على خـلقه وبه أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحكم بين النـاس كما فى سورة النساء ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَـا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ بل أمرنا عز وجل عند التنازع والاختـلاف أن نتحاكم إلى الكـتاب والسنة لا إلى غيـرهم لأننا لا نخرج عن الدليل ولا نقدم عليه قول ولا رأى ويكفى ما قـاله حبر هذه الأمة ابن عم رسول الله الذى استـجاب الله دعوة نبـيه له اللهم فقهـه فى الدين وعلمه التأويل، مـا قال للناس يوماً أنا صـاحب هذه الفضيلة خصنى بهـا رسول الله أنا حجة عليـكم ما قال ذلك وحاشاه أن يقـول هذا، لكنه كان داعياً إلى تعظيم كتـاب الله وان كتاب الله هو الحجة والذى يجب الرجوع إليـه فى كل كبيرة وصغيرة، حين سأله سـائل فأجابه فرد السائل عليه محتجاً بقول أحد الصحابة الكرام فقال معلماً الأمة كلها، أخشى أن تنزل عليكم حجارة من السمـاء أقول لكم قال الله فى كتابه وقال رسـوله تقولون قال فلان كدا، كل هذا تعلمه من كتاب ربه ومن سنة رسوله كمـا جاء فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِن تَنَازَعْـتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّـهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾.

ومن السنة قوله صلى الله عليـه وسلم (كل أمر ليس عليه أمرنا فـهو رد) وقوله صلى الله عليه وسلم (تركتكم على المحجـة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك) وعلى هذا تربى السلف الصـالح رضوان الله علـيهم وتركـوا لنا علماً وتراثاً وأقـوالاً تكتب بأحرف من نور كلهم يعظـم الدليل والرجوع إلى الوحيين الكتـاب والسنة حتى تناقل هذا العلم ، خير خلف عن خـير سلف فمثلاً من أقوال أئمة أهـل العلم أمثال الإمام مالك وأبوحنيـفة والشافـعى وابن حنبل رضى الله عنهم أجمعين (إذا وجـدتم أقوالنا تخالف ما جاء فى كتاب ربنا وفى سنة نبينا فاضربوا بها عرض الحائط)، وقالوا (حرام على من يقول بقولنا ولم يعـرف من أين دليلنا) (أى دليلهم من القرآن والسنة) وقال أحدهم ليؤكد على هذه الحقيقة وهذه الأصول وهذه التربية الصحيحة التى يربى عليها

أهل الحق المتبعين لـهذا الدين البعيدين عن الهـوى والتعصب الأعمى، اقـرأ ماذا قال (إذا صح الحديث فـهو مذهبى)، فـهو بهذا يقـضى على التعصب الأعـمى وتقديس أقوال الرجال بغير دليل وقالوا أيضـاً (كل يؤخذ منه ويرد عليه إلا النبى محمد صلى الله عليه وسلم) والـيك أيها القارئ هذا المبـحث الهام من صحـيح الإمام مـسلم فى مقدمته:

(١) باب وجوب الرواية عن الثـقات وترك الكذابين، والتـحذير من الكذب على رسول الله ﷺ.

واعلم، وفقك الله تعالى، أن الواجـب على كل أحد عرف التمييـز بين صحيح الروايات وسقيمها. و ثقات الناقلين لـها، من المتهمين. أن لا يروي منها إلا ما عرف صحة مـخارجه. والستارة (والستـارة) ما يستتر به، وكذلك الستـرة. وهي هنا إشارة إلى الصيانة) في ناقليه. وأن يتقي منها (وأن يتقي منها) ضبطناه بالتاء المثناة فوق، بعد المثناة تحت، وبالقـاف. من الاتقـاء وهو الاجـتناب. وفي بعض الأصـول وأن ينفى بالنون والفـاء، وهو صحـيح أيضا. وهو بمـعنى الأول) ما كـان منها من أهل التـهم والمعاندين. من أهل البدع.

والدليل على أن الذي قلـنا من هذا هو اللازم دون مـا خالفـه - قـول الله جل ذكره: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾. وقـال جل ثناؤه: ﴿ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ ﴾ وقال عـز وجل: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾.

فدل بما ذكرنا من هذه الآي - أن خبر الفاسق ساقط غير مقبول، وأن شهادة غير العـدل مردودة. والخبر، وإن فـارق معناه مـعنى الشـهادة في بعض الوجـوه، فقـد يجتمعان في أعظم معانيهما. إذ كان خبر الفاسق غير مقبول عند أهل العلم. كما أن شهادته مردودة عند جميعهم. ودلت السنة على نفي رواية المنكر من الأخبار.

كنحو دلالة القـرآن على نفي خبر الـفاسق. وهو الأثر المشهـور) هذا جار على المذهب المختار الذي قاله المحدثون وغيرهم، واصطلح عليه السلف وجماهير الخلف. وهو أن الأثر يطـلق على المروي مطلقـا. سـواء كـان عن رســول الله ﷺ أو عن

صحابي) عن رسول الله ﷺ "من حدث عني بحديث يري أنه كذب فهو أحد الكاذبين". ((يري ضبطناه يري بضم الياء. وذكر بعض الأئمة جواز فتح الياء من يرى وهو ظاهر حسن. فأما من ضم الياء فمعناه يظن. وأما من فتحها فظاهر، ومعناه وهو يعلم). (فهو أحد الكاذبين) قال القاضي عياض: الرواية فيه عندنا الكاذبين على الجمع. ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه المستخرج على صحيح مسلم، في حديث سمرة، الكاذبين، بفتح الباء وكسر النون على التثنية.

حدثنا بكر بن أبي شيبة. حدثنا وكيع، عن شعبة، عن الحكم، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن سمرة بن جندب. وحدثنا بكر بن أبي شيبة أيضا. حدثنا وكيع، عن شعبة وسفيان، عن حبيب عن ميمون بن أبي شبيب، عن المغيرة بن شعبة؛ قالا: قال رسول الله ﷺ ذلك.

(٢) باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة. حدثنا غندر، عن شعبة. ح وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار. قالا: حدثنا محمد بن جعفر. حدثنا شعبة، عن منصور، عن ربعي بن حراش؛ أنه سمع عليا رضي الله عنه يخطب. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تكذبوا علي فإنه من يكذب علي يلج النار".

وحدثني زهير بن حرب. حدثنا إسماعيل، يعني ابن علية، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك؛ أنه قال: إنه ليمنعني أن أحدثكم حديثا كثيرا - أن رسول الله ﷺ قال: "من تعمد علي كذبا فليتبوأ مقعده من النار". فليتبوأ مقعده من النار: قال العلماء: معناه فلينزل. وقيل: فليتخذ منزله من النار. قال الخطابي: أصله من مباءة الإبل، وهي أعطانها.

وحدثنا محمد بن عبيد الغبري. حدثنا أبو عوانة، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله : «من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير. حدثنا أبي. حدثنا سعيد بن عبيد. حدثنا

علي بن ربيعة؛ قال: أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة. قال فقال المغيرة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد. فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

وحدثني علي بن حجر السعدي. حدثنا علي بن مسهر. أخبرنا محمد بن قيس الأسدى، عن علي بن ربيعة الأسدى، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله ولم يذكر "إن كذبا علي ليس ككذب على أحد".

(ش (قوله ربيعة الأسدى) كذا في النسخ التي بأيدينا. والصواب فيه سكون السين. انظر مستدركات الزبيدي في: ول ب.

(٣) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري. حدثنا أبي. ح وحدثنا محمد بن المثنى. حدثنا عبد الرحمن بن مهدي. قالا: حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة؛ قال: قال رسول الله ﷺ: "كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع".

وحدثنا بن أبي بكر بن أبي شيبة. حدثنا علي بن حفص. حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم. عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك.

وحدثنا يحيى بن يحيى. أخبرنا هشيم، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي؛ قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع.

(بحسب) معناه يكفيه ذلك من الكذب، فإنه قد استكثر منه.

وحدثني أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح قال: أخبرنا ابن وهب؛ قال: قال لي مالك: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع. ولا يكون إماما أبدا، وهو يحدث بكل ما سمع.

حدثنا محمد بن المثنى. قال: حدثنا عبد الرحمن. قال: حدثنا سفيان، عن أبي

إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله؛ قال: بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع.

وحدثنا محمد بن المثنى. قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع.

وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا عمر بن علي بن مقدم، عن سفيان بن حسين؛ قال: سألني إياس بن معاوية فقال: إني أراك قد كلفت بعلم القرآن. فاقرأ علي سورة. وفسر حتى أنظر فيما علمت. قال ففعلت. فقال لي: احفظ علي ما أقول لك. إياك والشناعة في الحديث فإنه قلما حملها أحد إلا ذل في نفسه. وكذب في حديثه.

(كلفت) معناه ولعت به ولازمته. قال بن فارس وغيره من أهل اللغة: الكلف الإيلاع بالشيء. وقال أبو قاسم الزمخشري: الكلف الإيلاع بالشيء مع شغل قلب ومشقة. (إياك والشناعة في الحديث) قال أهل اللغة: الشناعة القبح. وقد شنع الشيء أي قبح. فهو أشنع وشنيع. وشنعت بالشيء، وشنعته أي أنكرته. ومعنى كلامه أي حذره أن يحدث بالأحاديث المنكرة التي يشنع عن صاحبها وينكر. ويقبح حال صاحبها فيكذب أو يستراب في روايته فتسقط منزلته، ويذل في نفسه] ، وحدثني أبو الطاهر وحرملة بن يحيى. قالا: أخبرنا ابن وهب. قال: أخبرني يونس عن أبي شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة؛ أن عبد الله بن مسعود قال: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة.

(٤) باب النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها.

وحدثني محمد بن عبد الله بن نمير وزهير بن حرب. قالا: حدثنا عبد الله بن يزيد. قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني أبو هانئ، عن أبي عثمان مسلم بن يسار، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ ؛ أنه قال "سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم. فإياكم وإياهم".

وحدثني حرملة بن يحيى بن عبد الله بن حرملة بن عمران التجيبي. قال: حدثنا

ابن وهب. قال: حدثني أبو شريح؛ أنه سمع شراحيل بن يزيد يقول: أخبرني مسلم بن يسار؛ أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : «يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم» .

وحدثني أبو سعيد الأشج. حدثنا وكيع. حدثنا الأعمش، عن المسيب بن رافع، عن عامر بن عبده؛ قال: قال عبد الله: إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل. فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب. فيتفرقون. فيقول الرجل منهم: سمعت رجلا أعرف وجهه، ولا أدري ما اسمه، يحدث.

وحدثني محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر، عن ابن طاوس عن أبيه، عن

عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: إن في البحر شياطين مسجونة أوثقها سليمان. يوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرآنا.

(العاص) أكثر ما يأتي في كتب الحديث والفقه بحذف الياء، وهي لغة. والفصيح الصحيح العاص بإثبات الياء. (يوشك) معناه يقرب. ويستعمل أيضا ماضيا فيقال: أوشك كذا أي قرب.

وحدثني محمد بن عباد وسعيد بن عمرو الأشعثي جميعا، عن ابن عيينة. قال سعيد: أخبرنا سفيان عن هشام بن حجير، عن طاوس؛ قال: جاء هذا إلى ابن عباس (يعني بشير بن كعب). فجعل يحدثه. فقال له ابن عباس: عد لحديث كذا وكذا. فعادله. ثم حدثه. فقال له: عد لحديث كذا وكذا. فعادله. فقال له: ما أدري، أعرفت حديثي كله وأنكرت هذا؟ أم أنكرت حديثي كله وعرفت هذا؟ فقال له ابن عباس: إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لم يكن يكذب عليه. فلما ركب الناس الصعب والذلول، تركنا الحديث عنه.

(الصعب والذلول) أصل الصعب والذلول في الإبل. فالصعب العسر المرغوب عنه، والذلول السهل الطيب المحبوب المرغوب فيه. فالمعنى سلك الناس كل مسلك،

مما يحمد ويذم.

وحدثني محمد بن رافع. حدثنا عبد الرزاق. أخبرنا معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس؛ قال: إنما كنا نحفظ الحديث. والحديث يحفظ عن رسول الله ﷺ فأما إذ ركبتم كل صعب وذلول، فهيهات.

(فهيهات) أي بعدت استقامتكم أو بعد أن نثق بحديثكم. وهيهات موضوعة لاستبعاد الشيء واليأس منه.

وحدثني أبو أيوب سليمان بن عبيد الله الغيلاني. حدثنا أبو عامر، يعني العقدي. حدثنا رباح، عن قيس بن سعد، عن مجاهد؛ قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس. فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ. فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه. فقال يا ابن عباس مالي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع. فقال ابن عباس: إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله -ﷺ ابتدرته أبصارنا. وأصغينا إليه بآذاننا. فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف.

(لا يأذن) أي لا يستمع ولا يصغي، ومنه سميت الأذن.

حدثنا داود بن عمرو الضبي. حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكه؛ قال: كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتابا ويخفي عني. فقال: ولد ناصح. أنا أختار له الأمور اختيارا وأخفي عنه. قال فدعا بقضاء علي، فجعل يكتب منه أشياء، ويمر به الشيء فيقول: والله ما قضى بهذا علي. إلا أن يكون ضل.

(ويخفي عني. . .وأخفي عنه) قال القاضي عياض رحمه الله: ضبطنا هذين الحرفين وهما (ويحفي عني واحفي عنه) بالحاء المهملة فيهما عن جميع شيوخنا. إلا عن أبي محمد الخشني فإني قرأتهما عليه بالخاء المعجمة. قال: وكان أبو بحر يحكي لنا عن شيخه القاضي أبي الوليد الكناني أن صوابه بالمعجمة.

قال القاضي عياض رحمه الله: ويظهر لي أن رواية الجماعة هي الصواب. وأن معنى أحفى أنقص. من إحفاء الشوارب وهو جزها. أي أمسك عني من حديثك ولا

تمسك علي. أو أن يكون الإحفـاء الإلحاح أو الاستقـصاء، ويكون عني بمعنى علي. أي استقصي ما تحدثني. هذا كلام القاضي عياض رحمه الله.

وذكر صاحب مطالع الأنوار قول القاضي، ثم قال: وفي هذا نظر. قال: وعندي أنه بمعنى المبالغة في البر به والنصيحـة له. من قوله تعالى: وكان بي حفيا. أي أبالغ له وأستقصي في النصيحة له والاختيار فيما ألقي إليه من صحيح الآثار.

وقال الشـيخ الإمام أبو عمـر بن الصلاح: هما بـالخاء المعجـمة. أي يكتم عني أشياء ولا يكـتبها، إذا كان عليـه فيها مـقال من الشيع المختلفـة وأهل الفتن. فإنه إذا كتبها ظهـرت. وإذا ظهرت خولف فيها، وحصل فيهـا قال وقيل. مع أنها ليست مما يلزم بيانها لابن أبي مليكـه. وإن لزم فهو ممكن بالمشافهة دون المكاتبـة. قال: وقوله: ولد ناصح، مشعر بذلك.

حدثنا عمرو الناقد. حدثنا سفيـان بن عيينة، عن هشام بن حجير، عن طاوس؛ قال: أتى ابن عـباس بكتاب فـيه قضاء علي رضي اللـه عنه فمحاه. إلا قـدر وأشار سفيان بن عيينة بذراعه.

(إلا قدر) قدر منصوب غير منون. معناه محاه إلا قدر ذراع.

حدثنـا حسن بن علي الحلواني. حـدثنا يحيى بن آدم. حـدثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن أبي إسحـاق؛ قال: لما أحدثوا تلك الأشيـاء بعد علي رضي الله عنه؛ قال رجل من أصحاب علي: قاتلهم الله أي علم أفسدوا.

حدثنا علي بن خشـرم. أخبرنا أبو بكر، يعني ابن عياش. قال: سـمعت المغيرة يقـول: لم يكن يصـدق على علي رضي الله عـنه، إلا من أصحـاب عـبـد الله بن مسعود.

(ش) يصدق ضبط على وجهين: أحدهما بفتح الياء وإسكان الصاد وضم الدال. والثـاني بضم الياء وفـتح الصـاد والدال المشددة. (إلا من) يجـوز في من وجهـان: أحدهما أنها لبيان الجنس، والثاني أنها زائدة] .

(٥) باب بيـان أن الإسناد من الديـن. وأن الرواية لا تكون إلا عن الثـقـات. وأن

جرح الرواة بما هو فيهم جائز، بل واجب. وأنه ليس من الغيبة المحرمة، بل من الذب عن الشريعة المكرمة.

حدثنا حسن بن الربيع. حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب وهشام، عن محمد. وحدثنا فضيل عن هشام. قال وحدثنا مخلد بن حسين، عن هشام، عن محمد بن سيرين؛ قال: إن هذا العلم دين. فانظروا عمن تأخذون دينكم.

حدثنا أبو جعفر محمد بن الصباح. حدثنا إسماعيل بن زكرياء، عن عاصم الأحول، عن ابن سيرين؛ قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد. فلما وقعت الفتنة، قالوا : سموا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم.

حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي. أخبرنا عيسى، وهو ابن يونس. حدثنا الأوزاعي، عن سليمان بن موسى؛ قال: لقيت طاوسا فقلت: حدثني فلان كيت وكيت قال: إن كان صاحبك مليا فخذ عنه.

(كيت وكيت) هما بفتح التاء وكسرها. لغتان نقلهما الجوهري في صحاحه عن أبي عبيدة. (مليا) يعني ثقة ضابطا متقنا يوثق بدينه ومعرفته، يعتمد عليه كما يعتمد الملي بالمال ثقة بذمته.

وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. أخبرنا مروان، يعني ابن محمد الدمشقي. حدثنا سعيد بن عبد العزيز، عن سليمان ابن موسى؛ قال قلت لطاوس: إن فلانا حدثني بكذا وكذا. قال: إن كان صاحبك مليا فخذ عنه.

حدثنا نصر بن علي الجهضمي. حدثنا الأصمعي، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه؛ قال: أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون. ما يؤخذ عنهم الحديث. يقال: ليس من أهله.

حدثني محمد بن أبي عمر المكي. حدثنا سفيان. ح وحدثني أبو بكر بن خلاد الباهلي . واللفظ له. قال: سمعت سفيان بن عيينة، عن مسعر. قال: سمعت سعد بن إبراهيم يقول: لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات.

(لا يحدث عن رسول الله ﷺ إلا الثقات) معناه لا يقبل إلا من الثقات] .
وحدثني محمد بن عبدالله بن قهزاذ. من أهل مرو. قال: سمعت عبدان بن عثمان يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء.

وقال محمد بن عبد الله: حدثني العباس بن أبي رزمة؛ قال: سمعت عبد الله يقول: بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد.

(بيننا وبين القوم القوائم) معنى هذا الكلام: إن جاء بإسناد صحيح قبلنا حديثه، وإلا تركناه. فجعل الحديث كالحيوان لا يقوم بغير إسناد. كما لا يقوم الحيوان بغير قوائم.

وقال محمد: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن عيسى الطالقاني؛ قال: قلت لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء "إن من البر بعد البر، أن تصلي لأبويك مع صلاتك، وتصوم لهما مع صومك" قال فقال عبدالله: يا أبا إسحاق عمن هذا؟ قال قلت له : هذا من حديث شهاب بن خراش. فقال: ثقة. عمن؟ قال قلت: عن الحجاج بن دينار. قال: ثقة. عمن؟ قال قلت: قال رسول الله ﷺ قال: يا أبا إسحاق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي صلى الله عليه وسلم مفاوز، تنقطع فيها أعناق المطي، ولكن ليس في الصدقة اختلاف.

(مفاوز) جمع مفازة. وهي الأرض القفر البعيدة عن العمارة وعن الماء التي يخاف الهلاك فيها. (ليس في الصدقة اختلاف) معناه أن هذا الحديث لا يحتج به. ولكن من أراد بر والديه فليتصدق عنهما. فإن الصدقة تصل إلى الميت وينتفع بها، بلا خلاف بين المسلمين.

وقال محمد: سمعت علي بن شقيق يقول: سمعت عبد الله بن المبارك يقول على رؤوس الناس: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف.

وحدثني أبو بكر بن النضر بن أبي النضر. قال :حدثني أبو النضر هاشم بن القاسم. حدثنا أبو عقيل صاحب بهية. قال: كنت جالسا عند القاسم بن عبيد الله

ويحيى بن سعيد. فقال يحيى للقاسم: يا أبا محمد إنه قبيح على مثلك، عظيم أن تسأل عن شئ من أمر هذا الدين، فلا يوجد عندك منه علم. ولا فرج. أو علم ولا مخرج. فقال له القاسم: وعم ذاك؟ قال: لأنك ابن إمامي هدى بن أبي بكر وعمر. قال يقول له القاسم: أقبح من ذاك عند من عقل عن الله، أن أقول بغير علم. أو آخذ عن غير ثقة. قال فسكت فما أجابه.

وحدثني بشر بن الحكم العبدي. قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: أخبروني عن أبي عقل صاحب بهية أن أبناء لعبد الله بن عمر سألوه عن شيء لم يكن عنده فيه علم. فقال له يحيى بن سعيد: والله إني لأعظم أن يكون مثلك، وأنت ابن إمامي الهدى. يعني عمر وابن عمر. تسأل عن أمر ليس عندك فيه علم. فقال: أعظم من ذلك، والله، عند الله، وعند من عقل عن الله، أن أقول بغير علم. أو أخبر عن غير ثقة. قال وشهدهما أبو عقيل يحيى بن المتوكل حين قالا ذلك.

وحدثنا عمر بن علي، أبو حفص. قال: سمعت يحيى بن سعيد. قال: سألت سفيان الثوري وشعبة ومالكا وابن عيينة، عن الرجل لا يكون ثبتا في الحديث. فيأتيني الرجل فيسألني عنه. قالوا: أخبر عنه أنه ليس بثبت.

وحدثنا عبيد الله بن سعيد. قال سمعت النضر يقول: سئل ابن عون عن حديث لشهر وهو قائم على أسكفة الباب. فقال: إن شهرا نزكوه. إن شهرا نزكوه.

(أسكفة الباب) هي العتبة السفلى التي توطأ. (نزكوه) معناه طعنوا فيه وتكلموا بجرحه. فكأنه يقول: طعنوه بالنيزك، وهو رمح قصير] قال مسلم رحمه الله: يقول: أخذته ألسنة الناس. تكلموا فيه.

وحدثني حجاج بن الشاعر. حدثنا شبابة. قال: قال شعبة: وقد لقيت شهرا فلم أعتد به. وحدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ، من أهل مرو. قال: أخبرني علي بن حسين بن واقد. قال: قال عبد الله بن المبارك: قلت لسفيان الثوري: إن عباد بن كثير من تعرف حاله. وإذا حدث جاء بأمر عظيم. فترى أن أقول للناس: لا تأخذوا عنه؟ قال سفيان: بلى. قال عبد الله: فكنت، إذا كنت في مجلس ذكر فيه عباد، أثنيت

عليه في دينه، وأقول: لا تأخذوا عنه.

وقال محمد: حدثنا عبد الله بن عثمان. قال، قال أبي، قال عبد الله بن المبارك: انتهيت إلى شعبة. فقال: هذا عباد بن كثير فاحذروه.

وحدثني الفضل بن سهل قال: سألت معلى الرازي عن محمد بن سعيد، الذي روى عنه عباد. فأخبرني عن عيسى بن يونس؛ قال: كنت على بابه وسفيان عنده. فلما خرج سألته عنه، فأخبرني أنه كذاب.

وحدثني محمد بن أبي عتاب. قال: حدثني عفان، عن محمد بن يحيى بن سعيد القطان، عن أبيه، قال: لم نر الصالحين في شئ أكذب منهم في الحديث.

قال ابن أبي عتاب: فلقيت أنا محمد بن يحيى بن سعيد القطان، فسألته عنه. فقال عن أبيه: لم تر أهل الخير في شئ، أكذب منهم في الحديث. قال مسلم: يقول: يجري الكذب على لسانهم ولا يتعمدون الكذب. حدثني الفضل بن سهل. قال: حدثنا يزيد بن هارون. قال: أخبرني الخليفة بن موسى. قال: دخلت على غالب بن عبيد الله. فجعل يملي علي: حدثني مكحول. حدثني مكحول. فأخذه البول فقام فنظرت في الكراسة فإذا فيها حدثني أبان، عن أنس، وأبان عن فلان، فتركته وقمت.

قال: وسمعت الحسن بن علي الحلواني يقول: رأيت في كتاب عفان حديث هشام أبي المقداد، حديث عمر بن عبد العزيز. قال هشام: حدثني رجل يقال له يحيى بن فلان، عن محمد بن كعب قال قلت لعفان: إنهم يقولون: هشام سمعه عن محمد بن كعب. فقال: إنما ابتلي من قبل هذا الحديث. كان يقول: حدثني يحيى عن محمد. ثم ادعى، بعد، أنه سمع عن محمد.

(أخذه البول) فمعناه ضغطه وأزعجه واحتاج إلى إخراجه. (الكراسة) فال أبو جعفر النحاس في كتاب "صناعة الكتاب": الكراسة معناه الكتبة المضموم بعضها إلى بعض. والورق الذي قد ألصق بعضه إلى بعض. مشتق من قولهم: رسم مكرس، إذا ألصقت الريح التراب به. وقال أقضى القضاة الماوردي: أصل الكرسي

العلم، ومنه قيل للصحيفة يكون فيها علم مكتوب: كراسة] حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ. قال: سمعت عبد الله بن عثمان بن جبلة يقول: قلت لعبد الله بن المبارك: من هذا الرجل الذي رويت عنه حديث عبد الله بن عمرو "يوم الفطر يوم الجوائز" قال: سليمان بن الحجاج. انظر ما وضعت في يدك منه.

قال: ابن قهزاذ. وسمعت وهب بن زمعة يذكر عن سفيان بن عبد الملك. قال: قال عبد الله، يعني ابن المبارك: رأيت روح بن غطيف، صاحب الدم قدر الدرهم، وجلست إليه مجلسا. فجعلت أستحيي من أصحابي أن يروني جالسا معه. كره حديثه.

حدثنا أبو كامل الجحدري. حدثنا حماد، وهو ابن زيد. قال: حدثنا عاصم. قال: كنا نأتي أبا عبدالرحمن السلمي ونحن غلمة أيفاع. فكان يقول لنا: لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص. وإياكم وشقيقا. قال وكان شقيق هذا يرى رأي الخوارج. وليس بأبي وائل.

حدثنا أبو غسان، محمد بن عمرو الرازي. قال: سمعت جريرا يقول: لقيت جابر بن يزيد الجعفي. فلم أكتب عنه. كان يؤمن بالرجعة.

(كان يؤمن بالرجعة) معنى إيمانه بالرجعة ما تقوله الرافضة وتعتقده بزعمها الباطل أن عليا كرم الله وجهه في السحاب. فلا نخرج، يعني مع من يخرج من ولده حتى ينادي من السماء أن اخرجوا معه.

حدثنا الحسن الحلواني. حدثنا يحيى بن آدم. حدثنا مسعر. قال: حدثنا جابر بن يزيد، قبل أن يحدث ما أحدث.

وحدثني سلمة بن شبيب. حدثنا الحميدي. حدثنا سفيان. قال: كان الناس يحملون عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر. فلما أظهر ما أظهر اتهمه الناس في حديثه. وتركه بعض الناس. فقيل له: وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة.

وحدثنا حسن الحلواني. حدثنا أبو يحيى الحماني. حدثنا قبيصة وأخوه؛ أنهما سمعا الجراح بن مليح يقول: سمعت جابرا يقول: إن عندي سبعون ألف حديث عن

أبي جعفر، عن النبي صلى الله عليه وسلم، كلها.

وحدثني حجاج بن الشاعر. حدثنا أحمد بن يونس. قال، سمعت زهيرا يقول: قال جابر: أو سمعت جابرا يقول: إن عندي لخمسين ألف حديث. ما حدثت منها بشيء. قال ثم حدث يوما بحديث فقال: هذا من الخمسين ألفا. وحدثني إبراهيم بن خالد اليشكري. قال سمعت أبا الوليد يقول: سمعت سلام بن أبي مطيع يقول: سمعت جابرا الجعفي يقول: عندي خمسون ألف حديث عن النبي ﷺ.

وحدثني سلمة بن شبيب. حدثنا الحميدي. حدثنا سفيان. قال: سمعت سأل جابرا عن قوله عز وجل: ﴿ **فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين** ﴾ . فقال جابر: لم يجيء تأويل هذه. قال سفيان: وكذب فقال لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الرافضة تقول: إن عليا في السحاب. فلا نخرج مع من خرج من ولده، حتى ينادي مناد من السماء. يريد عليا أنه ينادي اخرجوا مع فلان. يقول جابر: فهذا تأويل هذه الآية . وكذب . كانت في إخوة يوسف ﷺ .

وحدثني سلمة. حدثنا الحميدي. حدثنا سفيان. قال: سمعت جابرا يحدث بنحو من ثلاثين ألف حديث: ما أستحل أن أذكر منها شيئا، وأن لي كذا وكذا.

قال مسلم: وسمعت أبا غسان، محمد بن عمرو الرازي. قال: سألت جرير بن عبد الحميد. فقلت: الحارث بن حصيرة لقيته؟ قال: نعم. شيخ طويل السكوت. يصر على أمر عظيم.

حدثني أحمد بن إبراهيم الدورقي. قال: حدثني عبد الرحمن بن مهدي. عن حماد بن زيد. قال: ذكر أيوب رجلا يوما. فقلت: لم يكن بمستقيم اللسان. وذكر آخر فقال: هو يزيد في الرقم.

حدثني حجاج بن الشاعر. حدثنا سليمان بن حرب. حدثنا حماد بن زيد. قال: قال أيوب: إن لي جارا. ثم ذكر من فضله. ولو شهد عندي على تمرتين ما رأيت شهادته جائزة.

حدثني عمرو بن علي، أبو حفص. قال سمعت معاذ بن معاذ يقول: قلت

لعوف بن أبي جميلة: إن عمرو بن عبيد حدثنا عن الحسن؛ أن رسول الله ﷺ قال "من حمل علينا السلاح فليس منا" قال: كذب، والله عمرو. ولكنه أراد أن يحوزها إلى قوله الخبيث .

(من حمل علينا السلاح فليس منا) صحيح مروي من طرق. وقد ذكرها مسلم رحمه الله بعد هذا. ومعناه عند أهل العلم أنه ليس ممن اهتدى بهدينا واقتدى بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا. كما يقول الرجل لولده، إذا لم يرضى فعله : لست مني.

ومراد مسلم رحمه الله بإدخال هذا الحديث هنا بيان أن عوفا جرح عمرو بن عبيد وقال: كذاب. وإنما كذبه، مع أن الحديث صحيح لكونه نسبه إلى الحسن. وكان عوف من كبار أصحاب الحسن والعارفين بأحاديثه. فقال كذب في نسبته إلى الحسن. فلم يروي الحسن هذا، أو لم يسمعه هذا من الحسن. (أراد أن يحوزها إلى قوله الخبيث) معناه كذب بهذه الرواية ليعضد بها مذهبه الباطل الرديء، وهو الاعتزال. فإنهم يزعمون أن ارتكاب المعاصي يخرج صاحبه عن الأيمان ويخلده في النار. ولا يسمونه كافرا، بل فاسقا مخلدا في النار] وحدثنا عبيد الله بن عمر القواريري. حدثنا حماد بن زيد. قال: كان رجل قد لزم أيوب وسمع منه. ففقده أيوب. فقالوا: يا أبا بكر إنه قد لزم عمرو بن عبيد. قال حماد: فبينا أنا يوما مع أيوب وقد بكرنا إلى السوق. فاستقبله الرجل. فسلم عليه أيوب وسأله. ثم قال له أيوب: بلغني أنك لزمت ذاك الرجل. قال حماد: سماه، يعني عمرا. قال: نعم. يا أبا بكر إنه يجيئنا بأشياء غرائب. قال يقول له أيوب: إنما نفر أو نفرق من تلك الغرائب.

(نفر أو نفرق) شك من الراوي في إحداها. معناه إنما نهرب أو نخاف من هذه الغرائب] وحدثني حجاج بن الشاعر. حدثنا سليمان بن حرب. حدثنا ابن زيد، يعني حمادا. قال قيل لأيوب : إن عمر بن عبيد روى عن الحسن قال: لا يجلد السكران من النبيذ . فقال: كذب. أنا سمعت الحسن يقول: يجلد السكران من النبيذ.

وحدثني حجاج. حدثنا سليمان بن حرب. قال: سمعت سلام بن أبي مطيع يقول: بلغ أيوب أني آتي عمرا. فأقبل علي يوما فقال: أرأيت رجلا لا تأمنه على دينه، كيف تأمنه على الحديث؟

وحدثني سلمة بن شبيب. حدثنا الحميدي. حدثنا سفيان. قال: سمعت أبا موسى يقول: حدثنا عمرو بن عبيد قبل أن يحدث. (يحدث) يعني قبل أن يصير معتزلا قدريا. انتهى قول الإمام مسلم.

أرأيتم يا عباد الله الفرق بين أهل الحق وبين أهل الباطل أهل الحق يدعون إلى الله والى تعظيم أوامره ونواهيه والوقوف عند حدوده وأن وحيه سبحانه الذى بلغه نبيه هو الحجة على خلقه ولا حجة غيره، وأما أهل الضلال والزيغ والهوى والذين يدعون إلى تقديس وتعظيم أقوالهم وأقوال من يدعون إلى عبادتهم من دون الله ويخترعون أقوال وروايات ما أنزل الله بها من سلطان الغرض منها تعطيل وإهمال نصوص الوحيين، المنزلة على قلب خاتم الأنبياء والمرسلين، وصرفهم إلى أقوال أهل البدع المبطلين من علماء الشيعة.

والمتأمل فى هذا التفسير تفسير الصافى، يجد فى أقواله اضطراباً وتناقضاً عجيبا وهذا هو شأن أهل الباطل لأنهم يكذبون ويفترون على هذا الدين الكذب ويدخلون عليه الزور من خلال أعظم كتاب ألا وهو كتاب رب العالمين، فمثلاً فى هذا المبحث أجد المصنف يذكر أن النبى قال ان الحجة على الخلق هو علىّ ابن أبى طالب ولا حجة بعده، ومرةً أخرى ينقل عن القمى قوله (أن في كل عصر وزمان إماما وأنه لا تخلو الأرض من حجة).

وهذا الاضطراب والتناقض مع عدم الاعتماد على النقل الصحيح من كتاب أو سنة أو(قول من أئمة أهل البيت، ويشتهر ذلك عنهم ويذاع وينقله عنهم أهل العلم المعتبرين اذ من المعلوم أن أى قول للحق لو قيل لقيض الله من يدافع عنه، والا لماذا وصل الينا هذا الباطل؟، فكما ذاع هذا الباطل وانتشر بين الشيعة كذلك لو وجد غيره من الحق لذاع أيضا وانتشر) ولكن لأن هذا القول جديد ومستحدث ومبتدع لم يسمع به أحد من السلف الصالح ولا من علماء أهل البيت ولم ينقل عنهم وان زعم المصنف وكذب عليهم وأقحم أسماءهم فى ذلك افتراءاً عليهم، فهذا من الكذب الذى اعتاد علماء الشيعة عليه، كل هذا دليل على فساد ما زعم من أن القيم هو الحجة، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ

الـرُّسُـلِ ﴾ أى أن الرسل الذين أرسلهم الله الى عـباده هم الحجـة لا غيـرهم وقوله سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ .

ما يلى نقلا من تفسير الصافى:

وهنا نرى أن المصنف يأتى بأقوال وتفسير للآيات كل همه فيها أن يطوع النصوص لهواه وآراء واعتقاد الشـيعة وكأنه كتاب ما أنزل إلا لمتابعة أهواء واعـتقادات قومه من الشيعة ....

وهذه أمثلة أخرى التى نرى فيها التعصب الأعمى والكذب الواضح الذى ما أنزل الله به من سلطان.

من عادى عليا ولم يتوله فعليه لعنتي وغـضبي فلتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله أن تخالفـوه فتزل قدم الغـراف من بحر عميق ألا إنه يسم كل ذي فـضل بفضله وكل ذي جهل بجهله ألا إنه خيرة اللـه ومختاره ألا إنه وارث كل علم والمحيط به ألا إنه المخبر عن ربه عـز وجل المنبه بأمر إيمانه ألا إنه الرشيد السـديد ألا إنه المفوض إليه ألا إنه قد بشر به مـن سلف بين يديه ألا إنه الباقي حجة ولا حـجة بعده ولا حق إلا معـه ولا نور إلا عنده ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليـه ألا إنه ولي الله في أرضه وحكمه في خلقه وأمينه في سره وعلانيته معاشر الناس قد بينت لكم وأفهمتكم وهذا علي يفهمكم؟ بعدي.

آل عمران ١٤٣ في الكافي والعـياشي عن الباقر عليـه السلام نحن الأمة الوسط ونحن شهداء الله على خلقـه وحججه في أرضه وسمائه وايم الـله لقد قضي الأمر أن لا يكون بين المؤمنين اختـلاف ولذلك جعلهم شهداء على الـناس ليشهد (مـحمد صلى الله عليه وآله وسلـم) علينا ولنشهد على شـيعتنا ولتشـهد شيـعتنا على الناس فـرسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم شـاهد علينا ونحن شـهداء الله على خلقـه وحجته في أرضه ونحن الذين قال الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا.

فيدعى بالحـسن بن علي صلوات الله عليهمـا فيسأل عمـا سئل عنه علي بن ابي

طالب عليه السلام يدعى بامام إمام وبأهل عالمه فيحتجون بحجتهم فيقبل الله عذرهم ويجيز حـجتهم قال ثم يقول الله هذا يوم يـنفع الصادقين صدقهم العيـاشي عن امير المؤمنين وعن الصـادق عليـه السلام كل إمـام هاد للقـرن الذي هو فـيهم ومـثله في الأكمـال ورواه القمي والعياشي وغـير واحد من الخاصـة والعامة في غيـر واحد من الأسانيد.

والقمي هو رد على من أنكر أن في كل عصـر وزمان إماما وأنه لا تخلو الأرض من حجة. ما سبق من تفسير الصافي.

الرد التفصيلى

على قوله أن القرآن ليس حجة إلا بقيم:

من كتب واقوال اهل العلم من الفريقين (السنة والشيعة) (١) .

وللعلم ان كل قول من أقوال علمـاء الشيعة ذكره المصنف فى تفسـيره (الصافى) وما ينقل عنهم وخاصـة الكلينى والعياشى والقمى وغيـرهم وأثناء مطالعتي في كتب الشيعة رأيت هذه المسألة يؤكـد عليها في أكثر من كتاب من كتـبهم المعتمدة عندهم، وما كـان يخطر بالبال أن تذهب طائفة من الـطوائف التي تزعم لنفسهـا الإسلام إلى القول: "بأن القرآن ليس حجـة" والله يقول - لمن طلب آية تدل على صدق الرسول ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت آية: ٥١] .

فالقـرآن العظيم هو الشاهد والدليل والحـجة، ولكن شيخ الشـيعة ومن يسـمونه بـ"ثقة الإسلام" (الكليني) يروي في كتابه: أصول الكافي والذي هو عندهم كصحيح البخاري عند أهل السنة انظر: فـصل "اعتقادهم في السنة" من كتـاب أصول مذهب الشيـعة .] يروي ما نصه: "... أن القـرآن لا يكون حجة إلا بقيم: وأن عليـاً كان قيم القرآن وكانت طاعته مفترضة، وكان الحجة على الناس بعد رسول الله"(٢).

كمـا توجد هذه المقالة أيضـاً في طائفة من كـتبهم المعـتمدة كـرجال الكشي ،

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة.

(٢) أصول الكافي: ١/ ١٨٨ والمصنف فى تفسيره (الصافى) ينقل عنه.

وغيرها (١) .

فماذا يعنون بهـذه العقيدة: أيعنون بذلك أن النص القـرآني لا يمكن أن يحتج به إلا بالرجوع لقول الإمام؟ وهذا يعني أن الحجـة هي في قول الإمام لا قول الرحمن، أم يعنون أن القرآن لا يؤخـذ بنظامه إلا بقوة السلطان وهو القيم على تنـفيذه؟ ولكن ورد عندهم في تتمـة النص ما ينفي هذا الاحتمال وهو قـولهم: "فنظرت في القرآن فإذا هو يخاصم به المرجئ، والقـدري، والزنديق الذي لا يؤمن به حتى يغلب الرجال بخصومته فعرفت أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم" (٢) .

ومعنى هذا أن قـول الإمام هو أفـصح من كلام الرحمن، ويظهـر من هذا أنهم يرون أن الحجة في قول الإمام لأنه الأقدر على البيان من القرآن، ولهذا سموه بالقرآن الصامت وسـمو الإمام بالقـرآن الناطق، ويروون عن علي أنه قال: "هذا كـتاب الله الصامت وأنا كتاب الله الناطق"(٣). وقال: "ذلك القرآن فـاستنطقوه فلن ينطق لكم أخبركم عنه . . . "(٤).

ويقولون - في رواياتهم -: "وعليٌ تفسير كـتاب الله"(٥)، ومرة أخرى يدعون بأن الائمة هم القرآن نفسه ولهذا نجدهم يفسرون قوله سبحانه: ﴿ .. وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ.. ﴾ يقولون: النور : علي والأئمة عليهم السلام (فالأئمة بناء على هذا أنزلوا من السماء إنزالاً) (٦) ، ويفسرون قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [يونس: آية ١٥] يقولون: ﴿ ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ يعني: أمير

(١) رجال الكشي: ص٤٢٠] ، وعلل الشرائع [الصدوق/ علل الشرائع: ص ١٩٢] ، والمحاسن [البرقي/ المحاسن: ص ٢٦٨]، ووسائل الشيعة [الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٨/ ١٤١].
(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٨/ ١٤١ .
(٣) الحر العاملي/ الفصول المهمة: ص ٢٣٥ .
(٤) أصول الكافي: ١/ ٦١ .
(٥) البحـار: ٣٧/ ٢٠٩، الطبرسي/ الاحـتجـاج: ص ٣١-٣٣، البروجودي/ تفـسـير الصراط المستقيم: ٣٠/ ٢٠ .
(٦) الكافي: ١/ ١٩٤ .

المؤمنين (١) .

ومثل ذلك تفسيرهم لقولهم تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُون، فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ [الطور: آية: ٣٣، ٣٤].

جاء في تفسير القمي: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ﴾ يعني: أمير المؤمنين ﴿ بَل لا يُؤْمِنُونَ ﴾ أنه لم يتقوله ولم يقمه برأيه، ثم قال: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾ أي: رجل مثله من عند الله ﴿ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (٢) ومثل ذلك كثير، وحيناً يزعمون بأن القرآن لم يفسر إلا لرجل واحد هو علي [أصول الكافي: ١/ ٢٥٠] وما ندري لم يكون علي قيم القرآن وهو القرآن نفسه؟! وإذا كان هو القرآن أو القيم عليه فلماذا يفسر له، وكيف يفسر له وهو تفسيره؟! إنها أقوال يضرب بعضها بعضاً، وهي برهان أكيد على أنها من وضع زنديق أراد إفساد دين المسلمين، وكيف يقال مثل ذلك في كتاب أنزله الله سبحانه وتعالى ليكون هداية للناس ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء، آية: ٩] .

قال الخليفة الراشد علي - رضي الله عنه -: "كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم" [قال ابن كثير في تعليقه على هذا الخبر: "وقد وهم بعضهم في رفعه، وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - والحديث في سنده مقال] (٣) .

وقال ابن عباس - رضي الله عنه -: تضمن الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا

(١) تفسير العياشي: ٢/ ١٢٠، أصول الكافي: ١/٤١٩، تفسير القمي: ١/ ٣١٠، المصنف فى تفسيره (الصافى).
(٢) تفسير القمي: ٢/ ٣٣٣، والصافى.
(٣) ابن كثير/ فضائل القرآن: ص ١٥

يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (١) .

ومسألة أن كتاب الله هو الحجة و ليس الإمام لا تحتاج إلى بسط الأدلة، والتوسع في إقامة البراهين، ولقد آثرنا فيما عرضنا من دليل أن نأخذه من كتاب الله سبحانه، ومما جاء عن بعض أهل البيت في مصادر أهل السنة.

وقبل أن ننهي الحديث في هذه القضية نشير إلى ما ينقضها من كتب الشيعة نفسها كبرهان على تناقضهم، كما نشير إلى الهدف من وضع تلك المقالة.

النقض الداخلى

ففي بعض مصادرهم المعتمدة جاء النص التالي: "ذكر الرضا - رضي الله عنه - يوماً القرآن فعظم الحجة فيه.. فقال: هو حبل الله المتين وعروته الوثقى.. جعل دليل البرهان [كذا وردت في المصدر المنقول عنه، وقد تكون صوابها (الحيران) لأن البرهان لا يحتاج إلى دليل] وحجة على كل إنسان، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" (٢) .

وفي نص آخر لهم: ".. فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم، فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل.." (٣) .

---

(١) قال الترمذي: "هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث (أحد رجال السند) مقال". (الترمذي: ٤/ ١٧٢)، وقال الحافظ ابن العربي المالكي: وحديث الحرث لا ينبغي أن يعول عليه. (عارضة الأحوذي: ١١/ ٣٠). قال الشيخ أحمد شاكر: إسناده ضعيف جداً من أجل الحارث. المسند ٢/ ٧٠٤) وقال الشيخ الألباني: إسناده ضعيف، فيه الحارث الأعور، وهو لين، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب، ولعل أصله موقوف على علي - رضي الله عنه - فأخطأ الحارث فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم (شرح الطحاوي، الطبعة التي خرج أحاديثها الألباني ص: ٦٨) وهذا الأثر مروي عن علي في كتب الشيعة: تفسير العياشي: ١/ ٣، تفسير الصافي: ١/ ١٥ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري: ١٦/ ,٢٢٥

(٣) انظر: المجلسي/ البحار: ٩٢/ ١٤، ابن بابويه/ عيون أخبار الرضا: ٢/ ,١٣٠

وفي نهج البلاغة المنسوب لعلي [لقد شك في صحة نسبة الكتاب إلى علي النقاد قديماً وحديثاً. قال الذهبي: "ومن طالع نهج البلاغة جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه -، ثم بين علامات ذلك (١) رضي الله عنه - والذي هو عند الشيعة: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه [ذكر الهادي كاشف الغطا (أحد شيوخ الشيعة المعاصرين) أن إنكار نسبته إلى علي يعد عندهم من إنكار الضروريات. وقال: "إن جميع ما فيه حاله كحال ما يروى عنه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - (٢) جاء النص التالي: "فالقرآن آمر زاجر، وصامت ناطق، حجة الله على خلقه.." (٣) .

ولهذه النصوص شواهد أخرى وهي تكشف لنا مدى التناقض والاضطراب الواقع في مصادر هؤلاء القوم؛ فرواياتهم - كما ترى - يعارض بعضها بعضاً، لكنهم في حالة التناقض تلك قد وضعوا لهم منهجاً خطيراً وهو الأخذ بما خالف العامة - وهم أهل السنة عندهم - فيأخذون بالجانب الشاذ عن الجماعة، وإن جاء نص يخالفه، وإن استيقظ شيخ من شيوخهم واستمع إلى نداء الحق وأعلن مخالفته لضلالهم قالوا في ذلك كله: تقية - كما سيأتي في مبحث التقية -.

والمتأمل لتلك المقالة التي تواترت في كتب الشيعة يلاحظ أنها من وضع عدو حاقد أراد أن يصد الشيعة عن كتاب الله سبحانه، ويضلهم عن هدى الله، فما دامت تلك المقالة ربطت حجية القرآن بوجود القيم، والقيم هو أحد الأئمة الاثني عشر؛ لأن القرآن فسر لرجل واحد وهو علي، وقد انتقل علم القرآن من علي إلى سائر الأئمة الاثني عشر، كل إمام يعهد بهذا العلم إلى من بعده، حتى انتهى إلى الإمام الثاني عشر [سنبين هذا بالتفصيل -إن شاء الله -] وهو غائب مفقد عند الاثني عشرية منذ ما يزيد على أحد عشر قرناً، ومعدوم عند طوائف من الشيعة وغيرهم..

فما دامت هذه المقالة ربطت حجية القرآن بهذا الغائب أو المعدوم فكأن نهايتها أن

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٢ .

(٢) ميزان الاعتدال: ٣/ ١٢٤، ترجمة الشريف المرتضى.

(٣) مدارك نهج البلاغة ص: ١٩٠ .

الاحتجاج بالقرآن متوقف لغياب قيمه أو عدمه، وأنه لا يرجع إلى كتاب الله، ولا يعرج عليه في مقام الاستدلال ؛ لأن الحجة في قول الإمام فقط، وهو غائب فلا حجة فيه حينئذ، ولذلك فإن طائفة الإخبارية من الاثني عشرية "أنكروا- كما يعترف شيوخ الاثني عشرية - الأدلة الثلاثة [يعني: الإجماع، والعقل، والقرآن الكريم.] بما فيها القرآن الكريم، وخصوا الدليل بالواحد أعني الأخبار فلذلك سمو بالاسم المذكور" (١).

وحسبك بهذا ضلال، وإضلال عن صراط الله. . . وتلك ليست هي نهاية التآمر على كتاب الله، وعلى الشيعة، ولكنها حلقة من حلقات، ومؤامرة ضمن سلسلة مؤامرات طوحت بالشيعة بعيداً عن جماعة المسلمين، وهي مقدمة، أو إرهاص لبدء المحاولة في تفسير كتاب الله على غير وجهه، وزعمهم أن هذا هو ما جاء عن القيم والإمام من أهل البيت، والحجة فيه لا في غيره، وهو الناطق عن القرآن، والمبين له. . ولا حجة في القرآن إلا به (٢).

(١) نهج البلاغة ص:٢٦٥، تحقيق صبحي الصالح، البحار: ٩٢/ ٢٠,
(٢) التقليد في الشريعة الإسلامية ص: ٩٣ .
(٣) من كتاب أصول مذهب الشيعة.

الردود مع التفسير

أولا: القرآن الكريم

الله سبحانه يقول: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [النحل، آية: ٤٤] وكتاب المصنف يقول - كما سلف -: ليست من وظيفة الرسول بيان القرآن للناس، وإنما مهمته بيان "شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب" أما بيان القرآن للناس وتفسيره فهو رسالة علي لا محمد: "إن الله عز وجل.. فوض إلى نبيه ﷺ فقال: ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [الحشر، آية: ٧] قال عز وجل: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ [النساء، آية: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كان أهل بيته. قال الله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ [سورة ص، آية: ٢٩] وقال: ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [النساء، آية: ٨٢، محمد، آية: ٢٤] ﴿ أفلم يدبروا القول ﴾ [المؤمنون، آية: ٦٨] وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف، آية: ٢] وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك.

ثانيا: السنة النبوية (١)

وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون قد خصه رسول الله ﷺ بعلم دون الناس، فنفى أمير المؤمنين ذلك نفياً قاطعاً وقال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطى رجل في كتابه..."

وقد خاطب النبي ﷺ الصحابة، ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم فقال - كما يروي زيد بن ثابت وغيره -: "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة.

إلى من هو أفقه منه. . . "(١) وقد روت هذا الحديث كتب الاثني عشرية المعتمدة فيكون حجة عليها. (٢)

ثالثا: أقوال العلماء

ابن عطية/ المحرر الوجيز: إن دعوى أن القرآن لم يفسر إلا لعلي هي مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل، آية: ٤٤] فالبيان للناس لا لعلي وحده - كما سبق -. فليس لمن قال بهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم. "وكان علي - رضي الله عنه - يثني على تفسير ابن عباس"(٣).

منهاج السنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي من غير واحد من الصحابة؛ يروي عن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعن زيد بن ثابت وأبيّ

---

(١) أخرجه أحمد: ٥/ ١٨٣، واللفظ له، والدارمي/ مقدمة، باب الاقتداء بالعلماء: ١/ ٧٣، و أبو داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ٤/ ٦٨-٦٩، وابن ماجه، المقدمة، باب من بلغ علماً: ١/ ٨٤، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ٥/ ٣٣-٣٤، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن، كتاب العلم، باب رواية الحديث لمن فهمه ولمن لم يفهمه ص: ٤٧)، قال ابن حجر في تخريج المختصر: حديث زيد بن ثابت هذا صحيح خرجه أحمد وأبو داود، وابن حبان، وابن أبي حاتم، والخطيب، وأبو نعيم، والطيالسي، والترمذي، وفي الباب عن معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأنس وغيرهم. (فيض القدير: ٦/ ٢٨٥). وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ٦٨٩-٦٩٠، وللشيخ عبد المحسن العباد دراسة حول هذا الحديث بعنوان: "دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي" رواية ودراية.

(٢) أصول الكافي: ١/ ٤٠٣، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٨/ ٦٣.

(٣) ابن عطية/ المحرر الوجيز: ١/ ١٩، ابن جزي/ التسهيل: ١/ ٩.

ابن كعب وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار. وروايته عن علي قليلة جداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم... وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جداً، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر"(١) .

تفسير الطبري (من سورة الشورى) : قوله تعالى :

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ فقال: إياكم والفرقة فإنها هلكة ﴿ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ يقول: بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا. ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ يقول جلّ ثناؤه: ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب، ولكنه أخر ذلك إلى أجل مسمى، وذلك الأجل المسمى فيما ذُكر: يوم القيامة.

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ قال: يوم القيامة. وقوله: ﴿لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ يقول: لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به، بإهلاكه أهل الباطل منهم، وإظهاره أهل الحقّ عليهم. وقوله: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ يقول: وإن الذين أتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحقّ كتابه التوراة والإنجيل. ﴿ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ يقول: لفي شكّ من الدين الذين وصّى الله به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، وأمركما بإقامته

(١) منهاج السنة: ٤/ ١٥٥ .

مريب. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، قوله: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ قال: اليهود والنصارى.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ يقول تعالى ذكره: فإلى ذلك الدين الذي شرَع لكم، ووصّى به نوحا، وأوحاه إليك يا محمد، فادع عباد الله، واستقم على العمل به، ولا تزغ عنه، واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة. وقيل: فلذلك فادع، والمعنى: فإلى ذلك، فوضعت اللام موضع إلى، كما قيل: ﴿ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ وقد بيّنا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا.

وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك ، في قوله : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ ﴾ إلى معنى هذا، ويقول: معنى الكلام: فإلى هذا القرآن فادع واستقم. والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه، غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام، لأنه في سياق خبر الله جلّ ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد ﷺ بإقامته، ولم يأت من الكلام ما يدلّ على انصرافه عنه إلى غيره. قوله: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تتبع يا محمد أهواء الذين شكُّوا في الحقّ الذي شرعه الله لكم من الذين أورثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم، فتشك فيه، كالذي شكوا فيه. يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: صدّقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب، توراة كان أو إنجيلا أو زبورا أو صحف إبراهيم، لا أكذب بشيء من ذلك تكذيبكم ببعضه معشر الأحزاب، وتصديقكم ببعض .

وقوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ يقول تعالى ذكره: وقل لهم يا محمد: وأمرني ربي أن أعدل بينكم معشر الأحزاب، فأسير فيكم جميعا بالحق الذي أمرني به وبعثني بالدعاء إليه.

كالذي حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ قال: أمر نبي الله ﷺ أن يعدل، فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه. والعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدل يصدّق الله الصادق، ويكذّب الكاذب، وبالعدل يردّ المعتدي ويوبخه.

ذكر لنا أن نبي الله داود عليه السلام: كان يقول: ثلاث من كن فيه أعجبني جدا: القصد في الفاقة والغنى، والعدل في الرضا والغضب، والخشية في السر والعلانية؛ وثلاث من كن فيه أهلكه: شح مطاع ، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه. وأربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة.

واختلف أهل العربية في معنى اللام التي في قوله: ﴿ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: معناها: كي، وأمرت كي أعدل؛ وقال غيره: معنى الكلام: وأمرت بالعدل، والأمر واقع على ما بعده، وليست اللام التي في لأعدل بشرط؛ قال: ﴿ وَأُمِرْتُ ﴾ تقع على "أن" وعلى "كي" واللام أمرت أن أعبد، وكي أعبد، ولأعبد. قال: وكذلك كلّ من طالب الاستقبال، ففيه هذه الأوجه الثلاثة.

والصواب من القول في ذلك عندي أن الأمر عامل في معنى لأعدل، لأن معناه: وأمرت بالعدل بينكم. وقوله: ﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ يقول: الله مالكنا ومالككم معشر الأحزاب ما أهل الكتابين التوراة والإنجيل. يقول: لنا ثواب ما اكتسبناه من الأعمال، ولكم ثواب ما اكتسبتم منها.

وقوله: ﴿ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ يقول: لا خصومة بيننا وبينكم. كما: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ والحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم ﴾ قال : لا خصومة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله عز وجل: ﴿ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ لا خصومة بيننا وبينكم، وقرأ: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ

الكِتَابِ إلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ . . . . إلى آخر الآية.

وقوله: ﴿ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ﴾ يقول: الله يجمع بيننا يوم القيامة، فيقضي بيننا بالحقّ فيما اختلفنا فيه. ﴿ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ ﴾ يقول: وإليه المعاد والمرجع بعد مماتنا.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ .

يقول تعالى ذكره: والذين يخاصمون في دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا ﷺ من بعد ما استجاب له الناس، فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾ يقول: خصومتهم التي يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم ﴿ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ ﴾ يقول: وعليهم من الله غضب، ولهم في الآخرة عذاب شديد، وهو عذاب النار.

وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله ﷺ في دينهم ، وطمعوا أن يصدوهم عنه، ويردوهم عن الإسلام إلى الكفر.

ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه: حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الكِتَابَ بِالحَقِّ وَالمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ قال: هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين، ويصدّونهم عن الهدى من بعد ما استجابوا لله. وقال: هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم، وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عليه السلام وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ ﴾ قال: طمع رجال بأن تعود الجاهلية.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ

فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ﴾..... الآية، قال: هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبي الله ﷺ، فقالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن أولى بالله منكم. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ ﴾.... إلى آخر الآية، قال: نهاه عن الخصومة.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ .

يقول تعالى ذكره: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ ﴾ هذا ﴿ الْكِتَابَ ﴾ يعني القرآن ﴿ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ يقول: وأنزل الميزان وهو العدل، ليقضي بين الناس بالإنصاف، ويحكم فيهم بحكم الله الذي أمر به في كتابه، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى عليه السلام وحدثنا الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ قال: العدل.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ قال: الميزان: العدل.

وقوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء يدريك ويعلمك، لعل الساعة التي تقوم فيها القيامة قريب ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ يقول: يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها، ظنا منهم أنها غير جائية ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ يقول: والذين صدّقوا بمجيئها، ووعد الله إياهم الحشر فيها، ﴿ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ يقول: وَجِلون من مجيئها، خائفون من قيامها، لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ ﴾ يقول: ويوقنون أن مجيئها الحقّ اليقين، لا يمترون في مجيئها ﴿ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ يقول تعالى ذكره: ألا

إن الذين يخاصمون في قيام الساعة ويجادلون فيه ﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ يقول: لفي جَور عن طريق الهدى، وزيغ عن سبيل الحقّ والرشاد، بعيد من الصواب.

ثم إن تعميم القول بأن الأئمة يعلمون القرآن كله غلو فاحش، ذلك أنه كما يقول ابن جرير الطبري: "إن مما أنزل الله من القرآن ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ وذلك تفصيل ما هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة، من شرائع الدين؛ كأوامره، ونواهيه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه. فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ ، ولا يعلمه رسول الله إلا بوحي الله. ومنه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما فيه من أمور استأثر الله بعلمها؛ كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور.. ومنه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان العربي الذي نزل به القرآن"(١).

هذا وقولهم: إن علم القرآن انفرد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال، لأنه لم ينقلها - على حد زعمهم- عن رسول الله إلا واحد هو علي..

وبعد: فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده. فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريق الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم من الانتفاع به، وهي محاولة - أو حيلة - مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد؛ لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وخوطب به الناس أجمعون ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف، آية: ٢] ، ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران، آية: ١٣٨] وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من البيان والكلام (٢) .

والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ هَـٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ ، والمصنف بهذه

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٣-٧٤، ٨٧-٨٨ .
(٢) تفسير الطبري: ١/ ٨٢ .

الدعوة الخبيثة نصب نفسه مشرعا حاكماً على كتاب الله ، والله سبحانه وتعالى يقول منكراً على هؤلاء وأمثالهم ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ ، وهو انفلات واضح الهدف منه الصد عن سبيل الله والاستهانة بكتاب الله وبسنة رسوله وبالصحابة وبأهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين.

وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن الكريم، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله وسلف الأمة المكرمين . .

المسألة الثانية : أقواله بأن الأئمة اختصوا بمعرفة القرآن لا يشركهم فيه أحد:

أقول أنا الباحث سبق الحديث عن الخرافات والبدع المنكرة المستحدثة التى نقلها المصنف الكاشانى، والرد عليها وها هى المسألة الثانية التى اخترعها المصنف وعلماء الشيعة ليستمر استحواذهم على عقول وقلوب الشيعة، وليبتعدوا بهم عن الصراط المستقيم الذى أمر به جميع المسلمين الذى أساسه اتباع الدليل من الكتاب العزيز الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾، ومن سنة البشير النذير، القائل (ألا أنى أوتيت القرآن ومثله معا)، والقائل (وانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ)، فالمصنف وأمثاله ممن يشيعون الفرقة والخلاف والاختلاف بهذه الأقوال الخبيثة المنكرة، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

فإنه مما علم من الإسلام بالضرورة أن علم القرآن لم يكن سراً تتوارثه سلالة معينة، ولم يكن لعلي اختصاص بهذا دون سائر صحابة رسول الله ﷺ ، وأن الصحابة رضوان الله عليهم من المهاجرين والأنصار هم الذين مدحهم الله سبحانه وتعالى وأثنى عليهم بقوله ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾، ومن تدبر هذه الآية يجد فيها ثلاث فئات مباركة طيبة ممن شملهم تزكية الله لهم ، الفئة الأولى السابقون الأولون من المهاجرين وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون أبوبكر وعمر اللذين أمرا بجمع القرآن وحفظه بعد وفاة رسول الله ﷺ ثم

عثمان رضى الله عنه الذى أمر بكتابته وتوزيعه على الأمصار ثم جمعهم على مصحف واحد خوفاً عليهم من الفرقة والاختلاف كما هو مشهور ومعلوم، كل هذا بمشورة ومشاهدة ومشاركة ومباركة علىّ رضى الله عنه وأرضاه، والفئة المباركة الثانية السابقون الأولون من اخوانهم الأنصار شاهدين مشاركين لاخوانهم المهاجرين مباركين لهم حسن صنيعهم، والفئة الثالثة المتابعين لهم المقتدين بهم، كل هؤلاء ومن تبعهم باحسان أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم ورضى عنهم وعن أعمالهم ومن جملة ما عملوا حفظ القرآن وتعظيمه وتدبره والعمل به وتعليمه والدعوة اليه والى المحافظة عليه والاعتناء به وانشاء حلقات قراءة وحفظ القرآن وتفسيره وعلى رأس هؤلاء ابن عم رسول الله ﷺ ابن عباس الملقب بحبر الأمة وترجمان القرآن الذى أنشأ أول مدرسة لتفسير القرآن بمكة ، هم الطليعة الأولى الذين حازوا شرف تلقي هذا القرآن عن رسول البشرية محمد بن عبد الله ونقله إلى الأجيال كافة، . . ولكن المصنف وعلماء الشيعة يخالفون هذا الأصل ويعتقدون أن الله سبحانه قد اختص أئمتهم الاثني عشرية بعلم القرآن كله، وأنهم اختصوا بتأويله، وأن من طلب علم القرآن من غيرهم فقد ضل هكذا يزعمون، والذى حملهم على هذا هو استحلالهم للكذب وظنوا أن الناس سيصدقونهم ويسيرون خلفهم، لكن الله سيظهر كذبهم وافتراءهم فى الدنيا قبل الآخرة اذ هو القائل سبحانه وتعالى﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل آية: ١٠٦] فأثبت الله أن عدم ايمانهم بآيات الله هو سبب جرأتهم على هذا الافتراء والكذب، وأنا أعجب كل العجب من هؤلاء المثقفين من الشيعة الذين عطلوا قلوبهم وعقولهم وسلموها لهؤلاء الذين استحلوا الكذب حتى صار لهم ديناً، وأقول لهم والله لو تجردتم من الهوى والتعصب الأعمى لقول فلان أو غيره وسألتم الله سبحانه وتعالى قائلين اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وجلستم خاشعين متجردين تقرأون كتاب الله وخاصة الآيات التى تدل على فضل أصحاب رسول الله ﷺ التى سبق ذكرها وغيرها كثير، ومنها قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّـهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً ﴾ فى هذه الآية بيان أن

أول من آمن ووصفهم عز وجل بالمؤمنين فى هذه الآية وأمرنا باتباعهم هم صحابة رسول الله ﷺ ، بل توعد من خالفهم واتبع غير سبيلهم جهنم وساءت مصيرا.

ورغم هذه الأدلة المنهمرة الوفيرة الا أن المصنف قد أعماه هواه وسار خلف من على شاكلته وجمع فى مصنفه كل ما يؤيد ما يؤمن به ويعتقده من الباطل والكذب واليك الأمثلة:

ما يلى نقلا من تفسير الصافى:

المقدمة الثانية:

في نبذ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام.

وفي الكافي بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما انزل إلا كذاب وما جمعه وحفظه كما أنزل الله، إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده (عليهم السلام). وبإسناده عن أبي جعفر(عليه السلام) إنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء.

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم قال: هم الأئمة.

وبإسناده عنه عليه السلام قال: قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أعلم كتاب الله تعالى وفيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة والنار وخبر ما كان وما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي إن الله تعالى يقول: فيه تبيان كل شيء.

وبإسناده عنه عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله.

وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به أحدا

فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به.

وفيما ورد عن الصادق (عليه السلام) وهو ما رواه في علل الشرائع بإسناده عنه (عليه السلام) أنه قال لأبي حنيفة: أنت فقيه أهل العراق؟ فقال: نعم. قال: فبم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله تعالى وسنة نبيه. قال :يا أبا حنيفة تعرف كتاب الله حق معرفته وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: نعم. فقال: يا أبا حنيفة لقد ادعيت علما ويلك ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذي أنزله عليهم، ويلك وما هو إلا عند الخاص من ذرية نبينا وما أراك تعرف من كتابه حرفا فإن كنت كما تقول ولست كما تقول.

المقدمة الثالثة

في نبذ مما جاء في أن جل القرآن إنما نزل فيهم وفي أوليائهم وأعدائهم وبيان سر ذلك في الكافي وتفسير العياشي قال: فعلي بن أبي طالب عليه السلام إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله صلى الله عليه وآله ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله. أقول: إنما أكملت الفرائض بالولاية لان النبي صلى الله عليه وآله أنهى جميع ما استودعه الله من العلم إلى علي صلوات الله عليه ثم إلى ذريته الأوصياء واحدا بعد واحد فلما أقامهم مقامه وتمكن الناس من الرجوع إليهم في حلالهم وحرامهم و استمر ذلك بقيام واحد به بعد واحد كمل الدين وتمت النعمة ما سبق نقلاً من تفسير الصافى

الـــردود:

أقول أنا الباحث أن المصنف ومن على شاكلته يغالون فى علىّ رضي الله عنه والأئمة، بل حصروا دعوة النبى فى بيان شأن علىّ رضي الله عنه وأن القرآن هو علىّ ويوهمون أتباعهم بهذا ومن هذا الغلو قولهم بأن الأئمة وعلى رأسهم علىّ رضي الله عنه اختص بجمع القرآن وجميع العلوم، لا يشركهم فيها أحد، وهذه مغالطات ومخالفات لما كان عليه النبى ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم وعلىّ رضي الله عنه من جملة من صحبوا النبى ﷺ الذين دعاهم وعلمهم وساروا على منهجه، وآيات القرآن واضحة لاتحتاج الى بيان من هذا قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً

لّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ آية: ٢٨] ، ومن هذا المنطلق نقلت من مقدمة ابن كثير ما يدل على شيوع وانتشارعلوم القرآن بين الصحابة رضي الله عنهم.

وقال رسول الله ﷺ بُعثتُ إلى الأحمر والأسود"(١) قال مجاهد: يعني: الإنس والجن. فهو - صلوات الله وسلامه عليه - رسول الله إلى جميع الثقلين: الإنس والجن ، مُبلِّغًا لهم عن الله ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] . وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه نَدَبهم إلى تَفَهُّمه، فقال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] ، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩] ، وقال تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد: ٢٤] . فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتَعلُّم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧] .

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا - أيها المسلمون - أن ننتهي عما ذمَّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تَعلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الحديد: ١٦ ، ١٧] ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها، كذلك يلين القلوب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٢١) من حديث جابر ، رضي الله عنه.

بالإيمان بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا ذلك، إنه جواد كريم.

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: إن أصح الطرق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [النحل: ٦٤] . ولهذا قال رسول الله ﷺ « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه »(١) يعني: السنة. والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن؛ إلا أنها لا تتلى كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشافعي، رحمه الله وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنك تطلب تفسيرَ القرآن منه، فإن لم تجدْه فمن السنة، كما قال رسولُ الله ﷺ « لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: "بم تحكم؟". قال: بكتاب الله. قال: "فإن لم تجد؟". قال: بسنة رسول الله. قال: "فإن لم تجد؟". قال: أجتهد برأيي. قال: فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره، وقال: "الحمد لله الذي وفَّق رَسُولَ رسولِ الله لما يرضى رسول الله"(٢) وهذا الحديث في المساند والسنن بإسناد

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٣١) وأبو داود في السنن برقم (٤٦٠٤) من حديث المقدام ابن معدى كرب، رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٣٠) وأبو داود في السنن برقم (٣٥٩٢) والترمذي في السنن برقم (١٣٢٨) من طرق عن شعبة عن أبي عون عن الحارث بن عمرو عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ به، وقال الترمذي: "هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل، وأبو عون الثقفي اسمه محمد بن عبيد الله". وللشيخ ناصر الألباني مبحث ماتع بين فيه كلام العلماء في نقد الحديث. انظر: السلسلة الضعيفة برقم (٨٨١).

جيد، كما هو مقرر في موضعه. وحينئذ، إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين، وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنه. قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا جابر بن نوح، حدثنا الأعمش، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، قال: قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: والذي لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت؟ وأين نزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لأتيته (١).

وقال الأعمش أيضًا، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن(٢). وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا (٣). ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ « وترجمان القرآن وببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال: "اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل"(٤). وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مُسْلم قال (٥) قال عبد الله - يعني ابن مسعود -: نعْم ترجمان القرآن ابنُ عباس. ثم رواه عن يحيى ابن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيانَ، عن الأعمش، عن مسلم بن صُبَيْح أبي

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٨٠) وجابر بن نوح ضعيف لكنه توبع، فرواه البخاري في صحيحه برقم (٥٠٠٢) عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش به.
(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٠) من طريق الحسين بن واقد عن الأعمش به.
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٠) من طريق جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي.
(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٢٧) وأصله في صحيح البخاري برقم (٧٥).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٩٠).

الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: نعم الترجمان للقرآن ابن عباس(١). ثم رواه عن بُنْدَار، عن جعفر بن عَوْن، عن الأعمش(٢) به كذلك. فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود: أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة. وقد مات ابن مسعود، رضي الله عنه، في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّر بعده ابن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟.

وقال الأعمش عن أبي وائل: استخلف عليٌّ عبد الله بن عباس على الموسم، فخطب الناس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيراً لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا (٣).

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير في تفسيره، عن هذين الرجلين: عبد الله بن مسعود وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: "بلِّغوا عني ولو آية، وحَدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج، ومن كذب عَلَيَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخاري عن عبد الله (٤) ؛ ولهذا كان عبد الله بن عمرو يوم اليرموك قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب ، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

[قال سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد : كان ابن عباس إذا سئل عن الآية في القرآن قال به، فإن لم يكن وكان عن رسول الله ﷺ أخبر به ، فإن لم يكن فعن أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، فإن لم يكن اجتهد برأيه] . إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين، كمجاهد بن جَبْر (٥) فإنه كان آية في التفسير، كما قال

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ورواه الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٣٧) من طريق سفيان به.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٩٠) ورواه أبو خيثمة في العلم برقم (٤٨) من طريق جعفر بن عون به.
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨١) والفسوي في تاريخه (١/ ٤٩٥) من طريق الأعمش به.
(٤) صحيح البخاري برقم (٣٤٦١).
(٥) تفسير الطبري (١/ ٧٧).

محمد بن إسحاق : حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: عَرَضْتُ المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات ، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه ، وأسأله عنها [١] وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا طَلْق بن غنام، عن عثمان المكي، عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله [٢] . ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به [٣] .

وكسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق ابن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مُزاحم، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالا وليس كذلك، فإن منهم من يعبّر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي. وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين في الفروع ليست حجة؟ فكيف تكون حجة في التفسير؟ يعني: أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة في ذلك.

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام، وقال ابن جرير: حدثنا العباس بن عبد العظيم العَنْبَرِي، حدثنا حَبَّان بن هلال، حدثنا سهيل أخو حزم، حدثنا أبو عمران الجَوْني، عن جُنْدب؛ أن رسول الله ﷺ قال: "من قال في القرآن برأيه فقد أخطأ "(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٧٨) ورواه وكيع عن عبد الأعلى فوقفه ، رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١٢).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٧٨).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٧٩).

(٤) سنن أبي داود برقم (٣٦٥٢) وسنن الترمذي برقم (٢٩٥٣) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٨٦)

وقد روى هذا الحديث أبو داود ، والترمذي، والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القُطعي، وقال الترمذي: غريب، وقد تكلم بعض أهل العلم في سهيل(١). وفي لفظ لهم: "من قال في كتاب الله برأيه، فأصاب، فقد أخطأ" أي: لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو في النار، وإن وافق حكمه الصواب في نفس الأمر، لكن يكون أخف جرمًا ممن أخطأ، والله أعلم، وهكذا سمى الله القَذَفة كاذبين، فقال: ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣] ، فالقاذف كاذب، ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به، ولو كان أخبر بما يعلم ؛ لأنه تكلف ما لا علم له به، والله أعلم.

ولهذا تَحَرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة، عن سليمان، عن عبد الله بن مرة، عن أبي مَعْمَر، قال: قال أبو بكر الصديق، رضي الله عنه: أيّ أرض تقلّني وأي سماء تظلني؟ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمد بن يزيد، عن العَوَّام بن حَوْشَب، عن إبراهيم التَّيْمِي؛ أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس: ٣١] ، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؟ إذا أنا قلت في كتاب الله ما لا أعلم. منقطع(٢). وقال أبو عبيد أيضًا: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس؛ أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس : ٣١] ، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر(٣).

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٧٨).

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١٣) عن محمد بن عبيد عن العوام بن حوشب به.

(٣) فضائل القرآن (ص ٢٢٧) ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١٢) عن يزيد به ، ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤) من طريق يزيد عن حميد به ، وقال : "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

وقال عَبْد بن حُمَيْد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس قال: كنا عند عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- وفي ظهر قميصه أربع رقاع، فقرأ: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف فما عليك ألا تدريه (١).

وهذا كله محمول على أنهما، رضي الله عنهما، إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله: ﴿ أَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا ﴾ الآية [عبس : ٢٧ ، ٢٨] . وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن أيوب عن ابن أبي مُلَيْكَة: أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها. إسناده صحيح (٢).

وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [السجدة : ٥] ، فقال له ابن عباس: فما ﴿ يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [المعارج : ٤] ؟ فقال له الرجل: إنما سألتك لتحدثني. فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما. فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم (٣).

وقال - أيضًا - ابن جرير: حدثني يعقوب - يعني ابن إبراهيم - حدثنا ابن عُلَيَّة، عن مَهْدي بن ميمون، عن الوليد بن مسلم، قال: جاء طَلْق بن حبيب إلى جُنْدُب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن؟ فقال: أحرِّج عليك إن كنت مسلمًا إلا ما قمتَ عني، أو قال: أن تجالسني (٤).

وقال مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئًا (٥).

---

(١) ورواه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٣٢٧) ، ورواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢٩٣) عن سليمان بن حرب به مختصراً ولفظه : "نهينا عن التكلف" .
(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٦).
(٣) فضائل القرآن (ص ٢٢٨).
(٤) تفسير الطبري (١/ ٨٦).
(٥) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٥) من طريق ابن وهب عن مالك به .

وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن (١).

وقال شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شيء، يعني: عكرمة (٢).

وقال ابن شَوْذَب: حدثني يزيد بن أبي يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع(٣).

وقال ابن جرير: حدثني أحمد بن عبدة الضَّبِّيُّ، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنهم ليعظِّمون القول في التفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع(٤).

وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن هشام بن عُرْوَة، قال: ما سمعت أبي تأوَّل آية من كتاب الله قط (٥).

وقال أيوب، وابن عَوْن، وهشام الدَّسْتوائِي، عن محمد بن سيرين: سألت عبَيدة السلماني، عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن؟ فاتَّق الله، وعليك بالسداد (٦).

وقال أبو عبيد: حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبد الله بن مسلم بن يسار،

---

(١) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٦) من طريق ابن وهب عن مالك به.
(٢) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٧) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠/ ٥١١) من طريق محمد ابن جعفر عن شعبة به.
(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٦) عن العباس بن الوليد عن أبيه عن ابن شوذب به.
(٤) تفسير الطبري (١/ ٨٥).
(٥) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).
(٦) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٦) من طريق ابن علية عن أيوب وابن عون به.

عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله فقف، حتى تنظر ما قبله وما بعده [(١)].

حدثنا هُشَيْم، عن مُغيرة، عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه [(٢)].

وقال شعبة عن عبد الله بن أبي السَّفْر، قال: قال الشعبي: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله عز وجل [(٣)].

وقال أبو عبيد: حدثنا هشيم، حدثنا عمر بن أبي زائدة، عن الشعبي، عن مسروق، قال: اتقوا التفسير، فإنما هو الرواية عن الله [(٤)].

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم به؛ فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا، فلا حرج عليه ؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد؛ فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ، ولما جاء في الحديث المروى من طرق: "من سئل عن علم فكتمه، أُلْجِم يوم القيامة بلجام من نار" [(٥)].

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٢٩) ورواه أبو نعيم (٤/ ٢٢٢) من طريق جرير عن المغيرة به.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١/ ٨٧) من طريق سعيد بن عامر عن شعبة به.

(٤) فضائل القرآن (ص ٢٢٩).

(٥) جاء من حديث أبي هريرة، ومن حديث أنس، وأبي سعيد الخدري ، رضي الله عنهم. أما حديث أبي هريرة، فرواه أحمد في المسند (٢/ ٢٦٣) وأبو داود في السنن برقم (٣٦٥٨) والترمذي في السنن برقم (٢٦٤٩) وابن ماجة في السنن برقم (٢٦١) من طريق علي ابن الحكم عن عطاء عن أبي هريرة ، وقال الترمذي : "حديث حسن". وأما حديث أنس، فرواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٦٤) من طريق يوسف بن إبراهيم عن أنس ، وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١١٧) : "هذا إسناد ضعيف". وأما حديث أبي سعيد ، فرواه ابن ماجة في السنن برقم (٢٦٥) من طريق محمد بن داب عن صفوان بن سليم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبي سعيد ، وقال البوصيري في الزوائد (١/ ١١٨) : "هذا إسناد ضعيف".

فأما الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير: عن عائشة، قالت: ما كان النبي ﷺ يفسر شيئًا من القرآن إلا آيا تُعد، علمهن إيَّاه جبريل، عليه السلام. وتكلَّم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أن هذه الآيات مما لا يعلم إلا بالتوقيف عن الله تعالى، مما وقفه عليها جبريل. وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث؛ فإن من القرآن ما استأثر الله تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهله، كما صرح بذلك ابن عباس، فيما قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مُؤَمَّل، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد [عن الأعرج] (١) قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله (٢). قال ابن جرير: وقد روى نحوه في حديث في إسناده نظر : حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أنبأنا ابن وهب قال: سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي، عن أبي صالح، مولى أم هانئ، عن عبد الله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: "أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال وحرام، لا يعذر أحد بالجهالة به. وتفسير تفسره [العرب، وتفسير تفسره] العلماء. ومتشابه لا يعلمه إلا الله عز وجل ، ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب"(٣) .

---

(١) زيادة من نسخة مساعدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
(٢) تفسير الطبري (١/ ٧٥).
(٣) في هـ ، ب : "سبعة" والمثبت من جـ ، والطبري.

كتاب فضائل القرآن

قال البخاري، رحمه الله: كيف نزول الوحي وأول ما نزل:

قال ابن عباس: المهيمن الأمين القرآن، أمين على كل كتاب قبله: حدثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن يحيى عن أبي سلمة قال: أخبرتني عائشة وابن عباس قالا لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا (١).

ذكر البخاري- رحمه الله - كتاب "فضائل القرآن" بعد كتاب التفسير؛ لأن التفسير أهم ولهذا بدأ به، [ونحن قدمنا الفضائل قبل التفسير وذكرنا فضل كل سورة قبل تفسيرها ليكون ذلك باعثا على حفظ القرآن وفهمه والعمل بما فيه والله المستعان] (٢) وقول ابن عباس في تفسير المهيمن إنما يريد به البخاري قوله تعالى في المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] . قال الإمام أبو جعفر بن جرير - رحمه الله- : حدثنا المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح ، حدثني معاوية عن علي - يعني ابن أبي طلحة - عن ابن عباس في قوله: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال: المهيمن: الأمين. قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله (٣).

وفي رواية: شهيدا عليه (٤) . وقال سفيان الثوري وغير واحد من الأئمة عن أبي إسحاق السبيعي ، عن التميمي ، عن ابن عباس : ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ قال: مؤتمنا (٥) . وبنحو ذلك قال مجاهد والسدي وقتادة وابن جريج والحسن البصري وغير واحد من أئمة السلف . وأصل الهيمنة : الحفظ والارتقاب، يقال إذا رَقَب الرجل الشيء وحفظه وشهده : قد هيمن فلان عليه، فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن، وفي

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٧٨ ، ٤٩٧٩).
(٢) جاء في: "فجرينا على منواله وسننه مقتدين به" وما أثبته من ط ، جـ.
(٣) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٩) ط. المعارف.
(٤) تفسير الطبري (١٠/ ٣٧٧) ط. المعارف.
(٥) رواه الطبري في تفسيره (١٠/ ٣٧٨) ط. المعارف.

أسماء الله تعالى : المهيمن ، وهو الشهيد على كل شيء، والرقيب: الحفيظ بكل شيء.

وأما الحديث الذي أسنده البخاري: أنه، عليه السلام، أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا، فهو مما انفرد به البخاري دون مسلم، وإنما رواه النسائي من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن، عن يحيى وهو ابن أبي كثير، عن أبي سلمة عنها (١) .

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا يزيد عن داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، ثم قرأ ﴿ وَقُرآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلا ﴾ [الإسراء : ١٠٦] . هذا إسناد صحيح (٢) . أما إقامته بالمدينة عشرا فهذا ما لا خلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه، عليه الصلاة والسلام، أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارا في الكلام؛ لأن العرب كثيرا ما يحذفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل، عليه السلام، به عليه السلام. فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به، عليه السلام، ميكائيل في ابتداء الأمر، يلقى إليه الكلمة والشيء، ثم قرن به جبريل.

ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن: أنه ابتدئ بنزوله في مكان شريف ، وهو البلد الحرام ، كما أنه كان في زمن شريف وهو شهر رمضان، فاجتمع له شرف الزمان والمكان؛ ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن في شهر رمضان؛ لأنه ابتدئ نزوله فيه؛ ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله ﷺ في كل سنة في شهر رمضان، فلما كان في السنة التي توفى فيها عارضه به مرتين تأكيدا وتثبيتًا.

وأيضا في هذا الحديث بيان أنه من القرآن مكّي ومنه مدني ، فالمكي : ما نزل قبل

---

(١) سنن النسائي الكبرى برقم (٧٩٧٧).

(٢) فضائل القرآن (ص ٢٢٢) ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٢٢) من طريق يزيد بن هارون به، وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

الهجرة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة، سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أي البلاد كان، حتى ولو كان بمكة أو عرفة. وقد أجمعوا على سور أنها من المكي وأخر أنها من المدني، واختلفوا في أخر، وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط في تقييدها عسر ونظر، ولكن قال بعضهم: كل سورة في أولها شيء من الحروف المقطعة فهي مكية إلا البقرة وآل عمران، كما أن كل سورة فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فهي مدنية وما فيها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا، والغالب أنه مكي. وقد يكون مدنيا كما في البقرة ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢٠] ، ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ [البقرة: ١٦٨] .

قال أبو عبيد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم ابن علقمة : كل شيء في القرآن : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإنه أنزل بالمدينة، وما كان ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ فإنه أنزل بمكة (١) ثم قال: حدثنا علي بن معبد، عن أبي المَلِيح، عن ميمون بن مِهْران، قال: ما كان في القرآن : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ ﴾ و﴿ يَابَنِي آدَمَ ﴾ فإنه مكي، وما كان: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ فإنه مدني (٢) .

ومنهم من يقول: إن بعض السور نزل مرتين، مرة بالمدينة ومرة بمكة، والله أعلم. ومنهم من يستثني من المكي آيات يدعي أنها من المدني، كما في سورة الحج وغيرها. والحق في ذلك ما دل عليه الدليل الصحيح، فالله أعلم. وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح بن علي بن أبي طلحة، قال: نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنفال، والتوبة، والحج، والنور، والأحزاب، والذين كفروا، والفتح، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والحواريون، والتغابن ، و﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ و ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ والفجر، ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ و ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ و ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ و﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ و ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ﴾ و ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ وسائر ذلك

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢٢).
(٢) فضائل القرآن (ص ٢٢٢).

بمكة(١).

وهذا إسناد صحيح عن ابن أبي طلحة مشهور، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير، وقد ذكر في المدني سورا في كونها مدنية نظر، وفاته الحجرات والمعوذات.

الحديث الثاني: وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا معتمر قال: سمعت أبي عن أبي عثمان قال: أنبئت أن جبريل، عليه السلام، أتى النبي ﷺ وعنده أم سلمة، فجعل يتحدث، فقال النبي ﷺ: "من هذا ؟" أو كما قال، قالت: هذا دحية الكلبي، فلما قام قلت: والله ما حسبته إلا إياه، حتى سمعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يُخبر خَبر جبريل. أو كما قال، قال أبي: فقلت لأبي عثمان: ممن سمعت هذا؟ فقال: من أسامة بن زيد. وهكذا رواه أيضا في علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسي، ومسلم في فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد [ومحمد بن عبد الأعلى] كلهم عن معتمر بن سليمان به.

والغرض من إيراد هذا الحديث هاهنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام وهو ملك كريم ذو وجاهة وجلالة ومكانة كما قال: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾ [الشعراء: ١٩٣، ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ الآيات [التكوير: ١٩ - ٢٢]. فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً ﷺ وسنستقصي الكلام على تفسير هذا الكتاب (٢) في موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة.

وفي الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة، رضي الله عنها - كما بينه مسلم رحمه الله - لرؤيتها لهذا الملك العظيم، وفضيلة أيضا لدحية بن خليفة الكلبي، وذلك أن جبريل- عليه السلام- كان كثيرا ما يأتي رسول الله ﷺ على صورة دحية وكان

(١) فضائل القرآن (ص ٢٢١).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٠)، (٣٦٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٤٥١).

جميل الصورة، رضي الله عنه، وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة وهم قبيلة من قضاعة، وقضاعة قيل: إنهم من عدنان، وقيل: من قحطان، وقيل: بطن مستقل بنفسه، والله أعلم.

الحديث الثالث: حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا الليث بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: "ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة" (١).

ورواه أيضا في [كتاب] الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ومسلم والنسائي عن قتيبة جميعا، عن الليث بن سعد، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبيه - واسمه كيسان المقبري - به.

وفي هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء، وعلى كل كتاب أنزله، وذلك أن معنى الحديث: ما من نبي إلا أعطى من المعجزات ما آمن عليه البشر، أي: ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر، ثم لما مات الأنبياء لم يبق لهم معجزة بعدهم إلا ما يحكيه أتباعهم عما شاهده في زمانه، فأما الرسول الخاتم للرسالة محمد صلى الله عليه وسليم فإنما كان معظم ما آتاه الله وحيا منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر، ففي كل حين هو كما أنزل، فلهذا قال: "فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا"، وكذلك وقع، فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ودوامها إلى قيام الساعة، واستمرار معجزته؛ ولهذا قال الله: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً ﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣] ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨١)، (٧٢٧٤).

مثله فعجزوا، فقال: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨] ، وقصر التحدي على هذا المقام في السور المكية كما ذكرنا وفي المدنية أيضا كما في سورة البقرة، حيث يقول تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فأخبرهم بأنهم عاجزون عن معارضته بمثله، وأنهم لا يفعلون ذلك في المستقبل أيضا، وهذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه، لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشرية من الكلام الفصيح البليغ، الوجيز، المحتوي على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة، والأخبار الصادقة عن الغيوب الماضية والآتية، والأحكام العادلة والمحكمة، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥] .

وقال الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق قال: ذكر محمد بن كعب القرظي عن الحارث بن عبد الله الأعور قال: قلت : لآتين أمير المؤمنين، فلأسألنه عما سمعت العشية [قال] فجئته بعد العشاء، فدخلت عليه، فذكر الحديث. قال: ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أتاني جبريل فقال: يا محمد، أمتك مختلفة بعدك". قال: "فقلت له: فأين المَخْرَج يا جبريل؟" قال: فقال: "كتاب الله به يَقْصِم الله كلَّ جبار، من اعتصم به نجا، ومن تركه هلك، مرتين، قول فَصْل وليس بالهزل، لا تخلقه الألسن، ولا تفنى عجائبه، فيه نبأ من كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم" " هكذا رواه الإمام أحمد(١). وقال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عبد بن حميد، حدثنا حسين بن علي الجعفي، حدثنا حمزة الزيات، عن أبي المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور، عن الحارث الأعور، قال : مررت في المسجد فإذا الناس يخوضون في الأحاديث فدخلت علَى عليّ فقلت: يا أمير المؤمنين، ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت : نعم. قال: أما

---

(١) المسند (١/ ٩١).

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنها ستكون فتنة" فقلت: ما المَخْرج منها يا رسول الله؟ قال: "كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحُكْم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهَزْل، من تركه من جبار قَصَمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تَلْتَبِس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يَخْلَق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذْ سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ﴾ [الجن: ١، ٢] ، من قال به صَدَق، ومن عمل به أجِر، ومن حكم به عَدَل، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم". خذها إليك يا أعور، ثم قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات، وإسناده مجهول وفي حديث الحارث مقال (١) .

قلت: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بل قد رواه محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، عن الحارث الأعور، فبرئ حمزة من عهدته، على أنه وإن كان ضعيف الحديث إلا أنه إمام في القراءة والحديث، مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما إنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم.

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي، رضي الله عنه، وقد وَهِم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه فضائل القرآن: حدثنا أبو اليقظان، حدثنا عمار بن محمد الثوري أو غيره عن أبي إسحاق الهجري، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: "إن هذا القرآن مأدبة الله تعالى فتعلموا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله عز وجل، وهو النور المبين، والشفاء النافع، عِصْمَة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم، لا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه، ولا يَخْلَق عن كثرة

(١) سنن الترمذي برقم (٢٩٠٦).

الرد، فاتلوه، فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول لكم الم حرف، ولكن ألف عشر، ولام عشر، وميم عشر" (١) . وهذا غريب من هذا الوجه، وقد رواه محمد بن فضيل عن أبي إسحاق الهجري، واسمه إبراهيم بن مسلم، وهو أحد التابعين، ولكن تكلموا فيه كثيرا.

وقال أبو حاتم الرازي: لين ليس بالقوي. وقال أبو الفتح الأزدي: رفَّاع كثير الوهم. قلت: فيحتمل، والله أعلم، أن يكون وهم في رفع هذا الحديث، وإنما هو من كلام ابن مسعود ، ولكن له شاهد من وجه آخر، والله أعلم.

وقال أبو عبيد أيضا: حدثنا حجاج عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: لا يسأل عبد عن نفسه إلا القرآن، فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله (٢) .

الحديث الرابع: قال البخاري: حدثنا عمرو بن محمد، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب (٣) ، قال: أخبرني أنس بن مالك أن الله تابع الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته حتى توفاه أكثر ما كان الوحي، ثم توفى رسول الله ﷺ بعد. وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلواني وعبد بن حميد والنسائي عن إسحاق ابن منصور الكوسج ، أربعتهم عن يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري به (٤).

ومعناه: أن الله تعالى تابع نزول الوحي على رسول الله ﷺ شيئًا بعد شيء كل وقت بما يحتاج إليه، ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التي كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ [العلق: ١] فإنه استلبث الوحي بعدها حينا يقال: قريبا من سنتين أو أكثر، ثم حمي الوحي وتتابع، وكان أول شيء نزل بعد تلك الفترة ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ [المدثر: ١، ٢] .

---

(١) فضائل القرآن (ص ٢١) ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٥) من طريق الهجري به.
(٢) فضائل القرآن (ص ٢١).
(٣) في ط ، جـ : "أبي".
(٤) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٢) وصحيح مسلم برقم (٣٠١٦).

الحديث الخامس: حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندبا يقول: اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتته امرأة فقالت: يا محمد، ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ١ - ٣] (١) وقد رواه البخاري في غير موضع أيضا، ومسلم والترمذي والنسائي من طرق أخر (٢) عن سفيان - وهو الثوري - وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدي، عن جندب بن عبد الله البجلي، به . والمناسبة في ذكر هذا الحديث والذي قبله في فضائل القرآن: أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة، حيث جعل الوحي متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ؛ ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك في أبلغ العناية والإكرام.

قال البخاري- رحمه الله-: نزل القرآن بلسان قريش والعرب، قرآنا عربيا، بلسان عربي مبين، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب عن الزهري: أخبرني أنس بن مالك قال: فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف، وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن نزل بلسانهم، ففعلوا (٣).

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتي قريبا والكلام عليه ومقصود البخاري منه ظاهر ، وهو أن القرآن نزل بلغة قريش ، وقريش خلاصة العرب ؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، حدثنا يزيد ، حدثنا شيبان ، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يملى في مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٣).
(٢) صحيح البخاري برقم (١١٥٢، ٤٩٥٠، ٤٩٥١) وصحيح مسلم برقم (١٧٩٧) وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٥) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٨١).
(٣) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٤).

صحيح[١]. وقال أيضا: حدثنا إسماعيل بن أسد، حدثنا هوذة، حدثنا عوف، عن عبد الله بن فضالة، قال: لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفرا من أصحابه وقال: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر ، فإن القرآن نزل بلغة رجل من مضر [٢] وقد قال الله تعالى : ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥] ، وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠٣] ، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ الآية [فصلت: ٤٤] ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

جمع القرآن:

قال المؤلف، رحمه الله [٣] فائدة جليلة حسنة: ثبت في الصحيحين عن أنس قال: جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة ، كلهم من الأنصار؛ أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. فقيل له: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي. وفي لفظ للبخاري عن أنس قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة؛ أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ونحن ورثناه.

قلت: أبو زيد هذا ليس بمشهور؛ لأنه مات قديما، وقد ذكروه في أهل بدر، وقال بعضهم: سعيد بن عبيد. ومعنى قول أنس: "ولم يجمع القرآن". يعني من الأنصار سوى هؤلاء، وإلا فمن المهاجرين جماعة كانوا يجمعون القرآن كالصديق، وابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة وغيرهم.

قال الشيخ أبو الحسن الأشعري، رحمه الله: قد علم بالاضطرار أن رسول الله ﷺ قدم أبا بكر في مرض الموت ليصلي بالناس، وقد ثبت في الخبر المتواتر "أن

---

(١) المصاحف (ص ١٧).
(٢) المصاحف (ص ١٧).
(٣) تفسير ابن كثير.

الرسول ﷺ قال: "ليؤم القوم أقرؤهم" (١) فلو لم يكن الصديق أقرأ القوم لما قدمه عليهم. نقله أبو بكر بن زنجويه في كتاب فضائل الصديق عن الأشعري.

وحكى القرطبي في أوائل تفسيره عن القاضي أبي بكر الباقلاني أنه قال - بعد ذكره حديث أنس بن مالك هذا - : فقد ثبت بالطرق المتواترة أنه جمع القرآن عثمان، وعلي، وتميم الداري، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو بن العاص. فقول أنس: "لم يجمعه غير أربعة" يحتمل لم يأخذه تلقيا من فِي رسول الله ﷺ غير هؤلاء الأربعة، وأن بعضهم تلقى بعضه عن بعض. قال: وقد تظاهرت الروايات بأن الأئمة الأربعة جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ لأجل سبقهم إلى الإسلام، وإعظام الرسول لهم (٢) .

قال القرطبي: لم يذكر القاضي ابن مسعود وسالما مولى أبي حذيفة رضي الله عنه وهما ممن جمع القرآن (٣) [نقلت هذه من على ظهر الجزء الأول من أجزاء المؤلف] .

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن شهاب، عن عبيد بن السباق، أن زيد بن ثابت قال: أرسل إليّ أبو بكر - مقتل أهل اليمامة - فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر: إن عمر بن الخطاب أتاني، فقال: إن القتل قد استَحَرَّ بقُرَّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عم: هذا والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن. قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال: هو والله خير. فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٦٧٢) من حديث عقبة بن عمرو، رضي الله عنه.
(٢) تفسير القرطبي (١/ ٥٧).
(٣) تفسير القرطبي (١/ ٥٧).

وعمـر ، رضي الله عنهما. فـتتبـعت القرآن أجمـعه من العُسُب واللِّخَـاف وصدور الرجال ، ووجـدت آخر سورة التوبة مع أبي خـزيمة الأنصاري لم أجدها مع غـيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ﴾ [التـوبة: ١٢٨] حـتى خـاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بـكر حتى توفاه الله، ثم عند عـمر حيـاته، ثم عند حفـصة بنت عمر، رضي الله عنهم (١) .

وهذا من أحسن وأجل وأعظم مـا فعله الصديق-رضي الله عنه- فإنه أقـامه الله بعد النبي صلى الله عليه وسلم مـقاما لا ينبغي لأحد بعده، قـاتل الأعداء من مانعي الزكاة، والمرتدين، والفـرس والروم، ونفذ الجـيوش، وبعث البعـوث والسرايا، ورد الأمر إلى نصابه بعد الخوف من تفرقه وذهابه، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله، وكان هذا من سر قوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] فجمع الصـديق الخير وكف الشرور، رضي الله عنه وأرضاه. ولهذا روى غـير واحد من الأئمة منهم وكِـيع وابن زيد وقبيصة عن سـفيان الثوري عن إسماعـيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن عـبد خير، عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه قـال: أعظم الناس أجرا في المصـاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين (٢) إسناده صحيح.

وقال أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف: حدثنا هارون بن إسحاق، حدثنا عبده، عن هشام، عن أبيه، أن أبا بكر هو الذي جمع القرآن بعد النبي ﷺ ، يقول: ختمه (٣) صحيح أيضا. وكان عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- هو الذي تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء، أي اشتد القـتل وكثر في قراء القرآن يوم اليمامة، يعني: يوم اليمامة، يعني يوم قـتال مسيلمة الكذاب وأصحابه ومن بني حنيفـة بأرض اليمامة في حديقة الموت، وذلك أن مسـيلمة التف معه من المرتدين قريب من مـائة ألف، فجهز الصديق لقتاله خـالد بن الوليد في قريب من ثلاثة عشر ألفًا، فالتقـوا معهم فانكشف

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٦).
(٢) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (ص ١٥٦) وابن أبي داود في المصاحف (ص ١١).
(٣) المصاحف (ص ١٢).

الجيش الإسلامي لكثرة من فيه من الأعراب، فنادى القراء من كبار الصحابة: يا خالد، يقولون: ميزنا من هؤلاء الأعراب فتميزوا منهم، وانفردوا، فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف، ثم صدقوا الحملة، وقاتلوا قتالا شديدا، وجعلوا يتنادون: يا أصحاب سورة البقرة، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم وولّى جيش الكفار فارا، وأتبعتهم السيوف المسلمة في [أقنيتهم] قتلا وأسرا، وقتل الله مسيلمة، وفرق شمل أصحابه، ثم رجعوا إلى الإسلام، ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة، رضي الله عنهم، فلهذا أشار عمر على الصِّديق بأن يجمع القرآن؛ لئلا يذهب منه شيء بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال، فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته، فراجعه الصديق قليلا ليثبت في الأمر، ثم وافقه، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت في ذلك ثم صارا إلى ما رآياه، رضي الله عنهم أجمعين، وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصاري؛ ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد بن خَلاد، حدثنا يزيد، حدثنا مبارك بن فضالة، عن الحسن؛ أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل: كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة، فقال: إنا لله، فأمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه في المصحف (١).

هذا منقطع، فإن الحسن لم يدرك عمر، ومعناه: أشار بجمعه فجمع؛ ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا أبو الطاهر حدثنا ابن وهب، حدثنا عمر بن طلحة الليثي، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، أن عمر لما جمع القرآن كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان (٢).

وذلك عن أمر الصديق له في ذلك، كما قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أبو الطاهر، حدثنا ابن وهب ، أخبرني ابن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق أبو بكر - رضي الله عنه - أن يضيع، فقال

(١) المصاحف (ص ١٦).
(٢) المصاحف (ص ١٧).

لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت: فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه (١)، منقطع حسن.

ولهذا قال زيد بن ثابت: وجدت آخر سورة التوبة، يعني قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ إلى آخر الآيتين [التوبة: ١٢٨، ١٢٩] ، مع أبي خزيمة الأنصاري، وفي رواية: مع خزيمة بن ثابت الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين في قصة الفرس التي ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابي، فأنكر الأعرابي البيع، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ ، فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابي. والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور (٢) ، وروى أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن أبيّ بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت (٣) .

وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثي ، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن يحيى ابن عبد الرحمن بن حاطب؛ أن عثمان شهد بذلك أيضًا (٤) .

وأما قول زيد [بن ثابت] ، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب واللِّخاف وصدور الرجال" وفي رواية: "من العسب والرِّقَاع والأضلاع، وفي رواية: "من الأكتاف والأقتاب وصدور الرجال" .

أما العُسُب فجمع عسيب. قال أبو النصر إسماعيل بن حماد الجوهري: وهو من السعف فويق الكرَب لم ينبت عليه الخوص، وما نبت عليه الخوص فهو السعف.

واللِّخاف: جمع لَخْفَة وهي القطعة من الحجارة مستدقة، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير ذلك، مما يمكنهم الكتابة عليه مما يناسب ما يسمعونه من القرآن من رسول الله ﷺ ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه، فكان يحفظه، فتلقاه زيد بن ثابت من هذا من عسيبه، ومن هذا من لخافه، ومن صدر هذا، أي من

(١) المصاحف (ص ١٢).
(٢) سنن أبي داود برقم (٣٦٠٧) وسنن النسائي (٧/ ٣٠٢).
(٣) رواه أحمد في المسند (٥/ ١٣٤) من طريق عمر بن شقيق عن أبي جعفر به.
(٤) رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ١٧).

حفظه، وكانوا أحرص شيء على أداء الأمانات وهذا من أعظم الأمانة؛ لأن رسول الله ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده كما قال [الله] تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة : ٦٧] ، ففعل، صلوات الله وسلامه عليه، ما أمر به؛ ولهذا سألهم في حجة الوداع يوم عرفة على رؤوس الأشهاد، والصحابة أوفر ما كانوا مجتمعين، فقال: "إنكم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟ " . فقالوا: نشهد أنك قد بَلّغت وأدَّيت ونصحت، فجعل يشير بأصبعه إلى السماء، وينكبها عليهم ويقول: "اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد" . رواه مسلم عن جابر(١). وقد أمر أمته أن يبلغ الشاهد الغائب وقال: "بَلّغوا عني ولو آية"(٢) يعني: ولو لم يكن مع أحدكم سوى آية واحدة فليؤدها إلى من وراءه، فبلّغوا عنه ما أمرهم به، فأدوا القرآن قرآنا، والسنة سنة، لم يلبسوا هذا بهذا؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: "من كتب عني سوى القرآن فليمحه"(٣) أي: لئلا يختلط بالقرآن، وليس معناه: ألا يحفظوا السنة ويرووها، والله أعلم.

فلهذا نعلم بالضرورة أنه لم يبق من القرآن مما أداه الرسول ﷺ إليهم إلا وقد بلغوه إلينا، ولله الحمد والمنة، فكان الذي فعله الشيخان أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - من أكبر المصالح الدينية وأعظمها، من حفظهما كتاب الله في الصحف؛ لئلا يذهب منه شيء بموت من تلقاه عن رسول الله ﷺ ، ثم كانت تلك الصحف عند الصديق أيام حياته، ثم أخذها عمر بعده محروسة معظمة مكرمة، فلما مات كانت عند حفصة أم المؤمنين - رضي الله عنها - حتى أخذها منها أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

قال البخاري، رحمه الله : حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، عن أنس بن مالك ، حدثه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان بن عفان -رضي الله عنهما- وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل

---

(١) صحيح مسلم برقم (١٢١٨).
(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما.
(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٢٩٩) من حديث أبي سعيد، رضي الله عنه.

العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم. ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في محل صحيفة أو مصحف أن يحرق. قال ابن شهاب الزهري: فأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، التمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ، فألحقناها في سورتها في المصحف (١).

وهذا - أيضا - من أكبر مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- فإن الشيخين سبقاه إلى حفظ القرآن أن يذهب منه شيء وهو جمع الناس على قراءة واحدة؛ لئلا يختلفوا في القرآن، ووافقه على ذلك جميع الصحابة، وإنما روي عن عبد الله بن مسعود شيء من التغضب بسبب أنه لم يكن ممن كتب المصاحف وأمر أصحابه بغل مصاحفهم لما أمر عثمان بحرقه ماعدا المصحف الإمام، ثم رجع ابن مسعود إلى الوفاق حتى قال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه: لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا. فاتفق الأئمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي - رضي الله عنهم - على أن ذلك من مصالح الدين، وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي"(٢) وكان السبب في هذا حذيفة بن اليمان-رضي الله عنه- لما كان غازيا في فتح أرمينية وأذربيجان، وكان قد اجتمع هناك أهل الشام

(١) صحيح البخاري برقم (٤٩٨٧ ، ٤٩٨٨).

(٢) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٢٦) وأبو داود في السنن برقم (٤٦٠٧) والترمذي في السنن برقم (٢٦٧٦) وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

والعراق وجعل حذيفة يسمع منهم قراءات على حروف شتى، ورأى منهم اختلافا وافتراقا، فلما رجع إلى عثمان أعلمه وقال لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

وذلك أن اليهود والنصارى مختلفون فيما بأيديهم من الكتب، فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة، والسامرة يخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعان أيضا، وليس في توراة السامرة حرف الهمزة ولا حرف الياء، والنصارى - أيضا - بأيديهم توراة يسمونها العتيقة وهي مخالفة لنسختي اليهود والسامرة، وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فأربعة: إنجيل مرقس، وإنجيل لوقا وإنجيل متى، وإنجيل يوحنا، وهي مختلفة - أيضا - اختلافا كثيرا، وهذه الأناجيل الأربعة كل منها لطيف الحجم منها ما هو قريب من أربع عشرة ورقة بخط متوسط، ومنها ما هو أكثر من ذلك إما بالنصف أو بالضعف، ومضمونها سيرة عيسى وأيامه وأحكامه وكلامه وفيه شيء قليل مما يدعون أنه كلام الله، وهي مع هذا مختلفة، كما قلنا، وكذلك التوراة مع ما فيها من التبديل والتحريف، ثم هما منسوخان بعد ذلك بهذه الشريعة المحمدية المطهرة.

فلما قال حذيفة لعثمان ذلك أفزعه وأرسل إلى حفصة أم المؤمنين أن ترسل إليه بالصحف التي عندها مما جمعه الشيخان ليكتب ذلك في مصحف واحد، وينفذه إلى الآفاق، ويجمع الناس على القراءة به وترك ما سواه، ففعلت حفصة وأمر عثمان هؤلاء الأربعة وهم زيد بن ثابت الأنصاري، أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وعبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أحد فقهاء الصحابة ونجبائهم علما وعملا وأصلا وفضلا وسعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية القرشي الأموي، وكان كريما جوادا ممدحا، وكان أشبه الناس لهجة برسول الله ﷺ وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، فجلس هؤلاء النفر يكتبون القرآن نسخا، وإذا اختلفوا في وضع الكتابة على أي لغة رجعوا إلى عثمان، كما اختلفوا في التابوت أيكتبونه بالتاء والهاء، فقال زيد بن ثابت: إنما هو التابوه وقال الثلاثة القرشيون: إنما هو التابوت فتراجعوا إلى عثمان فقال: اكتبوه بلغة قريش، فإن القرآن نزل بلغتهم.

وكان عثمان - والله أعلم - رتب السور في المصحف، وقدم السبع الطوال وثنى بالمئين؛ ولهذا روى ابن جرير وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث غير واحد من الأئمة الكبار، عن عوف الأعرابي، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموها في السبع الطوال؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، فإذا أنزلت عليه الآية فيقول: ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، وحسبت أنها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" فوضعتها في السبع الطوال (١).

ففهم من هذا الحديث أن ترتيب الآيات والسور أمر توقيفي متلقى عن الرسول ﷺ وأما ترتيب السور فمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- ولهذا ليس لأحد أن يقرأ القرآن إلا مرتبا؛ فإن نكسه أخطأ خطأ كبيرا. وأما ترتيب السور فمستحب اقتداء بعثمان -رضي الله عنه- والأولى إذا قرأ أن يقرأ متواليا كما قرأ ﷺ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين وتارة بسبح وهل أتاك حديث الغاشية، فإن فرق جاز، كما صح أن رسول الله ﷺ قرأ في العيد بقاف واقتربت الساعة، رواه مسلم عن أبي واقد (٢) في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة : الم السجدة ، وهل أتى على

---

(١) تفسير الطبري (١/ ١٠٢) وسنن أبي داود برقم (٧٨٦) وسنن الترمذي برقم (٣٠٨٦) وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٠٧) ويزيد الفارسي مجهول وقد انفرد بهذا الحديث.

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٩١).

الإنسان (١).

وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضا، فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران، أخرجه مسلم (٢) .

وقرأ عمر في الفجر بسورة النحل ثم بيوسف. ثم إن عثمان رد الصحف إلى حفصة ، فلم تزل عندها حتى أرسل إليها مروان بن الحكم يطلبها فلم تعطه حتى ماتت، فأخذها من عبد الله بن عمر فحرقها لئلا يكون فيها شيء يخالف المصاحف التي نفذها عثمان إلى الآفاق ، مصحفا إلى أهل مكة ، ومصحفا إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن، وآخر إلى البحرين ، وترك عند أهل المدينة مصحفا، رواه أبو بكر بن أبي داود عن أبي حاتم السجستاني، سمعه يقوله (٣) وصحح القرطبي أنه إنما نفذ إلى الآفاق أربعة مصاحف. وهذا غريب، وأمر بما عدا ذلك من مصاحف الناس أن يحرق لئلا تختلف قراءات الناس في الآفاق، وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك ولم ينكره أحد منهم، وإنما نقم عليه ذلك أولئك الرهط الذين تمالؤوا عليه وقتلوه، قاتلهم الله، وفي ذلك جملة ما أنكروه مما لا أصل له، وأما سادات المسلمين من الصحابة، ومن نشأ في عصرهم ذلك من التابعين، فكلهم وافقوه.

قال أبو داود الطيالسي وابن مهدي وغُنْدَر عن شعبة، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد، عن رجل، عن سُوَيد بن غفلة، قال عليّ حين حرق عثمان المصاحف : لو لم يصنعه هو لصنعته(٤).

وقال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا أحمد بن سِنَان، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم

(١) صحيح البخاري برقم (٨٩١) وصحيح مسلم برقم (٨٨٠).
(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٢).
(٣) المصاحف لابن أبي داود (ص ٤٣).
(٤) رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص١٩).

أحد(١) . وهذا إسناد صحيح.

وقال أيضا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف، حدثنا يحيى بن كثير، حدثنا ثابت بن عمارة الحنفي، قال: سمعت غنيم بن قيس المازني قال: قرأت القرآن على الحرفين جميعا، والله ما يسرني أن عثمان لم يكتب المصحف، وأنه ولد لكل مسلم كلما أصبح غلام، فأصبح له مثل ماله. قال: قلنا له: يا أبا العنبر، ولم؟ قال: لو لم يكتب عثمان المصحف لطفق الناس يقرؤون الشعر (٢) .

حدثنا يعقوب بن سفيان، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثني عمران بن حدير، عن أبي مِجْلَز قال: لولا أن عثمان كتب القرآن لألفيت الناس يقرؤون الشعر. حدثنا أحمد بن سنان قال: سمعت ابن مهدي يقول: خصلتان لعثمان بن عفان ليستا لأبي بكر ولا لعمر: صبره نفسه حتى قتل مظلومًا، وجمعه الناس على المصحف (٣).

وأما عبد الله بن مسعود فقد قال إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حميد بن مالك قال: لما أمر عثمان بالمصاحف - يعني بتحريقها - ساء ذلك عبد الله بن مسعود وقال: من استطاع منكم أن يغلَّ مصحفًا فليغلل، فإنه من غلَّ شيئًا جاء بما غل يوم القيامة.

ثم قال عبد الله: لقد قرأت القرآن من فِي رسول الله ﷺ سبعين سورة وزيد صبي، أفأترك ما أخذت من فِي رسول الله ﷺ وقال أبو بكر: حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان، حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا ابن شهاب، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: خطبنا ابن مسعود على المنبر فقال : ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١] ، غلوا مصاحفكم، وكيف تأمروني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، وقد قرأت القرآن من فِي رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، وإن زيد بن ثابت ليأتي مع الغلمان له ذؤابتان ، والله ما نزل من القرآن شيء إلا وأنا أعلم في أي شيء نزل، وما أحد أعلم بكتاب الله مني، وما أنا بخيركم، ولو أعلم

---

(١) المصاحف (ص١٩).
(٢) المصاحف (ص ١٩).
(٣) المصدر السابق.

مكانا تبلغه الإبل أعلم بكتاب الله مني لأتيته. قال أبو وائل: فلما نزل عن المنبر جلست في الحلق، فما أحد ينكر ما قال (١). أصل هذا مخرج في الصحيحين(٢) وعندهما: ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله. وقول أبي وائل: "فما أحد ينكر ما قال"، يعني: من فضله وعلمه وحفظه، والله أعلم.

وأما أمره بغَلّ المصاحف وكتمانها، فقد أنكره عليه غير واحد. قال الأعمش عن إبراهيم، عن علقمة، قال: قدمت الشام فلقيت أبا الدرداء، فقال: كنا نعد عبد الله جبانا فما باله يواثب الأمراء (٣).

وقال أبو بكر بن أبي داود: باب رضا عبد الله بن مسعود بجمع عثمان المصاحف بعد ذلك: حدثنا عبد الله بن سعيد ومحمد بن عثمان العجلي قالا حدثنا أبو أسامة، حدثني الوليد بن قيس، عن عثمان بن حسان العامري، عن فُلفُلة الجعفي قال: فزعت فيمن فزع إلى عبد الله في المصاحف، فدخلنا عليه، فقال رجل من القوم: إنا لم نأتك زائرين، ولكنا جئنا حين راعنا هذا الخبر، فقال: إن القرآن أنزل على نبيكم من سبعة أبواب، على سبعة أحرف - أو حروف - وإن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو نزل - من باب واحد على حرف واحد(٤). وهذا الذي استدل به أبو بكر -رحمه الله- على رجوع ابن مسعود فيه نظر، من جهة أنه لا يظهر من هذا اللفظ رجوع عما كان يذهب إليه، والله أعلم.

وقال أبو بكر أيضا: حدثنا عمي، حدثنا أبو رجاء، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن مصعب بن سعد قال: قام عثمان فخطب الناس فقال: [يا] أيها الناس عهدكم بنبيكم منذ ثلاث عشرة وأنتم تمترون في القرآن، وتقولون: قراءة أبي وقراءة عبد الله، يقول الرجل: والله ما تقيم قراءتك، وأعزم على كل رجل منكم ما كان معه من كتاب الله لما جاء به، فكان الرجل يجيء بالورقة والأديم فيه القرآن حتى

---

(١) المصاحف (ص ٢١).
(٢) المصاحف (ص ٢٣).
(٣) صحيح البخاري برقم (٥٠٠٠) وصحيح مسلم برقم (٢٤٦٢).
(٤) المصاحف (ص ٢٥).

جمع من ذلك كثرة، ثم دخل عثمان فدعاهم رجلا رجلا فناشدهم: لسمعت رسول الله ﷺ أمله عليك فيقول: نعم، فلما فرغ من ذلك عثمان قال: من أكتَبُ الناس؟ قالوا : كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت. قال: فأي الناس أعرب؟ قالوا: سعيد بن العاص. قال عثمان: فليملْ سعيد، وليكتب زيد. فكتب زيد مصاحف ففرقها في الناس، فسمعت بعض أصحاب رسول الله ﷺ يقولون قد أحسن(١) إسناده صحيح.

وقال أيضا: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد ، حدثنا أبو بكر، حدثنا هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن كثير بن أفلح قال: لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلا من قريش والأنصار ، فيهم أبيّ بن كعب وزيد بن ثابت، قال: فبعثوا إلى الربعة التي في بيت عمر فجيء بها، قال: وكان عثمان يتعاهدهم، وكانوا إذا تدارؤوا في شيء أخره. قال محمد : فقلت لكثير - وكان فيهم فيمن يكتب - : هل تدرون لم كانوا يؤخرونه؟ قال: لا. قال محمد: فظننت ظنا إنما كانوا يؤخرونها لينظروا أحدثهم عهدا بالعرضة الأخيرة فيكتبونها على قوله(٢) صحيح أيضا.

قلت: الربعة هي الكتب المجتمعة، وكانت عند حفصة -رضي الله عنها- فلما جمعها عثمان -رضي الله عنه- في المصحف، ردها إليها ، ولم يحرقها في جملة ما حرقه مما سواها، إلا أنها هي بعينها الذي كتبه، وإنما رتبه، ثم إنه كان قد عاهدها على أن يردها إليها، فما زالت عندها حتى ماتت، ثم أخذها مروان بن الحكم فحرقها وتأول في ذلك ما تأول عثمان، كما رواه أبو بكر بن أبي داود:

حدثنا محمد بن عوف، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله: أن مروان كان يرسل إلى حفصة يسألها الصحف التي كتب منها القرآن، فتأبى حفصة أن تعطيه إياها. قال سالم: فلما توفيت حفصة ورجعنا من

---

(١) المصاحف (ص ٢٥).
(٢) المصاحف (ص ٣١).
-١٢٣ المصاحف (ص ٣٣).

دفنها أرسل مروان بالعزيمة إلى عبد الله بن عمر ليرسلن إليه بتلك الصحف، فأرسل بها إليه عبد الله بن عمر فأمر بها مروان فشققت، وقال مروان: إنما فعلت هذا لأن ما فيها قد كتب وحفظ بالمصحف، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مرتاب أو يقول: إنه كان شيء منها لم يكتب [١] إسناد صحيح.

وأما ما رواه الزهري [٢] عن خارجة عن أبيه في شأن آية الأحزاب وإلحاقهم إياها في سورتها، فذكره لهذا بعد جمع عثمان فيه نظر، وإنما هذا كان حال جمع الصديق الصحف كما جاء مصرحًا به في غير هذه الرواية عن الزهري، عن عبيد بن السباق، عن زيد بن ثابت، والدليل على ذلك أنه قال: "فألحقناها في سورتها من المصحف" وليست هذه الآية ملحقة في الحاشية في المصاحف العثمانية. فهذه الأفعال من أكبر القربات التي بادر إليها الأئمة الراشدون أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما- حفظا على الناس القرآن، جمعاه لئلا يذهب منه شيء، وعثمان -رضي الله عنه- جمع قراءات الناس على مصحف واحد ووضعه على العرضة الأخيرة التي عارض بها جبريل رسول الله ﷺ في آخر رمضان من عمره ﷺ فإنه عارضه به عامئذ مرتين؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لفاطمة ابنته لما مرض: "وما أرى ذلك إلا لاقتراب أجلي". أخرجاه في الصحيحين [٣].

وقد روي أن عليًا -رضي الله عنه- أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله ﷺ مرتبًا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي ﷺ أقسم علي ألا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف ففعل، فأرسل، إليه أبو بكر -رضي الله عنه- بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة. فبايعه ثم رجع[٤]. هكذا رواه وفيه انقطاع، ثم قال: لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو

---

(١) المصاحف (ص ٣٢).
(٢) رواه ابن أبي داود في المصاحف (ص ٣٧) عن الزهري.
(٣) صحيح البخاري برقم (٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٤٥٠).
(٤) المصاحف (ص ١٦).

لين الحديث وإنما رووا حتى أجمع القرآن، يعني أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن : قد جمع القرآن.

قلت: وهذا الذي قاله أبو بكر أظهر، والله أعلم، فإن عليا لم ينقل عنه مصحف على ما قيل ولا غير ذلك، ولكن قد توجد مصاحف على الوضع العثماني، يقال: إنها بخط علي -رضي الله عنه- وفي ذلك نظر، فإنه في بعضها: كتبه علي ابن أبي طالب، وهذا لحن من الكلام[1]؛ وعلي -رضي الله عنه- من أبعد الناس عن ذلك فإنه كما هو المشهور عنه هو أول من وضع علم النحو، فيما رواه عنه أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي، وأنه قسم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وذكر أشياء أخر تممها أبو الأسود بعده، ثم أخذه الناس عن أبي الأسود فوسعوه ووضحوه ، وصار علما مستقلا.

وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كانت قديمًا بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم، زاده الله تشريفا وتكريما وتعظيما [2].

فأما عثمان -رضي الله عنه- فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت في أيامه، ربما وغيره، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته، ثم قرئت على الصحابة بين يدي عثمان، ثم نفذت إلى الآفاق -رضي الله عنه- وقد قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا علي بن حرب الطائي، حدثنا قريش بن أنس، حدثنا سليمان التيمي، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد مولى بني أسيد، قال: لما دخل

---

(١) وقد ذكر "كوركيس عواد" في كتابه "أقدم مخطوطات في العالم" بعض هذه المصاحف وأماكنها وأرقامها في إيران وطاشقند، ولا يشك عاقل أنها ليست من خط علي، رضي الله عنه.

(٢) ذكر "كوركيس عواد" في كتابه المتقدم ذكره (ص ٣٤) أن مصحفا في متحف الآثار الإسلامية بتركيا مكتوب على الرق كتب في آخره، أنه مصحف عثمان، رضي الله عنه، وهو في هذا المتحف برقم (٤٥٧).

المصريون على عثمان ضربوه بالسيف على يده فوقعت على: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٣٧] ، فمد يده فوقعت: والله إنها لأول يد خطت المفصل(١).

قلت: وقد كانت الكتابة في العرب قليلة جدًا، وإنما أول ما تعلموا ذلك ما ذكره هشام بن محمد بن السائب الكلبي وغيره: أن بشر بن عبد الملك أكيدر دومة تعلم الخط من الأنبار، ثم قدم مكة فتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية فعلمه حرب بن أمية وابنه سفيان، وتعلمه عمر بن الخطاب من حرب بن أمية، وتعلمه معاوية من عمه سفيان بن حرب، وقيل: إن أول من تعلمه من الأنبار قوم من طيئ من قرية هناك يقال لها: بقة، ثم هذبوه ونشروه في جزيرة العرب فتعلمه الناس. ولهذا قال أبو بكر بن أبي داود: حدثنا عبد الله بن محمد الزهري، حدثنا سفيان عن مجاهد عن الشعبي قال: سألنا المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة. وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار (٢).

قلت: والذي كان يغلب على زمان السلف الكتابة المكتوفة ثم هذبها أبو علي مقلة الوزير، وصار له في ذلك منهج وأسلوب في الكتابة، ثم قربها علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب وسلك الناس وراءه. وطريقته في ذلك واضحة جيدة. والغرض أن الكتابة لما كانت في ذلك الزمان لم تحكم جيدا، وقع في كتابة المصاحف اختلاف في وضع الكلمات من حيث صناعة الكتابة لا من حيث المعنى، وصنف الناس في ذلك، واعتنى بذلك الإمام الكبير أبو عبيد القاسم بن سلام -رحمه الله- في كتابه فضائل القرآن (٣) والحافظ أبو بكر بن أبي داود -رحمه الله- فبوبا على ذلك(٤) وذكر قطعة صالحة هي من صناعة القرآن، ليست مقصدنا هاهنا؛ ولهذا نص

---

(١) لم أجد هذا الأثر والذي بعده في المصاحف.
(٢) المصاحف (ص ٩) .
(٣) فضائل القرآن (ص ٢٣٧ - ٢٤٣).
(٤) المصاحف (ص ١٤٥ - ١٧٦).

الإمام مالك -رحمه الله- على أنه لا توضع المصاحف إلا على وضع كتابة الإمام، ورخص في ذلك غيره، واختلفوا في الشكل والنقط فمن مرخص ومن مانع، فأما كتابة السور وآياتها والتعشير والأجزاء والأحزاب فكثير في مصاحف زماننا، والأولى اتباع السلف الصالح.

الردود والنقد (١).

وتذكر بعض مصادر أهل السنة بأن بداية هذه المقالة، وجذورها الأولى ترجع لابن سبأ فهو القائل: "بأن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي"(٢) وقد استفاض ذكر هذه المقالة في كتب الاثني عشرية بألوان الأخبار وصنوف الروايات:

١- جاء في أصول الكافي في خبر طويل عن أبي عبد الله قال: "إن الناس يكفيهم القرآن ولو وجدوا له مفسراً، وإن رسول الله ﷺ فسره لرجل واحد، وفسر للأمة شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب (٣) .

٢- وجاء في طائفة من مصادر الشيعة المعتمدة لديهم أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله أنزل علي القرآن وهو الذي من خالفه ضل، ومن يبتغي علمه عند غير علي هلك" (٤).

٣- وزعمت أيضاً كتب الشيعة أن أبا جعفر قال: يا قتادة، أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال: هكذا يزعمون، فقال أبو جعفر - رضي الله عنه - : "بلغني أنك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة: نعم - إلى أن قال:- ويحك يا قتادة إنما يعرف القرآن من خوطب به" (٥).

ففي الكافي مجموعة من الأبواب كل باب يتضمن طائفة من أخبارهم في هذا

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة .
(٢) الجوزجاني/ أحوال الرجال ص: ٣٨ .
(٣) أصول الكافي: ١/ ٢٥، وسائل الشيعة: ١٨/ ١٣١ .
(٤) وسائل الشيعة: ١٨/ ١٣٨، وبحار الأنوار: ٧/ ٣٠٢، ١٩/ ٢٣، الطبري (الرافضي)/ بشارة المصطفى ص: ١٦، أمالي الصدوق ص: ٤٠ .
(٥) الكافي، كتاب الروضة: ١٢/ ٤١٥، رقم (٤٨٥) (المطبوع مع شرح جامع للمازندراني)، تفسير الصافي: ١/ ٢١-٢٢ .

الموضوع مثل:

باب "أن الأئمة - رضي الله عنهم - ولاة أمر الله وخزنة علمه" (١).

أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة أن من وصفه الله تعالى في كتابه بالعلم هم الأئمة أن الراسخين في العلم هم الأئمة أن الأئمة قد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم أنهم أهل علم القرآن وأنهم خزان الله على علمه أنهم لا يحجب عنهم علم السماء والأرض" أنهم لا يحجب عنهم شيء.

والمصنف (الكاشانى) في تفسير الصافي يخصص إحدى مقدمات تفسيره لهذه القضية وهي: "المقدمة الثانية في نُبَذْ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت - رضي الله عنهم -

ومن العجب أنهم بدعواهم أن علم القرآن عند الأئمة نسبوا إلى الأئمة علم كل شئ، فيقول أبو عبد الله - كما يزعمون - : "إني لأعلم ما في السموات وأعلم ما في الأرضين، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون، ثم مكث هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه فقال: علمت ذلك من كتاب الله أن الله يقول: فيه تبيان كل شيء".

لاحظ أن هذا النص الذي يزعم صاحبه - ونبرئ جعفراً منه، فإمامته ودينه ينفيان ذلك عنه - العلم بكل شيء يجهل أقرب الأشياء لديه.. حيث إن القرآن ليس فيه (تبيان كل شيء) وإنما هذا تحريف لقول تعالى: ﴿ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل، آية: ٨٩]. وهو يزعم أن هذه آية من القرآن، ففضحه الله بذلك.. وهذا برهان أن هذه النصوص من وضع ملحد اندسَّ في صفوف المسلمين للكيد للإسلام وأهله.

مناقشة هذه المقالة ونقدها:

أ- مناقشة النصوص:

كما يلاحظ القارئ أنه لا يسمح المقام بجمع نصوصهم في هذه المسألة لكثرتها، إذ جمعها ونقدها يستغرق صفحات كثيرة.. وحسبنا أننا ذكرنا بعض الأمثلة عليها،

---

(١) أصول الكافي: ١/ ١٩٢ وينقل كل ذلك عنه صاحب الصافى.

إذ كلها تحوم حول معنى واحد، هو اختصاص الأئمة الاثني عشرية بعلم القرآن، وأنه مخزون عندهم، وبه يعلمون كل شيء.. وستوقف عند كل نص عرضناه لنناقشه ونحلله.. ثم نعود لأصل المقالة وننقدها:

النص الأول: (الذي يقول بأن الرسول لم يبين القرآن إلا لعلي...).

قال ابن كثير:

من سورة النحل قوله تعالى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: لما بعث الله محمداً ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا. فأنزل الله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ﴾ [يونس: ٢] ، وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ يعني: أهل الكتب الماضية: أبشر كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة ؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولا؟ [و] قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ ليسوا من أهل السماء كما قلتم.

وقول عبد الرحمن بن زيد - الذكر: القرآن واستشهد بقوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] - صحيح، [و] لكن ليس هو المراد هاهنا؛ لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه.

وكذا قول أبي جعفر الباقر: "نحن أهل الذكر" - ومراده أن هذه الأمة أهل الذكر - صحيح، فإن هذه الأمة أعلم من جميع الأمم السالفة، وعلماء أهل بيت الرسول ، عليهم السلام والرحمة، من خير العلماء إذا كانوا على السنة المستقيمة، كعلي، وابن عباس، وبني علي: الحسن والحسين، ومحمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين زين العابدين، وعلي بن عبد الله بن عباس، وأبي جعفر الباقر - وهو محمد ابن علي بن الحسين - وجعفر ابنه، وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم، ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم، وعرف لكل ذي حق حقه، ونزل كل المنزل الذي

أعطاه الله ورسوله واجتمع إليه قلوب عباده المؤمنين.

والغرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت أن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشراً كما هو بشر، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلا بَشَرًا رَسُولا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا ﴾ [الإسراء: ٩٣، ٩٤] وقال: ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩] ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠] . ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشراً، إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الأنبياء الذين سلفوا : هل كان أنبياؤهم بشراً أو ملائكة ؟ ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ أي : بالدلالات والحجج، ﴿ وَالزُّبُرِ ﴾ وهي الكتب . قاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم.

والزبر: جمع زبور، تقول العرب: زبرت الكتاب إذا كتبته، وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴾ [القمر: ٥٢] وقال: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] .

ثم قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾ يعني: القرآن، ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ ﴾ من ربهم، أي: لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، وإتباعك له، ولعلمنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل، وتبين لهم ما أشكل: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي: ينظرون لأنفسهم فيهتدون، فيفوزون بالنجاة في الدارين.

الله سبحانه يقول: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل، آية: ٤٤] وكتب الشيعة تقول - كما سلف -: ليست من وظيفة الرسول بيان القرآن للناس، وإنما مهمته بيان "شأن ذلك الرجل وهو علي بن أبي طالب" أما بيان القرآن للناس وتفسيره فهو رسالة علي لا محمد.

وكلام الاثني عشرية هنا يذكر بكلام فرقة من فرقة الغلاة وهم الغرابية التي قالت: إن محمداً ﷺ كان أشبه بعلي من الغراب بالغراب، وأن الله عز وجل بعث جبريل عليه السلام بالوحي إلى علي فغلط جبريل عليه السلام وأنزل الوحي على

محمد(١).

ما الفرق بين هذه المقالة، ونص الاثني عشرية؟! إن الاثني عشرية أعطوا علياً الرسالة بدون دعوى الغلط، وزعموا أن رسالة النبي ﷺ التعريف بعلي فقط. وأترك للقارئ تدبر بقية المعاني، فهي ناطقة بذاتها.

النص الثاني:

يقول بأن من ابتغى علم القرآن عند غير علي فقد هلك .

أقول: من ابتغى علم القرآن من القرآن، أو من سنة المصطفى ﷺ ، أو من صحابة رسول الله ﷺ بما فيهم علي فقد اهتدى، والقول بأن من طلب علم القرآن عند غير علي هلك ليس من دين الإسلام، وهو مما علم بطلاته من الإسلام بالضرورة، فلم يخص النبي ﷺ أحداً من الصحابة بعلم من الشريعة دون الآخرين. قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ فالآية تدل على أن البيان للناس وليس لفرد أو طائفة منهم ولو كان أهل بيته.

وقد نفى أمير المؤمنين علي أن يكون قد خصه رسول الله ﷺ بعلم دون الناس.

قال ابن كثير: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ثم قال تعالى لرسوله: أنه إنما أنزل (١) عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه ﴿وَهُدًى﴾ أي: للقلوب، ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ أي: لمن تمسك به، ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وكما جعل تعالى القرآن حياة للقلوب الميتة بكفرها، كذلك يحيي [الله] الأرض بعد موتها بما ينزله (٢) عليها من السماء من ماء، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أي : يفهمون الكلام ومعناه.

---

(١) ابن حزم/ الفصل: ٥/ ٤٢، وانظر: البغدادي/ الفرق بين الفرق ص: ٢٥٠، الإسفراييني/ التبصير في الدين: ص ٧٤، ابن المرتضى/ المنية والأمل ص: ٣٠، الملطي/ التنبيه والرد ص: ١٥٨ وسماها (الجمهورية).

(٢) مسند أبي يعلى (٥/ ٦٦) ورواه الطبري في تفسيره (١٤/ ١٠٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش به

وقد خاطب النبي ﷺ الصحابة، ومن بعدهم، ورغبهم في تبليغ سنته ولم يخص أحداً منهم فقال - كما يروي زيد بن ثابت وغيره -: "نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فإنه رب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه..." (١)، قال ابن حجر في تخريج المختصر: حديث زيد بن ثابت هذا صحيح خرجه أحمد وأبو داود، وابن حبان، وابن أبي حاتم، والخطيب، وأبو نعيم، والطيالسي، والترمذي، وفي الباب عن معاذ بن جبل، وأبي الدرداء، وأنس وغيرهم (٢) .

أما النص الثالث:

فهو يدعي أن القول لم يخاطب به سوى الأئمة الاثني عشر، ومن هنا فلا يعرف القرآن سواهم (إنما يعرف القرآن من خوطب به) ، ولهذا يعتبر صحابة رسول الله، والتابعون وأئمة الإسلام على امتداد العصور قد (هلكوا وأهلكوا) بقيامهم بتفسير القرآن وفق أصوله، أو اعتقادهم أن في كتاب الله ما لا يعذر أحد بجهالته، ومنه ما تعرفه العرب من كلامها، ومنه ما لا يعرفه إلا العلماء، ومنه ما لا يعلمه إلا الله [روي هذا المعنى عن ابن عباس (تفسير الطبري: ١/ ٧٦ تحقيق وتخريج أحمد شاكر، ومحمود شاكر، و تفسير ابن كثير١/ ٥)] .

قال ابن كثير: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ .

---

(١) أخرجه أحمد: ٥/ ١٨٣، واللفظ له، والدارمي/ مقدمة، باب الاقتداء بالعلماء: ١/ ٧٣، و أبو داود، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ٤/ ٦٨-٦٩، وابن ماجه، المقدمة، باب من بلغ علماً: ١/ ٨٤، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع: ٥/ ٣٣-٣٤، وابن حبان في صحيحه (موارد الظمآن، كتاب العلم، باب رواية الحديث لمن فهمه ولمن لم يفهمه ص: ٤٧ .

(٢) (فيض القدير: ٦/ ٢٨٥). وقد ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١/ ٦٨٩-٦٩٠، وللشيخ عبد المحسن العباد دراسة حول هذا الحديث بعنوان: "دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي" رواية ودراية [وقد روت هذا الحديث كتب الاثني عشرية المعتمدة [أصول الكافي: ١/ ٤٠٣، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٨/ ٦٣] فيكون حجة عليها.

يقول تعالى: مخاطبًا عبده ورسوله محمدا ﷺ ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ ﴾ يعني أمته.

أي: اذكر ذلك اليوم وهوله وما منحك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع. وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله ﷺ صدر سورة "النساء" فلما وصل إلى قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] . فقال له رسول الله ﷺ حسبك". قال ابن مسعود، رضي الله عنه: فالتفت فإذا عيناه تذرفان .

وقوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ابن مسعود: قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء. وقال مجاهد: كل حلال وحرام.

وقول ابن مسعود: أعم وأشمل ؛ فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق، وعلم ما سيأتي ، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم. ﴿ وَهُدًى ﴾ أي: للقلوب، ﴿ وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ وقال الأوزاعي: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ أي: بالسنة. ووجه اقتران قوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ مع قوله: ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ ﴾ أن المراد- والله أعلم -: إن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك، سائلك عن ذلك يوم القيامة، ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦] ، ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] ، ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ [القصص: ٨٥] أي: إن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه، ومعيدك يوم القيامة، وسائلك عن أداء ما فرض عليك. هذا أحد الأقوال، وهو متَّجه حسن.

فالشيعة تزعم أنه لا يعرف القرآن سوى الأئمة، وأنهم يعرفون القرآن كله. وهذه دعوى تفتقر إلى الدليل، وزعم يكذبه العقل والنقل، وينقضه واقع التفسير عندهم ، وكما ذكرت سالفاً أن تزكية الله سبحانه وتعالى لصحابة النبى رسول الله ﷺ ليست عن شيء الا لأنهم تعلموا من نبيهم وصاروا علماء عاملين بالقرآن والسنة، ولهذا

اتخذ رسول الله ﷺ منهم سفراء الى البلدان والدول ليعلموا الناس دين الاسلام والا فليجب المنكرين على هذا السؤال كيف انتشر الاسلام فى حياة رسول الله ﷺ وبعد موته في جميع المعمورة، والواقع يشهد على هذا، بل أقول من أين تعلم العلماء الأول فى خير القرون ويسميهم أهل العلم بالتابعين ومنهم قتادة الذى ينكر المصنف عليه وهو رضى الله عنه من تلامذة الصحابى الجليل الذى هو من آل بيت رسول الله ﷺ الاوهو ابن عباس رضى الله عنه، حتى رأينا المصنف وعلماء الشيعة يكذب كذباً منكرا زاعماً أن الأئمة وحدهم يعرفون القرآن كله الى آخر هذا الكذب وكأنى بهم يريدون أن يربوا الشيعة على أن الله هو رب الشيعة وحدهم وأن رسول الله ﷺ هوللشيعة فقط وأن القرآن هوما أنزل الا فيهم ولهم حتى رأينا من يقول فى الشيعة قديماً وحديثاً، أننا لا نشترك مع أهل السنة فى اله ولا نبى ولا قرآن ويستمر هؤلاء الشيعة فى كذبهم وزعمهم أن أهل السنة الاههم ليس الاهنا ورسولهم ليس رسولنا وقرآنهم ليس قرآننا.

النص الرابع:

يبين أن وظيفة الناس جميعاً سوى الأئمة الاثني عشر هو قراءة القرآن فقط.

ولا يجوز لأحد أن يتولى منصب تفسير القرآن، حتى ولا رسول الله ﷺ لأن وظيفته بيان "شأن ذلك الرجل.."، كما أنه من باب أولى ليس لأحد من الصحابة والسلف والأئمة أن يتولى شيئاً من ذلك، وإن احتاج أحد لتفسير آية فليرجع إلى من عنده علم القرآن: إلى أئمتهم.. وماذا سيجد من يرجع إلى تفاسير الشيعة كتفسير القمي والعياشي، والبرهان، وتفسير الصافي، أو ما في الكافي، والبحار من تفسير لآيات القرآن يزعمون نسبتها لأئمتهم؟!. سيجد تأويلات باطنية ليس لها صلة بنص القرآن، ولا سياق الآيات ولا معانيها ومفهوماتها.. كما سنرى نماذج من ذلك.

إن أوضح برهان في هذه الدعاوى هو واقع التفسير عند هؤلاء القوم، ثم إن النص المذكور يدعو إلى الإعراض عن تدبر القرآن وفهم معانيه وهذا من الصد عن دين الله وشرعه.. ولعل الدافع لوضع مثل هذه الروايات هو محاولة منع جمهور الشيعة من قراءة كتاب الله وتدبره وفهمه لأن في ذلك افتضاحاً لكذب مؤسسي هذا

المذهب وكشفاً لأضاليلهم وتعرية لمناهجهم الباطنية في تأويل كتاب الله.

نقد هذه المقالة:

تقوم هذه المقالة على أن الرسول ﷺ أودع علياً علم القرآن، وقد وجد لهذه المقالة أصل في حياة أمير المؤمنين، وأظهرت السبئية القول بأن عند علي غير ما عند الناس، فنفى أمير المؤمنين ذلك نفياً قاطعاً وقال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطى رجل في كتابه..."

قال ابن كثير:

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾. يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ أي: بينا للناس فيه بضرب الأمثال، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾، فإن المثل يُقَرِّب المعنى إلى الأذهان، كما قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ [الروم: ٢٨] أي: تعلمونه من أنفسكم، وقال: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣] وقوله: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ أي: هو قرآن بلسان عربي مبين، لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله [عز وجل] كذلك، وأنزله بذلك ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي: يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد.

ومما يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن، كما بيّن لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل، آية: ٤٤] يتناول هذا وهذا. وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي [مقرئ الكوفة الإمام العلم عبد الله بن حبيب بن ربيعة الكوفي، من أولاد الصحابة، مولده في حياة النبي ﷺ، وقد أخذ القراءات عن عثمان، وعلي، وزيد، وأبيّ، وابن مسعود (١). وهو غير أبي عبد

---

(١) الذهبي/ سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٦٧، السيوطي/ طبقات الحفاظ: ص١٩

الرحمن السلمي شيخ الصوفية، صاحب حقائق التفسير (ت٤١٢) الذي نسب إلى جعفر الصادق أقوالاً في تأويل القرآن على طريقة الباطنية.

وجعفر بريء من ذلك (١) : "حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن - كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما - أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً عن طريق الحسين بن واقد، حدثنا الأعمش عن شقيق عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن.

قال المحقق: "هذا إسناد صحيح". وهو موقوف على ابن مسعود، ولكنه مرفوع معنى؛ لأن ابن مسعود إنما تعلم القرآن من رسول الله ﷺ فهو يحكي ما كان في ذلك العهد النبوي المنير وقال شعيب الأرناؤوط: "رجاله ثقات". ولهذا كانوا يبقون مدة في حفظ السورة، وذلك أن الله تعالى قال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [سورة ص، آية: ٢٩] . وقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [النساء، آية: ٨٢، محمد، آية: ٢٤] وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ ﴾ [المؤمنون، آية: ٦٨] . وتدبر القرآن بدون فهم معانيه لا يمكن، وكذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف، آية: ٢] . وعقل القرآن متضمن لفهمه، ومن المعلوم أن كل كلام فالمقصود منه فهم معانيه دون مجرد ألفاظه، فالقرآن أولى بذلك (٢) .

قال ابن كثير:

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ * كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ

---

(١) ابن تيمية/ منهاج السنة: ٤/١٤٦، والفتاوى: ١٣/ ٢٤٢-٢٤٣، وانظر في ترجمة السلمي الأخير: الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد: ٢/٢٤٨-٢٤٩، الذهبي ميزان الاعتدال: ٣/ ٥٢٣

(٢) من كتاب أصول مذهب الشيعة

﴿ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط، ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ أي: ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم.

ثم بين تعالى أنه من عدله وحكمته لا يساوي بين المؤمن والكافر فقال: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾ أي: لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر. وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فإنا نرى الظالم الباغي يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا. وإذا لم يقع هذا في هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة. ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال: ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ أي: ذوو العقول وهي الألباب، جمع لب، وهو العقل.

قال الحسن البصري : والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده ، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن [كله] ما يرى له القرآنُ في خلق ولا عمل . رواه ابن أبي حاتم.

ولهذا لم تعد فئة من الشيعة تهضم هذه المقالة. وخرجت عن القول بكل ما فيها، فقالت بأن ظواهر القرآن لا يختص بعلمها الاثنا عشر، بل يشركهم غيرهم فيها، أما بواطن الآيات فمن اختصاص الأئمة. وقام خلاف كبير حول حجية ظواهر القرآن بين الأخباريين والأصوليين، فالفئة الأولى ترى أنه لا يعلم تفسير القرآن كله ظاهره وباطنه إلا الأئمة، والأخرى ترى حجية ظواهر القرآن لعموم الأدلة في الدعوة لتدبر القرآن وفهمه (١).

---

(١) تعرضت لهذه المسألة كثير من كتب التفسير وأصول الفقه عندهم. انظر: الخوئي/ البيان: ص ٢٦٣ وما بعدها، البروجردي/ تفسير الصراط المستقيم: ٢/ ١٧٥ وما بعدها، المظفر/ أصول الفقه: ٣/ ١٣٠، الحكيم/ الأصول العامة للفقه المقارن: ص ١٠٢-١٠٥، الميثمي/ قوامع الفضول: ص ٢٩٨ .

إن دعوى أن القرآن لم يفسر إلا لعلي هي مخالفة لقول الله سبحانه: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل، آية: ٤٤]. فالبيان للناس لا لعلي وحده - كما سبق -. فليس لمن قال بهذه المقالة إلا أحد طريقين: إما القول بأن الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه، وإما أن يكذب القرآن، وهي مخالفة للعقل وما علم من الإسلام بالضرورة، ودعوى أن علم القرآن اختص به الأئمة ينافيه اشتهار عدد كبير من صحابة رسول الله ﷺ بتفسير القرآن كالخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وزيد بن ثابت وغيرهم. "وكان علي - رضي الله عنه - يثني على تفسير ابن عباس"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا ابن عباس نقل عنه من التفسير ما شاء الله بالأسانيد الثابتة ليس في شيء منها ذكر علي، وابن عباس يروي من غير واحد من الصحابة؛ يروي عن عمر وأبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف وعن زيد بن ثابت وأبيّ بن كعب وأسامة بن زيد وغير واحد من المهاجرين والأنصار. وروايته عن علي قليلة جداً، ولم يخرج أصحاب الصحيح شيئاً من حديثه عن علي، وخرجوا حديثه عن عمر وعبد الرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم... وما يعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت عن علي، وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي منها عن علي قليل جداً، وما ينقل من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر" (٢).

ثم إن تعميم القول بأن الأئمة يعلمون القرآن كله غلو فاحش، ذلك أنه كما يقول ابن جرير الطبري: "إن مما أنزل الله من القرآن ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ وذلك تفصيل ما هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة، من شرائع الدين؛ كأوامره، ونواهيه، وحلاله، وحرامه، وحدوده، وفرائضه. فلا يعلم أحد من خلق الله تأويل ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ، ولا يعلمه رسول الله إلا بوحي الله. ومنه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار، وذلك ما

(١) ابن عطية/ المحرر الوجيز: ١/ ١٩، ابن جزي/ التسهيل: ١/ ٩.
(٢) منهاج السنة: ٤ / ١٥٥

فيه من أمور استأثر الله بعلمها؛ كوقت قيام الساعة والنفخ في الصور.. ومنه ما يعلم تأويله كل ذي علم باللسان العربي الذي نزل به القرآن" (١).

هذا وقولهم: إن علم القرآن انفرد بنقله علي يفضي إلى الطعن في تواتر شريعة القرآن من الصحابة إلى سائر الأجيال، لأنه لم ينقلها - على حد زعمهم- عن رسول الله إلا واحد هو علي..

وبعد: فهذه المقالة مؤامرة، الهدف منها الصد عن كتاب الله سبحانه والإعراض عن تدبره، واستلهام هديه، والتفكر في عبره، والتأمل في معانيه ومقاصده. فالقرآن في دين الشيعة لا وسيلة لفهم معانيه إلا من طريقة الأئمة الاثني عشر، أما غيرهم فمحروم من الانتفاع به، وهي محاولة - أو حيلة - مكشوفة الهدف، مفضوحة القصد؛ لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين وخوطب به الناس أجمعون ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف، آية: ٢] .

﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران، آية: ١٣٨] وأمر الله عباده بتدبره، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بمواعظه، ومحال أن يقال لمن لا يفهم ما يقال له ولا يعقل تأويله: اعتبر بما لا فهم لك به ولا معرفة من البيان والكلام (٢).

وهي محاولة للصد عن ذلك العلم العظيم في تفسير القرآن، والذي نقله إلينا صحابة رسول الله وسلف الأمة..

فهذه الكنوز العظيمة لا عبرة بها ولا قيمة لها في دين الشيعة، لأنها ليست واردة عن الأئمة الاثني عشرية، وقد صرح بذلك بعض شيوخهم المعاصرين فقال: "إن جميع التفاسير الواردة عن غير أهل البيت لا قيمة لها ولا يعتد بها" (٣).

والقيمة في كتب التفسير عندهم وحدها. وإذا ذهبنا نبحث عن هذه القيمة في كتبهم فماذا نجد؟

---

(١) تفسير الطبري: ١/ ٧٣-٧٤، ٨٧-٨٨ .
(٢) تفسير الطبري: ١/ ٧٣-٧٤ .
(٣) محمد رضا النجفي/ الشيعة والرجعة: ص ١٩ .

لقد حولت كتب التفسير المعتمدة عندهم كتفسير القمي والعياشي والصافي والبرهان وكتب الحديث كالكافي والبحار تأويلات لكتاب الله منسوبة لآل البيت تكشف في الكثير الغالب عن جهل فاضح بكتاب الله، وتأويل منحرف لآياته، وتعسف بالغ في تفسيره، ولا يمكن أن تصح نسبتها لعلماء آل البيت، فهي تأويلات لا تتصل بمدلولات الألفاظ، ولا بمفهومها، ولا بالسياق القرآني - كما سيأتي أمثلة ذلك - ومعنى ذلك - بناء على هذه العقيدة - أن هذا هو مبلغ علم علماء آل البيت، وفي ذلك من الزراية عليهم، ونسبة الجهل إليهم الشيء الكثير من قوم يزعمون محبتهم والتشيع لهم.

وأمر آخر أكبر وأخطر وهي أن تلك التأويلات.. هي علم القرآن، ومعانيه، وأنه لا معنى للقرآن أعظم منها، لأنها خرجت من المصدر الأصيل والوحيد والصحيح للتلقي. وهذا تهوين من أمر القرآن وشأنه، بل محاربة له وصد عنه بوسيلة ماكرة خبيثة.

المسألة الثالثة: قوله بأن قول الإمام ينسخ القرآن ويقيد مطلقه ويخصص عامه..

بعد أن تعرضنا لمسألتين سابقتين من مسائل هذا المصنف نتعرض لمسألة ثالثة من بدع علماء الشيعة الذين دائماً ما يأتون بالغرائب والمستحدثات، والحقيقة التى اعترفوا بها هى أنهم دعوا أتباعهم الى مخالفة كل ما جاء صحيحاً من طريق أهل السنة من لدن الصحابة مروراً بآخر عالم من علماء أهل السنة ويطلقون عليهم لفظة (العامة)، من أجل هذا جاءوا برواية مكذوبة قالوا فيها (ما خالف فيه العامة ففيه الرشاد) أى يعلّمون اتباعهم أن الهدى والرشاد فى مخالفة أهل السنة، وفى الحقيقة هم يريدون لأتباعهم أن لا يتعرفوا على الحق الذى جاء به الرسول ﷺ ليسهل عليهم الاستحواذ على عقول وقلوب الشيعة ويتحكموا فيهم كيف شاءوا من خلال هذا الافك والكذب الذى يشيعونه فى كتبهم المليئة بالباطل والغلو بل بالشرك والكفر البواح ، ولكى يصلوا الى هذا المكر أشاعوا بين أتباعهم هذه الأباطيل التى منها أن الامام يتحكم فى القرآن الى أكثر من هذا وحبكوا المسألة حبكاً لا يتصور أن يخرج الا من شيطان رجيم واليكم هذه الأباطيل التى ذكرها المصنف فى كتابه المسمى بالصافى:

المقدمة الثانية

في نبذ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت عليهم السلام

روي في الكافي بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت أمير المؤمنين يقول وساق الحديث إلى أن قال: ما نزلت آية على رسول الله ﷺ الا اقرأنيها وأملاها عليّ فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها فما نسيت آية من كتاب الله ولا علما أملاه عليّ فكتبته منذ دعا لي بما دعا وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي كان أو يكون ولا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية إلا علمنيه وحفظته فلم أنس منه حرفا واحدا ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علما وفهما وحكمة ونورا. فقلت: يا رسول الله بأبي انت وأمي مذ دعوت الله لي بما دعوت لم أنس شيئا ولم يفتني شيء لم أكتبه أو تتخوف عليّ النسيان فيما بعد. فقال: لست أتخوف عليك نسيانا ولا جهلا. ورواه العياشي

وفي الكافي وبإسناده عن أبي جعفر عليه السلام إنه قال: ما يستطيع أحد أن يدعي أن عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الأوصياء.

وبإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) قال: هم الأئمة. وبإسناده عنه عليه السلام قال: قد ولدني رسول الله ﷺ وأنا أعلم كتاب الله تعالى وفيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة والنار وخبر ما كان وما هو كائن أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي إن الله تعالى يقول: (فيه تبيان كل شيء.

وبإسناده عنه عليه السلام قال : نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله. وفي تفسير العياشي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به احدا. وفي رواية : إن من علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه لو وجدنا أوعية أو مستراحا لقلنا والله المستعان ما سبق نقلا من تفسير الصافي .

الردود والنقد (١)

بناءً على اعتقاد الشيعة بأن الإمام هو قيم القرآن، وهو القرآن الناطق وأنهم هم خزنة علم الله وعيبة [العيبة: زبيل من أدم، ومن الرجل موضع سره.(٢)] وحيه [أصول الكافي: باب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه: / ١٢٩] ، وأنه بوفاة الرسول ﷺ لم يكمل التشريع، بل إن بقية الشريعة أودعها الرسول لعلي، وأخرج علي منها ما يحتاجه عصره، ثم أودع ما بقي لمن بعده، وهكذا إلى أن بقيت عند إمامهم الغائب [انظر: فصل السنة من كتاب أصول مذهب الشيعة].

بناءً على ذلك فإن مسألة تخصيص عام القرآن، أو تقييد مطلقة، أو نسخه هي مسألة لم تنته بوفاة الرسول ﷺ ؛ لأن النص النبوي، والتشريع الإلهي استمر ولم ينقطع بوفاة الرسول، بل استمر عندهم إلى بداية القرن الرابع الهجري وذلك بوقوع الغيبة الكبرى [انظر: مسألة الغيبة في موضعها من هذه الرسالة.] . والتي انتهت بها صلتهم بالإمام، وانقطع تلقي الوحي الإلهي عنه؛ لأنهم يعتقدون "أن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله عز وجل، ولا اختلاف في أقوالهم كما لا اختلاف في قوله تعالى" (٣).

وقالوا: يجوز لمن سمع حديثاً عن أبي عبد الله (يعنون جعفر بن محمد الصادق) أن يرويه عن أبيه أو أحد أجداده؛ بل يجوز أن يقول: قال الله تعالى فكان للإمام - في اعتقادهم - تخصيص القرآن أو تقييده أو نسخه، وهو تخصيص أو تقييد أو نسخ للقرآن بالقرآن، لأن قول الإمام كقول الله - كما يفترون -!!.

ذلك أنهم يرون - كما يقول أحد آياتهم في هذا العصر -: "أن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام وكتمان جملة، ولكنه - سلام الله عليه - أودعها

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة .
(٢) أصول الكافي: (الهامش): ١/ ١٩٢ .
(٣) المازندراني/ شرح جامع (علي الكافي) : ٢/ ٢٧٢ .

عند أوصيائه: كل وصي يعهد بهـا إلى الآخر، لينشرها في الوقت المناسب لها حسب الحكمة: من عام مخصص، أو مطلق، أو مقيد، أو مجمل مبين إلى أمثال ذلك، فقد يذكر النبي عاماً ويذكر مخصصة بعد برهة من حياته، ولا قد يذكره أصلاً، بل يودعه عند وصية إلى وقته" (١).

ومسألة النسخ والتخصيص والتقييد. . . ليست إلا جزءاً من وظيفة الأئمة الكبرى وهي (التفويـض في أمر الدين) والتي يقررها صاحب الكافي في باب يـعقده في هذا الشأن بعنوان: "باب التفويض إلى رسـول الله -ﷺ وإلى الأئمة - عليهم السلام - في أمر الدين"(٢) .

فالأئمة قـد فوضوا في أمر هذا الدين، كمـا فوض رسول الله ﷺ ، فلهم حق التشريع. تقـول كتب الشيعـة عن الأئمة: "إن الله عز مجل. . فـوض إلى نبيه ﷺ فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر، آية: ٧] . فما فوض إلى رسول الله ﷺ قد فوضه إلينا"(٣) .

وقال أبو عبد الله - كما تزعم كتب الشيعة -: "لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله ﷺ وإلى الأئمة. قال عز وجل: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النسـاء، آية: ١٠٥] . وهي جـارية في الأوصياء" (٤).

ثم إن الأئمة هم مستودع علوم الملائكة والأنبياء والرسل، وعندهم جميع الكتب التي نزلت من السمـاء، كما تقـرره أقوال المصنف (الكاشانى) وكـتبهم المعتـمدة في روايات كثيرة كما سيأتي [انظر: ومبحث "الإيمان بالكتب"] . فهذه المهام التشريعية هي من فيض هذه العلوم المخزونة عند الأئمة.

(١) محمد حسين آل كاشف الغطا/ أصول الشيعة ص: ٧٧ .
(٢) أصول الكافي: ١/ ٢٦٥ .
(٣) أصول الكافي: ١/ ٢٦٦ .
(٤) أصول الكافي: ١/ ٢٦٨ .

أما التطبيق العلمي لهذه العقيدة فهو ذلك الكم الهائل من الروايات في مسائل العقيدة وغيرها، والتي شذوا بها عن أئمة الإسلام. فمثلاً ألفاظ الكفر والكفار والشرك والمشركين الواردة في كتاب الله سبحانه، والتي تعم كل من كفر بالله وأشرك.. جاءت عندهم روايات كثيرة تخص هذا العموم بالكفر بولاية علي والشرك باتخاذ إمام معه - كما سيأتي- [سيأتي شواهد لذلك في مبحث: أمثلة من تأويلات الشيعة لآيات القرآن، ومبحث توحيد الألوهية] فخصصوا عموم الكتاب بلا مخصص، أو حرفوا النصوص وزعموا أنه تخصيص، واعتبروا مسألة الإمامة أخطر من الشرك والكفر، بلا دليل من عقل أو نقل صحيح، وخرجوا عن إجماع المسلمين، وما تواتر من نصوص الدين، وتجاهلوا حتى اللغة التي نزل بها القرآن العظيم ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف، آية: ٢] . وسنرى أمثلة كثيرة فيما سيأتي لهذا الضرب من التحريف.

نقد هذه العقيدة : (١)

قد ختم الله سبحانه بمحمد ﷺ الرسالات، وأكمل برسالته الدين، وانقطع بموته الوحي. وهذه أمور معلومة من دين الإسلام بالضرورة. وهذه المقالة تقوم على إنكارِ هذه الأركان، أو تنتهي بقائلها إلى ذلك، وهذا بلا شك نقض لحقيقة "شهادة أن محمداً رسول الله" والتي لا يتم إسلام أحد إلا بالإيمان بها.

ولعل المتأمل لهذه المقالة ، والمحلل لأبعادها يدرك أن الهدف من هذه المقالة تبديل دين الإسلام ، وتغيير شريعة سيد الأنام ؛ إذ إن كلام الله سبحانه عرضة للتبديل والتغيير بناسخ ، أو مخصص، أو مقيد، أو مبين، أو عام يزعم شيوخ الشيعة نقله عن أئمتهم.

ولعل صورة التغيير تبدو بشكل أوضح وأجلى، إذا أدركنا ما جبل عليه هؤلاء القوم من الكذب حتى جعلوه ديناً وقربة - كما سيأتي [انظر: مسألة التقية.] - «ومن

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة.

تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب في الشيعة أكثر منهم في سائر الطوائف" (١). وقد شهد طائفة من أئمة المسلمين بأنه لم ير أكذب وأشهد بالزور منهم، وأنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً، وأن الناس كانوا يسمونهم بالكذابين، ونهى أهل العلم عن أخذ الحديث عن هؤلاء الروافض (٢).

وهذه الدعوى تقوم على أن دين الإسلام ناقص ويحتاج إلى الأئمة الاثني عشر لإكماله، وأن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لم يكمل بهما التشريع.. إذ إن بقية الشريعة مودعة عند الأئمة، وأن رسول الهدى ﷺ لم يبلغ ما أنزل إليه من ربه، وإنما كتم بعض ما أنزله إليه وأسره لعلي.. وكل ذلك كفر بالله ورسوله، ومناقضة لأصول الإسلام، قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ .

ويقول سبحانه: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل، آية: ٨٩] ، وقال تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران، آية: ١٨٧] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ، إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ ﴾.. [البقرة، الآيتان: ١٥٩، ١٦٠]

وأختم حديثى بأن المصنف أقواله متضاربة متناقضة يغنى بطلانها عن ابطالها، حتى ذكر كذباً وزوراً على أهل البيت أنهم يجوز لهم أن يكتموا العلم بل يجوز لهم أن يفتوا الناس بآراء مختلفة وكل هذا من الكذب الذى استحلوه وجعلوه من أصول دينهم، نعوذ بالله من الخذلان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية.

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير.

تفسير القرآن بالقرآن والسنة

فالجواب: إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل فى مكان

---

(١) انظر: المنتقى: ص ٢٢ .

(٢) منهاج السنة: ١٦/١، ١٧، السيوطي/ تدريب الراوي: ٣٢٧/١ الفصل الثانى .

فإنه قد فسر فى موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط فى موضوع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة ؛ بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) ولهذا قال رسول الله ﷺ : «إلا إنى أوتيت القرآن ومثله معه يعنى السنة . السنة أيضا تتنزل عليه بالوحى كما ينزل القرآن؛ لا أنها تتلى كما يتلى، وقد استدل الإمام الشافعى وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضوع ذلك. والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجد فمن السنة، كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن" : بم تحكم؟ قال: بكتاب الله قال: فإن لم تجد؟ قال بسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد؟ قال أجتهد رأيى. قال فضرب رسول الله ﷺ فى صدره وقال: الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله" وهذا الحديث فى المسانيد والسنن بإسناد جيد .

أقوال الصحابة:

وحينئذ إذا لم نجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن، والأحوال التى اختصموا بها؛ ولما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل الصالح؛ لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين: " مثل عبد الله بن مسعود" ، قال الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى: حدثنا أبو كريب، قال أبنأنا جابر بن نوح، أنبأنا الأعمش عن أبى الضحى، عن مسروق قال: قال عبد الله - يعنى ابن مسعود: والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمكن نزلت وأين نزلت، ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناوله المطايا لأتيته وقال الأعمش أيضا، ع أبى وائل، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر

آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

ومنهم الحبر البحر " عبد الله بن عباس" ، ابن عم رسول الله ﷺ ، وترجمان القرآن، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: " اللهم فقهه في الدين وعمله التأويل" وقال ابن جرير:

حدثنا محمد بن بشار، أنبأنا وكيع، أنبأنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال :قال عبد الله - يعنى ابن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس. ثم رواه عن يحيى بن داود، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح أبى الضحى، عن مسروق، عن ابن مسعود أنه قال: نعم الترجمان للقرآن ابن عباس. ثم رواه عن بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك، فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعد أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة، وقد مات ابن مسعود فى سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح، وعمر بعده ابن عباس ستا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟ وقال الأعمش، عن أبى وائل: استخلف على عبد الله بن عباس على الموسم فخطب الناس فقرأ فى خطبته سورة البقرة - وفى رواية سورة النور- ففسرها تفسيرا لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا.

الإسرائيليات:

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير فى تفسيره عن هذين الرجلين: ابن مسعود وابن عباس، ولك فى بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التى أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: "بلغوا عنى ولو آية، وحدثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار" رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو؛ ولهذا كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن فى ذلك، ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

- "أحدها" ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .
- و" الثانى" ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .
- و" الثالث" ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر

دينى، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب فى مثل هذا كثيرا، ويأتى عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون فى مثل هذا أسماء أصحاب الكهف ولون كلبهم، وعدتهم، وعصا موسى من أى الشجر كانت، وأسماء الطيور التى أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذى ضرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التى كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه اله فى القرآن مما لا فائدة فى تعيينه تعود على المكلفين فى دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم فى ذلك جائز، كما قال تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾، قال ربى أعلم بعدتهم ما يعلمون إلا قليل، فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا، ولا تستفت فيهم منهم أحدا .

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب فى هذا المقام، وتعليم ما ينبغى فى مثل هذا. فإنه تعالى أخبر عنهم بثلاثة أقوال، ضعف القولين،وسكت عن الثالث، فدل على صحته؛ إذ لو كان باطلا لرده كما ردهما، ثم أرشد إلى أن الإطلاع على عدتهم لا طائل تحته، فيقال فى مثل هذا: ﴿ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ فإنه ما يعلم بذلك إلا قليل من الناس ممن أطلعه الله عليه؛ فلهذا قال ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أى لا تجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنهم لا يعلمون من ذلك إلا رجم الغيب.

فهذا أحسن ما يكون فى حكاية الخلاف :أن تستوعب الأقوال فى ذلك المقام، وأن ينبه على الصحيح منها، ويبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف ثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فيشتغل به عن الأهم، فأما من حكى خلافا فى مسألة ولم يستوعب أقوال الناس فيها فهو ناقص؛ إذا يكون الصواب فى الذى تركه أو يحكم الخلاف ويطلقه، ولا ينبه على الصحيح من الأقوال فهو ناقص أيضا، فإن صحح غير الصحيح عامدا فقد تعمد الكذب، أو جاهلا فقد أخطأ، كذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالا متعددة لفظا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنى فقد ضيع الزمان، وتكثر بما ليس بصحيح فهو كلابس ثونى زور، والله الموفق للصواب.

أقوال التابعين:

إذا لم تجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع

كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين "كمجاهد ابن جبر" فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا إبان ابن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمة، أوقفه عند كل آية منه ،وسأله عنها، وبه قال الترمذي، قال: حدثنا الحسين بن مهدى البصرى، حدثنا عبد الرازق، عن معمر، عن قتاده. قال: ما فى القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا، وبه إليه قال: حدثنا ابن أبى عمر، حدثنا سفيان بن عيينة، عن الأعمش، قال: قال مجاهد: لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحج ن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت. وقال ابن جرير: حدثنا أبو كريب قال: حدثنا طلق بن غنام، عن عثمان الملكى، عن ابن مليكه، قال: رأيت مجاهدا سأل ابن عباس ع تفسير القرآن ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله، ولهذا كان سفيان الثورى يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

وكسعيد بن جبير، وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاءين أنى رباح، والحسن البصرى، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبى العلية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاح، وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم فى الآية، فيقع فى عباراتهم تباين فى الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا، فيحكيها أقوالا، وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشئ بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشئ بعينه، والكل بمعنى واحد فى كثير من الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادى.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التابعين فى الفروع ليست حجة، فكيف تكون حجة فى التفسير؟ يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أما إذا أجمعوا على الشئ فلا يرتاب فى كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع فى ذلك إلى لغة القرآن، أو السنة، أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصحابة فى ذلك.

التفسير بمجرد الرأى حرام:

فأما "تفسير القرآن بمجرد الرأى" فحرام، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان، حدثنا عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار".

حدثنا وكيع حديث سفيان عن عبد الأعلى الثعلبى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «من قال فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» ويع إلى الترمذى قال: حدثنا عبد بن حميد، حدثنى حسان بن هلال قال: حدثنا سهيل - أخو حزم القطعى ، قال : حدثنا أبو عمران الجونى، عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ «من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» ، وقال الترمذى هذا حديث غريب، وقد تكلم بعض أهل الحديث فى سهل بن أبى حزم.

وهكذا روى بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم أنهم شددوا فى أن يفسر القرآن بغير علم، وأما الذى روى عن مجاهد وقتاده وغيرهم من أهل العلم أنهم فسروا القرآن فليس الظن بهم أنهم قالوا فى القرآن وفسروه بغير علم، أو من قبل أنفسهم، وقد روى عنهم ما يدل على ما قلنا إنهم لم يقولوا من قبل بغير علم، فمن قال فى القرآن برأيه فقد تكلف ما لا علم به، وسلك غير ما أمره به، فلو أنه أصاب المعنى فى نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنه لم يأت بالأمر من بابه، كمن حكم بين الناس على جهل فهو فى النار وإن وافق حكمه الصواب فى نفس الأم؛ لكن يكون أخف جرما ممن أخطأ، والله أعلم. وهكذا سمى الله تعالى القذفة كاذبين، فقال: ﴿ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاء فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ فالقاذف كاذب، ولو كان قد قذف من زنى فى نفس الأمر؛ لأنه أخبر بما لا يحل له الإخبار به، وتكلف ما لا علم له به. والله أعلم. ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة عن سليمان عن عبد الله بن مرة عن أبى معمر، قال: قال أبو بكر الصديق: أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى إذا قلت فى كتاب الله ما لم أعلم؟!

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمود بن يزيد عن العوام بن حوشب، عن إبراهيم التيمى، أن أبا بكر الصديق سئل عن قوله ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: أى سماء تظلنى، وأى أرض تقلنى، وإن أنا قلت فى كتاب الله ما لا أعمل؟ - منقطع.

وقال أبو عبيد أيضا: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس، أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال :هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: أن هذا لهو التكلف يا عمر.

وقال عبد بن حميد: حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن يزيد، عن ثابت، عن أنس قال: كنا عند عمر بن الخطاب، وفى ظهر قميصه أربع رقاع، فقرأ

﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ فقال: ما الأب؟ ثم قال: إن هذا لهو التكلف، فما عليك أن لا تدريه؟ وهذا كله محمول على أنهما - رضى الله عنهما - إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتا من الأرض ظاهر لا يجهل ؛ لقوله تعالى ﴿ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴾.

قال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن عليه عن أيوب، عن ابن أبى مليكه، أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضهم لقال فيها فأنى أن يقول فيها. إسناده صحيح. وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن أبن أبى مليكه، قال: سأل رجل ابن عباس) يوم كان مقداره ألف سنة) فقال له ابن عباس فما (يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال الرجل إنما سألتك لتحدثنى، فقال ابن عباس، هما يومان ذكرهما الله فى كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول فى كتاب الله ما لا يعلم. وقال ابن جرير: حدثنى يعقوب- يعنى ابن إبراهيم، حدثنا ابن عليه، عن مهدى بن ميمون، عن الوليد بن مسلم ، قال : جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله فسأله عن آية من القرآن. فقال احرج عليك إن كنت مسلما لما قمت عنى، أو قال :أن تجالسنى، وقال مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد ين المسيب، أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال إنا لا نقول فى القرآن شيئا.

وقال الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، أنه كان لا يتكلم إلا فى المعلوم من القرآن. وقال شعبة عن عمرو بن مرة قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألنى عن القرآن، وسأل من يزعم أنه لا يخفى عليه منه شئ، يعنى عكرمة. وقال ابن شوذب: حدثنى يزيد بن أبى يزيد قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع.

وقال ابن جرير: حدثنى أحمد بن عبده الضبى، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، قال :لقد أدركت فقهاء المدينة وإنهم ليعظمون القول فى التفسير، منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع. وقال أبو عبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن هشام بن عزوة قال: ما سمعت أنى أتأول آية من كتاب الله قط. وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائى، عن محمد بن سيرسين قال: سألت عبيده السلمانى عن آية من القرآن، فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيما أنزل من القرآن، فاتق الله وعليك بالسداد.

وقال أبو عبيد: حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبيد الله بن مسلم ابن يسار، عن أبيه، قال: إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده. حدثنا هشيم، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه. وقال شعبة، عن عبد الله بن أبى السفر، قال: قال الشعبى: والله ما من آية إلا وقد سألت عنها، ولكنها الرواية عن الله. وقال أبو عبيد: حدثنا هشيم، أنبأنا عمر بن أبى زائدة، عن الشعبى، عن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله.

التفسير بالرأى عن علم:

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام فى التفسير بما لا علم لهم به، فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعا فلا حرج عليه؛ ولهذا روى عن هؤلاء وغيرهم أقوال فى التفسير ولا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه، وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله تعالى: ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ولما جاء فى الحديث المروى من طرق" من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار" وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا مؤمل، حدثنا سفيان عن أبى الزناد، قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا عذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله. والله سبحانه وتعالى أعلم.

"انتهى كلام شيخ الإسلام ابن تيمية".

خاتمة الباحث

بحمد الله انتهى الرد على أقواله بان القرآن نزل فيهم وان علومه عندهم ولست أدرى من أين أتوا بهذه الأباطيل، ولكن هذا دائماً شأن الماكرين المخادعين الذين يستحلون الكذب، والمطلوب من كل صاحب عقل وقلب سليم أن يتدبر كتاب الله ويعمل بما فيه واذا التبس عليه أمر رجع فيه الى سنة النبى ﷺ والى فعل الصحابة الراشدين لقوله ﷺ (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، من هنا ندرك أن المصنف ومن ينقل عنهم يحدثون أقوالاً مبتدعة الهدف منها اضلال الشيعة وصرفهم عن كتاب الله سبحانه وصدهم عن سنة النبىﷺ فى مقابل غلوهم فى الأئمة والصاق الأقوال الكاذبة بهم ويعتمدون فى ذلك على خلو علوم الشيعة من قواعد الجرح والتعديل وغير ذلك من العلوم الهامة التى تزن قول أى أحد مهما كان شأنه، حتى قلت يصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ . والله أسأل أن ينفع بهذا الجهد وأن يهدينا سواء السبيل انه ولى ذلك والقادر عليه وهونعم المولى ونعم النصير.

الفصل الثاني
آراؤه في تأويل القرآن

المسألة الأولى: قوله بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر:

أقول أنه من خلال بحثى فى هذا التفسير وجدت المصنف يسعى بكل ما أوتى من حقد وعداء للاسلام وللنبى وصحابته الكرام يتستر وراء زعم كاذب وهو الحب، والغلو فى آل البيت، فراح يخترع ويبتدع اقوال يظن أنها تقنع العقلاء لكنها فى الحقيقة لاتخاطب الا السذج والبلهاء وأهل الهوى والضلال، فراح يكذب وينقل عن أمثاله ليؤكد على كذبه وتحريفه لمعانى وتفسير الآيات، فوضع مصطلحات وعبارات مبتدعة ماأنزل الله بها من سلطان وهى بعيدة كل البعد عن أقوال أهل العلم المعتبرين من لدن عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين وكذلك علماء أهل البيت الطيبين، كلهم لم يرد عنهم الا تفسير القرآن بما سار عليه الأولون من اتباع الدليل فى كل ما ينطق أو يقول، وهذا هو أصل الأصول عند أئمة العلم المعتبرين الذين لا يتجاوزون أو يعدلون عن الدليل من كتاب رب العالمين أوسنة المصطفى الأمين، أو سنة الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين.

ولهذا نجد أهل البدع والضلال يأتون بهذه العبارات المبتدعة ليحبكواالمؤامرة والبدعة على أتباعهم ويخيلوا اليهم أن هذه العبارات والأقوال من الدين كما يفعل المصنف وأمثاله والدين منهم براء، وغاية ما يريد المصنف وأشباهه هو دخول الشيعة فى هذا الظلام المليء بالشرك والكفر والبدع المنكرة التى يعتقدها هو وأمثاله، فبدلاً من أن يكونوا خدامين للقرآن جعلوا القرآن خادماً لأهوائهم وآرائهم الباطلة من خلال تطويعهم النصوص لما يعتقدون من أباطيل ومنكرات، والدليل من أقواله بأن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر وما أراد من هذا الا ان يوهم الشيعة أن علماء الشيعة فقط هم الذين يعلمون هذا العلم، وكل هذا ما تجرأوا عليه الا لأنهم استحلوا الكذب وجعلوه ديناً لهم، ولا يستغرب أحداً ما أقوله فهو قليل جدا لأنهم يستحقون أكثر من هذا لكونهم يكذبون على الله ورسوله وعلى آل البيت.

من أجل اثبات أن القرآن ما أنزل الا فيهم ولبيان فضل أئمتهم وشيعتهم وفى المقابل يظهر الحقد والكراهية والعداء لخير جيل عرفته البشرية ألا وهو جيل الصحابة

وهم من هم الذين مدحهم الله فى قرآنه وأثنى عليهم وترضى عليهم ووعدهم الجنة، فنقول لهم كما قال الله تعالى ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾. فصاحب هذا التفسير يتألى على الله ولا يستحق أن يطلق عليه تفسير القرآن بل يطلق عليه تفسير الشيعة أو كتاب الشيعة بدون ذكر كلمة القرآن لأن القرآن منهم براء، فمن خلال ما سبق من تأصيل أنقل اليكم نماذج من تخاريف المصنف فى تفسيره ، ففى سورة البقرة آية رقم ١٩٦ ص ١٧٠ من تفسيره، والآية تتحدث عن الحج فراح يكذب على الامام الباقر أن تمام الحج لقاء الإمام، وأيضاً يكذب على الامام الصادق بأن تمام الحج ختمه بزيارتنا، ثم راح ليؤكد على هذا الافتراء والتحريف بقوله أن بعد موتهم لا يتم الحج الا بزيارة قبورهم. ما سيأتى نقلا من تفسير الصافي .

يثبت برأيه أن للقرآن ظهر وبطن-كتاب الله على أربعة أشياء العبارة والإشارة واللطائف والحقائق ما من آية الا ولها أربعة معان ظاهر وباطن وحد ومطلع] فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء] .

المقدمة الرابعة :

في نبذ مما جاء في معاني وجوه الآيات وتحقيق القول في المتشابه وتأويله روى العياشي بإسناده عن جابر قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني .ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب آخر غير هذا قبل اليوم فقال لي يا جابر ان للقرآن بطنا وللبطن بطنا وظهرا وللظهر ظهرا يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن إن الآية ليكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه .وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إن القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون أي تتقولوا وتفتروا. يكني ابوبكر وعمر رضى الله عنهم) بالاول والثاني الكفر في الباطن يعنى ان للقرآن ظهر وبطن بزعمه. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴾ (اختاروه عليه) والعياشي عن الباقر عليه السلام الكفر في الباطن في هذه الآية: ولاية الأول والثاني، والأيمان: ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام. ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون: بوضعهم الموالاة في غير موضعها. وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الآية ظاهر وباطن فالظاهر قوله

صلوا عليه والباطن قوله سلموا تسليما أي سلموا لمن وصاه واستخلفه عليكم فضله وما عهد به إليه تسليما قال وهذا مما أخبرتك أنه لا يعلم تأويله إلا من لطف حسه وصفاء ذهنه وصح تمييزه. في ثواب الأعمال والمجمع عن الصادق عليه السلام من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد صلى الله عليه وآله وأزواجه وزاد في ثواب الأعمال ثم قال سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب وكانت أطول من سورة البقرة ولكن نقصوها وحرفوها. ما سبق نقلا من تفسير الصافي .

الـــــردود:

أقول أنا الباحث أن المصنف ومن ينقل عنهم يحذو حذو من غضب الله عليهم في تحريف الكلم عن مواضعه وتفسيره بتفسير وتأويل منكر، تماما كما يفعل أهل الكتاب لذلك أنا أظن أن الكاشاني وأشباهه منهم، لذلك أتيت بهذه الآيات وتأويلها من تفسير ابن كثير من سورة البقرة قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ابن جرير: يعني بقوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ وليست اليهود - يا محمد - ولا النصارى براضية عنك أبداً، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ أي: قل يا محمد: إن هدى الله الذي بعثني به هو الهدى، يعني: هو الدين المستقيم الصحيح الكامل الشامل.

قال قتادة في قوله: ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ قال: خصومة علَّمها الله محمداً صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يخاصمون بها أهل الضلالة. قال قتادة: وبلغنا أن رسول الله ﷺ كان يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقتتلون على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله". قلت: هذا الحديث مُخَرَّج في الصحيح[1] عن عبد الله بن عمرو[2]. ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴾ فيه تهديد ووعيد شديد للأمة عن اتباع طرائق

(١) في ط: "في الصحيحين".
(٢) صحيح مسلم برقم (١٩٢٤).

اليهود والنصارى، بعد ما عَلموا من القرآن والسنة، عياذاً بالله من ذلك، فإن الخطاب مع الرسول، والأمر لأمته.[وقد استدل كثير من الفقهاء بقوله: ﴿ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾ حيث أفرد الملة على أن الكفر كله ملة واحدة كقوله تعالى: ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون : ٦] ، فعلى هذا لا يتوارث المسلمون والكفار، وكل منهم يرث قرينه سواء كان من أهل دينه أم لا؛ لأنهم كلهم ملة واحدة، وهذا مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد في رواية عنه. وقال في الرواية الأخرى كقول مالك: إنه لا يتوارث أهل ملتين شتى، كما جاء في الحديث، والله أعلم] .

وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ قال عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة: هم اليهود والنصارى. وهو قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، واختاره ابن جرير. وقال: سعيد عن قتادة: هم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقال أبو العالية: قال ابن مسعود: والذي نفسي بيده، إن حق تلاوته أن يُحِلَّ حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله. وكذا رواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن قتادة ومنصور بن المعتمر، عن ابن مسعود. وقال السدي، عن أبي مالك، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يُحِلُّون حلاله ويُحَرِّمُون حرامه، ولا يُحَرِّفُونه عن مواضعه.

قال ابن أبي حاتم: وروي عن ابن مسعود نحو ذلك. وقال الحسن البصري: يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، يَكِلُونَ ما أشكل عليهم إلى عالمه. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا ابن أبي زائدة، أخبرنا داود ابن أبي هند ، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ قال: يتبعونه حق إتباعه، ثم قرأ: ﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا ﴾ [الشمس : ٢] ، يقول: اتَّبَعَها. قال: ورُوِيَ عن عكرمة، وعطاء، ومجاهد، وأبي رزين، وإبراهيم النخعي نحو ذلك. وقال سفيان الثوري: حدثنا زُبَيد، عن مُرَّة، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ قال: يتبعونه حق أتباعه.

قال القرطبي: وروى نصر بن عيسى، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ قال: "يتبعونه حق إتباعه"، ثم قال: في إسناده غير واحد من المجهولين فيما ذَكَره الخطيب إلا أن معناه صحيح. وقال أبو موسى الأشعري: من يتبع القرآن يهبط به على رياض الجنة. وقوله: ﴿ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ خَبَر عن ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ ﴾ أي: من أقام كتابَه من أهل الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين حق إقامته، آمن بما أرسلتك به يا محمد، كما قال

تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾ الآية [المائدة: ٦٦] . وقال: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨] ، أي: إذا أقمتموها حق الإقامة، وآمنتم بها حقَّ الإيمان، وصدَّقتم ما فيها من الأخبار بمبعث محمد ﷺ ونعته وصفته والأمر باتباعه ونصره ومؤازرته، قادكم ذلك إلى الحق واتباع الخير في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧] وقال تعالى: ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أي: إن كان ما وعدنا به من شأن محمد ﷺ لواقعًا. وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ× وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [القصص: ٥٢ - ٥٤] . وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران: ٢٠] ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود: ١٧]. وفي الصحيح: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي، إلا دخل النار" .

الرد التفصيلي (١) :

وهذه المسألة قد أخذت بعداً كبيراً وخطيراً عند المصنف (الكاشانى) في تفسير الصافي وعلماء الشيعة، حيث تحول كتاب الله عندهم بتأثير هذا المعتقد إلى كتاب آخر غير ما في أيدي المسلمين، وقد ذهب شيوخ الشيعة وفي تطبيق هذا المبدأ شوطاً بعيداً، وقدم الشيعة مئات الروايات والتي تؤول آيات الله على غير تأويلها. . ونسبوها للأئمة الاثني عشر. وليس لهذا التأويل الباطني من ضابط، ولا له قاعدة يعتمد عليها. . . وسيجد القارئ في تأويله لآيات القرآن محاولة يائسة لتغيير هذا الدين وتحوير معالمه وطمس أركانه. فأركان الدين عندهم تفسر بالأئمة، وآيات الشرك والكفر تؤول بالشرك بولاية علي وإمامته، وآيات الحلال والحرام تفسر بالأئمة وأعدائهم،

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة.

وهكذا يخرج القارئ لهذه التأويلات بدين غير دين الإسلام. وهذا الدين عندهم له ركنان أساسيان هما: الإيمان بإمامة الاثني عشر، والكفر واللعن لأعدائهم.

جاء في أصول الكافي للكليني ما نصه: وينقله عنه المصنف الكاشانى عن محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاً يعنون به موسى الكاظم والذي يعتبرونه إمامهم السابع[1] عن قول الله عز وجل ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف، آية: ٣٣] قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في القرآن هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمة الحق[2] تقرر هذه الرواية الواردة في أصح كتبهم الأربعة مبدأ أن للقرآن معاني باطنة تخالف الظاهر مخالفة تامة، وتضرب المثل بما أحل الله وحرم في كتابه من الطيبات، والخبائث، وأن المقصود بذلك رجال بأعيانهم هم الأئمة الإثنا عشرية، وأعداؤهم وهم كل خلفاء المسلمين.. وهذا التأويل لا أصل له من لغة أو عقل، أو دين، وهو محاولة لتغيير دين الإسلام من أساسه ودعوة إلى التحلل والإباحية!! وفي هذا النص الوارد في أصح كتبهم يظهر من خلاله الدافع إلى القول بأن القرآن له ظهر وبطن، وهو أن كتاب الله سبحانه خلا من ذكر أئمتهم الاثني عشر، ومن النص على أعدائهم، وهذا الأمر أقضّ مضاجعهم، وأفسد عليهم أمرهم، وقد صرحوا بأن كتاب الله قد خلا من ذكر الأئمة فقالوا: "لو قرئ القرآن كما أنزل لألفينا مسمين" وينقله عنه المصنف الكاشانى فلما لم يكن لأصل مذهبهم وهو الإمامة والأئمة ذكر في كتاب الله قالوا بهذه المقالة لإقناع أتباعهم، وترويج مذهبهم بين الأغرار والجهلة، وحتى يجعلوا لهذه المقالة القبول أسندوها - كعادتهم - لبعض آل البيت.

ومسألة القول بأن لنصوص القرآن باطناً يخالف ظاهرها شاعت في كتب القوم وأصبحت أصلاً من أصولهم، لأنه لا بقاء لمذهبهم إلا بها أو ما في حكمها، ولهذا ومن نصوصه في هذه المسألة: "أن للقرآن ظهراً وبطناً، وببطنه بطن إلى سبعة أبطن" المصدر السابق: المصنف الكاشانى، تفسير الصافي وعن جابر الجعفي قال": سألت أبا جعفر عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألت ثانية فأجابني بجواب آخر، فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم؟ فقال لي: يا جابر: إن للقرآن بطناً، وللبطن بطناً وظهراً، وللظهر ظهراً، يا جابر، وليس

---

(١) انظر: أصول الكافي : الهامش: ١/ ٣٧٤ . (٢) أصول الكافي: ١/ ٣٧٤ .

شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، إن الآية لتكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يتصرف على وجوه [(١)] . وما ندري ما كنه هذه البطون؟! والمعنى الذي يحاولون إثباته لا يعدو أحد أمرين: إثبات إمامة الاثني عشر، أو الطعن في مخالفيهم وتكفيرهم، فلماذا تتعدد هذه البطون. . .؟! والناظر في رواياتهم التي تذهب هذا المذهب الباطني والتي تتسع لعرضها المجلدات يجد أنها لا تعدو هذين الموضوعين: قالوا: وقد دلت أحاديث متكاثرة كادت أن تكون متواترة على أن بطونها وتأويلها بل كثير من تنزيلها وتفسيرها في فضل شأن السادة الأطهار. . . بل الحق المبين أن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت، وأن جل فقرات التوبيخ والتشنيع والتهديد والتفظيع؛ بل جملتها في مخالفيهم وأعدائهم. . . إن الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل جل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة. . " المصدر السابق .

الـــــردود: من تفسير ابن كثير:

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب، أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه ، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد. وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه، فروي عن السلف عبارات كثيرة، فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال المحكمات ناسخه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وما يؤمر به ويعمل به. وكذا روي عن عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومُقاتل بن حيّان، والربيع بن أنس، والسُّدِّي أنهم قالوا: المحكم الذي يعمل به.

وقيل في المتشابهات: إنهن المنسوخة، والمقدم منه والمؤخر، والأمثال فيه والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به .رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

---

(١) انظر: أصول الكافي ١/ ٤٠١ - ٤٠٢ .

وأحسن ما قيل فيه الذي قدمناه، وهو الذي نص عليه محمد بن إسحاق بن يسار، رحمه الله، حيث قال ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ فيهن حجة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

قال: والمتشابهات في الصدق، لهن تصريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرّفن عن الحق. ولهذا قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال ﴿ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ وبقوله ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد، ورسول من رسل الله.

وقوله: ﴿ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ﴾ أي: تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل والسدي: يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن. وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة، عن عائشة قالت: قرأ رسول الله ﷺ ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ فقال ﴿ فإذا رأيتم الذين يُجَادِلُون فيه فهم الذين عَنَى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾. وقد روى هذا الحديث البخاري، رحمه الله، عند تفسير هذه الآية، ومسلم في كتاب القدر من صحيحه، وأبو داود في السنة من سننه، ثلاثتهم، عن القَعْنَبِيِّ، عن يزيد بن إبراهيم التُّسْتَرِيّ، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة - رضي الله عنها- قالت: تلا رسول الله ﷺ ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيتَ الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ» لفظ البخاري [1]. وقال الإمام

(١) تفسير الصافي ١/ ٢٩ .

أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث، عن النبي ﷺ في قوله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ قال: "هم الخوارج" ، وفي وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابي، ومعناه صحيح ؛ فإن أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم رسول الله ﷺ غنائم حُنَيْن، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجؤوه بهذه المقالة، فقال قائلهم - وهو ذو الخُوَيْصرة - بقر الله خاصرته - اعدل فإنك لم تعدل، فقال له رسول الله ﷺ : «لقد خِبْتُ وخَسِرْتُ إنْ لَمْ أكن أعدل، أيأمَنُني على أهل الأرض ولا تأمَنُونِي "فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب -وفي رواية: خالد بن الوليد ولا بُعد في الجمع رسول الله ﷺ في قتله، فقال "دَعْهُ فإنه يخرج من ضِئْضِئ هذا - أي: من جنسه - قوم يَحْقِرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يَمْرُقُونَ من الدين كما يَمْرُقُ السهم من الرَّمِيَّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم. ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب، وقتلهم بالنَّهْروان، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونِحَلٌ كثيرة منتشرة، ثم نَبَعَت القَدَرِيَّة، ثم المعتزلة، ثم الجَهْمِيَّة، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق في قوله: " وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فِرْقَةً، كلها في النار إلا واحدة " قالوا: من هم يا رسول الله ؟ قال: " من كان على ما أنا عليه وأصحابي " أخرجه الحاكِم في مستدركه بهذه الزيادة. وقال الحافظ أبو يَعْلَى: حدثنا أبو موسى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن عن جندب بن عبد الله أنه بلغه، عن حذيفة - أو سمعه منه - يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر: " [إن في أمّتي قومًا يقرؤون القرآن يَنْثُرُونَهُ نَثْر الدَّقَل، يَتَأَوَّلُونَهُ على غير تأويله " [لم يخرجوه وقوله ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ ﴾ اختلف القراء في الوقف هاهنا، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل. ويروى هذا القول عن عائشة، وعروة، وأبي الشعثاء، وأبي نَهِيك، وغيرهم. وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا أحمد بن عمرو، أخبرنا هشام بن عمار، أخبرنا ابن أبي حاتم عن أبيه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن ابن العاص، عن رسول الله ﷺ

قال: "إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما تشابه منه فآمنوا به". وقال عبد الرزاق: أنبأنا مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ: " وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون: آمنا به" وكذا رواه ابن جرير، عن عمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس: أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله. وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود: "إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به". وكذا عن أبي بن كعب. واختار ابن جرير هذا القول. ومنهم من يقف على قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد.

وقد روى ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به. وكذا قال الربيع بن أنس. وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ ﴾ الذي أراد ما أراد ﴿ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المُحْكَمَة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتسق بقولهم الكتاب، وصدق بعضه بعضًا، فنفذت الحجة، وظهر به العذر، وأزاح به الباطل، ودفع به الكفر. وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: "اللهم فَقِّهْهُ في الدين وعلمه التأويل". ومن العلماء من فصل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، أحدهما: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ وقوله ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ ﴾ أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجلية إلا الله عز وجل، ويكون قوله ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ مبتدأ و ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى ﴿ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ حالا منهم، وساغ هذا، وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ

وَأَمْوَالِهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ﴾ ﴿ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ﴾ وكقوله تعالى ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ أي: جاءت الملائكة صفوفًا صفوفًا.

وقوله إخبارًا عنهم أنهم ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ أي: بالمتشابه ﴿ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ أي: الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق، وكل واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد لقوله ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ ولهذا قال تعالى ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي (١) إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولو العقول السليمة والفهوم المستقيمة. وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن الزهري، عن عمر بن شعيب عن أبيه، عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال: "إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فكِلُوهُ إلى عَالِمِه"(٢). نموذج من تفسير الصافي

أحييتنا أحياك الله فقال إبراهيم عليه السلام بل الله يحيي ويميت فهذا تفسيره في الظاهر قال وتفسيره في الباطن خذ أربعة ممن يحتمل الكلام فاستودعهن علمك ثم ابعثهن في أطراف الأرضين حججا على الناس وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتونك سعيا بإذن الله تعالى.

الـــرد: من تفسير ابن كثير:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

ذكروا لسؤال إبراهيم عليه السلام، أسبابا، منها: أنه لما قال لنمروذ ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ أحب أن يترقى من علم اليقين في ذلك إلى عين اليقين، وأن يرى

---

(١) البخاري في صحيحه برقم (٤٥٤٧) ومسلم برقم (٢٦٦٥) وأبو داود في السنن برقم (٤٥٩٨).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٧٢) ورواه الطبري (٦/ ٢٠٧) والطبراني في الكبير كما في الدر (٢ / ١٥١) من طريق عبد الله بن يزيد به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٣٢٤) "عبد الله ابن يزيد ضعيف".

ذلك مشاهدة فقال ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فأما الحديث الذي رواه البخاري عند هذه الآية: حدثنا أحمد بن صالح، حدثنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة وسعيد، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أو لم تؤمن. قال: بلى، ولكن ليطمئن قلبي" وكذا رواه مسلم، عن حرملة بن يحيى، عن ابن وهب (١) به فليس المراد هاهنا بالشك ما قد يفهمه من لا علم عنده، بلا خلاف. وقد أجيب عن هذا الحديث بأجوبة، أحدها. وقوله ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ اختلف المفسرون في هذه الأربعة: ما هي؟ وإن كان لا طائل تحت تعيينها، إذ لو كان في ذلك مُتَّهم لنص عليه القرآن وقوله ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أي: قطعهن. قاله ابن عباسτ وعكرمة، وسعيد ابن جبير، وأبو أحدها: قول إسماعيل المزني: لم يشك النبي ﷺ ولا إبراهيم، عليه السلام، في أن الله سبحانه قادر على إحياء الموتى، وإنما بدأ لجاهل يجيبهما إلى ما سألاه. وقال الخطابي في قوله: "نحن أحق بالشك من إبراهيم" : ليس اعتراف بالشك على نفسه ولا على إبراهيم، ولكن فيه نفي الشك عنهما يقول: إذا لم أشك في قدرة الله على إحياء الموتى، فإبراهيم أولى بألا يشك، قال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس، وكذلك قوله: "لو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي "وفيه الإعلام بأن المسألة من جهة إبراهيم لم تعرض من جهة الشك، لكن من قبل زيادة العلم بالعيان، لأنه يفيد من المعرفة والطمأنينة ما لا يفيد الاستدلال، وقيل: قال هذا ﷺ تواضعا وتقديما لإبراهيم قوله: " أو لم تؤمن قال: بلى قد آمنت" . وأظن هذا من تصرف الناسخ، لأنه كتب بالجانب بياض في الأصل. قال الشيخ أحمد شاكر عند هذا الموضع من كتابه "العمدة" الذي هو مختصر تفسير ابن كثير" . (٢/ ١٧٠) هنا بياض في المخطوطة الأزهرية والمطبوعة، لعل الحافظ ابن كثير تركه ليكتب الأقوال في ذلك، ثم لم يفعل سهوا أو نسيانا وقد أفاض الحافظ ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٩٤ - ٢٩٥) في ذكر أقوال العلماء في ذلك. وأجود ذلك عندي قول ابن عطية : "إن الحديث مبني على نفي الشك، والمراد بالشك فيه:

---

(١) المسند (٢/ ١٥٨) ورواه ابن ماجة برقم (٨٥) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٦٠) من طريق عمرو بن شعيب به. وقال البوصيري في "زوائد ابن ماجة" (١/ ٥٨) : "إسناده صحيح ورجاله ثقات" .

الخواطر التي لا تثبت. وأما الشك المصطلح - وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما على الآخر - فهو منفي عن الخليل قطعا؛ لأنه يبعد وقوعه ممن رسخ الإيمان في قلبه، فكيف بمن بلغ رتبة النبوة؟! وأيضا فإن السؤال لما وقع بـ (كيف دل على حال شيء موجود مقرر عند السائل والمسئول، كما تقول: كيف علم فلان فكيف) في الآية سؤال عن هيئة الإحياء لا عن نفس الإحياء فإنه ثابت مقرر. وقال غيره: معناه: إذا لم نشك نحن، فإبراهيم أولى ألا يشك، أي: لو كان الشك متطرفا إلى الأنبياء؛ لكنت أنا أحق به منه، وقد علمتم أني لم أشك فاعلموا أنه لم يشك وإنما قال ذلك تواضعا منه".

مالك، وأبو الأسود الدؤلي، ووهب بن منبه، والحسن، والسدي، وغيرهم. وقال العوفي، عن ابن عباس ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ أوثقهن، فلما أوثقهن ذبحهن، ثم جعل على كل جبل منهن جزءًا، فذكروا أنه عمد إلى أربعة من الطير فذبحهن، ثم قطعهن ونتف ريشهن، ومزقهن وخلط بعضهن في ببعض، ثم جزأهن أجزاءً، وجعل على كل جبل منهن جزءًا، قيل: أربعة أجبل وقيل: سبعة. قال ابن عباس: وأخذ رؤوسهن بيده، ثم أمره الله عز وجل، أن يدعوهن، فدعاهن كما أمره الله عز وجل، فجعل ينظر إلى الريش يطير إلى الريش، والدم إلى الدم، واللحم إلى اللحم، والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها إلى بعض، حتى قام كل طائر على حدته، وأتينه يمشين سعيا ليكون أبلغ له في الرؤية التي سألها، وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذي في يد إبراهيم، عليه السلام، فإذا قدم له غير رأسه يأباه، فإذا قدم إليه رأسه تركب مع بقية جثته بحول الله وقوته؛ ولهذا قال ﴿ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ أي: عزيز لا يغلبه شيء، ولا يمتنع منه شيء، وما شاء كان بلا ممانع لأنه العظيم القاهر لكل شيء، حكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

انتهى تفسير ابن كثير ......،

نموذج آخر من تفسير الصافي

وعن عبد الله بن سنان عن ذريح المحاربي قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن الله أمرني في كتابه بأمر فأحب أن أعلمه قال وما ذاك قلت قول الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم قال عليه السلام ليقضوا تفثهم لقاء الأمام وليوفوا نذورهم تلك المناسك قال عبد الله بن سنان فأتيت أبا عبد الله عليه السلام فقلت

جعلت فداك قول الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم قال أخذ الشارب وقص الأظفار وما أشبه ذلك قال قلت جعلت فداك إن ذريح المحاربي حدثني عنك بأنك قلت له ليقضوا تفثهم لقاء الأمام وليوفوا نذورهم تلك المناسك فقال صدق وصدقت إن للقرآن ظاهرا وباطنا ومن يحتمل ما يحتمل ذريح.

الـــــرد: من تفسير ابن كثير:

وقوله ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: هو وضع الإحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الأظفار، ونحو ذلك. وهكذا روى عطاء ومجاهد، عنه. وكذا قال عكرمة، ومحمد بن كعب القُرَظي. وقال عكرمة، عن ابن عباس ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ قال: التفث: المناسك. وقوله ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني: نحر ما نذر من أمر البُدن. وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ نذر الحج والهدي وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج. وقال إبراهيم بن مَيْسَرَة، عن مجاهد ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ قال: الذبائح. وقال ليث بن أبي سليم، عن مجاهد ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ كل نذر إلى أجل .وقال عكرمة ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ قال حجهم. وكذا روى الإمام ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان في قوله ﴿ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ نذر الحج، فكل من دخل الحج فعليه من العمل فيه: الطواف بالبيت.

ابن حجر/ فتح الباري

لا شك أن للقرآن العظيم أسراره ولفتاته، وإيماءاته وإيحاءاته، وهو بحر عظيم لا تنفد كنوزه ولا تنقضي عجائبه، ولا ينتهي إعجازه.. وكل ذلك مما يتسع له اللفظ ولا يخرج عن إطار المعنى العام.. ولكن دعوى أولئك الباطنيين غريبة عن هذا المقصد، وهي تأويلات - كما سيأتي - لا تتصل بمدلولات الألفاظ ولا بمفهومها، ولا بالسياق القرآن، بل هي مخالفة للنص القرآني تماماً، هدفها هو البحث في كتاب الله من أصل يؤيد شذوذهم، وغايتها الصد عن كتاب الله ودينه، وحاصل هذا الاتجاه الباطني في تأويل نصوص الشريعة هو الانحلال عن الدين [١] :

وعموم البشر على اختلاف لغاتهم يعتبرون ظاهر الكلام هو العمدة في المعنى، وأسلوب الأحاجي والألغاز لا وجود له إلا في الفكر الباطني، ولو اتخذ هذا

(١) صحيح البخاري برقم (٤٥٣٧) وصحيح مسلم برقم (١٥١).

الأسلوب قاعدة لما أمكن التفاهم بحال، ولما حصل الثقة بمقال؛ لأن المعاني الباطنية لا ضابط لها ولا نظام. والمتأمل لهذه المقالة يدرك خطورة هذا الاتجاه الباطني في تفسير القرآن، وأنه يقتضي بطلان الثقة بالألفاظ، ويسقط الانتفاع بكلام الله وكلام رسوله، فإن ما يسبق إلى الفهم لا يوثق به، والباطن لا ضابط له، بل تتعارض فيه الخواطر، ويمكن تنزيله على وجوه شتى، وبهذا الطريق يحاول الباطنية التوصل إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها، وتنزيلها على رأيهم. لو كانت تلك التأويلات الباطنية هي معاني القرآن، ودلالاتها لما تحقق به الإعجاز، ولكن من قبيل الألغاز، والعرب كانت تفهم القرآن من خلال معانيه الظاهرة.

شيخ الإسلام ابن تيمية: "من ادعى علماً باطناً، أو علماً بباطن وذلك يخالف العالم الظاهر كان مخطئاً، إما ملحداً زنديقاً، وإما جاهلاً ضالاً... وأما الباطن المخالف للظاهر المعلوم، فمثل ما يدعيه الباطنية القرامطة من الإسماعيلية والنصيرية وأمثالهم" ثم يقول: "وهؤلاء الباطنية قد يفسرون ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ أنه علي.. وقوله ﴿ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ ﴾ [التوبة، آية ١٢] أنهم طلحة والزبير، ﴿وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ فِي القُرْآنِ ﴾ [الإسراء، آية ٦٠] بأنها بنو أمية (١) هذه التأويلات التي ينقلها ابن تيمية وينسبها للباطنية موجودة بعينها عند الكاشاني/ تفسير الصافي والاثني عشرية، فالتأويل المذكور للآية الأولى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ جاء عنده، وسجل في طائفة من كتبهم المعتمدة انظر من ذلك وليس في الآية أية دلالة على هذا التأويل (٢) .

تفسير ابن كثير: قال السلف في تفسير الآية: إن الإمام المبين ها هنا هو أم الكتاب، أي: وجميع الكائنات مكتوبة في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظوكذلك الآية الثانية: ﴿ قَاتِلُوا أَئِمَّةَ الكُفْرِ ﴾ ورد تأويلها بذلك في طائفة من كتبهم المعتمدة (٣) ، ومثلها الآية الثالثة: ﴿ وَالشَّجَرَةَ المَلْعُونَةَ ﴾ جاء تأويلها عند مجموعة من مصادرهم المعتمدة (٤) وسنجد أنهم قالوا بأكثر من هذا، وأعظم من

---

(١) ابن حجر فتح الباري ١/ ٢١٦ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. ١٣/ ٢٣٦-٢٣٧ .

(٣) تفسير القمي: ٢/ ٢١٢، الكاشاني / تفسير الصافي: ٤/ ٢٤ .

(٤) انظر: تفسير الصافي: ٢/ ٣٢٤، تفسير العياشي: ٢/ ٧٧-٧٨، وانظر: تفسير القمي: ١/ ٢٨٣ .

هذا، ولكن نقلنا هذا لنبين أن ما يذكره علماء الإسلام عن الباطنية من تأويلات منحرفة قد ورثته طائفة الاثني عشرية، و أصبح منهجاً من مناهجها. وكان علماء الإسلام يستنكرون هذا التأويل الباطني، لأن "من فسر القرآن وتأوله على غير التفسير المعروف من الصحابة والتابعين فهو مفتر على الله، ملحد في آيات الله، محرف للكلم عن مواضعه، وهذا فتح لباب الزندقة والإلحاد، وهو معلوم البطلان بالاضطرار من دين الإسلام"(١) .

يلاحظ أن هذه التأويلات ليست عندهم آراء اجتهادية في تأويل القرآن قابلة للأخذ والرد والمناقشة والتعديل، بل هي في مقاييسهم نصوص شرعية لها سمة الوحي وأهميته، وقدسية النص النبوي وشرعيته. وقد جاءت عندهم نصوص كثيرة تحذر وتنذر من رد أمثال هذه النصوص التي لا تتفق مع العمل والفطرة، ولا مع المنطق واللغة. وأن الواجب التسليم وعدم الاعتراض، على لغة: "أطفئ مصباح عقلك واعتقد" ، وقد حاولوا توطين أتباعهم على قبول أمثال هذه النصوص فقالوا" :إن حديثنا تشمئز منه القلوب فمن عرف فزيدوهم، ومن أنكر فذروهم" وأمثال هذه الروايات كثيرة، ويلاحظ أن في الرواية الأخيرة ما يدل على أن من الشيعة من يستبشع رواياتهم، ولكن يلزمون بالإيمان الأعمى بها، بل يعتبر من توقف في رواية من هذه الروايات وقال: " كيف جاء هذا، وكيف كان، وكيف هو؟، فإن هذا والله الشرك بالله العظيم(٢) وقد اهتم بهذه القضية صاحب تفسير الصافي أن حديثهم -عليهم السلام- صعب مستصعب، وأن كلامهم ذو وجوه كثيرة وفضيلة التدبر في أخبارهم -عليهم السلام- والتسليم لهم والنهي عن رد أخبارهم والمصنف (الكاشانى) "ممن يعتقدون ذلك وينقله عنهم ولعل أول من أرسى دعائم هذا المعتقد صاحب الكافي والذي خصه بباب مستقل بعنوان" :باب فيما جاء أن حديثهم صعب مستصعب" وذكر فيه خمس روايات (٣). ولعل هذا الأسلوب هو الذي ساعد على تفشي تلك المقالات الأسطورية، وغياب الصوت العاقل الذي يجهر بالحق.. ويعري الباطل ويفضحه. وهذا نوع من الاستهواء الذي يطالب فيه الأتباع بالإيمان بأقوال الأئمة وإن خالفت العقل والنقل، وهو قريب من موقف الصوفية الذي يطالب فيه

---

(١) انظر: تفسير القمي: ٢/ ٢١، تفسير العياشي: ٢/ ٢٩٧، تفسير الصافي.
(٢) الفتاوى ١٣/ ٢٤٧ .
(٣) انظر: رجال الكشي: ص١٤٩ .

الشيوخ مريديهم بالتسليم لهم حتى إنهم قالوا: إن المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي غاسله، وهذا الاستهواء هو الذي لجأ إليه فرعون مع قومه، وأشار إليه الله سبحانه بقوله: ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف، آية٥٤] [انظر(٣)] .

إن للتفسير عندهم وجوهاً: ظاهرة، وباطنة، والجميع معتبر. قال أبو عبد الله - كما يزعمون-: إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، وجاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، ولا إيمان بظاهر إلا بباطن، ولا باطن إلا بظاهر، ولهذا يلاحظ أن بعض تفاسير الشيعة لم تذكر هذا التأويل، أو ذاك، وإنما ذكرت ما ظهر من الآية الذي قد يوافق اللغة أو ما جاء عن السلف، ولكن قد لا يعني هذا مخالفتهم لذلك التأويل الباطني لأنهم يقولون بأن لكل آية معنى باطناً ومعنى ظاهراً، والكل مراد، فقد يكتفي بعضهم بذكر الظاهر وحده، أو الباطن فقط، أو يذكر الوجهين جميعاً ففي هذا النص - الذي أورده صاحب الكافي، وغيره -التصريح بأن للقرآن معاني ظاهرة تقال لعامة الناس، وله معان باطنة لا تذكر إلا للخاصة ممن يستطيع احتمالها، وهم قلة لا توجد "فمن يحتملُ ما يحتمل ذريح" وإذا كان الأئمة يضنون بهذا العلم الباطني، ويتحاشون ذكره عند شيعتهم إلا من كان على مستوى ذريح فماذا خالفت كتب الاثني عشرية نهج أئمتها وأشاعت هذا "العلم" المضنون به على غير أهله للخاص والعام؟! هذا ما يؤخذ من أقوال هؤلاء القوم .. ولعل قائلاً يقول: لماذا لا يكون هذا التأويل الذي يتفق وظاهر النص، وسياق القرآن، ولغة العرب، وما أثر من السلف، وما اتفق عليه جماعة المسلمين هو الذي يعتقد صدوره عن أمثال محمد الباقر، وجعفر الصادق وغيرهما من أئمة العلم والدين واللغة، وأن تلك التأويلات الباطنية التي لا تستند إلى أصل معتبر من نقل أو عقل أو لغة هي من وضع زنديق ملحد أراد الإساءة إلى كتاب الله ودينه، وإلى أهل البيت، ولاسيما أن تلك الأقوال الباطنية لا تذكر إلا خلسة وفي الظلام، ولا ينقلها إلا قلة كما يشير إليه نهاية الخبر، وتفسير القرآن لا يمكن أن يكون علماً سرياً لا يتحمله إلا خاصة الناس، فالله سبحانه أنزل كتابه لعباده كافة لا لفئة معينة، وهؤلاء الأئمة كان عصرهم يمثل العصر الذهبي للأمة في وقت عزة الإسلام والمسلمين، فهل يصبح تفسير القرآن في عصرهم "سرياً" وفي هذا العصر يعلن هذا التفسير؟! وأئمة أهل البيت هم أجرأ وأشجع من أن يجبنوا عن بيان الحق، وأن يتخلوا عن الصدع بأمر الله وشرعه.

هذه التـأويلات الباطنيـة هي من باب الإلحـاد في كتـاب الله وآياته - وقد قـال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت، آية: ٤٠] . قال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام في غير موضعه (١) .

قال في الإكليل: "ففيها الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ كما يفـعله الاتحادية والملاحدة" (٢) المطبوع على هامش جامع البيـان في تفسير القرآن. . وهؤلاء الذين يلحـدون في آيات الله ويحرفـونها عن معانـيها وإن كتـموا كفرهم وتستروا بالباطل وأرادوا الإخفـاء لكنهم لا يخفون على الله كما قال تعالى : ﴿لا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾ ربط شيوخ الشيعة هذه التـأويلات أو التحريفات بأئمة أهل البيت لتحظى بالقبول عند الناس، ولأنها تأويلات غير عـاقلة قالوا: بأن السياق القرآني غير منسجم مع النظر الـعقلي، ونسبوا هـذا القول لجعفـر الصادق كمـا يروي ذلك جابر الجعـفي أنه قال له: "يا جابـر، إن للقرآن بطناً وللبطن ظهـراً، ثم قال: وليس شيء أبعد من عقول الرجال منه، إن الآية لينزل أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل يـتصرف على وجوه" [تقـدم تخريج هذا النص] .ولاشك أن هذا الحكم هو برواياتهم أليق وأوفق، ولا يتصل من قريب أو بعيد بكتاب الله وتفسيره الصحيح.

قامت مصادره فـي التفسير - غالباً - علـى هذا المنهج الباطني في التأويل الذي استقته من أبي الخطـاب وجابر الجعفي والمغيرة بن سعيد وغـيرهم من الغلاة. حيث فسـروا كثيـراً من آيات القرآن على هذا النحو مـن التأويل الباطني، وزعـموا أن جل آيات القرآن العظيم نزل فيهم وفي أعدائهم (٣) .

أختم هذا المبحث بأن المصنف الكاشانى ومن يأخـد عنهم أرادوا بأقوالهم السابقة صرف الشيعـة عن العلم والبحث واعمال العقل فسـدوا أمامهم كل طريق، وكل هذا واضح لنا تمام الوضوح حـتى يظل الناس دائما محـتاجين الى آرائهم وأهوائهم لأنهم وحدهم لا غيرهم يعلمون العلم وهم الذين يعلمون التأويل الظاهر والباطن، والحلال والحرام كما سـيأتى يتجدد، وما أرى أن هناك آية ترد على ما سبق بمثل قـوله سبحانه وتعالى﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ .

---

(١) تفـسير الـطبري: ٢٤/١٢٣] ، [فتـح القدير٤/ ٥٢٠] .وذلك بالانحـراف في تأويله [انظر: القاسمي / محاسن التأويل ١٤/ ٢١١، الألوسي / روح المعاني ٢٤/ ١٢٦ .

(٢) السيوطي/ الإكليل : ص٣٥٤ .

(٣) من كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

الفصــل الثالــث

المصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة يقولون بأن في كتاب الله نقصاً وتغييراً

أقول أن المصنف وعلماء الشيعة بهذا القول أقاموا على أنفسهم أكبر دليل يدل على أنهم أعداء للاسلام وأهله، وأنهم مجموعة من الحاقدين والحاسدين والماكرين الذين امتلأت قلوبهم غيظاً على الإسلام والمسلمين ووضعوا أمامهم هدفاً واحدا ألا وهو هدم الاسلام واقتلاع بنيانه من جذوره ولن يتأتى ذلك الا من خلال التشكيك فى كتاب الله والنيل منه ووضع علامات استفهام حوله وحول من أنزل عليه وحول من نقل عنه هذا القرآن، ولكى يتمكنوا من تحقيق هذا المكر الخبيث أخذوا الاسلام ستاراً وتظاهروا بالانتماء اليه ولبسوا زى الاسلام ظاهراً وادعوا كذباً وزوراً أنهم المدافعين عن الاسلام بل وعدّوا أنفسهم من علماء الإسلام، والإسلام منهم براء، بل أن هذا من الكفر البواح اذ لا يقول أحد من المسلمين أن القرآن محرف، فلا يخرج هذا القول الا من كافر تمكن الكفر من قلبه وعقله ولسانه ويده بل صار من جملة الأعداء الذين يصدون عن سبيل الله، وهؤلاء يصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ (النحل) وأيضاً قوله عز وجل ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف) وهم بهذا الادعاء يزعمون أن دين الله ألعوبة فى يد الشيعة يقولون فيه ما يشاءون دون أن يرّد عليهم أحد، نقول لهم كما قال عز وجل ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾، فالله سبحانه وتعالى تولى حفظ كتابه بنفسه فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يحرف ولا يبدل، تصديقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وعلماء الشيعة يردون على الله قوله ويكّذبون خالقهم ويفترون على الله الكذب بقولهم أن كتاب الله فيه تغيير ونقص، فهل وجدت جراةً وفجراً ووقاحة أعظم وأكبر من هذا، لا والله ما وجدت عند أحد من الكفار سواء من اليهود والنصارى وغيرهم من يطعن فى دينه مثل ما فعل علماء الشيعة فاليهود والنصارى رغم أنهم حرفوا وبدلوا فى كتبهم الا أنهم يدافعون عنها وينكرون على من يقول على كتبهم هذا القول، وعلماء الشيعة مع علمهم أن القرآن محفوظ بحفظ الله له الا أن الكفر والحقد الدفين والغيظ حملهم على أن يتهموا كتاب الله بما ليس فيه، ومن أجل أن يحبكوا هذه المؤامرة راحوا كعادتهم يكذبون، فزعموا أن النبى ﷺ خص علىّ بالقرآن دون غيره وهذا من

أبين وأعظم الكذب فـهل ظن هؤلاء أن الدين كان سـراً لا يطلع عليه أحـد الا عليّ فأين هؤلاء من قول الله ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ بل وأين هم من قوله ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۞ قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ وقوله ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ وقوله ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ [الزمر: آيـة ٤٠] وقوله ﴿ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ وأخيراً ومن آخر ما نزل قوله ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا ﴾، ثم راحوا يكذبون على عليّ فزعموا أنه قـال أن النبى ﷺ خـصـه بالقرآن وكل الـعلوم من لدن آدم الى قـيام الـساعـة، واستـودعه وحده هذه العلوم دون غـيره، كذب وكـذب والكذب مستـمر مع هؤلاء الأفـاكين المبطلين ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٠] ويستمر المصنف ومن ينقل عنهم فى الكذب، واليك هذه الرواية المكذوبة على النبى ﷺ وعلى عليّ ابن أبى طالب رضي الله عنه .

ما سيأتى نقلا من تفسير الصافى

المقدمة السادسة:

في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحـريفه وزيادته ونقصه وتأويل ذلك: روى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره بإسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال :إن رسول الله صلى الله علـيه وآله قـال لعـلي عليـه السـلام يا علي إن القـرآن خلف فـراشي في الصحف والحرير والقراطيس فخذوه واجمعوه ولا تضـيعوه كما ضيعت اليهود التوراة فانطلق علي عليه السلام جمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته وقال: لا أرتدي حتى أجمعه. قال: كان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه.

الرد والنقد

أقول أنا الباحـث وفيها من التناقض والكذب الكثـير من ذلك، أن النبى لم يكن كاتباً ولا قارئاً مصداقاً لقوله ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ العنكبوت، فمن أين أتى بهذه الـصحف والقراطيس وهى ما زالت عند كتّـاب الوحى ولـم يرد أنه أمرهم بجمعـها قبل مـوته ولم يرد ولم يصح أنه أمر عليّ رضي الله عنه بجمعه ، ثم ان عليّ لم يؤثر عنه ذلك ولو قـيل أنه فعل لشاع وانتشر وصار حجة على الجميع دون منازع ، ثم أن الـقول أن عليّ ختم على الثوب الاصفر فى بيته ولـم يرتدى وكان يخرج على من يأتيه بغير رداء هذا من أكذب الكذب عليه،

وهنا عدة أسئلة، هل كـان على عديم الحياء لدرجة أنه يخـرج على الناس بغير رداء، كلا وألف كلا انه الحييّ الكـريم الذى تربى فى بيت المصطفى وكفى، ثم إن هذا اتهام له بترك الجـماعات فـمن أين أتوا بهذا الكذب ولم يؤثر عنـه أبداً أنه استهـان بصلاة الجمـاعة التى كان حـريصاً عليها داعـياً إلى المحافظة عليـها حتى فى أشـد الأوقات ومواطن الجهاد، فـكل ما ذكر من الكذب والباطل الذى أراد به علماء الشيـعة التقليل من شأن القرآن وصرف الناس عنه حتى يتم السيطرة على عقول وقلوب الشيعة، وبعد قليل تجده أى المصنف يأتى بقـول وكذب آخر ينسف القول السـابق وهو ما يدل على تناقـضه واضطرابه وهذا هو شـأن أهل الباطل والكذب، من ذلك أنه ذكـر أن علىّ رضي الله عنه قال لطلحـة أن كل آية نزلت على النبى عندى باملاء النبى ﷺ وبخط يدى بل كل ما تحتاج اليه الأمة الى يوم القيامة من تأويل وحلال وحرام حتى زعم ان النبى ﷺأسر إليه بمفتاح العلوم الذى يفتح به ألف باب.

واليك هذه الافتراءات من تفسير المصنف [عمر بعث إليك أن أبعث به إليَّ فأبيت أن تفعل فدعا عـمر الناس فإذا شهد رجلان على آية كـتبها وإن لم يشهد عليـها غير رجل واحد أرجأها فلم يكتب فقال عمر وأنا أسـمع إنه قد قتل يوم اليمامة قوم كانوا يقرؤن قرآنا لا يقـرؤه غيرهم فقد ذهب وقد جـاءت شاة إلى صحيفة وكتـاب يكتبون فأكلتها وذهب ما فيـها والكاتب يومئذ عثمان وسمعت عمـر وأصحابه الذين ألفوا ما كتبوا على عهد عمر وعلى عهد عـثمان يقولون ان الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة وأن النور نيف ومائة آية والحجر تسعون ومـائة آية فما هذا وما يمنعك يرحمك الله أن تخرج كتاب الله إلى الناس وقد عمد عثمان حين أخذ ما ألف عمر فجمع له الكتاب وحمل الناس على قراءة واحدة فـمزق مصحف أُبي بن كعب وابن مسعود وأحـرقهما بالنار. فقال له علي: يا طلحة إن كل آية أنزلهـا الله عز وجل على محمد ﷺ عندي بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكل حـلال وحرام أو حد أو حكم أو شيء يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مـكتوب بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخط يدي حتى أرش الخدش. قال طلحة كل شيء من صغير أو كبير أو خاص أو عام كان أو يكون إلى يوم القيـامة فهـو عندك مكتوب. قال: نعم وسـوى ذلك إن رسول الله ﷺأسرّ إلـيَّ في مرضـه مفتـاح ألف باب من العلم يفـتح كل باب ألف باب ولو أن الامة منذ قبـض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتبعـوني وأطاعوني لأكلوا من

فوقهم ومن تحت أرجلهم وساق الحديث إلى أن قال: ثم قال طلحة: لا أراك يا أبا الحسن أجبتني عما سألتك عنه من أمر القرآن ألا تظهره للناس. قال يا طلحة عمدا كففت عن جوابك فأخبرني عما كتب عمر وعثمان أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟! قال طلحة بل قرآن كله. قال إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة فان فيه حجتنا وبيان حقنا وفرض طاعتنا قال: طلحة حسبي أما إذا كان قرآنا فحسبي. ثم قال طلحة: فأخبرني عما في يديك من القرآن وتأويله وعلم الحلال والحرام إلى من تدفعه ومن صاحبه بعدك؟ قال عليه السلام إن الذي أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أدفعه إليه وصيي وأولى الناس من بعدي بالناس إبني الحسن ثم يدفعه إبني الحسن إلى إبني الحسين عليهما السلام ثم يصير إلى واحد بعد واحد من ولد الحسين عليه السلام حتى يرد آخرهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حوضه هم مع القرآن لا يفارقونه والقرآن معهم لا يفارقهم. قال: وفي رواية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله جمع علي عليه السلام القرآن وجاء به إلى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فلما فتحه أبو بكر خرج في أول صفحة فتحها فضائح القوم فوثب عمر فقال: يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه فأخذه علي عليه السلام وانصرف ثم احضر زيد ابن ثابت وكان قارئا للقرآن فقال له عمر إن عليا عليه السلام جاءنا بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار، وقد أردنا أن تؤلف لنا القرآن وتسقط منه ما كان فيه فضيحة وهتك للمهاجرين والأنصار. فأجابه زيد إلى ذلك ثم قال: فإن أنا فرغت من القرآن على ما سألتم وأظهر علي القرآن الذي ألفه أليس قد بطل كل ما قد عملتم. ثم قال عمر: فما الحيلة؟ قال زيد: أنتم أعلم بالحيلة. فقال عمر: ما الحيلة دون أن نقتله ونستريح منه. فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر] من تفسير الصافى.

الردود:

أليس هذا من الأوهام التى لا تذكر إلا عند غياب العلم والعلماء وانتشار الجهل والخرافات التى لا تنطلى الا على السذج والمخرفين من المجانين التى تقص عليهم عند مجالس المخدرات والمسكرات وعند غياب العقل عن الإدراك، ثم يتهم علياً رضي الله عنه أن القرآن الذى عنده فيه فضائح أوائل المهاجرين والأنصار أليس هو من أوئل المهاجرين بل كان يقرأ القرآن ويعلمه لغيره حتى صار أميراً للمؤمنين ويصلى إماماً

ويخطب ويعظ بالقرآن ولو استمع وجاء اليه من يخبره أن أحداً يخالف قراءة امير المؤمنين على لصعد المنبر وحذر ووعد المخالف بالعقوبة وهو أشجع الناس وأحرص الناس على اظهار الحق وخاصة ما يتعلق بأمر القرآن الذى اختلط بلحمه ودمه ومما هومعلوم أنه أخذ عنه القرآن كثير من أهل العلم الذين صار لهم سند وقراءاة مشهورة من طريق علىّ وآل بيته الكرام رضي الله عنهم وكل ذلك مما هو عليه جميع الصحابة رضي الله عنهم من لدن النبى مروراً بأبى بكر حتى عثمان رضي الله عنهم، وأليس ما يقوله الشيعة هذا اتهام بتناقض القرآن، الذى مدح المهاجرين والأنصار ووعدهم الجنة وهم أحياء ليسوا وحدهم ولكن من تبعهم باحسان الى يوم الدين، أليس هذا المصنف من الأعداء الذين امتلأت قلوبهم غيظاً على الآل والأصحاب رضي الله عنهم، ثم راح يتهم عمر الفاروق وأبوبكر الصديق رضي الله عنهم بمحاولة أخذ القرآن من علىّ ليحرفوه وكأنه يتحدث عن أعداء لاعن أصحاب للنبى ثم يكرر وصفهم بالكفر والنفاق واللعن، ولست أدرى لم؟، ثم إذا ذكر غير المسلمين من يهود ونصارى ومجوس لم يذكر عنهم أى شئ اللهم الا التماس الأعذار ووصفهم بأنهم من أهل الجنة وأنهم يموتون على التوحيد، وعكس ذلك وصف أصحاب النبى بالكفر وحكمه عليهم بأنهم من أهل النار، من هنا يتأكد لنا أن المصنف يقف فى صف أعداء الاسلام ويمدحهم، ويقف ضد أهل الاسلام ويلعنهم، ويصف مصدر عزهم ومرجعهم عند التنازع والدليل الذى يرجعون اليه عند الاختلاف يصفه بهذه الفريه وبهذا الكذب الذى لم يجرؤ عليه حتى أعداؤه من غير الشيعة فلم تخرج هذه الفرية الا من الكذابين من علماء الشيعة من أمثال المصنف ومن ينقل عنهم.

[واليك بعض أكاذيب علماء الشيعة وينقلها المصنف فى تفسيره ويؤكد علي تحريف القرآن والزيادة والنقص فيه ويذكر قرآن علي الذي لايرى وبإسناده عن البزنطي قال: دفع أبو الحسن عليه السلام مصحفا وقال: لا تنظر فيه ففتحته وقرأت فيه لم يكن الذين كفروا فوجدت فيه اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم .قال: فبعث إليّ إبعث إليّ بالمصحف. وفي تفسير العياشي عن أبي جعفر عليه السلام قال: لولا إنه زيد في كتاب الله ونقص ما خفي حقنا على ذي حجى ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن وفيه عن أبي عبد لله عليه السلام قال: لو قرأ القرآن كما أنزل لألفيتنا فيه مسمين. وفيه عنه عليه السلام إن القرآن قد طرح منه آي كثيرة ولم يزد فيه إلا حروف قد أخطأت به الكتبة وتوهمتها الرجال.

أخبرتك أنه لا يعلم تأويـله الا من لطف حسه وصفا ذهنه وصح تمـييزه وكذلك قـوله سلام عـلى آل ياسين لأن الله سـمى النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) بهـذا الاسم حيث قال: (يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين)، لعلمه بأنهم يسقطون قول سلام على آل محمـد (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أسقطوا غـيره وما زال رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتألفهم ويقربـهم ويجلسهم عن يمينه وشماله حتى أذن الله عز وجل في إبعادهم بقوله واهجرهم هجرا جمـيلا، وبقوله: فما للذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا إنا خلقناهم مما يعلمون.

سورة النساء وذكر القـمي وغيره في سبب نزوله وكيفية نظام مـحصوله واتصال فصوله وجوهاً أخر ولا يخلو شيء منها عن تعسف. وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السـلام قال لبعض الزنادقة في حـديث وأما ظهورك على تناكر قـوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحـوا ما طاب لكم من النساء فليس يشبه القسط في اليتامى نكاح النساء ولا كل النساء اليتامى فهو مما قدمت ذكره من إسقاط المنافقين من القرآن وبين القول في الـيتامى وبين نكاح النساء من الخطاب والقـصص أكثر من ثلث القرآن وهذا ومـا أشبهـه مما ظهرت حوادث المنافـقين فيه لأهل النظر والتـأمل ووجد المعطلون وأهل الملل المخالفة للإسلام مساغا إلى القدح في القرآن ولو شرحت لك كل ما أسقـط وحرف وبدل لما يجري هذا المجرى لطال وظهـر ما تحظر التقيـة إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء .

سورة الإسراء ص (٢٠٢) وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث وجعل أهل الكتاب القائمين به والعاملين بظاهره وباطنه من شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها أي يظهر مثل هذا العلم لمحتمليه في الوقت بعد الوقت وجعل أعدائها أهل الشجرة الملـعونة الذين حاولوا إطفاء نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو علم المنافقون لعنهم الله ما عليهم من ترك هذه الآيات التي بينت لك تأويلها لأسقطوها مع ما أسقطوا منه.

ما سبق نقلا من تفسير الصافى

الردود والنقد

تفـسيـر الطبرى: القـول في تأويل قوله تعـالى: ﴿ إِنَّا نَـحْنُ نزلْنَـا الذِّكْـرَ وَإِنَّـا لَهُ

لَحَافِظُونَ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل مًا ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: ﴿ لَهُ ﴾ من ذكر الذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

تفسير ابن كثير: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ يقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا** ﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفترياً علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال: ﴿ **لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ** ﴾ قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه. ﴿ **ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ** ﴾ [قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرقُ الذي القلب معلق فيه وقوله ﴿ **فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ** ﴾ أي: فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك. والمعنى في هذا بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله، عز وجل، مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات.

وأقول للمصنف ومن على عقيدته إذا كان هذا وعيد الله لرسوله ﷺ الذى اصطفاه، فكيف يكون انتقامه من ثبت جرأته وفريته على كلام الله، سواء كان بالزيادة أو النقصان.

ردود ونقدإجمالية:

أجمع أهل السنة والمسلمون جميعا على صيانة كتاب الله عز وجل من التحريف والزيادة والنقص فهو محفوظ بحفظ الله له قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ ولا يوجد في كتب أهل السنة المعتمدة رواية واحدة صحيحة تخالف هذا وقد ذكر مفسروا أهل السنة عند قوله سبحانه: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ أن القرآن محفوظ من أي تغيير أو تبديل أو تحريف انظر القرطبي: "جامع أحكام القرآن" النسفي: "مدارك التنزيل"، "تفسير الخازن"، "تفسير ابن كثير"، البيضاوي: "أنوار التنزيل"، الألوسي "روح المعاني"، صديق خان "فتح البيان"، الشنقيطي "أضواء البيان" وغيرهم من المفسرين .

إنّ صيانة كتاب الله عز وجل من التحريف والزيادة والنقص هي من الأمور البديهية الثابتة على صفحات الواقع التاريخي، والتي لا تحتاج إلى مزيد استدلال

وتوضيحٍ وبيـان، حتّى إنّ بعض المنصـفين من علماء وأساتذة غـير المسلمين صـرّحوا بعدم وقـوع التحريف في القـرآن الكريم؛ فالأستـاذ لوبلو يقول: إنّ القـرآن هو اليوم الكتاب الربّاني الوحيد الذي ليس فيه أي تغيير يذكر (١).

ويقول السير وليام موير: إنّ المصحف الذي جمعه عثمان رضى الله عنه قد تواتر انتقاله من يدٍ ليـدٍ حتّى وصل إلينا بدون تحريف، وقد حُفظ بـعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أيَ تغييرٍ يُذكَر، بل نسـتطيع القول أنّه لم يطرأ عليه أيّ تغييرٍ على الإطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الإسلامية الواسعة (٢). وبمثل ذلك صرّح بلاشير أيضاً (٣).

وقد أسـتدلّ العُلماء المحقّـقون على عدم وقـوع التحريف في القـرآن بجملة من الأدلة الحاسمة، هي من القوّة والمتانة بحيث يسـقط معها ما دلّ على التحريف وتدفع كلّ ما أُلصق بـجلال وكرامـة وعظمة القـرآن الكريم من زعم التحريف وتُـفنّد القول بذلك وتُبطله ـ حفظ الله سبحانه للقرآن الكريم، ولذا لم يتّفق لأمر تاريخي من بداهة البقاء مثلما اتّفق للقرآن الكريم، فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي تعهّد الله سبحانه وتعالى ببـقائه مـصوناً من تلاعب أهل الأهواء ومن التـحريف وإلى الأبد حـيثُ قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾.

فالمراد بـالذكر ـ كمـا يقول المفسّرون ـ في هذه الآية: الـقرآن الكريم، وصـيانة القرآن من التحريف من أبرز مصاديق الحفظ المصرّح به في هذه الآية، ولولا أن تكفّل الله تعالى بحفظ القرآن الكريم وصيانتـه عن الزيادة والنقصان لدُسّ فيه ما ليس منه، كما دُسّ في الكتب المتقدّمة من التـوراة والانجيل وذلك لأن الله سبحانه وتعالى وكّل حفظ هذه الكتب الى الأحـبار والرهبان كـما جاء ذلك فى قـوله عز وجل ﴿ **بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ** ﴾، فلم يبقَ فيها سـوى ما دخل عليها من ركيكَ الكلامِ وباطلَ القَول، ولكنَ الكتاب الكريم قد تولى الله عز وجل حفظه، ولم يسند الى أى أحد حـفظه فصار مـحفوظاً بحـفظ الله له الى أن يرث الله الأرض من عليها.

---

(١) تاريخ القرآن للصغير: ٩٤ عن كتاب: المدخل إلى القرآن لمحمد عبدالله دراز ٣٩، ٤٠.
(٢) تاريخ القرآن للصغير: ٩٣.
(٣) القرآن نزوله، تدوينه، ترجمته وتأثيره لبلاشير.

وقد نفى الله سبحانه وتعالى الباطل بجميع أقسامه عن الكتاب الكريم بصريح قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ .

وعليه فالقرآن مصونٌ عن التحريف وعن أن تناله يد التغيير منذ نزوله وإلى يوم القيامة، لأنه تنزيلٌ من لدن حكيم حميد، إنّ الآية وصفت الكتاب بالعِزّة، وعزّة الشيء تقتضي المحافظة عليه من التغيير والضياع والتلاعب، ومن التصرف فيه بما يشينه ويحطّ من كرامته وإلى الأبد.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ [القيامة: ١٧- ١٩] ، فعن ابن عباس وغيره: إنّ المعنى: إنّ علينا جَمْعَهُ وقُرآنَهُ عليك حتّى تحفظه ويمكنك تلاوته، فلا تخف فوت شيءٍ منه، وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: تركت فيكم، ما إنّ تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي وهذا يقتضي أن يكون القرآن الكريم مدوّناً في عهده صلى الله عليه وآله وسلم بجميع آياته وسوره حتّى يصحّ إطلاق اسم الكتاب عليه، ويقتضي أيضاً بقاء القرآن كما كان عليه على عهده صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوم القيامة لتتمّ به الهداية الأبدية للأمة الإسلامية والبشرية جمعاء ماداموا متمسكين بهما، وإلاّ فلا معنى للأمر بإتباع القرآن والرجوع إليه والتمسّك به، إذا كان الآمر يعلم بأنّ قرآنه سيُحرّف ويبدّل في يومٍ ما !

إنّ ثبوت قرآنية كلّ سور القرآن وآياته، لا يتمّ إلاّ بالتواتر القطعي منذ عهد الرسالة وإلى اليوم، ممّا يقطع احتمال التحريف نهائياً - إنّ التحريف ينافي كون القرآن المعجزة الكبرى الباقية أبد الدهر.

فاحتمال الزيادة أو التبديل باطل، لأنه يستدعي أن يكون باستطاعة البشر إتيان ما يماثل القرآن، وهو مناقض لقوله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [البقرة: ٢-٢٣] ولغيرها من آيات التحدي وكذلك احتمال النقص بإسقاط كلمةَ أو كلمات ضمن جملةٍ واحدةٍ منتظمةٍ في أُسلوب بلاغي بديع، فإنّ حذف كلمات منها سوف يؤدّي إلى إخلال في نظمها، ويذهب بروعتها الأولى، ولايَدَع مجالاً للتحدّي بها.

ثبوت كون القرآن الكريم مجموعاً على عهد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

وسلم، كما يدلّ على ذلك كـثيرٌ من الأخبار، حيـث كان صلى الله عليه وآله وسلم يأمر أصحابه بقراءة القرآن وتـدبّره وحفظه، وعرض ما يُروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم عليه، كما أنّ جـماعة من الصحابة ختموا القـرآن على عهده وتلوه وحفظوه، وأنّ جبرائيل عليه السلام كان يعارضه صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن كل عام مرة، وقد عارضه به عام وفاته مرتين، وهذا الدليل يُسـقط جميع مزاعم القائلين بالتحريف والتغييـر اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بالقرآن، فقـد كان حريصاً على نشر سـور القرآن بين المسلمين بمجرد نزولهـا، مؤكّداً عليـهم حفظها ودراستـها وتعلّمها، مبيّناً فضل ذلك وثوابه وفوائده في الدنيا والآخرة، وقد بذل المسلمون عناية فائقة واهتماماً متواصلاً بكلام الله المجيد بشكل لم يسبق له مثيل في الكتب السماوية السابقة، فكان كلّما نزل شيءٌ من القـرآن هَفَت إليه القلوب، وانشرحت له الصدور، وهَبَّ المسلمون إلى حـفظه وتلاوته، بما امتازوا به من قُوّة حافـظة فطرية، لأنّ شعار الإسلام وسمة المسلم حينئذٍ هو التجـمّل والتكمّل بحفظ القرآن الكريم، معجزة النبوّة الخالدة، ومـرجع الأحكام الشرعـية، واسـتمـرّوا على ذلك حتّى صـاروا منذ صدر الاسلام يُعَدّون بالألوف وعشراتها ومئاتهـا، وكلّهم من حَمَلة القرآن وحُفّاظه وكُتّابه، فكيف يُتَصوّر سقوط شيءٍ منه والحال هذه ؟!

دقّة وتحرّي المسلمـين لأي طارئ جديدٍ في القران، حيثُ إنّ العناية قـد اشتدّت، والدواعي قد توفّـرت لحفظ القرآن وحـراسته حـتّى في حروفه وحـركاته، ويكفي أن نذكر أنّ عـثمان رضى الله عنه حيـنما كتب المصاحف، أراد حـذف حرف الواو من ﴿والّـذيـنَ﴾ في قـوله تعـالى ﴿ وَالَّذينَ يَكنزُونَ الذَّهَبَ وَالفِضَّةَ ولا يُنفِقـونَها في سَـبِيلِ الـلـهِ﴾. . . [التوبة: ٩ - ٣] وقال أُبَيّ: لـتلحقنّها أو لأضعن سيـفي على عاتقي؛ فألحقوها.

وروي أيضاً أنّ عـمر بن الخطّاب رضى اللـه عنه قرأ ﴿ والسَّـابقُـونَ الاولُونَ مِن المُهاجِرينَ وَالأنصَار الَّذينَ اتَّبَعُوهُم باحْسَان ﴾ [التوبة: ٩ - ١٠٠] فرفع الأنصار ولم يلحق الواو في (الذين) فقـال له زيد بن ثابت: ﴿ وَالَّذينَ اتَّبـعُوهُم باحْسَان ﴾ ! فقال عـمر رضى الله عنه: ﴿ الَّذينَ اتَّبَعُوهُم باحْسَان ﴾. فقال زيد: أمير المؤمنين أعلم. فقال عمر رضى الله عنه: ائتوني بأُبيّ بن كعب، فأتاه فـسأله عن ذلك، فقال أُبيّ: ﴿ وَالَّـذيـنَ اتَّبَعُوهم باحْسَان ﴾ فقال عمر رضى الله عنه: فنعم، إذن نتابع أُبياً. فإذا كان الخليفة لا يستطيع أن يحذف حرفاً، فهل يجرؤ غيره على التصرّف بزيادةٍ أو حذفِ آياتٍ أو سورٍ

من القرآن وتحريفها ؟!

ويمنع من دعوى التحريف، الواقع التاريخي أيضاً، فإنّه إن كان التحريف في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو غير معقول بعد أن كان يشرف بنفسه على كتابته وحفظه وتعليمه، ويُعْرَض عليه مرات عديدة.

وإنّ كان بعد زمانه صلى الله عليه وآله وسلم وعلى يد الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم، أو على يد غيرهم، فلم يكن يسع أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه والخيرة من صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السكوت على هذا الأمر الخطير الذي يمسّ أساس الإسلام، ويأتي على بنيانه من القواعد، ولكان على أمير المؤمنين على رضى الله عنه وسائر الصحابة أن يُظْهروا القرآن الحقيقي، ويبيّنوا مواضع التحريف في هذا الموجود وإن حدث ما حدث، لكنّنا لم نجد ذكراً لذلك، لا في خطب أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه المعروفة، ولا في غيرها من خُطبَه وكلماته وكتبه، كما لم نجد أحداً من الصحابة أو من غيرهم، قد طالبهما بإرجاع القرآن إلى أصله الذي كان يُقْرَأ به في زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو نبّه على حدوث التحريف ومواطنه، وفي ترك ذِكر ذلك دلالةٌ قطعيةٌ على عدم التحريف.

أمّا دعوى وقوع التحريف في زمن عثمان رضى الله عنه، فهو أمر في غاية البُعد والصعوبة، لأنّ القرآن في زمانه كان قد انتشر وشاع في مختلف أرجاء البلاد، وكثر حُفّاظه وقُرّاؤه، وإنّ أقلّ مساسٍ بحرمة القرآن لسوف يُثير الناس ضدّه، ويُوجِب الطعن عليه وإدانته بشكلٍ قويّ ومعلنٍ، ولاسيما من الثائرين عليه الذين جاهروا بإدانته فيما هو أقلّ أهميةً وخطراً بكثير من التحريف، لكنّنا لم نسمع أحداً طعن عليه في ذلك، فهل خفيت هذه الآيات أو السور التي يُدّعى سقوطها من القرآن، على عامّة المسلمين ؟!

ولو كان ذلك لكان على أمير المؤمنين عليّ رضى الله عنه إظهار هذا الأمر، وإرجاع الناس إلى القرآن الحقيقي بعد أن صار خليفةً وحاكماً، ولم يعد ثمّة ما يمنع من ذلك، وليس عليه شيء يُنْتَقَد به، بل ولكان ذلك أظهر لحُجّته على الثائرين بدم عثمان. فكيف صحّ منه أن يهمل هذا الأمر الخطير، وقال في خطبة له رضى الله عنه: والله لو وجدته قد تُزوِّج به النساء ومُلِك به الإماء لرددته، فانّ في العدل سَعَة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق .

مع أنّ ذلك أقلّ أهميـة وخطورة من هذا الأمر بكثير؟! إذن فـإمضاؤه رضى الله عنه للقرآن الموجود في عصره دليلٌ قاطعٌ على عدم وقوع التحريف فيه.

اهتمام أهل البيت رضى الله عنهم البالغ في القرآن الكريم وحثُّ أصحابهم على تلاوة القرآن الكريم وختمه، وبيانهم لمنزلة قارىء القرآن تارة، وفضائل القرآن تارة أخرى، كُلّ ذلك يدلُّ على نفي التحريف، لعدم توجّه مثل هذه العناية إلى كتاب محرّف.

اعتقاد الكل بكون القرآن حجّة بالغة ينافي التحريف من كلٍّ وجه، ولا يعقل اتخاذ ما هو محرّف حجة، ولو فرض حصول التحريف لسقط الاستدلال به، ولا يوجد فرد واحد قط استدل بالقرآن وأشكل عليه آخر بتحريف الدليل.

من كتاب مناهل العرفان:

يزعم بعض غلاة الشيعة أن عثمان ومن قبله أبو بكر وعمر أيضا حرفوا القرآن وأسقطوا كثيرا من آياته وسوره ورووا عن هشام بن سالم من أبي عبد الله أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد ﷺ كان سبعة عشر ألف آية وروى محمد بن نصر عنه أنه قال كان في سورة لم يكن اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم وروى محمد بن جهم الهلالي وغيره عن أبي عبد الله أن لفظ أمة هي أربى من أمة النحل في سورة النحل ليس كلام الله بل هو محرف عن موضعه وحقيقة المنزل أئمة هي أزكى من أئمتكم ومنهم من قال إن القرآن كانت فيه سورة تسمى سورة الولاية وأنها أسقطت بتمامها وأن أكثر سورة الأحزاب سقط إذ أنها كانت مثل سورة الأنعام فأسقطوا منها فضائل أهل البيت وكذلك ادعوا أن الصحابة أسقطوا لفظ ويلك من قبل لا تحزن إن الله معنا التوبة وأسقطوا لفظ عن ولاية علي من بعد وقفوهم إنهم مسؤولون الصافات وأسقطوا لفظ بعلي بن أبي طالب من بعد ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ (الأحزاب) وأسقطوا لفظ آل محمد من بعد !وسيعلم الذين ظلموا إلى غير ذلك فالقرآن الذي بأيدي المسلمين اليوم شرقا وغربا أشد تحريفا عند هؤلاء الشيعيين من التوراة والإنجيل وأضعف تأليفا منهما وأجمع للأباطيل قاتلهم الله أنى يؤفكون ونقض هذه الشبهة بما يأتي:

أولا: أنها اتهامات مجردة عن السند والدليل وكانت لا تستحق الذكر لولا أن رددها بعض الملاحدة وربما يخدع بها بعض المفتونين ويكفي في بطلانها أنهم لم

يستطيعوا ولن يستطيعوا أن يقيموا عليها برهانا ولا شبه برهان والدعاوى ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء ولكن هكذا شاعت حماقتهم وسفاهتهم ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ (الحج: ١٨ -٢٢).

ثانيا: أن بعض علماء الشيعة أنفسهم تبرأ من هذا السخف ولم يطق أن يكون منسوبا إليهم وهو منهم فعزاه إلى بعض من الشيعة جمع بهم التفكير وغاب عنهم الصواب قال الطبرسي في مجمع البيان ما نصه أما الزيادة فيه أي القرآن فمجمع على بطلانها وأما النقصان فقد روي عن قوم من أصحابنا وقوم من الحشوية والصحيح خلافه وهو الذي نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء. وقال الطبرسي أيضا في مجمع البيان ما نصه أما الزيادة في القرآن فمجمع على بطلانها وأما النقصان فهو أشد استحالة ثم قال إن العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة فإن العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وحراسته وبلغت إلى حد لم يبلغه شيء فيما ذكرناه لأن القرآن مفخرة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد.

ثالثا: أن التواتر قد قام والإجماع قد انعقد على أن الموجود بين دفتي المصحف كتاب الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تبديل والتواتر طريق واضحة من طرق العلم والإجماع سبيل قويم من سبل الحق ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ [يونس: ١٠ - ٣٢].

رابعا: أن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهو الذي يزعمون أنهم يناصرونه ويتشيعون له بهذه الهذيانات صح النقل عنه بتحبيذ جمع القرآن على عهد أبي بكر ثم عهد عثمان ولعلك لم تنس أنه قال في جمع أبي بكر ما نصه أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله وكذلك قال في جمع عثمان ما نصه يا معشر الناس اتقوا الله وإياكم والغلو في عثمان وقولكم حراق مصاحف فوالله ما حرقها إلا عن ملأ منا أصحاب رسول الله ﷺ وقوله لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان وبهذا قطع الإمام ألسنة أولئك المفترين ورد كيدهم في نحورهم مخذولين فأين يذهبون ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ٢ -

١٦٦] ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٨] .

خامسا: أن الخلافة قد انتهت إلى عليّ كرم الله وجهه بعد أبي بكر وعمر وعثمان فماذا منعه أن يجهر ويتنذ بالحق في القرآن وأن يصحح للناس ما أخطأ فيه أسلافه على هذا الزعم والبهتان مع أنه الإمام المعصوم في عقيدة أولئك المبطلين ومع أنه كان من سادات حفظة القرآن ومن أشجع خلق الله في نصرة الدين والإسلام ولقد صار الأمر بعده إلى ابنه الحسن رضي الله عنه فماذا منعه الآخر من انتهاز هذه الفرصة كي يظهر حقيقة كتاب الله للأمة هذه مزاعم لا يقولها إلا مجنون ولا يصدق بها إلا مأفون.

رد شيخ الإسلام ابن تيمية:

مذهب الرافضة في القرآن، ونماذج من تأويلاتهم الفاسدة قد اختلف الروافض في القرآن وصاروا قسمين وقد نقل شيخ الإسلام قول الأشعري في المقالات فقال: قال الأشعري: (واختلفت الروافض في القرآن وقد بين أن الرافضة لا يعتمدون على القرآن، ولا على الحديث موضحًا عدم اهتمامهم بالقرآن) فقال: والرافضة لا تعتني بحفظ القرآن ومعرفة معانيه وتفسيره وطلب الأدلة الدالة على معانيه ولا تعتنى أيضا بحديث رسول الله ﷺ ومعرفة صحيحه من سقيمه والبحث عن معانيه ولا تعتنى بآثار الصحابة والتابعين حتى تعرف مآخذهم ومسالكهم ويرد ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول بل عمدتها آثار تنقل عن بعض أهل البيت فيها صدق وكذب (قال): ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة ومن يحفظه حفظا جيداً فإنما تعلمه من أهل السنة وكذلك الحديث إنما يعرفه ويصدق فيه ويؤخذ عن أهل السنة وكذلك الفقه والعبادة والزهد والجهاد والقتال إنما هو لعساكر أهل السنة وهم الذين حفظ الله بهم الدين علما وعملا بعلمائهم وعبادهم ومقاتليهم وقال عن تحريفهم للقرآن: (لذلك يقولون في تحريف القرآن ما هو من جنس قول أهل البهتان ويحرفون الكلم عن مواضعه) كقولهم في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ أي ذنب آدم وما تأخر من ذنب أمته فإن هذا ونحوه من تحريف الكلم عن مواضعه.

ثم وضح كونه تحريفًا فقال :

أما أولا: فلأن آدم تاب وغفر له ذنبه قبل أن يولد نوح وإبراهيم فكيف يقول له:

إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ذنب آدم.

وأما ثانيا: فلأن الله يقول: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ فكيف يضاف ذنب أحد إلى غيره ؟

وأما ثالثا: فلأن في حديث الشفاعة الذي في الصحاح أنهم يأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته اشفع لنا إلى ربك فيذكر خطيئته ويأتون نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى فيقول لهم: اذهبوا إلى محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكان سبب قبول شفاعته كمال عبوديته وكمال مغفرة الله له فلو كانت هذه لآدم لكان يشفع لأهل الموقف.

وأما رابعا: فلأن هذه الآية لما نزلت قال أصحابه رضي الله عنهم يا رسول الله هذا لك فما لنا فأنزل الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ فلو كان ما تأخر ذنوبهم لقال هذه الآية لكم.

وأما خامسا: فكيف يقول عاقل إن الله غفر ذنوب أمته كلها وقد علم أن منهم من يدخل النار وإن خرج منها بالشفاعة فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن من توبة الأنبياء من ذنوبهم واستغفارهم وزعمهم أنه لم يكن هناك ما يوجب توبة ولا استغفار ولا تفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم فكيف بسائر تأويلاتهم التي فيها من تحريف القرآن وقول الباطل على الله ما ليس هذا موضع بسطه.

ثم ذكر نماذج أخرى من تحريفهم للقرآن فقالوا حرفوا القرآن تحريفا لم يحرفه غيرهم مثل قولهم إن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ نزلت في علي لما تصدق بخاتمه في الصلاة.

وقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾ علي وفاطمة ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ الحسن والحسين ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ علي بن أبي طالب ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ هم آل أبي طالب واسم أبي طالب عمران ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ طلحة والزبير ﴿ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ﴾ هم بنو أمية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ عائشة ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ لئن أشركت بين أبي بكر وعلي في الولاية .

وكل هذا وأمثاله وجدته في كتبهم ثم من هذا دخلت الإسماعيلية والنصيرية في

تأويل الواجبات والمحرمات فهم أئمة التأويل الذي هو تحريف الكلم عن مواضعه ومن تدبر ما عندهم وجد فيه من الكذب في المنقولات والتكذيب بالحق منها والتحريف لمعانيها ما لا يوجد في صنف من المسلمين فهم قطعا أدخلوا في دين الله ما ليس منه أكثر من كل أحد وحرفوا كتابه تحريفًا لم يصل غيرهم إلى قريب منه.

ردود من كتاب أصول مذهب الشيعة

مدخل للموضوع:

هناك طائفة من أوائل علماء الشيعة لا يقولون بهذا القول ومن خلال مطالعتى للكتب والأبحاث المعنية بهذا العلم وجدت أن، تفسير الصافى فى مقدمة القوم الذين يؤكدون هذه الفرية الباطلة، واليك هذا المبحث.

أولاً: أن طائفة من أعلام الإثني عشرية يتبرأون من هذه المقالة -مثل الشريف المرتضى، وابن بابويه القمي وغيرهما-.

ثانيا: إن إجماع المسلمين كلهم قام على أن كتاب الله سبحانه محفوظ بحفظ الله له ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾. ومن قال بأن في القرآن نقصاً وتحريفاً فليس من أهل القبلة وليس من الإسلام في شيء، ومن هنا فإن العدل يقتضي أن نحتاط في دراستنا لهذه المسألة أبلغ الاحتياط، وأن نعدل في القول، فلا نرمي طائفة بهذه المقالة إلا بعد الدراسة والتثبت .

ثالثا: إن هناك طائفة من المفكرين يرمون الشيعة بالقول بهذا الكفر، ويعممون ذلك، ولاشك بأن الشيعة فرقٌ، والشيعة طبقات، فلا يصح أن يقال مثلاً بأن متقدمي الشيعة يقولون بهذه المقالة وقد انساق "إحسان إلهي ظهير" وراء مقالة صاحب فصل الخطاب بأنه لا يوجد من أنكر مقالة التحريف من الشيعة في القرون المتقدمة إلا هؤلاء الأربعة (يعني ابن بابويه القمي، والمرتضى، والطبرسي، والطوسي) فقال إحسان: "والحاصل أن متقدمي الشيعة ومتأخريهم تقريباً جميعهم متفقون على أن القرآن محرف، مغير فيه". (الشيعة والسنة ص١٢٢) (ط. دار الأنصار). الحقيقة أن هذه القضية بدأت عند الشيعة متأخرة عن نشأة الشيعة نفسها، وأن أوائل الشيعة ليسوا على هذا الضلال، وأن فرقاً من الشيعة ليست على هذا "الباطل". ولا يقبل أن يقال بأن الزيدية تقول بهذه الفرية.. فأسلوب التعميم غير مرضي ولا مقبول.

وبعد: فإن الباحث المسلم يعاني بلا شك من قراءة تلك الحروف السوداء، ومن

الاستماع لأولئك الأقزام الذين يتطاولون على كلام الله سبحانه، يعاني من ذلك أبلغ المعاناة. وليعلم القارئ أن دراسة هذا الموضوع من أجل الرد والدفاع، فكتاب الله لا تصل إلى مقامه بغاث الأحلام، ولا تنال من عظمته دعوى حاقد، ومزاعم مغرض. فهل تستر الشمس، أو تحجب القمر كف إنسان؟! ثم ما أسهل الادعاء الكاذب على حاقد مَوْتور، ومن ثم فليس علينا أن نتتبع كل دعوى كاذبة لنردها:

لو أن كل كلب عوى ألقمته حجراً لكان كل مثقال بدينار

كما أن إهمال القول الكاذب قد يكون أحرى لإماتته وانصراف الأنظار عنه، ما لم يتفش هذا القول ويشتهر وتحمله طائفة، وتسير به كتب، فحينئذ يجب كشف المبطل وباطله.

وأقول إن دراسة هذه المسألة من أجل الرد والنقض، وأيضاً لبيان هل المصنف والشيعة تقول بهذه المقالة أو لا، وفي ثبوت ذلك أكبر فضيحة للشيعة يهدم بنيانها من الأساس ويزلزل كيانها من القواعد، ولن يقبل منها قول ولا يسمع منها كلمة.. ومن ذا الذي يمس كتاب الله ويقبل منه مسلم قولاً أو يرتضي منه حكماً [ولهذا رأينا الإمام بن احزم -رحمه الله- حينما احتج النصارى بما ينسب إلى الرافضة من القول بنقص القرآن وتغييره.. أجابهم ابن حزم بأن هؤلاء ليسوا من المسلمين وإنما هي فرقة طارئة على الإسلام والمسلمين حدث أولها بعد موت النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة [1] ومن ثم فنحن نكتب هذه الدارسة لبيان حقيقة نسبة هذه المسألة للشيعة؛ لأن من حاول المساس بكتاب الله والنيل من قدسيته فإنه بعيد عن الإسلام وإن تسمى به، وأنه يجب كشفه لتعرف الأمة عدواته؛ لأنه يحارب الإسلام في أصله العظيم وركنه المتين.

ثم إن حكاية قول من قال ذلك- كما يقول أبو بكر الباقلاني- يغني عن الرد عليه[2] لما توافر لكتاب الله من وسائل الحفظ وأسباب الضبط التي يستحيل معها أن يتطرق إليه نقص أو تغيير تحقيقاً لوعد الله سبحانه في حفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: آية ٩] ، هذا ومن أمر هذه الدعوى والتي وجدت في محيط

---

(١) انظر: الفصل (٢/ ٢٨٠).
(٢) إعجاز القرآن: ص٢٤، تحقيق أحمد صقر.

الشيعة (وسندرس مدى موافقة الشيعة لها أو رفضها) أنها ولدت وفي أحشائها أسباب فنائها، وبراهين زيفـها وكذبها، لم يحكم واضـعها الصنعة فـي صياغتهـا، ولم يجد الحيلة في حبكها، فجاءت على صورة مفـضوحة، وبطريقة مكشوفة، ولذلك نقضت نفسهـا بنفسها، فهي تقـوم على دعوى أن القرآن ناقص ومغـير. . وأن القرآن الكامل المحفوظ من أي تغـيير هو عند أميـر المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم أورثه الأئمة من بعده وهو اليوم عند مهديهم المنتظر.

فهذه الدعوى ربطوها بأميـر المؤمنين علي، ولكن علياً هو الذي حكّم القرآن في خلافتـه وقرأه وتعبد به، ولو كان لديه غـيره لأخرجه للناس ولـم يجز أن يتـعبد الله بكتاب مـحرف وناقص، ولو كـان شيء مما يدعون لأخرج علي الـقرآن الكامل الذي جمعه، وعارض به هذا القرآن المحرف -كـما يدعون -ولتدارك الأمر حين أفضت إليه الخلافة، لأن من أقر الخائن على خيانته كان كفاعلها. . وقد حارب علي معاوية على أقل من هذا الأمر، فكيف لم يفعل ذلك أمير المؤمنين؟!!

لم يجد أصحاب هذا الافـتراء ما يجيبون به عن هذا السـؤال الكبير الذي ينسف بنيانهم من القـواعد سوى قـولهم على لسان عالمـهم نعمة الله الجـزائري [وله منزلته عندهم، وصفوه بأنه السيد السند، والركن المعتمد، المحدث النبيه، المحقق، النحرير، المدقق العزيز النظيـر، وقالوا بأنه من أكابر مـتأخري علمـاء الإمامية، مـحدث جليل القدر، ومـحقق عظيم الشـأن، إلى آخر أوصافـهم، توفي سنة (١١١٢هـ)٦] . ولما جلس أمير المؤمنين -عليه السلام- على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا لما فيه من إظهار الشنعة على ما سبقه"[1].

هكذا يجيبون وبهذا يعتـذرون. . وأي قدح وسب لأمير المؤمنين ممن يزعم التشيع له أبلغ من هذا وأشد. . إنهم يتـهمون علياً -رضـي الله عنه- بأنه راعى المجاملة لمن سبقـه على هداية الأمة، ولهذا لم يخرج مـا عنده من القرآن. . سبحـانك هذا بهتان عظيم!.

كما أنهم ربطوا وجود المصحف بإمامهم المنتظر الذي لم يولد أصلاً ولا وجود له

---

(١) انظر: أمل الآمل: ٢/٣٣٦، الكنى والألقاب: ٣/٢٩٨، سـفينة البحار: ٢/٦٠١، مـقدمة الأنوار النعمانية.

- كما سيأتي - والإمام الغائب والمصحف الغائب كلاهما وهم وخيال.

والكلمات المفتراه والتي قدموها على أنها آيات ساقطة من المصحف انكشف بها كذبهم وظهر بها بهتانهم، فهي أشبه ما تكون بمفتريات مسيلمة المتنبئ الكذاب وادعاءاته.. لا تربطها بلغة العرب، وبلاغة اللسان العربي أدنى رابطة -كما سيأتي-، ثم إنهم رجعوا على أنفسهم وقالوا: لا اعتماد على تلك الكلمات ولا تعتبر من القرآن، ولا يجوز القراءة بها، لأن طريقها آحاد، والأئمة قرأوا هذا القرآن واستعملوه فلا يترك ما أجمعوا عليه بمثل هذه الروايات ثم انفصل منهم طائفة عاقلة تبرأت من هذا الكفر لما رأت من تناقضه ووضوح بطلانه. وهاجمت من قال به من أصحابها وكشفت كذبه وكفى الله المؤمنين القتال. وهذا الصراع الدائر بين الطائفتين ينكشف من خلال كتاب فصل الخطاب كما سيأتي تفصيله إن شاء الله، فحملت هذه المقالة أسباب فنائها في أحشائها، وانكشف عوارها وكذبها بكلمات أصحابها، وفي هذا آيات للمؤمنين، وبرهان من براهين عظمة هذا القرآن، وسر من أسرار إعجازه والتي لا تحيط بها العقول، وشاهد من شواهد تحقيق وعد الله بحفظه لكتابه العزيز.

وفيما يلي نبدأ بدراسة هذه القضية عند الشيعة، ومتى بدأت، وكيف امتدت، ومن الذي تولى كبر وضعها، وهل تقول الشيعة كلها بذلك أو فيها من أنكر وتبرأ؟ وسنذكر أولاً ما تقوله كتب السنة، ثم نرجع لتحقيق ذلك من كتب الشيعة الاثني عشرية نفسها: بداية هذا الافتراء -كما تقوله مصادر أهل السنة: يقول الإمام أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري [محمد بن القاسم بن محمد.. أبو بكر بن الأنباري، قال الخطيب البغدادي: "كان صدوقاً فاضلاً ديناً خيراً من أهل السنة، وصنف كتباً كثيرة في علوم القرآن.. والوقف والابتداء والرد على من خالف مصحف العامة.. وكان من أحفظ الناس للغة وتفسير القرآن" (١).

تفسير القرطبي: " لم يزل أهل الفضل والعقل يعرفون شرف القرآن وعلو منزلته.. حتى نبغ في زماننا هذا زائغ عن الملة وهجم على الأمة بما يحاول به إبطال الشريعة.. فزعم أن المصحف الذي جمعه عثمان -رضي الله عنه- باتفاق أصحاب رسول الله ﷺ على تصويبه فيما فعل لا يشتمل على جميع القرآن، إذا كان قد سقط منه خمسمائة حرف.. (ثم ذكر ابن الأبناري) أن هذا الزنديق أخذ يقرأ آيات من

(١) الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٦٢.

القرآن على غير وجهها زندقة وإلحاداً، فكان يقرأ: (ولقد نصركم الله ببدر بسيف علي وأنتم أذلة)"(١).

هذا النص قاله ابن الأنباري المولود سنة(٢٧١هـ)لإ (والمتوفى سنة ٣٢٨هـ) وهو يشير إلى أن هذا الافتراء بدأ في زمنه في نهاية القرن الثالث وبداية القرن الرابع. ويدل النص المذكور أيضاً على: أن مصدر هذا الافتراء من طائفة الشيعة كما تفيده تلك الزيادة المفتراه (بسيف علي) كما يدل على أنه لم يكن للأمة المسلمة في ماضيها عهد بهذه المفتريات حتى ظهر هذا الزائغ عن الملة، وكأن ابن الأنباري بهذا يشير إلى شخص بعينه إلا أنه لم يذكره باسمه. ولكن بدت هويته المذهبية من خلال افتراءاته.

بينما نجد الملطي (ت ٣٧٧هـ) يشير إلى أن هذا الشخص صاحب هذه الفرية هو هشام بن الحكم [هشام بن الحكم: أصله كوفي، وسكن بغداد، وتربى في أحضان بعض الزنادقة، وكان في الأصل على مذهب الجهمية، ثم قال بالتجسيم.. نقلت عنه مقالات ضالة وتنسب له كتب الفرق فرقة "الهشامية" من الشيعة. توفي سنة (١٧٩هـ) كما في رجال الكشي، وقيل (١٩٠هـ) (٢) فإنه زعم أن القرآن الذي في أيدي الناس وضع أيام عثمان، وأما القرآن فقد صعد به إلى السماء لردة الصحابة بزعمه ولكن هشام بن الحكم توفي سنة (١٩٠هـ) وهذا يعني أن هذا الافتراء أقدم مما يذكره ابن الأنباري، وإذا لاحظنا أن هذه الفرية مرتبطة أشد الارتباط بمسألة الإمامة والأئمة عند الشيعة، وذلك حينما بدأ شيوخ الشيعة في الاستدلال عليها فلم يجدوا في كتاب الله ما يثبت مزاعمهم في ذلك فأدى بهم هذا إلى القول بهذه الفرية وغيرها. .إذا أدركنا ذلك فإنه لا يبعد أن يكون ما يقوله الملطي في أن هشاماً هو الذي تولى كبر هذا الافتراء. .لا يبعد أن يكون هذا واقعاً لاسيماً أن هشاماً كان من أول من تكلم في الإمامة، حتى قال ابن النديم: " إن هشام بن الحكم ممن فتق الكلام في الإمامة، وله من الكتب كتاب الإمامة "(٣). وقال ابن المطهر الحلي: " وكان ممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر"(٤).

---

(١) تاريخ بغداد: ١٨١-١٨٦ . (٢) تفسير القرطبي: ١/ ٢٨ .

(٣) انظر: رجال الكشي: ص ٢٥٥-٢٨٠)، (رجال النجاشي: ص٣٣٨)، وانظر: ابن حجر/ لسان الميزان: ٦/ ١٩٤، وانظر عن الهشامية: الملطي/ التنبيه والرد: ص٢٤، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ١/ ١٠٦، البغدادي الفرق بين الفرق: ص ٦٥، الشهرستاني/ الملل والنحل: ١/ ١٨٤، وغيرها.

(٤) الفهرست: ص١٧٥ .

ويشفع لتأهيل هشام بن الحكم - أيضاً- لهذه الفرية ما جاء في رجال الكشي- عمدة الشيعة في كتب الرجال- ونصه: "هشان بن الحكم من غلمان أبي شاكر، وأبو شاكر زنديق"(١). وقال القاضي عبد الجبار المعتزلي هشام.. ليس من أهل القبلة، وهو معروف بعداوة الأنبياء، وقد أخذ مع أبي شاكر الديصاني(٢). صاحب الديصانية- الديصانية: إحدى فرق الثنوية القائلين بالأصلين النور والظلمة، وأن العالم صدر عنهما، وتعتبر أصلاً للمانوية، وإنما اختلفت الفرقتان في كيفية اختلاط النور بالظلمة(٣). وكان معروفاً به وبصحبته، فادعى أنه من الشيعة، فخلصه بعض أصحاب المهدي حين ادعى أنه يتشيع لبني هاشم فلم يصلبه مع أبي شاكر(٤). فهو قد تربى في أحضان الزنادقة، والشيء من معدنه لا يستغرب. وقد أوعز إليه -كما في رجال الكشي- بلزوم الصمت حين جدّ المهدي العباسي بتتبع الزنادقة. قال هشام: " فكففت عن الكلام حتى مات المهدي "(٥) فتشير القرائن -كما ترى- إلى هشام وشيعته، فهذا يدل على أقل الافتراضات أن هذه "الفرية " وجدت في عصر هشام، ومما يدل على وجود هذه الدعوى في تلك الفترة ما ذكره ابن حزم عن الجاحظ قال: "أخبرني أبو إسحاق إبراهيم النظام وبشر بن خالد أنهما قالا لمحمد بن جعفر[كذا في الطبعة المحققة من "الفصل" ولعل الصواب أبو جعفر، لأن أباه علي كما هو المشهور في كتب التراجم] . الرافضي المعروف بشيطان الطاق: ويحك! أما استحيت من الله أن تقول في كتابك في الإمامة: إن الله تعالى لم يقل قط في القرآن: ﴿ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة، آية ٤٠] قالا: فضحك والله شيطان الطاق طويلاً حتى كأنّا نحن الذي أذنبنا (٦). هذه الحكاية أوردها ابن حزم عن الجاحظ، وقد قال ابن حزم عن الجاحظ بأنه رغم مجونه وضلاله: " فإننا ما رأينا له في كتبه تعمد كذبة يوردها مثبتاً لها، وإن كان كثيراً لإيراد كذب غيره "(٧).

(١) رجال الحلي: ص١٧٨ .
(٢) رجال الكشي: ص٢٧٨ .
(٣) انظر: ابن النديم/ الفهرست: ص٣٣٨ .
(٤) الملل والنحل: ١/ ٢٥٠)، [الفهرست لابن النديم: ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .
(٥) انظر: ثبيت دلائل النبوة: ص ٢٢٥ .
(٦) رجال الكشي: ص٢٦٦ .
(٧)- الفصل: ٥/ ٣٩ .

وشيطان الطاق وهو محمد بن علي ابن النعمان أو جعفر الأحول توفي سنة (١٦٠هـ) نسب إليه أنه يقـول: إن الله لا يعلم شيئاً حتى يكـون، وضلالات أخرى، تنسب له فرقـة "الشيطانيـة" أو النعمانيـة من غلاة الشيـعة٢٠, ، والمعـروف أن شيطان الطاق معاصر لهشام بن الحكم، قال ابن حـجر: " قيل إن هشام بن الحكم شيخ الرافضة لما بلغه أنهم لقـبوه شيطان الطاق سمـاه هو مؤمن الطاق " فقد يكون أحـد الشركاء في هذه "الجريمة" مع هشام بن الحكم، فهو شريك في التأليف حول مسألة الإمامة والتي هي السبب والأصل للقول بهذا الافتراء كما تدل عليه نصوص هذه الفرية.

شيوع هذه المقالة عندهم كما تقول كتب أهل السنة (١)

ثم فشت هذه المقـالة في الشيعـة الاثني عشرية والذي يلقـبهم الأشعري وغـيره بالرافضة كما أسلفنا حتى أصبحت -كما يذكر الأشعري- (المتوفى سنة ٣٣٠هـ) مقالة لطائفة من هؤلاء الروافض زعموا: " أن القرآن قد نقص منه، وأما الزيادة فذلك غير جائز أن يكون قد كان، وكـذلك لا يجوز أن يكون قد غير منه شيء عـما كان عليه، فأما ذهاب كثير منه فقـد ذهب كثير منه، والإمام يحيط علماً به "(٢). بينمـا اتجهت فرقة أخرى من هؤلاء يصـفهم الأشعري بأنه ممن جمع القول بالاعـتزال والإمامة إلى إنكار هذا القول وقـالت: "إن القرآن ما نقص منه، ولا زيد فيـه، وإنه على ما أنزل الله تعالى على نبيه -عليه الصلاة والسـلام- لم يغير ولم يبدل، ولا زال على ما كان عليـه "(٣). وهناك فرقة ثالثة سقط - فيما يظهـر- ذكر مذهبها كما يبدو من خلال النسخة المطبوعة من مقالات الإسلاميين تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (جـ١، ص١٢٠)، وفي المطبوعـة الأخرى للمقـالات تحقيـق هلموت ريتر ذكـر في تحقيـقه للكتاب بأنه قد وجد في بعض النسخ الخطية تعليـقه في الهامش تقول: " سقط فرقة من الترتيب والعدد وهم الذين يجوزون الزيادة ولا يجوزون النقص منه (٤) وقد يكون هذا استنتاج من الناسخ؛ حـيث لا يوجد من الشيعة قائل بذلك، فـقد ذكر الطوسي

---

(١) الفصل: ٥/ ٣٩ .

(٢) انظر: رجال الكشي: ص ١٨٥، رجال النجاشي: ص ٢٤٩، لسان الميزان ٥/ ٣٠٠ - ٣٠١، فرق الشيـعة للنوبختي: ص٧٨، سفـينة البحار: ١/ ٣٣٣، مقـالات الإسلاميين: ١/ ١١١، الملل والنحل: ١/ ١٨٦، الانتصار لابن الخياط: ص ١٤-٤٨ .

(٣) كتاب أصول مذهب الشيعة.

(٤) مقالات الإسلاميين ١/ ١١٩، ١٢٠ .

في التبيان(١/ ١٥)، والطبرسي في مجمع البيان (١/ ٣٠)، أن الزيادة مجمع على بطلانها عندهم ". كما يشير البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) إلى أن من الرافضة من زعم أن الصحابة غيروا بعض القرآن، وحرفوا بعضه، واعتبر ذلك من موجبات الحكم بكفرها وخروجهم عن الإسلام(١). ويبدو أن هذا المنكر زاد انتشاره بين هؤلاء القوم حتى إننا نجد ابن حزم (المتوفى ٤٥٦هـ) ينسب هذه المقالة إلى طائفة الإمام كلها، ولم يستثن من أعلام الإمامية إلا ثلاثة نجوا من الوقوع في هذه الهاوية(٢). وكذلك القاضي أبو يعلى (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) ينسب هذه المقالة إلى طائفة الرافضة [المعتمد في أصول الدين: ص٢٥٨، ويشير القاضي أبو يعلى إلى جهل هؤلاء الروافض وإنكارهم للقضايا الضرورية ومكابرتهم في ذلك للحقائق المتواترة؛ حيث إن القرآن قد جمع بمحضر من الصحابة -بما فيهم علي رضي الله عنه- وأجمعوا عليه، ولم ينكره منكر، وإن مثل هذا لو كان لاستحال كتمانه في مستقر العادة، ولوجب على عليّ وغيره إنكاره، وقد كان علي -رضي الله عنه- يقرأه ويستعمله.. (٣). والتي هي من ألقاب الاثني عشرية -كما سبق، بينما نجد شيخ الإسلام ابن تيمية (المتوفى سنة ٧٢٨هـ)، يعزو هذه المقالة - فيما يظهر- للباطنية حيث قال: " وكذلك - أي يحكم بكفره - من زعم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم تأويلات باطنه تسقط الأعمال المشروعة، ونحو ذلك، وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية "(٤).

فهل شيخ الإسلام ابن تيمية يعتبر الاثني عشرية في عداد الباطنية، أو غاب عنه أنهم يذهبون هذا المذهب فلم يذكرهم، أو أن الشيخ في هذه النسبة ركز على المعنى الأخير وهو التأويل الباطني الذي تعتمده القرامطة الباطنية ؟

ويكشف -ميرزا مخدوم الشيرازي- (من القرن العاشر) وقد عاش بين الشيعة وقرأ الكثير من كتبهم - كما يقول- حيث يذكر أنه اضطر للبقاء بين ظهرانيهم، ولزمته مخالطتهم ومطالعة كتبهم. وقد اطلع بسبب ذلك على الكثير من ضلالاتهم وأباطيلهم.(١) حتى قال: لم يطلع أحد على تفصيل كتبهم وأقوالهم وشروح عاداتهم

---

(١) مقالات الإسلاميين ١/ ١١٩ - ١٢٠ .
(٢) انظر: هامش مقالات الإسلاميين : ص ٤٧ تحقيق هلموت ريتر.
(٣) انظر: الفرق بين الفرق : ص ٣٢٧ .
(٤) المعتمد: ص٢٥٨ .

وأعمالهم كما اطلعت عليه، فلا يقدرون على أن يقولوا قد افترى علينا مثل ما يقولون في مقابلة ما نسبه سلفنا في كتبهم الكلامية إلى الرافضة (المصدر السابق الورقة: ٨٧أ)، أنهم ذكروا في كتب حديثهم وكلامهم أن عثمان -رضي الله عنه- نقص من آيات القرآن -بزعمهم- ويشير إلى أمثلة مما قالوه في القرآن كقولهم: إنه كان في سورة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ بعد قوله سبحانه: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ كان بعدها -كما يفترون- "وعلياً صهرك" (مخطوط) قال الشيخ محب الدين الخطيب: وهم لا يخجلون من هذا الزعم مع عملمهم بأن سورة ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ ﴾ مكية وإنما كان صهره الوحيد العاص بن الربيع الأموي (٢).

ويذكر مطهر بن عبد الرحمن بن علي بن إسماعيل في كتابه: "تكفير الشيعة" والذي ألفه سنة (٩٩٠هـ)، يذكر ما صنعه شيعة زمانه من إحراق المصاحف وإهانتها واختراعهم -كما يقول- مصحفاً محدثاً [تكفير الشيعة: الورقة ٥٨) (مخطوط) ذكر ذلك في الفصل الذي عقده بعنوان: "فصل في أحوال طهماسب الزنيم وزندقته وبيان كفره وإلحاده" وطهماسب هذا هو: طهماسب بن الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي المولود سنة (٩١٩هـ) وهو أحد سلاطين الدولة الصفوية، وتولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة (٩٣٠هـ)لإ وهو من الشيعة الاثني عشرية(٣). ويشير الإمام محمد بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٦هـ) إلى ما ذكرته كتب الشيعة من القول بنقص القرآن، ويذكر بأن شيعة زمنه -على ما قيل- أظهروا سورتين يزعمون أنهما من القرآن الذي أخفاه عثمان، كل سورة مقدار جزء وألحقوهما بآخر المصحف إحداهما سورة النورين والأخرى سورة الولاء (٤).

كما أن الصورة تتضح أكثر عند صاحب التحفة الاثني عشرية شاه عبد العزيز الدهلوي المتوفى سنة (١٢٣٩هـ) الذي يذكر بأن الاثني عشرية تقول بأن الصحابة قد غيروا ونقصوا في كتاب الله ما يتصل بفضل علي وأئمتهم الاثني عشر وذلك أعدائهم، وينقل بعض الشواهد على ذلك من كتبهم، ويبين أنهم خالفوا بذلك المنقول والمعقول، وما علم من الدين بالضرورة، وما تواترت به التواريخ والوقائع، كما يبين

---

(١) المعتمد: ص٢٥٨ . (٢) الصارم المسلول: ص٥٨٦ .
(٣) انظر: النواقض: الورقة ١١٠ -١١٥، ١٦٥ مخطوط.
(٤) الخطوط العريضة: ص١٥ .

براءة أهل البيت من هذه العقيدة، وأن من شيوخ الشيعة أنفسهم من بدأ يتبرأ من هذه العقيدة كابن بابويه (١) . كما يتعرض أبو الثناء الألوسي (المتوفى سنة ١٢٧٠هـ) لهذه الفرية في تفسيره، ويذكر بعض شواهدها من كتبهم، ويبين فسادها؛ لما توافر لهذا الكتاب العظيم من أسباب الحفظ بما لا يبقى في ذهن مؤمن احتمال سقوط شيء بعد من القرآن، وإلا لوقع الشك في كثير من ضروريات هذا الدين.

ثم يقول: بأنه لما تفطن بعض علمائهم لما في قولهم هذا من الفساد جعله قولاً لبعض أصحابه، واستشهد على ذلك بما قاله شيخ الشيعة الطبرسي في مجمع البيان من أن الشيعة تنكر هذه المقالة، وأنها قول لقوم من أصحابها، والصحيح خلافه، ثم قال الألوسي: وهو كلام دعاه إليه ظهور فساد مذهب أصحابه حتى للأطفال والحمد لله على أن ظهر الحق وكفى الله المؤمنين القتال (٢) .

ولعل الألوسي (أبا الثناء) أول من كتب بالعربية عن هذه القضية بذلك الاستيعاب (النسبي)؛ حيث عرض لهذه الفرية مقرونة بالاستشهاد المباشر من كتبهم، وعرض أحاديثهم كما جاءت في أصول الكافي وغيره، وذكر الجناح الآخر من الشيعة الذي أنكر هذه الفرية واستشهد بكلامه، وناقشه.

وكذلك قام حفيده علامة العراق أبو المعالي الألوسي(ت ١٣٤٢هـ) ببيان وقوع الشيعة في هذا الكفر عبر رسائله التي ألفها أو لخصها حول الشيعة.

هذا ويتولى الشيخ محمد رشيد رضا (المتوفى سنة ١٣٥٤هـ) بعد ذلك إثارة هذه المسألة، وفضح الشيعة في هذا عبر مجلة المنار(٣). ثم في رسالته " السنة والشيعة " وذلك حينما ألجأه إلى ذلك تعصب بعض شيوخ الشيعة وعدوانهم -كم يقول- فيذكر أن رافضة الشيعة تزعم أن ما بين الدفتين ليس كلام الله بل حذف منه الصحابة -بزعمهم- بعض الآيات وسورة الولاية [السنة والشيعة: ص ٤٣] .

ومن بعد هؤلاء يأتي الشيخ موسى جار الله (ت ١٣٦٩هـ) والذي عاش بين الشيعة فترة، وتجول في مدنها، وحضر حلقات دروسها في البيوت والمساجد والمدارس، وقرأ في العديد من أمهات كتبها(١). ورأى أن " القول بتحريف القرآن

---

(١) انظر: دائرة المعارف الشيعية (جـ٦) ، ص ٣٢١ .
(٢) انظر: رسالة في الرد على الرافضة: ص ١٤ .
(٣) انظر: مختصر التحفة الأثني عشرية: ص ٨٢، وانظر أيضاً: ص٣٠ - ٥٠ - ٥٢ .

بإسقاط كلـمات وآيات قد نزلت، وبتغيـير ترتيب الكلمات والآيات، أجمـعت عليه كتب الشيعة" وأن هذه الكلمات والآيـات كانت كما يزعمون في علي وأولاده، وأن الذي حذف ذلك هم صحـابة رسول الله، وينقل عن بعض شيوخ الشيـعة أنهم قالوا بأن أخبـار هذه الفرية مـتواترة عندهم ويلزم من ردها رد سـائر أخبارهم في الإمـامة والرجعة وغيرها، والحكم ببطلانها(٢).

وقد لاحظ من خلال حياته مع الشيعة في تلـك الفترة تأثر المجتمع الشيعي بهذه العقيـدة؛ حيث إنه لـم يجد من التـلاميذ ولا من العلماء من يحـفظ القرآن، ولا من يعرف وجوه القرآن الأدائية، بل ولا من يقيم القرآن بعض الإقامة بلسانه وأنهم اتخذوا القرآن مهـجوراً وقد استفهـم عن هذه الظاهرة الخطيرة بعض شيوخ الشيـعة في ورقة صغيرة كتب فيها هذه المسـألة مع مسائل أخر فلم يجد إجابة (- ٢٨) ، ثم كتب بعد ذلك رسالة ضمنها مجموعة من عقائد الشيعة الباطلة وقدمها لشيخ مجتهدي الكاظمية ببغداد، ثم نسخت في كراريس، ووزعتـها الرابطة العلمية لأساتذة النجف، ثم يذكر بأنه بعدما راجع بهذه المسائل مجتـهدي الشيعة انتظر سنة وزيادة ولـم يسمع جواباً من أحد إلا من كبـير مجتـهدي الشيعـة بالبصرة، فقد أجـابه بكتاب من تسعين صـفحة بكلمـات في الطعن على العـصر الأول أشـد وأجرح من كلمـات كتب الشيـعـة. ، ويقـول: هل هذا بسبب أنهم ينتـظرون ما وعـدتْهم به أساطيـرهـم من ظهور القـرآن الكامل مع منتظرهم الموعود ؟ (٣).

ثم يقوم الأستـاذ محب الدين الخطيب ت (١٣٨٩هـ) بمناسبة إنشـاء دار التقريب بين المذاهب الإسلامية التي أنشأها الشيـعة في أرض الكنانة لبث عقيدة "الرفض" بين أهلها يقـوم بالكتابة عن الشيـعة في مجلة الفـتح، وفي رسالته "الخطوط العـريضة" ويتحـدث عن هذه الفرية، ويسـتشهـد بما جاء في كـتاب "فصل الخـطاب في إثبات تحريف كتـاب رب الأرباب" الذي ألفه ميرزا حسين ابن محـمد تقي النوري الطبرسي أحد كبار علماء النجف، والذي بلغ من إجـلال الشيعة له عند وفاته سنة (١٣٢٠هـ) أنهم دفنوه في أشـرف بقـعـة عندهم، ويقـول بأن هذا الكتـاب ينطوي على مـئـات النصوص عن علمائهم في كتـبهم المعتبرة يثبت بها أنهم جازمـون بالتحريف ومؤمنون

---

(١) روح المعاني: ١/ ٢٣ وما بعدها .

(٢) انظر: المجلد٢٩، ص٤٣٦ .

(٣) الوشيعة: ص٢٥ - ٢٦ .

به، ويستشهد بما جاء في كتاب الكافي للكليني والذي يقول بأنه كصحيح البخاري عند أهل السنة.

كما ينشر صورة لما يسمى: " سورة الولاية " ويقول بأنها منقولة فوتوغرافياً عن أحد مصاحف إيران، ثم قال: ويبقى أن هناك قرآنين أحدهما عام ومعلوم، والآخر خاص مكتوم ومنه سورة الولاية، ثم يستشهد بما جاء في بعض نصوصهم من الفتوى بقراءة المصحف العثماني، ولكن يقول: إن خاصة الشيعة يعلم بعضهم بعضاً ما يخالف ذلك مما يزعمون وجوده عند أئمتهم من أهل البيت"(١).

كما أن الشيخ محمود الملاح (ت ١٣٨٩هـ) في العراق فضح الشيعة في هذه المسألة لمواجهة محاولة شيخ الشيعة الخالصي في نشر الرفض باسم الوحدة الإسلامية [انظر كتابه: " الوحدة الإسلامية بين الأخذ والرد "] . ومن بعد هؤلاء نرى الشيخ إحسان إلهي ظهير يكتب عن هذه القضية في كتابه: " الشيعة والسنة " ويذهب إلى القول بأن الشيعة كلها على هذا الكفر، وينقل الشواهد الكثيرة من كتبهم التي تتضمن أخبار هذه الأسطورة، ويعد إنكار المنكرين لهذه المسألة تقية لا حقيقة، ويرى أنه قام بدراسة هذه المسألة ببيان واضح، مستند، مفصل لم يسبق إليه (٢).

ثم يحاول أن يتوسع أكثر في هذه المسألة فيخصص لها كتاباً مفرداً بعنوان "الشيعة والقرآن" ينتهي فيه إلى نفس الحكم الذي انتهى إليه في كتابه السابق، ومعظم هذا الكتاب هو عبارة عن نقل حرفي بدون أدنى تعليق لكتاب لا يوجد من كتب الشيعة أجمع لنصوص الفرية منه وهو كتاب " فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"، والغريب أن إحسان ينتهي إلى نفس النهاية التي انتهى إليها صاحب فصل الخطاب، مع أن صاحب فصل الخطاب ألف كتابه -كما سيأتي- لإقناع طائفة من قومه أنكرت هذا الكفر وأبت أن تهضمه، واحتجت بما قاله بعض شيوخها السابقين من إنكار هذه الفرية، فرد عليها صاحب فصل الخطاب بكتابه هذا، وعزا الإنكار من شيوخه السابقين إلى التقية أو إلى عدم توفير المصادر عندهم والمصنف (الكاشانى) ممن يعتقدون ذلك ما تقوله مصادر الشيعة في هذه الفرية:

---

(١) انظر: المصدر السابق: ص ١٠٤، ص ١٣٨ .

(٢) انظر: الوشيعة: ص ٢٧ - ٣١ .

وإذا كانت رواية الكليني تذهب إلى سقوط قرابة الثلثين فيعني هذا أنه لم يبق لدينا من كتاب الله إلا ما يتجاوز الثلث بقليل، وإذا عرضنا روايته الأخرى التي تقول: " نزل القرآن أثلاثاً، ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن وأمثال، وثلث فرائض وأحكام "(١). فأي الأثلاث الذي بقي لنا في نظرهم؟ أثلث السنن والأمثال أم ثلث الفرائض والأحكام؛ إذ لا ريب عند هذه الزمرة الملحدة إن ثلث الأولياء والأعداء قد أسقط لأنهم قالوا: " لو قرئ القرآن كما أنزل لألفينا مسمين"، وهو بيت القصيد والهدف الظاهر من كل هذه المحاولات. ومعنى هذا أن الأمة ضائعة كل هذه القرون الطويلة. .منذ وفاة النبي ؟ ليس معها سوى ثلث كتابها. . والأئمة تقف موقف المتفرج. .لديها القرآن الكامل -كما يزعمون- ولا تبلغه للأمة، لتتركها أسيرة ضلالها، لا تعرف وليها من عدوها، وتعدهم بظهوره مع منتظرهم، وتمر آلاف السنين ولا غائب يعود، ولا مصحف يظهر، فإن كانت الأمة تهتدي بدونه فما فائدة ظهوره مع المنتظر، وإن كان أساساً في هدايتها فلماذا يحول الأئمة بينه وبين الأمة، لتبقى الأمة في نظر هؤلاء حائرة ضالة تائهة، وهل أنزل الله سبحانه كتابه ليبقى أسيراً مع المنتظر لا سبيل للأمة للوصول إليه؟ مع أن الله سبحانه لم يترك حفظ كتابه لا لنبي معصوم ولا لمنتظر موهوم، بل تكفل بحفظه سبحانه.

تقول رواياتهم -كما تقدم- بأن علياً لم يستطع إخراجه خشية تحريفه، وهذا يعني أن الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس كتب عليها الشقاء والضلال لا يستثنى من ذلك إلا أصحاب المنتظر، لأنها ستبقى في معزل عن مصدر هدايتها، وأصل سعادتها وخيريتها.

والمصنف الكاشانى ممن يعتقدون ذلك وينقله عنهم مع أن الأئمة يملكون من وسائل التبليغ ما لا يملكه حتى الأنبياء، فعلي بزعمهم يملك قدرات خارقة وكان بإمكانه بهذه القدرات نشر القرآن الكامل. فقد قال المجلسي في الباب الذي عقده بعنوان باب "جوامع معجزاته رضي الله عنه": إن علياً مر برجل يخبط: هو هو، فقال: يا شاب، لو قرأت القرآن لكان خيراً لك. فقال: إني لا أحسنه ولوددت أن أحسن منه شيئاً. فقال: ادن مني، فدنا منه فتكلم بشيء خفي، فصور الله القرآن كله في قلبه فحفظه كله ".

---

(١) الخطوط العريضة: ص ١٠ - ١٩ .

فإذن علي يستطيع إبلاغ القرآن إلى كل من يريد، ويستطيع أن يتخذ كل التدابير الكفيلة بمنع أي محاولة ضده، لأنه كما تقول أبواب الكافي: " يعلم ما كان وما يكون ولا يخفي عليه الشيء"(١). فلماذا لم يفعل؟ جاء في بعض رواياتهم أن أمير المؤمنين قال: " لو ثني لي الوسادة وعرف لي حقي لأخرجت لهم مصحفاً كتبته وأملاه علي رسول الله ؟.

ونقف أولاً عند قوله: "لو ثني لي الوسادة" وهذا كناية عن توليه الحكم فكيف لم يخرج ما عنده بعد توليه الخلافة وهو يعد بهذا أم قد أخلف وعده كما يفتري واضع هذه "الأساطير" ؟!.

ثم قوله: "وعرف لي حقي" كيف يعرف حقه ومصدر هذه المعرفة لم يظهر للناس؟ أما قوله: "أملاه علي رسول الله" فهذا يناقض أساطيرهم الأخرى التي تقول: إن الجمع تم بعد وفاة الرسول .

والحقيقة أن كل هذه النصوص حول هذه الفرية هي من أبلغ الطعون في أهل البيت، ولا يبلغ مفتر ضد أهل البيت مبلغ هذه المفتريات، حتى لقد صدق فيهم قول إمامهم -كما تعترف بذلك كتبهم-" لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا"(٢). ومن أعجب الروايات لهذه الأسطورة أن عالمهم في القرن السادس "الطبرسي" في كتابه "الاحتجاج" جعل القول بهذه الفرية هي الإجابة المقنعة من أمير المؤمنين علي على اعتراض أحد الزنادقة، فقد روى في كتابه الاحتجاج وهو من كتبهم المعتبرة -كما قدمنا- أن عليا قال لأحد الزنادقة في محاورة طويلة منها. . . " إن الكناية عن أسماء الجرائر العظيمة من المنافقين في القرآن ليست من فعله تعالى، وأنها من فعل المغيرين والمبدلين.

والمصنف الكاشانى ممن يعتقدون ذلك وينقله عنهم هذا النص رغم طوله هو جزء من محاورة طويلة يزعم صاحب الاحتجاج أنها جرت بين أمير المؤمنين علي، وزنديق من الزنادقة، وأن علياً يناظره ويحاول أن يهديه إلى الحق، فهل يمكن أن يكون أحد أشد زندقة، ممن يقول في كتاب الله سبحانه وصحابة رسول الله مثل هذا القول، وهل يبلغ كيد حاقد أكثر من هذا. .؟ يقول موسى جار الله: "هل يجد أشد الناس عداوة

---

(١) السنة والشيعة: ص١٤ .

(٢) أصول الكافي: ٢/ ٦٢٧ .

مساغاً أهْدَم للقرآن وأهْدَم للدين من مثل هذا القول الذي يسنده شيوخ الشيعة إلى أمير المؤمنين علي"(١). ولاحظ في هذه الرواية ذلك الحقد الأسود ضد خير جيل عرفته البشرية ضد صحابة رسول الهدى حيث كنّت عنهم هذه الرواية بأنهم: "أصحاب الجرائر العظيمة من المنافقين" لأن تلك الزمرة الحاقدة التي قد أكل الغيظ قلوبها، وملأ الحقد نفوسها ضد ذلك الجيل القرآني الفريد، لم تجد في كتاب الله ما يطفئ هذا الحقد فقالت: بأن القرآن مليء بأسماء المنافقين -وتعني بهم صحابة رسول الله- وإسقاطهم من فعل المبدلين. ورواياتهم في هذا الاتجاه كثيرة.

ثم تقول تلك الرواية إنه لا يسوغ التصريح بأسماء المبدلين بسبب التقية مع أنه في نفس الكتاب رواية تقول بأن الذين غيّروا -بزعمهم- هم: أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت، وشيخهم النوري الطبرسي يزيد آخرين فيقول: " والذين باشروا هذا الأمر الجسيم هم أصحاب الصحيفة أبو بكر وعمر وعثمان أبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف، واستعانوا بزيد بن ثابت " فصل الخطاب: الورقة هؤلاء هم رواد الفتح الإسلامي، والطليعة من الرعيل الأول الذين بنوا حضارة لم تعرف لها الدنيا مثيلاً، فهم قذى في عيون هؤلاء، وشجى في حلوقهم، فلهذا خصتهم هذه الزمرة بهذا الافتراء. ثم تقول هذه الأسطورة : ولا يسوغ بحكم التقية الزيادة في آيات القرآن.

هل يعني هذا أن الخوف هو الذي قعد بهم عن إخراج مصحف مفترى وأنه لولا الخوف لفعلوا مثل هذا، وأنه يحتمل عند ارتفاع الخوف أن يفعلوا ذلك ويجاهروا به، ومع وجود الخوف قد يكون موضع التداول السري بينهم..؟!

لكن صاحب فصل الخطاب قدّم من كتب قومه أكثر من ألف "شاهد" زعم أنها آيات من كتاب الله أسقطت، واثبت تواطؤ معظم كتب الشيعة المعتمدة على هذا، وسجل بهذا أكبر فضيحة لقومه، وكشف أكبر جريمة ارتكبتها طائفته، فهل ارتفعت التقية، مع أن في نصوصهم أن التقية ملازمة لهم حتى رجعة مهديهم [انظر: فصل التقية في هذه الرسالة] ، أو هو قد خالف بهذا وصية إمامه، وخطة قومه؟ إنها أوهام يضرب بعضها بعضاً، وسيأتي بعد قليل تحقيق القول في هل للشيعة مصحف سري متداول؟ ثم تذكر رواية الاحتجاج بأن علياً واصل حديثه مع الزنديق وقال بأنه بسبب

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٢٦٠ .

ظروف التقـية لا يستطيع أن يصـرح بأكثر من هذا لما في ذلك من تقـوية حجج أهل التعطيل.

فمعنى هذا أن الخطاب مع الزنادقة ترتفع فيه التقـية، وتتم فيه المصارحة بالكفر، وأما مع المؤمنين فالتقـية واجبة، فهل تريد هذه الفئة أن تجـعل أمير المؤمنين من حزب هذا الزنديق يتـقى صحابة رسـول الله ويصارح بأمر كـتاب الله الزنادقـة الملحدين؟! وبعـد هذا التـصـريح بالكفـر يقـول: إن الزيادة على هذا فـيـه تقـوية لحـجج أهل التـعطيل، إذا كـان المراد بـأهل التـعطيل هم أهل الإيمان من الـصـحب الكرام، ومن تبـعهم، فـلا شك أن هذا يكفي لكشف مـا عليـه هذه الزمرة الحـاقدة، وإن كـانت الأخرى فكيف يـكون الكفر بكتاب الـله إذن؟! ثم تزعم هذه "الزمرة" أن عليـاً قال للزنديـق بأنه لا يسـتطيـع أن يعلن ذلك ويفـصـله "لأن الصـبـر عـلى ولاة الأمـر مفروض".. إن مـذهب الشيعة قـائم على إنكار إمامة ما سـوى الاثني عشر. وهذا النص يثبـت بأن هناك ولاة أمر غيـرهـم مفـروضة طاعتـهـم، وهذا ينقض المذهب من أصله، ويكشف أن الوضع والافتراء لا محالة له من التناقض والاختلاف.

ومن أعظم الافتراء على أمير المؤمنين علي القول بأنه يطيع غيره في معصية الله، ويرى أن هذا الأمـر مـفـروض!! ومن المعلوم في الإسـلام أنه لا طاعـة لمخلوق في معصية الخالق ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا ﴾ [لقمان، آية: ١٥].

وهؤلاء يزعمون أن علياً وافـقهم وأطاعهم في تغيير القرآن بحكم شريـعة التقية، وهذا سب لعلي وتكفير له قبل أن يكون ذلك لأصحاب رسول الله، ومن هنا ندرك أن هؤلاء أعداء لأهل البيت قبل أن يكونوا أعداء لسائر المسلمين.

ولاحظ كيف يستدل على طاعة الحاكـم في الكفر بقوله سبحانه: ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ ﴾ فهذا يدل على أن واضع هذا النص من الجهلة؛ لأن هذه الآية تأمر بخلاف ما يدعو إليه تماماً، ونسبة هذا الاستدلال لعلي تجهيل له وافتراء عليه. ويظهر من قوله: "وأما قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ﴾ فإنما نزلت كل شيء هالك إلا دينه، لأن من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبـقى الوجه.. الخ" (١). يظهـر من النص أن واضعه أعجمي لا صله له بلغة العرب، ولا معرفة له بدلالات ألفاظها. أو

(١) رجال الكشي: ص ٣٠٧.

زنديق يتجاهل.

ثم زعم صاحب الصافـى أن علياً قال للزنديق بأنه "سقط أكـثر من ثلث القرآن في موضع من سورة النساء، وأنه لو شـرح كل ما أسقط وحرّف وبدّل مما يجري هذا المجـرى لطال، وظهر مـا تمنع التـقيـة إظهاره"، وهذا مـن أعظم الكذب على أميـر المؤمنين، بدليل أنه لم يعـلن في مدة خـلافتـه على المسلمين هذا الثلث السـاقط من القرآن، ولم يأمـر المسلمين بإثباته والاهتـداء بهدية والعـمل بأحكامه. فـهؤلاء الذين يدعون التشـيع لأمير المؤمنين، وينسـبون له هذه الأباطيل هم بهذا أشد عـداوة لأمير المؤمنين من النصاب، لأنهم ينسبون له الرضا بالكفر والإقرار به.

وهم كلما أعيتهم الحيلة لإثبات الحجة لجـأوا إلى التقية، فهو هنا يستر عجزه عن شرح ما أسقِط وبُدّل، بالتـعلق بالتقية، وهي حيلة مكشوفـة، وفرار من المواجهة، ثم إن غيره ممن حاول أن يقـدم شيئاً من النموذج الساقط بزعمـه افتضح أمره، وانكشف كيده، لأن هذا "النموذج" بالنسبة لآيات القرآن أشـبه ما يكون بعبث الصبيان ولعب الأطفال، وأنى لهم أن يصلوا إلى شيء من محاكاة القرآن العظيم.

هذا وما دامت شـريعة هذه الزمـرة تخص الزنادقة بهـذه المقالات الملحـدة حول كتاب الله كـما في الرواية السابقة، فـهل نصدق ما قيل بأن عند المسـتشرق "براين" مصـحفاً إيرانياً فـيه زيادات على كتـاب الله، ومن هذه الزيادات "سورة" يسمـونها "الولاية"(١). وهذا يعني أن عند هؤلاء القوم مصاحف سرية يتداولونها.

هل لدى الشيعة مصحف سري يتداولونه؟

يجيب على هذا السؤال صاحب كتاب أصول مذهب الشيعة.

هل عند الشيعة مصحف يحوي كل هذه المفتريات وتكون فيه قراءة الشيعة عوضاً عن كتاب الله سـبحانه؟ ماذا تقول أساطـيرهم، وماذا يقول واقعهم بهـذا الخصوص؟ هل قول الشـيخ محب الدين الخطيـب بأن "للشيعـة مصـاحف خاصة تخـتلف عن المصحف المتداول"(٢). هل هذا واقع؟ وقد نشر محب الدين صورة "لسورة مفتراه" يسمونها سورة "الولاية"(٣)، وقد نشرها قبله الشيعي الأصل الأستاذ أحمد الكسروي

(١) الوشيعة: ص ١٢٣ .
(٢) الخطوط العريضة: ص ٦ .
(٣) انظر: الخطوط العريضة: ص١١ .

في كتابه: [الشيعة والتشيع] . وقال بأنها مصورة من مصحف إيراني مخطوط عند المستشرق مستر براين [قال الشيخ محب الدين بأنه قد اطلع عليه وصورها منه من وصفه بـ "الثقة المأمون" محمد علي سعودي الذي كان - كما يقول الشيخ - كبير خبراء وزراء العدل بمصر (١) . وقبل ذلك أثبتها شيخ الرافضة في كتابه] (٢) ومن قبل قال صاحب تكفير الشيعة : إنهم أحدثوا مصحفاً - كما سلف - ، فهل للشيعة مصحف سري يتداولونه كما يقول هؤلاء ؟

سأجيب من خلال استقراء نصوصهم وأقوال شيوخهم. .فأقول: لقد جاءت نصوص عندهم تأمرهم بالعمل بالقرآن ريثما يخرج مصحفهم مع إمامهم المنتظر. قال صاحب الصافى عن الكليني في الكافي ما نصه. . " عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه، عن أبي الحسن -رضي الله عنه- قال: قلت: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن، ليس هي عندنا كما نسمعها، ولا نحسن أن نقرأها كما بغلنا عنكم، فهل نأثم؟ فقال: لا، اقرؤوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم "(٣).

ومن هذا النص نأخذ أنهم فيما بينهم يتلون مفترياتهم كما يدل عليه قوله: "كما نسمعها" ، كما بلغنا عنكم [وهناك روايات كثيرة تزعم أن أئمتهم يقرؤون بغير ما في القرآن، كما جاء في تفسير فرات" عن حمران قال: سمعت أبا جعفر يقرأ هذه الآية: "إن الله اصطفى آدم ونوحاً و آل إبراهيم وآل محمد على العالمين" قلت: ليس يقرأ كذا، قال: أدخل حرف مكان حرف (٤) ومثله نصوص كثيرة تدل على أنهم ينسبون للأئمة أنهم يقرؤون بغير ما أنزل الله، وبخلاف ما يقرأ المسلمون، فهل هؤلاء شيعة لأهل البيت؟!، ثم إنهم اشتكوا أنهم لا يحسنون قراءة ما يسمعون أو ما يبلغهم فوعدهم إمامهم بأنه سيأتيهم من يعلمهم، وهذا الوعد كان في عهد إمامهم أبي الحسن -كما يفترون-. وعبارة "سيأتيكم" توحي بأن هذا المعلّم سيأتي هؤلاء الذين لا يحسنون القراءة، ولكن هذا المعلّم لم يأت ومرّ ذلك الجيل ومرت بعده قرون

---

(١) انظر: هامش "مختصر التحفة الاثني عشرية" ص: ٣٢ .

(٢) وقد نشر صورتها في: الخطوط العريضة ص١٢، ومختصر التحفة ص٣١، ومجلة الفتح العدد (٨٤٢)، ص٩ .

(٣) هامش مختصر التحفة ص ٣٢، الخطوط العريضة ص ١١ .

(٤) فصل الخطاب: ص١٨٠ .

متطاولة وقد فسر شيوخ الشيعة فيما بعد المقصودَ بالمعلم بأنهم مهديهم المنتظر (١)، وهناك نصوص كثيرة للرافضة تصرح بأنه القائم أو المهدي كما سنذكر بعد قليل] . والشيعة مأمورة بقراءة القرآن، وانتظر ما يأتي به منتظرهم وعدم قراءة تلك المفتريات لأنهم لا يحسنون قراءتها كما يدل النص المذكور، وبالتالي لا تجعل في مصحف متداول بينهم، هذا ما تدل عليه رواية الكافي.

ويقول مفيدهم: "إن الخبر قد صح من أئمتنا -عيلهم السلام- أنهم أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وأن لا نتعداه، بلا زيادة فيه ولا نقصان منه، حتى يقوم القائم -عليه السلام- فيقرأ الناس القرآن على ما أنزله الله تعالى وجمعه أمير المؤمنين -عليه السلام- المصنف (الكاشانى) ولكن هذا يبقى مجرد جمع لتلك المفتريات، التي جاءت عندهم كأمثلة لما في مصحف علي المزعوم، أما مصحف علي فهو غائب منتظر، كالمهدي المنتظر عندهم، لم يخرج إلى الآن، والعمل بالقرآن إلى أن يظهر، ولكن جمع هذه المفتريات هو محاولة لإقناع المتشككين والحائرين من بني قومهم. والذي لاحظته من كلام شيوخهم أن قولهم بوجود مصحف لعلي أمر لا يختلفون فيه، حتى ليقول بذلك من يتظاهر بإنكار التحريف من القدامى والمعاصرين كابن بابويه القمي في الاعتقادات كما سيأتي نص كلامه (٢). لكن يبقى القول في زيادة مصحف علي المزعوم عما في كتاب الله وهل هي زيادة في النص أو من قبيل التأويل أو الترتيب؟ كما سيأتي.

مصحف علي: تقدم الإشارة إلى أن مصحف علي " المزعوم ": جاء الحديث عنه في أول كتاب وضعه الشيعة، وأنه قد جاءت بعض الروايات عنه عند أهل السنة ولكنها كما قال ابن حجر لا تصح، ولكن ما في كتب الشيعة صورة أخرى -كما سلف- وقد أكثر القوم من الحديث عن مصحف علي المزعوم والذي يحتوي -كما يزعمون- على زيادات على كتاب الله.

وقد اهتم بإشاعة هذه الفرية الكليني ثقة دينهم في كتابه الكافي وعقد لها باباً خاصاً بعنوان: "باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام" وذكر فيه ست روايات لهم، منها ما رواه عن جابر الجعفي إنه سمع أبا جعفر يقول: "ما ادعى

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٦١٩ .

(٢) تفسير فرات ص١٨، بحار الأنوار: ٥٦/ ٩٢ .

أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده"، تفسير الصافى فى المقدمة، لاحظ أن هذه الرواية رواها جابر الجعفي وهو كذاب عند أهل السنة، كما أن كتب الشيعة اعترفت بأنه ليس على صلة معروفة بأبي جعفر [١] فهذه الرواية من أكاذيبه، وتلقفها الكليني الذي يعمل على إشاعة هذا الكفر.

وإذا كان لم يجمع القرآن إلا علي فأين ما جمعه؟ وإذا كان قد جمعه علي فما الحاجة لجمع الأئمة من بعده؟ إلا إذا كانوا يرون أنهم قد شاركوا في الجمع وهم لم يوجدوا.

ولماذا لم ير هذا الكتاب المجموع ولم يعرفه أحد من المسلمين؟

وكيف يصدق مثل هذا الإفك الذي نقله شرذمة من الكذابين وينكر إجماع الصحابة بما فيهم علي -رضي الله عنه- على العمل بهذا القرآن العظيم وتحكيمه وعلى نهجهم أئمة المسلمين بما فيهم علماء أهل البيت؟ إنها خرافات لا يصدقها عقل بريء من الهوى والغرض، ولا تدخل قلباً خالطته بشاشة الإيمان. وفي تفسير القمي -عمدة كتب التفسير عندهم- عن أبي جعفر -رضي الله عنه- قال: "ما أحد من هذه الأمة جمع القرآن إلا وصي محمد صلى الله عليه وآله" [تفسير القمي ويفهم من رواية الكليني أن كل إمام جمع القرآن، وكأننا أمام كتب متعددة لا كتاب واحد، بينما تعارضها رواية القمي وتذكر بصيغة الحصر أنه لم يجمعه سوى علي، ثم هم يقولون في رواياتهم وأبوابهم: من ادعى أنه جمع القرآن غير الأئمة فهو كذاب. مع أنهم زعموا أن القرآن كان مدوناً مجموعاً من عهد النبي ﷺ فهل كان الحسن والحسين وبقية الأئمة هم الذين يتولون جمعه في عهد النبي ﷺ ؟!

وإذا كانت هذه الرواية تسمح لخواص الأئمة بالاطلاع على ذلك المصحف المزعوم، فإن في الكافي رواية أخرى تخالف ذلك حيث جاء فيه عن أحمد بن محمد ابن أبي نصر قال: دفع إليّ أبو الحسن مصحفاً وقال: "لا تنظر فيه، ففتحته وقرأت فيه: لم يكن الذين كفروا؛ فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم قال: فبعث إليّ: ابعث بالمصحف" [٢]. تفسير الصافى فى المقدمة.

---

(١) انظر: المازندراني / شرح جامع على الكافي: ١١/٤٧ .

(٢) والخوئي في البيان البيان: ص ٢٢٣ .

ففي هذه الرواية: الإمام يستودع المصحف أحـد خواصه ويحظر عليه النظر فيه، ولكن يخالف أمر إمـامه، ويخونه فيـما استودعه ويقـرأ في هذا المصحف، ويكشف بعض مـحتـوياته. فهـذا المصـحف الذي تتحـدث عنه هذه الرواية مـصحف سـري مـحجـوب عن الخاص والعـام لا يطلع عليـه سوى الإمـام، وهو يشيـر إلى أن من موضوعاته تكفير صحابة رسول الله ﷺ، فهو ليس كتاب الله الذي نزل للناس كافة، والذي أثنى على الصحابة في جمل من آياته.. بل هو مصحف تتداوله الأيدي الباطنية بصفـة سرية وتنسب بعض أخبـاره لأهل البيت لتسـيء إليهم. وهذه الأسطورة أراها تعرض مرة أخرى بصيغة مغايرة لتلك الرواية السابقة، حيث جاء في بصائر الدرجات عن البـزنطي البـزنطي هو نفسـه الراوي للأسطورة السـابقـة، وهذا الذي يروي هذه الأساطير، ويفـتري على كتاب الله وعلى الصحابـة والقرابة، هو ثقة عندهم (مع أنه قد خـان إمامه وخالف أمـره). جاء في معجـم رجال الحديث للخوئي: [أحـمد بن مـحمـد بن أبي نصـر زيد مـولى السكوني أبو جـعـفر، وقـيل: أبو علي المعـروف بالبزنطي، كـوفي ثقة لقي الرضا، وكـان عظيم المنزلة عنده، روى عنه كتـاباً، ومات سنة ٢٢١هـ "(١). أن الرضا عليه السلام أودع عنده ذلك المصحف المزعوم فقال هذا البنزنطي: وكنت يوماً وحدي ففتحت المصحف لأقـرأ فيه، فلما نشرته نظرت فيه في "لم يكن" فإذا فيها أكثر مما في أيدينا أضعافـه، فقدمت على قراءتها فلم أعرف شيئاً فأخذت الـدواة والقرطاس فأردت أن أكتـبها لكي أسأل عنهـا، فأتاني مسافـر قبل أن أكتب منها شيئاً، معه منديل وخيط وخاتمه فقال: مولاي يأمرك أن تضع المصحف في المنديل وتختمه وتبعث إليـه بالخاتم، قال: ففعلت (٢). هذا البزنطـي يقول في هذه الرواية: لم أعرف منها شيـئاً، وفي الرواية التي قبلها يقول إنه وجد فيـها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسـمائهم وأسماء آبائهم!! وتأتي رواية أخـرى له في رجال الكشي لتصوغ هذه الأسطورة بصورة ثالثة فتقـول: "عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: لما أتي بأبي الحسن رضي الله عنه أخذ به على القادسـية، ولم يدخل الكوفة، أخذ به على برّاني البصرة، قال: فبـعث إليّ مصحفاً وأنا بالقادسية ففتـحته فوقعت بين يديّ سورة "لم يكن" فإذا هي أطول وأكثر مما يقرأها الناس، قال فحفظت منه أشياء قال:

---

(١) انظر: رجال الكشي ص ١٩١ .
(٢) أصول الكافي: ٢/ ٦٣١ .

فأتى مسافر ومعه منديل وطين وخاتم فقال: هات: فدفعته إليه فجعله في المنديل، ووضع عليه الطين وختمه فذهب عني ما كنت حفظت منه، فجهدت أن أذكر منه حرفاً واحداً فلم أذكره"(١) هذه روايات ثلاث كلها عن هذا البزنطي في رواية بصائر الدرجات يزعم أنه لم يفهم شيئاً مما قرأ وحاول أن يكتب ما قرأ فاستعجله رسول إمامه قبل أن يكتب، وفي رواية الكشيء يزعم أنه حفظ جزءاً مما قرأ، ولكن هذا المحفوظ فارقه بمفارقة المصحف، وفي رواية الكافي نراه يعرف ما قرأه ويستذكر ما حفظ، وأن ذلك يتعلق بأعداء الأئمة من قريش. نصوص متناقضة كالعادة في كل أسطورة.

وإذا كان يصعب كتابة شيء منه، أو حفظ جزء منه، فكيف حفظت وكتبت تلك "الأساطير" ؟ أنها أوهام يناقض بعضها بعضاً.

وروايات الشيعة تقول بأن هذا المصحف عند إمامهم المنتظر. قال شيخهم نعمة الله الجزائري: "إنه قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين -إلى أن قال-: وهو الآن موجود عند مولانا المهدي رضي الله عنه مع الكتب السماوية ومواريث الأنبياء"(٢)، ومع ذلك فقد ارتبطت مصاحف قديمة عند الشيعة أيضاً بعقيدة أنها مكتوبة بخط علي، ويذكر ابن النديم -وهو شيعي- أنه رأى قرآناً بخط علي يتوارثه بيت من البيوت المتنسبة للحسن الفهرست: ص٢٨ .

ويشير ابن عنبة -وهو ممن يدعي النسب العلوي- إلى وجود مصحفين بخط أمير المؤمنين علي، أحدهما يقع في ثلاثة مجلدات، والآخر يقع في مجلد واحد، قد رآه بنفسه، ولكنهما احترقا -كما يذكر- حين احترق المشهد.

وقال أبو عبد الله الزنجاني -من كبار شيوخ الشيعة المعاصرين:- ورأيت في شهر ذي الحجة سنة١٣٥٣هـ في دار الكتب العلوية في النجف مصحفاً بالخط الكوفي كتب على آخره: كتبه علي بن أبي طالب في سنة أربعين من الهجرة (٣)، ولهذا قال ميرزا مخدوم الشيرازي -وهو ممن عاش بين الشيعة، وقرأ الكثير من كتبها كما سلف- قال: "ومن الطرائف أنهم مع هذا (أي مع ما يدعونه من التحريف) يعتقدون في

---

(١) معجم رجال الحديث: ٢/ ٢٣١ .

(٢) بصائر الدرجات: ص٢٤٦، عن بحار الأنوار: ٥١/ ٩٢ .

(٣) رجال الكشي: ص ٥٨٨-٥٨٩ .

مصاحف كثيرة كونها مكتوب علي والأئمة من ولده، وليس فيها إلا ما في سائر المصاحف المتواترة والتي لا تحصى كثرة. كما أن هذه المشاهدات المزعومة لمصحف علي، تناقض دعواهم أن المصحف الذي كتبه علي عند مهديهم المنتظر.

ولاشك بأن أمير المؤمنين علي ما كان يقرأ ويحكم إلا بالمصحف الذي أجمع عليه الصحابة، وهذا ما تعترف به كتب الشيعة نفسها -كما سلف- ولهذا أخرج ابن أبي داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال: قال علي: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فو الله ما فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا"(١). وقد نقلت ذلك كتب الشيعة كما سيأتي بعد قليل وقد جاء في صحيح البخاري بأن أمير المؤمنين عثمان -حين جمع القرآن- أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(٢). ولعل هذا ينفي وجود مصحف بخط علي - كما يدعون، ويلاحظ أن من بين القراء المشهورين ما يرجع سند قراءته إلى أئمة أهل البيت، ولهذا استدل الدكتور عبد الصبور شاهين على براءة أهل البيت، وزيف ادعاءات الشيعة أن من بين القراء السبعة المشهورين حمزة الزيات، وسند قراءته هو: حمزة الزيات، عن جعفر الصادق، وهو قرأ على محمد الباقر، وهو قرأ على زين العابدين، وهو قرأ على أبيه الحسين، وهو قرأ على أبيه علي بن أبي طالب -كرم الله وجه- فهؤلاء الأبرار من آل البيت لم يخرجوا على إجماع المسلمين على المصحف الإمام، وآية رضاهم به، إقراؤهم الناس بمحتواه دون زيادة أو نقص أو ادعاء يمس كمال كتاب الله سبحانه(٣).

وقال الدكتور محمد بلتاجي: "ونضيف إلى ذلك أن قراءة علي بن أبي طالب للقرآن قد رويت أيضاً بطريق زيد بن علي أخي الإمام الباقر وعم الإمام الصادق -وهذا ما يسلم به الإمامية الاثنا عشرية أنفسهم-"(٤)، وأحال في هذا الاعتراف إلى(٥).

قلت: أضيف -أيضاً- إقراراً واعترافاً آخر من شيخ الشيعة المجلسي حيث يقول:

---

(١) الأنوار النعمانية: ٢/ ٢٦٠-٢٦٢ .
(٢) الزنجاني / تاريخ القرآن: ص ٦٧-٦٨ .
(٣) فتح الباري: ١٣/ ١٨ .
(٤) صحيح البخاري - مع فتح الباري: ١١ / ١٣ .
(٥) عبد الصبور شاهين / تاريخ القرآن: ص ١٦٥ .

"والقراء السبعة إلى قراءته (يعني قراءة علي) يرجعون، فأما حمزة والكسائي فيعولان على قراءة علي.. وأما نافع وابن كثير وأبو عمرو فمعظم قراءاتهم يرجع إلى ابن عباس، وابن عباس قرأ على أبي بن كعب وعلي، والذي قرأ هؤلاء القراء يخالف قراءة أبي فهو إذاً مأخوذ عن علي -عليه السلام- وأما عاصم فقراه على أبي الرحمن السلمي وقال أبو عبد الرحمن: قرأت القرآن كله على علي بن أبي طالب عليه السلام، فقالوا: أفصح القراءات قراءة عاصم لأنه أتى بالأصل وذلك أنه يظهر ما أدغمه غيره، ويحقق من الهمز ما لينه غيره.. والعدد الكوفي في القرآن منسوب إلى علي عليه السلام وليس في الصحابة من ينسب إليه العدد غيره، وإنما كتب عدد ذلك كل مصر عن بعض التابعين)[1] بل يقولون -كما ذكره شيخهم علي بن محمد الطاووسي العلوي الفاطمي في كتابه سعد السعود" ثم عاد عثمان فجمع المصحف برأي مولانا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-[2]، يقولون: وقال علي أيضا: " أيها الناس الله الله إياكم والغلو في أمر عثمان وقولكم حراق المصاحف فو الله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ عن[3]. بل قالوا أكثر من ذلك، قالوا: إنه ورد عن أهل البيت عليهم السلام أن عثمان بن عفان لما رأى اختلاف الصحابة في قراءة القرآن طلب من علي عليه السلام مصحف فاطمة الذي كانت هي -سلام الله عليها- دونته بإشارة أبيها، وطابقه مع المصاحف الأخرى التي كانت بيد الصحابة، فما طابق منها مصحف فاطمة نشره وما لم يطابقه أحرقه. فعلى هذا يكون المصحف الذي بأيدينا مصحف فاطمة لا مصحف عثمان، وعثمان كان ناشره لا مدونه ومرتبه. أليس هذا كله ينقض كل ما ادعوه، ويهدم كل ما بنوه.. وهو دليل على اختلاف أخبارهم وتناقضها، والتناقض أمارة بطلان المذهب. ويبدو من خلال النص الأخير أن ذلك محاولة منهم للرجوع عن تلك المقالة بعدما جلبت عليهم العار، وأورثتهم الذل والشماتة، وضرت مذهبهم ولم تنل من كتاب الله شيئاً، لكن الرجوع عن هذه المقالة يوقعهم في تناقض آخر وهو أن هذا القرآن العظيم وصل إلينا عن طريق أبي بكر وعثمان وإخوانهم، وهؤلاء لهم في مذهب الشيعة النصيب الأوفى

---

(١) مناهج التشريع الإسلامي: ١/ ١٨٩ .
(٢) كتاب تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص: ٢٨٥-٣٤٣، والفهرست للطوسي ص: ١١٥ .
(٣) "بحار الأنوار": ٩٢/ ٥٣-٥٤، مناقب آل آبي طالب [٢/ ٤٢ ، ٤٣] .

من اللعن والتكفير، وكيف يجتمع حينئذ في قلب واحد وعقل واحد الاعتقاد بسلامة القرآن وخيانة جامعيه، ولعلهم وضعوا المقالة الأخيرة التي تقول إن عثمان قابل القرآن على مصحف فـاطمة المزعوم، وضعوها للخـروج من هذا المأزق، ولكن هذا يوقعهم في تناقض ثالث وهو مخالفة أخبارهم التي تقول إن مصحف فاطمة غير القرآن -كما سيأتي- [انظر الحديث عن فاطمة في مـبحث الإيمان بالكتب] . «والثابت عن عثمان أنه أرسل إلى حفصة" أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف.

وهؤلاء جعلوا ذلك لفـاطمة كعادتهم في نسبـة فضائل الأنبيـاء، والصحابة إلى الاثني عشر، عن طريق تحوير الأحاديث، وصياغتها في كتبهم وتركيبها على الأئمة، أما في آيات القرآن فطريق ذلك التأويل الباطني أو دعـوى التحريف، كما رأينا حجم أخبار هذه الأسطورة في كتب الشيعة ووزنها عندهم: لقد رأينا أن معظم كتب الشيعة انغمست في هذا المسـتنقع الآسن، وسقطت في تلك الهوة الخطيرة، فمـا مقدار هذا السقوط وما مستواه؟ هل تلك الروايات السوداء التي وجدت طريقها إلى كتب القوم، وتسللت إلى مراجعهم الحديثيـة لتكسو من يركن إليها ثوباً من الخزي والعار، وتسلب من يده آخر عـلاقة له بالإسلام. .هل تلـك الروايات مجرد روايات شـاذة مندسة في كتب القوم لم تحظ برضى عقلائهم، ولا قبول محـققيهم، وأنها قد تسربت إلى كتب هؤلاء، لأن الكذابين على الأئمة - كـما تقول كتب الشيـعة- قد كثـروا في صفوف الشيعة، وكان الـتشيع مطية لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله، كما أثـبتته الأحداث والوقائع؟

قـد لاحظنا أن هذه الأسطورة بدأت بـروايتين اثنتين في كـتـاب سليم بن قـيس حـسب النسخـة المطبـوعة التي بين أيدينا، ومـا لبـث أن أخذت بعـداً أكبـر وزادت أخبـارها. وقد تولى كبـر هذه الفرية ووزر هذا الكفر شـيخ الشيعـة علي بن إبراهيم القمي، فـقد أكثر من الروايات في هذا الـباب، ونص في مقدمـته على أنها كثـيرة، وبدأت عنده مـحاولة التطبـيق العملي لهـذه الخرافـة كمـا سبق. ويلاحظ أن مـعظم روايات الكليني صاحب الكافي هي عن هذا القمي الذي تلقف هذه الروايات عن كل أفاك أثيم وسجلها في تفسيره الذي يحظى بتقدير الشيعة كلها ، وقد قال الذهبي وابن حجر عن تفسيره هذا: "وله تفـسير فيه مصائب"(١). كانت دوائر الغـلاة في القرن الثالث تعـمل على الإكثـار من صنع الروايات في هذا حتى أن شـيخهم المفـيد الذي

---

(١) عن تاريخ القرآن / للزنجاني (وهو من الاثني عشرية المعاصرين): ص, ٦٧

يلقبونه بركن الإسلام وآية اللـه الملك العلام والمتوفى سنة ٤١٣هـ) يشهد باستفـاضتها عند طائفته (الاثنا عـشرية) يقول: "إن الأخبار قد جـاءت مستفيضـة عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان"(١). هذه الاستفاضة هي ثمرة الوضع والكذب على أهل البيت والذي نشط في القرن الثالث على يد شرذمة من شيوخهم.

ولو كان عند أهل البـيت شيء لقرؤوا به دون ما سواه، ولأخـرجوه للناس ولم يسعهم كـتمانه. ولكن أهل البيت باعتـراف الشيعة لم يقـرؤوا إلا بكتاب الله، فعلم براءتهم من هذا الافتراء. . وثبت أن ديناً يستفيض فـيه الباطل باطل. هذا والمفيد يقول باستفاضـة هذا الكفر بين طائفته، رغم أن شيـخه ابن بابويه يقول: إن من نسب إلى الشيعة مـثل هذا القول فهو كاذب -كما سبق- وسـلالة أهل البيت (الشريف المرتضى وهو من معاصـري المفيد بل من تلامذتـه) يقول: إن أخبارهم في هذا لا يعـتد بها، لأنها أخبار ضعيفة لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته(٢). فهل كل شيخ من هؤلاء يمثل مدرسة ونحـلة والتشيع يجمعـهم، أو هم يتلونون تلون الحرباء بحكم التقـية، أو أنهم قـد أحكموا خطتـهم، وأزمعوا أمـرهم على أن يظهر منـهم حسب المناسبات والظروف صوتان مختلفان متـعارضان حتى لا يتمكن أحد من الوقوف على حقيقة المذهب؟! ولهـذا نجد أيضاً في القرن السادس ظهور الطبرسي صـاحب التفسير وإنكاره هذه المقالة كما سـيأتي، ومعاصره الطبرسي الآخر صاحب الاحـتجاج يصرح بهذا الكفر ويروي فيه عشر روايات، ويرى أن ما ذكره هو محل إجماع أو اشتهار بين طائفته كـما سلف. أم أن الوضع لهذا الروايات إنما وقع في العصـور المتأخرة ونسب لشيوخهم القدامى ليحظى بثقـة الأتباع الأغرار؟ سيأتي إن شاء الله دراسة هل الإنكار تقية أو حـقيقة؟. . هذا وفي ظل الدولة الـصفوية كثر الوضع لأخـبار هذه الأسطورة فتجاوزت مـرحلة ما سجله القمي أو الكليني، أو المفيد، أو فـرات الكوفي، وغيرهم من شيـوخهم في القرن الثالث والرابـع تجاوزت الحجم الذي سجلتـه هذه الزمرة إلى درجة أن شهد شـيخهم المجلسي صاحب بحار الأنوار بأن أخبـارهم في هذا أصبحت تضاهي أخـبار الإمامـة؛ يقول: "وعندي أن الأخبـار في هذا الباب متـواترة معنى،

---

(١) تاريخ القرآن / للزنجاني: ص,٦٨

(٢) انظر: ميزان الاعتدال: ٣/ ١١١، ولسان الميزان ٤/ ١٩١ .

وطرح جميعـها يوجب رفع الاعتماد عن الأخبار رأسـاً؛ بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا تقصـر عن أخبـار الإمامـة"(١). هذه شـهـادة من المجلسـي المتـوفى سنة (١١١١هـ) على تضخم أخـبار هذه الأسطورة، والتي كانت مجـرد روايتين في كتاب سليم بن قـيس، وكانت عند ابن بابويه القـمي المتوفى سنة (٣٨١هـ) لا تكـاد توجد حتى قال: إن من نسب للـشيعة مثل هذا القـول فهو كاذب، وشيخ الشـيعة الطوسي أنكر نسـبة هذا إلى الشيعـة(٢). وقد أرهق نـفسه النوري الـطبرسي صاحـب فصل الخطاب ليـجد وسيلة يتـخلص بها من كـلام الطوسي فقـال: "والطوسي في إنكاره (يعني لتحريف القرآن) معذور لقلة تتبعه الناشئ من قلة تلك الكتب عنده"(٣) النسخة المخطوطة.

وهذا الاعتذار لا يمكن أن يوافق عليه صـاحب فصل الخطاب الذي يصر على أن يجعل كل الشيعة على مذهبـه في القول بتحريف القرآن، ذلك لأن الطوسي هو شيخ الشيعة في زمنه، وهو مـؤلف كتابين من كتبهم الأربعة المعتـمدة في الحديث، وكتابين من كتـبهم المعتـمدة في الرجال، فلا يتـصور أن يوصف بقلة التـتبع، أو بقلة الكتب عنده، كمـا يقول هذا الطبرسي. بل نحن نأخـذ منقول الطوسي هذا شهـادة هامة أو وثيـقة تاريخـية تثـبت أن الوضع لهـذه الأسطورة لم يتـسع ويصل إلى هذا المستـوى الموجود اليـوم إلا في ظل الحكم الصفـوي، ولا يستـبعد أن تضـاف روايات من هذه الروايات إلى شيوخهم القدامى لخدمة هذه الأسـطورة، ولاسيما والشواهد قائمة على أن الكذب في الشيعة كثير، كما تشـهد بهذا كتب أهل السنة وتقر بذلك كتب الشيعة نفسها -كما سيأتي [انظر: فصل اعتقادهم في السنة من كتاب أصول مذهب الشيعة].

هذا وشهادة شـيوخ الدولة الصفوية بكثـرة هذه الأخبار في زمنهم كثـيرة، فكما شهد المجلسي يشهـد شيخهم الآخر نعمة الله الجـزائري وهو من معاصري المجلسي، ومن تلامذته وموضع ثقـة الشيعة وتقديـرهم [انظر: ص (٢٠٢) من أصول مذهب الشيعة. [يقول: "إن الأخـبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث"] انظر: فصل الخطاب، الورقة (١٢٥) النـسخة المخطوطة و ص٢٥١من المطبـوعة] . كـما أنه يضع أساطيره، وكتاب الله سبحانه في كفة ميزان، ويرى أن القول بسلامة القرآن يؤدي إلى

---

(١) أوائل المقالات: ص ٩٨ .　　(٢) مجمع البيان: ١/ ٣١ .

(٣) مرآة العقول: ٢/ ٥٣٦ .

انعدام الثقة في أخبارهم فيقول -وهو يرد على شيوخهم المتقدمين- في قولهم بتواتر القراءات السبع.. يقول: "إن تسليم تواترها عن الوحي الإلهي، وكون الكل قد نزل به الروح الأمين يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة، بل المتواترة الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن(١). يعني والمحافظة على حرمة وسلامة أخباره وأساطيره أولى من القول بصيانة القرآن وحفظه! وهذا هو نفس ما قاله شيخهم المجلسي حينما قال -كما مر:- وطرح جميعها (يعني جميع أخبار التحريف) يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً.

هذا هو الخيار الصعب في نظر هذه الزمرة، هل تفقد أخبارها وبها قوام دينها، ومنها تقتات رزقها باسم الخمس، وبها تستمد قداستها باسم النيابة عن الإمام أتخسر كل هذه المكاسب التي تجنيها. .أم تقول بتغير القرآن فتجني تكفير المسلمين لها، وصعوبة التبشير بدينها، وتقلص أتباعها وضمور مكاسبها من بعد ذلك؟ إنه خيار صعب أمام هؤلاء (الشيوخ). .هل يخرجون منه بالظهور أمام الناس بوجهين وقولين أو يرجعون إلى التقية والكتمان، أو يراعون الظروف والمناسبات والأجواء؟

الملاحظ أن شيوخ الدولة الصفوية هم أجرأ على التصريح بهذا الكفر بحكم ووجود قوة تسندهم فتخف التقية لديهم، ولهذا كثرت أقوالهم بتواتر هذا الكفر عندهم حتى زعم شيخهم أبو الحسن الشريف وهو من تلامذة المجلسي بأنه: "يمكن الحكم بكونه من ضروريات مذهب التشيع"(٢). وقال ثقتهم(٣). وإسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى كلما يظهر لمن تأمل كتب الأحاديث (يعني كتب أحاديثهم) من أولها إلى آخرها" [المازندراني / شرح جامع] على الكافي.

وبناءً على حركة الوضع المستمرة عبر القرون، ولاسيما في إبان الدولة الصفوية رأينا شيخ الشيعة ومحدثها، وخبير رجالها، وصاحب آخر مجموع من مجاميعهم الحديثية (مستدرك الوسائل) وأستاذ كثير من شيوخهم المعتبرين كمحمد حسين آل كاشف الغطا، وآغا بزرك الطهراني وغيرهما. .شيخ الشيعة حسين النوري الطبرسي يرى أنه لا ينبغي عندهم النظر في أسانيد تلك الأساطير لتواترها من طرقهم؛ يقول: "إن ملاحظة السند في تلك الأخبار الكثيرة توجب سد باب التواتر المعنوي فيها بل

---

(١) تفسير التبيان: ١/ ٣ . (٢) فصل الخطاب الورقة ١٧٥ .

(٣) الأنوار النعمانية: ٢/ ٣٥٦-٣٥٧ .

هو أشبه بالوسواس الذي ينبغي الاستعاذة منه"(١).

وأختم بقول شيخهم محسن الكاشاني: "المستفاد.. من الروايات من طريق أهل البيت -عليهم السلام- أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه، كما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغير محرف، وأنه قد حذف عنه أشياء كثيرة منها اسم علي -عليه السلام- في كثير من المواضع، ومنها غير ذلك، وأنه ليس أيضاً على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلم" هذا بعض ما قاله شيوخهم في تلك الفترة عن حجم الروايات والأخبار عندهم، وهي شهادة خطيرة تؤكد هذه الفرية عندهم، واستفاضتها في كتبهم، وهذا بلا شك دليل بطلان أخبارهم كلها، فما دام الكذب عندهم يصل إلى حد التواتر فلا ثقة بسائر أخبارهم، وكل من يذهب هذا المذهب فإنه ليس من الإسلام في شيء، وإن دين هؤلاء ليس دين الأئمة، بل هو دين المجلسي أو القمي أو الكليني أو العياشي أو غيرها. وإن مثل هؤلاء كمثل سائر الزنادقة الذين ظهروا في التاريخ الإسلامي، وإن ذلك القناع الذي أضفوه على حقيقتهم المعادية للإسلام وأهله قد انكشف بهذه الدعوى، وإن أخبارهم التي نسبوها زوراً وكذباً لأهل البيت قد ظهر كذبها واستبان زيفها بهذا الكفر المعلن.

أهل السنة والقرآن الكريم:

وصرح كبار علماء السنة أن من اعتقد أن القرآن فيه زيادة أو نقص فقد خرج من دين الإسلام. وهذه العقيدة عند أهل السنة من الشهرة والتواتر بحيث أنها لا تحتاج إلى من يقيم أدلة عليها بل هذه العقيدة من المتواترات عند المسلمين ، قال القاضي عياض-رحمه الله-: (وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول ﴿ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ إلى آخر ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق وأن من نقص منه حرفا قاصدا لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه أو زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر. وينقل القاضي عياض عن أبي عثمان الحداد أنه قال: (جميع من ينتحل التوحيد متفقون على أن الجحد لحرف

---

(١) مرآة الأنوار: ص ٤٩ .

من التنزيل كفر. قال ابن قدامه: ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورة أو آية أو كلمة أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر. قال البغدادي: (وأكفروا - أي أهل السنة - من زعم من الرافضة أن لا حجة اليوم في القرآن والسنة لدعواهم أن الصحابة غيروا بعض القرآن وحرفوا بعضه).

ويقول القاضي أبو يعلي: (والقرآن ما غير ولا بدل ولا نقص منه ولا زيد فيه خلافاً للرافضة القائلين أن القرآن قد غير وبدل وخولف بين نظمه وترتيبه - ثم قال- إن القرآن جمع بمحضر من الصحابة رضي الله عنهم وأجمعوا عليه ولم ينكر منكر ولا رد أحد من الصحابة ذلك ولا طعن فيه ولو كان مغيراً مبدلاً لوجب أن ينقل عن أحد من الصحابة أنه طعن فيه، لأن مثل هذا لا يجوز أن ينكتم في مستقر العادة . . ولأنه لو كان مغيراً ومبدلاً لوجب على علي رضي الله عنه أن يبينه ويصلحه ويبين للناس بياناً عاماً أنه أصلح ما كان مغيراً فلما لم يفعل ذلك بل كان يقرأه ويستعمله دل على أنه غير مبدل ولا مغير.

ويقول ابن حزم القول بأن بين اللوحين تبديلا كفر صريح وتكذيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال الفخر الرازي عند قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وإنا نحفظ ذلك الذكر من التحريف والزيادة والنقصان -إلى أن قال: إن أحداً لو حاول تغيير حرف أو نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذب وتغيير لكلام الله حتى أن الشيخ المهيب لو اتفق له لحن أو هفوة في حرف من كتاب الله تعالى لقال له الصبيان أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا وكذا . . واعلم أنه لم يتفق لشيء من الكتب مثل هذا الحفظ فإنه لا كتاب إلا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير إما في الكثير منه أو في القليل، وبقاء هذا الكتاب مصوناً من جميع جهات التحريف مع أن دواعي الملاحدة واليهود والنصارى متوفرة على إبطاله وإفساده من أعظم المعجزات.

ويقول ابن حزم -في الجواب عن احتجاج النصارى بدعوى الروافض تحريف القرآن- (وأما قولهم في دعوى الروافض تبديل القرآن فإن الروافض ليسوا من المسلمين).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكذلك -أي في الحكم بتكفيره -من زعم منهم أن القرآن نقص منه آيات وكتمت، أو زعم أن له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة ونحو ذلك وهؤلاء يسمون القرامطة والباطنية ومنهم التناسخية وهؤلاء لا خلاف في كفرهم).

خاتمة البحث

أقول فى نهاية هذا المـبحث، أنه قد ثبت بيقين بعد عـرض هذه الأدلة التى تثبت تورط أعداء الدين مـن أدعياء العلم عند الشيعـة فى بدعة زعمـهم أن القرآن غـيّره الصحابة عليهم رضوان الله وهذا ان دل فانما يدل على تآمر هؤلاء القوم على الاسلام وأنهم ما كانوا يومـاً من أتباع هذا الدين، ولقد نقلت من كتب أهل العلم أقـوال غير المسلمين من المسـتشـرقين الذين ثبت لهم بعـد طول بحث وتدقيق أن القـرآن الكريم محفـوظ بحفظ الله له ولم ولن يستطيع أحد أن يأتى بزعـم أن القرآن أصابه نقص أو تغييـر، وأقول أيضاً أن المستشرقين وأعـداء الاسلام بعد أن أعياهم البحث والتـفتيش لعشـرات السنين لينالوا من القرآن أو يشككوا فـيه، فلما لـم يجدوا ولم يستطيـعوا، ذهبوا إلى كتـب السنة لينالوا من السنة وصاحبهـا عليه أفضل الصلوات والتـسليمات ومكثوا أيضاً عـشرات السنين وبعد البحث والتـفتيش والتدقيـق، لم يجدوا ولو ثغرة واحدة لينفـذوا منها للتـشكيك فى السنة، حتى قـال علماؤنا عن هؤلاء القـوم قولاً جميـلاً قالوا فيه ذهبـوا ليهدموا الدين فـخدموه، وذلك حين جمعـوا كل كتب السنة ورتبوا فى أثناء بحثهم الأحـاديث ليسهل عليهم البحث والتدقيق واسـتفدنا نحن بهذه القواعـد والأسس التى وضعوها للوصول لأى حـديث بسهولة، وهذا تصديقـاً لقوله سبحانه ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ ولقوله سبحانه ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾، فكما أن الله تولى حفظ القرآن كذلك تولى حفـظ السنة فكلاهما وحى من الله سـبحانـه وتعالى، وأقول أنه مـهمـا حاول الشيعة نشـر هذه الأباطيل فان الله سيقيد لدينه وقرآنه من يبطل كل مـحاولاتهم فهو القائل سـبحانه ﴿ وَمَـا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلا هُوَ ﴾ ويقول أيـضاً ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِـمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَـرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾، وبعد هذه الردود والنقـد السابقة فى هذا المبحث، الله أسأل أن ينفع بـها وأن يهدينا سواء السبـيل، انه ولى ذلك والقادر عليه وانه نعم المولى ونعم النصير .

الباب الثاني
الفصل الأول
قوله في توحيد الألوهية

المصنف الكاشانى وما ينقل عنهم يستمر فى ضلاله المبين ليطوع النصوص القرآنيه لما يعتقده ويؤمن به، وليتم له استحواذه على الشيعة هو وعلماء الشيعة الذين يدعون اتباعهم الى تأليه الأئمة وصرف انواع العبادة اليهم ، وكل هذا وضح لنا من خلال ما درسناه عنهم من خلال هذا التفسير الذى أظهر لنا كثيراً من عقائد الشيعة التى كنا لا نعلم عنها شيئا وكانت بمثابة مفاجأة لى أنا شخصياً وكل من استمع الى هذه الأقوال، التى لا يقولها الا عدو أراد بها تخريب عقائد الناس ونشر الفتنة والشرك والقضاء على التوحيد والعودة بالناس الى الجاهلية الأولى، بعد أن اتخذ الاسلام ستاراً والقرآن شعاراً وعدّ نفسه من علماء الدين والدين منه برىء، ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله واحد فى ذاته واحد فى أسمائه وصفاته وأفعاله لاشريك له، سبحانه وتعالى عن الشريك والشبيه والنظير والند والمثيل ﴿ وَقُلِ الحَمْدُ لله الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

فالتوحيد ينقسم الى ثلاثة أقسام:

١- توحيد الألوهية. ٢- توحيد الربوبية.

٣- توحيد الأسماء والصفات.

والمقصود بتوحيد الألوهيّة: إفراد الله تعالى بالعبادة؛ لأنّه سبحانه المستحقّ أن يُعبد وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره (١).

وهذا التوحيد هو الذي دعت الرسل إليه؛ لأن إقرار أقوامهم بتوحيد الربوبية

(١) في تعريف توحيد الألوهيّة: شرح الطّحاويّة: ص ١٦، لوامع الأنوار: ١/ ٢٩، تيسير العزيز الحميد: ص ٣٦ وغيرها.

معلوم، كما أخبر الله - عز وجل - عن أنبيائه نوح، وهود، وصالح، وشعيب أنهم قالوا لقومهم: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف، آية: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥] ، وأخبر سبحانه أن هذه دعوة الرسل عامة، فقال جل شأنه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل، آية: ٣٦] .وقال سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَٰهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء، آية ٢٥] .

وهو أصل النّجاة، وأساس قبول العبادات: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النّساء، آية: ٤٨، ١١٦] .

من هنا نعلم أن الذى يفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية انما هو اعتقاد العبد وقوله وعمله، فمثلاً توحيد الربوبية نجد أن الناس جميعاً يشتركون في توحيد الربوبية قولاً واعتقاداً مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ وهذا السؤال موجه الى مشركى مكه واثبت الله ردهم على نبيه واقرارهم بتوحيد الربوبية ولكن لم ينفعهم هذا الاقرار ليكونوا موحدين ويحكم لهم بالاسلام، لا لم يدخلوا فى الاسلام بهذا الاعتراف، لهذا كان الفاصل والحاكم على الناس هو توحيد الألوهية، وباختصار شديد نبين الفرق بين توحيد الربوبية وبين توحيد الألوهية، فتوحيد الربوبية هو توحيد الله بفعله هو، أى تعترف وتقر بأن الله هو الخالق وهو الرزاق وهو المحى المميت الى غير ذلك مما يتعلق بفعله سبحانه وتعالى أما توحيد الألوهية هو توحيد الله بفعلك أنت، وذلك بأن تصرف اليه وحده لا شريك له كل أنواع العبادة التى لا تنبغى الا له سبحانه وتعالى، اذ من المعلوم أن معنى العبادة هو، كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، من ذلك مثلاً الركوع والسجود والدعاء والاستغاثة والاستعانة والذبح والنذر والطواف بالكعبة والحلف والتحاكم والتوكل والخوف والرجاء والحب والخشية والرهبة والانابة، الى غير ذلك مما يتعلق بفعل العبد، فلا يصرف كل أقواله وأفعاله الا لله سبحانه وتعالى مصداقاً لقوله ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ البينة.

فهل حافظ المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة على هذا

الأصل الأصيل، والركن المتين، أو أن اعتقاده في الأئمة قد أثر على عقيدته في توحيد الله سبحانه؟ هذا ما سنتناوله بالحديث فيما يلي، حيث سأعرض لأربعة مباحث - إن شاء الله -.

أولها: قوله أن نصوص القرآن الواردة في أعظم أصل من أصول الدين، والذي وقع فيه الضلال في العالمين، وهو توحيد العبادة، اعتقاده أن الغاية منه تقرير ولاية عليّ والأئمة وعدم إشراك أحد معهم في الإمامة.

والمبحث الثاني: قوله أن أصل قبول الأعمال هو الإيمان بإمامة الاثني عشر وولايتهم وليس توحيد الله عز وجل.

والمبحث الثالث: قوله أن الأئمة هم الواسطة بين الله والخلق، حتى صاروا يعبدونهم ويدعونهم رغبًا ورهبًا.

والمبحث الرابع: قوله أن للأئمة حق التشريع والتحليل والتحريم.

[هاتان المسألتان الأخيرتان يمكن إلحاقهما بوجه آخر في توحيد الربوبية، ولا شك أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية].

أولها: قوله أن نصوص القرآن الواردة في أعظم أصل من أصول الدين، والذي وقع فيه الضلال في العالمين، وهو توحيد العبادة، اعتقاده أن الغاية منه تقرير ولاية عليّ والأئمة وعدم إشراك أحد معهم في الإمامة.

المبحث الأول
نصوص التوحيد جعلها في ولاية الأئمة

أقول أنا الباحث أن المصنف الكاشانى ومن ينقل عنهم يتعمدون أن يأتوا بكل ما من شأنه ابعاد الشيعة عن الدين وبخاصة عقيدة التوحيد، اذ من العجب العجاب أن يأتى رجل يدّعى العلم ويسمى كتابه بالتفسير وكذب ورب الكعبة ولو صدق لسماه بالتحريف أو التخريف، اذ من المحال أن تؤول كلمة التوحيد أو لفظ اسم الله الى معنى آخر غير ما أراد الله، أو تفسر كلمة الشرك ويراد بها أمر آخر غير ما أراد الله فى قرآنه، فالمصنف فى جرأة شديدة هو ومن ينقل عنهم يفعل هذا وينسب ذلك كذباً وزوراً الى الصادق والباقر وغيرهما من آل البيت رضوان الله عليهم وهم برآء من هذا الكذب، بل يكذب على الله ورسوله حين قال فى تحريفه وتخريفه فى آية سورة النحل ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لاَ تَتَّخِذُوا إِلـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ ﴾ يزعم أن المقصود منها لاتتخذوا امامين اثنين انما هو امام واحد انظر كيف استبدل كلمة الله فى تحريف عجيب بكلمة الامام وفى سورة الزمر ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ يزعم أن الله توعد نبيه ان أشرك أحداً غير علىّ فى الولاية باحباط عمله فياللعجب العجاب من هذا الكفر الواضح والتألى على الله والجرأة على رسول الله، سبحان الله هذا بهتان عظيم، وانظر كيف صرف كلمة الشرك الى الولاية وهذا من التلاعب الواضح المفضوح الذى لا يدخل الا على السذج والسفهاء، بل انه يصرف لفظ الجلالة الى الامام، فى تحريف المصنف عند تفسيره لقول الله عزوجل ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ قال بالحرف- تطمئن قلوبهم بذكر الامام- فاستبدل فى تخريفه وتحريفه بدل لفظ الجلاله الله لفظة الامام، أليس هذا أشد كفراً من أبى جهل وأمثاله وأليس هذا شركاً أكبر من شرك الأولين والهدف واضح جلى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ألا وهو التهوين والتقليل من شأن رب العالمين فى قلوب الشيعة وكذلك شأن رسوله الكريم، فى مقابل تعظيم وتأليه الأئمة وصرف أنواع العبادة اليهم، وهذا ليس بجديد على هؤلاءالموتورين الكذابين الذين رموا كتاب رب

العالمين ببدعة التحريف ما سبقهم اليها أحداً من العالمين، فبدلاً من أن يكون خادماً لكتاب رب العالمين اتخذ من هذا الكتاب وسيلة للقضاء على التوحيد وعلى القرآن فى عقول وقلوب الشيعة من خلال نشر هذه الخرافات والخزعبلات التى لا تنطلى الا على السذج والمجانين، حتى جعل الجنة لا يدخلها الا من عرفهم وعرفوه والنار لا يدخلها الا من أنكرهم وأنكروه، وجعلوا العبادة والطاعة لا تقبل الا بمعرفتهم ثم حرفوا معنى العبادة الى الولاية، أقول أين هؤلاء من قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ ولو أراد الله ذكر الولاية لذكرها دون أن يترك الناس من غير أن يذكر لهم جزاء أمر يترتب عليه جنة أو نار، ويتركهم يعادى بعضهم بعضاً إذ من المحال أن يذكر الله للناس حكم من اعتدى على طائر وهو محرم عند بيت الله ويبين لهم أمره وحكمه فيه، ثم لا يذكر لعلماء الشيعة الذين حصروا الدين كله فى على والأئمة دون أن يصرح ولو لمرة واحدة حكمه فى بيان هذا الأمر الذى عدوه أساس وأصل لدعوة جميع الأنبياء والمرسلين، واليك بعض خرافاتهم وخزعبلاتهم.

ما يلى نقلا من تفسير الصافى :

الأعراف وفي الكافي: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الآية نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه.

النحل والعياشي عن الباقر عليه السلام ما بعث الله نبيا قط إلا بولايتنا والبراءة من أعدائنا وذلك قوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت.

الشورى ولا تتفرقوا فيه وكونوا على جماعة كبر على المشركين من أشرك بولآية علي عليه السلام ما تدعوهم إليه من ولآية علي عليه السلام أن الله يهدي يا محمد يهدي إليه من ينيب من يجيبك إلى ولآية علي عليه السلام. وفي البصائر عنه عن السجاد عليهما السلام وفي الكافي عنه عليه السلام في قول الله عز وجل كبر على

المشركين بولآية علي عليه السلام ما تدعوهم إليه يا محمد من ولآية علي عليه السلام هكذا في الكتاب مخطوطة. وعن علي عليه السلام قال فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا إلا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية. وعن النبي صلى الله عليه وآله إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين عليهما السلام ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا أكبه الله على منخريه ثم تلا قل لا أسئلكم الآية. وفي الكافي عن الباقر عليه السلام إنه سئل عنها فقال هم الأئمة عليهم السلام. ما سبق نقلا من تفسير الصافي .

الردود: من كتاب أصول مذهب الشيعة.

الملاحظ مما سبق أن نصوص التوحيد جعلها في ولاية الأئمة.

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة علي والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة.

الدليل الأول:

أ- ففي قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر، آية: ٦٥] .

جاء في الكافي(١) تفسيرها بما يلي: "يعني إن أشركت في الولاية غيره" [هذا لفظ الكليني في الكافي] ، وفي لفظ آخر: "لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك" .

وقد جاء في سبب نزولها عندهم: "... إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه ﷺ أن يقيم عليًا للناس علمًا اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول

(١) أصول الكافي: ١/ ٤٢٧ رقم (٧٦) - [تفسير القمي: ٢/ ٢٥١] ، (تفسير الصافي): ٤/ ٣٢٨ .

والثاني (يعنون أبا بكر وعمر) حتى يسكن الناس إلى قولك ويصدقوك، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة، آية: ٦٧] شكا رسول الله ﷺ إلى جبرائيل فقال:

أن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾.

الرد من أقوال مفسرى القرآن (السنة) من تفسير ابن كثير:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ثم ذكر الدليل على تفرده بالإلهية [بتفرده] بخلق السموات والأرض وما فيهما، وما بين ذلك مما ذرأ وبرأ من المخلوقات الدالة على وحدانيته، فقال: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ يقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ تلك في [لطافتها] وارتفاعها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في [كثافتها] و انخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ﴿ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه، لا يتأخر عنه لحظة، كما قال تعالى: ﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس : ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان، كما قال تعالى: ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ [الحج : ٦١] أي: يزيد من هذا في هذا، ومن هذا في هذا ﴿ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾.

أي: في تسخير البحر لحمل السفن من جانب إلى جانب لمعاش الناس، والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم، ونقل هذا إلى هؤلاء وما عند أولئك إلى هؤلاء ﴿ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ

الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٦] ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ﴾ أي: على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦] ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ ﴾ أي: تارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب ، تارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب ، وتارة تسوقه ، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، [ثم تارة تأتي من الجنوب وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن وتارة صبا، وهي الشرقية التي تصدم وجه الكعبة، وتارة دبور وهي غربية تفد من ناحية دبر الكعبة والرياح تسمى كلها بحسب مرورها على الكعبة. وقد صنف الناس في الرياح والمطر والأنواء كتبا كثيرة فيما يتعلق بلغاتها وأحكامها، وبسط ذلك يطول هاهنا، والله أعلم]﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [أي: سائر بين السماء والأرض] يُسَخَّرُ إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن، كما يصرفه تعالى : ﴿ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أي : في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] .وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه: أخبرنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا أبو سعيد الدَّشْتكِيّ، حدثني أبي، عن أبيه، عن أشعث بن إسحاق، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتت قريش محمداً صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا محمد إنما نريد أن تدعو ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، فنشتري به الخيل والسلاح، فنؤمن بك ونقاتل معك. قال: "أوثقوا لي لئِنْ دعوتُ ربي فجعلَ لكم الصفا ذهبًا لتُؤْمِنُنّ بي" فأوثقوا له، فدعا ربه، فأتاه جبريل فقال: إن ربك قد أعطاهم الصفا ذهبًا على أنهم إن لم يؤمنوا بك عذبهم عذابًا لم يعذبه أحدًا من العالمين. قال محمد :

«ربّ لا بل دعني وقومي فلأدعهم يومًا بيوم». فأنزل الله هذه الآية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ الآية.

ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر، عن جعفر بن أبي المغيرة، به (١). وزاد في آخره: وكيف يسألونك عن الصفا وهم يرون من الآيات ما هو أعظم من الصفا.

وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا أبو حذيفة، حدثنا شبل، عن ابن أبي نَجيح، عن عطاء، قال: نزلت على النبي ﷺ بالمدينة: ﴿ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ فقال كفار قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ فبهذا يعلمون أنه إله واحد، وأنه إله كل شيء وخالق كل شيء.

وقال وكيع: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى قال: لما نزلت: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ إلى آخر الآية، قال المشركون: إن كان هكذا فليأتنا بآية. فأنزل الله عز وجل: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ إلى قوله: ﴿يَعْقِلُونَ﴾

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾.

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة، حيث جعلوا [له] أندادًا، أي: أمثالا ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له ولا ندّ له، ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو

(١) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ١٢) من طريق يحيى الحماني عن يعقوب القمي، عن جعفر بن أبي المغيرة به نحوه.

خلقك»(١).

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه. ثم توَعَّدَ تعالى المشركين به، الظالمين لأنفسهم بذلك فقال: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾. قال بعضهم: تقدير الكلام: لو عاينوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعًا، أي: إن الحكم له وحده لا شريك له، وأن جميع الأشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ كما قال: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦] يقول: لو علموا ما يعاينونه هنالك، وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال.

ثم أخبر عن كفرهم بأوثانهم وتبرؤ المتبوعين من التابعين، فقال: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في دار الدنيا، فتقول الملائكة: ﴿ تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص: ٦٣] ويقولون: ﴿ سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤١] والجن أيضًا تتبرأ منهم، ويتنصلون من عبادتهم لهم، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦] وقال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١، ٨٢] وقال الخليل لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣]

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٧٧) وصحيح مسلم برقم (٦٨).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] . وقوله: ﴿ وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ أي: عاينوا عذاب الله، وتقطَّعت بهم الحيَلُ وأسباب الخلاص ولم يجدوا عن النار معْدلا ولا مصْرفا.

قال عطاء عن ابن عباس: ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ ﴾ قال: المودة. وكذا قال مجاهد في رواية ابن أبي نجيح. وقوله: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ﴾ أي: لو أن لنا عوْدة إلى الدار الدنيا حتى نَتَبَرَّأ من هؤلاء ومن عبادتهم، فلا نلتفت إليهم، بل نوحد الله وحده بالعبادة. وهم كاذبون في هذا، بل لو رُدّوا لعادوا لما نهوا عنه. كما أخبر الله تعالى عنهم بذلك؛ ولهذا قال: ﴿ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ أي: تذهب وتضمحل كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣] .

وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ الآية [إبراهيم: ١٨] ، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ﴾ الآية [النور: ٣٩] ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ لما بين تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه المستقل بالخلق، شرع يبين أنه الرزاق لجميع خلقه، فذكر [ذلك] في مقام الامتنان أنه أباح لهم أن يأكلوا مما في الأرض في حال كونه حلالا من الله طيبًا، أي: مستطابًا في نفسه غير ضار للأبدان ولا للعقول، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان، وهي: طرائقه ومسالكه فيما أضل أتباعه فيه من تحريم البَحائر والسوائب والوصائل ونحوها مما زينه لهم في جاهليتهم، كما في حديث عياض بن حمار الذي في صحيح مسلم، عن رسول الله ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى: إن كل ما أمنحه عبادي فهو لهم حلال" وفيه: "وإني خلقت عبادي حُنَفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحَرَّمتْ عليهم ما أحللتُ لهم"(١).

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥).

وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن عيسى بن شيبة المصري، حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي، حدثنا أبو عبد الله الجوزجاني - رفيق إبراهيم بن أدهم - حدثنا ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس قال: تُليت هذه الآية عند النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالا طَيِّبًا ﴾ فقام سعد بن أبي وقاص، فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة، فقال. "يا سعد، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده، إن الرجل ليَقْذفُ اللقمة الحرام في جَوْفه ما يُتَقبَّل منه أربعين يومًا، وأيّما عبد نبت لحمه من السُّحْت والربا فالنار أولى به"(١).

وقوله: ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ تنفير عنه وتحذير منه، كما قال: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] وقال تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا ﴾ [الكهف : ٥٠].

وقال قتادة، والسدي في قوله: ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان.

وقال عكرمة: هي نزغات الشيطان، وقال مجاهد: خطاه، أو قال: خطاياه.

وقال أبو مِجلَز: هي النذور في المعاصي.

وقال الشعبي: نذر رجل أن ينحر ابنه فأفتاه مسروق بذبح كبش. وقال: هذا من خطوات الشيطان.

وقال أبو الضحى، عن مسروق: أتى عبد الله بن مسعود بضَرْع وملح، فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود: ناولوا صاحبكم. فقال: لا أريده. فقال: أصائم أنت ؟ قال: لا. قال : فما شأنك؟ قال: حرمت أن آكل ضَرْعًا أبدا. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطْعَمْ وكفِّر عن يمينك.

رواه ابن أبي حاتم، وقال أيضًا: حدثنا أبي، حدثنا حَسَّان بن عبد الله المصْري، عن سليمان التيمي، عن أبي رافع، قال: غضبت على امرأتي، فقالت: هي يومًا يهودية ويوما نصرانية، وكل مملوك لها حر، إن لم تطلق امرأتك. فأتيت عبد الله بن عمر فقال: إنما هذه من خطوات الشيطان. وكذلك قالت زينب بنت أم سلمة، وهي

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني برقم (٥٠٢٦) "مجمع البحرين".

يومئذ أفقه امرأة في المدينة. وأتيت عاصمًا وابن عمر فقالا مثل ذلك.

وقال عبد بن حميد: حدثنا أبو نعيم عن شريك، عن عبد الكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: ما كان من يمين أو نذر في غَضَب، فهو من خطوات الشيطان، وكفارته كفارة يمين.

[وقال سعيد بن داود في تفسيره: حدثنا عبادة بن عباد المهلبي عن عاصم الأحول، عن عكرمة في رجل قال لغلامه: إن لم أجلدك مائة سوط فامرأته طالق، قال: لا يجلد غلامه، ولا تطلق امرأته هذا من خطوات الشيطان].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: إنما يأمركم عدوكم الشيطان بالأفعال السيئة، وأغلظ منها الفاحشة كالزنا ونحوه، وأغلظ من ذلك وهو القول على الله بلا علم، فيدخل في هذا كل كافر وكل مبتدع أيضًا.

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ ﴾ لهؤلاء الكفرة من المشركين: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ على رسوله، واتركوا ما أنتم فيه من الضلال والجهل، قالوا في جواب ذلك: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا ﴾ أي: وجدنا ﴿ عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾ أي: من عبادة الأصنام والأنداد. قال الله تعالى منكرًا عليهم: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ ﴾ أي: الذين يقتدون بهم ويقتفون أثرهم ﴿ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ ﴾ أي: ليس لهم فهم ولا هداية!!.

وروى ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: أنها نزلت في طائفة من اليهود، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا. فأنزل الله هذه الآية.

ثم ضرب لهم تعالى مثلا كما قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ [النحل : ٦٠] فقال: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي: فيما هم فيه من الغي والضلال والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها، بل إذا نعق بها راعيها، أي: دعاها إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنما تسمع صوته فقط.

هكذا روي عن ابن عباس، وأبي العالية، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني والربيع بن أنس، نحو هذا.

وقيل: إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع ولا تبصر ولا

تعقل شيئًا، اختاره ابن جرير، والأول أولى؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئًا ولا تعقله ولا تبصره، ولا بطش لها ولا حياة فيها. وقوله: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ ﴾ أي: صُمٌّ عن سماع الحق، بُكْمٌ لا يتفوهون به، عُمْيٌ عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ أي: لا يعقلون شيئًا ولا يفهمونه، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

سورة الفرقان ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا * فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾.

يقول تعالى مخبراً عما يَقَع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم مَن عبدوا من دون الله، من الملائكة وغيرهم، فقال: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. قال مجاهد: عيسى، والعزَير، والملائكة. ﴿ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ أي: فيقول الرب تبارك وتعالى [للمعبودين] أأنتم دعوتم هؤلاء إلى عبادتكم من دوني، أم هم عبدوكم من تلقاء أنفسهم، من غير دعوة منكم لهم؟ كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. مَا قُلْتُ لَهُمْ ﴾ إلى آخر الآية؛ [المائدة: ١١٦ - ١١٧] ولهذا قال تعالى مخبراً عما يُجيب به المعبودون يوم القيامة: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ قرأ الأكثرون بفتح "النون" من قوله: ﴿نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: ليس للخلائق كلهم أن يعبدوا أحدا سواك، لا نحن ولا هم، فنحن ما دعوناهم إلى ذلك، بل هم قالوا ذلك من تلقاء أنفسهم من غير أمرنا ولا رضانا ونحن برآء منهم ومن عبادتهم، كما قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤١]. وقرأ آخرون: ﴿ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُتَّخَذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ أي: ما ينبغي لأحد أن يعبدنا، فإنا عبيد لك، فقراء إليك. وهي قريبة المعنى من الأولى. ﴿ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ ﴾ أي: طال عليهم العمر حتى نَسُوا الذكر، أي: نسوا ما أنزلته إليهم على ألسنة رسلك، من الدعوة إلى عبادتك وحدك لا شريك لك.

﴿ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴾ قال ابن عباس: أي هلكى. وقال الحسن البصري، ومالك عن الزهري: أي لا خير فيهم. وقال ابن الزبعرى حين أسلم: يا رَسُولَ المَليك إنّ لسَاني... رَاتقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ...

إذْ أجاري الشَّيطَانَ في سَنَن الغيْ... يِ، وَمَن مالَ مَيْلَه مَثْبُورُ...

قال الله تعالى: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ أي: فقد كذبكم الذين عَبَدْتُم فيما زعمتم أنهم لكم أولياء، وأنكم اتخذتموهم قربانا يقربونكم إليه زلفى، كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦] .

وقوله: ﴿ مَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلا نَصْرًا ﴾ أي: لا يقدرون على صرف العذاب عنهم ولا الانتصار لأنفسهم﴿وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أي: يشرك بالله، ﴿ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ انتهى.

وحتى يدرك القارئ مدى تحريفه لآيات الله، وتآمره لتغيير دين الإسلام بتغيير أصله العظيم وهو التوحيد، نسوق الآية وما قبلها وما بعدها، ونتبع ذلك ببيان معناها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾. فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي، مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا "العبادة" هي الولاية. والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة.

قال أهل العلم في تفسيرها:

إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا: هو دين آبائك [وقد نقل ابن كثير وغيره عن بعض السلف أن هذا هو سبب نزولها. (تفسير ابن كثير: ٤/ ٦٧، تفسري البغوي: ٤/ ٢٨٤] .والمعنى: قل يا محمد لمشركي قومك، أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله ولا تصلح العبادة لشيْ سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا من غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال: ﴿ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾. ثم بين سبحانه

أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من قبله: لئن أشركت بالله ليبطلن عملك. وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يباشره فكيف بمن عداه؟

ثم قال سبحانه: ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ ﴾ لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان (١).

فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق...، فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة، فكانت تخبط في هذا الأمر خبط عشواء، لا تستند في الاستدلال إلى أصل من لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين.

وفي ظني أنه لا يبعد أن يكون من بينها من يتعمد سلوك هذه المسالك.. حتى يبعد ناشئة الشيعة، وعقلاءها عن دين الإسلام، لأنهم إذا رأوا أن هذه الأدلة، والمسائل وأمثالها فاسدة في العقل، وظنوا أن هذا هو الإسلام شكوا في الإسلام نفسه، وهذه إحدى الأهداف البعيدة لتلك الزمرة الحاقدة التي رامت الكيد للأمة ودينها، وإبعاد الشيعة عن دين الإسلام، ولا سيما أنك تجد في النص الشيعي السالف الذكر النيل من رسول الله ﷺ، حيث نسبوا إليه عليه الصلاة والسلام المخالفة بعدم امتثال أمر ربه ابتداء، وهو تنقص لمقام المعصوم ﷺ من قوم بالغوا في دعوى عصمة من دون النبي وهم الأئمة) وتنقص الأنبياء كفر(٢).

كذلك يظهر في النص الإساءة للمعصوم عليه الصلاة والسلام بتصويره في موقف الخائف الوجل من قومه، المتردد في تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله.

الدليل الثاني:

أ- قوله عز وجل: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾

---

(١) تفسير الطبري: ٢٤/ ٢٤، تفسير القرطبي: ١٥/ ٢٧٦-٢٧٧، البحر المحيط لأبي حيان: ٧/ ٤٣٨، فتح القدير للشوكاني: ٤/ ٤٧٤، روح المعاني للألوسي: ٢٤/ ٢٣-٢٤.

(٢) محمد بن عبد الوهاب/ رسالة في الرد على الرافضة: ص٦.

المصنف ينقل عن ائمة الشيعة التى تروي عن أئمتها في تأويل الآية غير ما فهمه المسلمون منها. تقول: "عن أبي جعفر في قوله عز وجل: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ بأن لعلي ولاية ﴿ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ ﴾ من ليست له ولاية ﴿ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (١).

ومعلوم أن هذا التأويل من جنس تأويلات الباطنية، إذ لا دلالة عليه من لفظ الآية ولا سياقها مطلقًا

الرد من أقوال مفسرى القرآن (السنة)

ب ـ وفي قوله سبحانه: ﴿ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر، آية: ١٢] فكان جوابهم ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ أي ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده ﴿ إِن يُشْرَكْ بِهِ ﴾ غيره من الأصنام أو غيرها ﴿ تُؤْمِنُوا ﴾ بالإشراك به وتجيبوا الداعي إليه، فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله وإشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدعاء، فهي مع ما قبله خبر عن جزاء المشركين في الآخرة، وأن مصيرهم إلى النار لا يخرجون منها، وأنهم يطلبون الرجعة إلى الدنيا ولا يجابون بسبب إشراكهم بالله في عبادته(٢).

الدليل الثالث:

ج- وإذا كان الله جل شأنه يقول: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء، آية: ٢٥] ، فإن تلك الزمرة التي وضعت روايات الشيعة قالت وكأنها تضاهي معنى هذه الآية أو تعارضه، قالت: "ما بعث الله نبيًا قط إلا بولايتنا والبراء من أعدائنا" .

وفي رواية أخرى: "ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبيًا قط إلا بها" ، فجعلوا أمر إمامة أئمة لم يخلقوا هو أصل دعوة الأنبياء [ونسبوا هذه الروايات وأمثالها لجعفر الصادق وأبيه - برأهما الله مما يفترون -، وذلك إمعانًا في التغرير بأولئك الأتباع

---

(١) وانظر: تفسير القمي: ٢/ ٢٥٦، أصول الكافي: ١/ ٤٢١، تفسير الصافي: ٤/ ٣٣٧ .

(٢) تفسير الطبري: ٢٤/ ٤٨، تفسير البغوي: ٤/ ٩٣-٩٤، تفسير ابن كثير: ٤/ ٧٩-٨٠، فتح القدير: ٤/ ٤٨٤، تفسير القاسمي: ١٤/ ٢٢٧، ابن سعدي/ تيسير الكريم الرحمن ٦/ ٥١٢ وغيرها.

الأغرار ممن حجبوا عقـولهم عن رؤية الحق، وعطلوا ملكة التفكير عندهم، بإيحاءات متنوعـة عبر مـراحل العمر الممـتدة في موضـوع محن آل البـيت، وحب آل البيت، والصراع بين الآل والأصحاب، ليخرج من ذلك الناشئ وقد شـحنت عاطفته ونفسيته بالحقد والكراهية للصحابة، ولكل مسلم من غـير طائفته.. وإن دراسة الآثار النفسية والتربوية لهذه الروايات على أولئك الأتباع ومقارنة ذلك بالحـركات التاريخية لهم لهو موضوع حقيق بالدراسة ليتبين ضخامة الخطر لهذه الأساطير.. ورصد مكامن الضرر، التعرف على توجهات أولئك الباطنيين ضد الأمة ودينه.

هذا ورواياتهم في تأويل نصـوص التـوحيـد والنهي عن الشـرك بالمعنى المبتـدع عندهم لا تكاد تخلو منها آية من آيات القـرآن المتعلقة بالتوحـيد، والنهي عن الشرك [ومن أمثلة هذه التأويلات: تحريفه لمعنى قوله سبحانه: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة، آية: ١٦٥] بقولـهم: "هم أولياء فلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمـام الذي جعله الله للناس إمامًا"، وقوله سـبحانه: ﴿ فَـأَقِمْ وَجْـهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًـا ﴾ [الروم، آية: ٣٠] بقولهم: "هي الولاية ، وقوله سـبحانه: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَـاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ [فـصلت، آية: ٦، ٧] قـالوا: "وويل للمـشـركين الذين أشـركـوا بالإمـام الأول، وهم بالأئمـة الآخـرين كافرون..." (١). وأمثال ذلك من التأويلات الخطرة لأعظم ركن من أكان الدين]، ولهذا جعل أحـد شيوخهم هذا التـأويل قاعدة مطردة في القرآن فـقال: "كل ما ورد ظاهره في الذين أشركوا مـع الله سبحانه ربًا غيـره من الأصنام التي صنعوها بأيديهم ثم عظموها وأحبوها والتزموا عبادتها وجعلوهم شركاء ربهم، وقالوا: هؤلاء شفعاؤنا عند الله بغـير أمـر من الله بل بآرائهم وأهوائهم، فبطنه وارد فـي الذين نصبـوا أئمة بأيديهم وعظموهم وأحبوهم والتزموا طاعتهم وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عينه الله لهم.."

ووضعـهم هذا قاعدة يعني أن أخـبارهم تواطأت وتضافـرت لإثبات هذا المنكر، وهذا ما صرحوا به فقالوا: "إن الأخبار متضافرة إنّ الأخبار متضافرة في تأويل الشّرك بالله والشّرك بعـبادته بالشّرك في الولاية والإمامة؛ أي يشـرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتّـخذ مع ولاية آل محمد رضي الله عنهم (أي الأئمّـة الاثنا عشر)

---

(١) تفسير القمي: ٢/ ٢٦٢، تفسير الصافي: ٤/ ٣٥٣.

ولاية غيرهم"

وهكذا لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن من موضوع التوحيد والنهي عن الشرك إلا وراموا تحريفها وتعطيل معناها وتحويلها إلى ولاية علي والأئمة ولو كانت صريحة واضحة بينة.

تحذير العلامة ابن القيم

وهذه التأويلات هي مفتاح كل شر، وباب كل فتنة [للعلامة ابن القيم حديث قيم عن فساد التأويل، وما جره على الأمة من المصائب "وإن أصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل على أنه مراده".[(١)]]، كيف وهي تتعلق بأصل الدين، وما اتفقت عليه دعوة المرسلين، وبه نزلت الكتب، ومن أجله أرسلت الرسل، وبه انقسم الناس إلى فريقين: فريق في الجنة، وفريق في الجحيم.

النقد الداخلي في تفسيرهم "البرهان" [(٢)]:

وقبل أن نرفع القلم في هذه المسألة أشير إلى رواية من كتبهم تنقض تأويلاتهم، وتبين أصلها ومنبتها، فقد جاء في تفسيرهم "البرهان": عن حبيب بن معلى الخثعمي قال: ذكرت لأبي عبد الله رضي لله عنه ما يقول أبو الخطاب، فقال: أجل إليّ ما يقل. قال: في قوله عز وجل: ﴿ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ﴾ أنه أمير المؤمنين ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ فلان وفلان [يعني بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما]، قال أبو عبد الله: من قال هذا فهو مشرك بالله عز وجل ثلاثًا أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عني الله بذلك نفسه، قال: فالآية الأخرى التي في حم قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ ثم قلت: زعم أنه يعني بذلك أمير المؤمنين ﷺ قال أبو عبد الله: من قال هذا فهو مشرك بالله عز وجل ثلاثًا أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عني الله بذلك نفسه، قال: فالآية الأخرى التي في حم قول الله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ ثم قلت: زعم أنه يعني بذلك أمير المؤمنين ﷺ قال أبو عبد الله: من قال هذا فهو مشرك بالله ثلاثًا أنا إلى الله منهم بريء ثلاثًا، بل عني الله بذلك نفسه"[(٣)].

---

(١) أعلام الموقعين: ٤/ ٢٥٠-٢٥٤.
(٢) من كتاب أصول مذهب الشيعة.
(٣) البرهان: ٤/٧٨.

وقد مرّ أن الآيـة الأخيرة التي أشارت إليـها الرواية جاء تأويلها بمثل مـا قال أبو الخطاب في عدد من مصادرهم المعتمدة كالكافي، والبرهان، والبحار، وتفسير الصافي وغيرها كمـا سلف فأبو عبد الله يحكم على شيوخ الشيـعة الذين ارتضوا هذا التأويل بالشرك.

وقـد جاءت عندهم روايات كـثيرة ليست من قبـيل التـأويل للآيات، بل هي أحاديث مستقلة عن أئمتهم تؤصل هذا المـنكر، وتثبت قاعدته، كقولهم: "من أشرك مع إمام إمامتـه من عند الله من ليست إمامته من الله كان مـشركًا" وفي هذا المعنى عدة روايات وأكد ذلك شيوخهم، قال صدوقهم ابن بابويه: ".. إن الله هو الذي لا يخليهم في كل زمـان من إمام معصوم، فمـن عبد ربًا لم يقم لهم الحجة، فـإنما عبد غير الله عز وجل"

وهو يعني أن من آمن بالله سبحانه ربًا، وأخلص له العـبادة، ولكن اعتقد أنه لم يول عليًا، ولم ينص عـلى إمامته، فـقد عبـد غير الله!! وأخـذوا من هذه النصوص وغيرها الحكم بتكفير من عداهم من المسلمين.

وكل ذلك دعاوى لا سند لها من كتاب الله سبـحانه وهي غير دين الإسلام تمامًا ولو كان شيء مما يقولون حقًا لكان له ذكر في كتاب الله في آيات كثيرة صريحة مبينة لا لبس فيـها ولا غموض تبين للأمـة هذا الأمر، ولو كان شيء من ذلك واقعًـا لبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بيـانًا واضحًا وشافيًا كـافيًا، ولنقلته الأمة بأجـمعها.. وأصبح من الأمور المشهورة المعروفة.. ولم يستقل بنقله حثالة من الكذابين.

ولو كان شيء من ذلك حقًا لما أعرض عنه صـحابة رسول الله، ولما تخلفوا عن القـيـام به، وهم الذين بذلوا المال والنفس وهجـروا الأهل والولد وفـارقـوا الأوطان واعتزلوا القرابة والعشيرة، وبذلوا حياتهم لهذا الدين.

وآيات القرآن صـريحة واضحـة في أن أصل هذا الدين وأساسه هو توحـيد الله سبحانه وإفراده جل شأنه بالعبـودية، وشواهد هذا في القرآن كثير ﴿ وَقَـضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُـدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء، آية: ٢٣] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ [البقرة، آية: ٨٣] ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ ﴾ [الرعد، آية: ٣٦] وغير ذلك كثير.

أما ولاية الاثنـي عشر فليس لهـا ذكر على وجـه الإطلاق في كتـاب الله. وقد

اعترفت بذلك نصوصهم - كما سلف-. فهذه التحريفات والتأويلات الخطيرة ابتداع في الدين كبير، وإغفال لأصل الدين العظيم.. وفتح لأبواب الشرك، وتيسير لأسبابه.

ختام المبحث

أقول أنا الباحث أن الله سبحانه وتعالى بين لنا فى كتابه العزيز أنه يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه كما فى سورة البقرة ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾، وجعل لذلك أسباباً وأول هذه الأسباب هو توحيد الله سبحانه وتعالى ومتابعة نبيه ﷺ، والله سبحانه وتعالى حكم على أهل الكفر والشرك بالموت رغم أنهم يتحركون بين الناس لأنهم لم يحققوا التوحيد مصداقاً لقوله سبحانه ﴿ أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام(١٢٢)، وقول النبى ﷺ من قال لا اله الا الله مخلصاً من قلبه دخل الجنة) بل جاءت روايات تصل الى سبع روايات ختمت بالوعد بدخول الجنة عدّها العلماء من شروط قبول كلمة التوحيد، ومنها الاخلاص الذى ينافى الرياء والصدق الذى ينافى الكذب والانقياد الذى ينافى الترك واليقين الذى ينافى الشك والعلم الذى ينافى الجهل مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ سورة محمد- الى غيرذلك من الشروط التى استنبطها العلماء من أحاديث النبى ﷺ، لأنها أفضل الكلمات كما قال ﷺ (أفضل ما قلت أنا والنبيّون من قبلى لااله الا الله) ، وحذر النبى ﷺ من الشرك ففى الحديث القدسى (قال الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى تركته وشركه وأنا منه برىء) وفى دعائه ﷺ (اللهم انى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم)، وبين لنا كل طريق يوصل الى الشرك لنحذره فنهى ﷺ عن الغلو والاطراء فقال ﷺ(لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فانما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله)، وحذر ﷺمن الغلوفى الصالحين فقال (اياكم والغلو فى الصالحين فانما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الصالحين)، كل هذا لحماية جناب التوحيد وصيانة للمعتقد من الخطأ والبدع والآيات والأحاديث فى هذا أكثر من أن تعد أو تحصى، والله أسأل أن يدخلنا برحمته فى عباده الصالحين.

المبحث الثاني
الولاية أصل قبول الأعمال عنده

أقول أنا الباحث أن المتأمل فى تفسير المصنف يجد أنه يركز على قلب الحقائق وقلب موازين الحق من التوحيد الى الشرك حتى صار داعياً الى الباطل بكل ما أوتى من قوة ليحيط الشيعة من كل اتجاه حتى يوقعهم فى حبائل الشرك والضلال والغلو فى الأئمة، وراح من أجل هذا الهدف يزعم بروايات مخترعة مكذوبة أن قبول الأعمال لا يتم الا بالولاية، وهذا من أبين الكذب اذ لم يرد أى نص صريح صحيح يدعم هذا الكذب المبين الذى أتى به المصنف ومن ينقل عنهم ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن قبول العمل

مرتبط بالتوحيد وأن التوحيد هو أصل قبول الأعمال، والشرك بالله سبحانه هو سبب بطلانها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء، آية: ٤٨، ١١٦] ، ولكن المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة جعلوا ذلك كله لولاية الاثني عشر، وجاءت رواياتهم لتجعل المغفرة والرضوان والجنات لمن اعتقد الإمامة وإن جاء بقراب الأرض خطايا، والطرد والإبعاد والنار لمن لقي الله لا يدين بإمامة الاثني عشر، واليك أيها القارىء أقوال المصنف وبعدها الردود والنقد:

الكهف والعياشي عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية فقال العمل الصالح المعرفة بالأئمة ولا يشرك بعبادة ربه أحدا التسليم لعلي عليه السلام لا يشرك معه في الخلافة من ليس ذلك له ولا هو من أهله. والقمي عنه عليه السلام ولا يشرك بعبادة ربه أحدا قال لا يتخذ مع ولاية آل محمد صلوات الله عليهم غيرهم وولايتهم العمل الصالح من أشرك بعبادة ربه فقد أشرك بولايتنا وكفر بها وجحد أمير المؤمنين عليه السلام حقه وولايته.

سورة الشورى وعن النبي صلى الله عليه وآله إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين عليهما السلام ثمارها وأشياعنا أوراقها فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ هوى ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثم ألف عام ثم

ألف عام حتى يصيـر كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا أكـبه الله على منخريه ثم تلا قل لا أسئلكم الآية.

الغاشية وفي الكافي عن الصادق عليـه السلام قال لا يبالي الناصب صلى ام زنى وهذه الاية نزلت فيـهم عاملة ناصبة تـصلى نارا حامية . وفي المجـالس والمجمع عنه عليه السلام مثله وفي رواية القمي كل من خالفكم وإن تعـبد واجتهد (ولله الأسماء الحسنى فـادعوه بها). قال: قـال أبو عبد الله : نحن والله الأسمـاء الحسنى الذي لا يقبل من أحد طاعة إلا بمعرفتنا ما سبق نقلا من تفسير الصافي

الردود والنقد (١) .

فقالوا: "إنّ الله عزّ وجلّ نصب عليًا علمًا بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئًا كان مشركًا، ومن جاء بولايته دخل الجنّة" [أصول الكافي: ١/ ٤٣٧] .

وقالوا في رواياتهم: "... فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجـه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئًا من أعماله" [أمالي الصدوق: ص١٥٤، ١٥٥] .

وقال أبو عبـد الله - كما يزعمون -: "من خالفكم وإن تعـبد منسوب إلى هذه الآيـة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَـامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً ﴾" [الآيات من سـورة الغاشية (٢-٤)، والنَص في تفسير القمي: ٢/ ٤١٩] .

وزعموا أن جبرائيل نزل على النبي ﷺ فقـال: يا محمد، السلام يقرئك السلام ويقول: "خلـقت السماوات السبع وما فـيهن، والأرضين السـبع وما عليـهن، وما خلقت مـوضـعًـا أعظم من الركن والمقـام، ولو أن عـبـدًا دعاني هـناك منذ خلقت السّماوات والأرضين ثم لقيني جاحدًا لولاية علي لأكببته في سقر" [أمالي الصّدوق: ص ٢٩٠، بحار الأنوار: ٢٧/ ١٦٧] .

ولا تترك رواياتهم وجهًا من أوجه المبالغة في عبادة جاحد الولاية وعدم نفعها له إلا وتذكره حتى قالت:

"... لو سـجد حـتى ينقطع عنـقه مـا قـبل الله منه إلا بولايتنا أهل البـيت"

---

(١) نقلا من كتاب اصول مذهب الشيعة.

وزعمت أن الله قال - كما يفترون -: "يا محمد، لو أنّ عبدًا يعبدني حتى ينقطع ويصير كالشّنّ ثم أتاني جاحدًا لولايتهم ما أسكنته جنّتي ولا أظللته تحت عرشي" وادعت أن رسول الله ﷺ قال: "لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجئ بولاية علي بن أبي طالب لأكبّه الله عزّ وجلّ بالنّار" (١) .

بل إنهم جعلوا التوحيد لا يقبل إلا بالولاية، ففي أخبارهم "قال رسول الله ﷺ من قال: لا إله إلا الله دخل الجنّة، فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ إنّما تقبل شهادة أن لا إله إلا الله من هذا وشيعته، ووضع رسول الله ﷺ يده على رأس عليّ وقال لهما: من علامة ذلك ألا تجلسا مجلسه ولا تكذبا قوله . . . " . فهذا يقتضي عندهم أن الولاية مقدمة على الشهادة وهي أساس قبولهم. . ولا تقبل الشهادة إلا من شيعة علي. واعتقاد الإمامة هو مناط عفو الله ومغفرته، وإنكارها هو سبب سخط الله وعقابه، وجاءت عندهم بهذا المعنى روايات كثيرة؛ فقد رووا "عن علي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عز وجل، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة"

ورواياتهم في هذه المسألة كثيرة جاء أنهم عليهم السلام أهل الأعراف. . لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه" وأنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية" .

الردود والنقد:

وكل هذه الروايات ليست من الإسلام في شيء، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيء، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف.

أولا : من القرآن العظيم :

القرآن العظيم ذكر أن اصل قبول الأعمال هو التوحيد وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [المائدة، آية: ٧٢] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء، آية: ٤٨، ١١٦] .

---

(١) آمالي الشيخ الطوسي : ١/ ٣١٤ .

وكل ما ذكر من مبالغات المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة تكذبها آيات القرآن؛ فالله سبحانه يقول: ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة، آية: ٦٢] .ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة، آية: ٦٩] .

وهم يزعمون أن ولاية الاثني عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام، والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعًا، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة. . فهل أراد جل شأنه ضلال عبادة، أو لم يبين لهم طريق الوصول إليه!! سبحانه هذا بهتان عظيم: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ [التوبة، آية: ١١٥] .

النقد الداخلى (١)

وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن أذكر ذلك لإقامة الحجة عليهم من كتبهم، ولبيان ما عليه نصوصهم من تناقض. . جاء في تفسير فرات: "قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لما نزلت: ﴿ قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى، آية: ٢٣] قال جبرائيل: يا محمد، إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعًا وبنيانًا، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه" فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه.

ختام المبحث

أقول أنا الباحث فى نهاية هذا المبحث أن قبول الأعمال لايكون الا من خلال التوحيد الذى هو كلمة التقوى وأساس التقوى والله يتقبل من المتقين مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ وحين أثنى سبحانه وتعالى على أئمة التقوى فى خير جيل عرفته البشرية قال﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أعنى أن من نزلت فيهم هذه الآية هم أصحاب النبى ﷺ ، ومما هو معلوم عند أهل

(١) نقلا من كتاب اصول مذهب الشيعة.

العلم فى كل زمان ومكان من لدن زمن النبى ﷺ، أن قبول العمل لا يتم الا بشرطين هما الاخلاص والصحة أى (متابعة النبى ﷺ) مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ كما قال الفضيل أصوبه وأخلصه والصواب أى على السنة والاخلاص أى لا شرك فيه

المبحث الثالث

اعتقاده أن الأئمة هم الواسطة بين الله والخلق

أقول أنا الباحث أنه وكما هو معلوم أن المصنف يطوع الآيات لما يعتقد فى الاثنى عشرية ويغلو غلواً شديداً فيهم فينقل كل ما يوافق هواه بلا تحقيق ولاتدقيق فنراه يسقط فى مستنقع الشرك ويدعو اليه، والله سبحانه وتعالى يقول فى (سورة الزمرآية: ٣) ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾، فالمشركين الأوائل كانوا يؤمنون بالله ويزعمون أنهم يتخذون آلهتهم المزعومة واسطة بينهم وبين الله تماماً كما يفعل أهل الشرك فى كل زمان ومكان، والله ما أرسل الرسل الا ليدلوا الناس عليه وليحققوا التوحيد كما أراد الله، من أجل هذا قص الله علينا قصص الأنبياء والمرسلين وكيف أن دعوتهم واحدة ألا وهى تحقيق التوحيد، وكيف كان رد قومهم عليهم، واذا قرأت القرآن تجده يرد على كل شبهة تدور فى رأسك من لدن نوح حتى خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، لكن المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة يعود بالجاهلية الأولى مرة أخرى ليكرر نفس العقائد الباطلة التى جاء الاسلام ليقضى عليها ولكن بمكر واضح أراد أن يلبس عليها ثوب الاسلام والاسلام منها برىء بل وصل به الشرك والكفر مبلغه حين كذب على الله سبحانه وزعم أن الله أمر آدم أن يتخذ من على وفاطمة والحسن والحسين واسطة حتى يتوب عليه ، فهل هذا من أهل الاسلام ان المصنف بهذا أثبت لنا أنه عدو للاسلام كل هدفه نشر الكفر والشرك ليصد الناس عن التوحيد وعن الاسلام عن طريق تغيير عقائدهم باسم علماء الشيعة، وهذا أعظم الظلم كما بين سبحانه وتعالى فى سورة الانعام آيات رقم ٢١ حتى ٢٤ منها قوله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ وسيلاحظ القارىء ذلك في الأسطر القادمة بل أجده جريئا مفتريا حين يدعى زوراً وبهتاناً على امير المؤمنين كل هذه المفتريات حتى يرفعه فوق مقام الألوهية

حين يقول عنه زوراً.

واليك الأدلة من مصنفه وبعدها ادلة اخري توضح فساد ماعليه هو وشيعته من كتبهم، والردود:

القمي المخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى للناس وهو قول الصادق عليه السلام ان الله بعث نبيه باياك اعني واسمعي يا جارة لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه وفي التوحيد عنه عليه السلام نحن وجه الله الذي لا يهلك. وعنه عليه السلام الا وجهه قال دينه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعينه في عباده ولسانه الذي ينطق به ويده على خلقه ونحن وجه الله الذي يؤتى منه لن نزال في عباده ما دامت لله فيهم رؤية قيل وما الرؤية قال الحاجة فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه وصنع بنا ما احب. والقمي عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال فيفنى كل شيء ويبقى وجه الله اعظم من ان يوصف ولكن معناه كل شيء هالك الا دينه ونحن الوجه الذي يؤتى منه لن نزال في عباده.

في الاحتجاج عن السجاد عليه السلام قال أنا ابن من علا فاستعلا فجاز في الكافي عن أمير المؤمنين عليه السلام مالله عز وجل آية هي أكبر مني.

والقمي عن الرضا عليه السلام إنه سئل عنه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام ما لله نبأ أعظم مني وما لله آية أكبر مني ولقد عرض فضلي على الامم الماضية على اختلاف ألسنتها فلم تقر لفضلي.

وفي العيون عنه عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الاعلى الحديث.

وفي العلل عن ابن عباس إنه سئل لم كنى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا أبا تراب قال لانه صاحب الارض وحجة الله على أهلها بعده وبه بقاؤها وإليه سكونها قال ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال يا ليتني كنت تربا أي من شيعة علي عليه السلام وذلك قول الله عز وجل ويقول الكافر يا ليتنى كنت تربا والقمي ما يقرب من معناه.

والعياشي: عنه (عليه السلام) قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله وهو قول الله ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾.

هود وفي الاحتجاج عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن نوحا لما ركب السفينة وخاف الغرق قال اللهم إني أسألك بمحمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله عز وجل (نقلا من تفسير الصافي)

الرد والنقد:

أقول أنا الباحث أن هذا الذى جاء به المصنف لهو عين الجاهلية الأولى حين كانوا يدعون آلهة مزعومة يتقربون اليها. ومع هذا اذاسئلوا من خلق السماوات والأرض ليقولون الله واذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين وحين يسألوا عما يفعلونه مع آلهتهم المزعومة ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ وحين نتأمل فى أقوال المصنف وعلماء الشيعة نجد أن شركهم بالأئمة زاد على شرك الجاهلية الأولى فالجاهلية الأولى كانوا يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة، والشيعة يشركون فى الشدة والرخاء هم ومن على شاكلتهم واليك البيان من تفسير ابن كثير:

﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ * لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (الزمر).

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب - وهو القرآن العظيم - من عنده ، تبارك وتعالى ، فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

وقال: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢، ٤١] وقال هاهنا: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ ﴾ أي: المنيع الجناب، ﴿ الْحَكِيمِ ﴾ أي: في أقواله وأفعاله، وشرعه، وقدره. ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: فاعبد الله وحده لا شريك له، وادع الخلق إلى ذلك، وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له [وحده] ، وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد؛ ولهذا قال: ﴿ أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ أي: لا يقبل من العمل

إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له. وقال قتادة في قوله: ﴿أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ شهادة أن لا إله إلا الله.

ثم أخبر تعالى عن عبَّاد الأصنام من المشركين أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله فينصرهم ورزقهم، وما ينوبهم من أمر الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به.

قال قتادة، والسدي، ومالك عن زيد بن أسلم، وابن زيد: ﴿إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ أي: ليشفعوا لنا، ويقربونا عنده منزلة. ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك".
وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه، وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، بردها والنهي عنها، والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له، وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم، لم يأذن الله فيه ولا رضي به، بل أبغضه ونهى عنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم، كلهم عبيد خاضعون لله، لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى، وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم، يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه، ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، تعالى الله عن ذلك.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: سيفصل بين الخلائق يوم معادهم، ويجزي كل عامل بعمله، ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله، وقلبه كفار يجحد بآياته [وحججه] وبراهينه.

ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين في الملائكة، والمعاندون

من اليهود والنصارى في العزير، وعيسى فقال: ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ أي: لكان الأمر على خلاف ما يزعمون. وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه، بل هو محال، وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه، كما قال: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٧] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١]، كل هذا من باب الشرط، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لقصد المتكلم.

وقوله: ﴿ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ أي: تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد، فإنه الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي كل شيء عبد لديه، فقير إليه، وهو الغني عما سواه الذي قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت.

رد ونقد من كتاب أصول مذهب الشيعة:

يقول الاثنا عشرية: إن الأئمة الاثني عشر هم الواسطة بين الله وخلقه. قال المجلسي عن أئمته: "فإنهم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق" أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله، وأنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم" وجاء في أخبارهم أن أبا عبد الله قال: "نحن السّبب بينكم وبين الله عزّ وجلّ وجاء في كتاب "عقائد الإمامية" أن الأئمة الاثني عشر هم: "أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإذا كان المسلمون يعتقدون أن الرسل هم الواسطة بين الله والناس في تبليغ أمر الله وشرعه، فإن المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الاثني عشرية تعتقد أن هذا المعنى موجود في الأئمة، لأنهم يتلقون من الله - كما مر - وتزيد على ذلك فتجعل لهم من خصائص الألوهية ما يخرج بمن يؤمن به من دين التوحيد إلى دين المشركين حين تجعل هداية الخلق إليهم، وأن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم، وأنه يستغاث بهم عد الشدائد والملمات، ويحج إلى مشاهدهم، والحج إليهم أفضل من الحج إلى بيت الله، وكربلاء أفضل من الكعبة، ولزيارة أضرحة الأئمة مناسك وآداب سموها "مناسك المشاهد" وجعلوها تحج كما يحج بيت الله الذي جعله الله قيامًا للناس، ويطاف بها كما يطاف بالبيت، وتتخذ قبلة كبيت الله الحرام.

وسأعرض - إن شاء الله - لهذه المسائل من خلال النقل الأمين - بحول الله - من كتب الشيعة المعتمدة عندها.

وقبل أن أعرض لهذه المسائل أبين أن دعوى الواسطة؛ للأئمة غريبة على نصوص الإسلام، بل هي منكرة، لأنها عين دين المشركين، وقد بعث الرسل لتخليص البشرية من هذا الشرك.

أولا : من القرآن العظيم

وليس بين المسلم في عبادته لربه ودعائه له، حجب تمنعه، ولا واسطة تحجبه. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة، آية: ١٨٦] .وقال تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر، آية: ٦٠] .

وقال أهل العلم: "إن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كَفَرَ إجماعًا؛ لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر، آية:٣] .

رد شيخ الإسلام ابن تيمية وحينما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن قال: لابد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإننا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك. أجاب - رحمه الله - بقوله: إن أراد أنه لابد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به وينهى عنه إلا بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه، قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾، ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل.

وإن أرادوا بالواسطة: أنه لابد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألون ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفَّر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، فمن جعل الأنبياء أو الملائكة أو الأئمة والأولياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب وتفريج الكربات، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذي بين الملك

ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده وينصرهم ويرزقهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألوهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، والناس يسألونهم أدبًا منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائل أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل (ابن تيمية/ الواسطة بين الخلق والحق)(١).

وأعود - الآن - لعرض المسائل التي أشرت إليها آنفًا من خلال كتب الشيعة نفسها لتتضح حقيقة الشرك والدعوة إليه الكامنة في المذهب الإمامي الاثني عشري.

المسألة الأولى: قولهم: لا هداية للناس إلا بالأئمة:

والمصنف (الكاشانى) يشير الى ذلك. قال أبو عبد الله: "بلية الناس عظيمة؛ إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا" [أمالي الصدوق: ص٣٦٣، بحار الأنوار: ٢٣/ ٩٩] .

فهذا النص يقرر أن هداية الناس لا تتحقق إلا بالأئمة، وأن الناس في بلاء وضلال دائم لأنهم يرفضون إجابة دعوة الأئمة.

وكلا الحكمين (حصر الهداية بالأئمة، والحكم بالضلال على الناس) باطل من القول وزور لمخالفته للنقل والعقل والواقع.

ومرة أخرى تقول أخبارهم: "قال أبو جعفر: بِنَا عُبِدَ الله، وبِنَا عُرِفَ الله، وبِنَا وُحِّدَ الله".

فهي لا تنفي الهداية عن الأمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة.

الـــــردود:

والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار، والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء: كن فيكون. . المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة في إطلاقها هذه

(١) ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١/ ١٢١ وما بعدها، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم) وانظر: أبا بطين/ الانتصار لحزب الله الموحدين ص٣٠-٣١ .

العبارات بلا أي قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله جل شأنه في هذه الهداية، وهو شرك أكبر؛ فالله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف، آية:١٧] ويقول لنبيه - عليه السلام -: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص، آية: ٥٦] .

أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثني عشر. ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف، آية:١٠٨] . وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلاّ بالأئمة جرأة على الله سبحانه.

المسألة الثانية: قولهم: لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:

وفي العلل عن ابن عباس إنه سئل لم كنى رسول الله صلى الله عليه وآله عليا أبا تراب قال لانه صاحب الارض وحجة الله على أهلها بعده وبه بقاؤها وإليه سكونها قال ولقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعد الله تبارك وتعالى لشيعة علي من الثواب والزلفى والكرامة قال يا ليتني كنت تربا أي من شيعة علي عليه السلام وذلك قول الله عز وجل ويقول الكافر يا ليتنى كنت تربا والقمي ما يقرب من معناه والعياشي: عنه (عليه السلام) قال: إذا نزلت بكم شدة فاستعينوا بنا على الله وهو قول.

(٢٥٥) الله (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها). قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): نحن والله الأسماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد طاعة إلا بمعرفتنا، قال: (فادعوه بها). (٣٤) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله فكان السجود لهم تعظيما وإكراما ولله سبحانه عبودية ولآدم (عليه السلام) طاعة.

قال علي بن الحسين حدثني أبي عن أبيه (عليهم السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يا عباد الله إن آدم (عليه السلام) لما رأى النور ساطعا من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبين الأشباح فقال: يا رب ما هذه الأنوار فقال عز وجل: (أنوار وأشباح نقلتهم من أشرف

بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح فقال آدم يا رب لو بينتها لي فقال الله عز وجل: انظر يا آدم إلى ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا التي في ظهره كما ينطبع وجه الانسان في المرآة الصافية فرأى أشباحنا فقال ما هذه الأشباح يا رب فقال الله: يا آدم هذه أشباح أفضل خلائقي وبرياتي هذا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وانا الحميد المحمود في فعالي شققت له إسما من إسمي وهذا علي وأنا العلي العظيم شققت له إسما من إسمي وهذه فاطمة وأنا فاطر السموات والأرض فاطم أعدائي من رحمتي يوم فصل قضائي وفاطم أوليائي عمّا يعّيرهم ويشينهم فشققت لها إسما من إسمي وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت إسميهما من إسمي هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم اعطي وبهم اعاقب وبهم اثيب فتوسل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهية فاجعله إليّ شفعاءك فاني آليت على نفسي قسما حقا أن لا أخيب بهم آملا ولا أرد بهم سائلا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتيب عليه وغفرت له فسجدوا إلا إبليس ورواه العياشي في تفسيره والصدوق في إكمال الدين بتفاوت يسير في ألفاظه. وزيد في آخره: وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبي. فقال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فقلت ومنهم؟ قال: الأوصياء مني.

قالوا: لا يفلح من دعا الله بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك.

جاء في أخبارهم عن الأئمة: "من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك"(١). وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: "إنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين وقد استشهد على ذلك بأحوال الأنبياء، وبالأخص في أحوال آدم وموسى وإبراهيم، وكذا في أبواب معجزات النبي وجاءت روايات كثيرة في هذا المعنى في عدد من مصادرهم المعتمدة [مثلاً(٢)] .وهذا

(١) الطّبري/ بشارة المصطفى: ص ١١٧-١١٩، البحار: ١٠٣/٢٣، وسائل الشّيعة: ٤ / ١١٤٢ .

(٢) تفسير العياشي: ٤١/١، ابن بابويه/ الخصال: ١/ ١٣٠، معاني الأخبار ص٤٢، الطبرسي/ الاحتجاج: ص٢٧، ٢٨، وانظر: تفسير الحسن العسكري: ص١١٧، ١١٨، وسائل الشيعة: ١١٣٩/٤ وغيرها.

"الزعم" الخطير يهدف بطريقة ماكـرة، وأسلوب مقنع إلى "تأليه الأئمة" وأنهم ملجأ المحتاجين ومفـزع الملهوفين وأمان الخائفين وقبلة الداعين، ولا تسـتجاب الدعوات إلا بذكر أسمائهم، فأي فرق بين هذا وبين ما يزعمه المشركون في أصنامهم؟!

نعم هناك فرق، وهو أن المشركين في وقت الشـدة يخلصون الدعاء لله ﴿ فَـإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت، آية: ٦٥] .هذه الآية تبين ما هو الشّرك وما هو التّوحيد، فهي تتعلّق بالإخلاص في الدّعاء عند اضطراب الموج ولا تتعلّق بالإمامة. أما هؤلاء فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، بل يزعمون أن الشدة لا ترفع إلا بالدعاء بأسماء الأئمة.

تقول إحدى رواياتهم: "عن الرضا عليه السلام قال: لمّا أشرف نوح عليه السّلام على الغرق دعـا الله بحقّنا فدفع الله عنه الغـرق، ولمّا رمي إبراهيم في النّار دعا الله بحقّنا فجعل الله النّار عليه برداً وسلامـاً، وإنّ موسى عليه السّلام لمّا ضرب طريقًا في البحر دعا الله بحقّنا فجعله يبسًا، وإنّ عـيسى عليه السّلام لمّا أراد اليهود قتله دعا الله بحقّنا فنجّي من القتل فرفعه الله، والمصنف (الكاشانى) يشير الى ذلك.

وكما أن الاستجابة لدعاء الأنبياء بسـبب الأئمة، فإن ما جرى لبعض الأنبياء هي بزعمهم بسبب موقفهم من الأئمـة، فآدم عليه السلام - كما يفترون - .."لما أسكـنه الله الجنة مثّل له النبي وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية فـأنكرها فرمته الجنة بأوراقها، فلمـا تاب إلى الله من حسده وأقرّ بالولاية ودعا بحق الخـمسة محمد وعلي وفاطمـة والحسن والحسين صلوات الله عليهم غفـر الله له، وذلك قوله: ﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَـاتٍ ﴾ [البقـرة، آية: ٣٧] واليك النص.

البقرة هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم اعطي وبهم اعاقب وبهم اثيب فتـوسل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهية فـاجعله إليّ شـفعاءك فـاني آليت على نفـسي قسـما حقـا أن لا أخيب بـهم آملا ولا أرد بهم سـائلا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتيب عليه وغفرت له فسجدوا إلا إبليس

في الأحتجـاج عن الصادق عليه السلام قال قال رسـول الله صلى الله عليه وآله إن إبراهيم عليه السلام لما القي في النار قال اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لما أنجيتني منها فجعلها الله عليه بردا وسلاما. (نقلا من تفسير الصافي).

المذكور في: تفسير العياشي: "كما ادعوا أنّ يونس عليه السّلام حبسه الله في بطن الحوت لإنكاره ولاية علي بن أبي طالب ولم يخرجه حتى قبلها: والمصنف (الكاشانى) يشير الى ذلك

الـــــردود:

هذا ما تقوله الشيعة وتفتريه، ولكن يقول الله سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف، آية: ١٨٠] .ولم يقل سبحانه: فادعوه بأسماء الأئمة أو مقامات الأئمة أو مشاهدهم.

كما قال جل شأنه: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ [غافر، آية: ٦٠] .ولو كان أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال: ادعوني بأسماء الأئمة أستجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي يدعيه المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله، لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال تعالى: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [غافر، آية: ١٤] .﴿ **وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [الأعراف، آية: ٢٩] .

وهؤلاء الأئمة هم من سائر البشر ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [الأعراف، آية: ١٩٤] .

ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه وليًا صالحًا ولا ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلاً، بل الجميع عباد الله ﴿ **لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلَّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ...** ﴾ [النساء، آية: ١٧٢] .الآية، ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً** ﴾ [مريم، آية: ٩٣] .

وتربية الشيعي من خلال أدعيته ومناجاته لله على هذا المنهج هي تربية خطيرة.. حيث تزرع في قلبه ومشاعره الاتجاه إلى غير الواحد القهار، وتنمي في نفسه التوجه إلى البشر لا إلى خالق البشر، ويترعرع في هذا المحضن الوثني لينشأ أولاده وأحفاده على هذه الطريق، ولربما ينسى ذكر الله سبحانه أصلاً؛ لأن ذكر الأئمة في لسانه، ووجودهم في قلبه حين الدعاء والتوجه. ويتركز ذلك من خلال الكلمة والقدوة. فهم أسرع إجابة وأقضى للحاجة، وهذا شرك يهون عند شرك الجاهلية الأولى.. وواقع مشاهد الشيعة ومزاراتهم يعبر عن الثمرات المرة لهذه الأساطير.

ودعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة هي دعوى جاهلة غبية؛ إذ

ليس للأئمة وجود في حياة الأنبياء عليهم السلام، وهي دعوة للشرك بالله سبحانه؛ إذ إنهم جعلوا مفتاح الإجابة وأساس القبول هو ذكر أسماء الأئمة، فهي كقول المشركين بأن أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى.. وهي زعم باطل، إذ إن الأنبياء عليهم السلام - كما جاء في قول أصدق القائلين - إنما دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه. قال سبحانه عن يونس: ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لا إِلَهَ إِلا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء، آية: ٨٧] .

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه: ﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الأعراف: آية: ٢٣] .

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة، وهي من وضع زنديق ملحد أراد إدخال الشرك في دين الإسلام ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف، آية: ٨] .

ونقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، فأمير المؤمنين كان يقول كما تنقل كتب الشيعة: "إلهي أفكّر في عفوك فتهون عليّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه! فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته" .

وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من أمثال هذا الدعاء، مما لا يتسع المجال لعرضه.

المسألة الثالثة: الاستغاثة

[الاستغاثة] (١) :

طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والفرق بين الدعاء والاستغاثة: أن الدعاء عام في كل الأحوال، والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد (٢)، بالأئمة: لا يستغاث إلا بالله وحده، ولكن الشيعة تدعو إلى الاستغاثة بأئمتها فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده، وأدعيتهم تنسج على هذا المنوال، حيث

---

(١) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.

(٢) انظر: ابن تيمية/ الرد على البكري ص٨٨، سليمان بن عبد الوهاب/ تيسير العزيز الحميد: ص٢١٤-٢١٥، ابن سعدي/ القول السديد ص٤٨-٤٩)] .

الأئمة عندهم هم المستغاث والمرتجى، فيتوجه الشيعي للإمام ويقول - كما جاء في رواياتهم - عن إمامهم المنتظر: ولا يخفى ما في هذا النص من تأليه للأئمة، حيث جعلهم سبب كل شيء، ولا مفزع إلا إليهم، وبهم العطاء محتومًا... !!

وأدعية كثيرة تسير على هذا الضلال في الغلو بالأئمة إلى مقام خالق الأرض والسماوات، وهي قد جمعت في كتب الأدعية عندهم كمفاتيح الجنان وعمدة الزائر وغيرهما، وقد وردت في كتبهم المعتمدة في أبواب المزار، والأدعية، ودراستها وجمعها وتحليلها يحتاج إلى بحث مستقل، وترى في تلك الأدعية السبئية قد أطلت بوجهها المظلم الذي يؤله عليًا من خلال هاتيك الدعوات والاستغاثات.

وهناك رسائل أيضًا تبعث إلى المنتظر المعدوم لطلب الاستغاثة.

وقد قرر المحققون من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن هذا المنتظر الذي تنتظره الرافضة لم يولد أصلاً؛ لأن الحسن العسكري مات عقيمًا - كما سيأتي - ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا المنتظر: "وهو شيء لا حقيقة له ولم يكن هذا في الوجود قط" ومع هذا فقد وضعوا من الروايات في مشروعية إرسال رقاع إلى هذا المعدوم لطلب الاستغاثة والنجدة فيما لا يقدر عليه إلا الله، فمن ذلك أيضًا:

قالوا: تكتب رقعة إلى صاحب الزّمان وتكتب فيها "بسم الله الرّحمن الرّحيم"، توسّلت بحجّة الله الخلف الصّالح محمد بن الحسن [جاء عندهم روايات تنهى عن التّصريح باسمه(١) فهذه الرّواية تناقض ما قرّروه، وتناقضهم لا يكاد ينتهي] بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، النّبأ العظيم، والصّراط المستقيم، والحبل المتين، عصمة الملجأ، وقسيم الجنّة والنّار أتوسّل إليك بآبائك الطّاهرين.. وأمّهاتك الطّاهرات، الباقيات الصّالحات.. أن تكون وسيلتي إلى الله عزّ وجلّ في كشف ضرّي وحلّ عقدي وفرج حسرتي، وكشف بليّتي..." قالوا: "ثم تكتب رقعة أخرى لله سبحانه وتطيب الرّقعتين، وتُجمل رقعة الباري تعالى في رقعة الإمام رضي الله عنه وتطرحهما في نهرٍ جارٍ أو بئر ماء بعد أن تجعلهما في طين حرّ [طين حرّ: أي لا رمل فيه.."(٢).

---

(١) أصول الكافي ١/ ٣٣٢، ٣٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤/ ٢٨.

وصاحب الزمان عندهم قد عجز عن الخروج إلى شيعته خوف القتل كما تقرر نصوصهم المعتبرة - كما سيأتي - فكيف يوصف بهذه الأوصاف، ويطلب منه هذا الحاجات مما لا يقدر عليه إلا كاشف الملمات وهو عاجز عن حماية نفسه قد قبع في سردابه وتوارى عن الأنظار؟!

المسألة الرابعة: قولهم إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

الدليل والرد:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت" هذه المسألة التي قال عنها عالم من أكبر علماء أهل السنة المعنيين بتتبع أمر الرافضة والرد عليهم بأنه قد وصله خبرها عن طريق بعض الثقات هي اليوم مقررة ومعلنة في المعتمد من كتب الاثني عشرية في عشرات من الروايات تنص على أن زيارة المشهد أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام.

الفيض الكاشاني: يدعو الى هذا فى كتبه الأخرى التى يشير إليها في تفسيره وخاصة الوافى، ولقد لاحظت أن المصنف يكثر من ذكر كربلاء والكوفة وأسأل نفسى لم؟ فوجدت الاجابة فى كتابه الوافى، وأيضاً فى كتب الباحثين المهتمين بهذه الموضوعات وخاصة كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية جزاهم الله خيرا، وفى الاسطر القادمة تجد العجب العجاب فى تأويل المصنف للآيات تأويلاً باطلاً القصد منه اظهار معتقده (الغلو فى الائمة وتأليههم وخاصةً علىّ والحسين رضى الله عنهما).

وعن السجاد عليه السلام إن في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البر والبحر قال وهذا تأويل قوله وإن من شيء الآية أراد عليه السلام به ما ذكرناه وتمام تحقيق هذا المقام يطلب من كتابنا المسمى بعلم اليقين فإنه كاف في بيانه.

هود وفي الكافي عنه (عليه السلام) في فضل مسجد الكوفة، قال ومنه فار التنور، وفيه بخرت السفينة.

ومثله في المجمع عن الباقر (عليه السلام) وفي رواية في الكافي ومنه سارت. والعياشي عن سلمان، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في فضله، فيه نجر نوح سفينته، وفيه فار التنور، وبه كان بيت نوح ومسجده. وفي الاحتجاج عن الصادق

(عليه السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إن نوحا لما ركب السفينة وخاف الغرق قال اللهم إني أسألك بمحمد وآل محمد لما أنجيتني من الغرق فنجاه الله عز وجل ونادى نوح ابنه: كنعان. القمي والعياشي عن الصادق (عليه السلام) ليس بابنه إنما هو ابن إمرأته وهو لغة طي يقولون لابن الامرأة ابنه، يعني بفتح الهاء. في المجمع عن علي والباقر والصادق (عليهم السلام) إنهم قرأوا كذلك. وروي أيضا ابنها والضمير لأمرأته وكان في معزل: أي مكان عزل فيه نفسه عن المركب يا بني اركب معنا في السفينة. ولا تكن مع الكافرين. القمي عن الصادق (عليه السلام) نظر نوح (عليه السلام) إلى إبنه يقع ويقوم، فقال له: (يا بني اركب) الآية. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء في الفقيه عن الصادق (عليه السلام) إنه قال حين أشرف على النجف - وفي التهذيب: عنه (عليه السلام) إن الله عز وجل أوحى إلى نوح (عليه السلام) وهو في السفينة أن يطوف بالبيت أسبوعا فطاف بالبيت كما أوحى إليه، ثم نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتا فيه عظام آدم فحمله في جوف السفينة حتى طاف ما شاء الله أن يطوف، ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض (ابلعي ماءك) فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء منه، وتفرق الجمع الذي كان مع نوح (عليه السلام) في السفينة. وفي الكافي عن الكاظم (عليه السلام) إن نوحا كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله وكانت السفينة مأمورة فطاف بالبيت وهو طواف النساء، وخلى سبيلها نوح (عليه السلام) فأوحى الله عز وجل إلى الجبال إني واضع سفينة نوح (عليه السلام) عبدي على جبل منكن فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي، وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل، قال فقال نوح عند ذلك يا ماري أتقن وهو بالسريانية رب إصلح.

مريم أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها.

عيسى كان يتخلل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمس مأة تسبيحة ثم استند إلى النخلة والعياشي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن المساجد التي لها الفضل فقال المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قيل والمسجد الأقصى فقال ذاك في السماء إليه أسرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل إن الناس يقولون إنه بيت المقدس فقال مسجد الكوفة أفضل منه.

سورة المؤمنون وجعلنا ابن مريم وأمه آية بولادتها إياه من غير مسيس وآويناهما إلى ربوة وقرء بفتح الراء وجعلنا مأويهما مكانا مرتفعا ذات قرار منبسطة تصلح للأستقرار والزرع ومعين ماء طاهر جار على وجه الأرض . في الكافي عن الصادق عليه السلام قال الربوة نجف الكوفة والمعين الفرات .وفي المجمع عنهما عليهما السلام الربوة حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات فلما اتاها نودي من شاطيء الوادي الايمن قيل من الشاطئ الايمن لموسى في البقعة المباركة في التهذيب عن الصادق عليه السلام شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفرات والبقعة المباركة هي كربلاء من الشجرة قيل كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى اني انا الله رب العالمين وتذهب رواياتهم إلى المبالغة ماسبق نقلا من تفسير الصافى.

الــــردود والنقد(١):

بالقول بأفضلية زيارة قبر الحسين وقبور سائر الأئمة على الركن الخامس من أركان الإسلام حج بيت الله الحرام، وتصل في ذلك إلى درك من العته والجنون، أو الزندقة والإلحاد لا يكاد يصل إليه أحد في هذا الباب، حتى ليقول القائل بأن هذا دين المشركين لا دين المسلمين الموحدين؛ لأن هؤلاء يقدمون لنا دينًا آخر غير ما يعرفه المسلمون؛ دين شيوخهم وآياتهم لا دين رب العالمي، وتخرصات وأوهام رجالهم، لا وحي سيد المرسلين، فهي أشبه ما تكون بمؤامرة لتغيير دين المسلمين، وتغيير قبلة المسلمين، بيت رب العالمين.

وتقدم لنا رواياتهم هذا المعنى بصور مختلفة وأساليب متنوعة لتؤثر في قلوب السذج والجهلة، وتخدع عقول الناشئة والعجم، فما أسرع تأثير البدعة في هؤلاء [ولذلك قال أيوب السختياني - كما يروي اللالكائي -: إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة.(٢)] ..

وعلى غرار هذا عشرات من الأمثلة تكل اليد من نقلها، ويتعب الفؤاد من تأملها، لأنها روايات الهدف منها صرف الناس عن عبادة الواحد القهار إلى عبادة المخاليق الضعفاء، وغايتها التحلل من تكاليف الإسلام وشرائع الدين إلى مجرد نقل القدم إلى قبر ليحصل بذلك على كل الأجر، حتى تنتهي بمعتقدها إلى ضرب من

---

(١) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.
(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٦٠ ,

الإباحية، والإعراض عن أوامر الله وشرائعه، والتعدي على محارمه.

فلو كان شيء من هذا حقًا لذكره القرآن العظيم في آياته..

والسؤال، لماذا يذكر الحج في آيات عدة من القرآن، ولا تذكر زيارة قبر الإمام مطلقًا.. وهي أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام - بزعمهم -؟!

وقد تنبه أحد الشيعة لذلك وتعجب لماذا تخص زيارة الحسين بهذا الفضل الذي يربو على فضل الحج مئات المرات وليس لها ذكر في القرآن؟! أليس هذا دليل الوضع والافتراء؟!!

ورواياتهم في هذا كثيرة للغاية - كما أشرنا من قبل - وإنني الآن أمام زخم هائل من الروايات التي لا تخطر ببال من لم يخض غمار هذه الأساطير؛ روايات كثيرة ما أدري ما آخذ منها وما أدع، فكل منها يثير العجب والاستنكار لكل من كان على صلة بكتاب ربه، أو على أدنى وعي بأمر دينه، ولم يلجم عقله التعصب ويغلق فكره الهوى وتأخذه العزة بالإثم تعصبًا لبدعته وطائفته.

ولو حاول الشيعي أن يتخلى عن هذه الأساطير التي تشده إلى الظلام ولو لحظة ثم يتفكر في أمر هذا الخطر الأكبر الذي يأخذ به ليلقيه في غياهب الشرك وظلماته، لينسى ربه وخالقه، ويتعلق بقبر مخلوق قد أرم لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا ولا حياة ولا نشورًا ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف، آية: ١٩٤].

والعجب أنه ورد عندهم بعض الروايات في تخفيف هذا الغلو الذي يجعل من الشخوص إلى القبر أفضل من حج بيت الله الحرام، ولكن شيخ الشيعة المجلسي رد ذلك بحجة التقية.

.. وهكذا يفعل شيوخهم بكل رواية عن أهل البيت لا توافق أهواءهم يبطلون مفعولها بهذه الحجة الجاهزة "التقية" فصار التشيع يكتسب غلوه على مر الأيام بفعل شيوخه وصار دينهم دين شيوخ الرافضة لا دين الأئمة.. زيارة كربلاء يوم عرفة أفضل من سائر الأيام: الفيض الكاشاني/ الوافي مما يكشف أن هذه الروايات هي ثمرة مؤامرة ضد الأمة لصرفها عن بيت ربها، والعمل على إفساد أمرها، وتفريق اجتماعها.. والحيلولة دون تلاقيها في هذا المؤتمر السنوي العام.. أن هذه الروايات خصت زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص.

فأنت تلاحظ أنه صرح من طرف خفي أن ترك الحج وزيارة كربلاء أولى. وقال:

"إنّ الله يبدأ بالنّظر إلى زوّار قبر الحسين بن علي عشيّة عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف"، (قال الراوي: وكيف ذلك؟) قال أبو عبد الله - كما يزعمون -: لأنّ في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا (١)، وأولاد الزّنا عند الشّيعة هم غير الشّيعة من المسلمين [يدلّ على ذلك ما جاء في الكافي عن أبي جعفر قال: "والله إنّ النّاس كلّهم أولاد بغايا ما خلال شيعتنا"(٢) .

ويظهر من روايتهم أن لهذه الأساطير تأثيرها حتى قال أحد نقلة هذه الأسطورة ورواتها بعد سماعه دعاء من جعفرهم لزوار قبر الحسين قال: "والله لقد تمنيت أني زرته ولم أحج.."(٣).

وتتحدث رواية أخرى أن من أراد "أن يتنفل بالحج والعمرة فمنعه من ذلك شغل دنيا أو عائق فأتى الحسين بن علي في يوم عرفة أجزأه ذلك من أداء حجته وضاعف الله له بذلك أضعافًا مضاعفة (قال الراوي): قلت: كم تعدل حجة وكم تعدل عمرة؟ قال: لا يحصى ذلك. قلت: مائة. قال: ومن يحصي ذلك؟ قلت: ألف. قال: وأكثر، ثم قال: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها.

وأنت تلاحظ أن صدر النص يشير إلى أن الحج أفضل، وأن زيارة الحسين هي البديل عند حصول عائق بينما عجزه يشير إلى خلاف ذلك. / الوافي.

قال شيخهم الفيضي الكاشاني في التعليق عما تذكره رواياتهم من فضائل زيارة قبر الحسين: "إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إمامًا للمؤمنين، وله خلق السّماوات والأرضين، وجعله صراطه وسبيله، وعينه، ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتّصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء، هذا مع أنّ مقابرهم رضي الله عنهم فيها أيضًا إنفاق أموال، ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمّل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر" تأمل هذا الغلو، حيث جعل الحسين هو الحبل والواسطة بين الله وعباده، وأنه عين الله وبابه!! ولاحظ توجيهه لفضل زيارة قبر الحسين بفعل أسباب الوقوع في الشرك نفسه من شد الرحال إلى القبر، وإنفاق الأموال لها أو عندها طلبًا لشفاعتها، وتعلق الآمال عليها، إلى آخر ما ذكره من أعمال الشرك وأسبابه، ومع ذلك فهذا عندهم من أفضل

---

(١) الفيض الكاشاني/ الوافي/ المجلّد الثاني: ٨/ ٢٢٢,

(٢) الكليني/ الرّوضة من الكافي: ص١٣٥ ط: لكنو ١٨٨٦م.

(٣) وسائل الشيعة: ١٠/ ٣٢١، فروع الكافي: ٣٣٥، ثواب الأعمال ص٣٥,

الطاعات!! [ولكن لماذا لم يعمل شيوخهم بهذه الروايات ويدعوا الحج..؟ الواقع أنهم لم يفعلوا، لعل ذلك لأسباب منها ليتمكن هؤلاء من نقل شرهم لسائر العالم الإسلام عبر هذا المؤتمر العظيم.. وخشية التشنيع عليهم من قبل المسلمين فيفقدوا الأرضية الصالحة لنشر دعوتهم، سيما أنهم يرون الفريضة لابد منها، على الرغم من أن هذه الروايات لا تجعل في قلب المؤمن بها أي حنين إلى حج بيت الله الحرام].

زيارة قبر الحسين أفضل الأعمال (١):

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم هؤلاء بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله.

قولهم: إن كربلاء أفضل من الكعبة: " [الوافي/باب فضل الكوفة ومساجدها].

قبلة المسلمين، وأقدس مقدساتهم، وأفضل البقاع بيت الله الحرام، مهوى أفئدة المسلمين، الذي لا يشرع الطواف إلا به.. والذي جعله الله مثابة للناس وأمنًا.. ملتقى المسلمين العام، وقبلتهم التي يتجهون إليها جميعًا.. تقول روايات الاثني عشرية بأنها ليست إلا ذنبًا ذليلاً مهينًا لأرض كربلاء [سيأتي بعد أسطر سياق النص بتمامه وتخريجه من كتبهم].

إن وراء الأكمة ما وراءها.. لقد أقضّ مضاجع الأعداء اجتماع المسلمين في هذا الملتقى الطاهر، وأرّق أجفانهم تلاقيهم وتوجيههم لهذا المكان الواحد..

فراموا الكيد لذلك بكل وسيلة.. وراحوا يبحثون عما يصرفون به قلوب المسلمين.. وكان المدخل الميسر لهم عن طريق التشيع، فقالوا: إن قبر الحسين أفضل من الكعبة البيت الحرام.. ووضعوا من الروايات ما يحتالون به لإثبات هذه المقالة، ونسبوها لبعض آل البيت زوراً وبهتانًا.. علها تجد طريقها لقلوب المغفلين، وعقول الجاهلين، ويميل إليها أهل الأهواء، والابتداع، وأصحاب الأحقاد المتوارثة، والثارات القديمة، ومن يبغي في الأمة الفرقة والشتات.

لقد اعتبر الشيعة كربلاء وغيرها من أماكن قبور أئمتهم المزعومة حرمًا مقدسًا؛ فالكوفة حرم، وقُمّ حرم، وغيرها، جاء في رواياتهم "إنّ الكوفة حرم الله وحرم

(١) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.

رسول الله ﷺ حرم أمير المؤمنين، وإنّ الصّلاة فيها بألف صلاة والدّرهم بألف درهم"(١).

ويروون عن جعفرهم "إنّ لله حرمًا هو مكّة، ولرسوله حرمًا وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرمًا وهو الكوفة، ولنا حرمًا وهو قم [قم: بالضّم والتّشديد كلمة فارسيّة، وهي مدينة مقدّسة عند الشّيعة مشهورة في إيران، وأهلها كلّهم شيعة إماميّة(٢) ومن أسباب تقديسهم لقم وجود قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر (إمامهم السّابع) فيها، انظر(٣)، ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمّى فاطمة، من زارها وجبت له الجنّة"(٤). وتقديسهم لأرض كربلاء لأنه ضمت جسد الحسين فاستمدت قداستها بوجوده فيها.

فهل كان الحسين مدفونًا فيها قبل خلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، أو هي معدة لاستقباله منذ غابر الأزمان؟! وإذا كان كل هذا الفضل بوجود جسد الحسين فلماذا لم تفضل المدينة وفيها جسد رسول الله؟! إن هذا تناقض في بنية المذهب.. وهو يكشف أنه ليس الهدف تقديس الحسين، ولكن الكيد للأمة ودينها.

وقد جاءت روايات كثيرة عندهم تفضل كربلاء على بيت الله.

فتتحدث بعض هذه الأساطير عن محاورة جرت بين كربلاء والكعبة يتبين منها أن هؤلاء الوضاعين لا عقل عندهم فضلاً عن الدين، قال جعفرهم: "إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه.

هذا جزء مما يدعونه حول كربلاء، وجمعه كله وتحليله يستغرق مؤلفًا خاصًا، وهي كلمة لا يمكن أن تخضع للمناقشة بالعقل والمنطق؛ فهي من جنس هذيان المحمومين وكلمات المجانين، ولو لم أجدها في كتبهم المعتمدة، وبروايات عديدة لما أثبتها.. وهذه الدعاوى والمخاريق هي إساءة بالغة لأهل البيت الذين يزعمون محبتهم والتشيع لهم، ولكنهم كانوا عليهم أشد من أعدائهم، وهي فضيحة من فضائح دين

---

(١) الوافي/ باب فضل الكوفة ومساجدها، المجلّد الثّاني: ٨/ ٢١٥.
(٢) انظر: معجم البلدان: ٤/ ٣٩٧.
(٣) عبد الرّزّاق الحسيني/ مشاهد العترة: ص ١٦٢ وما بعدها.
(٤) بحار الأنوار: ١٠٢/ ٢٦٧.

الشيعة قد تنتهي بقارئها والمؤمن بها من مثقفي الشيعة وعقلائهم إلى درب الإلحاد والضلال.

ولقد خاب واضع هذه الأساطير وفشل في تحقيق أهدافه، فلم يتجه المسلمون إلى كربلاء، وظلت هذه الروايات لا تؤثر إلا بأولئك الذين أصمهم التعصب عن سماع الحق وأعمى قلوبهم، فهاموا في أودية من الضلال.

فما دام كتاب الله سبحانه بين المسلمين فلن يغتر بمثل هذه المؤامرات إلا من اتخذ كتاب الله مهجوراً، ولم ير الحق إلا فيما قاله الحجة والسيد والآية وما سارت عليه طائفته، وإن كان لا شاهد له من كتاب الله سبحانه.

والذي يروي هذه الأسطورة السالفة الذكر عن جعفر الصادق رجل يدعى صفوان الجمال، وهو كما يزعم شيوخ الشيعة من رجال جعفر وهو ثقة عندهم ، فقد يكون هو الذي باء بإثم هذا الإفك، إذا لم يكن السند مصنوعًا، ولم أجد لهذا الرجل ذكرًا في الكتب التي رجعت إليها من كتب الرجال عند أهل السنة.

زوار الحسين تأتيهم الملائكة ويناجيهم الله: (١)

وصلت مبالغات الشيعة في الحديث عن فضائل زيارة قبر الحسين والأئمة الآخرين إلى درجة لا تتصور ولا يقبلها ذو عقل، قال جعفرهم: "من خرج من منزله يريد زيارة الحسين كتب الله له بكلّ خطوة حسنة.. إلى أن قال: وإذا قضى مناسكه.. أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله، ربّك يقرئك السّلام ويقول لك: استأنف فقد غفر لك ما مضى"(٢). فالملائكة تقابل زوار القبر، وتبلغهم سلام الله وتوزع عليهم صكوك الغفران!! وهكذا يفترون الكذب على الله، وإنما يفتري الكذب على الله الذين لا يؤمنون، ويزعمون وهم الذين سلكوا مسلك أهل التعطيل في كلام الله سبحانه، أن الله يناجي ويكلم زوار الحسين.. وهذه فرية خطيرة.. وبهتان عظيم. كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وتسطرها أقلامهم، إن يقولون إلا كذبًا.

ومن هنا وضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام. (نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة).

---

(١) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.

(٢) الطّوسي/ تهذيب التّهذيب: ٢/ ١٤، ابن قولويه/ كامل الزّيارات: ص١٣٢، ثواب الأعمال: ص٥١، وسائل الشّيعة: ١٠/ ٣٤١-٣٤٢ .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

"وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتابًا سماه "مناسك المشاهد" جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قيامًا للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه"(١).

ولكن كشف لنا اليوم شيخهم أغا بزرك الطهراني في كتابه "الذريعة" أن ما صنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتابًا (٢)، كلها ألفت لإرساء قواعد هذا الشرك وتشييد بنائه، وهذا عدا ما اشتملت عليه كتب الأخبار المعتمدة عندهم من أبواب خاصة بالمشاهد - كما سيأتي - ومن هذه المناسك ما يلي:

أ ـ الطواف بها:

اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور (٣) ولكن شيوخ الشيعة شرعوا لأتباعهم الطواف بأضرحة الموتى من الأئمة، ووضعوا من الروايات على آل البيت ما يسندون به هذا الشرك، فقال المجلسي بأنه ورد في بعض زيارات الأئمة "إلا أن نطوف حول مشاهدكم"، وفي بعض الروايات "قبّل جوانب القبر"، كما قال بأن الرضا كان - على حد زعمه - يطوف بقبر رسول الله ﷺ (٤)وأخذ من ذلك "شرعية" هذا "النسك الوثني" في مذهبهم، ولم يلتفت إلى نصوص القرآن الصريحة الواضحة في النهي عن الشرك والوعيد عليه بنار جهنم وبئس المصير، ولكن أشكل عليه روايات لهم تناقض - كالعادة - مذهبهم في المشاهد وهي مروية عن أئمتهم فرام التخلص منها بالتأويل.

فقد جاء في رواياتهم ما ينهى عن الطواف بالقبور كقول إمامهم: "لا تشرب وأنت قائم ولا تطف بقبر... فإن من فعل ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، ومن فعل شيئًا من ذلك لم يكن يفارقه إلا ما شاء الله" (٥) .وقد أجهد المجلسي نفسه قال في تأويل هذه الرّواية فقال: "يحتمل أن يكون النّهي عن الطّواف بالعدد المخصوص الذي يُطاف

---

(١) منهاج السنة: ١/ ١٧٥، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٧/ ٤٩٨ .

(٢) انظر: الذريعة: ٢٠/ ٣١٦-٣٢٦ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام : ٤/ ٥٢١.

(٤) بحار الأنوار : ١٠٠/ ١٢٦ .

(٥) ابن بابويه / علل الشرائع : ص٢٨٣، بحار الأنوار : ١٠٠/ ١٢٦.

بالبيت"(١).

فأنت ترى أن المجلسي لم يحاول أن يسلك ما يتفق مع كتاب الله سبحانه وما عليه المسلمون، وما جاء عندهم أيضًا: "ولا تطف على قبر" فينصح لنفسه وطائفته بالنهي عن هذه البدعة فيقر بذلك، ويؤول ما يخالفه، لأنه شذوذ وانحراف وباب من أبواب الشرك بالله، لم يفعل ذلك بل تكلف في تأويل نصهم الذي يدل على المعنى الحق حتى قال: "يحتمل أن يكون المراد بالطواف المنفي هنا التغوط" (٢).

فدين الشيعة هو دين المجلسي لا دين الأئمة، وعمل الشيعة بما قاله شيوخهم لا ما قاله إمامهم.. فأعرضوا عن قول الإمام: "ولا تطف بقبر"، كما أعرضوا من قبل عن قول الله ورسوله وإجماع المسلمين، فضلّوا وأضلّوا قومهم سواء السّبيل.

ب - الصلاة عند الضريح: (٣)

من مناسك المشاهد والأضرحة أداء ركعتين أو أكثر عند قبور الأئمة، وربما يتخذونها قبلة - كما سيأتي - وكل ركعة تؤدى عند القبور تفضل على الحج إلى بيت الله الحرام مئات المرات، جاء في أخبارهم: "الصّلاة في حرم الحسين لك بكلّ ركعة تركعها عنده كثواب من حجّ ألف حجّة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنّما وقف في سبيل الله ألف ألف مرّة مع نبي مرسل" وليس هذا خاصًا بقبر الحسين بل كل قبور أئمتهم كذلك، ففي البحار: "من زار الرضا [يعد مرقد علي الرضا أهم الأماكن المقدسة في إيران، ومن أضخم الأماكن المقدسة لدى الشيعة، وعليه قبة ضخمة مكسوة بالذهب(٤) لأن الأضرحة والاهتمام بها وتقديم أنواع من العبادات لها من أصول دينهم.] أو واحدًا من الأئمة فصلى عنده.. فإنه يكتب له (ثم ذكر ما جاء في النص السابق وزاد) وله بكل خطة مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط عنه مائة سيئة

انظر كيف يفضلون الصلاة عند القبور على الحج إلى بيت الله الحرام، فيقدمون الشرك على التوحيد.

وفي الوافي للكاشاني الجامع لأصولهم الأربعة عقد ثلاثة وثلاثين بابًا بعنوان

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٠ / ١٢٦.
(٢) بحار الأنوار: ١٠٠ / ١٢٧.
(٣) الوافي/ المجلّد الثاني: ٨/ ٢٣٤.
(٤) عبد الله فياض/ مشاهداتي في إيران ص١٠٢.

"أبواب المزارات والمشاهد"(١).

الردود والنقد:

النهي عن اتخاذ القبور مساجد:

وقديمًا كان المشركون يقولون بأن دينهم أفضل من دين الله، وأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

واتخاذ القبور مساجد ملعون فاعلها على لسان رسول الهدى ﷺ، حيث قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٢).

وفي الصحيحين أيضًا أنه ذكر له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر له من حسنها وتصاوير فيها فقال: "إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله" [أخرجه البخاري في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد(٣).

وقد ثبت أيضًا النهي عن اتخاذ القبور مساجد في كتب الاثني عشرية نفسها، ولكن شيوخهم يؤولونه - كما سيأتي -.

ج- الانكباب على القبر(٤):

وهكذا أصبح في دينهم الشرك بالله من المستحبات، فهو سجود على القبر أو

---

(١) انظرها في المجلد الثاني: ٨/ ١٩٣ وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، في باب ٥٥: ١/ ٥٣٢ (البخاري مع فتح الباري)، وفي الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور: ٣/ ٢٠٠، وباب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر: ٣/ ٢٥٥، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/ ٢٩٤، وفي المغازي، في باب مرض النبي ﷺ ووفاته ٨/ ١٤٠، وفي اللباس في باب الأكسية والخمائل: ١٠/ ,٢٧٧ والحديث بهذا المعنى في مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور: ٣٧٦-٣٧٧، وأحمد: ١/٢١٨، ٦/ ٨٠، ٨٤، ١٢١، ١٤٦، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٧٥، والدارمي، كتاب الصلاة، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد: ١/ ٣٢٦ وغيرها.

(٣) ١/ ٥٢٣ (البخاري مع فتح الباري)، وباب الصلاة في البيعة: ١/ ٥٣١، وفي الجنائز في باب بناء المسجد على القبر: ٢٠٨/٣، ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور: ١/ ٣٧٥-٣٧٦، وأبو عوانة في مسنده: ١/ ٤٠٠-٤١٠، وأحمد: ٥١/٦، والبيهقي: ٤/ ٨٠ .

(٤) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.

لصاحب القبر يسمونه "الانكباب"، ودعاء للميت الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا وكأنهم يدعون خالق السماوات والأرض القادر على كل شيء ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف، آية: ٥]، وهم يعدون هذا من أفضل القربات، ويوهمون الأتباع بأن هذا الشرك "يوجب غفران الذّنوب ودخول الجنّة، والعتق من النّار، وحطّ السّيئات، ورفع الدّرجات، وإجابة الدّعوات" فشرعوا من الدّين ما لم يأذن به الله.

ولهم تعلق بكل عمل يتصل بالشرك بالله من قريب أو بعيد، حتى وإن لم يوجد نص يعتمدون عليه من كتبهم المليئة بما يغني في باب الشرك وأسبابه، أي أنهم يتعبدون بذلك مجاراة لأسلافهم وتقليدًا لهم، فكأن الشرك وأعماله المنتشرة في أمهات كتبهم لم تملأ ما في نفوسهم، فتعلقوا بما عليه من سبقهم كحال المشركين الذين قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف، آية: ٢٣].

وكل إمام ينسب له من المبادئ الشركية الجديدة، حتى "المنتظر" الذي لم يولد له قوانين جديدة في هذا الباب منها استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة هذه مبادئ جديدة ابتدعها شيوخ السوء من الرافضة "وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل إلا للركنين اليمانيين، فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم، وقد قيل إنه يقبل وهو ضعيف، وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله كجوانب البيت، والصخرة والحجرة النبوية، وسائر قبور الأنبياء والصالحين" (١).

والهدف من هذه المبادئ الصد عن دين الله سبحانه، والدعوة إلى الشرك بالله وتهيئة أسبابه، وقد وضعت أدعية تقال أثناء هذه الأعمال فيها من الشرك بالله سبحانه، وتأليه الأئمة ما يستقل عنده فعل المشركين.

د ـ اتخاذ القبر قبلة كبيت الله(٢):

انظر كيف يؤيد شيوخهم الشرك بالله سبحانه، ويردون الحق ولو جاء في كتبهم، فيرجّح المجلسي ما جاء عن المنتظر الذي لا حقيقة له، ويردّ ما روي عن أبي جعفر عن رسول الهدى صلى الله عليه وسلم والموافق للكتاب والسّنّة وإجماع الأمّة.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٥٢١.
(٢) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.

وهذا ليس بغريب من قوم زعموا أن كربلاء أفضل من الكعبة.

فماذا نسمي هذا الدين الذي يأمر أتباعه باستدبار الكعبة واستقبال قبور الأئمة؟ وما ذا نسمي هؤلاء الشيوخ الذين يدعون لهذا الدين؟

فليسم بأي اسم إلا الإسلام دين التوحيد الذي نهى رسوله عليه الصلاة والسلام عن الصلاة في المقابر فكيف باتخاذ القبور قبلة!!

ومن العجب أن هذا النهي عن اتخاذ القبور مسجداً وقبلة ورد في كتب الشيعة نفسها، كما جاء في الوسائل للحر العاملي [روت كتب الشيعة أن علي بن الحسين قال: قال النّبي ﷺ" :لا تتّخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فإنّ الله عزّ وجلّ لعن اليهود حيث اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(١) ولكن هؤلاء دينهم دين شيوخهم الذين وضعوا مبدأ خالفوا العامة (يعني أهل السنة) فأضلوا قومهم سواء السبيل] وغيره، كما ورد أيضًا بطلان الصلاة إلى غير القبلة وقد ذكر صاحب الوسائل في هذا المعنى خمس روايات(٢) وانظر في بطلان الصلاة إلى غير القبلة عندهم: من لا يحضره الفقيه(٣).

والتناقض في هذا المذهب من أعجب العجب.

هذا بعض ما جاء في مصادرهم المعتمدة حول المشاهد، وهو قليل من كثير، حيث إن لهم عناية ظاهرة، واهتمامًا واسعًا بأمر المشاهد ومناسكها كاهتمامهم بمسألة الإمامة، وقد خصصت مصادرهم المعتمدة له قسمًا خاصًا مما لا تجده في كتب المسلمين الموحدين.

وفي الوافي للكاشاني الجامع لأصولهم الأربعة عقد ثلاثة وثلاثين بابًا بعنوان "أبواب المزارات والمشاهد"

هذا عدا ما اشتملت عليه كتبهم الأخرى التي هي في منزلة المصادر الثمانية عندهم كثواب الأعمال لابن بابويه وغيره.

وهذا غير ما ألف في المزارات من كتب خاصة به في الماضي والحاضر مثل:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١/ ٥٧، وسائل الشّيعة: ٣/ ٤٥٥ .

(٢) انظر: وسائل الشيعة: ٣/ ٢٢٧ .

(٣) ١/ ٧٩، ١٢٢، وتهذيب الأحكام : ١/ ١٤٦، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٨، وفروع الكافي: ١/ ٨٣].

كامل الزيارات لابن قولويه، ومفاتيح الجنان لعباس القمي، وعمدة الزائر لحيدر الحسيني، وضياء الصالحين للجوهري وغيرها.

وكلها تتحدث عن الفضائل المزعومة لمن شد الرحل لزيارة أضرحة الأئمة وطاف بها، ودعا في رحابها، واستغاث بمن فيها، وتذكر مئات الأدعية التي فيها من الغلو في الأئمة ما يصل بهم إلى مقام الخالق جل شأنه، وفيها من الشرك بالله ما الله به عليم.

وكان لاهتمامهم بهذا المعول الهادم لأصل التوحيد أثره في ديار الشيعة، حيث عمرت بيوت الشرك التي يسمونها المشاهد، وعطلت بيوت التوحيد وهي المساجد وبقي هذا الاهتمام إلى اليوم كما سيأتي - إن شاء الله

الـــــرد:

الجانب النقدي (لمسألة المشاهد عند الشيعة وعلى ما سبق): (١):

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [يونس، آية:١٠٧] ، وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل، آية: ٦٢] ، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ [الشعراء، آية: ٨٠] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ [الأعراف، آية: ١٩٤].

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين (٢) الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح، آية: ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء. . أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت [أخرجه البخاري في تفسير سورة نوح (٣) قال الألباني: "وهو موقوف على ابن عباس في حكم المرفوع" (٤)].

---

(١) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.
(٢) منهاج السنة : ١/ ١٧٥.
(٣) البخاري مع الفتح: ٨/ ٦٦٧.
(٤) شرح العقيدة الطحاوية ص٨٠ -الهامش.

وهكذا أصبح في دينهم الشرك بالله من المستحبات، فهو سجود على القبر أو لصاحب القبر يسمونه "الانكباب، ودعاء للميت الذي لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا وكأنهم يدعون خالق السماوات والأرض القادر على كل شيء ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف، آية: ٥] ، وهم يعدون هذا من أفضل القربات، ويوهمون الأتباع بأن هذا الشرك "يوجب غفران الذّنوب ودخول الجنّة، والعتق من النّار، وحطّ السّيئات، ورفع الدّرجات، وإجابة الدّعوات" فشرعوا من الدّين ما لم يأذن به الله.

ولهم تعلق بكل عمل يتصل بالشرك بالله من قريب أو بعيد، حتى وإن لم يوجد نص يعتمدون عليه من كتبهم المليئة بما يغني في باب الشرك وأسبابه، أي أنهم يتعبدون بذلك مجاراة لأسلافهم وتقليداً لهم، فكأن الشرك وأعماله المنتشرة في أمهات كتبهم لم تملأ ما في نفوسهم، فتعلقوا بما عليه من سبقهم كحال المشركين الذين قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الزخرف، آية: ٢٣]. ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران، آية: ٨٥] ، وليس لها ذكر في كتاب ربنا ولا سنة نبينا، والله سبحانه بيّن في كتابه أن القرآن العظيم شفاء لعباده المؤمنين ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾ [فصلت، آية: ٤٤] ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء، آية: ٨٢].

وسنة المصطفى ﷺ بينت من الأدعية والأوراد التي فيها اللجوء إلى الله وحده لا إلى تراب ولا صنم، بل ولا ملك مقرب ولا نبي مرسل وإنما إلى الله وحده، ويتحقق بسببها - بإذنه تعالى - الحفظ للمسلم والأمان [راجع كتب الأذكار مثل: الأذكار للنووي، والكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، والوابل الصيب لابن القيم، وتحفة الذاكرين للشوكاني وغيرها].

وكل إمام ينسب له من المبادئ الشركية الجديدة، حتى "المنتظر" الذي لم يولد له قوانين جديدة في هذا الباب منها استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة

واتخاذ القبور مساجد ملعون فاعلها على لسان رسول الهدى ﷺ، حيث قال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"

وفي الصحيحين أيضًا أنه ذكر له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر له من حسنها وتصاوير فيها فقال: "إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على

قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله" وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لأبي الهياج الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته"(١).

وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: بعثني رسول الله ﷺ إلى المدينة فقال: لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبرًا إلا سوّيته(٢) وفي رواية أخرى "بعثني رسول الله ﷺ في هدم القبور وكسر الصّور" (٣).

وعن أبي عبد الله قال: نهى رسول الله ﷺ أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد وكعبات عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة [وكثير من هذه القبور (المنسوبة للأئمة) لم يدفن فيها من ينسبونها إليهم؛ فلا مكان قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في النجف هو مكان قبره حقيقة، ولا مكان الحسين في كربلاء وغيرها هو مكان دفنه حقيقة. وهذه حقائق يعرفها التاريخ ويقررها وإن كابروا فيها وانظر للتفصيل: قال شيخ الإسلام: "وأصل ذلك أن عامة أمر هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلق لا يكاد يوقف منه على العلم إلا في قليل منها بعد بحث شديد، وهذا لأن معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام" وغيرهم [غلو الرافضة بالمشاهد تجاوز مشاهد أئمتهم إلى آخرين. انظر - مثلاً -: باب فضل زيارة عبد العظيم الحسني من بحار الأنوار: وقد جاء فيه أن الحسن العسكري قال: بأن من زار قبر عبد العظيم كان كمن زار قبر الحسين (انظر: الموضع نفسه من المصدر السابق، ، وكذلك عقد المجلسي بابًا في زيارة فاطمة بنت موسى بقم] ، وهي قبور تنافس بيت الله بل تفضل عليه، ويقام فيها الشرك

---

(١) أخرجه مسلم في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٩٦٩): ١/ ٦٦٦، وأبو داود: ٣/ ٥٤٨ (٣٢١٨)، والترمذي: ٣/ ٣٦٦ (١٠٤٩)، والنسائي ٤/ ٨٨، ٨٩، وأحمد ١/ ٩٦، ١٢٩ ومواضع أخرى، وأبو داود الطيالسي ١/ ١٦٨، والحاكم: ١/ ٣٦٩، والبيهقي في سننه: ٤/ ٣ .

(٢) [فروع الكافي: ٢/ ٢٢٧، وسائل الشّيعة: ٢/ ٨٦٩] .

(٣) فروع الكافي: ٢/ ٢٢٦، وسائل الشّيعة: ٢/ ٨٧٠ .

ويهدم التوحيد.

وقد يقال: إن الشرك والمشاهد منتشرة في كثير من بلاد السنة. وقد أثار شيخ الإسلام ابن تيمية هذا السؤال في أثناء حديثه عن غلو الشيعة في أئمتها وما عندها من الشرك والبدعة حيث قال: "فإن قيل: ما وصفت به الرافضة من الغلو والشرك والبدع موجود كثير منه في كثير من المنتسبين إلى السنة.."، وأجاب رحمه الله عن ذلك: بأن هذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسبًا إلى السنة أو التشيع، ولكن ما عند الرافضة من هذه الأمور المخالفة للكتاب والسنة أكثر مما عند أهل السنة(١).

وأضيف أيضًا أن الفرق بين الشيعة وأهل السنة في ذلك أن ما عند أهل السنة هو انحراف في واقعهم تنكره أصولهم، وما عند الشيعة هو ما يتفق مع أصولهم بل هو ما تدعو إليه وتحث عليه أحاديثهم ورواياتهم - كما رأينا - فهو معروف في أصول الشيعة منكر في أصول أهل السنة.

ونتيجة هذا الفرق أن ما عند أهل السنة قابل للإصلاح وما عند الشيعة غير قابل حتى تغير أصولهم أولاً، وهذه النتيجة ليست نظرية أو خيالية بل ظهرت بشكل واقع في تأثير حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي في محاربة الشرك، واستعصاء الشيعة على هذا الإصلاح.

وقد شهد بهذه الحقيقة شاهد من أهلها:

يقول العالم الإيراني - الشيعي الأصل - أحمد الكسروي (٢)" :ومما يرى من لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عامًا، وجرت في تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين، وانتشرت رسالات وطبعت كتب، وظهر جليًا أن ليست زيارة القباب، والتوسل بالموتى، ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك، ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب فقام الإسلام يجادلها ويبغي قلع جذورها، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن، فأثرت الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير

---

(١) انظر: منهاج السنة: ١/ ١٧٧-١٧٨ .

(٢) انظر الحديث عنه في "فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة" ص:٥٥٥ وما بعدها

الروافض أو الشيعة الإمامية، فإن هؤلاء لم يكترثوا بما كان، ولم يعتنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى اعتناء، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين" إن الشرك قد ألبس في مصادر الشيعة المعتمدة ثوب الحق، وأصبح هو الدين، وهذا هو الخطر الأكبر، والداء الأعظم. لقد عقدت أمهات كتبهم "أبوابًا" كثيرة ضمنتها مئات من الروايات تجسد الشرك وترسي قواعده، وألفت في هذا كتبٌ مستقلة جمعت من الشر في هذا السبيل فأوعت - كما مر-.

لقد غلت الرافضة بالأئمة وقبورهم، وصنعوا صنيع النصارى في غلوهم في المسيح.. فترك هؤلاء الروافض عبادة الله وحده لا شريك له فتراهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين، ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق، بل السفر إليها والطواف بها والصلاة عندها وتقديم القرابين في رحابها والانكباب على الضريح والاستغاثة به، وطلب الشفاء منه، أو التوسل به وطلب شفاعته هي عندهم من أفضل القربات وأعظم الطاعات - كما مضى ذكر بعض شواهده - ومن أضل ممن يفضل الشرك على التوحيد، ويعمر المشاهد ويعطل المساجد، و"يعتاض عن أرض مكة والحرم وعفرة ومنى بأرض كربلاء" (١) ويستبدل الباطل بالحق، ويرى أنه أهدى من الذين آمنوا سبيلاً؟! وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يأمر بما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ **وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ [نوح، آية: ٢٣].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء.. أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت(٢). قال الألباني: "وهو موقوف على ابن عباس في حكم المرفوع"

قال أيوب السختياني - كما يروي اللالكائي -: إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة.(٣)] ..

---

(١) أخرجه البخاري في تفسير سورة نوح (البخاري مع الفتح: ٨/ ٦٦٧).

(٢) الجرجاني/ المعارضة في الرد على الرافضة الورقة (٧١) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/ ٦٠ .

وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات، كما أن دلالة التحريم بينة، ولا دليل عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر، وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين [انظر: كتاب التوحيد (مع شرحه تيسير العزيز الحميد) باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ص٣٠٥] ..

وتناقض كتب الشيعة نفسها حينما تنقل أدعية الأئمة، ومناجاتهم لله سبحانه، وتضرعهم بالاستكانة إليه، وإخلاص الدعاء له وحده، وإظهار الضعف والافتقار إليه سبحانه، مما يكشف باطل الشيعة، ويبين أن ما تفعله في مزاراتها، وتدعو إليه في رواياتها ليس من هدي الأئمة.

فهذا جعفر الصادق كان من دعائه كما تعترف كتب الشيعة: "اللّهم إنّي أصبحت لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعًا ولا حياة ولا موتًا ولا نشوراً، قد ذلّ مصرعي، واستكان مضجعي، وظهر ضري، وانقطع عذري، وقل ناصري، وأسلمني أهلي ووالدي وولدي بعد قيام حجتك عليّ، وظهور براهينك عندي، ووضوح أدلتك لي.

اللهم وقد.. أعيت الحيل، وتغلقت الطرق، وضاقت المذاهب، ودرست الآمال إلا منك، وانقطع الرّجاء إلا من جهتك.."(١).

هذا ما يجأر به جعفر ويلجأ به إلى الله فهو لا يملك شيئًا من النفع، أو الضر لنفسه فكيف لغيره، وإذا كان ذلك في حياته فهو بعد موته أعجز.

وكثير من الأئمة نقل عنهم أمثال هذه الدعوات [انظر - مثلاً -: باب الأدعية والأذكار من البحار].

كما تنقل كتب الشيعة أن أمير المؤمنين عليًا صور حالته في القبر في مناجاته لربه فقال: "إلهي كأني بنفسي قد أضجعت في حفرتها، وانصرف عنها المشيعون من جيرتها.. ولم يخف على الناظرين ضرّ فاقتها.. قد توسدت الثرى وعجز

---

(١) بحار الأنوار: ٣١٨/٨٦، مهج الدّعوات ص٢١٦ .

حيلتها.. " فليس له حيلة في نفسه إلا برحمة من الله وفضل، فكيف يطلب منه في قبره الشفاعة والغفران وينسى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم.

والحسين لم يستطع أن يدفع عن نفسه القتل فكيف يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله؟! وقد نقلت كتب الشيعة أن النبي ﷺ كان يعوذه هو والحسن بهذه العوذة وهو هذا الدعاء: بسم الله الرحمن الرحيم: أعيذ نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وخواتيم عملي، وما رزقني ربي وخولني بعزة ربي وعظمة الله.. إلخ فهو أضعف من أن يقي نفسه شر ما يصيبها إلا بحفظ الله، فإذا كان ذلك في حياته فهو بعد موته أعجز، والله سبحانه لم يجعل بينه وبين خلقه واسطة إلا الرسل للإبلاغ والبيان.

واليك البيان من سورة القصص بتفسير ابن كثير :

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ * وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ * وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ * فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ * فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾. يقول تعالى مخبراً عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة، حيث يناديهم فيقول: ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ يعني: أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا، من الأصنام والأنداد، هل ينصرونكم أو ينتصرون؟ وهذا على سبيل التقريع والتهديد، كما قال: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقوله: ﴿ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾ يعني: من الشياطين والمَرَدَة والدعاة إلى الكفر، ﴿ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾، فشهدوا عليهم أنهم أغووهم فاتبعوهم ، ثم تبرؤوا من عبادتهم ، كما قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم: ٨١، ٨٢] ، وقال: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف: ٥ ، ٦] ، وقال الخليل لقومه: ﴿ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [

العنكبوت: ٢٥] ، وقال الله (١): ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧] ، ولهذا قال: ﴿ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ﴾ [أي] .

ـ٢ـ ليخلصوكم مما أنتم فيه، كما كنتم ترجون منهم في الدار الدنيا، ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ ﴾ أي: وتيقنوا أنهم صائرون إلى النار لا محالة.

وقوله: ﴿ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ أي: فودوا حين عاينوا العذاب لو أنهم كانوا من المهتدين في الدار الدنيا. وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا. وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ [الكهف: ٥٢، ٥٣].

وقوله : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾: النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات: ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يُسأل العبد في قبره: مَنْ ربك؟ ومَنْ نبيك؟ وما دينك (٣)؟ فأما المؤمن فيشهد أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله (٤) ورسوله. وأما الكافر فيقول: هاه.. هاه. لا أدري؛ ولهذا لا جواب له يوم القيامة غير السكوت؛ لأن مَنْ كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ولهذا قال تعالى: ﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لا يَتَسَاءَلُونَ ﴾.

وقال مجاهد: فعميت عليهم الحجج ، فهم لا يتساءلون بالأنساب.

وقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ أي: في الدنيا، ﴿ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾

أي: يوم القيامة، و"عسى" من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنّه لا محالة.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ * وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾. يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب فقال: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ أي: ما يشاء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خيرها وشرها بيده ، ومرجعها إليه. وقوله:

﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ نفي على أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقد اختار ابن جرير أن ﴿ مَا ﴾ هاهنا بمعنى "الذي"، تقديره: ويختار الذي لهم فيه خيرة. وقد احتج بهذا المسلك طائفة المعتزلة على وجوب مراعاة الأصلح. والصحيح أنها نافية، كما نقله ابن أبي حاتم، عن ابن عباس وغيره أيضا، فإن المقام في بيان انفراده تعالى بالخلق والتقدير والاختيار، وأنه لا نظير له في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: من الأصنام والأنداد، التي لا تخلق ولا تختار شيئًا.

ثم قال: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ أي: يعلم ما تكن الضمائر، وما تنطوي عليه السرائر، كما يعلم ما تبديه الظواهر من سائر الخلائق، ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [الرعد: ١٠].

وقوله: ﴿ وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ ﴾ أي: هو المنفرد بالإلهية، فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ويختار سواه ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ ﴾ أي: في جميع ما يفعله هو المحمود عليه، لعدله وحكمته ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ أي: الذي لا معقب له ، لقهره وغلبته وحكمته ورحمته، ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ أي: جميعكم يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، من خير وشر، ولا يخفى عليه منهم خافية في سائر الأعمال.

وأقول أنا الباحث فى ختام هذا المبحث لو أن المصنف وأمثاله تدبروا آيات الله سبحانه وتعالى بنية خالصة وهم صادقون مع الله يريدون لأنفسهم ولأتباعهم الهداية والاستقامة على منهج الله، لوقفوا على كل آية يطلبون المدد والعون من الله أن يوفقهم لفهمها والعمل بها على مراد الله ومراد رسوله ﷺ، وبخاصة الآيات التى تتعلق بهذا المبحث ومنها آيات سورة الأنعام وكل السورة دعوة الى التوحيد والتحذير من الشرك ومنها قوله سبحانه وتعالى الآيات ٦٢ وما بعدها وهى تبين أن الله هو مولانا الحق ولا مولى لنا غيره وأنه وحده سبحانه ينجينا بعد دعائنا وتضرعنا اليه ينجينا من كل كرب، ويحذرنا من الخوض فى آياته أو القعود مع من يخوضون فى آياته وهذا ينسحب على من يستمع أو يقرأ لعلماء الشيعة لأنهم أجرأ الناس فى هذا الأمر وما تحدثنا عنهم فيما سبق وما سيأتى خير دليل على ما أقول، واقرأ الآيات رقم ٧٠ من نفس السورة وما بعدها وهى تدعونا الى ترك والبعد عن أقوال هؤلاء المبطلين

الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ووعدهم الله العذاب الأليم وبعدها يبين سبحانه أن دعاء أى أحد من دون الله لا ينفع ولا يضر فقال سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ أَنَدْعُو من دُونِ اللهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ,وفى الآية ٨٢ - بين سبحانه أن التوحيد يطلق عليه لفظ الايمان وأن أهل الايمان ما دخلوا فى الايمان الا بعد تحقيق التوحيد وبين سبحانه أن الأمن لا يكون الا لهم فى الدنيا والآخرة كما سلف فأين هم من هذه الآيات، ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ والظلم فى هذه الآية فسرها النبى ﷺ لأصحابه بالشرك، حتى حين تتحدث الآيات عن أنبياء الله ورسله بين أن هذا هو الهدى الذى امروا به ولو أشركوا لحبط عملهم كما فى الآية رقم ٨٨- الأنعام.

والله يقول: ﴿ إِنَّ وَلِيِّـيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ * وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾(١٩٦-١٩٧)الأعراف.

المبحث الرابع

قوله: إن الإمام يُحرّم ما يشاء ويُحلّ ما يشاء

المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة يستمر فى اضلال الشيعة من خلال ما أتى فى مصنفه من أباطيل وبدع منكرة والاجدر بنا ألا نناقش أو نرد عليه ولكن أولى بنا أن ننادى كل علماء العالم الاسلامى وكل الهيئات والمؤسسات العلمية والمجامع العلمية أن يتحدوا ويقفوا صفاً واحداً فى وجه هذا الخطر العظيم والشر المستطير وأن يخطوا خطوات جادة وأن يصدروا قرارات ملزمة من خلال من بيدهم القرار لحرق هذه المصنفات التى تدعو الى الكفر والشرك والى فرقة المسلمين من خلال تغيير عقائدهم، وهذا المبحث من الخطورة بمكان اذ يزعم فيه علماء الشيعة أن الامام يحل ويحرم ما يشاء ووجدت الروايات التى يستند عليها كعادته مكذوبة وكلها مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، وكل ما يدور حوله المصنف ويريد أن يعلمه أتباعه أن دينهم يختلف عن دين أهل السنة ليتسنى له ولأمثاله السيطرة على الشيعة من خلال هذه الأباطيل والمنكرات، من هذا يزعم أن أمر الحلال والحرام يتجدد كل عام، وكذلك يزعم أن الوحى لم ينقطع لأن الروح بزعمه الذى هو أعظم من جبريل كان مع النبى

ولا يزال مع الأئمة يعلمهم ويسددهم وبخاصة فى ليلة القدر كل عام يدفعون الى امام الزمان وصاحب الوقت الى آخر هذه الخرافات والخزعبلات التى أتى بها علماء الشيعة لأتباعهم ليسهل عليهم السيطرة على عقولهم وقلوبهم من خلال هذه الأوهام، بل يزعمون كذباً وزوراً على آل البيت أن الله يبعث فيهم من يعلم الكتاب وأنهم يكتمون الحلال والحرام ولا يحدثون به أحد، ولست أدرى ماذا يريد علماء الشيعة؟ من هذا الكذب أهو مدح آل البيت أم ذمهم والواضح من هذه الأقوال ذمهم وعداوتهم اذ معنى هذا أنهم يتهمونهم بهذه الفرية لينالهم وعد الله فى قوله سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١٥٩- البقرة).

واليك هذه النصوص من تفسير المصنف :

في تفسير العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: انا أهل بيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره وإن عندنا من حلال الله وحرامه ما يسعنا كتمانه ما نستطيع أن نحدث به احدا.

المقدمة السادسة

في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه وتأويل ذلك:

وفي الكافي عن محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات في القرآن ليس هي عندنا كما نسمعها ولا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم فقال لا اقرأوا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم.

فقال له علي: يا طلحة إن كل آية أنزلها الله عز وجل على محمد (صلى الله عليه وآله) عندي بإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط يدي وتأويل كل آية أنزلها الله على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكل حلال وحرام أو حد أو حكم أو شيء يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة مكتوب بإملا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وخط يدي حتى أرش الخدش.

المقدمة التاسعة

ليلة القدر؟ فقال: أخبرني عن ليلة القدر كانت أو تكون في كل عام؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام) لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن. أقول: وذلك لأن في ليلة

القدر ينزل كل سنة من تبيين القرآن وتفسيره ما يتعلق بأمور تلك السنة إلى صاحب الأمر (عليه السلام) فلو لم يكن ليلة القدر لم ينزل من أحكام القرآن ما لا بد منه في القضايا المتجددة وإنما لم ينزل ذلك إذا لم يكن من ينزل عليه وإذا لم يكن من ينزل عليه لم يكن قرآن لأنهما متصاحبان لن يفترقا حتى يردا على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حوضه كما ورد في الحديث المتفق عليه وقد مضى معنى تصاحبهما.

والمستفاد من مجموع هذه الأخبار، وخبر الياس الذي أورده في الكافي في باب شأن إنا أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها من كتاب الحجة إن القرآن نزل كله جملة واحدة في ليلة ثلاث وعشرين من شهر رمضان إلى البيت المعمور وكأنه اريد به نزول معناه على قلب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما قال الله نزل به الروح الأمين على قلبك ثم نزل في طول عشرين سنة نجوما من باطن قلبه إلى ظاهر لسانه كلما آتاه جبرئيل (عليه السلام) بالوحي وقرأه عليه بألفاظه وأن معنى انزال القرآن في ليلة القدر في كل سنة إلى صاحب الوقت انزال بيانه بتفصيل مجمله وتأويل متشابهه وتقييد مطلقه وتفريق محكمه من متشابهه.

تنزل الملئكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر القمي قال تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه.

ما سبق من تفسير المصنف

قوله: إن الإمام يُحرّم ما يشاء ويُحلّ ما يشاء

الرد والنقد (١):

من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرع وحده سبحانه، يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء، لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إمامًا يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى، آية: ٢١] فأشرك مع الله غيره.

والمصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة تزعم في رواياتهم أن الله سبحانه وتعالى "خلق محمّدًا وعليًّا وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع

(١) نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة.

الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوّض أمورهم إليها، فهم يحلّون ما يشاءون ويحرّمون ما يشاءون"(١).

وقد بين شيخهم المجلسي بعض فقرات هذا النص فقال: "وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السّماويّات والأرضيّات، كشقّ القمر وإقبال الشّجر وتسبيح الحصى وأمثالها ممّا لا يحصي، وفوّض أمورها إليهم من التّحليل والتّحريم والعطاء والمنع.." ثم بين أن ظاهر هذا النص يدل على تفويض الأحكام "أحكام التحليل والتحريم إليهم".

وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص، والمجلسي في البحار وغيرهم عن أبي جعفر قال: "من أحللنا له شيئًا أصابه من أعمال الظّالمين [الظّالمون في معتقدهم هم خلفاء الدّولة الإسلاميّة، ما عدا أمير المؤمنين عليًا وابنه الحسن رضي الله عنهما؛ لأنّ بقيّة أئمّتهم لم يتولّوا الخلافة ولا يومًا واحدًا، وكلّ خليفة من غيرهم هو ظالم غاصب لحقّ الأئمّة على حدّ زعمهم] فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال، وما حرموا فهو حرام"(٢).

هكذا يصرحون بأن للأئمة حق التشريع والتحليل والتحريم فما أحلوه من بين مال المسلمين فهو حلال، وما حرموه فهو حرام... فجعل هؤلاء من أئمتهم أربابًا من دون الله، لأن جعلهم جهة تحريم وتحليل وتشريع هو شرك في توحيد الربوبية، لأن الحاكمية والتشريع لله، كما أن طاعتهم في تشريعهم المخالف لشريعة رب العالمين، والتي قد تنسخ أو تقيد أو تخصص ما جاء به خاتم النبيين هو عبودية لهم من دون الله.. وحق التشريع لا يملكها إلا رب العباد، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم.

الـرد:

من أقوال المفسرين:

وقد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ [التوبة،

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٤٤١ .

(٢) الاختصاص: ص٣٣٠، بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٣٤، وانظر: بصائر الدرجات: ص١١٣ .

آية: ٣١] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام، ويحرمون من الحلال - كما جاء في تفسير الآية(١).

وقد جاء في أصول الكافي ما يقر بهذا في تأويل الآية، حيث قال أبو عبد الله: "أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حرامًا، وحرموا عليهم حلالاً من حيث لا يشعرون"(٢)- عبادة لهم، حيث "تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل"(٣).

وقد شابه اعتقاد المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة في أئمتهم ومشايخهم اعتقاد النصارى في رؤسائهم؛ فالجميع اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله سبحانه.

والمصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة حينما اعتقدت في أئمتها أنهم جهة تشريع أكملت ذلك بدعواها أن الناس جميعًا عبيد للأئمة لتتضح صورة الشرك أكثر.

مع أن الله سبحانه يقول: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران، آية: ٧٩].

فالناس جميعًا عبيد لله وحده لا لأحد سواه، ولو كان من عباد الله المرسلين الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة، فكيف بأئمة الشيعة، أو من تدعي فيه الإمامة.

من تفسير المصنف:

سورة النحل (٤٣) فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. في الكافي والقمي والعياشي عنهم عليهم السلام في أخبار كثيرة أن رسول الله الذكر وأهل بيته المسؤولون وهم أهل الذكر.

وفي الكافي عن السجاد عليه السلام على الأئمة من الفرض ما ليس على شيعتهم وعلى شيعتنا ما ليس علينا أمرهم الله أن يسألونا قال فاسألوا أهل الذكر إن

(١) تفسير الطبري: ١٠/ ١١٣-١١٤، تفسير ابن كثير: ٢/ ٣٧٣-, ٣٧٤
(٢) أصول الكافي: ١/ ٥٣، وتفسير الصافي للكاشاني: ٢/ ٣٣٦).
(٣) ابن عطية/ المحرر الوجيز: ٨/ ,١٦٦

كنتم لا تعلمون فأمرهم أن يسألونا وليس علينا الجواب إن شيءنا أجبنا وإن شيءنا أمسكنا ومثله عن الباقر والرضا عليهما السلام (من تفسير المصنف) وبما أن الأئمة - حسب اعتقاد المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم من الشيعة - جهة تحليل وتحريم، جهة تحليل وتحريم، فإن لهم الخيار في أن يبينوا للناس أمر الحلال والحرام وأن يكتموا.

جاء في الكافي وغيره: "عن معلى بن محمد عن الوشاء قال: سألت الرضا رضي الله عنه فقلت له: جعلت فداك ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل، آية:٤٣، الأنبياء، آية:٧] فقال: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون، قلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم، قلت: حقًا علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت: حقًا عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا، ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل"(١) [والمصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم] .وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم [انظر: أصول الكافي، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام: أنهم عليهم السلام الذكر وأهل الذكر وأنهم المسؤولون، وأنه فرض على شيعتهم المسألة ولم يفرض عليهم الجواب.

الردود والنقد:

من تفسير ابن كثير من سوة يونس

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (١) أي: بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق (٢) فليفرحوا، فإنه أولى ما يفرحون به، ﴿ هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ أي: من حطام الدنيا وما فيها من الزهرة الفانية الذاهبة لا محالة، ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِن رِزْقٍ فَجَعَلْتُم مِنْهُ حَرَامًا وَحَلالا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ * وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: نزلت إنكاراً على المشركين فيما كانوا يحرمون ويحلون من البحائر والسوائب والوصايا، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾ [الأنعام: ١٣٦] الآيات.

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٢١٠-٢١١، تفسير القمي: ٢/ ٦٨ .

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت أبا الأحوص - وهو عوف بن [مالك بن] نضلة - يحدث عن أبيه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قَشْف الهيئة، فقال: "هل لك مال؟" قال: قلت: نعم. قال: "من أي المال؟" قال: قلت: من كل المال، من الإبل والرقيق والخيل والغنم. فقال إذا آتاك مالا فَلْيُرَ عليك". وقال: "هل تنتج إبل قومك صحاحا آذانُها، فتعمَد إلى موسى فتقطع آذانها، فتقول: هذه بحر وتشقها، أو تشق جلودها وتقول: هذه صُرُم، وتحرمها عليك وعلى أهلك؟" قال: نعم. قال: "فإن ما آتاك الله لك حل، وساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك" وذكر تمام الحديث (١).

ثم رواه عن سفيان بن عيينة، عن أبي الزعراء عمرو بن عمرو، عن عمه أبي الأحوص(٢) لا وعن بَهْز بن أسد، عن حماد بن سلمة، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي الأحوص، به(٣) وهذا حديث جيد قوي الإسناد.

وقد أنكر [الله] تعالى على من حرّم ما أحل الله، أو أحل ما حرم بمجرد الآراء والأهواء، التي لا مستند لها ولا دليل عليها. ثم توعدهم على ذلك يوم القيامة، فقال: ﴿ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ أي: ما ظنهم أن يُصنَع بهم يوم مرجعهم إلينا يوم القيامة.

وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ قال ابن جرير: في تركه معاجلتهم بالعقوبة في الدنيا.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد لذو فضل على الناس فيما أباح لهم مما خلقه من المنافع في الدنيا، ولم يحرم عليهم إلا ما هو ضار لهم في دنياهم أو دينهم. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ ﴾ بل يحرمون ما أنعم الله [به] عليهم، ويضيقون على أنفسهم، فيجعلون بعضا حلالا وبعضا حراما. وهذا قد وقع فيه المشركون فيما شرعوه لأنفسهم، وأهل الكتاب فيما ابتدعوه في دينهم. وقال ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي الحواري، حدثنا رباح، حدثنا عبد الله بن

---

(١) المسند (٣/ ٤٧٣).
(٢) المسند (٤/ ١٣٧).
(٣) المسند (٣/ ٤٧٣).

سليمان، حدثنا موسى بن الصباح في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ قال: إذا كان يوم القيامة، يؤتى بأهل ولاية الله عز وجل، فيقومون بين يدي الله عز وجل ثلاثة أصناف قال: فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول: عبدي، لماذا عملت؟ فيقول: يا رب: خلقت الجنة وأشجارها وثمارها وأنهارها، وحورها ونعيمها، وما أعددت لأهل طاعتك فيها، فأسهرتُ ليلي وأظمأتُ نهاري شوقا إليها.

قال: فيقول الله تعالى: عبدي، إنما عملت للجنة، هذه الجنة فادخلها، ومن فضلي عليك أن أعتقتك من النار، [ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي] قال: فيدخل هو ومن معه الجنة.

قال: ثم يؤتى برجل من الصنف الثاني، قال: فيقول: عبدي، لماذا عملت؟ فيقول: يا رب، خلقت نارا وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها ويحمُومها، وما أعددت لأعدائك وأهل معصيتك فيها فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفا منها. فيقول: عبدي، إنما عملت ذلك خوفا من ناري، فإني قد أعتقتك من النار، ومن فضلي عليك أن أدخلك جنتي. فيدخل هو ومن معه الجنة.

ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث، فيقول: عبدي، لماذا عملت؟ فيقول: رب حبًا لك، وشوقا إليك، وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليك وحبا لك، فيقول تبارك وتعالى: عبدي، إنما عملت حبا لي وشوقا إلي، فيتجلى له الرب جل جلاله، ويقول: ها أنا ذا، انظر إلي ثم يقول: من فضلي عليك أن أعتقك من النار، وأبيحك جنتي، وأزيرك ملائكتي، وأسلم عليك بنفسي. فيدخل هو ومن معه الجنة. ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾.

يخبر تعالى نبيه، صلوات الله عليه وسلامه أنه يعلم جميع أحواله وأحوال أمته، وجميع الخلائق في كل ساعة وآن ولحظة، وأنه لا يعزُب عن علمه وبصره مثقالُ ذرة في حقارتها وصغرها في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر منها ولا أكبر إلا في كتاب مبين، كقوله: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩] ، فأخبر تعالى أنه يعلم حركة الأشجار وغيرها من الجمادات وكذلك

الدواب السارحة في قوله: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

وإذا كان هذا علمه بحركات هذه الأشياء ، فكيف بعلمه بحركات المكلفين المأمورين بالعبادة، كما قال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩] ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي: إذ تأخذون في ذلك الشيء نحن مشاهدون لكم راءون سامعون، ولهذا قال، عليه السلام لما سأله جبريل عن الإحسان [قال] أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" (١) .

مع أن هذا لم يكن لرسول الهدى ﷺ أفضل الرسل أجمعين. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل، آية: ٤٤] ، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة، آية: ٦٧].

وقد جاء الوعيد الشديد لمن كتم ما أنزل الله من الهدى والحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾ [البقرة: آية:١٥٩].

وقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: "من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"(٢). فهل بيان ما يحتاج الناس إليه من الحق والهدى خاضع للإرادات والمزاج والهوى حتى يقال: "ليس علينا الجواب إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا" ؟!

ولأن البيان والتعليم خاضع لإرادة أئمة الشيعة، فقد ظل الشيعة - كما تقول

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٨) من حديث عمر بن الخطاب الطويل.

(٢) أخرجه أحمد: ٢/ ٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٨، وأبو داود في العلم، باب كراهية منع العلم: ٤/ ٦٧ (٣٦٥٨)، والترمذي في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم: ٥/ ٢٩ (٢٦٤٩)، وقال الترمذي: حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه: ١/ ٩٦ (٢٦١)، والحاكم: ١/ ١٠١، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان: ١/ ٢٦٠ .

أخبارهم - "لا يعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر (محمد الباقر) ففتح لهم، وبين مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم" "ولم يكتف الشيعة بذلك بل زعموا أن لأئمتهم "حق" إضلال الناس، وإجابتهم بالأجوبة المختلفة المتناقضة، لأنه قد فوض إليهم ذلك. جاء في الاختصاص للمفيد عن موسى بن أشيم قال: دخلت على أبي عبد الله فسألته عن مسألة فأجابني فيها بجواب، فأنا جالس إذ دخل رجل فسأله عنها بعينها فأجابه بخلاف ما أجابني وخلاف ما أجاب به صاحبي، ففزعت من ذلك وعظم عليَّ، فلما خرج القوم نظر إليَّ وقال: يا ابن أشيم إن الله فوض إلى داود أمر ملكه فقال: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة ص، آية: ٣٩] ، وفوض إلى محمد ﷺ أمر دينه فقال: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾ [الحشر، آية:٧] ، وإن الله فوض إلى الأئمة منا وإلينا ما فوض إلى محمد ﷺ فلا تجزع"(١) .

وهكذا يفترون الكذب. . فالأئمة - كما تقول أخبارهم - هم المشرعون، وأمر التحليل والتحريم بأيديهم، ولهم حق كتمان ما يحتاج الناس إليه حتى أركان الإسلام وأصوله إن شاءوا أجابوا الناس، وإن شاءوا منعوهم، ولذلك ظل الشيعة في جهل في أمر الحج - كما يشهدون على أنفسهم - إلى زمن الباقر؛ لأنهم لا يأخذون مما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ وإنما يأخذون ما جاء عن الأئمة، والأئمة كتموا أمر المناسك عليهم.

وتستمر مسيرة الافتراء بأيدي هؤلاء القوم على دين الله وكتابه، ورسوله وأهل بيته، وهم يتسترون على هذه الدعاوى المنكرة، والاتجاهات الكافرة بدعوى التشيع لآل البيت، فهل هؤلاء شيعة لعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين وهم يفترون عليهم. . كل هذه الافتراءات، ويرمونهم بأنهم لم يبينوا للناس أمر الحلال والحرام، والحج، وأن من شرعتهم كتمان الحق، وإضلال الناس بالأجوبة المتناقضة؟

وكل هذا فانما يدل على أن علماء الشيعة ابتعدوا بعيداً عن القرآن والسنة، وهذا من أظلم الظلم حين يترك المسلم التوحيد ويذهب الى الشرك وذلك بمكر من هؤلاء الظلمة أعداء الاسلام من أمثال المصنف ومن ينقل عنهم هذا الكفر البواح واليك الرد من سورة الفرقان والتفسير من تفسير ابن كثير: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا

---

(١) [الاختصاص: ص٣٢٩-٣٣٠، بحار الأنوار: ٢٣/ ١٨٥] .

لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا ﴾: يخبر تعالى عن ندم الظالم الذي فارق طريق الرسول وما جاء به من عند الله من الحق المبين، الذي لا مرية فيه، وسلك طريقا أخرى غير سبيل الرسول، فإذا كان يوم القيامة نَدمَ حيثُ لا ينفعه النَدَمُ، وعضّ على يديه حسرةً وأسفا.

وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي مُعَيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا × رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٦٦ - ٦٨] فكل ظالم يندم يوم القيامة غاية الندم، ويَعَض على يديه قائلا ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا ﴾ يعني: مَن صرفه عن الهدى، وعدل به إلى طريق الضلالة [من دعاة الضلالة]، وسواء في ذلك أمية بن خلف، أو أخوه أبي بن خلف، أو غيرهما. ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ ﴾ [وهو القرآن] ﴿ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴾ أي: بعد بلوغه إلي، قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا ﴾ أي: يخذله عن الحق، ويصرفه عنه، ويستعمله في الباطل، ويدعوه إليه.

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا . وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ يقول تعالى مخبرا عن رسوله ونبيه محمد - صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين - أنه قال: ﴿ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾، وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغُون للقرآن ولا يسمعونه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعوه. فهذا من هجرانه، وترك [علمه وحفظه أيضا من هجرانه، وترك] الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدولُ عنه إلى غيره - من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره - من هجرانه ، فنسأل الله الكريمَ المنانَ القادرَ على ما يشاء، أن يخلّصنا مما يُسْخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطرافَ النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب. وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ أي: كما حصل لك - يا محمد - في قومك من الذين هجروا القرآن، كذلك كان في الأمم الماضين؛ لأن

الله جعل لكل نبي عدوا من المجرمين، يدعون الناس إلى ضلالهم وكفرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢ - ١١٣] ؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ أي: لمن اتبع رسوله، وآمن بكتابه وصدقه واتبعه، فإن الله هاديه وناصره في الدنيا والآخرة. وإنما قال: ﴿ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ لأن المشركين كانوا يصدون الناس عن اتباع القرآن، لئلا يهتدي أحد به، ولتغلب طريقتهم طريقة القرآن؛ فلهذا قال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾.

خاتمة البحث

أقول أنا الباحث أن المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة جعلوا من الأئمة أرباباً من دون الله بهذه الأقوال السابقة فى المباحث التى عرضتها سالفاً، ويصدق فيهم قول الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ٦٤- آل عمران وفى نفس السورة الآيات ٧٨- ٨٣، تتحدث عن أهل الكتاب وما هم فيه من ضلال ومن دعوتهم أتباعهم الى اتخاذ بشراً مثلهم ليعبدونهم من دون الله وحكم على هؤلاء بالكفر، وعلماء الشيعة يفعلون مثلما فعل أهل الكتاب ودعوا الى مادعا اليه أهل الكتاب وينسحب عليهم حكم الله الذى حكم به على أهل الكتاب ، وكما قلت وأكرر قولى أنهم يدعون الى دين غير دين الاسلام والاسلام منهم برىء، وأختم بختام هذه الآيات التى نوهت اليها بقوله سبحانه وتعالى ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ الآية ٨٣ آل عمران.

الفصل الثاني
أقواله في توحيد الربوبية

توحيد الربوبية:

سبق وأن تحدثت أنا محمود صالح فى الفصل الأول عن توحيد الألوهية وذكرت هناك الفرق بينه وبين توحيد الربوبية، وأذكر هنا أن توحيد الربوبية باختصار هو توحيد الله بفعله هو، فتوحيد الربوبية هو إفراد الله سبحانه بالملك والخلق والتدبير، فيؤمن العبد بأنه سبحانه الخالق الرازق، المحيي، المميت، النافع، الضار، المالك، المدبر، له الخلق والأمر كله، ولقد اطلعت على تفسير ابن كثير لآية الحمد فوجدتها مناسبة للباب ليتبين لنا الفرق بين قول الحق من مفسرى علماء السنة، ومفسرى أهل الباطل، كما قال سبحانه: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ تفسير ابن كثير للآية.

القراء السبعة على ضم الدال من قوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ وهو مبتدأ وخبر قال أبو جعفر بن جرير: معنى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذّاهم به من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخراً.

[وقال ابن جرير: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ (١) .

قال: وقد قيل: إن قول القائل : الحمد لله، "ثناء عليه بأسمائه وصفاته الحسنى(٢)، وقوله: الشكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه، ثم شرع في رد ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان العرب يوقعون كلا من الحمد والشكر مكان

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٦٠).

(٢) سنن الترمذي برقم (٣٣٣٤) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٥٨) وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٤٤).

الآخر.

[وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصادق وابن عطاء من الصوفية. وقال ابن عباس: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمة كل شاكر، وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرًا.

وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا: أيهما أعم، الحمد أو الشكر؟ على قولين، والتحقيق أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشكر من حيث ما يقعان عليه ؛ لأنه يكون على الصفات اللازمة والمتعدية، تقول: حَمدته لفروسيته وحمدته لكرمه. وهو أخص لأنه لا يكون إلا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه، لأنه يكون بالقول والعمل والنية، كما تقدم، وهو أخص لأنه لا يكون إلا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليّ. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين، والله أعلم.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حَمَّاد الجوهري: الحمد نقيض الذم، تقول: حَمِدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدة، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر. وقال في الشكر: هو الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف، يقال: شكرته، وشكرت له. وباللام أفصح.

ذكر أقوال السلف في الحمد ورواه غير أبي مَعْمَر، عن حفص، فقال: قال عمر لعلي، وأصحابه عنده: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، قد عرفناها، فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها [الله] لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحب أن تقال.

وقال علي بن زيد بن جُدْعَان، عن يوسف بن مِهْرَان، قال: قال ابن عباس: الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد: الحمد لله، قال: شكرني عبدي. رواه ابن أبي حاتم.

وروى - أيضًا - هو وابن جرير، من حديث بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: أنه قال: الحمد لله هو الشكر لله والاستخذاء له، والإقرار

له بنعمه وهدايته وابتدائه وغير ذلك.

وقد روى الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن، عن الأسود بن سريع، قال: قلت: يا رسول الله، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي، تبارك وتعالى؟ فقال: "أما إن ربك يحب الحمد"

وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ". قال القرطبي وغيره: أي لكان إلهامه الحمد لله أكبر نعمة عليه من نعم الدنيا؛ لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى، قال الله تعالى: ﴿ المَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وحكى القرطبي عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين، أفضل من قول: لا إله إلا الله؛ لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد، وقال آخرون: لا إله إلا الله أفضل لأنها الفصل بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر في السنن: "أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له".

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد، وصنوفه لله تعالى كما جاء في الحديث: "اللهم لك الحمد كله، ولك الملك كله، وبيدك الخير كله، وإليك يرجع الأمر كله" الحديث.

﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ والرب هو: المالك المتصرف، ويطلق في اللغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى. [ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة تقول: رب الدار رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم. والعالمين: جمع عالم، [وهو كل موجود سوى الله عز وجل]، والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات [في السماوات والأرض] في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالمًا أيضًا. قال بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] الحمد لله الذي له الخلق كله، السماوات والأرضون، ومن فيهن وما بينهن، مما نعلم، وما لا نعلم.

وفي رواية سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس: رب الجن والإنس.

وكذلك قال سعيد بن جبير، ومجاهد وابن جريج، وروي عن علي [نحوه] .وقال ابن أبي حاتم : بإسناد لا يعتمد عليه.

واستدل القرطبي لهذا القول بقوله: ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١] وهم الجن والإنس. وقال الفراء وأبو عبيدة: العالم عبارة عما يعقل وهم الإنس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهائم: عالم، وعن زيد بن أسلم وأبي عمرو بن العلاء كل ما له روح يرتزق.

وقال قتادة: رب العالمين، كل صنف عالم، وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: إن لله أربعين ألف عالم؛ الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها، وقال الزجاج: العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة. قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين؛ كقوله: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴾ والعالم مشتق من العلامة(قلت): لأنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز: فيا عجبا كيف يعصى الإله... أم كيف يجحده الجاحد وفي كل شيء له آية... تدل على أنه واحد ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ وقال: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ لا شريك له في ذلك سبحانه ولا نظير.

لقد بين القرآن العظيم أن مشركي قريش مع كفرهم بعبادته سبحانه وصرفهم أنواعًا من العبادات لغيره، إلا أنهم يؤمنون بأن الله سبحانه هو خالقهم ورازقهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾، وقال: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾.

ولكنهم مع ذلك أشركوا مع الله غيره في عبادته، ولهذا قال سبحانه: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ قال مجاهد: "إيمانهم بالله قولهم: إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره"].

فهل كان المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عنهم الشيعة أكثر من المشركين في هذا؟

لقد بين أهل العلم أن الإيمان بربوبية الله سبحانه أمر قد فطر عليه البشر وأن

الشرك في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال لم يثبت عن طائفة من الطوائف في التاريخ البشري، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقًا خلق بعض العالم.

ولهذا كان السؤال: هل تأثر هذا الأصل في دين الشيعة؟، بمعنى هل وجد الإشراك الجزئي عندهم، باعتبار ما يولونه الأئمة من اهتمام، وما يعطونهم من أوصاف، وما يضفونه عليهم من ألقاب؟

سيتبين هذا من خلال التتبع لما جاء عن المصنف فى تفسيره (الصافى) وما ينقل عن أئمتهم في كتبهم المعتمدة، ورواياتهم المعتبرة عندهم، حيث أعرض أربعة مباحث: أولها: قولهم: إن الرب هو الإمام، وثانيها: اعتقادهم أن الدنيا والآخرة للإمام، وفي المبحث الثالث: قولهم: إن السحاب والرعد هو من أمر الأئمة، ومسخر للأئمة وهو ما أسميته (إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة)، وفي المبحث الرابع: قولهم بحلول جزء إلهي في الأئمة، وهذا شرك في الربوبية.

المبحث الأول

قوله: إن الرب هو الإمام

فى هذا المبحث وجدت المصنف ينقل عن أهل الباطل من علماء الشيعة ويضيف من عنده أشياء ويقول خذ هذا فهو من مكنون العلم وأسراره فلا يفهمه الا الراسخون فى العلم ويحيل القارىء الى كتابه المسمى بالوافى، وفى كتاب الوافى كفر وأباطيل نقلت منه بعض مافيه وذلك من كتاب أصول مذهب الشيعة ونقلت عنه ما نقله عنه فى الفصل السابق وهذا مما يخدم موضوعنا فى توحيد الألوهية، وهذا انما يدل على ان المصنف لم يخرج فى تفسيره من الباطل والكفر الا القليل بالنسبة لما فى كتابه الوافى، فنحن أمام فتنة عظيمة يجب أن نحذر منها فما ذكره المصنف فيما سبق كفر بواح وما سيأتى لا يقل كفراً عما سبق، فاذا كان المصنف فى توحيد الألوهية داعياً الى الشرك فهو فى توحيد الربوبية أكثر دعوة الى الشرك وجرأة على الله جل وعلا ،فى هذا المبحث فتجده يصف الامام بأوصاف الله سبحانه بل ويسمى الامام صراحة باسم الرب تماما كما فى الفصل السابق حين سمى الامام باسم الله صراحة، فمن هذا الباطل الذى زعمه المصنف أنه قال فى قول الله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ﴾ قال المصنف زاعماً بكذبه على آل البيت - بنا يمسك السماوات

والارض، أليس هذا تأويل المبطلين الذين يفترون على الله الكذب؟ بلى انه والله لهو الكفر بعينه الذى ما سبقهم أحد اليه بل كانوا هم أئمة لغيرهم فى هذا الكفر ويصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجَرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلاَّ بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (الأنعام -١٢٣)، وفى سورة الزمر قال صراحة أن رب الارض هو الامام وأن نور ربها هو نور الامام ، أليست كلمة الرب هنا ينقلها مباشرة الى الامام ويجعل كلمة الرب اسماً ووصفاً للامام فهل يدعى هذا علما أو تأويلاً، لا ورب الكعبة ان هذا لهو الضلال المبين واليك أيها القارىء هذه النصوص.

من تفسير المصنف:

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إن الله جعل الأئمة عليهم السلام أركان الأرض أن تميد بأهلها.

وفي الأكمال عن الباقر عليه السلام لو أن الأمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله وأنهارا وجعل فيها أنهارا وسبلا لعلكم تهتدون إلى مقاصدكم . القمي الذي يأمر بالعدل أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام العياشي عن الصادق عليه السلام نحن والله نعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما بين ذلك ثم قال إن ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية.

وفي الكافي عنه عليه السلام إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون ثم سكت هنيئة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال علمت ذلك من كتاب الله عز وجل إن الله يقول فيه تبيان كل شيء.

والقمي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال رب الأرض إمام الأرض قيل فإذا خرج يكون ماذا قال إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزؤون بنور الأمام عليه السلام

جاء في أخبارهم أن عليًا ـ كما يفترون عليه ـ قال: أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به مرآة الأنوار ص٥٩، وقد نقل ذلك عن بصائر الدرجات للصفار].

فانظر إلى هذا التطاول والغلو. . فهل رب الأرض إلا الواحد القهار، وهل يمسك السماوات والأرض إلا خالقهما سبحانه ومبدعهما.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ.. ﴾ [فاطر، آية: ٤١].

وقال إمامهم: "أنا رب الأرض" يعني إمام الأرض، وزعم أنه هو المقصود بقوله سبحانه: ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر، آية: ٦٩].

وفي قوله سبحانه: ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ [الكهف، آية: ٨٧] قالوا: يرد إلى أمير المؤمنين فيعذبه عذابًا نكرًا.

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: آية: ١١٠] .جاء في تفسير العياشي: يعني التسليم لعلي رضي الله عنه ولا يشرك معه في الخلافة من ليس له ذلك ولا هو من أهله [تفسير الصافي ٣/ ٢٧٠] ، وبنحو ذلك جاء تأويلها عند القمي في تفسيره [انظر: تفسير القمي: ٢/ ٤٧].

ولا تظن أن هذا التأويل من باب أن رب تأتي في اللغة بمعنى صاحب أو سيد، إذ إن هذه الآيات نص في الرب سبحانه لا يحتمل سواه، فالإضافة عرفته وخصصته.

وفي قوله سبحانه: ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: آية: ١١٠] .جاء في تفسيرالمصنف التسليم لعلي رضي الله عنه ولا يشرك معه في الخلافة من ليس له ذلك ولا هو من أهله.

الـــــردود:

أقول أن الله سبحانه اصطفى من خلقه من البشر رسلاً الى قومهم وبين أنهم أفضل خلق الله لذلك اختارهم لأشرف مهمة ألا وهى دعوة البشر الى توحيد وعبادة الله وحده، وترك عبادة من سواه واليك أقوال أهل العلم من العلماء الربانيين الذين يفسرون القرآن بالأدلة المعتبرة من الكتاب والسنة وبفهم سلف الأمة.

تفسير الطبرى:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، معبود واحد لا ثاني له، ولا شريك ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ﴾ يقول: فمن يخاف

ربه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا﴾ يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان ﴿ وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ قال: لا يرائي حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن عبد الكريم الجزري، عن طاوس ، قال: جاء رجل، فقال: يا نبيّ الله إني أحبّ الجهاد في سبيل الله، وأحبّ أن يرى موطني ويرى مكاني، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ " .

ثانيا" تفسير ابن كثير":

﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾(٧٠) وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق، تبارك وتعالى، للخلائق لفصل القضاء، ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال، ﴿ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ ﴾ قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿وَالشُّهَدَاءِ ﴾ أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾ قال الله [تعالى] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ، وقال [الله] تعالى: ﴿ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠] ، ولهذا قال : ﴿ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ أي: من خير أو شر ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ إن هذه الآيات نص في الرب سبحانه لا يحتمل سواه، فالإضافة عرفته وخصصته. وقد قال أئمة اللغة: إن الرب إذا دخلت عليه (أل)لا يطلق إلاعلى الله سبحانه [المصباح المنير: ص٢٥٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

الأسماء والصفات نوعان: نوع يختص به الرب، مثل الإله ورب العالمين ونحو ذلك، فهذا لا يثبت للعبد بحال، ومن هنا ضل المشركون الذين جعلوا لله أندادًا، والثاني: ما يوصف به العبد في الجملة كالحي والعالم والقادر إلا أنه لا يجوز أن يثبت للعبد مثل ما يثبت للرب أصلاً [منهاج السنة: ١/ ٣٤٢] ..ولكن هؤلاء جعلوا لفظ الرب الخاص بالله سبحانه اسمًا لإمامهم عبر تأويلاتهم الكثيرة.

وهذه التأويلات وضعها لهم زنديق ملحد أراد بذلك صرف الشيعة عن ربها.. وقد تكون فرقهم التي قالت بربوبية عليّ، والرجال الذين ذهبوا هذا المذهب والذي نسمع نعيقهم إلى يومنا هذا قد شربوا من هذا المستنقع الآسن الذي احتفظت به كتب الاثني عشرية المعتمدة عندها.

وفى ختام هذا المبحث أقول أن المصنف ومن على شاكلته لم يتركوا شيئا" من أصول الدين ولا من فروعه الا اخترعوا كذباً وزوراً روايات مكذوبة ليستدلوا بها على باطلهم ليتمكنوا من خلال هذه الروايات تغيير وتحريف الدين، وأقول أن التلاعب بالالفاظ هى السمة الغالبة على هذا المصنف وكأنه يخاطب أقواماً لا عقول لهم ولو قرأ أى عاقل كلام الله لعلم أن علماء الشيعة نصّبوا من أنفسهم أنداداً لله، والرد عليهم من قوله سبحانه ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ ,والله أعلمنا أنه وحده الخالق المهيمن على هذا الكون وهو سبحانه بيّن لنا ذلك بقوله ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ والسؤال الذى يطرح نفسه أندع قول الملك الحق المبين ونتبع قول هؤلاء المبطلين المكذبين الذين يريدون أن يفسدوا عقائد المسلمين؟.

المبحث الثاني

قوله بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء

فى المبحث السابق ذكر المصنف أدلة يزعم فيها أن الرب هو الامام ويستمر فى ضلاله واضلاله ليحبك المسألة حبكاً ليؤكد لأتباعه أن الائمة لهم مالله وكأنهم أندادا وشركاء لله فى كل شىء وهو يحوم حول هذا المعنى، وهو مراده من كل هذا المكر دون أن يصرح به ولكنى أعدّها تلميحاً حتى لا يفتضح أمره، وكل من قرأ هذه المزاعم من أهل العلم المعتبرين حكم على علماء الشيعة بهذا، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ

عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .. اقرأ من آية ٦٠ الى الآية ٦٥ من سورة النمل

وحينما ننظر الى الروايات المكذوبة التى يستند عليها المصنف نجد الغلو الفاضح فى الأئمة، ومنها أن الجنة ميراث لآل محمد والشيعة، وأن الجنة والنار بزعمه الذى يدخل الناس فيها عليّ وشيعته، ومنها أنه يزعم أن الله فوض أمر جميع الأشياء اليهم، وأنه صراط الله الذى له ما فى السماوات وما في الارض قال يعني عليا عليه السلام إنه جعل خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليها الى آخر هذه الخزعبلات والخرافات واليك الأدلة مع الردود. ما سيأتى نقلا من تفسير الصافى في الكافي عن الباقر عليه السلام قال إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث رب العزة عليا عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنة فزوّجهم فعليّ والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة وما ذاك إلى أحد غيره كرامة من الله وفضلاً فضّله الله ومّن به عليه.

في التهذيب في أدعية نوافل شهر رمضان سبحان من خلق الجنة لمحمد وآل محمد سبحان من يورثها محمدا وآل محمد وشيعتهم.

بوحدانيته ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهرثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمرها إليهم الحديث والقمي عن الباقر عليه السلام ولكن جعلناه نورا قال يعني عليا عليه السلام وعلي هو النور هدى به من هدى من خلقه وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم قال يعني إنك لتأمر بولآية عليّ عليه السلام وتدعو إليها وعليّ عليه السلام هو الصراط المستقيم. صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض.

أقول: لما كان خلق العالم إنما هو للامام الذي لا تخلوا الارض منه وخلق الامام إنما هو للعبادة الناشئة من المعرفة المورثة لمعرفة اخرى كما حقق في محله صح ان يقال خلق الجن والانس إنما هو لحصول العبادة وعن الصادق عليه السلام قال إن الله عز وجل أدب رسوله حتى قومه على ما أراد ثم فوض إليه فقال عز ذكره وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهكم عنه فانتهوا فما فوض الله إلى رسوله فقد فوضه إلينا وفي رواية فوض إلى نبيه أمر خلقه لينظر كيف طاعتهم ثم تلا هذه الاية والاخبار في هذا المعنى كثيرة. ما سبق من تفسير المصنف الكاشانى

عقد صاحب الكافي لهذا بابًا بعنوان: "باب أن الأرض كلها للإمام" [انظر: أصول الكافي: ١/٤٠٧-٤١٠] ، ومما جاء فيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله.." [أصول الكافي: ١/٤٠٩] .

الـــــردود:

أليس في هذه النصوص شرك في ربوبية الله سبحانه؛ لأن الله جل شأنه يقول: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [البقرة، آية:١٠٧] ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [المائدة، آية:١٨] .ويقول جل شأنه: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ [المائدة، آية: ١٢٠] .وقال: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ [الفرقان، آية: ٢]، وقال سبحانه: ﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ﴾ [النجم، آية: ٢٥].

كما قال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [سبأ، آية: ٢٤] ، وقال سبحانه: ﴿ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ﴾ [فاطر، آية: ٣].

وقال: ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ [العنكبوت، آية: ١٧] فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك.

- من تفسير ابن كثير

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ* وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ ـ سورة ابراهيم.

يعدد تعالى نعمه على خلقه ، بأن خلق لهم السماوات سقفا محفوظًا (١) والأرض فراشًا، وأنزل من السماء ماء فأخرج به أزواجا من نبات شتى، ما بين ثمار وزروع، مختلفة الألوان والأشكال، والطعوم والروائح والمنافع، وسخر الفلك بأن جعلها طافية على تيار ماء البحر، تجري عليه بأمر الله تعالى، وسخر البحر يحملها

---

(١) ونموذج آخر من تفسير ابن كثير آخر آيات من سورة الاسراء

ليقطع المسافرون بها من إقليم إلى إقليم آخر، لجلب ما هنا إلى هناك، وما هناك إلى هاهنا، وسخر الأنهار تشق الأرض من قطر إلى قطر، رزقا للعباد من شرب وسقي وغير ذلك من أنواع المنافع.

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ﴾ أي: يسيران لا يقران ليلا ولا نهارا، ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: ٤٠] ، ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، فالشمس والقمر يتعاقبان، والليل والنهار عارضان [١] فتارة يأخذ هذا من هذا فيطول، ثم يأخذ الآخر من هذا فيقصر، ﴿ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان : ٢٩] ، وقال تعالى: ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [الزمر: ٥].

وقوله: ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ يقول: هيأ لكم كل ما تحتاجون إليه في جميع أحوالكم مما تسألونه بحالكم وقالكم.

وقال بعض السلف: من كل ما سألتموه وما لم تسألوه.

وقرأ بعضهم: "وأتاكم من كل ما سألتموه".

وقوله: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا ﴾ يخبر عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، كما قال طلق بن حبيب، رحمه الله: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين.

وفي صحيح البخاري: أن رسول الله ﷺ كان يقول: "اللهم ، لك الحمد غير مكفِيّ ولا مودَع، ولا مستغنى عنه ربَّنا".

وقال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا داود بن المُحبّر، حدثنا صالح المرْيّ عن جعفر بن زيد العَبْدي، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين، ديوان ، فيه العمل الصالح، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه النعم من الله تعالى عليه ، فيقول

---

(١) المفيد/ الاختصاص ص٣٢٧، بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٣، البرهان: ٢/ ٤٨٢ .

الله لأصغر نعـمه - أحسبَه: قال: في ديوان النعم: خـذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح كله، ثم تَنَحّى وتقول: وعزتك ما استوفيت. وتبقى الذنوب والنعم فإذا أراد الله أن يرحم قال: يا عبدي، قد ضاعفتُ لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك - أحسبه قال: ووهبت لك نعمي" غريب، وسنده ضعيف.

وقد روي في الأثر: أن داود، عليه السلام، قال: يارب، كيف أشكرك وشكري لك نعمـة منك علي؟ فقـال الله تعالى: الآن شكرتني يا داود ، أي : حين اعـترفت بالتقصير عن أداء شكر النعم.

وقال الشافـعي، رحمه الله: الحمد لله الذي لا يؤدى شكر نعمـة من نعمه، إلا بنعمة تُوجِـب على مُؤدى ماضي نعَمه بأدائـها، نعمة حادثةَ توجب علـيه شكره بها. وقال الـقائل في ذلك: لو كل جَـارحَة مني لهَـا لُغَةٌ. . . تُـثْني عَلَيكَ بما أوليَتَ مِنْ حَسنٍ. . .لَكَانَ ما زَادَ شُكري إذ شكَرَت به. . . إليكَ أبلغَ في الإحسَان والمنِ. . .

﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَـمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِـثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّـمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَـا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ (٢٢) . ﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَـاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُـزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَـالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (٢٣) بَيَّـن تعالى أنه الإله الواحد الأحد، الفرد الصـمد، الذي لا نظير له ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمـر وحده، من غير مشارك ولا منازع ولا مـعارض، فقال: ﴿ قُلِ ادْعُـــوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أي: من الآلهة التي عبدت من دونه ﴿ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّـمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾، كما قـال تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُـونَ مِنْ دُونِهِ مَـا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر: ١٣] .وقوله: ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ ﴾ أي: لا يملكون شيئًا استقـلالا ولا على سبيل الشركة، ﴿ وَمَا لَهُ مِنهُمْ مِنْ ظَهِـيرٍ ﴾ أي: وليس لـله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه، عبيد لديه.

قال قتادة في قوله: ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾، من عون يعينه بشيء.

وقال: ﴿ وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ أي: لعظمته [وجلاله] وكبريائه لا يجتـرئ أحد أن يشفع عنده تعـالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشـفاعة، كمـا قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وقال: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ [النجم: ٢٦] ،

وقال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

ولهذا ثبت في الصحيحين، من غير وجه عن رسول الله ﷺ - وهو سيد ولد آدم، وأكبر شفيع عند الله -: أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلّهم أن يأتي ربّهم لفصل القضاء، قال: "فأسجد لله فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعْطَه واشفع تشفع" الحديث بتمامه.

فكيف يدعي المصنف وما ينقله عن هذه الزمرة ما لا سلطان للبشر عليه، وتعطي الأئمة ما هو من مقتضيات ربوبية الله سبحانه، ما لهم بذلك من برهان إلا اتباع ما تمليه شياطينهم، وتسطره زنادقتهم، ومن العجب أنهم يعطون أئمتهم ملك الله وعلمه وحقوقه وأفعاله.. ويقولون: إن ذلك من الله أو "جائز له ذلك من الله" فهل هذا إلا مجرد تستر على الإلحاد، ومحاولة لإخفاء الهدف الخطير الذي تسعى إليه شياطينهم في تأليه الأئمة، وإضفاء صفات الربوبية عليهم؟!

المبحث الثالث

إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة

أقول أنا الباحث محمود صالح فى هذا المبحث أن المصنف ومن ينقل عنهم يستمرون فى تحريف معانى الآيات للوصول الى ما يريدون الوصول اليه، ألا وهو تطويع النصوص لتتوافق مع أهوائهم ومعتقداتهم الفاسدة، ومن هذا غلوهم فى الأئمة ورفعهم الى مقام الألوهية والربوبية، ومن أجل هذا جاءوا بروايات مختلقة مكذوبة، أعتقد أنها من وحى شيطان اذ لا يجرؤ على الاتيان بمثلها الا شيطان مريد ويصدق فيهم قوله سبحانه ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ (آية ١٢١ الانعام)، فمن هذا الهذيان ينسبون كذبا وزوراً الى الأئمة وعلى رأسهم عليّ أنهم أفضل من سليمان عليه السلام يزعمون أنهم يعلمون منطق الطير والبهائم وكل شىء فيه روح يسمعون لهم ويطيعون أكثر من طاعة بنى آدم لهم، واذا كان سليمان أوتى من كل شىء ومن تعنى التبعيض فانهم علموا كل شىء التى تفيد العموم، حتى أن الامام لا يكون اماماً الا اذا زعم أنه لايخفى عليه كلام أحد ولا شىء فيه الروح، فهذا ليس بغريب على أناس علموا ما كان وما سيكون ومن فى الجنة ومن فى النار بزعمهم، ألم أقل من قبل أن هؤلاء العلماء أعنى علماء الشيعة

رفعوا الأئمة الى مقام الألوهية والربوبية وجعلوهم بهذا الزعم آلهة وأرباباً، بل يزعمون أنهم ورثوا قرآناً يسيرون به الجبال ويقطعون به البلدان ويحيون به الموتى ويعرفون ما فى السحاب اى الماء تحت الهواء، ولست أدرى ماذا أبقى هؤلاء لله ان كانوا يؤمنون أن لهم اله، (سبحانك هذا بهتان عظيم).

ما سيأتى من تفسير المصنف الكاشانى :

ان سليمان بن داود عليه السلام قال علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء وقد والله علمنا منطق الطير وعلم كل شيء. وفي الكافي عن الكاظم عليه السلام قال ان الإمام لا يخفى عليه كلام احد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه الروح ومن لم تكن هذه الخصال فيه فليس هو بإمام. هدل الذكر على الانثى ساعة ثم نهضا فسئل عليه السلام ما هذا الطير فقال كل شيء خلقه الله من طير وبهيمة أو شيء فيه روح فهو اسمع لنا واطوع من ابن آدم. في الكافي عن الكاظم عليه السلام وانما غضب عليه لأنه كان يدله على الماء قال فهذا وهو طائر قد اعطى ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجن والانس والشياطين المردة له طائعين ولم يكن له يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه وان الله يقول في كتابه ولو ان قرآنا سيرت الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال ويقطع به البلدان ويحيى به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء.

والقمي عنه عليه السلام في هذه الآية قال تخضع رقابهم يعني بني امية وهي الصيحة من السماء باسم صاحب الأمر عليه السلام. وعن الصادق عليه السلام كنا أنوارا صفوفا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبحنا فسبح أهل الأرض بتسبيحنا وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون الحديث ما سبق من تفسير المصنف الكاشانى

الـــــردود:

أولا: تفسير الطبرى:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدّوابّ

والبهائم، فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم ﴿ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ﴾.

يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره، يعني بقُدرته، وتذليله إياها لكم كذلك.

﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ ﴾ يقول: ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه. ومعنى قوله: ﴿ أَنْ تَقَعَ ﴾ أن لا تقع. ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ بمعنى: أنه بهم لذو رأفة ورحمة، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك.

تفسير الطبرى:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: إن سليمان أوتي ملكا، وكان لا يعلم أن أحدا أوتي ملكا غيره ؛فلما فقد الهدهد سأله: من أين جئت؟ ووعده وعيدا شديدا بالقتل والعذاب، قال: ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ قال له سليمان: ما هذا النبأ؟ قال الهدهد: (إني وجدت امرأة) بسبأ ﴿ تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ فلما أخبر الهدهد سليمان أنه وجد سلطانا، أنكر أن يكون لأحد في الأرض سلطان غيره فقال لمن عنده من الجنّ والإنس: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ قال سليمان: أريد أعجل من ذلك ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ وهو رجل من الإنس عنده علم من الكتاب فيه اسم الله الأكبر، الذي إذا دعي به أجاب: ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ فدعا بالاسم وهو عنده قائم، فاحتمل العرش احتمالا حتى وُضع بين يدي سليمان، والله صنع ذلك ؛فلما أتى سليمان بالعرش وهم مشركون، يسجدون للشمس والقمر، أخبره الهدهد بذلك، فكتب معه كتابًا ثم بعثه إليهم، حتى إذا جاء الهدهد الملكة ألقى إليها الكتاب ﴿ قَالَتْ يَاأَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾... إلى ﴿ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾... إلى آخر الآية.

فكل ما يجري في هذا الكون فهو بأمر الله وتقديره لا شريك له سبحانه، لكن فى هذا التفسير وفي كتب الاثني عشرية ما يثير العجب في هذا؛ حيث تدعي بأن

لأئمتها أمرًا في ذلك، تقول رواياتهم: نموذج من تفسير المصنف الكاشاني

رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته. قلت: بلى. قال: فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله.

ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه إلا بمشيئته إن الله بالناس لرؤف رحيم في الأكمال عن النبي صلى الله عليه وآله بعد ذكر الأئمة الأثني عشر بأسمائهم قال ومن أنكرهم أو أنكر واحدا منهم فقد أنكرني بهم يمسك الله عز وجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها بوحدانيته ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهرثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمرها إليهم الحديث.

"عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان من هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام"(٣). يعني كل ما وقع من رعد وبرق فهو من أمر علي، لا من أمر الواحد القهار..

فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الروايات، والله جل شأنه يقول: ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِىءُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴾ [الرعد، آية:١٢] ؟ أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثني عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية علي، أو أن له شركًا في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإلحاد لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخًا يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر، والكفر المبين يبرئ "أهل البيت الأطهار" من هذا الدرن القاتل وينقي ثوب التشيع مما لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال.

أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل

قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل عودته إلى نور الحق إلى طريق مسدود..؟

أحسب أن أولئك الأتباع الأغرار لا يظنون بان هناك إسلامًا إلا هذا؛ لأن طوائف من السنة والشيعة أوهموهم بأن لا فرق بين المذهبين إلا في بعض مسائل الفروع فأوصدوا أمامهم مجال النظر والتفكير والبحث بهذا الوهم الشائع الكبير [راجع فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة].

ويقول بأن تفسير هذه الآية .صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض .

قال يعني عليا عليه السلام إنه جعل خازنه على ما في السماوات وما في الأرض من شيء وائتمنه عليه.

وكأنهم بهذا يقولون إن عليًا هو الذي يسير السحاب؛ فيكفرون بقول الله سبحانه: ﴿ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ [الأعراف، آية:٥٧] ، وقوله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [الروم، آية:٤٨].

ويبدو أن قول الاثني عشرية: إن عليًا يركب السحاب امتداد للمذهب السبئي الذي يقول بأن عليًا: "هو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسمه"(١).

ومضت القصة الطويلة في سرد غريب، أصحاب علي يسألونه عن معجزات الأنبياء فيقول: أنا أريكم أعظم منها حتى قال: "والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السماوات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم، إن اسم الله الأعظم على اثنين وسبعين حرفًا، وكان عند آصف بن برخيا حرف واحد فتكلم به فخسف الله عز وجل الأرض ما بينه وبين عرش بلقيس، حتى تناول السرير، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرف النظر، وعندنا نحن والله اثنان وسبعون حرفًا وحرف واحد عند الله عز وجل استأثر به في علم الغيب" (تفسير الصافى ص ٦٦-٤٤٠.

(١) الشهرستاني/ الملل والنحل: ١/ ١٧٤ .

خاتمة المبحث

فانظر إلى نص لا يوجد الا في أصولهم المعتبرة، وحوى من الغلو ما لا يخطر بالبال، ومع ذلك لم يتجرأ على رده.. فكيف إذن بالروايات الأخرى المثبتة في أصولهم، فقبولها من باب أولى، وسبق أن بينت بالأدلة من الكتاب والسنة القواعد والضوابط التى وضعها أهل العلم المعتبرين المتبعين للحق والدليل لفهم وتدبر وتفسير كتاب الله وذلك فى الباب الأول، وفى هذا المبحث يستمر المصنف فى منهجه المؤيد بالكذب والباطل كعادته ويغر أتباعه ويغرر بهم بحجة أنه عالم بكتاب الله والقرآن منه برىء، واقرأ قول الحق سبحانه ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴾ ففى هذه الآية رد على مازعمه المصنف فى هذا المبحث، فانه اراد ايهام أتباعه بزعمه أن الأئمة لهم تأثير وتحكم فى الكون وهل هذا الا الشرك الواضح البين بدون تلاعب بالألفاظ، لأن هذا دين والدين واضح لا لبس فيه ولا غموض، والحق سبحانه يحذر دائما من الشرك ومن اتخاذ الانداد والأرباب ويسأل هؤلاء المبطلين أين من زعمتم وما فعلوه وأين الكتاب الذى بين لهم هذا الزعم، فلما بان كذبهم وافتضح زعمهم حكم الله بأنهم ظالمين يعد بعضهم بعضاً بالغرور وهذا شأن المبطلين المكذبين فى كل زمان ومكان وعلى رأس هؤلاء الكاشانى ومن ينقل عنهم.

المبحث الرابع

الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة

أقول أنا الباحث محمود صالح أن المصنف الكاشانى فى هذا المبحث يكشف عن عقيدته الباطلة فى الله سبحانه وتعالى، ومنها عقيدة الحلول والاتحاد التى لا يؤمن بها ويدعو اليها الا كافر ختم الله على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله، ووجدته جريئاً يأتى بروايات مكذوبة فى مواضع مختلفة اما تصريحاً واما تلميحاً فيصرح بقوله أن الله خلطنا بنفسه، وان الله أفضى فينا من نوره، والفناء فى الله، واستوى فى كل شيء، وكذلك يعنى بأن المؤمن خلق من نوره أيضاً الحلول، ويدّعى أن المؤمن أبوه النور وأمه الرحمة يبدو أن هذا يوضح فى كتبه التى يشير اليها مع أننى أظن به التشبه بمن يدعون الى ان النور اله كما هو حال أهل

الكفر، أليست كل هذه العبارات تصريحا بالكفر الذى يدعو اليه المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة والله يقول عن نفسه سبحانه (ليس كمثله شيء وهوالسميع البصير) ويقول جل شأنه ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ واليك أقواله فى مصنفه والردود عليها :

ما سيأتى من تفسير المصنف:

وفي البصائر عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن تفسير هذا الحديث إن المؤمن ينظر بنور الله فقال إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم من رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية على معرفته يوم عرفهم نفسه فالمؤمن أخ المؤمن لابيه وامه أبوه النور وامه الرحمة وإنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه.

في العلل عن الصادق عليه السلام قال خرج الحسين بن علي عليهما السلام على أصحابه فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه وإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه فقال له رجل يابن رسول الله بأبي أنت وامي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته. وعن الكاظم (عليه السلام): استولى على ما دق وجل. وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، وفي رواية اخرى استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء. وفي اخرى استوى في كل شيء فليس أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى في كل شيء. ولهذا فسرت الشجرة تارة بشجرة الفواكه وأخرى بشجرة العلوم وكان شجرة علم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إشارة إلى المحبوبية الكاملة المثمرة لجميع الكمالات الإنسانية المقتضية للتوحيد المحمدي الذي هو الفناء في الله والبقاء بالله المشار إليه بقوله (عليه السلام) لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فان فيها من ثمار المعارف كلها وشجرة الكافور إشارة إلى برد اليقين الموجب للطمأنينة الكاملة المستلزمة للخلق العظيم الذي كان لنبينا ﷺ ودونه لأهل بيته (عليهم السلام) فلا منافاة بين الروايات ولا بينها وبين ما قاله أهل التأويل وفي الكافي عن الباقر (عليه السلام) في قوله عز وجل وما ظلمونا قال إن الله أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني الأئمة. ما سبق من تفسير المصنف

الكاشاني:

الردود والنقد(٥):

وترد عندهم روايات تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعليّ.

قال أبوعبد الله: "ثم مسحنا بيمينه فأضى نوره فيناولكن الله خلطنا بنفسه كانوا قبل خلق الخلق أنواراً. [٦]

وهذا الجزء الإلهي الذي في الأئمة ـ كما يزعمون ـ أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة ـ وتبلغ مئات الروايات ـ يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين ـ تعالى الله وتقدس عما يقولون ـ في الإحياء والإماتة والخلق والرزق . . إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام.

فهذا ـ مثلاً ـ عليّ يُحْيِي الموتى. جاء في الكافي عن أبي عبد الله قال: "إنّ أمير المؤمنين له خؤولة في بني مخزوم وإنّ شابّا منهم أتاه فقال: يا خالي إنّ أخي مات وقد حزنت عليه حزنًا شديداً، قال: فقال: تشتهي أن تراه؟ قال: بلى، قال: فأرني قبره، قال: فخرج ومعه بردة رسول الله متزراً بها، فلمّا انتهى إلى القبر تلملمت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكنا متنا على سنة فلان وفلان (أي أبو بكر وعمر) فانقلبت ألستنا" [أصول الكافي، بحار الأنوار، بصائر الدرجات].

هذا الغلو هو بلا شك ارتضعوه من أفاويق المذاهب الوثنية التي تدعي في أصنامها ومعبوداتها ما للرب سبحانه من أفعال، ويكفي في فساده مجرد تصوره؛ إذ هو مخالف للنقل والعقل والسنن الكونية كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، ورسول الهدى ﷺ يقول ـ كما أمره ربه : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ﴾ [الأعراف، آية:١٨٨].

ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: "فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما

٥- من كتاب أصول مذهب الشيعة.

٦- أصول الكافي: ١/ ٤٤٠ .

نقدر على ضرّ ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإنّ عذّبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله حجّة، ولا معنا من الله براءة، وإنّا لميّتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ويلهم! ما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات الله عليهم. . أشهدكم أنّي امرؤ ولدني رسول الله ﷺ وما معي براءة من الله، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذّبني عذابًا شديدًا ، ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشّيعة مذهب الشّيوخ لا مذهب الأئمّة.

وهذه المقالة التي عرضت لبعض شواهدها عندهم والتي تزعم حلول جزء إلهي بالأئمة، قد تطورت عند بعض شيوخهم واتسع نطاقها إلى القول "بوحدة الوجود" [وحقيقتها أن وجود الكائنات هو عين وجود الله (١)] وعدوا ذلك أعلى مقامات التوحيد، فهو الغاية في التوحيد عند شيخهم النراقي [مهدي بن أبي ذر الكاشاني النراقي، المتوفى سنة (١٢٠٩ملإ)، كما أن شيخهم الكاشاني ـ صاحب هذا التفسير والوافي أحد أصولهم الأربعة المتأخرة ـ كان يقول بعقيدة وحدة الوجود، وله رسالة في ذلك، جرى فيها مجرى ابن عربي وعبر عنه ببعض العارفين (٢).

والاتجاه الصوفي المتطرف قد تغلغل في كيان المذهب الاثني عشري، وعشعش في عقول أساطين المذهب من المتأخرين، وبين الأفكار الصوفية الغالية والعقائد الشيعية المتطرفة تشابه وتلاق [راجع في ذلك: الصلة بين التصوف والتشيع/ لمصطفى كامل الشيبي، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للمؤلف نفسه، والفكر الصوفي/ عبد الرحمن عبد الخالق ص٣٨٩، وقد غاظت هذه الحقيقة بعض متعصبي الشيعة الاثني عشرية وهو هاشم معروف الحسيني فرد على الشيبي بكتاب سماه: "بين التصوف والتشيع"] (من كتاب أصول مذهب الشيعة) .

الــــردود:

١- : تفسير الطبرى:

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ ﴾، فقال

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١/ ١٤٠ .
(٢) لؤلؤة البحرين: ص١٢١ .

بعضهم : معنى ذلك: وما خلقت السُّعداء من الجنّ والإنس إلا لعبادتي، والأشقياء منهم لمعصيتي.

* ذكر من قال ذلك: حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ ﴾: إلا ليقروا بالعبودية طوعا وكَرها.

٢- تفسير الطبرى:

القول في تأويل قوله: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨٨) قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ :قل يا محمد لسائليك عن الساعة: " أيان مرساها ؟" ﴿ لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًا ﴾.

يقول: لا أقدر على اجتلاب نفع إلى نفسي، ولا دفع ضر يحلّ بها عنها إلا ما شاء الله أن أملكه من ذلك، بأن يقوّيني عليه ويعينني ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾، يقول: لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد ﴿ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾، يقول: لأعددت الكثير من الخير. ثم اختلف أهل التأويل في معنى "الخير" الذي عناه الله بقوله: ﴿ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾، فقال بعضهم: معنى ذلك: لاستكثرت من العمل الصالح.

* ذكر من قال ذلك : ١٥٤٩٤ - حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج قال: قال ابن جريج: قوله: ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًا ﴾ قال: الهدى والضلالة ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ قال: "أعلم الغيب"، متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح. ١٥٤٩٥ - حدثني المثنى قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله.

* ١٥٤٩٦ - حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾. قال: لاجتنبت ما يكون من الشرّ واتّقيته.

وقال آخرون: معنى ذلك: "ولو كنت أعلم الغيب" لأعددت للسَّنة المجدبة من المخصبة، ولعرفت الغلاء من الرُّخْص، واستعددت له في الرُّخص.

٣- من تفسير ابن كثير : من سورة الحجر

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ × وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: المراد بالصلصال هاهنا: التراب اليابس. والظاهر أنه كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴾ [الرحمن: ١٤ - ١٥]

وعن مجاهد أيضا: الصلصال: المنتن وتفسير الآية بالآية أولى وقوله: ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ أي: الصلصال من حمأ، وهو: الطين. والمسنون: الأملس، كما قال الشاعر ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون أي: أملس صقيل. ولهذا روي عن ابن عباس: أنه قال: هو التراب الرطب. وعن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك أيضا: أن الحمأ المسنون هو المنتن. وقيل: المراد بالمسنون هاهنا: المصبوب. وقوله: ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ ﴾أي: من قبل الإنسان ﴿ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴾ قال ابن عباس: هي السموم التي تقتل.

وقد ورد في الصحيح: "خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخُلق بنو آدم مما وصف لكم" ومقصود الآية: التنبيه على شرف آدم، عليه السلام، وطيب عنصره، وطهارة مَحْتده

﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ .

يقول تعالى: قل يا محمد، لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله، عز وجل، المانعين من تسميته بالرحمن: ﴿ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ أي: لا فرق بين دعائكم له باسم "الله" أو باسم "الرحمن"، فإنه ذو الأسماء الحسنى، كما قال تعالى: ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ إلى أن قال: ﴿ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر: ٢٢ - ٢٤].

وقد روى مكحول أن رجلا من المشركين سمع النبي ﷺ وهو يقول في سجوده: "يا رحمن يا رحيم"، فقال: إنه يزعم أنه يدعو واحداً، وهو يدعو اثنين. فأنزل الله هذه الآية. وكذا روي عن ابن عباس، رواهما ابن جرير.

وقوله: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الأسماء الحسنى، نزه نفسه عن النقائص فقال: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾ بل هو الله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ أي: ليس بذليل فيحتاج أن يكون له ولي أو وزير أو مشير، بل هو تعالى [شأنه] خالق الأشياء وحده لا شريك له، ومقدرها ومدبرها بمشيئته وحده لا شريك له. قال مجاهد في قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ لم يحالف أحداً ولا يبتغي نصر أحد. ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ أي: عظِّمه وأَجِلَّه عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً. قال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ الآية، قال: إن اليهود والنصارى قالوا: اتخذ الله ولداً، وقال العرب: [لبيك] لبيك، لا شريك لك؛ إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك. وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل. فأنزل الله هذه الآية: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ وقال أيضا: حدثنا بشر، [حدثنا يزيد] حدثنا سعيد، عن قتادة: ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يعلم أهله هذه الآية ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ الصغير من أهله والكبير. قلت: وقد جاء في حديث أن رسول الله ﷺ سماها آية العز(١٠) وفي بعض الآثار: أنها ما قرئت في بيت في ليلة فيصيبه سرق أو آفة. والله أعلم.

خاتمة الفصل الثانى

وفى ختام هذا المبحث وهو ختام للفصل الثانى أقول أن ايماننا بالله يستلزم منا أن نحقق التوحيد بكماله وشموله كما أراد الله وأراد رسوله ﷺ وكما حققه أصحاب النبى الكرام وآل بيته الطيبين، والآيات التى تدعو الى هذا كثيرة لاتحتاج الى بيان فكثير من آيات القرآن يفسر بعضها بعضاً، ولنتدبر الآيات التى توضح لنا توحيد الربوبية باختصار كما سبق فى هذا الفصل، ولقد تعمدت أن أبدأ هذا الفصل بتفسير أول آية فى كتاب الله لأبين للقارىء ان كلمة رب لا يعنى بها فى كتاب الله الا الله، رب كل شيء ومليكه وأن كل شيء فى هذا الكون ما خلق الا لغاية ولحكمة لايعلمها الا الله وأن كل المخلوقات مفتقرة الى الله سبحانه الذى يسيرها ويسخرها انما هو الله

بما شاء كيف شاء وقتما شاء ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ وأنه لا يحتاج الى أحد بل الكل محتاج اليه سبحانه وبخاصة كل بنى آدم من لدن آدم عليه السلام الى أن يرث الله الأرض ومن عليها حتى الأنبياء والمرسلين وأتباعهم وأشياعهم وأبنائهم وأقاربهم وآل بيتهم لقوله سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ فكلهم يتوجهون اليه بالدعاء والاستعانة كما فى قراءة خير الناس ﷺ فى صلاته وعلم الأمة ذلك بقوله ﷺ صلوا كما رأيتمونى أصلى وقوله خذوا عنى مناسككم فكان يقرأ فى صلاته من سورة الفاتحة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ فى كل ركعة التى لا تصح الصلاة الا بها، والمتأمل فى كتاب الله سبحانه يجد أن أمر الله بين الكاف والنون لقوله سبحانه ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ لايحتاج لأحد كى يمسك السماوات والأرض أن يمسكها كما يزعم المصنف وعلماء الشيعة بل بين سبحانه وتعالى ضعف الانسان وعجزه بقوله ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴾ وبين أن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس وأنه سبحانه خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن وأن كل شىء خلقه بميزان وكل شىء موزون وكل شىء خلقه سبحانه بقدر ومحكم ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ووضح لنا أن هذا الكون هيأ له من أسباب الحفظ والنظام التى تدل على قدرته على كل شىء واحاطته بكل شىء حتى يمشى الناس وهم مطمئنين متوكلين على خالقهم ورازقهم لايتوكلون ولا يعتمدون الا عليه سبحانه فجعل هو سبحانه أسبابا وضحها فى كتابه وعلى ألسنة رسله الكرام البررة فمن ذلك قوله سبحانه ﴿ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ومع هذا هو سبحانه قادر على حفظ عباده بالسبب وبدون السبب وكذلك كل شىء قدر الله فيه سبباً (اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) كل هذا ليعلم الناس أن هذا الكون لايتحكم فيه الا الله سبحانه وتعالى ووكل الى ملائكته مهام ووظائف لا يقوم بها الا هم وسيأتى الحديث عن الملائكة فيما بعد، كل ما سبق وما سيأتى رد على المصنف وعلى علماء الشيعة فيما يزعمون ويفترون، ولنقرأ أول آية فى كتاب الله من سورة الفاتحة ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ,وكذا كثير من سور القرآن ففى سورة الحجر وفصلت وهما من السور المكية التى ترسخ العقيدة فى القلوب، من سورة الحجر فى تفسير ابن كثير ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ * وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ * إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا

فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ × وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثواقب، لمن تأملها، وكرر النظر فيها، يرى فيها من العجائب والآيات الباهرات، ما يحار نظره فيه. ولهذا قال مجاهد وقتادة: البروج هاهنا هي: الكواكب.

قلت: وهذا كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١] ومنهم من قال: البروج هي: منازل الشمس والقمر.

وقال عطية العوفي : البروج هاهنا: هي قصور الحرس وجعل الشُهب حرسًا لها من مَرَدة الشياطين، لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى، فمن تمرد منهم [وتقدم] لاستراق السمع، جاءه ﴿ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴾ فأتلفه، فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه، فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه، كما جاء مصرحا به في الصحيح، كما قال البخاري في تفسير هذه الآية:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة، يبلُغُ به النبي صلى الله عليه وسلم، قال : "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صَفوان". قال علي، وقال غيره: صفوان يَنفُذهم ذلك، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الذي قال: الحق، وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقو السمع، ومسترقو السمع، هكذا واحد فوق آخر - ووصف سفيان بيده فَفَرَّج بين أصابع يده اليمنى، نَصَبَها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يَرْمي بها إلى صاحبه فيحرقَه، وربما لم يدركه [حتى] يَرْمي بها إلى الذي يليه، [إلى الذي] هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض - وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر - أو: الكاهن - فيكذب معها مائة كذبة فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا، فوجدناه حقًا؟ للكلمة التي سمعت من السماء" ثم ذكر تعالى خلقه الأرض، ومده إياها وتوسيعها وبسطها، وما جعل فيها من الجبال الرواسي، والأودية والأراضي والرمال، وما أنبت فيها من الزروع والثمار المتناسبة.

وقال ابن عباس: ﴿ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ أي: معلوم. وكذا قال سعيد بن جبير، وعكرمة، وأبو مالك، ومجاهد، والحكَم بن عُتَيبة والحسن بن محمد، وأبو صالح، وقتادة. ومنهم من يقول : مقدر بقدر.

وقال ابن زيد: من كل شيء يُوزَن ويقدر بقدر. وقال ابن زيد: ما تزنه [أهل] الأسواق.

وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ يذكر تعالى أنه صرفهم في الأرض في صنوف [من] الأسباب والمعايش، وهي جمع معيشة.

وقوله: ﴿ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴾ قال مجاهد: وهي الدواب والأنعام.

وقال ابن جرير: هم العبيد والإماء والدواب والأنعام.

والقصد أنه تعالى يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعايش، وبما سخر لهم من الدواب التي يركبونها والأنعام التي يأكلونها، والعبيد والإماء التي يستخدمونها، ورزْقهم على خالقهم لا عليهم فلهم هم المنفعة، والرزق على الله تعالى.

[وقوله] ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ * وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ يخبر تعالى، أنه مالك كل شيء، وأن كل شيء سهل عليه، يسير لديه، وأن عنده خزائن لأشياء من جميع الصنوف، ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ كما يشاء وكما يريد، ولما لَهُ في ذلك من الحكمة البالغة، والرحمة بعباده، لَا على [وجه] الوجوب، بل هو كتب على نفسه الرحمة.

قال يزيد بن أبي زياد، عن أبي جحيفة، عن عبد الله: ما من عام بأمطر من عام، ولكن الله يقسمه حيث شاء عامًا هاهنا، وعامًا هاهنا. ثم قرأ: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ رواه ابن جرير.

وقال أيضا: حدثنا القاسم، حدثنا الحسن حدثنا هُشَيم، أخبرنا إسماعيل بن سالم، عن الحكم بن عُتَيْبَة في قوله: ﴿ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ قال: ما عام بأكثر مطراً من عام ولا أقل، ولكنه يُمطر قوم ويحرم آخرونَ وربما كان في البحر. قال: وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم، يُحصُون كل قطرة حيث تقع وما تنبت وقال البزار: حدثنا داود - وهو ابن بكر التُّسْتُري - حدثنا حبَّان بن أغلب بن تميم، حدثني أبي، عن هشام، عن محمد بن سيرين، عن

أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: " خزائن الله الكلام، فإذا أراد شيئا قال له: كن، فكان" ثم قال: لا يرويه إلا أغلب، ولم يكن بالقوي، وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين، ولم يروه عنه إلا ابنه. وقوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ أي: تلقح السحاب فتدر ماء، وتلقح الشجر فتتفتح عن أوراقها وأكمامها. هذه "الرياح" ذكرها بصيغة الجمع، ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها، ووصفها بالعقيم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعدا.

وقال الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ قال: ترسل الرياح، فتحمل الماء من السماء، ثم تَمْرى السحاب، حتى تدر كما تَدر اللَّقحَة. وكذا قال ابن عباس، وإبراهيم النخعي، وقتادة.

وقال الضحاك: يبعثها الله على السحاب، فتُلقحه، فيمتلئ ماء.

وقال عُبَيْد بن عُمَير الليثي: يبعث الله المُبشرّة فتَقمُّ الأرض قَمًّا ثم بعث الله المثيرة فتثير السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح الشجر، ثم تلا ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾.

وقال الإمام أبو بكر عبد الله بن الزبير الحُمَيدي في مسنده: حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار، أخبرني يزيد بن جُعْدبة الليثي: أنه سمع عبد الله بن مِخْراق، يحدث عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح بسبع سنين، وإن من دونها بابا مغلقا، وإنما يأتيكم الريح من ذلك الباب، ولو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض من شيء، وهي عند الله الأزيَبُ، وهي فيكم الجنوب".

وقوله: ﴿ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾ أي: أنزلناه لكم عذْبًا يُمكنكم أن تشربوا منه، ولو نشاء لجعلناه أجاجًا. كما ينبه الله على ذلك في الآية الأخرى في سورة "الواقعة"، وهو قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلا تَشْكُرُونَ ﴾ [الواقعة: ٦٨ - ٧٠] وفي قوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النمل: ١٠]

وقوله: ﴿ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ قال سفيان الثوري: بمانعين.

ويحتمل أن المراد: وما أنتم له بحافظين، بل نحن ننزله ونحفظه عليكم، ونجعله معينا وينابيع في الأرض، ولو شاء تعالى لأغاره وذهب به، ولكن من رحمته أنزله وجعله عذبا، وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك. ليبقى لهم في طول السنة، يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم. وقوله: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادته، وأنه هو الذي أحيا الخلق من العدم، ثم يميتهم ثم يبعثهم كلهم ليوم الجمع.

وأخبر أنه تعالى يرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون. ثم قال مخبراً عن تمام علمه بهم، أولهم وآخرهم: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴾ قال ابن عباس، رضي الله عنهما المستقدمون: كل من هلك من لدن آدم، عليه السلام، والمستأخرون: من هو حي ومن سيأتي إلى يوم القيامة. (وآيات من ٩ ـ ١٢ من سورة فصلت ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ* وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ * ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ* فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ وهذا قول ابن كثير في تفسيره: هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره، وهو الخالق لكل شيء، القاهر لكل شيء، المقدر لكل شيء، فقال: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾ انا كل شيء خلقناه بقدر أي: نظراء وأمثالا تعبدونها معه ﴿ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم.

وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف: ٥٤] ، ففصل هاهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء، فذكر أنه خلق الأرض أولا لأنها كالأساس، والأصل أن يُبدأ بالأساس، ثم بعده بالسقف، كما قال: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ الآية [البقرة: ٢٩] ، وقوله: ﴿ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ [النازعات: ٢٧ - ٣٣] ، ومن تفسير ابن كثير أيضا ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ

وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ .

يقول تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ أي: أطلب ربا سواه، وهو رب كل شيء، يَرُبّني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر. هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيرًا [في القرآن] كما قال تعالى مرشدًا لعباده أن يقولوا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] ، وقوله ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣] ، وقوله ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الملك: ٢٩] ، وقوله ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلا ﴾ [المزمل: ٩] ، وأشباه ذلك من الآيات.

والمتدبر لما سبق يجد أنه أمام دلائل وبراهين تزيد الموحد ايماناً ويقيناً صادقا أنه لا اله الا الله الخالق البارىء المصور المهيمن سبحان الله عما يشركون.

وبعد هذا البيان من الملك المنان، يمكن أن يتأول متأول او يضل عبد، الا من ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة، نعوذ بالله من الخذلان، ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبت قلوبنا على دينه .

الفصل الثالث
منهجه في أسماء الله وصفاته

أقول بفضل الله سبحانه وتعالى سبق وأن تحدثت فى الفصل السابق عن توحيد الألوهية والربوبية ونحن على موعد مع توحيد الأسماء والصفات فهو من لوازم الايمان ، ويجب على كل مسلم أن يعلم وأن يعتقد أن لله سبحانه وتعالى أسماءً حسنى وصفات عليا لا يشاركه فيها أحد، ومما هو معلوم أنها توقيفيه أى نقف على ما جاءنا عنها فى كتاب ربنا أو سنة نبينا لا نزيد فيها ولا ننقص، ونؤمن بها من غير تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى، آية:١١]. فالنفي جاء مجملاً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالبًا. قال تعالى: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم، آية: ٦٥] أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه (١).

وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا (٢).

وقال سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص، آية: ٤].

أما في الإثبات فيأتي التفصيل ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الحشر، آية: ٢٢-٢٤].

ومن خلال اطلاعى على تفسير المصنف وجدته ينشر اعتقاده الفاسد وضلالاته فيه خاصة فيما يتعلق بهذا الفصل لذا سأنقل بعضها والردود عليها باذن الله سبحانه وتعالى فى هذا الفصل. وللمصنف (الكاشانى) في هذا الفصل ثلاث ضلالات:

الضلالة الأولى: تعطيل الحق جل شأنه من أسمائه وصفاته.

الضلالة الثانية: وصف الأئمة بأسماء الله وصفاته.

الضلالة الثالثة: تحريف الآيات بدافع عقيدة التعطيل للأسماء والصفات.

---

(١) التدمرية ص٨، وانظر: لسان العرب، مادة "سما".

(٢) تفسير الطبري: ١٠٦/١٦ .

وسأتوقف عند كل مسألة من هذه المسائل الثلاث وأبين مذهب المصنف فيها من خلال عرض تفسيره وما استدل به من أدلة والردود ـ إن شاء الله -.

المبحث الأول
التعطيل عنده

أقول أنا الباحث محمود صالح أن المصنف يستمر فى مسيرة الضلال والبدع المنكرة التى بنى أقواله وعلمه عليها فهو كعادته فى تفسيره ما ترك هو ومن ينقل عنهم من أئمة الضلال من علماء الشيعة شيء يخالفون فيه ما جاء فى كتاب الله سبحانه وسنة نبيه الا قالوه وراحوا يبتدعون فى سبيل ذلك أقوالا مكذوبة مفتراة، وينسبونها كذبا وزوراً الى آل البيت، وآل البيت منهم براء واليك بداية ما جاء فى كتاب أصول مذهب الشيعة فى تعليقه على هذه المسألة وهو ينقل عن علماء أهل السنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

بعد الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة؛ حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل البارئ سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة، وكثير مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة(١).

ولهذا لا يكاد القارئ لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقًا، فالعقل ـ كما يزعمون ـ هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات.

بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون.

والفرق الذي قد يلمسه القارئ في هذه المسألة هو أن المصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل، مع أنهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قد "أسسوا دينهم على أن باب التوحيد

---

(١) منهاج السنة: ١/ ٣٥٦ .

والصفات لا يتبع فيه ما رأوه بقياس عقولهم"(١). وهذا تلمسه في طريقة احتجاجهم على مذهبهم في التعطيل كما في النكت الاعتقادية للمفيد، ونهج المسترشدين لابن المطهر وغيرها من كتبهم الكلامية حيث اعتمدوا المنهج العقلي الكلامي البحث في صفات الله.

وهذا مخالف للمنهج الشرعي والعلمي والعقلي؛ إذ إن صفات الله سبحانه من الغيب الذي يتوقف العلم به على الكتاب والسنة.

ومع اعتمادهم الدليل العقلي كمنهج أهل الاعتزال فإنك تلاحظ أنهم جاءوا بروايات كثيرة عن الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل، ويفترون على أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل.

فترى القوم ليس لهم منهج ثابت، ذلك أن مسالك التقليد عرضة للتناقض، فهم حينًا يعتمدون العقل، وتارة يعتمدون الخبر.. فهم بين مشرب أخباري، ومشرب اعتزالي عقلي يتأرجحون. هذا والثابت عن علي رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله.. والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم (٢).

والمصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة ساروا على هذا النهج الضال من تعطيل الصفات الواردة في الكتاب والسنة ووصفه سبحانه بالسلوب.

فأنت ترى أن هذا النفي المحض الذي استقاه من ركام الفلاسفة وغثاء الملاحدة يتضمن نفي الوجود الحق ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات، آية: ١٨٠-١٨٢].

وليس هذا بجديد، فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام "من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة [ذهب جملة من الصابئة إلى وصف الله سبحانه بالسلوب، ولذلك قال البيروني عن صابئة حران: إنهم يصفون الله سبحانه بالسلب لا بالإيجاب كقولهم: لا يحد ولا يرى ولا يظلم ولا يجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة، وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه (٣).

---

(١) منهاج السنة: ٢/٧٨-٧٩، تحقيق د. محمد رشاد سالم، أو ج١/ ٢٣٢ من ط: الأميرية.
(٢) منهاج السنة: ٢/ ١٤٤ .
(٣) الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٢٠٥ .

وطائفة الصابئة عمومًا اختلف في أمرها فقد أخرج الطبري بسنده عن مجاهد وغيره أنهم قالوا: "الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين". وهذا ما رجحه ابن كثير(١)، واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب في زمان إبراهيم ويذكر الشهرستاني أن الفرق في زمان إبراهيم يرجعون إلى صنفين: صابئة وحنفاء (٢). وأنهم بحكم ميلهم عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة، لأن صبأ في اللغة بمعنى مال وزاغ وانظر عن الصابئة (بالإضافة لما أشير إليه من مصادر): التبصير في الدين للإسفراييني والمتفلسفة والجهمية [الجهمية: أتباع الجهم بن صفوان. من ضلالاته القول بنفي الصفات وبدع أخرى كالقول بالإرجاء، والجبر، وفناء الجنة والنار(٣). ومصطلح الجهمية لم يعد مختصًا بالجهمية المحضة أتباع جهم بن صفوان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة ـ جهميًا"(٤)، وقال في موضع آخر: "ومن الجهمية: المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق.."[والباطنية] الباطنية: من ألقاب الإسماعيلية ومر التعريف بها.] ونحوهم. فإنهم يصفونه سبحانه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودًا مطلقًا لا حقيقة له عند التحصيل، فقولهم يستلزم غاية التعطيل وهو نفي الوجود الحق؛ لأنهم يعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات.

كما يستلزم غاية التمثيل حيث يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات.

- وهؤلاء جميعهم يفرون من شيء فيقعون في نظيره وفي شر منه مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات والله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل.

ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً.

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى، آية: ١١]. فالنفي

---

(١) تفسير الطبري: ٢/١٤٦ من تحقيق أحمد ومحمود شاكر. و (تفسير ابن كثير: ١/١٠٧).

(٢) الملل والنحل: ١/ ٢٣٠ .

(٣) انظر عن الجهم والجهمية: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٦٤ وما بعدها، خلق أفعال العباد للبخاري ص١١٨ وما بعدها، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ١/ ٢١٤ وما بعدها، التنبيه والرد/ للملطي ص٢١٨، التبصير في الدين/ للإسفراييني ص٦٣، والبدء والتاريخ/ للمقدسي: ٥/١٤٦، تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي وغيرها.

(٤) مجموع الفتاوى: ١٢/١١٩ .

جاء مجملاً ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ وهذه طريقة القرآن في النفي غالبًا. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [مريم، آية: ٦٥] أي نظيرًا يستحق مثل اسمه، ويقال: مساميًا يساميه وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس: هل تعلم له مثلاً أو شبيهًا وقال سبحانه: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص، آية: ٤].

أما في الإثبات فيأتي التفصيل ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وكآخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحشر، آية: ٢٢-٢٤]. وشواهد هذا كثيرة.

فطريقة هؤلاء في النفي المحض لا تتفق مع طريقة القرآن، كما لا تتفق مع الفطر السليمة والعقول الصريحة، بل هي منكرة في مدح البشر للبشر فكيف يوصف بها رب العالمين [قال شارح الطحاوية: "وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولا حجام ولا حائك! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقًا، وإنما تكون مادحًا إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب"(١)]؟!

والمصنف (الكاشاني) وعلماء الشيعة تروي عن أئمتها "أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه" ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة، وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من "نفايات" الفلسفات البائدة وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة؟!.

وهؤلاء المعطلة قد رد عليهم أئمة الإسلام وبينوا باطلهم، ولن نكرر القول ونبدئ فيه ونعيد.. ولكن الذي يمكن أن يضاف في هذا المجال بعد ظهور الكتاب الشيعي وانتشاره هو تصوير هذه المسألة من كتاب تفسير الصافى وفيه من أقوال علماء الشيعة ومن خلال روايات الشيعة عن أئمتها، وكلام شيوخهم المبني على مجاراة أهل

---

(١) علي بن أبي العز/ شرح الطحاوية/ ٥٠ .

التعطيل، ليتبين مدى تناقضهم، وانفصالهم عن أئمتهم، ومدى تدخل الأيدي السبئية لتحوير مذهب الأئمة، ووضع روايات تحاكي مذهب التعطيل، وتصدق مذهبهم في التقليد، وسأختار ثلاثة مسائل في ذلك:

الأولى: مسألة خلق القرآن ونفى صفة الكلام.

الثاني: مسألة الرؤية.

الثالثة: مسألة النزول الإلهي.

المسألة الأولى: مسألة خلق القرآن ونفى صفة الكلام.

في هذه المسألة وجدت المصنف يؤكد عليها تأكيداً وكأنه قد علم شيئاً لم يعلمه النبى ﷺ ولا آل بيته ولا صحابته، وهو بهذا يفترى على الله الكذب وينشر بدعاً منكرة ما أنزل الله بها من سلطان وينكر آيات الله سبحانه التى تثبت صفة الكلام له سبحانه وتعالى، اذ من لوازم الايمان أن نؤمن أن صفة الكلام صفة ثابتة لله سبحانه كما جاء فى الكتاب والسنة، ونؤمن بها كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل وهذا هو منهج أهل الحق الذين يتبعون فى اعتقادهم ما تركهم عليه نبيهم ﷺ وآل بيته وصحابته الكرام البررة، وآيات القرآن خير دليل، قال الله تعالى: (لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) من الآية (٧٧) آل عمران، وكلام الله ونظره واحد، يعني غير مخلوق ودل على ذلك في مواضع من كتابه العزيز، وقد قال الله تعالى مخبرا أن الله كلم موسى تكليما ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء، آية: ١٦٤] وكذلك الأدلة من السنة ومن أقوال سلفنا الصالح ، واليك بعضها.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)، فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، وما كان كلاما لله عز وجل لم يكن خلقا لله، وقد بين الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: (حتى يسمع كلام الله) من الآية.

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة، عن عدى بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان).

والمصنف ينفى صفة الكلام عن الله عز وجل، بل يقول بالنص (سبحانه وتعالى عن الصفات) وهذا اعتقاد المعتزلة وأشباههم الذين يقولون بأن القرآن مخلوق، ولهذا نجد المصنف يصرف صفة الكلام ويعطلها ويؤكد على ذلك من خلال التنويع والتأكيد كلما وجد الى ذلك سبيلا وأسوق اليكم خمسة أدلة:-

وهذا الدليل رقم (١) الذى يفصّل فيه المصنف، ويقول أن الله عز وجل أحدثه في الشجرة واليك الدليل الآخر: لينفى صفة الكلام يحرف حديث النزول ويزيد كلمة (وأمامه ملك ينادي) ثم الذى يليه: (إنما أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع) (هو نوع من الكلام باطنا من دون حرف ولا صوت) ثم الذى يليه: ان الله عز وجل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبعثا منها حتى يسمعوه من جميع الوجوه. وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) كلم الله موسى تكليما بلا جوارح وأدوات وشفة ولا لهوات سبحانه وتعالى عن الصفات

سورة الفرقان (٣٩) وإذا قضى أمرا أراد فعله وخلقه كما قال إنما أمره إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون لا بصوت يقرع ولا بنداء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه انشاء ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان إلها ثانيا كذا في نهج البلاغة قال يقول ولا يلفظ ويريد ولا يضمر.)ما سبق من تفسير الصافى).

الردود والنقد (١) :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

أما قولهم بأن كلام الله لموسى خلقه في شجرة؛ فهو مخالف لصريح قوله سبحانه: ﴿ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾. فالتأكيد بالمصدر "تكليمًا" ينفي التأويل الذي يشيرون إليه، ولذا قال غير واحد من العلماء: التوكيد بالمصدر ينفي المجاز، ولو كان الأمر على ما يدعون لم يكن في ذلك مزية لموسى عليه السلام، وفضيلة اختص بها، ونوه الله سبحانه بذكرها فإن "من سمع كلام الله من ملك أو من نبي أتاه به من عند الله أفضل مرتبة في سماع الكلام من موسى؛ لأنهم سمعوا من نبي، وموسى سمعه من شجرة.. ويلزمهم أن تكون الشجرة هي التي قالت: ﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾ وهذا ظاهر الفساد".

والرد على الجهمية القائلين بنفي الصفات كثير في كلام التابعين وتابعيهم، والأئمة المشاهير، وفي مسألة القرآن آثار كثيرة جداً، وهي مذكورة في الكتب المتخصصة في ذلك ولا يجدون ما يلجؤون إليه في تعليله سوى القول بالتقية، ولا يكاد يجزم شيخ من مشايخم بمعرفة أي القولين تقية إلا بالقول بأن ما خالف العامة (يعني أهل السنة) فيه الرشاد. وليتهم قالوا: ما وافق القرآن هو الحق وما سواه تقية.

---

(١) كتاب أصول مذهب الشيعة.

وبعد، أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه عنصر غريب على الأمة، وأنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة؟!

من تفسير الطبرى:

النساء (١٦٤) وأما قوله: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ ، فإنه يعني بذلك جل ثناؤه: وخاطب الله بكلامه موسى خطابًا، وقد : - ١٠٨٤٢ - حدثنا ابن حميد قال، حدثنا يحيى بن واضح قال، حدثنا نوح بن أبي مريم، وسئل: كيف كلم الله موسى تكليمًا؟ فقال: مشافهة.

القول في تأويل قوله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ قال أبوجعفر: يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه "وكلمه ربه"، وناجاه "قال" موسى لربه ﴿ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾، قال الله له مجيبًا: " ﴿ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾.

حدثنا القاسم قال، حدثني الحسين قال، حدثني حجاج، عن أبي بكر الهذلي قال : لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله، اشتاق إلى النظر إليه فقال: (ربِّ أرني أنظر إليك! قال: لن تراني)، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إلي مات! قال: إلهي سمعت منطقك، واشتقت إلى النظرَ إليك، ولأن أنظر إليك ثم أموتُ أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك! قال: فانظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني.

القول في تأويل قوله: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١٤٤) [قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره، قال الله لموسى: "يا موسى إني اصطفيتك على الناس"، يقول: اخترتك على الناس برسالاتي "إلى خلقي، أرسلتك بها إليهم" وبكلامي"، كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي. "فخذ ما آتيتك " يقول: فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي وتمسك به، واعمل به "وكن من الشاكرين"، لله على ما آتاك من رسالته، وخصك به من النجوى ، بطاعته في أمره ونهيه، والمسارعة إلى رضاه.

ردود متنوعة:

الكلام في أن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق:

قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله ورضى عنه: بالله نستهدي، وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو المستعان أما بعد:

إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق. قيل له الدليل على ذلك قوله تعالى: (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) من الآية (٢٥/ ٣٠) وأمر الله كلامه، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان ؟ كان قيامهما بأمره.

وقال عز وجل: (ألا له الخلق والأمر) من الآية (٥٤ / ٧)، فالخلق جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان لفظه عاما فحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال (٢/ ٦٤): (ألا له الخلق) كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: (والأمر) ذكر أمرا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق .

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى في كتابه: (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل) من الآية (٩٨ / ٢).

قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكائيل وإن كانا من الملائكة، ثم ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكائيل، ثم ذكرهم بعد ذكر الملائكة فقال: وجبريل وميكائيل.

ولما قال: (ألا له الخلق والأمر) من الآية (٥٤ / ٧)، ولم يخص قوله الخلق دليل، كان قوله ألا له الخلق في جميع (٢/ ٦٥) الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق "والأمر" فأبان الأمر من الخلق، وأمرُ الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق .

وقال سبحانه: (لله الأمر من قبل ومن بعد) من الآية (٤ / ٣٠) يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق .

دليل آخر:

ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق؛ قوله سبحانه: (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) (٤٠ / ١٦) فلو كان القرآن مخلوقا لوجب أن يكون مقولا له: (كن فيكون) .ولو كان الله عز وجل قائلا للقول: "كن" لكان

للقول قـولا، وهذا يوجب أحد أمـرين: إما أن يؤول الأمر إلى أن قـوله تعالى غـير مخلوق. أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولا غير مخلوق (٢/ ٦٦) .

سؤال:

فإن قال قائل: معنى قول الله: (أن يقول له كن فيكون) إنما يكون فيكون. قيل: الظاهر أن يقول له، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء؛ لأن هذا يوجب أن تكون الأشيـاء كلها كلاما لله عز وجل، ومن قـال ذلك أعظم الفرية؛ لأنه يلزمـه أن يكون كل شيء في العالم من إنسـان وفرس وحمـار وغيـر ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.

فلمـا استحـال ذلك؛ صح أن قول الله للأشـياء كـوني غيـرها، وإذا كان غـير المخلوقات فقد خرج كلام الله عـز وجل عن أن يكون مخلوقا، ويلزم من يثبت كلام الله مخلوقا أن يثبت الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقا، وأن يكون الله غير عالم .

فلما كان الله عز وجل لم يزل عـالما؛ إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا (٢/ ٦٧) جل وعلا بخلاف العلم .

وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما .

دليل آخر:

وقـال الله تعـالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـاتُ﴾ من الآية (١٠٩ /١٨)، فلو كانت البحار مدادا للكتبة لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كـما لا يلحق الفناء علم الله تعالى، ومن فني كلامـه لحقتـه الآفات وجرى عـليه السكوت، فلما لم يجـز ذلك على ربنا سبحـانه صح أنه لم يزل متكلما؛ لأنه لو لم يكن متكلـما وجب السكوت والآفات، تعالى ربنا عن قول الجهـمية علوا كبيرا. (٢/ ٦٨)، وزعمت الجهمـية - كما زعمت النصارى - أن كلمـة الله تعالى حواها بطن مـريم رضي الله عنها، وزادت الجهمـية عليهـم فزعمت أن كـلام الله مخلوق حل في شـجرة، وكـانت الشجـرة حاوية له؛

فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين كلم موسى صلى الله عليه وسلم، وأن الشجرة قالت: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني .

فلو كان كلام الله مخلوقا في شجرة لكان المخلوق قال: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، وقد قال تعالى: (ولكن حق القول مني لأملأنّ جهنم من الجنة والناس (٢/ ٦٩) أجمعين) (١٣/ ٣٢) وكلام الله من الله تعالى، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقا في شجرة مخلوقة، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقا في غيره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

مسألـــة:

ويقال لهم: كما لا يجوز أن يخلق الله إرادته في بعض المخلوقات، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد بها، وذلك يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله كلاما للمخلوق.

دليل آخر:

ومما يبطل قولهم إن الله قال مخبرا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (٢٥ / ٧٤) يعني القرآن (٢/ ٧٠) .فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولا للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين .وأيضا فلو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله، ولم يكن قائلا لها كوني. وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام . (٢/ ٧١).

واعلموا - رحمكم الله - أن قول الجهمية: "إن كلام الله مخلوق"، يلزمهم به أن يكون الله تعالى لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم، لو كان لم يزل غير متكلم؛ لأن الله تعالى يخبر عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه لما قالوا له: ﴿ أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ من الآية (٦٢/ ٢١) ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴾ (٦٣ / ٢١)، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الإله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فكيف يجوز أن يكون من

يستحيل عليه الكلام في قدمه إلها؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (٢/ ٧٢) .

وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه وتعالى في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق؛ فقد وجب أن يكون الله لم يزل متكلما.

دليل آخر:

وقد قال الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه يقول: ﴿ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾ من الآية (١٦ / ٤٠) وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول ولا يرد عليه أحد شيئا، فيقول: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ من الآية (١٦ / ٤٠)، فإذا كان الله قائلا مع فناء الأشياء؛ إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا جان ولا شجر ولا مدر، فقد صح أن كلام الله خارج عن الحق؛ لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجود .

دليل آخر:

وقد قال الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ (١٦٤ / ٤٠)، والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالا في غيره، مخلوقا في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم. (٢/ ٧٣).

دليل آخر:

وقال الله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص ورقمها (١١٢)، فكيف يكون القرآن مخلوقا وأسماء الله في القرآن ؟ هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة، ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

دليل آخر:

وقد قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ من الآية (٧٨ / ٥٥) ولا يقال لمخلوق "تبارك" فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ من الآية (٢٧ / ٥٥) (٢/ ٧٤) فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة.

دليل آخر:

وقد قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ﴾ من الآية (١٨/ ٣) ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة، وسمعها من نفسه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا يخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات؛ أو بعد كون المخلوقات.

فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات؛ فلم يسبق شهادته لنفسه بآلهية الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن يشهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحدا قبل الخلق؛ لأن ما يستحيل الشهادة عليه فمستحيل.

وإن كانت شهادته لنفسه قبل الخلق بالتوحيد فقد بطل أن يكون كلام الله تعالى مخلوقا؛ لأن كلام الله شهادته (٢/ ٧٥) .

دليل آخر:

ومما يدل عليه بطلان قول المصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة والجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق: أن أسماء الله من القرآن، وقد قال الله سبحانه: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى* الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ (١ - ٢ /٨٧) ولا يجوز أن يكون (اسم ربك الأعلى الذي خلق فسوى) مخلوقا، كما لا يجوز أن يكون (جد ربنا) من الآية (٣ / ٧٢) مخلوقا، قال الله تعالى في سورة الجن: (وإنه تعالى جد ربنا) من الآية (٣ / ٧٢)، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا.

دليل آخر:

وقد قال الله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) من الآية (٥١ / ٤٢) فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقا في شيء مخلوق؛ لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه - بزعم الجهميّة - مخلوقا في غير الله (٢/ ٧٦) تعالى، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله عليهم أجمعين.

ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة؛ أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من ملك أو من نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى؛ لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل، وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من النبي عليه الصلاة والسلام أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى ﷺ؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله، وموسى سمعه مخلوقا في شجرة، ولو كان مخلوقا في شجرة لم يكن مكلما لموسى من وراء حجاب؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام

الله له من وراء حجاب.

مسألة:

ثم يقال لهم: إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق (٢/ ٧٧) كلاما كلمه به في الشجرة وقد خلق الله عندكم في الذراع كلاما؛ لأن الذراع قالت لرسول الله ﷺ لا تأكلني فإني مسمومة، فيلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمعه النبي ﷺ كلام الله تعالى، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم من أنه يستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة؛ لأن الكلام المخلوق لا يكون كلاما لله، فإن كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الكلام؛ فيلزمكم أن يكون الله متكلما بالكلام الذي خلقه في الذراع، فإن أجابوا إلى ذلك؛ قيل لهم: فالله تعالى على قولكم هو القائل لا تأكلني فإني مسمومة. تعالى الله عن قولكم وافترائكم عليه علوا كبيرا.

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في ذراع (٢/ ٧٨). قيل لهم: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في شجرة.

مسألة:

ثم يسألون عن الكلام الذي أنطق الله تعالى به الذئب لما أخبر عن نبوة النبي ﷺ. فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام خلقه في غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلاما لله، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به، وأنه كلام الله تعالى؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز، كما أن كونه من الشجرة معجز، فإن كان الذئب متكلما بذلك الكلام المنقول فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في الشجرة، وأن يكون المخلوق فيه قال: ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ ﴾. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

مسألة:

ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقا في غيره عندكم (٢/ ٧٩) فما يؤمنكم أن يكون كل كلام تسمعونه مخلوقا في شيء، وهو حق أن يكون كلاما لله سبحانه؟

فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة؛ لأن المتكلم لا يكون إلا حيا.

قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام في شجرة؛ لأن من خلق الكلام فيه لا يكون

إلا حيا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي فلِمَ لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي . ويقال لهم: لِمَ لا قلتم إنه يقول من ليس بحي، لأن الله عز وجل أخبر أن السماوات والأرض: ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ من الآية (١١ / ٤١).

مسألة:

ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٧٨ / ٣٨) ؟ فلا بد من نعم.

قيل لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقا وكانت المخلوقات فانيات؛ فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس (٢/ ٨٠) قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك دين المسلمين، وردٌّ لقوله تعالى: (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) (٧٨ / ٣٨)، وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين؛ وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة؛ لأن الله تعالى قال (مالك يوم الدين) (٤ / ١) يعني يوم الجزاء، ثم هي أبدا في النار واللعنة كلام الله وهو قوله (عليك لعنتي) فقد وجب أن يكون الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء، وأنه غير مخلوق؛ لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق .

مسألة:

ثم يقال لهم: إذا كان غضب الله غير مخلوق، وكذلك رضاه وسخطه، فلِم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق؟ ومن زعم أن غضب الله (٢/ ٨١) مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى، حتى لا يكون راضيا عن أوليائه ولا ساخطا عن أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام .

مسألة:

ويقال: خبرونا عن قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤٠ / ١٦) أتزعمون أن قوله للشيء "كن" مخلوقٌ مرادا لله ؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء "كن" غير مخلوق. وإن زعموا أن قول الله للشيء "كن" مخلوق .

قيل لهم: فإذا زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل (٢/ ٨٢): ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٤٠ / ١٦) ؛ فيلزمكم أن قوله تعالى للشيء (كن) قد قال له: (كن).

وفي هذا ما يجب أحد أمرين: إما أن يكون قول الله لغيره كن غير مخلوق، أو يكون لكل قول لا إلى غاية وذلك محال.

فإن قالوا: إن لله قولا غير مخلوق.

قيل لهم: فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة.

ثم يقال لهم ما العلة التي إنما قلتم إن قول الله للشيء (كن) غير مخلوق.

فإن قالوا: لأن القول لا يقال له (كن) فيقال لهم القرآن غير مخلوق؛ لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله (كن).

في ذكر الرواية في القرآن:

قال أبو بكر: أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري أبا عبد الله أحمد بن حنبل، فسأل العباسُ أبا عبد الله - رحمه الله، ورضي عنه - فقال له: قوم ههنا قد حدثوا يقولون: القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق.

فقال: هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم تقولوا ليس بمخلوق فقولوا مخلوق.

قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء.

فقال العباس: ما تقول يا أبا عبد الله؟

فقال: الذي أعتقد وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق. (٢/ ٨٨)

ثم قال: سبحان الله ومن يشك في هذا ؟ !

ثم تكلم أبو عبد الله مستعظما للشك في ذلك، فقال: سبحان الله أفي هذا شك؟! قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ من الآية (٥٤ / ٧) وقال: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴾ (١ - ٣/ ٥٥) ففَرَّق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: "علَّمَ" "خلَقَ" فجعل يعيدها "علَّم" "خلَقَ" أي فَرْقٌ بينهما.

قال أبو عبد الله: والقرآن علم الله، ألا تراه يقول: (علم القرآن) والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديرا عليما عزيزا حكيما سميعا بصيرا، لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله عز وجل غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل به متكلما، ثم (٢/ ٨٩) قال: وأي كفر من هذا؟ وأي كفر أشر من هذا؟

إذا زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله

مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون، إنما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألون وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدعون أني أمسك.

فقلت له: فمن قال القرآن مخلوق ولا يقول إن أسماء الله مخلوقة ولا علمه لم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟

فقال: هكذا هو عندنا.

ثم قال أبو عبد الله: نحن نحتاج أن نشك في هذا القرآن عندنا فيه أسماء الله وهو من علم الله، فمن قال: إنه مخلوق فهو عندنا كافر.

فجعلت أردد عليه، فقال لي العباس - وهو يسمع - سبحان الله أما يكفيك دون هذا.

فقال أبو عبد الله: بلى.

وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: سمعت وكيعا يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل . (٢/ ٩٠)، وذكر محمد بن الصباح البزار، قال: حدثنا علي بن الحسين بن شعبان، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية .

قال محمد: نقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم.

وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعالى، قال الله تعالى: (لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم) من الآية (٧٧ / ٣)، وكلام الله ونظره واحد، يعني غير مخلوق .

وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمذاني عن عمرو بن قيس، عن أبي قيس المديني، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال (٢/ ٩٢) رسول الله ﷺ: «فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)، فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، وما كان كلاما لله عز وجل لم يكن خلقا لله، وقد بين الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: (حتى يسمع كلام الله) من الآية (٦ / ٩)، ودل على ذلك في مواضع من كتابه العزيز، وقد قال الله تعالى مخبرا أن الله كلم موسى تكليما.

وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة، عن عدى بن حاتم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان).

ومما يدل أن الله عز وجل متكلم، وأن له كلامـا ما رواه (٢/ ٩٣) عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة عن الأشعب الحداني عن شـهر ين حوشب قال: (فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه).

وروى يعلى بن المنهال السعدي، قال: حـدثنا إسحاق بن سليمان الرازي، قال: ثنا الجراح بن الضحاك الكندي، عن علقمة بن مرثل، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثـمان بن عـفان رضي الله عنه قـال، قال رسول الله ﷺ: «أفـضلكم من تعلم القرآن وعلمه)، وقـال: (إن فضل القرآن على سائر الكلام كفـضل الله على خلقه)، (٢/ ٩٤) وذلك أنه منه .

وروى سعـيد بن داود، قـال: حدثنا أبو سـفيان، عن مـعمـر، عن قتـادة قوله تعالى: ﴿ لَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ الآية، من الآية (٢٧/ ٣١) .

وذكر هارون بن معروف قال: حـدثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن أساف، عن فروة بن نوفل وقـال: كنت جارا لخباب بن الأرت، فقـال لي: يا هذا تقرب إلى الله عز وجـل بما استطعت فـإنك لن تتقرب إلى الـله بشيء أحب إليه من كـلامه . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (قرآنا عربيا غير ذي عوج) من الآية (٢٨ / ٣٩)، (٢/ ٩٥) قال: غير مخلوق .

وروى الليث بن يحيى، قـال: حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث، قـال: سمعت مؤمل ابن إسمـاعيل يحدث عن الثوري، قـال: من زعم أن القرآن مخلوق فقـد كفر . وصحت الرواية عن جعـفر بن محمد أن القـرآن لا خالق ولا مخلوق. وروي ذلك عن عمه زيد بن علي، وعن جده علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين.

ومن قال: إن القرآن غير مخلوق، وإن من قـال بخلقه كافر من العلماء، وحملة الآثار، ونقلة الأخبار، وهم لا يحصون كثرة، ومـنهم: حماد، والثوري وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس رضي الله عنه، والشـافعي رضي الله عنه وأصحابه، وأبو حنيفة، وأحمد بن حنـبل، ومالك رضي الله عنهم، والليث بن سعد رضي الله عنه، وسفيان بن عـيينة، وهشام، وعيسى بن يونس، وجعـفر (٢/ ٩٦) ابن غياث، وسعيد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر ابن الفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبو نعيم،

وقبيصة بن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال الكلام، وفيما ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين.

وقد احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل، وما تضمنه من البرهان، وأوضحه من البيان، ولم نجد أحدا ممن تحمل عنه الآثار، وتنقل عنه الأخبار، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس، وجهال من جهالهم، لا موقع لهم.

والحجج الذي قدمناه في ذلك يأتي على كثير من قولهم، ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمدا كثيرا. (٢/ ٩٧)

الكلام على من توقف في القرآن وقال لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق:

جواب: يقال لهم: لِم زعمتم ذلك وقلتموه ؟

فإن قالوا: قلنا ذلك؛ لأن الله لم يقل في كتابه إنه مخلوق، ولا قاله رسول الله ﷺ، ولا أجمع المسلمون عليه، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق، ولا قال ذلك رسول الله ﷺ، ولا أجمع عليه المسلمون، فتوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق. (٢/ ٩٨).

يقال لهم: فهل قال الله تعالى لكم في كتابه توقفوا فيه ولا تقولوا إنه غير مخلوق، وقال لكم رسول الله ﷺ توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق ؟

فإن قالوا: نعم، فقد بهتوا.

وإن قالوا: لا، قيل لهم: فلا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الحجة التي بها ألزمتم أنفسكم التوقف.

ثم يقال لهم: ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟ فإن قالوا: لم نجده، قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس بموجود (٢/ ٩٩) فيه؟ ثم إنا نوجدهم ذلك، ونتلو عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا، واستدللنا بها على أن القرآن غير مخلوق، كقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ من الآية (٥٤ /٧)، وكقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ من الآية (٤٠ /١٦)، وكقوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ

ربِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي ﴾ من الآية (١٠٩ / ١٨)، وسائر ما احتججنا في ذلك من آي القرآن .

ويقال لهم: يلزمكم أن تتوقفوا في كل ما اختلف الناس فيه، ولا تقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل فلم لا قلتم إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع؟ (٢/ ١٠٠)

مسألة:

فإن قال قائل: حدثونا، أتقولون: إن كلام الله في اللوح المحفوظ.

قيل له: كذلك نقول؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (٢١ - ٢٢ / ٨٥)، فالقرآن في اللوح المحفوظ.

وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ من الآية (٤٩ / ٢٩).

وهو متلو بالألسنة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ (١٦ / ٧٥).

والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى (٢/ ١٠١): ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ﴾ من الآية (٦/ ٩).

مسألة:

فإن قال قائل: حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟

قيل له: القرآن يقرأ في الحقيقة، ويتلى، ولا يجوز أن يقال يلفظ به؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول إن كلام الله ملفوظ به؛ لأن العرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمي فمعناه رميت بها، وكلام الله تعالى لا يقال يلفظ به، وإنما يقال يقرأ، ويتلى، ويكتب، ويحفظ.

وإنما قال قوم لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه، ويدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، وكذا لا يجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن بكماله غير مخلوق. (٢/ ١٠٢).

مسألة:

إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ من الآية (٢ / ٢١)؟

قيل له: الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول ﷺ ووعظه إياهم.

وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥٥ / ٥١)، وقد قال الله تعالى: (ذكرا رسولا) نهاية آية (١٠) وبداية آية (١١ / ٦٥) فسمى الرسول ذكرا، والرسول محدث .

وأيضا فإن الله تعالى قال (٢/ ١٠٣) : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾ من الآية (٢ / ٢١) يخبر أنه لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل لا يأتيهم ذكر إلا كان محدثا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثا.

ولو قال قائل: ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميا، فكذلك الحكم فيما سألونا عنه.

مسألة:

فإن سألونا عن قول الله تعالى: ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ من الآية (٢ / ١٢).

قيل لهم: الله عز وجل أنزل وليس بمخلوق .

فإن قالوا: فقد قال الله تعالى (٢/ ١٠٤): ﴿ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ من الآية (٢٥ / ٥٧) والحديد مخلوق.

قيل لهم: الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون جسما مواتا، فكذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون مخلوقا، وإن كان الحديد مخلوقا.

مسألة:

ويقال لهم: قد أمرنا الله تعالى أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامات، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله، فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق. (٢/ ١٠٥)

خاتمة المبحث :

وبعد أن سقت هذه الأدلة من ردود أهل العلم الصادقين المخلصين الذين قيضهم واصطفاهم الله سبحانه وتعالى للدفاع عن العقيدة والدين، وقد وضح لنا ذلك جلياً، اذ لايخفى على أى صاحب عقل ودين الضلال الذى عليه علماء الشيعة من خلال الكذب الذى استحلوه لنشر عقيدتهم الباطلة وليتسنى لهم زيادة الفرقة ونشر الضلال وتغيير عقيدة المسلمين الذين يتأثرون بأقوالهم، وهذا أساس أهدافهم من نشر علومهم الفاسدة الباطلة فى الكتاب والسنة، لذا يجب علينا نشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين كما جاء فى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ وبفهم سلف الأمة وهذا هو المنهج الذى نعتمد عليه فى دعوتنا الى الله سبحانه وتعالى، حتى لا نقع تحت طائلة قوله سبحانه وتعالى ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾.

٢- مسألة الرؤية:

أقول أنا الباحث محمود صالح فى هذه المسألة المصنف يريد أن يعطل صفة الرؤية وينفيها عن الله سبحانه ويعتمد فى الوصول الى هذا على الكذب ما استطاع الى ذلك سبيلا كعادته، والمسلم لا يعتمد على قول أى أحد من غير دليل من الكتاب والسنة من خلال اعتمادنا على قوله سبحانه وتعالى ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ فمن سأل عن الدليل من الكتاب والسنة وجاءه دليل منهما فلا يجوز تركه او العدول عنه الى غيره فمن أعرض عن الدليل من الكتاب والسنة ضل ضلالاً مبيناً حتى لايقول يوم القيامة كما جاء فى سورة الفرقان ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۞ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴾، والمصنف كعادته فى التحريف ينفى ويعطل رؤية أهل الجنة لربهم كما جاء الدليل على ذلك فى الكتاب والسنة، وأقول أن المصنف ومن ينقل عنهم من الشيعة نصبوا من أنفسهم أرباباً من دون الله، فالله يقول أن أهل الجنة وجوههم ناضرة وأنها الى ربها ناظرة وهم ينفون هذا والرد عليهم من قول سبحانه ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ واليك أيها القارىء ماجاء فى تفسير المصنف والرد عليه وتفنيد زعمه:

ما سيأتى من تفسير الصافى:

القيامة :(وجوه يومئذ ناضرة (٢٣) إلى ربها ناظرة قال قال ينظرون إلى وجه الله أي إلى رحمة الله ونعمته وفي العيون عن الرضا عليه السلام قال يعني مشرقة ينتظر

ثواب ربها).

وفي التوحيد والاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال ينتهي أولياء الله بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان فيغتسلون فيه ويشربون منه فتبيض وجوههم إشراقا فيذهب عنهم كل قذى ووعث ثم يؤمرون بدخول الجنة فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم قال فذلك قوله تعالى إلى ربها ناظرة وإنما يعني بالنظر إليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى. (ما سبق من تفسير المصنف الكاشاني).

الـــــــردود :

من تفسير ابن كثير :

ثم قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ من النضارة، أي حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة، ﴿ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أي: تَراه عِيانا، كما رواه البخاري، رحمه الله، في صحيحه: "إنكم ستَرون ربكم عَيَانا" (١) وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وما في الصحيحين - : أن ناسا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: "هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سَحَاب؟" قالوا: لا. قال: "فإنكم تَرَون ربكم كذلك". (٢) وفي الصحيحين عن جرير قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: "إنكم تَرَون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا" وفي الصحيحين عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «جنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فِضَّة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رِداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن". وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: "إذا دخل أهلُ الجنة الجنة" قال: "يقول الله تعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون : ألم تُبَيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟" قال: "فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة". ثم تلا هذه الآية: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [يونس: ٢٦] (٣) وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه: "إن الله يَتَجلَّى

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٤، ٥٧٣، ٤٨٥) من حديث جرير رضي الله عنه.
(٢) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢).
(٣) صحيح البخاري برقم (٧٤٣٤، ٧٤٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٣٣).

للمؤمنين يضحك"(١) - يعني في عرصات القيامة - ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون(٢) إلى ربهم عز وجل في العرصات، وفي روضات الجنات. وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية، حدثنا عبد الملك بن أبجر، حدثنا ثُوَير(٣) بن أبي فاختة، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه. وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين".

ورواه الترمذي عن عبد بن حميد، عن شَبابة، عن إسرائيل، عن ثُوَير قال: "سمعت ابن عمر. . ". فذكره، قال: "ورواه عبد الملك بن أبجر، عن ثُوَير، عن مجاهد، عن ابن عمر، قوله". وكذلك رواه الثوري، عن ثُوَير، عن مجاهد، عن ابن عمر، لم يرفعه ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مَواضعَ من هذا التفسير، وبالله التوفيق وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام. وهُدَاة الأنام.

الرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة، آية: ٢٢، ٢٣، والنص عن الطحاوية وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسن وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة.

وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف (٤).

فنفيه لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضًا خروج عن مذهب أهل البيت جميعاً (٥).

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٨١). (٣) صحيح مسلم برقم (١٩١).

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص٨٥، رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص ٤١٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٣/ ٤٥٤، وانظر التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة للآجري، ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة، والتبصرة للشيرازي ص٢٢٩، شرح الطحاوية ص١٤٦، مختصر الصواعق المرسلة ص١٧٩ .

(٥) كتاب أصول مذهب الشيعة.

٣- مسألة الاستواء على العرش و مسألة أخرى هي " نزول الرب جل شأنه" :

أقول أنا الباحث أن مسـألة الاستواء والنزول عند المصنف كباقى مسـائل الاعتقاد عنده بل فى كل مسائل الدين الذى يخالف فيه اعتفاد أهل السنة، وهذا هو شأن أهل الضلال فى كل زمان ومكان، واعتقادنا هو أن نؤمن بما جاءنا فى كتاب ربنا وسنة نبينا من غيـر تحريف ولا تشبـيه ولا تمثيل ولا تكـيـيف ولاتعطيل ومن ذلك أمر الاسـتـواء والنزول، ولقـد أثر عن أمـير المؤمنين عـمـر ابن الخطاب رضى الله عنه أنه أتى اليـه برجل يريد أن يأول آية الاستـواء فظل يضربه على رأسه حـتى قال الرجل ذهب الذى برأسى يا عمـر من أجل هذا نجد أهل البـاطل فى كل زمان ومكان يبـغضون عـمـر، واقول لو أن فى كل زمان رجلا كعمر ابن الخطاب يضرب أهل البدع والباطل والذين يستجيبـون لوساوس الشيطان على رؤسهم لما وجدنا أمثالهم من علمـاء الشيعة الذين حرفـوا وغيـروا وبدلوا فى العـقيـدة باسم الاسلام والاسـلام منهم براء واليك بعض التخريفات والتحريف من أقوال المصنف والردود والنقد.

من تفسير الصافى

(البقرة) هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي يأتيهم أمر الله أو بأسه في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك من الغـمام من السحاب الأبيض الذي هو مظنة الرحمـة فإذا جاء منه العذاب كـان اصعب والملائكة ويأتي الملائكة إن قرئ بالرفع وبهم ان قـرئ بالجر. وفي العيون والتوحيد عن الرضا (عليه السلام) الا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام قـال وهكذا نزلت وقضي الأمر واتم أمر اهلاكـهم وفرغ منه وإلى الله (٢٤٣) القمي عن الباقر (عليه السلام) قال ان الله إذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بد منه أمر مناديا ينـادي فاجتمع الإنس والجـن في اسرع من طرفة العين ثم اذن للسـماء الدنيا فتنزل وكان من وراء الناس واذن للسماء الثانية فتنزل وهي ضعف التي تليها فإذا رآها اهل السماء الدنيا قالوا جاء ربنا قـالوا لا وهو آت يعني امره حتى ينزل كل سماء تكون كل واحدة منهـا من وراء الاخرى وهي ضعف التي تليهـا ثم ينزل امر الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى ربكم ترجع الامور ثم يأمر مناديا ينادي يا معـشر الجن والانس ان استطعتم أن تنـفذوا من أقطار السموات والأرض فـانفذوا لا تنفذون الا بسلطان.

من سورة الاعراف وليـعلم إن هذه الآية وأمثال هذه الأخبار من المتـشابهات التي تأويلها عنـد الراسخين في العلم. ثم استـوى على العرش: في الأحـتجاج: عن أمـير

المؤمنين (عليه السلام) استوى تدبيره وعلا أمره. وعن الكاظم (عليه السلام) استولى على ما دق وجل. وفي الكافي عن الصادق)عليه السلام(استوى على كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، وفي رواية اخرى استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء. وفي اخرى استوى في كل شيء فليس أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى في كل شيء.

من سورة الفرقان القمي عن الصادق عليه السلام قال إنّ الربّ تبارك وتعالى ينزل أمره كلّ ليلة جمعة الى السماء الدنيا من أوّل وفي كلّ ليلة الثلث الأخير وأمامه ملك ينادي هل من تائب يتاب عليه هل من مستغفر يغفر له هل من سائل فيعطى سؤله اللهم اعط كل منفق خلفا وكل ممسك تلفا إلى أن يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد أمر الرب إلى عرشه فيقسم الأرزاق بين العباد ثم قال وهو قول الله وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه. ما سبق من تفسير الصافي.

الرد والنقد:

تفسير الطبرى (٢٩ البقرة) وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: " ثم استوى إلى السماء فسواهن "، علا عليهن وارتفع، فدبرهنّ بقدرته، وخلقهنّ سبع سموات.

قال ابن كثير(البقرة) (٢١٠) وقد أورد الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه هاهنا أحاديث فيها غرابة والله أعلم؛ فمنها ما رواه من حديث المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن مسروق، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: "يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم، قيامًا شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فَصْل القضاء، وينزل الله في ظُلَل من الغمام من العرش إلى الكرسي" (٧). وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت عبد الجليل القَيْسي، يحدّث عن عبد الله بن عمرو: ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ الآية، قال: يهبط حين يهبط، وبينه وبين خَلْقه سبعون ألف حجاب، منها: النور، والظلمة، والماء. فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا تنخلع له القلوب.

والذي استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول (٢١) (٢٢) وإثباته على ما يليق

---

(١) كتاب أصول مذهب الشيعة.

(٢) ابن تيمية/ شرح حديث النزول: ص٦ ، وانظر: الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد =

بجلاله سبحانه ويختص بعظمته.

ردود ونقد بأدلة متنوعة:

ذكر الاستواء على العرش

إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟

قيل له: نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار، كما قال: (الرحمن على العرش استوى) (٥ / ٢٠)، وقد قال تعالى: (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) من الآية (١٠ / ٣٥)، وقال تعالى: (بل رفعه الله إليه) من الآية (١٥٨ / ٤)، (٢/ ١٠٦) وقال تعالى: (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه) من الآية (٥ / ٣٢)، وقال تعالى حاكيا عن فرعون لعنه الله: (يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبا) من الآيتين (٣٦ - ٣٧ / ٤٠)، كذب موسى عليه السلام في قوله: إن الله سبحانه فوق السماوات وقال تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض) من الآية (١٦ / ٦٧)

فالسماوات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السماوات قال: (أأمنتم من في السماء) من الآية (١٤ / ٦٧) . . . لأنه مستو على العرش (٢/ ١٠٧) الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، والعرش أعلى السماوات، وليس إذا قال: (أأمنتم من في السماء) من الآية (١٦ / ٦٧) يعني جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السماوات، ألا ترى الله تعالى ذكر السماوات، فقال تعالى: (وجعل القمر فيهن نورا) من الآية (١٦ / ٧)، ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، وأنه فيهن جميعا، ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطّونها إذا دعوا إلى الأرض ١ (٢/ ١٠٨).

فصل

وقد قال قائلون والمصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة ومن المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ (٥ / ٢٠) أنه

=الدارمي: ص٢٨٤، ورد الإمام عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص٣٧٧، السنة/ لابن أبي عاصم: ٢١٦/١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة/ اللالكائي: ٣/ ٤٣٤ .

استولى وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله تعالى قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه (٢/ ١٠٩) قادر عليها، وعلى الحشوش، وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو تعالى مستو على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش، والأقدار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادرا على الأشياء كلها لم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول إن الله تعالى مستو على الحشوش والأخلية، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها .

وزعموا أن الله تعالى في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا .

مسألة:

ويقال لهم: إذا لم يكن مستويا على العرش بمعنى يختص العرش (٢/ ١١٠) دون غيره، كما قال ذلك أهل العلم، ونقلة الأخبار، وحملة الآثار، وكان الله عز وجل في كل مكان فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه، والسماء فوق الأرض وفي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه، وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المتناقض، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

دليل آخر:

ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله ﷺ.

روى عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا (٢/ ١١١) عمرو بن دينار، عن نافع، عن جبير، عن أبيه رضي الله عنهم أجمعين، أن النبي ﷺ قال: (ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر).

روى عبيد الله بن بكر قال: ثنا هشام بن أبي عبد الله، عن يحيى بن كثير، عن أبي جعفر، أنه سمع أبا حفص يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ حتى ينفجر الفجر). (٢/ ١١٢) .

وروى عبد الله بن بكر السهمي، قال: ثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، قال: ثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: فكنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كفا بالكديد - أو قال بقديد - حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إذا مضى ثلث الليل - أو قال ثلثا الليل - نزل الله عز وجل إلى السماء، فيقول: من ذا الذي يدعوني أستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الفجر) نزولا يليق بذاته من غير حركة وانتقال، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

دليل آخر:

قال الله تعالى (٢/ ١١٣): ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ من الآية (٥٠ / ١٦)، وقال تعالى: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ من الآية (٤ / ٧٠)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ من الآية .

(١١ / ٤١)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ من الآية (٥٩ / ٢٥)، وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ (٤ / ٣٢)، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه استواء منزها عن الحلول والاتحاد. (٢/ ١١٤) .

دليل آخر:

قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ (٢٢ / ٨٩)، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ من الآية (٢١٠ / ٢)، وقال: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾

(٨ - ١٣ / ٥٣) إلى قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (١٨ / ٥٣)، وقال تعالى لعيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا

قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ من الآية (١٥٨ / ٤)، (٢/ ١١٥) وأجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى ﷺ إلى السماء، ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله تعالى في الأمر النازل بهم يقولون جميعا: يا ساكن السماء، ومن حلفهم جميعا: لا والذي احتجب بسبع سماوات.

دليل آخر:

قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ من الآية (٥١ / ٤٢)، وقد خصت الآية الشريفة البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم، كان أبعد من الشبهة، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيا (٢/ ١١٦)، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو أرسل رسولا، وننزل أجناسا لم يعمهم بالآية فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم.

دليل آخر:

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ من الآية (٦٢ / ٦)، وقال: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ من الآية (٣٠ / ٦)، وقال: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (١٢ / ٣٢)، وقال عز وجل: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ من الآية (٤٨ / ١٨)، كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه، ولا خلقه فيه، وأنه مستو (٢/ ١١٧) على عرشه سبحانه، بلا كيف ولا استقرار، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه، ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل.

دليل آخر:

قال الله تعالى ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ من الآية (٣٥ / ٢٤) فسمى نفسه نورا، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين (٢/ ١١٨):

إما أن يكون نورا يسمع، أو نورا يرى.

فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه، وتكذيبه بكتابه،

وقول نبيه ﷺ.

وروت العلماء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك) .

دليل آخر:

وروت العلماء رحمهم الله عن النبي ﷺ أنه قال: (إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله).

وروت العلماء أن رجلا أتى النبي ﷺ بأمة (٢/ ١١٩) سوداء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أعتقها في كفارة، فهل يجوز عتقها؟

فقال لها النبي ﷺ: أين الله؟ قالت: في السماء، قال فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقال النبي ﷺ: أعتقها فإنها مؤمنة .

وهذا يدل على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء فوقية لا تزيده قربا من العرش. (٢/ ١٢٠)

خاتمة المبحث من الباحث محمود صالح

وفى ختام هذا المبحث اقول أن المصنف يؤكد فى كل مبحث ننقل عنه فيه غرائب وخرافات غرضه فيه مكشوف الا وهو التحريف والتعطيل والتأويل الباطل ويصدق فيه قول الله سبحانه (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، واولى بكل مسلم أن يقف على ما جاء فى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وفق ما كان عليه سلفنا الصالح، والله الهادى الى سواء السبيل.

المبحث الثالث
وصفه الأئمة بأسماء الله وصفاته

أقول أنا الباحث محمود صالح فى هذا المبحث نجد المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة يجترأون على الله جرأة ما سبقهم اليها أحد، فتجدهم ينفون عن الله سبحانه الصفات ويصفون بها أئمتهم وكذا يصفون ويسمون أئمتهم بأسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته، والله سبحانه يقول ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ اى أن الله سبحانه وتعالى ليس له مثيلاً أو مساميا يساميه ويساويه، بل وينهى أن نشبه الله بخلقه كما فى تفسير قوله سبحانه ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾، كل هذا دعوة الى المسلمين لتعلم دينهم والرجوع الى قرآنهم وسنة نبيهم ليأخذوا عقيدتهم من النبع الصافى الكتاب

والسنة، لامن أقـوال أهل الباطل والضلال كـما عند المصنف وعلمـاء الشيـعة الذين يضلون أتباعهم بهذه الأكاذيب والمزاعم التـى يفترونها حسب أهوائهم، من ذلك أنهم يقولون أن أئمتهم هم الأسمـاء الحسنى وأن الله اسم للأئمة والرب اسم للامام ووجه الله هو للأئمة وكذلـك هم عينه ولسانه ويده وأنهم يستعـان بهم على الله وأن الامام يبصـر عمل أهل كل بلدة الى آخر هذه الخـرافات والخزعبـلات التى لاتصدر الا من عدو كـافر مشـرك بالله جل وعلا، تعالى اللـه عما يقـولون علواً كبيـرا واليك أيها القارىء أقوال المصنف والردود عليها:

ما سيأتي من تفسير الصافى:

في الكافي: عن الصادق (عليه السلام)إن الأمام يسمع في بطن أمه فإذا ولد خط بين كتفـيه، وفي رواية بين عينيه. وفي أخرى: على عـضده الأيمن (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) الآية فإذا صار الأمر إليه جـعل الله له عمودا من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة.

وفي التوحيد عنه عليه السلام نحن وجه الله الذي لا يهلك.

وعنه عليه السلام الا وجهه قال دينه وكـان رسول الله صلى الله عليه وآله وامير المؤمنين عليه السلام دين الله ووجهه وعـينه في عباده ولسانه الذي ينطق به ويده على خلقه ونحن وجه الله الذي يؤتى منه لن نزال في عباده ما دامت لله فيهم رؤية

والعيـاشي: عنه (عليه السلام) قال: إذا نزلت بـكم شدة فاستـعينوا بنا على الله وهو قول الأعراف، آية: ١٨٠ .

الزمر. في التوحيد عن الصادق عليه السلام قبضته يعني ملكه لا يملكها معه أحد قال اليمين واليد القدرة والقوة مطويات بيمينه يعني بقـوته وقدرته سبحانه وتعالى عما يشركون .

والقمي عن الصادق عليه السـلام في هذه الآية قال رب الأرض إمام الأرض قيل فإذا خرج يكون ماذا قـال إذاً يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القـمر ويجتزؤون بنور الأمام عليه السلام. ما سبق من تفسير الصافى.

الردود:

وهو ما انفـرد به المصنف وعلماء الشـيعة، وشـذت به عن الأمة. . . فـإذا كان شيوخ الشيـعة المتقدمون قد شـبهوا الخالق سبحانه بصـفات المخلوقين، ثم واجه هذه الموجة الغالية في التجسيم موقف آخر قد يمثل ردة فعل له، وهو موقف التعطيل. .

فشبهوا الله سبحانه بالمعدومات والجمادات والممتنعات، وعطلوا نصوص الأسماء والصفات.

فهم لم يصفوا الله سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ لا في مذهبهم الأول ولا في مذهبهم الأخير.. إذا كان الأمر كذلك فإنهم لم يكتفوا بذلك، بل تطور الأمر إلى أن الأسماء والصفات الواجبة لله سبحانه وصفوا بها بعض البشر (الأئمة) فخرجوا بمذهب ثالث وهو تشبيه المخلوق بالخالق، فشابهوا النصارى في ذلك كما شابهوا اليهود في المذهب الأول (التجسيم).

لقد خرجوا ببدعة ثالثة أحدثوها في أمة محمد ﷺ، حيث زعموا أن الأئمة هم أسماء الله، فأسماء الله سبحانه التي ذكرها في كتابه هي ـ على حد زعمهم ـ عبارة عن الأئمة الاثني عشر، وهذا يتضمن تعطيل الله من أسمائه الحسنى، وإعطاءها بعض البشر، ويزعمون أن النص من "المعصوم" قد ورد بذلك، وهذا إفك عظيم افتروه؛ فويل لهم مما يفترون.

روى الكليني في أصل الكافي عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف، آية: ١٨٠] قال: "نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا" (١).

وهذا المعنى تناقله أساطين المذهب في روايات عديدة منسوبة لجعفر الصادق وغيره، (٢).

الله سبحانه يقول: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾ وهؤلاء يقولون: نحن الأسماء الحسنى، فأي محاداة لله وكتابه أعظم من هذا! إن من معين هذه النصوص المظلمة تستقي طوائف الباطنية الملحدة والتي تذهب لتأليه الأئمة.. ومن مائها الآسن ترتوي.

وزعموا أن أمير المؤمنين عليًا قال: "أنا عين الله وأنا يد الله وأنا حبيب الله وأنا باب الله" (٣) بحار ، وجاءت عندهم روايات عديدة في كثير من مصادرهم المعتمدة تفسر قوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن، آية: ٢٧]. وقوله سبحانه: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص، آية: ٨٨] بما رووه عن جعفر أنّه قال: "نحن وجه الله "نحن الوجه الذي يؤتى الله منه" - "نحن وجه الله الذي لا يهلك" (٤) ، وروايات أخرى بهذا المعنى [انظر: تفسير ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ .

---

(١) أصول الكافي : ١/ ١٤٣ ـ ١٤٤.
(٢) تفسير الصافي ٢/ ٢٥٤ـ ٢٥٥.
(٣) أصول الكافي : ١/ ١٤٥.
(٤) تفسر الصافي : ٤/ ١٠٨.

هذا ونصوصهم التي تفسر أسماء الله عز وجل وصفاته بالإمام والأئمة كثيرة.

كما أنهم أضفوا على الأئمة أيضًا بعض صفات الرب سبحانه كالعلم بالغيب، وعقد لذلك صاحب الكافي بابًا بعنوان "باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء" (١). وضمنه طائفة من رواياتهم. وعقد بابًا آخر بعنوان "باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا" (٢) وذكر فيه جملة من أحاديثهم، ومن روايات هذه الأبواب:

قال أبو عبد الله ـ كما يفترون -: "إنّي لأعلم ما في السّماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنّة وأعلم ما في النّار، وأعلم ما كان وما يكون.." (٣) والمصنف (الكاشانى)ينقل عنه]. «وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين. فقال: وربّ الكعبة وربّ البنية ـ ثلاث مرّات ـ لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أنّي أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأنّ موسى والخضر عليهما السّلام أعطيا علم ما كان ولم يُعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم السّاعة، وقد ورثناه من رسول الله ﷺ وراثة"(٤).

وبعد، فهذه كلمات لا تحتاج إلى تعليق، وأقول هي "زبالة" المذاهب الباطنية، التي كان لها وجود في تاريخ المسلمين، والتي تذهب إلى تأليه عليّ والأئمة. قد استوعبتها الاثنا عشرية في بنية مذهبها.

وهم يلصقون هذه المفتريات بأهل البيت ليتخذوا منهم "عكازة" يعتمدون عليها لنشر مذهبهم. وإلا فمن يقول: "أنا الأول والآخر والظاهر والباطن"؛ هل يختلف عن فرعون الذي قال: "أنا ربكم الأعلى"؟! وكيف يتجرأ أساطين المذهب كالكشي والطوسي على نقل هذا الإلحاد، وكيف يعدون الكليني ثقة إسلامهم وهو ينقل هو وأضرابه هذا الكفر البواح؟!

وهل ثمة عذر لمعتذر؟

وإطلاق اليد على النعمة والرحمة والقدرة شائع، فهم نعمة الله التامة، ورحمته المبسوطة، ومظاهر قدرته الكاملة. والجنب: الجانب والناحية وهم الجانب الذي أمر

---

(١) أصول الكافي : ١/ ٢٦٠ـ٢٦٢.
(٢) أصول الكافي : ١/ ٣٥٨.
(٣) أصول الكافي : ١/ ٢٦١.
(٤) أصول الكافي : ١ / ٢٦٠ ـ ٢٦١ والمصنف (الكاشاني) ينق لعنه.

الخلق بالتوجه إليهم . .

إن التعلق بالمجاز - على فرض القول [١] به - لا مكان له هنا؛ لأن المجاز في اللغة يلاحظ فيه وجود علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي[٢]. والأصل في الكلام الحقيقة "ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر حمل الكلام على حقيقته" [أبو شامة/ ضوء الساري].

ولذلك فإن فرقًا كثيرة في الاثني عشرية وغيرها عدت ذلك الكلام حقيقة، واعتقدت في الأئمة الألوهية بمقتضى هذا الكفر الذي ينقله لهم شيوخ الاثني عشرية، وكان حق هذه المقالة الرفض والتكذيب؛ لأنه لا معنى لدعوى المجاز، فهل توجد علاقة وقرينة لجعل معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العليا للأئمة ؟! فأين العلاقة في قولهم بأن أسماء الله "الأول والآخر والظاهر والباطن" هي أوصاف للأئمة ؟!! وقوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ أين القرينة الصارفة لهذه الآية عن معناها الأصلي وهو أسماء الله سبحانه؟! لا يوجد شيء من ذلك إلا إن كانت هي زعمهم أن في الأئمة جزءاً إلهيًا، فقد أخرج صاحب الكافي عن الأئمة أنهم قالوا: "إنّ الله خلطنا بنفسه" [أصول الكافي: ١/ ١٤٦ والمصنف (الكاشانى) ينقل عنه].

فإذا كانت هذه هي القرينة فهي تؤكد مبدأ الغلو ولا تنفيه، وتعطي الأئمة جزءاً من صفات الله سبحانه. وأنت تلاحظ في كلمات المصنف مظاهر الغلو في الأئمة وتكاد تكون مجرد صدى لتلك الروايات.

فهل يمكن أن يقارن قول العرب: لفلان وجه عند الناس بقول إمامهم - كما يفترون -: "أنا وجه الله"؟! وهل يقبل أن تجعل قرينة ذلك أن عليًا والأئمة هم الجهة التي أمر الله بالتوجه إليها. . هل عندهم من برهان بهذا فيخرجوه لنا؟

لا يتوجه الناس بعبادتهم ودعائهم إلا إلى الله وحده، ولا يستقبل المسلمون في صلواتهم إلا إلى بيت الله، ولا واسطة بين الله وخلقه إلا في تبليغ وحيه سبحانه، ولا واسطة في التبليغ إلا رسل الهدى عليهم السلام، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، فكيف يقال بعد هذا: إن الأئمة هم الجهة التي يتوجه الناس إليها ؟!

---

(١) انظر في مسألة المجاز: ابن تيمية/ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٧/ ٨٧-١١٩، مختصر الصواعق المرسلة ص٢٤٢ وما بعدها.

(٢) راجع: كتب البلاغة العربية: انظر - مثلاً -: المراغي/ علوم البلاغة ص٢٩٦، حفني ناصف وزملاؤه/ البلاغة ص٣٤١ (ضمن قواعد اللغة).

أما دعوى "أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء" فهذه صفة للحق جل شأنه لا يشاركه فيها أحد سبحانه. قال تعالى: ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهُ ﴾ [النمل، آية: ٦٥]. ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأنعام، آية: ٥٩]. ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء ﴾ [آل عمران، آية: ٥].

والله سبحانه أمر أفضل الخلق رسول الهدى ﷺ أن يقول: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ [الأعراف، آية: ١٨٨]، ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام، آية: ٥٠] فأمره سبحانه أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم بغيب المستقبل، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا، إِلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ... ﴾ [الجن، آية: ٢٦، ٢٧، والنص عن تفسير ابن كثير].

وقد ذكر علماء الإسلام أن من ادعى شيئًا من علم الغيب فقد كفر، فقد أضاف الله سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه، فلا يظهر على غيبه إلا من اصطفى من رسله [انظر هذا المعنى في تفسير القرطبي]، وهذا هو الغيب المطلق المحجوب عن جميع الخلق [ذكر أهل العلم أن الغيب ينقسم إلى قسمين: غيب "مطلق" أو حقيقي وهو ما يعلمه وحده سبحانه دون ما سواه، وهو المقصود عند الإطلاق، وفيه يقول الله عز وجل: ﴿ قُل لا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلا اللَّهُ ﴾.

وغيب "إضافي" أو مقيد وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض؛ كالذي يعلمه الملائكة عن أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً. وأما ما يعلمه البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله؛ لأنه غيب عمن غاب عنه من المخلوقين، ليس هو غيبًا عمن شهده. والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا، فيكون غيبًا مقيدًا ليس غيبًا مطلقًا غاب عن المخلوقين قاطبة. (١).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٦/ ١١٠، تفسير المنار: (٧/ ٤٢٢).

المبحث الرابع
دعوى التحريف لتأييد مذهبه في التعطيل

سبق وأن ذكرت أن المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة يأتون بالأباطيل ويعتمدون فى ذلك على الكذب الذى صار ديناً لهم وفى هذا المبحث وجدته يحرف كعادته آيات الصفات فمثلا " يحرف آية الاتيان من قوله سبحانه ﴿ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ ﴾ يحرف الآية ويزيد فيها ويقول الا أن يأتيهم الله بالملائكة ثم يزعم كذباً وزورا ويقول وهكذا نزلت - - ولست أدرى من أين جاء بهذه الزيادة اللهم الا أن يكون ذلك من وحى الشيطان الذى جعله جريئاً على كتاب الله فصار من حزب وجند الشيطان وبعد ذلك جئت بقوله الذى خص فبه الشيعة دون غيرهم بأنهم هم المعنيون بالذين آمنوا واستبدل لفظ الجلالة سبحانه واستبدل مكانه أمير المؤمنين والأئمة ثم فى موضع آخر يحرف الفوقية ويأولها بالقهر ويصدق فيه قول الله سبحانه وتعالى ﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

واليك الأدلة من أقواله والردود عليها:

(من تفسير الصافى) البقرة (٢١٠) هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله أي يأتيهم أمر الله أو بأسه في ظلل جمع ظلة وهي ما أظلك من الغمام من السحاب الأبيض الذي هو مظنة الرحمة فإذا جاء منه العذاب كان اصعب والملائكة ويأتي الملائكة إن قرئ بالرفع وبهم ان قرئ بالجر.

وفي العيون والتوحيد عن الرضا (عليه السلام) الا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام قال وهكذا نزلت وقضي الأمر واتم أمر اهلاكهم وفرغ منه وإلى الله

والعياشي: عنه (عليه السلام) في هذه الآية قال ينزل في سبع قباب من نور ولا يعلم في ايها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل، وفي رواية اخرى عنه (عليه السلام) قال كأني بقائم اهل بيتي قد علا نجفكم نشر راية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا نشرها انحطت عليه ملائكة بدر، وقال انه نازل في قباب من نور حين ينزل بظهر الكوفة على الفاروق فهذا حين ينزل واما قضي الأمر فهو الوسم على الخرطوم يوم يوسم الكافر.

أقول: لعل المراد انه ينزل على أمر يفرق به بين المؤمن والكافر وان المعني بقضاء الأمر امتياز احدهما عن الآخر بوسمه على خرطوم الكافر وذلك في الرجعة.

الرعد(٧٠) والقمي الذين آمنوا الشيعة وذكر الله أمير المؤمنين عليه السلام

والأئمة عليهم السلام ألا بذكر الله تطمئن القلوب .

النحل يحرف الفوقية ويأولها بالقهر(٥٠) يخافون ربهم من فوقهم يخافونه وهو فوقهم بالقهر وهو القاهر فوق عباده ويفعلون ما يؤمرون (ما سبق من تفسير الصافى).

الـــــردود:

وهو مسلك لم يسلكه أحد غيرهم، وشذوذ اختصوا به عن سواهم؛ حيث راموا التخلص من آيات الإثبات للأسماء والصفات في كتاب الله سبحانه بدعوى خطيرة، سنشير إليها هنا باقتضاب ونقتصر على ما يتصل منها بباب الأسماء والصفات، هذه الدعوى هي تحريفهم للآية عما أنزل الله، فمثلاً روى ابن بابويه عن الرضا علي بن موسى في قول الله سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ ﴾ [البقرة، آية: ٢١٠]. قال الرضا: "إنها هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت" [التوحيد لابن بابويه قال الرضا: "إنها هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام، وهكذا نزلت" .

وهدف المصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة من هذا التحريف واضح، فهم يحاولون بذلك نفي الإتيان عن الله سبحانه كقول المعتزلة.

وفي الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين علي قال يخاطب أحد الزنادقة لإقناعه بالإسلام !!: "وأما قوله: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ ﴾ فإنما نزلت كل شيء هالك إلا دينه؛ لأن من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه، هو أجل وأعظم من ذلك"، وواضح أن واضع هذه الأسطورة أعجمي جاهل لا يفقه من أمر العربية شيئًا، وزنديق حاقد في افترائه على كتاب الله، وتعطيله لصفات الله، ونسبة هذا الكفر لأمير المؤمنين علي. ومن كبير مكره وحقده زعمه أن هذه إجابة أمير المؤمنين لإقناع أحد الزنادقة.

إن هذا المنهج في التعطيل يدل على أن هذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات لا ترعى في سبيل الدفاع عن مبادئها أية حرمة، ولا تقف عند حد.

وإذا كانت فرق المعطلة من المعتزلة وغيرها لم تحاول أن تمس لفظ كتاب الله سبحانه، ورامت البحث عن تأويل للمعنى، فإن هذه الفئة قد تخطت الحدود وتجاوزت المبادئ فرامت إثبات مبدئها، بما يخرجها عن الإسلام أصلاً، فدل على أن

هناك فئات من أهل التعطيل تريد الكيد للأمة بمحاربة أصل دينها وهو كتاب الله العظيم. ولقد انكشف بهذه الوسيلة أمرها وافتضح شأنها. والله من ورائهم محيط. (نقلاً عن أصول مذهب الشيعة).

قال ابن كثير : في قول الله سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ [البقرة، آية: ٢١٠].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرْعَة، حدثنا أبو بكر بن عطاء بن مقدم، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت عبد الجليل القَيْسي، يحدّث عن عبد الله بن عمرو: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ الآية، قال: يهبط حين يهبط، وبينه وبين خَلْقه سبعون ألف حجاب، منها: النور، والظلمة، والماء. فيصوت الماء في تلك الظلمة صوتًا تنخلع له القلوب.

من تفسير الطبرى : النحل.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠) ﴾ وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه أن قوله ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾، والآية التي بعدها مثل ضربه الله لهؤلاء المشركين الذين جعلوا لله البنات، فبيَن بقوله ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ أنه مثل، وعنى بقوله جلّ ثناؤه ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ للذين لا يصدّقون بالمعاد والثواب والعقاب من المشركين ﴿ مَثَلُ السَّوْءِ ﴾ وهو القبيح من المثل، وما يسوء من ضرب له ذلك المثل ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ يقول: ولله المثل الأعلى، وهو الأفضل والأطيب، والأحسن، والأجمل، وذلك التوحيد والإذعان له بأنه لا إله غيره.

* ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ الإخلاص والتوحيد.

ردود ونقد بأدلة متنوعة:

معتقد أهل السنة في أسماء الله وصفاته، يقوم على أساس الإيمان بكل ما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة إثباتا ونفيا، فهم بذلك:

١- يسمون الله بما سمى به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ، لا يزيدون على ذلك ولا ينقصون منه.

٢- ويثبتون لله عز وجل ويصفونه بما وصف به نفسه في كتابه، أوعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف[١]، ولا تعطيل[٢]، ومن غير تكييف[٣] ولا تمثيل[٤].

٣- وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله محمد ﷺ، مع اعتقاد أن الله موصوف بكمال ضد ذلك الأمر المنفي.

فأهل السنة سلكوا في هذا الباب منهج القرآن والسنة الصحيحة، فكل اسم أو صفة لله سبحانه وتعالى وردت في الكتاب والسنة الصحيحة فهي من قبيل الإثبات فيجب بذلك إثباتها.

وأما النفي فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص مع وجوب اعتقاد ثبوت كمال ضد ذلك المنفي.

قال الإمام أحمد: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا نتجاوز القرآن والسنة"[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف، ولا تعطيل ولا تكييف، ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل، إثبات الصفات ونفي مماثلة المخلوقات قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، فهذا رد على الممثلة ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، رد على المعطلة.

وقولهم في الصفات مبني على أصلين:

أحدهما: أن الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص مطلقا كالسنة والنوم، والعجز، والجهل، وغير ذلك.

---

(١) التحريف لغة: التغير والتبديل. والتحريف في باب الأسماء والصفات هو: تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصفات أو معانيها عن مراد الله بها.

(٢) التعطيل لغة: مأخوذ من العطل الذي هو الخلو والفراغ والترك، والتعطيل في باب الأسماء والصفات هو: نفي أسماء الله وصفاته أو بعضها.

(٣) التكييف لغة: جعل الشيء على هيئة معينة معلومة، والتكييف في صفات الله هو: الخوض في كنه وهيئة الصفات التي أثبتها الله لنفسه.

(٤) التمثيل لغة: من المثيل وهو الند والنظير، والتمثيل في باب الأسماء والصفات هو: الاعتقاد فى صفات الخالق أنها مثل صفات الخلوق.

راجع في معاني هذه الألفاظ كتاب "معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات" (ص٧٠-٨١).

(٥) لمعة الاعتقاد ص ٩ .

والثاني: أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها، على وجه الاختصاص بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات"(١).

وقد ارتكز معتقد أهل السنة والجماعة في باب أسماء الله وصفاته على ثلاثة أسس رئيسة هي (٢):

الأساس الأول: الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسنة الصحيحة من أسماء الله وصفاته إثباتا ونفيا.

الأساس الثاني: تنزيه الله جل وعلا عن أن يشبه شيء من صفاته شيئا من صفات المخلوقين.

الأساس الثالث: قطع الطمع عن إدراك كيفية اتصاف الله بتلك الصفات.

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تفصل وتميز عقيدة أهل السنة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل من الفلاسفة وأهل الكلام من جهة، وعن عقيدة أهل التمثيل من الكرامية والهشامية وغيرهم من جهة أخرى.

فالأساس الأول: فيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة، فأهل السنة يجعلون الأصل في إثبات الأسماء والصفات أو نفيها عن الله تعالى هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، ولا يتجاوزونهما، فما ورد إثباته من الأسماء والصفات في القرآن والسنة الصحيحة فيجب إثباته، وما ورد نفيه فيهما فيجب نفيه.

"وأما ما لم يرد إثباته ونفيه فلا يصح استعماله في باب الأسماء وباب الصفات إطلاقا، وأما في باب الإخبار فمن السلف من يمنع ذلك، ومنهم من يجيزه بشرط أن يستفصل عن مراد المتكلم فيه، فإن أراد به حقا يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أراد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب رده" (٣).

ومجمل القول أن في الأمر ثلاثة أبواب:

١- باب الأسماء: وهذا يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٢- باب الصفات: وهذا كذلك يجب الاعتماد فيه على الكتاب والسنة فقط.

٣- باب الإخبار: وهذا لا يشترط فيه النص الشرعي، ولكن يشترط أن يكون معنى اللفظ المستعمل ليس بسيء.

---

(١) منهاج السنة ٢/ ٥٢٣ .

(٢) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات ص ٢٥ .

(٣) رسالة في العقل والروح لابن تيمية ٢/ ٤٦- ٤٧ (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية).

أما أهل التعطيل: فقد جعلوا "العقل" وحده هو أصل علمهم، فالشبه العقلية هي الأصول الكلية الأولية عندهم، وهي التي تثبت وتنفي، ثم يعرضون الكتاب والسنة على تلك الشبه العقلية، فإن وافقتها قبلت اعتضادا لا اعتمادا، وإن عارضتها ردت تلك النصوص الشرعية وطرحت، وفي هذا يقول قائلهم: "كل ما ورد السمع به ينظر فإن كان العقل مجوزا له وجب التصديق به... وأما ما قضى العقل باستحالته فيجب فيه تأويل ما ورد السمع به، ولا يتصور أن يشمل السمع على قاطع مخالف للمعقول. وظواهر أحاديث التشبيه - يعني بها أحاديث الصفات - أكثرها غير صحيح والصحيح منها ليس بقاطع، بل هو قابل للتأويل"(١).

فهذا النقل يبين لك مدى تقديم هؤلاء لشبههم العقلية وتعصبهم لها وكيف أنهم يجعلونها هي الأصول والسمع معروضا عليها، فما أجازته عقولهم قبلوه، وما لم تجزه عقولهم شككوا فيه وانتقصوه، ومن ثم سعوا في تأويله وتحريفه، ومن يلقي نظرة على كتب الأشاعرة مثلا يجد أن القوم يقسمون أبواب العقيدة إلى إلهيات - ونبوات - وسمعيات، وهم في باب الإلهيات والنبوات لا يعتمدون نصوص الكتاب والسنة، ولذلك لن تجد في هذين البابين إلا الشبه العقلية المركبة وفق القواعد المنطقية، ويا عجبا أنأخذ ديننا من ملاحدة اليونان وتلامذتهم أم من كلام الله ورسوله ﷺ؟!

وأما باب السمعيات- أي البعث والحشر والجنة والنار والوعد والوعيد- فهم يقبلون النصوص الشرعية، وبالتالي سموا هذا الباب بالسمعيات في مقابل باب الإلهيات والنبوات؟ إذ إنهم يعتمدون فيهما على العقليات، وهؤلاء شابهوا حال من قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

وأما الأساس الثاني: وهو تنزيه الله عن مشابهة المخلوقين، ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المعطلة من جهة، وعن عقيدة المشبهة من جهة أخرى. فأهل السنة:

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي ص ١٣٢- ١٣٣، وقال في كتابه "المستصفى" ٢/ ١٣٧- ١٣٨: "كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال، إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها وتكذيبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل، فإما أن لا يكون متواترا فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواترا فيكون مؤولا ولا يكون متعارضا".

يعتقدون أن ما اتصف الله به من الصفات لا يماثله فيها أحد من خلقه، فالله عز وجل قد أخبرنا بذلك بنص كتابه العزيز حيث قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]، فإذا ورد النص بصفة من صفات الله تعالى في الكتاب أو السنة فيجب الإيمان به والاعتقاد الجازم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والشرف والعلو مما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فالشر كل الشر في عدم تعظيم الله وأن يسبق في ذهن الإنسان أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فعلى القلب المؤمن المصدق بصفات الله التي تمدح بها أو أثنى عليه بها نبيه ﷺ، أن يكون معظما لله عز وجل غير متنجس بأقذار التشبيه، لتكون أرض قلبه طيبة طاهرة قابلة للإيمان بالصفات على أساس التنزيه أخذا بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١] (١)..

أما أهل التعطيل: فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات التي لا وجود لها إلا في أفهامهم الفاسدة، فعقيدة هؤلاء المعطلة جمعت بين التمثيل والتعطيل، وهذا الشر إنما جاء من تنجس قلوبهم وتدنسها بأقذار التشبيه، فإذا سمعوا صفة من صفات الكمال التي أثنى الله بها على نفسه كاستوائه على عرشه ومجيئه يوم القيامة وغير ذلك من صفات الجلال والكمال، فإن أول ما يخطر في أذهانهم أن هذه الصفة تشبه صفات الخلق، فلتلطخ القلب بأقذار التشبيه لم يقدر الله حق قدره ولم يعظم الله حق عظمته حيث سبق إلى ذهنه أن صفة الخالق تشبه صفة المخلوق، فيكون أولا نجس القلب بأقذار التشبيه ثم دعاه ذلك إلى أن ينفي صفة الخالق جل وعلا عنه بادعاء أنها تشبه صفات المخلوق، فيكون فيها أولا مشبها، وثانيا معطلا ضالا ابتداء وانتهاء متهجما على رب العالمين ينفي صفاته عنه بادعاء أن تلك الصفة لا تليق (٢).

وأما عقيدة أهل التمثيل: فهي تقوم على دعواهم أن الله عز وجل لا يخاطبنا إلا بما نعقل، فإذا أخبرنا عن اليد فنحن لا نعقل إلا هذه اليد الجارحة، فشبهوا صفات الخالق بصفات المخلوقين، فقالوا: له يد كأيدينا ونحو ذلك، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأما العارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله فهم يثبتون لله جميع

---

(١) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" ص ٢١- ٢٢ .
(٢) "منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات" ص ١٩- ٢٠ .

صفاته، وينفون عنه مشابهة المخلوقات، فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين.

وأما الأساس الثالث: ففيه تمييز لعقيدة أهل السنة عن عقيدة المشبهة، فأهل السنة يفوضون علم كيفية اتصاف الباري عز وجل بتلك الصفات إلى الله عز وجل، فلا علم للبشر بكيفية ذات الله تبارك وتعالى ولا تفسير كنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، فكل من تجرأ على شيء من ذلك فقوله من الغلو في الدين والافتراء على الله عز وجل، واعتقاد مما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبا من العباد في الشريعة لبينه الله تعالى ورسوله ﷺ فهو لم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن الله تعالى إلا ما علمهم كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه (١).

وأما المشبهة فقد تعمقوا في شأن كيفيات صفات الله وتقولوا على الله بغير علم، حيث يقول أحدهم: له بصر كبصري، ويد كيدي، وقدم كقدمي تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

المطلب الثاني: موقفهم من باب الأسماء

يمكن إجمال معتقد أهل السنة في أسماء الله في النقاط التالية:

أولا: الإيمان بثبوت الأسماء الحسنى الواردة في القرآن والسنة، من غير زيادة ولا نقصان.

فمن الأمور المتقررة في عقيدة أهل السنة في باب أسماء الله الحسنى أن من ضابط أسماء الله الحسنى ورود النص بذلك الاسم فلا يسمى الله إلا بما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ولذلك يرى السلف أن من أحكام باب الأسماء ما يلي:

١- إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء الحسنى الواردة في نصوص القرآن والسنة الصحيحة.

٢- ألا ننفي عن الله ما سمى به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ الا

(١) "معارج القبول" ١/ ٣٢٦-٣٢٧ .

نسمي الله بما لم يسم به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله محمد ﷺ وذلك لأنه لا طريق إلى معرفة أسماء الله تبارك وتعالى إلا من طريق واحد هو طريق الخبر (أي الكتاب والسنة).

ومن أقوال أهل العلم في تقرير هذه المسألة ما يلي:

قال ابن القيم رحمه الله: "أسماء الله تعالى هي أحسن الأسماء وأكملها فليس في الأسماء أحسن منها ولا يقوم غيرها مقامها ولا يؤدي معناها وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيرا بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.

فإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى، وأبعده عن شائبة عيب أو نقص.

فله من صفة الإدراكات: العليم الخبير دون العاقل الفقيه. والسميع البصير دون السامع والباصر والناظر.

ومن صفات الإحسان: البر الرحيم الودود دون الشفوق. وكذلك العلي العظيم دون الرفيع الشريف. وكذلك الكريم دون السخي.

وكذلك الخالق البارئ المصور دون الفاعل الصانع المشكل.

وكذلك سائر أسمائه تعالى يجري على نفسه منها أكملها وأحسنها وما لا يقوم غيره مقامه فتأمل ذلك، فأسماؤه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره، كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم إلى ما وصفه به المبطلون والمعطلون"(١).

وقال أبو سليمان الخطابي: "ومن علم هذا الباب- أعني الأسماء والصفات- ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط، أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة ومتعارض الكلام:

"فالجواد" لا يجوز أن يقاس عليه السخي وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام، وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد.

و"القوي" لا يقاس عليه الجلد، وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين لأن باب التجلد يدخله التكلفة والاجتهاد.

ولا يقاس على "القادر" المطيق ولا المستطيع.

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٦٨ .

وفي أسمائه "العليم" ومن صفته العلم، فلا يجوز قياسا عليه أن يسمى عارفا لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي بها يتوصل إلى علم الشيء وكذلك لا يوصف بالعاقل.

وهذا الباب يجب أن يراعى ولا يغفل، فإن عائدته عظيمة والجهل به ضار وبالله التوفيق"(١).

وقال السفاريني في منظومته:

لكنها في الحق توقيفية لنا بذا أدلة وفية

ثم قال في شرحه: "لكنها- أي أسماء الله - في القول الحق المعتمد عند أهل الحق توقيفية بنص الشرع وورود السمع بها، ومما يجب أن يعلم أن علماء السنة اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء الحسنى والصفات على البارئ جل وعلا إذا ورد بها الإذن من الشارع، وعلى امتناعه على ما ورد المنع عنه" (٢).

من خلال ما تقدم من نقول يتضح لك مدى تمسك علماء أهل السنة بالتوقيف في باب الأسماء الحسنى، ومنعهم لاستخدام القياس اللغوي والعقلي في هذا الباب.

وهذا هو القول الحق الذي تدل عليه النصوص الشرعية ومنها ما يلي:

أولا: قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

فهذه الآية تدل على أن الأسماء توقيفية من وجهين (٣):

أ- قوله: ﴿ الأَسْمَاءُ ﴾ فهي هنا جاءت (بأل) وهي هنا للعهد، فالأسماء بذلك لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص عليه في الكتاب أو السنة(٣).

ب- قوله: ﴿ الْحُسْنَى ﴾ فهذا الوصف يدل على أنه ليس في الأسماء الأخرى أحسن منها، وأن غيرها لا يقوم مقامها ولا يؤدي معناها (٤) فلا يجوز بحال أن يدخل في أسماء الله ما ليس منها، فهذا الوصف يؤكد كونها توقيفية.

ثانيا: قوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١١٨٥].

قال الإمام البغوي: "قال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ (٥) ».

---

(١) شأن الدعاء ١١١ - ١١٣ .
-(٢) لوامع الأنوار البهية ١/ ١٢٤ .
(٣) المحلى ١/٢٩ .
-(٤) بدائع الفوائد ١/ ١٦٨ .
(٥) معالم التنزيل ٣/ ٣٥٧ .

وقال ابن حجر: "قال أهل التفسير: من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب أو السنة الصحيحة"(١).

قال ابن حزم: "منع تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد"(٢).

وبهذا يتبين أن هذه الآية دليل على أن أسماء الله توقيفية، وأن مخالفة ذلك وتسميته تعالى بما لم يسم به نفسه ميل بها عما يجب فيها، فالإقدام على فعل شيء من ذلك هو نوع من الإلحاد في أسماء الله.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ [الأعلى: ١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن جعله تسبيحا للاسم يقول المعنى: أنك لا تسم به غير الله، ولا تلحد في أسمائه فهذا ما استحقه اسم الله"(٣). فإذا فسرت الآية بهذا الوجه ففيها دليل على ما سبق في الآية التي قبلها من اعتبار تسميته بما لم يسم به نفسه من أنواع الإلحاد في أسمائه.

رابعا: قوله تعالى: ﴿ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء: ١٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فإذا كانت هذه الآيات تحرم وتحذر من الخوض في الأمور المغيبة عند فقد الدليل الشرعي، فإن ذلك التحريم والتحذير يدخل فيه باب أسماء الله باعتباره من الأمور المغيبة التي لا تعرف إلا من طريق النص الشرعي.

ولذلك من الواجب هنا الاقتصار على الأسماء الواردة في النصوص وترك ما سواها.

خامسا: حديث "ما أصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من

---

(١) فتح الباري ١١/ ٢٢١ .

(٢) المحلى ١/٢٩ .

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ١٩٩ .

خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. . . " الحديث (١).

والشاهد من الحديث قوله: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك". قال ابن القيم: "فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم"(٢).

و"أو" في قوله: "سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك" حرف عطف والمعطوف بها أخص مما قبله فيكون من باب عطف الخاص على العام فإن ما سمى به نفسه يتناول جميع الأنواع المذكورة بعده، فيكون عطف كل جملة منها من باب عطف الخاص على العام، فوجه الكلام أن يقال: "سميت به نفسك فأنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك"(٣).

ثانيا: الإيمان بأن الله هو الذي يسمي نفسه، ولا يسميه أحد من خلقه فالله عز وجل هو الذي تكلم بهذه الأسماء، وأسماؤه منه، وليست محدثة مخلوقة كما يزعم الجهمية، والمعتزلة، والكلابية، والأشاعرة، والماتريدية.

فمن معتقد أهل السنة والجماعة في هذه المسألة أنهم يؤمنون بأن الله الذي سمى نفسه بأسمائه الحسنى وتكلم بها حقيقة، وهي غير مخلوقة وليست من وضع البشر، يستدلون لقولهم بما يلي:

١ - حديث: "ما أصاب عبدا قط هم ولا غم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك ناصيتي بيدك، ماض في حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك. . . " الحديث (٤).

والشاهد من الحديث قوله: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك". فقد دل الحديث على أن أسماء الله غير مخلوقة بل هو الذي تكلم بها وسمى بها نفسه، ولهذا لم يقل بكل اسم خلقته لنفسك ولا قال سماك به خلقك؟ فالحديث صريح في أن أسماءه ليست من فعل الآدميين وتسمياتهم وأن الله سبحانه تكلم بتلك الأسماء

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٩١، ٤٥٢، وابن حبان، انظر: موارد الظمآن ح ٢٤٧٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٩، والطبراني في الكبير ح ١٠٣٥٢

(٢) شفاء العليل ص ٢٧٧ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٦ (بتصرف).

(٤) أخرجه الامام أحمد في المسند ١/ ٣٩١، ٤٥٢، وافي حبان، انظر: موارد الظمآن ح ٢٤٧٢، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٠٩، والطبراني في الكبير ح ١٠٣٥٢ .

وسمى بها نفسه (١).

٢- أن أسماء الله من كلامه، وكلامه تعالى غير مخلوق، فأسماؤه غير مخلوقة، فهو المسمي لنفسه بتلك الأسماء (٢).

٣- أن الله عز وجل يسأل بهذه الأسماء، ولو كانت مخلوقة لم تجز أن يسأل بها. فإن الله لا يقسم عليه بشيء من خلقه (٣)، فالسائل لله بغيرالله:

أ- إما أن يكون مقسما عليه.

ب- وإما أن يكون طالبا بذلك السبب، كما توسل الثلاثة في الغار بأعمالهم.

فإن كان إقساما على الله بغيره فهذا لا يجوز، وإن كان سؤالا بسبب يقتضي المطلوب، كالسؤال بالأعمال التي فيها طاعة الله ورسوله مثل السؤال بالإيمان بالرسول ومحبته وموالاته ونحو ذلك فهذا جائز(٤).

٤- أن اليمين بهذه الأسماء منعقدة، فمن حلف باسم من أسماء الله فهو حالف بالله، ولو كانت الأسماء مخلوقة لما جاز الحلف بها، لأن الحلف بغير الله شرك بالله، والله لا يقسم عليه بشيء من خلقه (٥).

قال الإمام الشافعي: "من حلف باسم من أسماء الله فحنث فعليه الكفارة؟ لأن اسم الله غير مخلوق، ومن حلف بالكعبة أو بالصفا أو بالمروة فليس عليه كفارة لأنه مخلوق وذلك غير مخلوق"(٦) يعني أسماء الله.

٥- أن أسماء الله مشتقة من صفاته، وصفاته قديمة به، فأسماؤه غير مخلوقة(٧).

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [النساء: ١٥٨]، ﴿ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ [النساء: ٩٦]، قال: "هو سمى نفسه بذاك، وهو لم يزل كذلك".

فأثبت قدم معاني أسمائه الحسنى، وأنه هو الذي سمى نفسه بها (٨). والرب

---

(١) شفاء العليل ص ٢٧٧ (بتصرف).

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ١٨٦ .

(٣) شفاء العليل ص ٢٧٧ .

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٧٤ .

(٥) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ص ٢٧٧ .

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٢/ ٢١١ .

(٧) شفاء العليل ص ٢٧٧ .

(٨) مجموع الفتاوى ٦/٢٠٥ .

تعالى يشتق من أوصافه وأفعاله أسماء[1]، ولا يشتق من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته، أو فعل قائم به، فلو كان يشتق له اسم باعتبار المخلوق المنفصل لسمي متكونا أو متحركا، وساكنا وطويلا، وأبيض وغير ذلك، لأنه خالق هذه الصفات، فلما لم يطلق عليه اسم من ذلك مع أنه خالقه علم أنما تشتق أسماؤه من أفعاله وأوصافه القائمة به وهو سبحانه لا يتصف بما هو مخلوق منفصل عنه، ولا يتسمى باسمه [2].

ثالثا: الإيمان بأن هذه الأسماء دالة على معان في غاية الكمال، فهي أعلام وأوصاف، وليست كالأعلام الجامدة التي لم توضع باعتبار معانيها، كما يزعم المعتزلة.

فمن الأمور المتقررة في عقيدة أهل السنة والجماعة أن أسماء الله الحسنى متضمنة للصفات، فكل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي يدل عليه الاسم الآخر، فالعزيز متضمن. لصفة العزة وهو مشتق منها، والخالق متضمن لصفة الخلق وهو مشتق منها، فأسماء الله مشتقة من صفاته وليست جامدة كما يزعم المعتزلة ومن وافقهم الذين ادعوا أنها أعلام لا معاني لها فقالوا سميع بلا سمع بصير بلا بصر وعزيز بلا عزة، فسلبوا بذلك عن أسماء الله معانيها.

فالرب تعالى يشتق له من أوصافه وأفعاله أسماء ولا يشتق له من مخلوقاته وكل اسم من أسمائه فهو مشتق من صفة من صفاته أو فعل قائم به. ولمزيد من الإيضاح وإلقاء الضوء على هذه المسألة وبيان عقيدة أهل السنة أود طرح ذلك في النقاط التالية:

النقطة الأولى: أن أسماء الله الحسنى لها اعتباران:

أسماء الله الحسنى كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة، ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر [3]. وذلك لأن أسماءه الحسنى لها اعتباران:

---

(١) قال ابن القيم: "أسماء الله الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم، لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى" بدائع الفوائد ١/ ١٦٢ .

(٢) شفاء العليل ص ٢٧١ .

(٣) الإيمان لابن تيمية ص ١٧٥ .

* اعتبار من حيث الذات.
* واعتبار من حيث الصفات.

فهي أعلام باعتبار دلالتها على الذات.

وأوصاف باعتبار ما دلت عليه من المعاني.

وهي بالاعتبار الأول: مترادفة لدلالتها على مسمى واحد هو الله عز وجل "الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ [الإسراء: آية ١١٠].

فأسماء الله تعالى تدل كلها على مسمى واحد، وليس دعاؤه باسم من أسمائه الحسنى يضاد دعاؤه باسم آخر، بل كل اسم يدل على ذاته.

وهي بالاعتبار الثاني: متباينة لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص فمعنى الحي غير معنى العليم غير معنى القدير وهكذا (١).

النقطة الثانية: الوصف بها لا ينافي العلمية:

قال ابن القيم: "أسماء الله الحسنى هي أعلام وأوصاف، والوصف بها لا ينافي العلمية؟ بخلاف أوصاف العباد فإنها تنافي علميتهم لأن أوصافهم مشتركة فنافتها العلمية المختصة، بخلاف أوصافه تعالى"(٢).

وقال رحمه الله: "أسماء الرب تعالى وأسماء كتبه، وأسماء نبيه ﷺ هي أعلام دالة على معان هي بها أوصاف، فلا تضاد فيها العلمية الوصف بخلاف غيرها من أسماء المخلوقين فهو الله الخالق البارئ المصور القاهر فهذه أسماء له دالة على معان هي صفاته. . . "(٣).

قال الدارمي: "لا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق؟ لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم، بل مخلوقة لصفاتهم، وأسماء الله وصفاته ليس شيء منها مخالفا لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفا لأسمائه. فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر لأنك إذا قلت (الله) فهو

---

(١) بدائع الفوائد ١/ ١٦٢، جلاء الأفهام ص ١٣٨، القواعد المثلى ص ٨ .

(٢) بدائع الفوائد ١١/٢٦١ .

(٣) جلاء الأفهام ص ١٣٣، ١٣٤ .

(الله) وإذا قلت (الرحمن) فهو (الرحمن) وهو (الله) فإذا قلت (الرحيم) فهو كذلك، وإذا قلت (حكيم- عليم- حميد- مجيد- جبار- متكبر- قاهر- قادر) فهو كذلك هو (الله) سواء، لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسما.

وقد يسمى الرجل حكيما وهو جاهل، وحكيما وهو ظالم، وعزيزا وهو حقير، وكريما وهو لئيم، وصالحا وهو طالح، وسعيدا وهو شقي، ومحمودا وهو مذموم، وحبيبا وهو بغيض، وأسدا وحمارا، وكلبا وجديا، وكليبا وهرا وحنظلة، وعلقمة وليس كذلك.

والله تعالى تقدس اسمه كل أسمائه سواء، ولم يزل كذلك ولا يزال. لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقا قبل المخلوقين، ورازقا قبل المرزوقين، وعالما قبل المعلومين، وسميعا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيرا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة" (١).

رابعا: احترام معاني تلك الأسماء، وحفظ ما لها من حرمة في هذا الجانب وعدم التعرض لتلك المعاني بالتحريف والتعطيل كما هو شأن أهل الكلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل. ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف، والدلالة والإرشاد"(٢).

فمن المعلوم أن نصوص الصفات ألفاظ شرعية يجب أن تحفظ لها حرمتها وذلك بأن نفهمها وفق مراد الشارع، فلا نتلاعب بمعانيها لنصرفها عن مراد الشارع.

فمن الأصول الكلية أن يعلم أن الألفاظ نوعان:

النوع الأول: نوع جاء به الكتاب والسنة.

فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله وينفي ما نفاه الله ورسوله.

---

(١) الرد على المريسي ص ٣٦٥ .

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٢٦ .

فاللفظ الذي أثبته الله أو نفاه حق، فإن الله يقول الحق وهو يهدي السبيل. والألفاظ الشرعية لها حرمة، ومن تمام العلم أن يبحث عن مراد رسوله بها ليثبت ما أثبته وينفي ما نفاه بالمعاني.

فإنه يجب علينا أن نصدقه في كل ما أخبر. ونطيعه في كل ما أوجب وما أمر.

ثم إذا عرفنا تفصيل ذلك كان ذلك من زيادة العلم والإيمان. وقد قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

النوع الثاني: الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها.

فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده. فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به.

وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره (١).

خامسا: الإيمان بما تقتضيه تلك الأسماء من الآثار وما ترتب عليها من الأحكام(٢).

قال ابن القيم رحمه الله: "وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة خاصة. فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال. وكل صفة لها مقتض وفعل: إما لازم، وإما متعد. ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه. وهذا في خلقه وأمره وثوابه وعقابه. كل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها.

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافه ومعانيها، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال عن المفعولات، كما أنه يستحيل تعطيل مفعولاته عن أفعاله وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته.

وإذا كانت أوصافه صفات كمال، وأفعاله حكما ومصالح، وأسماؤه حسنى ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه؟ ولهذا ينكر سبحانه على من عطله عن أمره ونهيه، وثوابه وعقابه، وأنه بذلك نسبه إلى ما لا يليق به وإلى ما يتنزه عنه وأن ذلك حكم سيء ممن حكم به عليه، وأن من نسبه إلى ذلك فما قدره حق قدره، ولا عظمه حق تعظيمه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ١١٣، ١١٤ .

(٢) انظر تفاصيل هذه المسألة في كتاب "معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى".

عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقال تعالى في حق منكري المعاد والثواب والعقاب: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧]. وقال في حق من جوز عليه التسوية بين المخلوقين، كالأبرار والفجار والمؤمنين والكفار: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية: ٢١]، فأخبر أن هذا حكم سيء لا يليق به تأباه أسماؤه وصفاته.

وقال سبحانه: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: ١١٥- ١١٦]، عن هذا الظن والحسبان، الذي تأباه أسماؤه وصفاته.

ونظائر هذا في القرآن كثيرة ينفي فيها عن نفسه خلاف موجب أسمائه وصفاته إذ ذلك تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها.

فاسمه "الحميد، المجيد" يمنع ترك الإنسان سدى مهملا معطلا، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب، وكذلك اسمه "الحكيم" يأبى ذلك. وكذلك اسمه "الملك" واسمه "الحي" يمنع أن يكون معطلا من الفعل؟ بل حقيقة "الحياة" الفعل. فكل حي فعال. وكونه سبحانه "خالقا قيوما" من موجبات حياته ومقتضياتها.

واسمه "السميع البصير" يوجب مسموعا ومرئيا.

واسمه "الخالق" يقتضي مخلوقا. وكذلك "الرزاق".

واسمه "الملك" يقتضي مملكة وتصرفا وتدبيرا، وإعطاء ومنعا، وإحسانا وعدلا، وثوابا وعقابا.

واسمه "البر، المحسن، المعطي، المنان" ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها إذا عرف هذا. فمن أسمائه سبحانه "الغفار، التواب، العفو" فلابد لهذه الأسماء من متعلقات. ولابد من جناية تغتفر، وتوبة تقبل، وجرائم يعفى عنها.

ولابد لاسمه "الحكيم" من متعلق يظهر فيه حكمه. إذ اقتضاء هذه الأسماء لآثارها كاقتضاء اسم "الخالق، الرازق، المعطي، المانع" للمخلوق والمرزوق والمعطى والممنوع. هذه الأسماء كلها حسنى.

والرب تعالى يحب ذاته وأوصافه وأسماءه. فهو عفو يحب العفو، ويحب المغفرة، ويحب التوبة ويفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه أعظم فرح يخطر بالبال.

وكان تقدير ما يغفره ويعفو عن فاعله، ويحلم عنه، ويتوب عليه ويسامحه، من

موجب أسمائه وصفاته. وحصول ما يحبه ويرضاه من ذلك.

وما يحمد به نفسه ويحمده به أهل سمواته وأهل أرضه، ما هو من موجبات كماله ومقتضى حمده. وهو سبحانه الحميد المجيد، وحمده ومجده يقتضيان آثارهما.

ومن آثارهما: مغفرة الزلات، وإقالة العثرات، والعفو عن السيئات والمسامحة على الجنايات: مع كمال القدرة على استيفاء الحق. والعلم منه سبحانه بالجناية ومقدار عقوبتها. فحلمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته ومغفرته عن كمال عزته وحكمته، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، أي فمغفرتك عن كمال قدرتك وحكمتك. لست كمن يغفر عجزا ويسامح جهلا بقدر الحق، بل أنت عليم بحقك. قادر على استيفائه حكيم في الأخذ به.

فمن تأمل سريان آثار الأسماء والصفات في العالم، وفي الأمر، تبين له أن مصدر قضاء هذه الجنايات من العبيد، وتقديرها: هو من كمال الأسماء والصفات والأفعال.

وغاياتها أيضا: مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى ربوبيته وإلهيته فله في كل ما قضاه وقدره الحكمة البالغة، والآيات الباهرة، والتعرفات إلى عباده بأسمائه وصفاته، واستدعاء محبتهم له، وذكرهم له، وشكرهم له وتعبدهم له بأسمائه الحسنى. إذ كل اسم له تعبد مختص به، علما ومعرفة وحالا.

وأكمل الناس عبودية: المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر. فلاتحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر، كمن يحجبه التعبد باسمه "القدير" عن التعبد باسمه "الحليم الرحيم". أو يحجبه عبودية اسمه "المعطي" عن عبودية اسمه "المانع" أو عبودية اسمه "الرحيم العفو الغفور" عن اسمه "المنتقم" أو التعبد بأسماء "التودد، والبر، واللطف، والإحسان" عن أسماء "العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء " ونحو ذلك. وهذه طريقة الكمل من السائرين إلى الله، وهي طريقة مشتقة من قلب القرآن، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، والدعاء بها يتناول دعاء المسألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد. وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها. ويأخذوا بحظهم من عبوديتها وهو سبحانه يحب موجب أسمائه وصفاته.

فهو "عليم" يحب كل عليم، "جواد" يحب كل جود، "وتر" يحب الوتر،

"جميل" يحب الجمال، "عفو" يحب العفو وأهله، "حيي" يحب الحياء وأهله، "بر" يحب الأبرار، "شكور" يحب الشاكرين، "صبور" يحب الصابرين، "حليم" يحب أهل الحلم.

فلمحبته سبحانه للتوبة والمغفرة والعفو والصفح: خلق من يغفر له ويتوب عليه ويعفو عنه. وقدر عليه ما يقتضي وقوع المكروه والمبغوض له. ليترتب عليه المحبوب له والمرضي له . . . . "(١).

المطلب الثالث: موقفهم من باب الصفات

يمكن إجمال معتقد أهل السنة في صفات الله في النقاط التالية:

١- إثبات تلك الصفات لله عز وجل حقيقة على الوجه اللائق به، وأن لا تعامل بالنفي والإنكار.

٢- أن لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به، بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة، فلا تعطل الصفة، ولا يغير اسمها ويعيرها اسما آخر.

٣- عدم تشبيهها أو تمثيلها بما للمخلوق، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

٤- اليأس من إدراك كنهها وكيفيتها.

٥- الإيمان بما تقتضيه تلك الصفات من الآثار وما يترتب عليها من الأحكام.

أما بالنسبة للنقطة الأولى: وهي إثبات الصفات لله عز وجل حقيقة على الوجه اللائق به، وأن لا تعامل بالنفي والإنكار. فتفصيلها أن يقال:

صفات الله تعالى كلها صفات كمال، قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ١٢٧].

قال ابن كثير: " ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ أي الكمال المطلق من كل وجه"(٢).

وقال القرطبي: " ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ أي الوصف الأعلى"(٣).

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤١٧ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/ ٥٧٣، ط: دار المعرفة.

(٣) تفسير القرطبي ١١٩١١٠، وقد ذكر القرطبي فائدة جليلة هي: "فإن قيل كيف أضاف المثل هنا إلى نفسه وقد قال: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ فالجواب أن قوله: ﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾ أي الأمثال التي توجب الأشباه والنقائص؟ أي فلا تضربوا له مثلا يقتضي نقصا =

فالله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه أن له الوصف الأعلى والكمال المطلق من كل وجه، فيجب الإيمان بما أخبر الله به عن نفسه وذلك بالاعتقاد الجازم بأن كل ما أخبر به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من الصفات هي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لأن الله تعالى هو الذي أخبر بها عن نفسه ووصف بها نفسه، وهو سبحانه المستحق للكمال من جميع الوجوه، كما دلت على ذلك النصوص المتقدمة وغيرها.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وصف سبحانه نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٠]، فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده، ولهذا كان له المثل الأعلى وهو أفعل التفضيل، أي أعلى من غيره... والمثل الأعلى: هو الكمال المطلق، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية، التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان أعلى من غيره، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى ووجهه الأعلى وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا، كان له المثل الأعلى، وكان أحق به من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان لأنهما إن تكافآ لم يكن أحدهما أعلى من الآخر، وإن لم يتكافآ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده، ويستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى، مثل أو نظير، وهذا برهان قاطع من إثبات صفات الكمال على استحالة التمثيل والتشبيه، فتأمله فإنه في غاية الظهور والقوة... فهذه الآية من أعظم الأدلة على ثبوت صفات كماله سبحانه"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "يجب أن يعلم أن الكمال ثابت لله، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى، يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك مستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة مستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز، وإن هذا الكمال ثابت له بمقتضى الأدلة العقلية والبراهين اليقينية، مع دلالة

=وتشبيها بالخلق، والمثل الأعلى وصفه بما لا شبيه له ولا نظير".

(١) الصواعق المنزلة ١٥٣١١٣، ١٠٣٢ بتصرف.

السمع على ذلك (١).

وثبوت "معنى الكمال" قد دل عليه القرآن بعبارات متنوعة، دالة على معاني متضمنة لهذا المعنى، فما في القرآن من إثبات الحمد لله، وتفصيل محامده، وأن له المثل الأعلى، وإثبات معاني أسمائه، ونحو ذلك كله دال على هذا المعنى.

وقد ثبت لفظ "الكمال" فيما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١- ٢]، أن الصمد المستحق للكمال، وهو السيد الذي كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحكم الذي قد كمل في حكمه، والغني الذي قد كمل في غناه، والجبار الذي قد كمل في جبروته والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الشريف الذي قد كمل أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه وتعالى. وهذه صفة لا تنبغي إلا له، ليس له كفؤا ولا كمثله شيء، وهكذا سائر صفات الكمال.

ولم يعلم أحد من الأمة نازع في هذا المعنى، بل هذا المعنى مستقر في فطر الناس، بل هم مفطورون عليه، فإنهم كما أنهم مفطورون على الإقرار بالخالق، فإنهم مفطورون على أنه أجل وأكبر، وأعلى وأعظم وأكمل من كل شيء فالإقرار بالخالق وكماله يكون فطريا ضروريا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها" (٢).

ولقد وصفه الله نفسه بصفات كثيرة في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه محمد ﷺ منها على سبيل المثال صفة الحياة أو العلم والسمع والبصر والرحمة والحكمة والعزة

---

(١) دلالة القرآن على الأمور نوعان:

أحدهما: خبر الله الصادق، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله به.

الثاني: دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي شرعية لأن الشرع دل عليها، وأرشد اليها. وعقل لأنها تحلم صحتها بالمقل، ولا يقال: إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر.

وإذا أخبر الله بالشيء، ودل عليه بالدلالات العقلية: صار مدلولا عليه بخبره، ومدلولا عليه بدليله العقلي الذي يعلم به، فيصير ثابتا بالسمع والعقل، وكلاهما داخل في دلالة القرآن التي تسمى "الدلالة الشرعية". مجموع الفتاوى ٦/ ٧١، ٧٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٦/ ٧١- ٧٣ بتصرف.

والعظمة والعلو والاستواء والقدرة والنزول والضحك والغضب واليدين والوجه وغير ذلك، وهذه الصفات التي أثبتها لنفسه كلها صفات كمال في حقه نثبتها لله حقيقة مع الاعتقاد الجازم بأنه ليس كمثله شيء في هذه الصفات.

وكما أثبت الله لنفسه صفات الكمال فقد نزه نفسه عن صفات النقص كالموت والجهل والنسيان والعجز والعمى والصمم ونحوها كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقوله عن موسى: ﴿ فِي كِتَابٍ لا يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى ﴾ [طه: ٥٢]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤]، وقوله: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وقال النبي ﷺ في الدجال: "إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور"(١) ، وقال: "أيها الناس اربعوا (٢) على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ".

فالصفة إذا كانت صفة نقص لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى ولقد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص وذمهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [آل عمران: ١٨١].

ونزه نفسه عما يصفونه به من النقائص فقال سبحانه: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٩١].

ولقد أظهر الله بطلان ألوهية الأصنام بأنها متصفة بالنقص والعجز فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥]، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النحل: ٢١]، وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴾ [مريم: ٤٢]، وعلى قومه: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلا يَضُرُّكُمْ أُفٍّ

---

(١) متفق عليه: البخاري ١٣/ ٩٠، ومسلم ١٨/ ٥٩ .
(٢) اربعوا: أي ارفقوا (النهاية ٢/ ١٨٧).

لكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٦].

وبهذه الأدلة وغيرها يعلم أن الواجب على المسلم أن يثبت لله ما وصف به نفسه في كتابه أو سنة نبيه محمد ﷺ حقيقة وأن تلك الصفات هي صفات كمال اختص بها سبحانه وتعالى لا يماثله ولايشابهه فيها أحد.

كما يعلم ضلال من أنكر تلك الصفات أو بعضها بدعوى تنزيه الله تعالى عن النقص، فلقد نزه الله سبحانه نفسه عن النقص في مواطن متعددة من كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ فلو كان ما نفوه من الصفات هي صفات نقص في حقه لنزه الله نفسه عنها ولم يثبتها لنفسه وكذلك لو كانت صفات نقص لما عاب على الأصنام عدم اتصافها بها.

النقطة الثانية: "وهي أن لا يتعدى بها اسمها الخاص الذي سماها الله به بل يحترم الاسم كما يحترم الصفة، فلا يعطل الصفة، ولا يغير اسمها ويعيرها اسما آخر.

كما يفعل المعطلة الذين لم يريدوا تنزيه الله ووصفه بالكمال وإنما أرادوا أن يحولوا بين القلوب وبين معرفة ربها، ولذلك سموا إثبات صفاته وعلوه فوق خلقه، واستواءه على عرشه: تشبيها وتجسيما وحشوا، فنفروا عنه صبيان العقول، وسموا نزوله إلى سماء الدنيا وتكلمه بمشيئته، ورضاه بعد غضبه، وغضبه بعد رضاه، وسمعه الحاضر لأصوات العباد، ورؤيته المقارنة لأفعالهم ونحو ذلك: حوادث. وسموا وجهه الأعلى ويديه المبسوطتين، وأصابعه التي يضع عليها الخلائق يوم القيامة: جوارح وأعضاء. مكرا منهم كبارا بالناس. كمن يريد التنفير عن العسل فيمكر في العبارة ويقول: مائع أصفر يشبه العذرة المائعة. أو ينفر عن شيء مستحسن فيسميه بأقبح الأسماء فعل الماكر الخادع فليس مع مخالف الرسل سوى المكر في القول والفعل.

ولقد راج مكر هؤلاء المعطلة على أصحاب القلوب المظلمة الجاهلة بحقائق الإيمان وما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فترتب على ذلك إعراضهم عن الله وعن ذكره ومحبته، والثناء عليه أوصاف كماله ونعوت جلاله، فانصرفت قوى حبها وشوقها وأنسها إلى سواه.

ومعلوم أنه لا يستقر للعبد قدم في المعرفة بل ولا في الإيمان حتى يؤمن بصفات الرب جل جلاله، ويعرفها معرفة تخرجه عن حد الجهل بربه فالإيمان بالصفات

وتعرفها: هو أساس الإسلام، وقاعدة الإيمان، وثمرة شجرة الإحسان. فمن جحد الصفات فقد هدم أساس الإسلام والإيمان وثمرة شجرة الإحسان، فضلا عن أن يكون من أهل العرفان، وقد جعل الله سبحانه منكر صفاته سيء الظن به. وتوعده بما لم يتوعد به غيره من أهل الشرك والكفر والكبائر فقال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [فصلت: ٢٢]، فأخبر سبحانه أن إنكارهم هذه الصفة من صفاته من سوء ظنهم به وأنه هو الذي أهلكهم وقد قال في الظانين به ظن السوء ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [الفتح: ٦]، ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير من ظن السوء به سبحانه، وجحد صفاته وإنكار حقائق أسمائه من أعظم ظن السوء به »(١).

« وطائفة المعطلة قد أساءت الظن بربها وبكتابه وبنبيه وبأتباعه:

أما إساءة الظن بالرب: فإنها عطلت صفات كماله، ونسبته إلى أنه أنزل كتابا مشتملا على ما ظاهره كفر وباطل، وأن ظاهره حقائقه غير مراده.

وأما إساءة الظن بالرسول: فلأنه تكلم بذلك وقرره وأكده، ولم يبين للأمة أن الحق في خلافه وتأويله.

وأما إساءة ظنها بأتباعه فنسبتهم لهم إلى التشبيه والتمثيل، والجهل والحشو »(٢).

وطائفة المعطلة لما فهمت من الصفات الإلهية ما تفهمه من صفات المخلوقين فرت إلى إنكار حقائقها، وابتغاء تحريفها، وسمته تأويلا فشبهت أولا وعطلت ثانيا وأساءت الظن بربها وبكتابه ونبيه وأتباعه.

فانظر إلى ما أدى إليه سوء فهم المعطلة لنصوص الأسماء والصفات.

ولم يكن المشبهة بأحسن حالا من المعطلة فهم كذلك أدى بهم سوء فهمهم لنصوص الصفات إلى تشبيه الخالق سبحانه وتعالى بخلقه فقد فهموا منها مثل ما للمخلوقين وظنوا أن لا حقيقة لها سوى ذلك، وقالوا محال أن يخاطبنا الله سبحانه

---

(١) مدارج السالكين ٣/ ٣٤٧- ٣٥٥ بتصرف.
(٢) مدارج السالكين ٣/ ٣٦٠ .

بما لا نعـــقله [١]. وهم بذلك عطلوا الله تبارك وتعالى عن كـماله الواجب له حيث مثلوه وشبهوه بالمخلوق الناقص، وعطلوا كل نص يدل على نفي مماثلة الله لخلقه.

وقد هدى الله أصحـاب سواء السبيل للطريقـة المثلى فأثبتوا لله حقـائق الأسماء والصفـات ونفوا عنه مماثلة المخلوقـات فكان مذهبـهم مذهبا بين مـذهبين وهدى بين ضلالتين.

فقالوا: نصف الله بماوصف به نفسه، وبما وصـفه به رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غيـر تشبيه ولا تمثـيل بل طريقتنا إثبات حـقائق الأسماء والصـفات، ونفي مشـابهة المخلوقات، فلا نعطل ولا نؤول ولا نمثل ولا نجـهل ولا نقول ليس له يدان ولا وجه ولا سمع ولا بصر ولا حياة ولا قدرة، ولا استوى على عرشه.

ولا نقول له يدان كأيدي المخلوق ووجه كوجـوههم وسمع وبصر، وحياة وقدرة واستواء، كأسماعهم وأبصارهم وحياتهم وقدرتهم واستوائهم.

بل نقول: لـه ذات حقيـقيـة ليست كذوات المخلـوقين وله صفات- حـقيـقة لا مجازا- ليـست كصفات المخلوقين، وكـذلك قولنا في وجهه تبـارك وتعالى، ويديه، وسمعه وبصره، وكلامه، واستوائه.

ولا يمنعنا ذلك أن نفهم المراد من تلك الصـفات وحقائقهـا كما لم يمنع ذلك من أثبت لله شيئـا من صفات الكمال من فهم مـعنى الصفة وتحقيقـها، فإن من أثبت له سبحانه السمع والبصـر أثبتهما حقيقة، وفهم معناهما فـهكذا سائر الصفات المقدسة، يجب أن تجري هذا المجرى وإن كان لا سبـيل لنا إلى معرفة كنهها وكيفـيتها فإن الله سبحانه لم يكلف العباد ذلك ولا أراده منهم ولم يجعل لهـم إليه سبيلا. بل كثير من مخلوقاته بل أكثرها لم يجعل لهم سبيلا إلى مـعرفة كنهه وكيفيته وهذه أرواحهم التي هي أدنى إليهم من كـل دان قد حجب عنهم مـعرفة كنهـها وكيـفيتـها. وقد أخـبرنا سبحانه عن تفـاصيل يوم القيامة وما في الجنة والنار، فـقامت حقائق ذلك في قلوب أهل الإيمان وشاهدته عقولهم ولم يعرفوا كيفيته وكنهه فلا شك أن المسلمين يؤمنون أن في الجنة أنهارا من خمر وأنهارا من عـسل وأنهارا من لبن، ولكن لا يعرفون كنه ذلك ومادته وكيفيته إذ كانوا لا يعرفون في الدنيا الخمر إلا ما اعتصر من الأعناب، والعسل إلا ما قذفت به النحل في بيوتها، واللبن مـا خرج من الضروع، والحرير إلا ما خرج

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/ ٤٢٥ .

من فم دود القز، وقد فهموا معاني ذلك في الجنة من غير أن يكون مماثلا لما في الدنيا. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء"(١) ولم يمنعهم عدم النظير في الدنيا من فهم ما أخبروا به في ذلك؟ فهكذا الأسماء والصفات لم يمنعهم انتفاء نظيرها في الدنيا ومثلها من فهم حقائقها ومعانيها بل قام بقلوبهم معرفة حقائقها وانتفاء التمثيل والتشبيه عنها وهذا هو المثل الأعلى الذي أثبته سبحانه لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [النحل: ٦٥]،.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١].

فنفى سبحانه المماثلة عن هذا المثل الأعلى وهو ما في قلوب أهل سمواته وأرضه من معرفته والإقرار بربوبيته وأسمائه وصفاته وذاته. فهذا المثل الأعلى هو الذي آمن به المؤمنون وأنس به العارفون وقامت شواهده في قلوبهم بالتعريفات الفطرية، المكملة بالكتب الإلهية، المقبولة بالبراهين العقلية. فاتفق على الشهادة بثبوته العقل والسمع والفطرة، فإذا قال المثبت: "يا الله" قام بقلبه ربا قيوما قائما بنفسه مستويا على عرشه مكلفا متكلفا، سامعا رائيا قديرا سديدا، فعالاً لما يشاء يسمع دعاء الداعين، ويقضي حوائج السائلين ويفرج عن المكروبين، ترضيه الطاعات وتغضبه المعاصي، تعرج الملائكة بالأمر إليه وتنزل بالأمر من عنده" (٢).

النقطة الثالثة: وهي عدم تشبيهها أو تمثيلها بما للمخلوق. فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أن ما أثبته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين.

وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل. أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره ١/ ١٧٤، وأبو نعيم في صفة الجنة ١/ ١٦٠ رقم ١٢٤- ١٢٥ . وأورده ابن كثير في تفسيره ١/ ٩١، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١٦ .

(٢) الصواعق المنزلة ٢/ ٤٢٥، ٤٣٠ بتصرف.

[النحل: ١٧]، وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً ﴾ [مريم: ٦٥]، وقوله: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى ﴾ [النحل: ٦٥].

أما العقل: فمن وجوه:

الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تباينا في الذات وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات لأن صفة كل موصوف تليق به كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات فقوة البعير مثلا غير قوة الذرة، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث فظهور التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى (١).

الثاني: أن يقال كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى ما يكمله، وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصا (٢).

الثالث: أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية فنشاهد أن للإنسان يدا ليست كيد الفيل وله قوة ليست كقوة الجمل مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد وهذه يد، وهذه قوة وهذه قوة وبينهما تباين في الكيفية والوصف فعلم بذلك أن الاتفاق في الاسم لايلزم منه الاتفاق في الحقيقة.

والتشبيه كالتمثيل وقد يفرق بينهما بأن التمثيل: التسوية في كل الصفات. والتشبيه: التسوية في أكثر الصفات لكن التعبير بنفي التمثيل أولى لموافقة القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

وفي هذا الباب يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "الثالث: عدم تشبيهها بما للمخلوق، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله، فالعارفون به، المصدقون لرسله، المقرون بكماله: يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات فيجمعون بين الإثبات ونفي التشبيه، وبين التنزيه وعدم التعطيل، فمذهبهم حسنة بين سيئتين، وهدى بين ضلالتين، فصراطهم صراط المنعم عليهم، وصراط غيرهم صراط المغضوب عليهم والضالين. قال الإمام أحمد: "لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنعين"(٣) وقال:

---

(١) القواعد المثلى ص ٢٦ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) كتاب الصفدية ١/ ١٠٠ .

"التشبيه: أن تقول يد كيدي"(١) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" (٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "التشبيه الممتنع إنما هو مشابهة الخالق للمخلوق في شيء من خصائص المخلوق، أو أن يماثله في شيء من صفات الخالق. فإن الرب تعالى منزه عن أن يوصف بشيء من خصائص المخلوق، أو أن يكون له مماثل في شيء من صفات كماله، وكذلك يمتنع أن يشاركه غيره في شيء من أموره بوجه من الوجوه".

وقال أيضا: "وأما لفظ المشبهة فلا ريب أن أهل السنة والجماعة والحديث من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد وغيرهم متفقون على تنزيه الله تعالى عن مماثلة الخلق، وعلى ذم المشبهة الذين يشبهون صفاته بصفات خلقه، ومتفقون على أن الله ليس كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله".

النقطة الرابعة: وهي اليأس فى إدراك كنهها وكيفيتها.

التكييف: هوأن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيدها بمماثل. وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل.

أما السمع: فمنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً ﴾ [طه: ١١٠]، وقوله: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبر عن كيفيتها فيكون تكييفنا قفوا لما ليس لنا به علم وقولا بما لم يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل فوجب بطلان تكييفها.

وأيضا فإننا نقول: أي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟

إن أي كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجل من ذلك.

وأي كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنك ستكون كاذبا فيها لأنه لا علم لك بذلك.

وحينئذ يجب الكف عن التكييف تقديرا بالجنان أو تقريرا باللسان أو تحريرا

---

(١) منهاج السنة النبوية ٢/ ٥٢٣ .

(٢) إبطال التأويلات ١/ ٤٤ رقم ٦ .

بالبنان.

ولقد سار السلف جميعهم على منع التكييف في صفات الله تعالى، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله تعالى عن قوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرحضاء (العرق) ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(١). وروي عن شيخه ربيعة أيضا: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول"(٢). وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه.

فالحذر الحذر من التكييف ومحاولته فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها، وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته فالجأ إلى ربك فإنه معاذك وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ٢٥٠] (٣) ».

وقال ابن القيم: "والعقل قد يئس عن تعرف كنه الصفة وكيفيتها، فإنه لا يعلم كيف الله إلا الله، وهذا معنى قول السلف "بلا كيف" أي بلا كيف يعقله البشر، فإن من لا تعلم حقيقة ذاته وماهيته، كيف تعرفه كيفية نعوته وصفاته؟ ولا يقدح ذلك في الإيمان بها ومعرفة معانيها، فالكيفية وراء ذلك، وكما أنا لا نعرف معاني ما أخبر الله به من حقائق ما في اليوم الآخر، ولا نعرف حقيقة كيفيته، مع قرب ما بين المخلوق والمخلوق. فعجزنا عن معرفة كيفية الخالق وصفاته أعظم وأعظم.

فكيف يطمع العقل المخلوق المحصور المحدود في معرفة كيفية من له الكمال كله، والجمال كله، والعلم كله، والقدرة كلها، والعظمة كلها والكبرياء كله، من لو كشف الحجاب عن وجهه لأحرقت سبحاته السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، وما وراء ذلك. الذي يقبض سمواته بيده، فتغيب كما تغيب الخردلة في كف أحدنا، ونسبة علوم الخلائق كلها إلى علمه أقل من نسبة نقرة عصفور من بحار العلم الذي لو

---

(١) المصدر السابق ١/ ٤٤ رقم ٦ .

(٢) مدارج السالكين ٣/ ٣٥٩ .

(٣) أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" ١/ ٣٩٨ . وابن قدامة في "إثبات صفة العلو" ص ٢٨ .

أن البحر- يمده من بعده سبعة أبحر- مداد، وأشجار الأرض- من حيث خلقت إلى يوم القيامة- أقلام: لفني المداد وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلماته. الذي لو أن الخلق من أول الدنيا إلى آخرها - إنسهم وجنهم وناطقهم وأعجمهم- جعلوا صفا واحدا: ما أحاطوا به سبحانه، الذي يضع السموات على إصبع من أصابعه، والأرض على إصبع والجبال على إصبع، والأشجار على إصبع، ثم يهزهن، ثم يقول: أنا الملك. فقاتل الله الجهمية والمعطلة أين التشبيه ههنا؟ وأين التمثيل؟ لقد اضمحل ههنا كل موجود سواه، فضلا ممن يكون له ما يماثله في ذلك الكمال ويشابهه فيه. فسبحان من حجب عقول هؤلاء عن معرفته، وولاها ما تولت من وقوفها مع الألفاظ التي لا حرمة لها، والمعاني التي لا حقائق لها"(١) .

النقطة الخامسة: وهي الإيمان بما تقتضيه تلك الصفات من الآثار وما يترتب عليها من الأحكام.

أي الإيمان بما تضمنته من المعاني وبما ترتب عليها من مقتضيات وأحكام. فهذا ما جاء الأمر به والحث عليه في القرآن والسنة.

فمن القرآن قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، والشاهد من الآية قوله: ﴿ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾.

ووجه الاستشهاد أن الله يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها فإن الدعاء بها يتناول:

دعاء المسألة: كقولك: ربي ارزقني.

ودعاء الثناء: كقولك: سبحان الله.

ودعاء التعبد: كالركوع والسجود (٢).

ومن السنة قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة" متفق عليه (٣).

الشاهد من الحديث: قوله ﷺ: «من أحصاها".

---

(١) أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" ٢/ ٣٩٨ . والبيهقي في "الأسماء والصفات" ٢/ ١٥١ . والعجلي في "تاريخ الثقات" ص ٩٥٨ رقم ٤٣١ . وابن قدامة في "إثبات صفة العلو" ص ١٦٤ . وأورده الذهبي في "العلو" ص ١٩٨ .

(٢) القواعد المثلى ص ٢٥- ٢٨ .

(٣) مدارج السالكين ٣/ ٣٦٠ .

ووجه الاستشهاد: أن معنى "من أحصاها": أي حفظها ألفاظا، وفهم معانيها ومدلولاتها، وعمل بمقتضياتها وأحكامها.

فالعلم بأسماء الله وصفاته واعتقاد تسمي الله واتصافه بها هو من العبادة وإدراك القلب لمعانيها، وما تضمنته من الأحكام والمقتضيات، واستشعاره وتجاوبه لذلك بالقدر الذي يؤدي إلى سلامة تفكيره واستقامة سلوكه، هو عبادة أيضا.

فأهل السنة يؤمنون بما دلت عليه أسماء الله وصفاته من المعاني، وبما يترتب عليها من مقتضيات وأحكام، بخلاف أهل الباطل الذين أنكروا ذلك وعطلوه.

ويجب تحقيق المقتضى والأثر لتلك الصفات، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها- أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها- فعلم العبد بتفرد الرب بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، يثمر له عبودية "التوكل".

وعلم العبد بجلال الله وعظمته وعزه، يثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة.

فالسلف يؤمنون بأسماء الله وصفاته، وبما دلت عليه من المعاني والأحكام، أما كيفيها فيفوضون علمها إلى الله.

وهم برآء مما اتهمهم به المعطلة الذين زعموا أن السلف يؤمنون بألفاظ نصوص الأسماء والصفات، ويفوضون معانيها.

وهذا الزعم جهل على السلف، فإنهم كانوا أعظم الناس فهما وتدبرا لآيات الكتاب وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة ما يتعلق بمعرفة الله تعالى، فكانوا يدرون معاني ما يقرءون ويحملون من العلم، ولكنهم لم يكونوا يتكلفون الفهم للغيب المحجوب، فلم يكونوا يخوضون في كيفيات الصفات شأن أهل الكلام والبدع، فإنهم حين خاضوا في ذات الله وصفاته وقعوا في التأويل والتعطيل، وإنما ألجأهم إلى ذلك الضيق الذي دخل عليهم بسبب التشبيه فأرادوا الفرار منه فوقعوا في التعطيل، ولم يقع تعطيل إلا بتشبيه، ولو أنهم نزهوا الله تعالى ابتداء عن مشابهة الخلق، وأثبتوا الصفة مع نفي المماثلة لسلموا ونجوا، ولوافقوا اعتقاد السلف ولبان لهم أن السلف لم يكونوا حملة أسفار لا يدرون ما فيها.

ومن تدبر كلام أئمة السلف المشاهير في هذا الباب علم أنهم كانوا أدق الناس نظرا وأنهم أعلم الناس في هذا الباب، وأن الذين خالفوهم لم يفهموا حقيقة أقوال السلف والأئمة، ولذلك صار أولئك الذين خالفوا مختلفين في الكتاب، مخالفين للكتاب، وقد قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [البقرة:

١٧٦].

ومن له اطلاع على أقوال السلف المدونة في كتب العقيدة والتفسير والحديث عند الحديث عن نصوص الصفات يعلم أن السلف تكلموا في معاني الصفات وبينوها ولم يسكتوا عنها، وهذه الأقوال هي أكبر شاهد على فهم السلف لمعاني الصفات وإيمانهم بها والله أعلم(١).

الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين:

قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري رحمه الله ورضى عنه: بالله نستهدي، وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهو المستعان أما بعد:

قال الله تبارك وتعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) من الآية (٨٨ / ٢٨)، وقال تعالى: (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) (٢٧ / ٥٥)، فأخبر أن له سبحانه وجها لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك .

وقال تعالى: (تجرى بأعيننا) من الآية (١٤ / ٥٤)، وقال تعالى: (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا) من الآية (٣٧ / ١١)، (٢/ ١٢١) فأخبر تعالى أن له وجها وعينا ولا تكيَّف ولا تحد . وقال تعالى: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) من الآية (٤٨ / ٥٢)، وقال تعالى: (ولتصنع على عيني) من الآية (٣٩ / ٢٠)، وقال تعالى: (وكان الله سميعا بصيرا) من الآية (١٣٤ / ٤)، وقال لموسى وهارون عليهما أفضل الصلاة والسلام: (إنني معكما أسمع وأرى) من الآية (٤٦ / ٢٠) فأخبر تعالى عن سمعه وبصره ورؤيته (٢/ ١٢٢) .

فصل

ونفى الجهمية أن يكون لله تعالى وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى؛ لأن النصارى لم تثبت الله سميعا بصيرا إلا على معنى أنه عالم، وكذلك قالت الجهمية، ففي حقيقة قولهم أنهم قالوا: نقول إن الله عالم، ولا نقول سميع بصير، على غير معنى عالم، وذلك قول النصارى (٢/ ١٢٣) .

فصل

قالت الجهمية: إن الله لا علم له، ولا قدرة، ولا سمع له، ولا بصر، وإنما

---

(١) مدارج السالكين ١/ ٤٢٠ .

قصدوا إلى تعطيل التوحيد، والتكذيب بأسماء الله تعالى، فأعطوا ذلك له لفظا، ولم يحصلوا قولهم في المعنى، ولولا أنهم خافوا السيف؛ لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم (٢/ ١٢٤) .

فصل

وزعم شيخ منهم نحس مقدم فيهم أن علم الله هو الله، وأن الله سبحانه علم، فنفى العلم من حيث أوهم أنه يثبته، حتى ألزم أن يقول: يا علم اغفر لي؛ إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله - على قياسه الفاسد - علما وقدرة .تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

مسألة:

فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجها؟

قيل له: نقول ذلك، خلافا لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك (٢/ ١٢٥) قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧ / ٥٥) .

مسألة:

قد سئلنا أتقولون إن لله يدين ؟

قيل: نقول ذلك بلا كيف، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ من الآية (١٠ /٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ من الآية (٧٥ / ٣٨) .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته)، (٢/ ١٢٦) فثبتت اليد بلا كيف .

وجاء في الخبر المأثور عن النبي ﷺ «أن الله تعالى خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده) ٠

وقال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ من الآية (٦٤ / ٥).

وجاء عن النبي ﷺ أنه قال: (كلتا يديه يمين).

وقال تعالى: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ من الآية (٤٥ / ٦٩).

وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، ويعني به النعمة، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في خطاب أهل اللسان أن يقول القائل: فعلت بيدي، (٢/ ١٢٧) ويعني النعمة؛ بطل أن يكون معنى قوله تعالى: (بيدي) النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يدي،

بمعنى لي عليه نعمتي، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها دوفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها، وأن لا يثبت اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن روجع في تفسير قوله تعالى: (بيدي) نعمتي فليس المسلمون على ما ادعى متفقين، وإن روجع إلى (٢/ ١٢٨) اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي يعني نعمتي، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجد له سبيلا.

مسألة:

ويقال لأهل البدع: ولِم زعمتم أن معنى قوله: (بيدي) نعمتي أزعمتم ذلك إجماعا أو لغة؟

فلا يجدون ذلك إجماعا ولا في اللغة.

وإن قالوا: قلنا ذلك من القياس.

قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قوله تعالى: (بيدي) لا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن تفسير كذا وكذا مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه العزيز، الناطق على لسان نبيه الصادق (٢/ ١٢٩): ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا من رَّسُول إلاَّ بلسَان قَوْمه ﴾ من الآية (٤ / ١٤)، وقال تعالى: ﴿ لِّسَانُ الَّذي يُلْحدُونَ إلَيْه أَعْجَمِيٌّ وَهَـٰذَا لسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ من الآية (١٠٣ / ١٦)، وقال تعالى: ﴿ إنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا ﴾ من الآية (٣ / ٤)، وقال تعالى: ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ منْ عند غَيْر اللّه ﴾ من الآية (٨٢ / ٤)، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه على أنهم إنما علموه؛ لأنه بلسانهم نزل، وليس في لسانهم ما ادعوه.

مسألة:

وقد اعتل معتل بقول الله تعالى (٢/ ١٣٠): ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بأَيْد ﴾ من الآية (٤٧ / ٥١) قالوا: الأيد القوة، فوجب أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ بقدرتي، قيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه:

أحدها: أن الأيد ليس جمع لليد؛ لأن جمع يد أيدي، وجمع اليد التي هي نعمة أيادي، وإنما قال تعالى: ﴿ لمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ من الآية (٧٥ / ٣٨)، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ معنى قوله: ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾.

وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بـقدرتي، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة، فكيف يثبتون قدرتين. (٢/ ١٣٢).

وأيضا فلو كان الله تعالى عنى بقوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ القدرة لم يكن لآدم ﷺ على إبليس مـزية في ذلك، والله تعـالى أراد أن يرى فـضل آدم ﷺ عليـه؛ إذ خلقه بيديه دونه، ولو كان خالقا لإبليس بيده كما خلق آدم ﷺ بيده لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجا على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم ﷺ بهما، فـلما أراد الله تعالى تفضـيله عليه بذلك، وقال الله تعالى مـوبخا له على اسـتكباره عـلى آدم ﷺ أن يسجـد له: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ (٧٥ / ٣٨)، دل على أنه ليس مـعنى الآية القدرة؛ إذ كان الـله تعالى خلق الأشياء جميعـا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم صلى الله عليه وسلم في أن خلق بهما. (٢/ ١٣٣).

فصل

وليس يخلو قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أن يكون معنى ذلـك إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبـات يدين جارحتين . تعالى الله عن ذلك، أو يكون معنى ذلك إثبـات يدين قدرتين، أو يكون معنى ذلك إثبـات يدين ليستا نعـمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا توصفان إلا كما وصف الله تعالى، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعـمتين؛ لأنه لا يجـوز عند أهل اللســان أن يقول القـائل: عملت بيـدي وهو نعمتي.

ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين، ولا يجوز عند خصومنا أن يعني قدرتين . (٢/ ١٣٤)

وإذا فـسدت الأقـسام الـثلاثة صح القـسم الرابع؛ وهو أن مـعنى قوله تعـالى: ﴿بِيَـدَيَّ﴾ إثبات يدين ليستا جارحـتين، ولا قدرتين، ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت .

مسألة:

وأيضا فلو كان مـعنى قوله تعالى: ﴿بِيَـدَيَّ ﴾ نعمتي لكـان لا فضيلة لآدم ﷺ على إبليس في ذلك على مـذاهب مـخالفـينا؛ لأن الله تعـالى قد ابتـدأ إبليس على قولهـم، كما ابتـدأ آدم ﷺ، وليس تخلو النعـمتان أن يكونا هـما بدن آدم ﷺ، أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم عليـه الصلاة والسلام، فلو (٢/ ١٣٥) كان عنى بدن

آدم عليه السلام فلأبدان عند مخالفينا من المعتزلة جنس واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنسا واحدا فقد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم ﷺ، وكذلك إن عنى عرضين فليس من عرض فعله في بدن آدم ﷺ من لون، أو حياة، أو قوة، أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم ﷺ على إبليس في ذلك، والله تعالى إنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم ﷺ في ذلك الفضيلة، فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: ﴿ خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لم يعن نعمتي (٢/ ١٣٦).

مسألة:

ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله تعالى عنى بقوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ يدين ليستا نعمتين؟ فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة ؟ وإن رجعونا إلى شاهدنا، أو إلى ما نجده فيما بيننا من الخلق فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة .

قيل لهم: إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله تعالى فكذلك لم نجد حيا من الخلق إلا جسما لحما ودما فاقضوا بذلك على الله - تعالى عن ذلك - وإلا كنتم لقولكم تاركين و لاعتلالكم ناقضين.

وإن أثبتم حيا لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله تعالى عنهما يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟ (٢/ ١٣٧)

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبرا حكيما إلا إنسانا ثم أثبتم أن للدنيا مدبرا حكيما ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

مسألة:

فإن قالوا إذا أثبتم لله عز وجل يدين لقوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله تعالى: ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ من الآية (٧١ / ٣٦)؟

قيل لهم: قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك؛ وجب أن يكون الله تعالى (٢/ ١٣٨) ذكر أيدي ورجع إلى إثبات يدين؛ لأن الدليل عنده دل على صحة الإجماع، وإذا كان الإجماع صحيحا وجب أن يرجع من قوله أيدي إلى يدين؛ لأن القرآن على ظاهره، ولا يزول

عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر آخر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزول عنها إلا بحجة.

مسألة:

فإن قال قائل: إذا ذكر الله عز وجل الأيدي وأراد يدين، فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يدا واحدة؟

قيل له: ذكر تعالى أيدي وأراد يدين؛ لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال أيدي كثيرة، وقول من قال يدا واحدة، فقلنا يدان؛ لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر. (٢/ ١٣٩) .

مسألة:

فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله تعالى: ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ من الآية (٧١ / ٣٦)، وقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ من الآية (٧٥ / ٣٨) على المجاز؟

قيل له: حكم كلام الله تعالى أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة.

ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ من الآية (٧٥ / ٣٨) (٢/ ١٤٠) على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة. ولو جاز ذلك لجاز لمدع أن يدعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز أن يكون مجازا بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ من الآية (٧٥ / ٣٨) إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي، وهو يعني النعمتين (٢/ ١٤١).

خاتمة المبحث من الباحث محمود صالح

بحمد الله وتوفيقه جمعت من الردود ما لا يدع مجالا لأهل البدع والأهواء ليتمسكوا ببدعتهم ، الا من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب.

الفصل الرابع
أقواله في الإيمان وأركانه

وفي هذا الفصل عرض لمبحثين الأول: قوله في الإيمان والوعد والوعيد، والثاني: قوله في أركان الإيمان.

وفي المبحث الأول خمس مسائل:

المسألة الأولى: مفهوم الإيمان عنده.

المسألة الثانية: قوله بشهادة ثالثة مع الشهادتين.

المسألة الثالثة: القول بالإرجاء.

المسألة الرابعة: بيان قوله بالوعد.

المسألة الخامسة: بيان قوله بالوعيد.

وفي المبحث الثاني: بيان لقوله في أركان الإيمان.

المبحث الأول
قوله في الإيمان والوعد والوعيد

فى هذا المبحث وجدت المصنف يزعم أن الفرائض كانت ناقصةً وأكملت بالولاية ويزعم أن الله توعد النبى ﷺ، ان أمر أحد بالولاية مع علىّ بحبوط عمله وبالخسارة فى الدنيا والآخرة، بل أننى وجدته يتهم النبى ﷺ بذلك فى تفسير آيات سورة الاسراء والنجم التى تتعلق بمعراجه، وهذا هو الكفر بعينه حين يتخذ من آيات القرآن وسيلة للانتقاص والحط من قدر النبى ﷺ فى مقابل الغلو فى علىّ والأئمة وتعظيم شأنهم، فهذا يجعلنا على يقين من خلال هذه الأدلة أن المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة أعداء للأسلام والمسلمين وأنهم اتخذوا من علوم الدين ستاراً لهدم الدين ونشر العقائد الفاسدة ونشر الشرك والكفر عن طريق الغلو فى الأئمة، بل راح يزعم أن الوعد والوعيد مرتبط بمعرفة الأئمة بل من أجل هذه المعرفة يبدل الله سيئاتهم حسنات وأكبر جرماً من هذا يزعم أن أهل السنة تؤخذ حسناتهم للشيعة ويأخذون هم سيئات الشيعة، وهذا تألي على الله سبحانه ووصف له بالظلم وتعطيل لآيات صريحة منها قوله سبحانه ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ ومنها قوله سبحانه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ الى آخر هذه الآيات كل هذا يدل على فساد منهج المصنف ومن يأخذ

عنهم من علماء الشيعة واليك أقواله والردود:

المسألة الأولى: مفهوم الإيمان عنده: من تفسير الصافى

إنما أكملت الفرائض بالولاية: تفسيرها لئن أمرت بولآية أحد مع ولآية عليّ عليه السلام من بعدك ليحبطن عملك ولتكونن من حبنا اهل البيت يكفر الذنوب ويضاعف الحسنات يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات اعدائنا سيئات قال إنما أعظكم بولآية علي والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا نحن وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله إسمي هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم اعطي وبهم اعاقب وبهم اثيب فتوسل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهية فاجعله إليّ شفعاءك في قوله عز وجل وما ظلمونا قال إن الله أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني الأئمة.

وسيؤتى بالواحد من مقصري شيعتنا في أعماله بعد أن حاز الولاية والتقية وحقوق إخوانه ويوقف بإزائه ما بين ماءة وأكثر من ذلك إلى ماءة ألف من النصاب فيقال له هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة وأولئك النصاب النار وذلك ما قال الله عز وجل (ربما يود الذين كفروا) يعني بالولاية لو كانوا مسلمين في الدنيا منقادين للإمامة ليجعل مخالفوهم من النار فداؤهم.

وفي العيون عنه عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام يا علي أنت حجة الله وأنت باب الله وأنت الطريق إلى الله وأنت النبأ العظيم وأنت الصراط المستقيم وأنت المثل الاعلى الحديث (ما سبق من تفسير الصافى).

لقد أدخل المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الاثنا عشرية الإيمان بالأئمة الاثني عشر في مسمى الإيمان، بل جعلوه هو الإيمان بعينه.

ويفسر قوله سبحانه: ﴿ قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ، فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ... ﴾ [البقرة، آية: ١٣٦، ١٣٧] ـ بما يرونه عن أبي جعفر قال: "إنما عني بذلك عليًا،

والحسن، والحسين، وفاطمة. وجرت بعدهم في الأئمة. قال: ثم يرجع القول من الله في الناس فقال: ﴿ فَإِنْ آمَنُواْ ﴾ يعني الناس ﴿ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ ﴾.
يعني عليًا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم، ﴿ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ﴾" (١).

ولهذا قال ابن المطهر الحلي: "إن مسألة الإمامة (إمامة الاثني عشر) هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن" (٢).

وقال محمد جواد العاملي: "الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، إلا من مات في عهد أحدهم فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله" (٣).

وقال أمير محمد القزويني (من شيوخهم المعاصرين): "إن من يكفر بولاية علي وإمامته ـ رضي الله عنه ـ فقد أسقط الإيمان من حسابه وأحبط بذلك علمه" (٤).

ردود الباحث:

أقول أنا الباحث محمود صالح ، ولقد وضح تحريفهم وتزييفهم وتأويلهم الباطل للآيات وهذا هو ديدنهم واتجاههم فى تأويل الآيات والمصنف من أول مناقشتنا لأقواله الى هنا وما بعد ذلك يدور حول محور واحد ألا وهو اثبات أن القرآن ما نزل الا لبيان شأن الأئمة ويصرف تأويل الآيات حسب زعمه ليؤكد على هذا الأمر ومنها الآية ١٣٦ من سورة البقرة، ولكى يتضح لنا المعنى أقول أن أى صاحب عقل لو قرأ الآية لأول مرة وسئل دون الرجوع الى أهل العلم لقال أن هذا أمر من الله بأن نؤمن به وبما أنزل على محمد ﷺ واخوانه الأنبياء ولا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون منقادون مذعنون لأمره، دون الحاجة الى أى تأويل أو تفسير وان رجعنا الى أقوال أهل العلم وجدناهم يضفون على ما قلت جمالاً ونورا من خلال الاستشهاد بآيات القرآن وسنة النبى التى تبين منهجهم الحق فى تفسير القرآن، هذا بخلاف تأولات أهل الباطل التى تفسر القرآن بالأهواء والتعصب الأعمى الممقوت كما يفعل المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة ، ولكى أزيد الأمر وضوحاً نقلت تفسير الآية من كتاب أحد الذين يعظمون كلام الله من المتبعين للحق ويفسرون القرآن بالقرآن والسنة وبأقوال سلف الأمة، بعيداً عن الهوى والتعصب الأعمى واليك هذا النموذج:

---

(١) تفسير العياشي: ١/ ٦٢، تفسير الصافي: ١/ ٩٢ .
(٢) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ص ١ . (٣) مفتاح الكرامة: ٢/ ٨٠ .
(٤) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم: ص ٢٤ .

من تفسير ابن كثير:

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾

أرشد الله تعالى عباده المؤمنين إلى الإيمان بما أنزل إليهم بواسطة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم مفصلا وبما أنزل على الأنبياء المتقدمين مجملا ونص على أعيان من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، بل يؤمنوا بهم كلهم، ولا يكونوا كمن قال الله فيهم: ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

وقال البخاري: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عثمان بن عُمَر، أخبرنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبْرَانيَّة ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تُكذبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا" (١).

عن ابن عباس، قال: كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة: نوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب وإسماعيل ومحمد - عليهم الصلاة والسلام وقال قتادة: أمر الله المؤمنين أن يؤمنوا به، ويصدقُوا بكتبه كلّها وبرسله.

وقال سليمان بن حبيب: إنما أمرنا أن نؤمن بالتوراة والإنجيل، ولا نعمل بما فيهما (٢).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن محمد بن مُصْعب الصوري، حدثنا مؤَمَّل، حدثنا عبيد الله

بن أبي حميد، عن أبي المليح، عن مَعْقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل وليسعكمُ القرآن". ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) ﴾

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٤٨٥).

(٢) صحيح مسلم برقم (٧٢٧) وسنن أبي داود برقم (١٢٥٩) وسنن النسائي (٢/ ١٥٥).

يقول تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا ﴾ أي: الكفار من أهل الكتاب وغيرهم ﴿ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ ﴾ أيها المؤمنون، من الإيمان بجميع كتب الله ورسله، ولم يفرقوا بين أحد منهم ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ أي: فقد أصابوا الحق، وأرشدوا إليه ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: عن الحق إلى الباطل، بعد قيام الحجة عليهم ﴿ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾ أي: فسينصرك عليهم ويُظفرك بهم ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

أقول أن هذا هو الفرق بين الحق والباطل وبين الذى يؤمن بالقرآن ويعظمه وبين الذى لايؤمن بالقرآن ولا يعظمه بل ويريد القضاء عليه وصرف الناس عنه كما يفعل المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة.

المسألة الثانية: الشهادة الثالثة:

وفى هذه المسألة نجد المصنف ومن ينقل عنهم من علماء الشيعة يقولون بشهادة ثالثة وهذا اختراع جديد وبدعة أخرى يضيفها المصنف الى باقى البدع المنكرة التى ابتدعوها من عند أنفسهم ليستمروا فى اضلال أتباعهم باسم الأئمة وآل البيت وآل البيت منهم برآء، والآيات صريحة وكثيرة وواضحة تمام الوضوح كما فى قوله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله) فلو كانت هناك شهادة ثالثة كما يزعمون لذكرها الله حتى يصح التوحيد عند الناس، اذ من المحال ان يترك الله أمراً مهماً كهذا الأمر ولا يذكره ويذكر أقل منه أهمية، ولكن هذا هو منهج الكذب الذى يعتمد ويبنى عليه علماء الشيعة علمهم وافترآتهم فى هذا الدين، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى الأذان اجمالاً كما هو الشأن فى أمور الأحكام، والسنة شارحة لهذه الأمور ومنها الآذان وسيأتى فى الردود الصيغة الصحيحة الثابتة عن رسول الله ﷺ التى نرد بها على الروايات المبتدعة التى اتى بها علماء الشيعة من عند شياطينهم واليك بعضها والرد عليها:

ما سيأتى من تفسير الصافى (٢٧) الذين ينقضون عهد الله: المأخوذ عليهم لله بالربوبية ولمحمد (صلى الله عليه وآله) بالنبوة ولعلي (عليه السلام) بالإمامة ولشيعتهما بالكرامة من بعد ميثاقه إحكامه وتغليظه

والقمي عنه عليه السلام قال هو لا اله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله الى ههنا التوحيد وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك من لقيني بشهادة ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صادق في أقواله محق في افعاله وان علي بن ابي طالب عليه السلام أخوه ووصيه من بعده

ووليه، ويلتزم طاعته كما يلتزم طاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وان أوليائه المصطفين الطاهرين المطهرين المثابين العجائب آيات الله ودلائل حجج الله من بعدهما اوليائه ادخله جنتي وان كانت ذنوبه مثل زبد البحر وعن أمير المؤمنين عليه السلام إن لله ملكا في صورة الديك الأملح الأشهب براثنه في الأرضين السابعة وعرفه تحت العرش له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب فأما الجناح الذي في المشرق فمن ثلج وأما الجناح الذي في المغرب فمن نار فكلما حضر وقت الصلاة قام على براثنه ورفع عرفه تحت العرش ثم أمال أحد جناحيه إلى الاخر يصفق بهما كما يصفق الديك في منازلكم فلا الذي في الثلج يطفيء النار ولا الذي من النار يذيب الثلج ثم ينادي بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله خاتم النبيين وأن وصيه خير الوصيين سبوح (ما سبق من تفسير الصافى).

الردود والنقد:

من كتاب أصول مذهب الشيعة.

وبمقتضى هذا الإيمان الذي لا يعرفه سوى الاثني عشرية، فإنهم اخترعوا "شهادة ثالثة" هي شعار هذا الإيمان الجديد، هي قولهم: "أشهد أن عليًا ولي الله" يرددونها في أذانهم وبعد صلاتهم، ويلقنونها موتاهم.

وبعد، فإن الاعتقاد بأن الإيمان بالاثني عشر هو ركن الإيمان، أو هو الإيمان نفسه وهو أهم مطالب الدين... إن هذا "الاعتقاد" إحدى الدلائل البينة، والأمارات الواضحة على بطلان مذهبهم، وأنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. فلا جاء في القرآن ولا ثبت في السنة شيء من ذلك [انظر ما ساقه ابن تيمية من ذلك في منهاج السنة: ١/ ٢٠ وما بعدها، وقد مضى في هذه الرسالة شيء من ذلك، وسيأتي تفصيل في فصل الإمامة]، ولهذا رأى شيخ الإسلام أن قولهم بأن الإمامة - فضلاً عن القول بإمامة الاثني عشر التي لا يوافقهم أحد من المسلمين عليها إلا من ارتضى مذهبهم من الروافض - أهم مطالب الدين هو كفر، لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة [انظر: منهاج السنة: ١/ ٢٠].

وإذا كانت الإمامة بهذه المثابة التي يزعمون، فأبعد الناس عنها الرافضة الذين يرون أن كل راية ترفع قبل قيام "المعدوم" والذي يسمونه المنتظر هي راية جاهلية [انظر: الغيبة للنعماني، باب في أن كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت،

ص٧]، ويكفرون بما وراءه من الخلفاء ما عدا خلافة علي والحسن.

كما أن مجرد المعرفة للأئمة لا يحصل بها نيل درجة الكرامة، لأن هذا لا يحصل بمجرد معرفة الرسول ﷺ إذا لم يطع أمره ويتبع قوله (١).

نموذج من تفسير ابن كثير

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ وقوله [تعالى] ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾ أي: وكذلك إذا أذنتم داعين إلى الصلاة التي هي أفضل الأعمال لمن يعقل ويعلم من ذوي الألباب ﴿ اتَّخَذُوهَا ﴾ أيضًا ﴿ هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ معاني عبادة الله وشرائعه ، وهذه صفات أتباع الشيطان الذي "إذا سمع الأذان أدبر وله حُصاص، أي: ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضي التأذين أقبل، فإذا ثُوِّب بالصلاة أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء وقلبه، فيقول: اذكر كذا، اذكر كذا، لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل إن يدري كم صلَّى، فإذا وجد أحدكم ذلك، فليسجد سجدتين قبل السلام". متفق عليه.

وقال الزهري: قد ذكر الله [تعالى] التأذين في كتابه فقال: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ رواه ابن أبي حاتم.

وذكر محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح، ومعه بلال، فأمره أن يؤذن.

وقال الإمام أحمد: حدثنا رَوْح بن عبادة، حدثنا ابن جُرَيْج، أخبرنا عبد العزير بن عبد الملك بن أبي محذورة؛ أن عبد الله بن مُحَيريز أخبره - وكان يتيمًا في حجر أبي محذورة - قال: قلت لأبي محذورة: يا عم، إني خارج إلى الشام، وأخشى أن أُسأل عن تأذينك. فأخبرني أن أبا محذورة قال له: نعم خرجت في نفر ، وكنا ببعض طريق حنين، مقفل رسول الله ﷺ من حُنَين، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق، فأذن مؤذن رسول الله ﷺ بالصلاة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون فصرخنا نحكيه ونستهزئ به، فسمع رسول الله ﷺ الصوت، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيكم الذي سمعتُ صوته قد ارتفع؟" فأشار القوم كلهم إليّ، وصدقوا، فأرسل كلَّهم وحبسني. وقال "قم فأذّن بالصلاة". فقمت ولا شيء

(١) [انظر: منهاج السنة: ١/ ٣١].

أكره إلي من رسول الله ﷺ، ولا مما يأمرني به فقمت بين يدي رسول الله ﷺ، فألقى عليّ رسول الله ﷺ التأذين هو بنفسه، قال: "قل الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله" ثم قال لي: "ارجع فامدد من صوتك". ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حيّ على الصلاة، حي على الصلاة حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله". ثم دعاني حين قضيت التأذين، فأعطاني صُرَّة فيها شيء من فضة، ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة، ثم أمرّها على وجهه، ثم بين ثدييه ثم على كبده حتى بلغت يد رسول الله سرة أبي محذورة، ثم قال رسول الله ﷺ: «بارك الله فيك وبارك عليك". فقلت: يا رسول الله، مُرْني بالتأذين بمكة. فقال قد "أمرتك به". وذهب كل شيء كان لرسول الله ﷺ من كراهة، وعاد ذلك كله محبة لرسول الله ﷺ. فقدمت على عتاب بن أسيد عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول الله ﷺ، وأخبرني ذلك من أدركت من أهلي ممن أدرك أبا محذورة، على نحو ما أخبرني عبد الله بن مُحَيريز.

هكذا رواه الإمام أحمد، وقد أخرجه مسلم في صحيحه، وأهل السنن الأربعة من طريق عن عبد الله بن محيريز، عن أبي محذورة (١)- واسمه: سَمُرَة بن مِعْيَرَ بن لوذان - أحد مؤذني رسول الله.

المسألة الثالثة: القول بالإرجاء:

أقول أنا الباحث أن المصنف وعلماء الشيعة لما أغرقوا أتباعهم فى الفتن وغيروا الدين كله، عمدوا الى مخطط خبيث ماكر أوهموهم من خلاله أنهم مهما عملوا من خطايا وسيئات فهى مغفوره ومآلهم الى الجنة بل وتبدل بحسنات أهل السنة طالما أنهم عارفين محبين للأئمة حتى لو وقعوا فى الشرك فان علماءهم حددوا وحصروا الكفر والشرك فيمن لا يوالى علىّ والأئمة اذاً لاكفر ولا شرك ولا ذنوب ولا خطايا عند الشيعة بزعم علمائهم يكفيهم فقط حب ومعرفة الأئمة، هل هذا دين؟؟ انها فوضى

(١) المسند (٣/٤٠٨) وصحيح مسلم برقم (٣٧٩) وسنن أبي داود (٥٠٢) وسنن الترمذي برقم (١٩١) وسنن النسائي (٢/ ٤) وسنن ابن ماجة برقم (٧٠٨).

وهوى وصدق الله اذ يقول ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ ﴾، وهم بهذا القول ابتعدوا بعيدا وسبقوا كل صاحب بدعة فى بدعته حتى أهل الارجاء الذين يقولون لايضر مع الايمان معصية، والشيعة تقول لا يضر مع حب ومعرفة الأئمة شيء حتى الكفر والشرك فضلاً عن المعاصى واليك ما جاء فى تفسير الصافى:

وفي حديث ابي اسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام الذي ورد في طينة المؤمن وطينة الكافر ما معناه ان الله سبحانه يأمر يوم القيامة بأن تؤخذ حسنات اعدائنا فترد على شيعتنا وتؤخذ سيئات محبينا فترد على مبغضينا قال وهو قول الله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات اعدائنا سيئات. والعياشي عن الباقر (عليه السلام) ان الله لا يغفر أن يشرك به يعني أنه لا يغفر لمن يكفر بولاية علي صلوات الله عليه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء يعني لمن والى عليا (عليه السلام).

وفي الكافي: عن أمير المؤمنين (عليه السلام(في هذه الآية نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسيماهم، ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله عز وجل إلا بسبيل معرفتنا، ونحن الأعراف يوقفنا الله عز وجل يوم القيامة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفنا وعرفناه، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه.

والقمي: عن الصادق (عليه السلام) كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) فيعطوا أوليائهم كتابهم بيمينهم فيمروا الى الجنة بلا حساب، ويعطوا أعدائهم كتابهم بشمالهم فيمروا إلى النار بلا حساب لا يزال الذين كفروا في مرية منه.

وفي المحاسن عن الصادق عليه السلام قال إن الله يبعث شعيتنا يوم القيامة على ما فيهم من الذنوب أوغيره مبيضة وجوههم مستورة عوراتهم آمنة روعتهم قد سهلت لهم الموارد وذهبت عنهم الشدائد يركبون نوقا من ياقوت فلا يزالون يدورون خلال الجنة عليهم شرك من نور يتلألؤ توضع لهم الموائد فلا يزالون يطعمون والناس في الحساب وهو قول الله تبارك وتعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا إلا بمعرفتنا نحن (ما سبق من تفسير الصافى).

الردود والنقد:

ومما سبق من الأدلة التى تؤكد منهج المصنف، واعتقاده أن الامامة ركن من أركان

الايمان، وتعد شهادة ثالثة ومعرفتها كافية لدخول الجنان، وهو مذهب المرجئة وتثبت الوعد بالثواب على أعمال ما أنزل الله بها من سلطان، والوعيد بالنار لكل من أنكرهم أو ابغضهم اوخالفهم.

من كتاب أصول مذهب الشيعة.

هذا وإذا كان الإيمان عندهم هو الإقرار بالأئمة الاثني عشر، فقد أصبح معرفة الأئمة عندهم كافية في الإيمان ودخول الجنان، فأخذوا بمذهب المرجئة [المرجئة: هم الذي يؤخرون العمل عن الإيمان، ويجعلون الإيمان هو مجرد المعرفة بالله سبحانه، ومنهم من يقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة مهما ارتكب من المعاصي(١)رأسًا. ولهذا عقد صاحب الكافي بابًا بعنوان: "باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة" (٢) ، وذكر فيه ستة أحاديث منها قول أبي عبد الله: "الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل" (٣) والإيمان حسب مصطلحهم هو حب الأئمة أو معرفتهم.

وحين قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله -: "إن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة"(٤).

رد عليه بعض شيوخهم وآياتهم في هذا العصر فقال: "ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب علي حسنة ليس يضر معه سيئة، فإنه بهتان منه، فإنهم جميعًا متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب" (٥).

قال شيخ الإسلام: "وإذا كانت السيئات لا تضر مع حب علي، فلا حاجة إلى الإمام المعصوم الذي هو لطف في التكليف، فإنه إذا لم يوجد إنما توجد سيئات ومعاص، فإذا كان حب علي كافيًا فسواء وجد الإمام أو لم يوجد" (٦) فصارت مسألة إمامة المعصوم المبنية على قاعدة اللطف منقوضة بمسألة المحبة المجردة، وكل قول

---

(١) انظر عن المرجئة: مقالات الإسلاميين: ١/ ٢١٣-٢٣٤، الملل والنحل: ١/ ١٣٩-١٤٦، الفرق بين الفرق ص٢٠٢-٢٠٧، التنبيه والرد ص٤٣، التبصير في الدين ص٥٩، البدء والتاريخ: ٥/ ١٤٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٠٧، الخطط للمقريزي: ٢/ ٣٤٩-٣٥٠] .

(٢) [أصول الكافي: ٢/ ٤٦٣] .

(٣) [أصول الكافي: ٢/ ٤٦٤]

(٤) [منهاج السنة: ١/ ٣١].

(٥) [محمد مهدي الكاظمي/ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية: ١/ ٩٨]

(٦) [منهاج السنة: ١/ ٣١]

عندهم لابد أن يهدم قولاً آخر وهكذا الشأن في كل دين ليس من عند الله سبحانه.

ولعلهم يفارقون المرجئة من حيث إن المرجئة تقول: الإيمان هو المعرفة بالله، وهم يقولون: الإيمان معرفة الإمام أو حبه.

وأخبارهم في هذا الباب كثيرة في عشرات من الأحاديث وجاء في أحاديثهم "لا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين، ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين"(١) .

وعلى هذا التقدير سقط الإيمان بالله ورسوله، وجميع العقائد الدينية، وجميع التكليفات والأحكام الشرعية، ولم يبق في شريعة الإسلام غير حب علي، وهذه المفتريات قد أضلت كثيراً ممن يحب الإباحة ويتبع الشهوات (٢) .

وهذه الروايات يلزم منها أن القرآن لم ينزل لهداية الخلق، بل لضلالتهم؛ إذ لم يذكر فيه حب علي وبغضه مع أنه هو أصل دخول الجنة أو دخول النار.

قال السويدي: "وإذا كان حب الله ورسوله ﷺ غير كاف في النجاة والخلاص من العذاب بلا إيمان وعمل صالح فكيف يكون حب علي كافيًا، وهذا مخالف لقوله سبحانه: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [النساء، آية: ١٢٣] وقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة، آية: ٨] ؟ بل مخالف لأصولهم ورواياتهم، أما المخالفة للأصول، فلأنه إذا ارتكب رافضي الكبائر ولم يعاقبه الله على ذلك يلزم ترك الواجب على الله تعالى عندهم.

وأما المخالفة للروايات فلأن عليًا والسجاد والأئمة الآخرين قد روي عنهم في أدعيتهم الواردة عندهم بطرق صحيحة البكاء والاستعاذة من عذاب الله تعالى، وإذا كان مثل هؤلاء الأئمة الكرام خاشعين خائفين من عذاب الله فكيف يصح لغيرهم أن يغتر بمحبتهم ويتكل عليهم في ترك العمل (٣) ؟". وانظر في قولهم: "إنه لا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين" تجد أنه يدل صراحة على أنه لا يدخل النار مثل فرعون وهامان وقارون وسائر رؤساء الكفر وأتباعهم من الأمم الماضية لأنهم لم يبغضوا عليًا، بل لم يعرفوه، فانظر كيف أدى بهم الغلو.

ولا شك أن هذه مقالة لا يتكلف في ردها، لأنه معلوم بطلانها من الإسلام بالضرورة، ولو كان الأمر كما يزعمون لما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وشرعت الشرائع. لكن هذه العقيدة بقيت آثارها في المجتمعات الشيعية من الاستهانة بشرائع

---

(١) [علل الشرائع: ص١٦٢].

(٢) [نقض عقائد الشيعة للسويدي، الورقة: ٣٤ (مخطوط)].

(٣) [نقض عقائد الشيعة، الورقة: ٣٤، ٣٥].

الله، والجرأة على حدود الله.

المسألة الرابعة: قوله في الوعد:

أقول أنا الباحث محمود صالح فى هذه المسألة يعد المصنف وعلماء الشيعة أتباعهم بأمور منها أن كل امام فى زمانه يحاسب أمته وهذه بدعة أخرى يأتون بها لاضلال الشيعة وهم بهذا يفضحون أنفسهم لأنهم كما ذكرت سالفاً يوهمون أتباعهم أن أمر الدنيا والآخرة الى الأئمة وانهم يدخلون من شاءوا الجنة ومن شاءوا النار وهذا كفر واضح وصريح فمن يحاسب الأمم الخالق أم المخلوقين ومن الذى يأمر وينهى فى يوم القيامة أليس رب العالمين الجواب بلى هو رب العالمين الذى قال عن نفسه سبحانه: ﴿ أَلاَ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ وقال سبحانه: ﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى﴾ وقال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾، ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ وقول النبى ﷺ لابنته فاطمة رضى الله عنها (اعملى فانى لا أغنى عنك من الله شيئا يوم القيامة) والآيات والأحاديث فى هذه المسألة كثيرة للرد على هؤلاء المبتدعين المخربين لدين الشيعة

من تفسير الصافي : وقفوهم انهم مسؤلون والقمي: عن الصادق)عليه السلام(كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم وهو قوله: (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) .

أوليائهم كتابهم بيمينهم فيمروا الى الجنة بلا حساب، ويعطوا أعدائهم كتابهم بشمالهم فيمروا إلى النار بلا حساب ولا يزال الذين كفروا في مرية منه. القمي أي في شك من أمير المؤمنين عليه السلام حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم القمي العقيم الذي لا مثل له في الأيام.

في المجالس عن النبي صلى الله عليه وآله إنه قال لعلي عليه السلام يا علي أنت وشيعتك على الحوض تسقون من أحببتم وتمنعون من كرهتم وأنتم الامنون يوم الفزع الأكبر في ظل العرش يفزع الناس ولا تفزعون ويحزن الناس ولا تحزنون وفيكم نزلت هذه الآية إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيكم نزلت لا يحزنهم الفزع الاكبر الآية. (ما سبق من تفسير الصافى):

الردود:

وقد توسع في مفهوم الوعد المصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة فاخترعوا

روايات وأخباراً ونسبوها لجعفر الصادق وغيره تثبت الوعد بالثواب على أعمال ما أنزل الله بها من سلطان. بل إن الدليل والبرهان قام على منعها وتحريمها أو اعتبارها ضربًا من الشرك أو الإلحاد كلعن صحابة رسول الله ﷺ وقد جعلوه من أفضل القربات (١). وجاءت أخبارهم تقول بأن الأئمة يملكون الضمان لشيعتهم بدخول الجنة، وقد شهدوا بذلك لبعض أتباعهم على وجه التعيين، فهم يعدون بالثواب ويحققونه!!.

فانظر إلى هذا "التألي" على الله، وكأن لديهم خزائن رحمة الله، وبيدهم مقاليد كل شيء، فهم يضمنون ولا يستثنون، ويوزعون صكوك الغفران والحرمان، فهل لهم مع الله تدبير؟ أو هم رسل يوحى إليهم، أو اطلعوا على الغيب، أو اتخذوا عند الرحمن عهداً؟! إن مثل هذه المزاعم تبين أن واضعي هذه الأساطير هم فئة من الزنادقة الذين لا يؤمنون بقرآن ولا سنة، وهدفهم إفساد هذا الدين، فلم يجدوا مكانًا لتحقيق ذلك إلا في محيط التشيع.

وعلي بن يقطين الذي ضمن له هؤلاء الزنادقة "جنتهم" قد يكون شريكًا لهم في المذهب، فقد ذكر الطبري في حوادث سنة ١٦٩هـ بأنه قتل على الزندقة (٢).

وأخبار ضمان الأئمة لأتباعهم الجنة مستفيضة أخبارها في كتب الاثني عشرية (٣) وكل هذه الصفحات المشار إليها تحمل ضمان الأئمة لبعض أتباعهم الجنة، وهذا "الضمان" يعدونه توثيقًا للرجل، ولذلك تكثر أخباره في كتب الرجال عندهم، كما أن الشهادة بالنار يعتبرونها من علامات القدح، ولذلك يتداولون أخبارها في كتب رجالهم أيضًا].

المسألة الخامسة: قوله في الوعيد:

أقول أنا الباحث محمود صالح أن المصنف وعلماء الشيعة ما تركوا باباً من أبواب البدع المنكرة التى وقع فيها أحد من البشر الا وقعوا فيها وزادوا وسبقوا غيرهم فى هذه البدع، فبعد أن ذكرت أنهم غالوا فى الارجاء فها هم فى هذا المبحث يغالون فى التكفير والحكم على من خالفهم بالنار بل والخلود فيها، بل راح يزعم أن الوعد والوعيد مرتبط بمعرفة الأئمة بل من أجل هذه المعرفة يبدل الله سيئاتهم حسنات وأكبر

---

(١) [انظروراجع ص٧٣٠ من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية].

(٢) [تاريخ الطبري: ٨/ ١٩٠].

(٣) [مثل ذلك في: أصول الكافي: ١/ ٤٧٤، ٤٧٥، رجال الكشي: ص٤٤٧-٤٤٨، ٤٨٤، ورجال الحلي: ص٩٨، ١٨٥ .

جرماً من هذا يزعم أن أهل السنة تؤخذ حسناتهم للشيعة ويأخذون هم سيئات الشيعة، وهذا تألى على الله سبحانه ووصف له بالظلم وتعطيل لآيات صريحة منها قوله سبحانه ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ، كل الآيات التى تتعلق بهذا الباب تبين لنا بوضوح تام أن يوم القيامة تعرض على العباد أعمالهم وتوزن بميزان أعده الله يزن به عمل العباد ولو كان مثقال ذرة من خير أو شر، وبعد تدبر هذا يمكن أن نقول أن المصنف وعلماء الشيعة الذين يدينون بهذا ليسوا على شيء ولكنهم شرذمة حاقدة تآمرت على الاسلام والمسلمين لتخريب عقائدهم ونشر الفتنة والفرقة بينهم واليك أيها القارىء بعض أقواله فى هذا المبحث والردود والنقد:

ما يلى من تفسير الصافى: وفي حديث ابي اسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام الذي ورد في طينة المؤمن وطينة الكافر ما معناه ان الله سبحانه يأمر يوم القيامة بأن تؤخذ حسنات اعدائنا فترد على شيعتنا وتؤخذ سيئات محبينا فترد على مبغضينا قال وهو قول الله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات اعدائنا سيئات.

وفي الخصال عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام إن للنار سبعة أبواب باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون وباب يدخل منه المشركون والكفار ومن لم يؤمن بالله طرفة عين وباب يدخل منه بنو امية هو لهم خاصة لا يزاحمهم فيه أحد وهو باب لظى وهو باب سعير وهو باب الهاوية يهوي بهم سبعين خريفا فكلما هوى بهم سبعين خريفا فار بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفا ثم هوى بهم هكذا سبعين خريفا فلا يزالون هكذا أبدا خالدين مخلدين وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا وأنه لأعظم الأبواب وأشدها حرا ثم قال والباب الذي يدخل منه بنو امية هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصة يدخلون من ذلك الباب فتحطمهم النار فيه حطما لا يسمع لهم واعية ولا يحيون فيها ولا يموتون . وعن أمير المؤمنين عليه السلام سبعة أبواب النار مطابقات. (ما سبق من تفسير الصافى).

الردود والنقد:

من كتاب أصول مذهب الشيعة:

قال المفيد: "اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار

خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة" (١) وأنهم بارتكاب الكبيرة لا يخرجون عن الإسلام، وإن كانوا يفسقون بما فعلوه من الكبائر والآثام (٢).

وهذا القول في ظاهره موافق لمذهب أهل السنة، لكن المصنف (الكاشانى) وعلماء الشيعة خرجوا عن تحقيق هذا المذهب من طريق آخر، حيث توسعوا في مفهوم الكفر والمكفرات، فهم من هذا الباب وعيدية، ولهذا قال شيخ الإسلام بأن متأخري الشيعة وعيدية في باب الأسماء والأحكام (٣).

ويذكر الأشعري بأن طائفة من الروافض "يثبتون الوعيد على مخالفيهم ويقولون: إنهم يعذبون، ولا يقولون بإثبات الوعيد في من قال بقولهم، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها، ورووا في أئمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم فصفح عنهم، وما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم"(٤). فهم وعيدية بالنسبة لمن خالفهم، كما أنهم مرجئة فيمن دان بقولهم.

نموذج من تفسير ابن كثير:

من سورة الأنعام ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (١٦٤) يقول تعالى: ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله في إخلاص العبادة له والتوكل عليه: ﴿ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ أي: أطلب ربا سواه، وهو رب كل شيء، يَربُّني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه، ولا أنيب إلا إليه؛ لأنه رب كل شيء ومليكه، وله الخلق والأمر.

هذه الآية فيها الأمر بإخلاص التوكل، كما تضمنت الآية التي قبلها إخلاص العبادة له لا شريك له. وهذا المعنى يقرن بالآخر كثيراً [في القرآن] كما قال تعالى مرشداً لعباده أن يقولوا: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]، وقوله ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣]، وقوله ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ﴾ [الملك: ٢٩]، وقوله ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً ﴾ [المزمل: ٩]، وأشباه ذلك من الآيات.

---

(١) أوائل المقالات: ص ١٤ .
(٢) [أوائل المقالات: ص١٥] .
(٣) [الفتاوى: ٦/ ٥٥].
(٤) [مقالات الإسلاميين: ١/ ١٢٦] .

وقوله: ﴿ وَلا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلا عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد. وهذا من عدله تعالى، كما قال: ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ [فاطر: ١٨]، وقوله ﴿ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾ [طه: ١١٢]، قال علماء التفسير: فلا يظلم بأن يحمل عليه سيئات غيره، ولا يهضم بأن ينقص من حسناته. وقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [المدثر: ٣٨، ٣٩]، معناه: كل نفس مرتهنة بعملها السيئ إلا أصحاب اليمين، فإنه قد تعود بركات أعمالهم الصالحة على ذراريهم، كما قال في سورة الطور: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الآية: ٢١]، أي: ألحقنا بهم ذرياتهم في المنزلة الرفيعة في الجنة، وإن لم يكونوا قد شاركوهم في الأعمال، بل في أصل الإيمان، ﴿ مَا أَلَتْنَاهُمْ ﴾ أي: أنقصنا أولئك السادة الرفعاء من أعمالهم شيئا حتى ساويناهم وهؤلاء الذين هم أنقص منهم منزلة، بل رفعهم تعالى إلى منزلة الآباء ببركة أعمالهم، بفضله ومنته ثم قال: ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾ [الطور: ٢١]، أي: من شر.

وقوله: ﴿ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: اعملوا على مكانتكم إنا عاملون على ما نحن عليه، فستعرضون ونعرض عليه، وينبئنا وإياكم بأعمالنا وأعمالكم، وما كنا نختلف فيه في الدار الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ [سبأ: ٢٥، ٢٦].

الأعراف: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ يقول [تبارك وتعالى: ﴿وَالْوَزْنُ ﴾ أي: للأعمال يوم القيامة ﴿ الْحَقُّ ﴾ أي: لا يظلم تعالى أحدا، كما قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٠] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ [القارعة: ٦- ١١] وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣].

فصل:

والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجساما.

قال البغوي: يروى هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن "البقرة" و "آل عمران" يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو : غيَايَتان - أو فِرْقَان من طير صوَافّ. من ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللَّون، فيقول: من أنت ؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك وفي حديث البراء، في قصة سؤال القبر: "فيأتي المؤمن شابٌّ حسن اللون طيّب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح" وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق.

وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كِفَّة تسعة وتسعون سجلا كل سِجِلّ مَدّ البصر ، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها: "لا إله إلا الله" فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول الله تعالى: إنك لا تُظلَم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان. قال رسول الله ﷺ: «فَطاشَت السجلات ، وثَقُلَت البطاقة" .رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه.

وقيل: يوزن صاحب العملِ، كما في الحديث: "يُؤتَى يوم القيامة بالرجل السَّمِين، فلا يَزِن عند الله جَنَاح بَعُوضَة" ثم قرأ: ﴿ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [الكهف: ١٠٥].

وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتعجبون من دِقَّة ساقَيْهِ، فوالذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحُدٍ" وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.

المبحث الثاني
أقواله في أركان الإيمان

بفضل الله سبحانه سبق وأن تحدثت أنا الباحث محمود صالح عن أول ركن من أركان الايمان ألا وهو الايمان بالله سبحانه وتعالى ورددت فيه على المصنف فى أقواله ومنكراته التى أتى بها كعادته، وفى هذا المبحث بحول الله وقوته أستعين به سبحانه فمنه وحده العون والمدد لاستكمل النقد والرد على باقى أقواله فى أركان الايمان، كما فى قوله سبحانه وتعالى ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ

آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ وفى حديث جبريل المشهور حين سأل النبى ﷺ عن الايمان أجاب بقوله أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره، وستتعرف فى الأسطر القادمة باذن الله سبحانه على منهج المصنف ونرد بعون الله على أباطيله وكثيرة هى، وأبدأ باذن الله الحديث عن الركن الثانى من أركان الايمان ألا وهو:

الإيمان بالملائكة:

أقول أنا الباحث محمود صالح ومما هو معلوم من الدين كما جاء فى القرآن الكريم والسنة المطهرة أن الملائكة خلقوا من نور كما جاء فى الحديث (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم)، وأنهم خلقوا خلقاً عظيما لحكمة يعلمها الله سبحانه كما جاء وصفهم بقوله سبحانه (جاعل الملائكة رسلا" أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير) وقوله سبحانه (ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وقوله سبحانه ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

وقول النبى ﷺ «أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة» وكذلك جاء وصف جبريل عليه السلام حين رآه النبى ﷺ له ستمائة جناح قد سد الأفق ومنهم من ذكر اسمه ووظيفته ومنهم من ذكر اجمالا كما جاء الخبر عن بعض أسمائهم مثل جبريل وميكائيل واسرافيل ومالك وخزنة جهنم وحملة العرش والذين يطوفون بالبيت المعمور وملك الموت وملائكة الرحمة وملائكة العذاب ورقيب وعتيد والملائكة السيارة الذين يلتمسون حلق الذكر والملائكة الذين يتعاقبون فينا بالليل والنهار والملائكة الحفظة والملائكة الذين يشهدون القتال الى غير ذلك من الملائكة الذين جاء ذكرهم فى القرآن والسنة والذين لم يأت ذكرهم ولا يعلمهم الا الله سبحانه، ويجب علينا حبهم وتوقيرهم والثناء عليهم وتحرى ما يحبونه وتجنب ما يؤذيهم كما أخبر النبى ﷺ أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه ابن آدم، وبعد هذا الاجمال المختصر، نأتى الى مزاعم المصنف التى وان دلت فانما تدل على عداوته للاسلام وأهله وتعمده التحريف فى كل ما يتعلق بدين الاسلام واليك ايها القارىءهذه المزاعم ونقدها والردود :

ما يلى مزاعم وتحريفات المصنف من تفسيره الصافى :

١- يزعم أن عليّ بن أبي طالب(رضى الله عنه) والأئمة أول من خلق الله ثم أشهدهم خلق الأشياء وفوض أمرها اليهم (فى المقدمة) رضوان ومالك من جملة الملائكة والمستغفرين لشيعته الناجين بمحبته. قلت: بلى. قال: فعلي بن أبي طالب (عليه السلام) إذن قسيم الجنة والنار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورضوان ومالك صادران عن أمره بأمر الله تبارك وتعالى، يا مفضل خذ هذا فإنه من مخزون العلم ومكنونه لا تخرجه إلا إلى أهله.

٢- وأنهم خلقوا من نور. والقمي ما يقرب منه وفي كشف الغمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج فقال خاطبني بلغة علي بن أبي طالب عليه السلام فألهمت أن قلت يا رب خاطبتني أم علي فقال يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء ولا أقاس بالناس ولا أوصف بالأشياء خلقتك من نوري وخلقت عليا من نورك فاطلعت على سراير قلبك فلم أجد إلى قلبك أحب من علي بن أبي طالب فخاطبتك بلسانه كي ما يطمئن قلبك والأخبار في قصة المعراج كثيرة من أرادها فليطلبها من مواضعها وفيها أسرار لا يعثر عليها إلا الراسخون في العلم .

٣- وأنهم أفضل من الْمَلاَئِكَةِ والرسل بقوله (عليه السلام) لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فان فيها من ثمار المعارف كلها.

٤- يصفه والأئمة بصفات الْمَلاَئِكَة- والقمي قال هو ما قالت النصارى إن المسيح ابن الله وما قالت اليهود عزير ابن الله وقالوا في الأئمة عليهم السلام ما قالوا فقال الله سبحانه سبحانه أنفة له بل عباد مكرمون وعن الصادق عليه السلام كنا أنوارا صفوفا حول العرش نسبح فيسبح أهل السماء بتسبيحنا إلى أن هبطنا إلى الأرض فسبحنا فسبح أهل الأرض بتسبيحنا وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون.

٥- يزعم أنهم يوحى اليهم ويجلسون معهم ويأخذون منهم سبح لأطفالهم وكذلك جبريل والروح الذى هو أعظم من جبريل بزعمه لا يفارقهم ويأتونهم بكل العلوم حتى علم الغيب في البصائر عن الباقر عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال جبرئيل الذي نزل على الأنبياء والروح يكون معهم ومع الأوصياء لا يفارقهم يفقههم ويسددهم من عند الله . الحديث.

٦- ويزعم أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال إن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا.

وفي العيون عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا اكرم عليه مني، قال علي صلوات الله عليه فقلت يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرائيل فقال إن الله تعالى فضل انبيائه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي والأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا.

سورة فصلت وفي البصائر عن الباقر عليه السلام أنه قيل له يبلغنا أن الملائكة تتنزل عليكم قال أي والله لتنزل علينا فتطأ فرشنا أما تقرأ كتاب الله تعالى إن الذين قالوا ربنا الله الآية.

وفي الخرايج عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال أما والله لربما وسدنا لهم الوسايد في منزلنا وقال هم ألطف بصبياننا منا بهم وربما التقطنا من زغبها. (من تفسير الصافى).

الردود والنقد:

أركان الإيمان تشمل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ... ﴾ [البقرة، آية: ١٧٧]. وقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر، آية: ٤٩].

وقد سبق الحديث مفصلاً عن انحراف المصنف ومن يأخذ عنهم من الشيعة في باب الإيمان بالله، في ربوبيته، وإلهيته، وأسمائه وصفاته.

هذا ومزاعمهم في هذا الباب متنوعة، وفيها من التطاول على مقام الملائكة المقربين، والكذب عليهم، مع مبالغات غريبة، ومجازفات طاغية، أقرب ما تكون إلى إنكار الملائكة؛ لأن إنكار وظائفهم وخصائصهم وما شرفهم الله به، ووضع دين الولاية هو شرعتهم، ولقد اقتربوا من الإنكار حينما أولوا أسماء وألقاب الملائكة في القرآن بالأئمة، أو جعلوا وظائف الملائكة للأئمة.

وبهذا قال أنهم عليهم السلام الصافون والمسبحون وصاحب المقام المعلوم وحملة عرش الرحمن وأنهم السفرة الكرام البررة.

هذا ما يقولونه في الملائكة، والله سبحانه يقول: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء، آية: ٢٦-٢٧]. ﴿مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة، آية: ٩٨].

وهنا سيكون الحديث عن قوله في بقية أركان الإيمان، حيث يبدو أن مسألة الإمامة كان لها أثرها على ذلك، فهم مع إثبات أركان الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر، يبدو أثر الإمامة واضحًا في بيانهم لهذه الأركان، وحديثهم عنها، كما سيتبين في الصفحات التالية: وقد نال هذا الركن من أركان الإيمان نصيبه، فالملائكة خلقوا من نور الأئمة وهم خدم للأئمة، ومنهم طوائف قد كلفوا ـ بزعمهم ـ مأمورون بأمرهم حتى رضوان ومالك.. إلخ انظر ما سبق من الأدلة.

وقد قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ وهو يرد على ابن المطهر نقله لمثل هذا اللقب للملائكة قال: "فتسمية جبريل رسول الله إلى محمد ﷺ خادمًا عبارة من لا يعرف قدر الملائكة وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء.." [منهاج السنة: ٢/ ١٥٨].

وكيف يطلق هذا اللقب "الوضيع" فيمن وصفه الله بقوله: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ [التكوير، آية: ١٩/ ٢٠]. فالمراد بالرسول الكريم هنا جبريل، وذي العرش رب العزة سبحانه.

ولهم دعاوى في هذا الباب كثيرة، وكأنه لا وظيفة للملائكة إلا أمر أئمتهم الاثني عشر، أو كأنهم ملائكة الأئمة لا ملائكة الله!.

والملائكة في أخبار الشيعة مكلفون بمسألة الولاية، ولكنهم يقولون أنه لم يستجب منهم إلا طائفة المقربين.

وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحًا ولا تقديسًا من قبل تسبيحنا (يعني تسبيح الأئمة) وتسبيح شيعتنا مع أن الله سبحانه يقول: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ، مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [سورة ق، آية: ١٧-١٨]. وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف، آية: ٨٠]. من كتاب أصول مذهب الشيعة.

الردود:

من تفسير الطبرى:

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾.

بمعنى: ما ننزلها نحن، وذلك أن الملائكة إذا نزلها الله على رسول من رسله تنزلت إليه، وإذا تنزلت إليه، فإنما تنزل بإنزال الله إياها إليه.

فتأويل الكلام: ما ننزل ملائكتنا إلا بالحقّ، يعني بالرسالة إلى رسلنا، أو

بالعذاب لمن أردنا تعذيبه. ولو أرسلنا إلى هؤلاء المشركين على ما يسألون إرسالهم معك آية فكفروا لم يُنظروا فيؤخروا بالعذاب، بل عوجلوا به كما فعلنا ذلك بمن قبلهم من الأمم حين سألوا الآيات فكفروا حين آتتهم الآيات، فعاجلناهم بالعقوبة..

قال ابن كثير :سورة ق:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ(٢١)﴾ أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة. وهو اختيار ابن جرير، ثم روي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع - مولى لثقيف - قال: سمعت عثمان بن عفان يخطب، فقرأ هذه الآية: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، فقال: سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت. وكذا قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

نموذج من تفسير ابن كثير: سورة غافر:

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حَمَلَة العرش الأربعة، ومن حوله من الكروبيين، بأنهم يسبحون بحمد ربهم، أي: يقرنون بين التسبيح الدال على نفي النقائص، والتحميد المقتضي لإثبات صفات المدح، ﴿ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ أي: خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي: من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله سبحانه ملائكته المقربين أن يَدْعُوا للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام، كانوا يُؤمِّنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب، كما ثبت في صحيح مسلم: "إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله". كما قال تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧].

الخلاصة:

ونؤمن بملائكة الله تعالى وأنهم (عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]. خلقهم الله تعالى فقاموا بعبادته وانقادوا لطاعته (لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبّحون الليل والنهار لا يفترون) [الأنبياء: ١٩، ٢٠].

حجبهم الله عنا فلا نراهم، وربما كشفهم لبعض عباده، فقد رأى النبي ﷺ جبريل على صورته له ستمائة جناح قد سدّ الأفق، وتمثل جبريل لمريم بشراً سوياً فخاطبته وخاطبها، وأتى إلى النبي ﷺ وعنده الصحابة بصورة رجل لا يُعرف ولا يُرى عليه أثر السفر، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتي النبي ﷺ ووضع كفيه على فخذيه، وخاطب النبي ﷺ، وخاطبه النبي ﷺ وأخبر النبي ﷺ أصحابه أنه جبريل.

ونؤمن بأن: للملائكة أعمالاً كلفوا بها: فمنهم جبريل الموكل بالوحي يتزل به من عند الله على من يشاء من أنبيائه ورسله، ومنهم ميكائيل الموكل بالمطر والنبات، ومنهم إسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور حين الصعق والنشور، ومنهم ملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت، ومنهم ملك الجبال: الموكل بها، ومنهم مالك: خازن النار، ومنهم ملائكة موكلون بالأجنة في الأرحام وآخرون موكلون بحفظ بني آدم وآخرون موكلون بكتابة أعمالهم، لكل شخص ملكان (عن اليمين وعن الشمال قعيد (١٧) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) [ق: ١٧، ١٨]. وآخرون موكلون بسؤال الميت بعد الانتهاء من تسليمه إلى مثواه، يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ودينه ونبيه فـ (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء) [إبراهيم: ٢٧]، ومنهم الملائكة الموكلون بأهل الجنة (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار([الرعد: ٢٣، ٢٤]، وقد أخبر النبي ﷺ أن البيت المعمور في السماء يدخله ـ وفي رواية يصلي فيه- كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم.

ومن ثمرات الإيمان بالملائكة:

أولاً: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه.

ثانياً: شكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثاً: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل واستغفارهم للمؤمنين.

الإيمان بالكتب:

أقول أنا الباحث محمود صالح ، أن هذا مبحث هام وسبق وأن ناقشت أقوال المصنف فى كتاب الله وفى هذا المبحث نناقش ونرد على افتراءاته وبدعه المنكرة التى أتى بها هو وعلماء الشيعة ليحبكوا المؤامرة على هذا الدين من خلال كذبهم المستمر على أتباعهم وملأوا به مصنفاتهم ولست أدرى من أين أتوا بهذه الأباطيل اللهم الا أن يكون من وحى شياطينهم وصدق الله اذ يقول: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الانعام، ولكى يتمكنوا من ذلك أتوا بهذه الروايات المختلقة المكذوبة التى منها، ان علوم القرآن كلها انما هى عند الأئمة وأن أول من قال ذلك هو علىّ ابن أبى طالب الذى ولده رسول الله وخلق من نوره وخصه بجمع القرآن وكتابته دون غيره حتى قال المصنف فى تفسير آية سورة البقرة ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ ﴾ قال كتاب علىّ لا ريب فيه أى أن القران الذى هو كتاب الله ليس بكتاب الله انما هو كتاب علىّ الذى لا شك فيه وبناءاً على ذلك عرض علىّ كتابه على الصحابة وبخاصة أبو بكر وعمر وأخبروه كما يزعم المصنف انهم لا حاجة لهم فيه فرد عليهم علىّ بقوله أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا إنما كان عليٌّ أن اخبركم حين جمعته لتقرؤه.

وانظر الى هذا الكذب على علىّ وعلى الصحابة وهو فى الحقيقة قدح فى علىّ قبل أى أحد وكيف هان عليه دينه لدرجة أنه ما أنكر عليهم وما خرج عليهم هو وأهل بيته لينكر هذا المنكر ليعلن براءته أمام الجميع؟ ولكن لكون أن هذا كذب واختراع من علماء الشيعة لم يحدث أى شىء من هذا، ثم راحوا يوهمون أتباعهم أن هناك عدة كتب وليس كتاب واحد فقالوا كذباًوزوراً أن عندهم قرآن آخر تسير به الجبال وتقطع به الأرض ويحى به الموتى ويعلمون الماء الذى فى السحاب، وأن عندهم كتاب آخر هو الزبور الذى أنزل على داود ليس هذا فقط بل كل كتاب نزل هو عندهم، ويزعمون أيضاً أن الملائكة ينزلون كل عام فى ليلة القدر ويدفعون الى امام الزمان ما قد كتبوه، ويزعمون أن على عنده كتاب اسمه الجفر وهو الألواح التى انزلت على موسى ، ويزعمون أن هناك كتاب آخر اسمه مصحف فاطمة فهم بالجملة ورثوا جميع الأنبياء وراثة بما فى ذلك جميع كتبهم، اذاً نحن أمام قوم عندهم عدد

من الكتب الالهية من لدن آدم الى اليوم لأن الوحى لم ينقطع بزعمهم وما زال الروح والملائكة تتنزل عليهم، ولو قمنا بحصر مجموع الكتب التى زعم المصنف وعلماء الشيعة الذين ينقل عنهم لوجدناهم يزيدون على الثمانية ، ولوجدنا عدد المصاحف تزيد على اثنين لأنهم ذكروا فى أقوالهم المكذوبة المصحف الذى كتبه علىّ، ومصحف فاطمة، وهذان يختلفان عن المصحف الذى كتبه الصحابة، اذاً نستطيع أن نجزم أن المصنف وأمثاله من الشيعة شرذمة حاقدة على الاسلام والمسلمين ليسوا على الاسلام وليسوا من المسلمين اتخذوا من الاسلام ستارا" ليهدموه من قواعده، لأن هذه المزاعم الهدف منها أولاً صرف الشيعة عن القرآن وزعزعة عقيدتهم فى كتاب الله والاستهانة به ومن ثم اقناع الشيعة بأنهم وحدهم المسؤلون عن هذا الدين وأن هذا هوالحق وأن غيرهم على الكفر والضلال، والهدف الثانى من هذا واضح مكشوف وهوايضاً لنشر الفرقة بين المسلمين وليقطعوا عليهم كل طريق لكى يتوحدوا ويصيروا أمة واحدة كما أراد الله ، فلقد نسخ الله سبحانه بكتابه الكتب السماوية كلها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.. ﴾ [المائدة، آية ٤٨-٤٩]. وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ولقوله سبحانه ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ والذى يجب علينا جميعا دعاة وعلماء اظهار الحق وابطال الباطل وذلك من خلال الدعوة الى الله بكل ما أتيح لنا من امكانيات وليكن التركيز فى ذلك على التمسك بالكتاب والسنة ورد كل شبهة تثار حولهم، لقوله سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾، واليك الروايات المكذوبة التى أتى بها المصنف وبعدها الردود عليها:

ما يلى من تفسير الصافى:

المقدمة الثانية في نبذ مما جاء في أن علم القرآن كله إنما هو عند أهل البيت (عليهم السلام) وبإسناده عنه (عليه السلام) قال: قد ولدني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أعلم كتاب الله تعالى وفيه بدؤ الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة وفيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر الجنة والنار وخبر ما كان وما هو كائن أعلم ذلك

كما أنظر إلى كفي إن الله تعالى يقول: (فيه تبيان كل شيء). وفيه عنه (عليه السلام) قال: ان الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القرآن وقطب جميع الكتب

المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه وتأويل ذلك: فقال أبو عبد الله (عليه السلام): كف عن هذه القراءة وإقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم (عليه السلام) فإذا قام قرأ كتاب الله تعالى على حده واخرج المصحف الذي كتبه علي (عليه السلام)، وقال: أخرجه علي (عليه السلام) إلى الناس حين فرغ منه وكتبه، فقال لهم هذا كتاب الله كما أنزله الله على محمد ﷺ وقد جمعته بين اللوحين فقالوا هوذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه فقال: أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبدا إنما كان عليٌّ أن اخبركم حين جمعته لتقرؤه.

سورة البقرة العياشي عن الصادق (عليه السلام) قال: كتاب علي لا ريب فيه. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن هذه الآية ما الزبور وما الذكر قال الذكر عند الله والزبور الذي أنزل على داود عليه السلام وكل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم تنزل الملئكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر القمي قال تنزل الملائكة وروح القدس على إمام الزمان ويدفعون إليه ما قد كتبوه .

في الكافي عن الكاظم عليه السلام وانما غضب عليه لأنه كان يدله على الماء قال فهذا وهو طائر قد اعطى ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجن والانس والشياطين المردة له طائعين ولم يكن له يعرف الماء تحت الهواء وكان الطير يعرفه وان الله يقول في كتابه ولو ان قرآنا سيرت الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال ويقطع به البلدان ويحيى به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الارض.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام ألا إن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين.

سورة المائدة: وكتبنا له في الألواح من كل شيء: وما يحتاجون إليه من أمر الدين. موعظة وتفصيلا لكل شيء: وكانت زبرجدة من الجنة كما رواه. العياشي: عن الصادق (عليه السلام) في الجفر أن الله عز وجل لما أنزل الألواح على موسى أنزلها عليه وفيها تبيان كل شيء كان أو هو كائن إلى أن تقوم الساعة فلما انقضت أيام

موسى أوحى الله إليه أن استودع الألواح وهي زبرجدة من الجنة، جبلا يقال له زينة فأتى موسى الجبل فانشق له الجبل فجعل فيه الألواح ملفوفة فلما جعلها فيه انطبق الجبل عليها فلم تزل في الجبل حتى بعث الله نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) فأقبل ركب من اليمن يريدون الرسول. فلما انتهوا إلى الجبل انفرج الجبل وخرجت الألواح ملفوفة كما وضعها موسى فأخذها القوم فلما وقعت في أيديهم القي في قلوبهم أن لا ينظروا إليها، وهابوها حتى يأتوا بها رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) فأنزل الله جبرئيل على نبيه(صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره بأمر القوم وبالذي أصابوه فلما قدموا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وسلموا عليه ابتدأهم فسألهم عما وجدوا فقالوا: وما علمك بما وجدنا؟ قال: أخبرني به ربي وهو الألواح، قالوا: نشهد أنك لرسول الله ﷺ فأخرجوها فوضعوها إليه فنظر إليها وقرأها وكانت بالعبراني.

ثم دعا أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: دونك هذه ففيها علم الأولين والآخرين وهي ألواح موسى، وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك فقال: لست أحسن قرائتها، قال: إن جبرئيل أمرني أن آمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فإنك تصبح وقد علمت قرائتها، قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كل شيء فيها فأمر رسول الله ﷺ بنسخها فنسخها في جلد وهو الجفر، وفيه علم الأولين والاخرين، وهو عندنا والألواح عندنا، وعصا موسى عندنا، ونحن ورثنا النبيين - أجمعين.

سورة المعارج سأل سائل بعذاب واقع أي دعا داع به بمعني استدعاه وقرئ سال بالالف وهو إما لغة فيه وإما من السيلان للكافرين . في الكافي مقطوعا انها نزلت للكافرين بولاية علي عليه السلام قال هكذا والله نزل بها جبرئيل على رسول الله ﷺ وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة عليها السلام. (ما سبق من تفسير الصافى)

الردود والنقد:

من تفسير ابن كثير

[المائدة: ٦٨] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ الآية وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ

وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ * الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]؛ ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها الله على موسى كليمه [عليه السلام] ومدحها وأثنى عليها، وأمر باتباعها حيث كانت سائغة الاتباع، وذكر الإنجيل ومدحه، وأمر أهله بإقامته واتباع ما فيه، كما تقدم بيانه، شرع تعالى في ذكر القرآن العظيم ، الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم، فقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله، ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكْرَه ومَدْحَه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقًا عند حامليها من ذوي البصائر، الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولا ﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨] أي: إن كان ما وعدنا الله على ألسنة الرسل المتقدمين، من مجيء محمد، عليه السلام،

﴿ لَمَفْعُولا ﴾ أي: لكائنًا لا محالة ولا بد.

وقوله: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ قال سفيان الثوري وغيره، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس، أي: مؤتمنًا عليه. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: المهيمن: الأمين، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله.

وروي عن عِكْرِمَة، وسعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، ومحمد بن كعب، وعطية، والحسن، وقتادة، وعطاء الخراساني، والسُّدِّي، وابن زيد، نحو ذلك.

وقال ابن جريج: القرآن أمين على الكتب المتقدمة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل.

وعن الوالبي، عن ابن عباس: ﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ أي: شهيدًا. وكذا قال مجاهد، وقتادة، والسُّدِّي.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿ وَمُهَيْمِنًا ﴾ أي: حاكمًا على ما قبله من الكتب.

وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى، فإن اسم "المهيمن" يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال [تعالى] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فأما ما حكاه ابن أبي حاتم، عن عكرمة، وسعيد بن جبير، وعطاء الخراساني، وابن أبي نَجيح عن مجاهد؛ أنهم قالوا في قوله: ﴿ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم أمين على القرآن، فإنه صحيح في المعنى ، ولكن في تفسير هذا بهذا نظر، وفي تنزيله عليه من حيث العربية أيضًا نظر.

وبالجملة فالصحيح الأول، قال أبو جعفر بن جرير، بعد حكايته له عن مجاهد: وهذا التأويل بعيد من المفهوم في كلام العرب، بل هو خطأ، وذلك أن "المهيمن" عطف على "المصدق"، فلا يكون إلا من صفة ما كان "المصدق" صفة له. قال: ولو كان كما قال مجاهد لقال: "وأنزلنا إليك الكتاب مُصدقا لما بين يديه من الكتاب مهيمنا عليه". يعني من غير عطف.

وقوله: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ أي: فاحكم يا محمد بين الناس: عَرَبهم وعجمهم، أُميهم وكتابيهم ﴿ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ إليك في هذا الكتاب العظيم، وبما قرره لك من حكم من كان قبلك من الأنبياء ولم ينسخه في شرعك. هكذا وجهه ابن جرير بمعناه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عمار، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد بن العوام، عن سفيان بن حسين، عن الحكم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم مخيرًا، إن شاء حكم بينهم، وإن شاء أعرض عنهم. فردهم إلى أحكامهم، فنزلت: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فأمر رسول الله ﷺ أن يحكم بينهم بما في كتابنا.

وقوله: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها، وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسوله؛ ولهذا قال: ﴿ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ أي: لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به إلى أهواء هؤلاء من الجهلة الأشقياء.

وقوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾، عن ابن عباس: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ سبيلا وسنة.

فإن الشرعة وهي الشريعة أيضا، هي ما يبتدأ فيه إلى الشيء ومنه يقال: "شرع في كذا" أي: ابتدأ فيه. وكذا الشريعة وهي ما يشرع منها إلى الماء. أما "المنهاج": فهو الطريق الواضح السهل، والسنن: الطرائق، فتفسير قوله: ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ بالسبيل والسنة أظهر في المناسبة من العكس، والله أعلم.

ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات، ديننا واحد"(١) يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآية [النحل: ٣٦]، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى، وبالعكس، وخفيفًا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالى في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة.

قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: قوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ يقول: سبيلا وسنة، والسنن مختلفة: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل.

وقيل: المخاطب بهذا هذه الأمة، ومعناه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا ﴾ القرآن ﴿ مِنكُمْ ﴾ أيتها الأمة ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أي: هو لكم كلكم، تقتدون به. وحُذف الضمير المنصوب في قوله: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ ﴾ أي: جعلناه، يعني القرآن، ﴿ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ أي: سبيلا إلى المقاصد الصحيحة، وسنة أي: طريقًا ومسلكًا واضحًا بينًا.

هذا مضمون ما حكاه ابن جرير عن مجاهد- رحمه الله - والصحيح القول الأول، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ فلو كان

---

(١) صحيح البخاري: برقم (٣٤٤٣).

هذا خطابًا لهذه الأمة لما صح أن يقول: ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ وهم أمة واحدة، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم، وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة، لا ينسخ شيء منها.

ولكنه تعالى شرع لكل رسول شرْعة على حدَة، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة، وجعله خاتم الأنبياء كلهم؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ ﴾ أي: أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة، ليختبر عباده فيما شرع لهم، ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله. وقال عبد الله بن كثير: ﴿ فِيمَا آتَاكُمْ﴾ يعني: من الكتاب.

ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها، فقال: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ وهي طاعة الله واتباع شرعه، الذي جعله ناسخًا لما قبله، والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله.

ثم قال تعالى: ﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ﴾ أي: معادكم أيها الناس ومصيركم إليه يوم القيامة ﴿ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ أي: فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق، فيجزي الصادقين بصدقهم، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق، العادلين عنه إلى غيره بلا دليل ولا برهان، بل هم معاندون للبراهين القاطعة، والحجج البالغة، والأدلة الدامغة. وقوله: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك، والنهي عن خلافه. ثم قال [تعالى] ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ أي: احذر أعداءك اليهود أن يدلسوا عليك الحق فيما يُنْهُونه إليك من الأمور، فلا تغتر بهم، فإنهم كَذَبة كَفَرة خونة. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ أي: عما تحكم به بينهم من الحق، وخالفوا شرع الله ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾أي: فاعلم أن ذلك كائن عن قَدَر الله وحكمته فيهم أن يصرفهم عن الهدى لما عليهم من الذنوب السالفة التي اقتضت إضلالهم ونكالهم. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴾ أي: أكثر الناس خارجون عن طاعة ربهم، مخالفون للحق ناؤون عنه، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٣]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الآية] [الأنعام: ١١٦]. وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد

بن ثابت، حدثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال كعب بن أسد، وابن صلوبا، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه! فأتوه، فقالوا: يا محمد، إنك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعنا يهود ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم إليك، فتقضي لنا عليهم، ونؤمن لك، ونصدقك! فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله، عز وجل، فيهم: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكزخان، الذي وضع لهم اليساق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعًا متبعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ﷺ فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال الله تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه، وآمن به وأيقن وعلم أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هلال بن فياض، حدثنا أبو عبيدة الناجي قال: سمعت الحسن يقول: من حكم بغير حكم الله، فحكم الجاهلية [هو].

وأخبرنا يونس بن عبد الأعلى قراءة، حدثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نَجيح قال: كان طاوس إذا سأله رجل: أفضّل بين ولدي في النحْل؟ قرأ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾.

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نَجْدة

الخوطي، حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب بن أبي حمزة، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، عن نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبغض الناس إلى الله، عز وجل ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، وطالب دم امرئ بغير حق ليُرِيق دمه". وروى البخاري، عن أبي اليمان بإسناده نحوه (١).

(الرعد: ٣١) ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

يقول تعالى مادحا للقرآن الذي أنزله على محمد ﷺ، ومفضلا له على سائر الكتب المنزلة قبله: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ﴾ أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تسير به الجبال عن أماكنها، أو تقطع به الأرض وتنشق أو تكلم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، أو بطريق الأولى أن يكون كذلك؛ لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله، ولا بسورة من مثله، ومع هذا فهؤلاء المشركون كافرون به، جاحدون له، ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ أي: مرجع الأمور كلها إلى الله، عز وجل، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ومن يضلل فلا هادي له، ومن يهد الله فلا مضل له.

وقد يطلق اسم القرآن على كل من الكتب المتقدمة؛ لأنه مشتق من الجميع، قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معْمَر، عن همام بن منبه قال: هذا ما حدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «خُفِّفَت على داود القراء، فكان يأمر بدابته أن تسرج، فكان يقرأ القرآن من قبل أن تُسرج دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه". انفرد بإخراجه البخاري. والمراد بالقرآن هنا الزبور.

وقال قتادة: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم، فُعل بقرآنكم.

وقوله: ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ قال ابن عباس: [أي] لا يصنع من ذلك إلا ما يشاء، ولم يكن ليفعل، رواه ابن إسحاق بسنده عنه، وقاله ابن جرير أيضًا.

وقوله: ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ قيل: في هذا ما قاله العوفي، عن ابن عباس قال: هم من اليهود والنصارى.

---

(١) المعجم الكبير (١٠/ ٣٧٤) وصحيح البخاري برقم (٦٨٨٢).

وقال قتادة: منهم ابن سلام، وسلمان، وتميم الداري.

وقال مجاهد - في رواية - عنه: هو الله تعالى. والصحيح في هذا: أن ﴿ وَمَنْ عِندَهُ ﴾ اسم جنس يشمل علماء أهل الكتاب الذين يجدون صفة محمد ﷺ ونعته في كتبهم المتقدمة، من بشارات الأنبياء به، كما قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾ الآية[الأعراف: ١٥٦ ، ١٥٧] وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ الآية: [الشعراء: ١٩٧]. وأمثال ذلك مما فيه الإخبار عن علماء بني إسرائيل: أنهم يعلمون ذلك من كتبهم المنزلة.

النقد الداخلي من كتاب أصول مذهب الشيعة:

المصنف وعلماء الشيعة قد تأثر هذا الجانب عندهم بمقتضى عقائدهم التي انفردوا بها عن سائر المسلمين في مسألة الإمامة وغيرها، فآمنوا بكتب ما أنزل الله بها من سلطان، حيث ادعوا أن الله سبحانه أنزل على أئمتهم كتبًا من السماء، كما أنزل كتبه على أنبيائه.

كما زعم بأن لدى الأئمة الاثني عشر الكتب السماوية التي نزلت على جميع الأنبياء فهم يقرأونها ويحتكمون إليها.

وإليك بيان هاتين القضيتين، من خلال النقل الأمين من كتب الشيعة المعتمدة:

المسألة الأولى: دعواهم تنزل كتب إلهية على الأئمة [هناك كتب أخرى يزعمون أنها مودعة عند الأئمة، وهي كهذه الكتب في القدسية، إلا أنها لا توصف بأوصاف هذه الكتب من القول بنزولها من عند الله ونحوه.]:

تضمنت كتب الشيعة المعتمدة عندها دعاوى عريضة، ومزاعم خطيرة ليس لها وجود في عالم الواقع، ولا يرى لها عين ولا أثر، وليس لها في كتب الأمة شاهد ولا خبر.

تلك المزاعم والدعاوى تتضمن أن هناك كتبًا مقدسة نزلت من السماء بوحي من رب العزة جل علاه إلى "الأئمة". وأحيانًا تورد كتب الشيعة نصوصًا وأخبارًا يزعمون أنها مأخوذة من تلك الكتب، وعلى هذه الروايات المدعى أخذها من تلك الكتب تبنى عقائد ومبادئ.

وكأن الذين وضعوا أصول التشيع لم يكتفوا لتأييد أصولهم بكل ما مضى من

دعاوى حول كتاب الله، وخافوا ألا تكون وافية بالغرض فيفرّ أتباعهم من حولهم، وتضيع مصادر الثروة عليهم فيخسروا المال والجاه والتقديس الذي يجنونه من أولئك الأتباع باسم الخمس والنيابة عن الإمام.

فافتعلوا هذه الدعوى ليضمنوا بها ـ مع أخواتها ـ تحقيق تلك الأهداف، وليسددوا بها سهمًا آخر ضد الأمة ودينها.

وهذه الدعوى لا تكاد تختلف عن دعوى أكثر المتنبئين بتنزل كتب، أو وحي عليهم.

روايات الإمام البخاري

ولعل جذور هذه المقالة بدأت في عصر علي ـ رضي الله عنه ـ كما أشارت إلى ذلك إحدى روايات الإمام البخاري ـ رضي الله عنه ـ عن أبي جحيفة قال: "قلت لعليّ: هل عندكم كتاب؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر" [صحيح البخاري (مع الفتح): ١/ ٢٠٤].

وفي رواية أخرى للبخاري جاء السؤال: "هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله" [صحيح البخاري (مع الفتح): ٦/ ١٦٧]. (وهي تفسر المراد بالكتاب).

قال ابن حجر: "وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك، لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت ـ لاسيما عليًا ـ أشياء من الوحي خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها، وقد سأل عليًا عن هذه المسألة أيضًا قيس بن عباد، والأشتر النخعي، وحديثهما في مسند النسائي" [فتح الباري: ١/ ٢٠٤].

فإذن نواة هذه المقالة ظهرت في عصر متقدم.. أما من تولى كبرها فإن في رسالة "الإرجاء" للحسن بن محمد بن الحنفية ما يشير إلى أن السبئيين ـ أتباع عبد الله بن سبأ ـ قد بدأوا في إشاعة مثل هذه المقالات حيث قالا: "هدينا لوحي ضل عنه الناس، وزعموا أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن" [رسالة الإرجاء (ضمن كتاب الإيمان) محمد بن يحيى العدني: ص٢٤٩-٢٥٠ (مخطوط)].

وفي كتاب أحوال الرجال أن عبد الله بن سبأ زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي [الجوزجاني/ أحوال الرجال: ص ٣٨].

إذن كانت دعوى السبئيين تشير إلى علم مخزون عند علي، فهذه أصل الدعوى، وقد تطورت واتخذت صوراً وأشكالاً متعددة كلها ترجع إلى دعوى أن عند آل البيت

ما ليس عند الناس، والتي نفاها أمير المؤمنين علي نفيًا قاطعًا، وما تفرع من الباطل فهو باطل، فالفرع له حكم أصله.

وإليك بكل أمانة بعض ما وجدناه في كتبهم المعتبرة عندهم من هذه الدعاوى والمزاعم:

أ ـ "مصحف فاطمة":

تدعي كتب الشيعة نزول مصحف على فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

تقول إحدى روايات الكافي عن مصحف فاطمة: ".. إن الله تعالى لما قبض نبيه ﷺ دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، فأرسل الله إليها ملكًا يسلي غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: إذا أحسست بذلك، وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته بذلك، فجعل أمير المؤمنين رضي الله عنه يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفًا.. أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون" [أصول الكافي: ١/ ٢٤٠، بحار الأنوار: ٢٦/ ٤٤، بصائر الدرجات: ص٤٣].

تفيد هذه الرواية بأن الغرض من هذا المصحف أمر يخص فاطمة وحدها وهو تسليتها وتعزيتها بعد وفاة أبيها ﷺ، وأن موضوعه "علم ما يكون"، وما أدري كيف يكون تعزيتها بإخبارها بما يكون وفيه ـ على ما تنقله الشيعة ـ قتل أبنائها وأحفادها، وملاحقة المحن لأهل البيت؟!

ثم كيف تعطى فاطمة "علم ما يكون" "علم الغيب" ورسول الهدى يقول كما أمره الله: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ فهل هي أفضل من رسول الله؟

وتقول هذه الرواية بأن عليًا هو الذي كتب ما أملاه الملك رغم أن رواياتهم الأخرى تقول بأن بعد وفاة الرسول ﷺ كان منشغلاً بجمع القرآن.

والكذب لا محالة له من التناقض والاختلاف.

ويقولون بأن مصحفهم هذا ثلاثة أضعاف القرآن.

جاء في الكافي "عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله... ثم ذكر حديثًا طويلاً في ذكر العلم الذي أودعه الرسول ﷺ عند أئمة الشيعة ـ كما يزعمون ـ وفيه قول أبي عبد الله: "وإنّ عندنا لمصحف فاطمة عليها السّلام. قلت (القول للرّاوي): وما مصحف فاطمة عليها السّلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث

مرّات ما فيه من قرآنكم حرف واحد" [أصول الكافي: ١/ ٢٣٩ .].

وإليك النص:

روى صاحب الوافي المصنف (الكاشانى) عن الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة متى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أي الأحوال أحببت، فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر، أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب، فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله ﷺ فهنيتها بولادة الحسين فرأيت في يديها لوحًا أخضر ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتابًا أبيض شبه لون الشمس فقلت لها:

بأبي وأمي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟ فقالت: هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله ﷺ، فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك. قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته، فقال أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال: يا جابر، انظر في كتابك لأقرأ عليه، فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي، فما خالف حرف حرفًا، فقال جابر: أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوبًا:

"بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي.." [نصه في كتب الشيعة: الكليني، الكافي: ١/ ٥٢٧، ٥٢٨، الفيض الكاشاني/ الوافي، أبواب العهود بالحجج والنصوص عليهم صلوات الله وسلامه، المجلد الأول: ٢/ ٧٢، والطبرسي/ الاحتجاج: ١/ ٨٤-٨٧، وابن بابويه القمي/ إكمال الدين: ص٣٠١-٣٠٤، الطبرسي (صاحب مجمع البيان)/ أعلام الورى: ص١٥٢، الكراجكي/ الاستنصار: ص١٨ .].

دعواهم نزول اثنتي عشرة صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة:

في حديث طويل من أحاديثهم ـ يرويه صدوقهم ابن بابويه القمي ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ كما يفترون ـ: "إن الله تبارك وتعالى أنزل عليّ اثني عشر خاتمًا، واثني عشر صحيفة، اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته" [ابن بابويه

القمي/ إكمال الدين ص٢٦٣ .].

وهكذا يحاول القوم أن يسلكوا كل وسيلة لتثبيت معتقدهم في الأئمة.. بعد أن زلزل دعواهم خلو كتاب الإسلام العظيم "مما يثبتها" فراحوا يزعمون تنزل كتب إلهية مع القرآن فكانت هذه الدعوى فضيحة تضاف لقائمة فضائحهم وأكاذيبهم.

نقد هذه المقالة:

قال الله تعالى: ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ.. ﴾ [النساء، آية: ١٥٣].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإسراء، آية: ٩٠-٩٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأنعام، آية: ٧].

فالذين طلبوا من الرسول ﷺ صحيفة مكتوبة من السماء هم الكفار وأهل الكتاب.. فلم يجابوا..

فأراد الكليني وأمثاله ممن أشاع هذه الفرية أن يصوروا خير أمة أخرجت للناس بأنهم أشد كفراً من اليهود والذين كفروا؛ لأنهم أنزل عليهم كتب من السماء فلم يؤمنوا أي لم يعرفوا الأئمة الاثني عشر.

والآية صريحة في بطلان ما يدعي هؤلاء الروافض، إذ لو كان شيء من دعاوي الشيعة واقعًا لأشارت إليه الآيات، ولم تنكر على هؤلاء دعواهم، أو لقال النبي ﷺ لهم: دونكم ما نزل على فاطمة، أو ما نزل عليّ، أو ما سينزل على الأئمة، ولكن شيئًا من ذلك لم يحدث فما أجرأ هؤلاء على الكذب المكشوف.

ولماذا تنقل الأمة القرآن والسنة.. وتترك هذه الكتب المزعومة لينفرد بنقلها هؤلاء؟ ولا يعرف أحد من الأمة ولا علماء التاريخ، ولا أهل الأديان شيئًا عن أمر هذه "الكتب"؟ وكيف تختلف الشيعة في أمر تعيين الإمام إلى عشرات الفرق وعندها هذه الصحف المنزلة؟

وقد وقفت على نص عندهم جاء في الكافي، يناقض هذه الدعوى وهو عن أبي

عبد الله - الذي يفترون عليه كل تلك الافتراءات - قال: "إن الله عز ذكره ختم بنبيكم النبيين فلا نبي بعده أبدًا، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبدًا، وأنزل فيه تبيان كل شيء وخلقكم وخلق السماوات والأرض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم وأمر الجنة والنار وما أنتم صائرون إليه" [صحيح الكافي: ١/ ٣١، أو أصول الكافي: ١/ ٢٦٩، وانظر: مفتاح الكتب الأربعة: ٨/ ٦٤-٦٥] وهذا نص لا يحتاج إلى تعليق فهو يكذب كل هذه الدعاوى وينفي وقوعها نفيًا قاطعًا.

وفي حديث آخر عندهم قال الرضا: "شريعة محمد ﷺ لا تنسخ إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعده نبوة، أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه" [بحار الأنوار: ٧٩/ ٢٢١، و١١/ ٣٤-٣٥، وعزاه إلى علل الشرائع لابن بابويه].

ونحن هنا نخاطبهم بعقليتهم وإلا فإن هذه المقالة يكفي في معرفة فسادها مجرد عرضها، وإن إجماع الأمة قائم على أنه لا كتاب إلا كتاب الله سبحانه، وكل من ادعى أنه عنده كتاب إلهي فهو كاذب زنديق.

وما الحاجة لنزول هذه الكتب والله سبحانه يقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل، آية: ٨٩]، ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: آية: ٩].

وأين هذه المصاحف والصحف اليوم، وهل لها من أثر، وما فائدة خزنها عند المنتظر.. ولكن يبدو أن مهندس بناء التشيع وضعوا أمثال هذه الروايات خوفًا من أن يفقد المذهب أتباعه لعدم وجود ما يشهد له من كتاب الله. كما كان لهم هدف أبعد من ذلك وهو الكيد للأمة ودينها، والأخذ بالشيعة بعيداً عن المسلمين لتستقل بكتبها عن كتاب الله.

ومن الغريب أن من شيوخ الشيعة القدامى والمعاصرين من أنكر ما ينسب لمذهب الشيعة الاثني عشرية من القول بالتحريف، وعدّ رواياتهم وإن كثرت من قبيل الأساطير التي تسربت للمذهب... ولكن لم يقفوا نفس الموقف - في حدود اطلاعي - من هذه الفرية التي تولى كبر إشاعتها الكليني وأضرابه، فقد أغمض عنها شيوخ الشيعة، وهي قد لا تقل خطورة عن "الدعوى" الأولى بل إن ابن بابويه، والطبرسي وهما ممن أنكر "أسطورة التحريف" قد شاركا في إشاعة هذه "الضلالة"... فهل لأن الأولى عرفها المسلمون عن الشيعة، والأخرى كانت غير معروفة؟!

وهذه الدعوة تتضمن أموراً في غاية الخطورة منها: أن الوحي لم ينقطع والنبوة لم تختم، وأن الأئمة بمنزلة الأنبياء أو أعظم، فهم تنزل عليهم الكتب المتعددة من السماء، وهذا ما لم يتحقق للرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها تضليل الصحابة والأمة جميعًا بأنها ردت الكتب المنزلة.

وهذه الدعوى إحدى المعالم الواضحة على أن هذا المذهب قد ابتلي بشرذمة من الكذابين الذين لا يتورعون عن أي كذب، فهم كذبوا على رسول الله بوضع الأحاديث، وكذبوا على الله سبحانه بوضع هذه "الكتب"!!

وإنما يفتري الكذب على الله الذين لا يؤمنون.

المسألة الثانية: دعواهم بأن جميع الكتب السماوية عند الأئمة:

يدعي المصنف (الكاشانى) والشيعة بأن عند الأئمة الاثني عشر كل كتاب نزل من السماء وأنهم يقرؤونها على اختلاف لغاتها، وعقد صاحب الكافي بابًا لهذا الموضوع بعنوان: "باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها" [أصول الكافي: ١/ ٢٢٧].

تقول هذه الروايات عن الأئمة: "كل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم" [أصول الكافي (مع شرح جامع للمازندراني): ٥/ ٣٥٥]، "إن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى" [أصول الكافي (مع شرح جامع للمازندراني): ٥/ ٣٥٤]، "إن عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور وبيان ما في الألواح" [أصول الكافي (مع شرح جامع للمازندراني): ٥/ ٣٥٤]. وتأتي رواية أخرى تفسر المراد بالألواح وأنها ألواح موسى، وتصف هذه الألواح بأنها زبرجدة من الجنة وفيها تبيان.كل شيء هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وأنها مكتوبة بالعبرانية وأن الرسول ﷺ دفعها إلي أمير المؤمنين علي وقال: "دونك هذه ففيها علم الأولين والآخرين وهي ألواح موسى وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك. قال يا رسول الله لست أحسن قراءتها، قال: إن جبرائيل أمرني أن آمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فإنك تصبح وقد علمت قراءتها قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كل شيء فيها فأمره رسول الله ﷺ أن ينسخها فنسخها في جلد شاة وهو الجفر وفيه علم الأولين والآخرين، وهو عندنا" [بحار الأنوار: ٢٦/ ١٨٧١٨٨].

وإذا كانت هذه الرواية تحدد مضمون الجفر بأنه (ألواح موسى)، فإن رواية أخرى لهم تخرج عن هذا التحديد وتقول بأن أبا عبد الله قال: "إنّ عندي الجفر الأبيض..

فيه: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة. ما أزعم أنّ فيه قرآنًا وفيه ما يحتاج النّاس إلينا ولا نحتاج إلى أحد، حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش" [أصول الكافي: ١/ ٣٤٠ والمصنف (الكاشانى) ينقل عنه].

وكأن شارح الكافي استكثر أن يكون كل ذلك مكتوبًا في الجفر الذي هو جلد شاة ـ كما تفسره الرواية السابقة ـ فقال: الظاهر أن الجفر وعاء فيه هذه الصحف لا أنها مكتوبة فيه" [شرح جامع/ للمازندراني: ٥/ ٣٨٩]. في حين أن صريح الرواية السابقة يخالف هذا حيث نصت على أن عليًا (نسخها في جلد شاة).

ومعنى هذا أن جلد الشاة يستحيل أن يستوعب كل هذه الكتب، والتي يتضمن أحدها وهو ألواح موسى، علم الأولين والآخرين، وهذا يكشف أن هذه الدعاوي من وضع جاهل لا يحسن أن يضع.

وكل عاقل يدرك أن لو كان عند الأئمة علم الأولين والآخرين لتغير وجه التاريخ.

والزعم بأن عند الأئمة الكتب السماوية كلها لم يأخذ الشك النظري فحسب، بل تجاوز ذلك إلى محيط العمل، فها هو أبو الحسن ـ بزعمهم ـ يقرأ الإنجيل أمام نصراني يقال له بريه فيقول هذا النصراني بعد سماعه لقراءة إنجيله عن الإمام: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، ثم إن النصراني ـ كما تقول الرواية ـ آمن وحسن إسلامه. وقال للإمام: "أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ فقال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرؤها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوا: إن الله لا يجعل حجة في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري" [أصول الكافي (مع شرح جامع): ٥/ ٣٥٩، بحار الأنوار: ٢٦/ ١٨١، ١٨٢، التوحيد للصدوق: ص٢٨٦-٢٨٨].

فيؤخذ من هذه الرواية أن الأئمة يقرؤون التوراة والإنجيل وغيرهما، كما قرأها الأنبياء، حتى يجدوا ما يجيبون فيه على أسئلة الناس.

بل الأمر تعدى مجرد القراءة والفتوى إلى مجال الحكم والقضاء، ووضع صاحب الكافي لهذا بابًا بعنوان: "باب في الأئمة أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة عليهم السلام" [أصول الكافي: ١/ ٣٩٣].

ومن الروايات التي ذكرها في هذا الباب: ".. عن جعيد الهمداني عن علي بن الحسن رضي الله عنه قال: سألته بأي حكم تحكمون؟ قال: حكم آل داود فإن أعيانا

شيء تلقانا به روح القدس" [أصول الكافي: ص/٣٩٨].

وترد عندهم نصوص كثيرة تقول بأن مهديهم المنتظر يحكم بحكم آل داود ولا يسأل بينة [أصول الكافي: ١/ ٣٩٨ وما بعدها]، ويذكرون جملة من الأحكام التي يحكم بها مهديهم بموجب شريعته الخاصة مثل "كونه لا يقبل الجزية من أهل الكتاب، ويقتل كل من بلغ عشرين سنة ولم يتفقه في الدين، وأنه لا يقبل البينة، ويحكم بحكم آل داود وأمثالها" [انظر: الشعراني/ تعاليق علمية (على شرح الكافي للمازندراني): ٦/ ٣٩٣]. كما سيأتي - إن شاء الله - تفصيله في عقيدتهم في المهدي المنتظر.

وجاءت عندهم عدة روايات تذكر بأن عليًا يقول: لو تمكنت من الأمر لحكمت لكل طائفة بكتابها [توجد هذه الروايات في البحار: ٢٦/ ١٨٠ وما بعدها، ٤٠/ ١٣٦ وما بعدها]، فمن هذه الروايات: زعمهم أن عليًا قال: "لو ثنيت لي وسادة" [قال المجلسي: ثني الوسادة عبارة عن التمكن في الأمر ونفاذ الحكم. (البحار: ٤٠/ ١٣٧)]، أو "لو ثنى الناس لي وسادة كما ثني لابن صوحان [قال المجلسي: ذكر ابن صوحان في الخبر غريب، ولعله كان ابن أبي سفيان، وعلى تقديره كأن المراد به لو كان لي بين أصحابي نفاذ أمر وقبول حكم كنفاذ أمر ابن صوحان (البحار: ٢٦/ ١٨٢)] لحكمت بين أهل التوراة بالتوراة، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور، ولحكمت بين أهل الفرقان بالفرقان" [البحار: ٢٦/ ١٨٢].

نقد هذه المقالة:

بعث الله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين، وختم به النبوات، ونسخ برسالته سائر الرسالات ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: آية: ٨٥]. «ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه ﷺ «[شرح الطحاوية: ص٥١٣] » وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض فإنما يحكم بشريعة محمد ﷺ «[مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٣١٦، شرح الطحاوية: ص٥١٣]. فقد نسخ الله سبحانه بكتابه الكتب السماوية كلها، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ،

وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ.. ﴾ [المائدة، آية ٤٨-٤٩].

قال ابن جرير في قوله سبحانه: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾: "وهذا أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذي أنزله إليه وهو القرآن الذي خصه بشريعته، فالله سبحانه أنزل القرآن مصدقًا ما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليه، رقيبًا على ما قبله من سائر الكتب قبله ﷺ [تفسير ابن جرير الطبري: ٦/ ٢٦٨-٢٦٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٩/ ٢١٨].

وكتب الشيعة تقول بأن الأئمة يحكمون بحكم آل داود، ويحكمون لكل أصحاب دين بكتابه، فهل هذا خروج عن شريعة الإسلام، أو دعوة إلى وحدة الأديان؟! وقد يكون هذا من الأدلة على أن التشيع مأوى النحل والأديان، وكل صاحب دين يجد فيه بغيته، وينفث من خلاله سمومه على الإسلام.

أما قول الشيعة بأن كتب الأنبياء عند أئمتهم فهذا ما لا يملكون عليه دليلاً سوى دعاوى لا يصدقها الواقع، كيف والمصطفى ﷺ لا يملك ذلك، كما يدل على ذلك ما جاء في الصحيحين وغيرهما: "إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا: فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما" [أخرجه البخاري (مع الفتح) في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ... ﴾ [البقرة، آية: ١٤٦] جـ ٦ ص٦٣١ (ح٣٦٣٥) وفي مواضع أخرى، وأخرجه بهذا المعنى مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهوديين: ٤/ ٥٩٣، (ح٤٤٤٦)، وابن ماجه في الحدود، باب رجم اليهودي واليهودية: ٢/ ٨٥٤-٨٥٥ (ح٢٥٥٨)، ومالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم: ٢/ ٨١٩، وأحمد: ٢/ ٥، والشافعي في الرسالة فقرة ٦٩٢، بتحقيق أحمد شاكر].

قال أهل العلم: "وقوله ﷺ: «ما تجدون في التوراة في شأن الرجم" يحتمل أن يكون قد علم بالوحي أن حكم الرجم فيها ثابت على ما شرع... ويحتمل أن يكون

علم بذلك بخبر عبد الله بن سلام ومن أسلم من علماء اليهود على وجه حصل له به العلم بصحة ما نقلوه، ويحتمل أن يسألهم عن ذلك ليعلم ما عندهم فيه ثم يستعلم صحة ذلك من قبل الله تعالى" [الباجي/ المنتقي: ٧/ ١٣٣، فتح الباري: ١٢/ ١٦٨، عون المعبد: ١٢/ ١٣١].

ولم يذكروا احتمال أن تكون التوراة موجودة عنده بل هذا من بدع الشيعة.. ولو كان الأمر على ما زعمت كتب الشيعة لأظهر التوراة الموجودة عنده ولم يأمرهم بالإتيان بها، لو لطلبها من ابن أخيه علي.

وأمر آخر وهو أن الشيعة تزعم أن الكتب السماوية السابقة والموجودة عند الأئمة لم تصل إليها يد التحريف والتبديل.

وقد بين الله سبحانه لنا أهل الكتاب حرفوا الكلم عن مواضعه ومن بعد مواضعه، وأنهم نسوا حظًا مما ذكروا به، وإنما أوتوا نصيبًا من الكتاب؛ إذ نسوا نصيبًا آخر وأضاعوه.

ولما خرجت أمة القرآن من الأمية وعرفوا تاريخ أهل الكتاب ظهر لهم أن اليهود فقدوا التوراة التي كتبها موسى ثم لم يجدوها، وإنما كتب لهم بعض علمائهم ما حفظوه منها ممزوجًا بما ليس منها، والتوراة التي بين أيديهم تثبت ذلك [تفسير المنار: ٦/ ٣٩٦].

«وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة، ونسخ الزبور يخالف بعضها بعضًا مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني، ويقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام" [ابن تيمية/ دقائق التفسير: ٣/ ٥٨].

ولسنا في مقام دراسة هذه المسألة وبسطها، وإنما الغرض الإشارة إلى نتيجة الدراسات التي قامت حول الكتب السابقة والتي تقول بأنه لم يبق منها كتاب على ما أنزل لم يصل إليه تحريف.. إلا أن كتب الشيعة تدعي أن عندها هذه الكتب وغيرها من الكتب السماوية لم ينلها تغيير.. ولو كان عند الأئمة الكتب الأصلية غير المحرفة لكان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتم عليهم أن يواجهوا بها اليهود والنصارى ليردوهم إلى الحق وليظهروا ما فيها من الأخبار من ظهور النبي ﷺ ووجوب اتباعه، ولو فعلوا ذلك لرجع أكثر اليهود والنصارى عن كفرهم ولنقل ذلك واشتهر.

ولعل من سمع هذه الدعوى يسأل: أين هذه الكتب السماوية، في أي مكان

توجد وعند من؟

وما الهدف من وجودها عند أئمتهم؟ هل ليكملوا بها شريعة الإسلام؟!

ولم لم يحتجوا بها على تحريف أهل الكتاب ويقيموا الحجة عليهم؟ هل هذا تقصير منهم؟

هذه أسئلة لا جواب عليها يرتضى، لأنها تدور على أسطورة لا حقيقة لها.. وليست هذه الدعوى بغريبة على قوم ادعوا لأئمتهم كل شيء.. ولكن الغريب أن تجد من يصدق بها في عالم اليوم.

ولذلك فإن الشيعة تقول في كل وهم من هذه الأوهام ـ أعني الكتب السرية والمصاحف السماوية ومواريث الأنبياء.. إلخ -: إن مستقرها ومستودعها عند الغائب الموهوم المهدي المنتظر [أصول الكافي: ١/ ٢٢١]، فتعلق أتباعهم بهذا السراب الخادع أساطير يتبع بعضها بعضًا.

الخلاصة:

اعتقاد أهل السنة فى الكتب المنزلة من عند الله نؤمن بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً حجّة على العالمين ومحجة للعالمين يعلّمونهم بها الحكمة ويزكونهم.

ونؤمن بأن الله تعالى أنزل مع كل رسول كتاباً لقوله تعالى (قد أرسلنا رُسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[الحديد: ٢٥].

ونعلم من هذه الكتب:

ـ أ. التوراة: التي أنزلها الله تعالى على موسى ﷺ، وهي أعظم كتب بني إسرائيل (يها هُدى ونُور يحكم بها النبيون الذي أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله) [المائدة: ٤٤].

ـ ب. الإنجيل: التي أنزله الله تعالى على عيسى ﷺ، وهو مصدق للتوراة ومتمم لها (وآتيناه الإنجيل فيه هُدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهُدى وموعظة للمتقين) [المائدة: ٤٦] (لأُحل لكم بعض الذي حُرِم عليكم) [آل عمران: ٥٠].

ـ ج. الزبور: الذي آتاه الله داود ﷺ.

ـ د. صحف إبراهيم وموسى: عليهما الصلاة والسلام.

هـ. القرآن العظيم: الذي أنزله الله على نبيه محمد خاتم النبيين (هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان) [البقرة: ١٨٥]. فكان(مصدقاً لما بين يديه من الكتاب

ومهيمناً عليه) [المائدة: ٤٨]. فنسخ الله به جميع الكتب السابقة وتكفل بحفظه عن عبث العابثين وزيغ المحرفين (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر: ٩] لأنه سيبقى حجة على الخلق أجمعين إلى يوم القيامة.

أما الكتب السابقة فإنها مؤقتة بأمدٍ ينتهي بنزول ما ينسخها ويبين ما حصل فيها من تحريف وتغيير، ولهذا لم تكن معصومة منه فقد وقع فيها التحريف والزيادة والنقص (إن الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) [النساء: ٤٦]،)فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) [البقرة: ٧٩]، (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً) [الأنعام: ٩١]، (إن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون (٧٨) ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله) آل عمران: ٧٨، ٧٩]. (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب) لى قوله: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) [المائدة: ١٥، ١٧].

ومن ثمرات الإيمان بالكتب:

أولاً: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

ثانياً: ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها. وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم، مناسباً لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

ثالثاً: شكر نعمة الله تعالى على ذلك.

الإيمان بالرسل:

أقول انا الباحث فى هذا المبحث نعرض أقوال المصنف وعلماء الشيعة والرد عليهم فى ركن هام من أركان الايمان ألا وهو الايمان بالرسل، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة أن الله أرسل رسلاً الى قومهم ليدلوهم على الله وليبلغوا اليهم رسالة ربهم ﴿ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ ﴾ ولقوله سبحانه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾، وبين سبحانه وتعالى أنه اصطفى من

البشر الرسل والأنبياء فجعلهم خير الناس فقال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ وقول النبي ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، ومن خلال تدبر آيات الله وسنة النبي ﷺ نعتقد اعتقاداً جازما أن الله خلق آدم ﷺ من تراب وكذلك كل البشر تابعون له في أصل الخلقة، ومن زعم أن أحداً من البشر خلق من غير ذلك فهو مبتدع ضال مفترى يفترى على الله ورسوله الكذب وهكذا يفعل المصنف وعلماء الشيعة حينما زعموا أن عليّ والأئمة خلقوا من نور فهم بهذا يخالفون آية صريحة من كتاب الله وهي قوله سبحانه ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا(١١٠)﴾ ثم يزعمون أنهم أفضل من جميع الخلق حتى الأنبياء بل وصل بهم الأمر أن كذبوا على الله وزعموا أن الله سبحانه أمر الأنبياء بالشرك في الدعاء بأن يتوسلوا بالأئمة، فبماذا يسمى هذا لا يسمى الا بالدعوة الى الشرك والكفر الذى جاء الاسلام لهدمه والقضاء عليه ونشر التوحيد والايمان بدلا منه، فهل يصدق ذلك عقل، وهذا أيضاً مخالف لقوله سبحانه من آل عمران قال: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾ أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي: لا يفعل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ الآية، [النحل: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] وقال [تعالى] إخباراً عن الملائكة: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء : ٢٩] والمصنف يستمر فى تحريفه للدين وتغيير عقائد الشيعة ويزعم أن الأئمة أفضل من الأنبياء لأنهم يعلمون الغيب وغير ذلك من هذا الهذيان الذى سأعرضه فى الأسطر القادمة وبعدها النقد والردود:

يزعم المصنف (الكاشانى):

١ - أن عليّ والأئمة خلقوا قبل جميع الأشياء، وعليّ خلق من نور سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنه ولد منه ولاده.

سورة الكهف وفي الكافي عن الجواد عليه السلام إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفردابوحدانيته ثم خلق محمدا وعليا وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهرثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمرها إليهم.

٢- وأنه وآل البيت نقلوا من العرش واليك النص-- فقال عز وجل: (أنوار وأشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ولذلك أمرت الملائكة بالسجود لك ـ تفسير الآية ٣٤ - ٣٥ ـ سورة البقرة وفيها الكثير من الغلو والخرافات من تأويل المصنف (الكاشانى):

٣- ويزعم أنهم أفضل من الملائكة لأن الملائكة خدام لهم ولمحبيهم واليك النص (وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله فكان السجود لهم تعظيما وإكراما ولله سبحانه عبودية ولآدم (عليه السلام) طاعة).

وفي العيون عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ما خلق الله خلقا أفضل مني ولا اكرم عليه مني، قال علي صلوات الله عليه فقلت يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرائيل فقال إن الله تعالى فضل انبيائه المرسلين على ملائكته المقربين وفضلني على جميع النبيين والمرسلين والفضل بعدي لك يا علي والأئمة من بعدك وإن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا.

٤- ويزعم أنهم عليّ والأئمة أفضل من الأنبياء بزعمه كذبا وزورا أن آدم و موسى وابراهيم وباقى الأنبياء توسلوا بهم(فقال آدم يا رب من هؤلاء فقال عز وجل: هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقي ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض) هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريتي بهم آخذ وبهم اعطي وبهم اعاقب وبهم اثيب فتوسل بهم إليّ يا آدم إذا دهتك داهية فاجعله إليّ شفعاءك فاني آليت على (١١٦) نفسي قسما حقا أن لا أخيب بهم آملا ولا أرد بهم سائلا فلذلك حين زلت منه الخطيئة دعا الله عز وجل بهم فتيب عليه وغفرت له فسجدوا إلا إبليس.

٥- ويزعم أن الولاية هى العهد وما أخذ عليهم من الميثاق في الذر من ولاية أمير المؤمنين والأئمة بعده عليهم السلام).

٦- يزعم انهم يتصفون بصفات ليست لأحد من البشر، انما هى صفات الله سبحانه وتعالى:

وفي الكافي عنه عليه السلام إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار وأعلم ما كان وما يكون وفي الكافي عن الباقر عليه السلام في قوله عز وجل وما ظلمونا قال إن الله أعظم وأعز وأجل وأمنع من أن يظلم ولكنه خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه وولايتنا ولايته حيث يقول إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني الأئمة.

سورة النمل وفي الكافي عن الباقر عليه السلام قال قال امير المؤمنين عليه السلام ولقد اعطيت الست علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب واني لصاحب الكرات ودولة الدول واني لصاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس. بقوله (عليه السلام) لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فان فيها من ثمار المعارف كلها.

سورة الأنعام في الكافي: عن الصادق (عليه السلام) إن الأمام يسمع في بطن أمه فإذا ولد خط بين كتفيه، وفي رواية بين عينيه. وفي أخرى: على عضده الأيمن (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) الآية فإذا صار الأمر إليه جعل الله له عمودا من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة. (ما سبق من تفسير الصافى)

الردودوالنقد:

من تفسير ابن كثير:

﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(١٢٩)﴾ يقول تعالى إخباراً عن تمام دعوة إبراهيم لأهل الحرم - أن يبعث الله فيهم رسولا منهم، أي من ذرية إبراهيم. وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قَدَرَ الله السابق في تعيين محمد - صلوات الله وسلامه عليه - رسولا في الأميين إليهم، إلى سائر الأعجمين، من الإنس والجن، كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سُوَيد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: "إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين يَرَيْنَ"(١)..

(١) المسند (٤/ ١٢٧).

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو النضر، حدثنا الفرج، حدثنا لقمان بن عامر: سمعت أبا أمامة قال: قلت: يا رسول الله، ما كان أول بَدْء أمرك؟ قال: "دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بي، ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام"(١).

والمراد أن أول من نَوّه بذكره وشهره في الناس، إبراهيم عليه السلام. ولم يزل ذكره في الناس مذكورًا مشهورًا سائرًا حتى أفصح باسمه خاتمُ أنبياء بني إسرائيل نسبًا، وهو عيسى ابن مريم، عليه السلام، حيث قام في بني إسرائيل خطيبًا، وقال: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]؛ ولهذا قال في هذا الحديث: "دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى بن مريم".

وقوله: "ورأت أمي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام" قيل: كان منامًا رأته حين حملت به، وقَصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة. وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها. ولهذا جاء في الصحيحين: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"(٢). وفي صحيح البخاري: "وهم بالشام"(٣).

قال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ يعني: أمة محمد ﷺ. فقيل له: قد استجيبت لك، وهو كائن في آخر الزمان وقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: السنة، قاله الحسن، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وأبو مالك وغيرهم. وقيل: الفهم في الدين. ولا منافاة. ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني طاعة الله، والإخلاص. وقال محمد بن إسحاق ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾

---

(١) المسند (٥/ ٢٦٢).

(٢) هذا لفظ حديث ثوبان في صحيح مسلم برقم (١٩٢٠) ورواه أيضا بنحوه من حديث معاوية برقم (١٠٣٧) وهو في صحيح البخاري برقم (٧٤٦٠) من حديث معاوية رضي الله عنه برقم (٧٤٥٩) من حديث المغيرة رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٧٤٦٠) من حديث معاذ رضي الله عنه .

قال: يعلمهم الخير فيفعلوه، والشر فيتقوه، ويخبرهم برضاه عنهم إذا أطاعوه واستكثروا من طاعته، وتجنبوا ما سخط من معصيته.

وقوله: ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ أي: العزيز الذي لا يعجزه شيء، وهو قادر على كل شيء، الحكيم في أفعاله وأقواله، فيضع الأشياء في محالها؛ وحكمته وعدله.

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(١٣٢)﴾ .

يقول تبارك وتعالى ردًا على الكفار فيما ابتدعوه وأحدثوه من الشرك بالله، المخالف لملة إبراهيم الخليل، إمام الحنفاء، فإنه جَرد توحيد ربه تبارك وتعالى، فلم يَدْع معه غيره، ولا أشرك به طرفة عين، وتبرأ من كل معبود سواه، وخالف في ذلك سائر قومه ، حتى تبرأ من أبيه، فقال: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ× إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: ٧٨ ، ٧٩]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ* إِلا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٤] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ* وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النحل: ١٢٠ - ١٢٢]، ولهذا وأمثاله قال تعالى: ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: عن طريقته ومنهجه. فيخالفها ويرغب عنها ﴿ إِلا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: ظلم نفسه بسفهه وسوء تدبيره بتركه الحق إلى الضلال، حيث خالف طريق من اصطفي في الدنيا للهداية والرشاد، من حداثة سنّه إلى أن اتخذه الله خليلا وهو في الآخرة من الصالحين السعداء - فترك طريقه هذا ومسلكه وملّته واتبع طُرُقَ الضلالة والغي، فأي سفه أعظم من هذا؟ أم أي ظلم أكبر من هذا؟ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وقال أبو العالية وقتادة: نزلت هذه الآية في اليهود؛ أحدثوا طريقًا ليست من عند الله وخالفوا ملّة إبراهيم فيما أخذوه، ويشهد لصحة هذا القول قول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ× إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧ ،

٦٨].

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ أي: أمره الله بالإخلاص له والاستسلام والانقياد، فأجاب إلى ذلك شرعًا وقدرًا.

وقوله: ﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾ أي: وصى بهذه الملة وهي الإسلام لله [أو يعود الضمير على الكلمة وهي قوله : ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾] . لحرصهم عليها ومحبتهم لها حافظوا عليها إلى حين الوفاة ووصوا أبناءهم بها من بعدهم ؛ كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ [الزخرف: ٢٨] وقد قرأ بعض السلف "ويعقوب" بالنصب عطفًا على بنيه، كأن إبراهيم وصى بنيه وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكان حاضراً ذلك، وقد ادعى القشيري، فيما حكاه القرطبي عنه أن يعقوب إنما ولد بعد وفاة إبراهيم، ويحتاج مثل هذا إلى دليل صحيح؛ والظاهر، والله أعلم، أن إسحاق ولد له يعقوب في حياة الخليل وسارة؛ لأن البشارة وقعت بهما في قوله: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] وقد قرئ بنصب يعقوب هاهنا على نزع الخافض، فلو لم يوجد يعقوب في حياتهما لما كان لذكره من بين ذرية إسحاق كبير فائدة، وأيضًا فقد قال الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الآية: ٢٧] وقال في الآية الأخرى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء: ٧٢] وهذا يقتضي أنه وجد في حياته، وأيضًا فإنه باني بيت المقدس، كما نطقت بذلك الكتب المتقدمة، وثبت في الصحيحين من حديث أبي ذر قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع أول؟ قال: "المسجد الحرام"، قلت: ثم أي؟ قال: "بيت المقدس". قلت: كم بينهما؟ قال: "أربعون سنة" الحديث.

من سورة آل عمران ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ(٨٢)﴾ يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبي بعثه من لدن آدم، عليه السلام، إلى عيسى، عليه السلام، لَمَهْمَا آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيَّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمننَّ به ولينصرنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بعث بعده ونصرته؛ ولهذا قال تعالى وتقدس: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ

كتَاب وَحكْمَة﴾ أي: لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ﴾ وقال ابن عباس، ومجاهد، والربيع، وقتادة، والسدي: يعني عهدي.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿ إِصْرِي﴾ أي: ثقل ما حمّلتم من عهدي، أي ميثاقي الشديد المؤكد.

﴿ قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ. فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ أي: عن هذا العهد والميثاق، ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾.

قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس، رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمداً وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد ﷺ وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرنّه.

وقال طاووس، والحسن البصري، وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيين أن يصدق بعضهم بعضا.

وهذا لا يضاد ما قاله عليّ وابن عباس ولا ينفيه، بل يستلزمه ويقتضيه. ولهذا رواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن ابن طاووس، عن أبيه مثل قول عليّ وابن عباس.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررتُ بأخٍ لي من قُرَيْظَة، فكتب لي جَوامعَ من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قال: فتغيَّرَ وجهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا - قال: فسُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بيده لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى عليه السلام، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنْ الأمَمِ، وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنْ النَّبِيِّينَ".

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر حدثنا إسحاق، حدثنا حماد، عن مُجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْء، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، وَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ وإما أَنْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، وَإِنَّه - والله - لَوْ كَانَ مُوسَى حيًا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إلا أَنْ يَتَّبِعَنِي".

وفي بعض الأحاديث [له]: «لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّيْنِ لَمَا وَسِعَهُمَا إلا

اتِّباعِي".

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، دائما إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدَّم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في يوم الحشر في إتيان الرب لِفَصْل القضاء، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولو العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكونَ هو المخصوص به.

من سورة الأنعام ﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)﴾ .

يخبر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق، بعد أن طَعَن في السن، وأيس هو وامرأته "سارة" من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط، فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك، وقالت: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣]، وبشروه (١) مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلا وعَقِبا، كما قال: ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الصافات: ١١٢]، وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ [هود: ٧١] أي: ويولد لهذا المولود ولد في حياتكما، فتقر أعينكما به كما قرت بوالده، فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يَعْقب لضعفه، وقعت البشارة به وبولده باسم "يعقوب"، الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاة لإبراهيم، عليه السلام، حين اعتزل قومه وتركهم، ونزح عنهم وهاجر من بلادهم ذاهبا إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله، عزَّ وجل، عن قومه وعشيرته بأولاد صالحين من صلبه على دينه، لتقر بهم عينه، كما قال [تعالى] (٢) ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

ويَعقُوبَ وكُلا جعَلْنَا نَبِيًا ﴾ [مريم: ٤٩]، وقال هاهنا: ﴿ ووَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ويَعْقُوبَ كُلا هَدَيْنَا ﴾.

وقوله: ﴿ ونُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾ أي: من قبله، هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذرية صالحة، وكل منهما له خصوصية عظيمة، أما نوح، عليه السلام، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به - وهم الذين صحبوه في السفينة - جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذرية نوح، وكذلك الخليل إبراهيم - عليه السلام - لم يبعث الله - عزَّ وجل- بعده نبيا إلا من ذريته، كما قال تعالى: ﴿وجَعَلْنَا في ذُرِّيَّته النُّبُوَّةَ والْكتَابَ ﴾ الآية [العنكبوت: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ ولَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وإِبْرَاهِيمَ وجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ والْكتَابَ ﴾ [الحديد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ومِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ومِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وإِسْرَائِيلَ ومِمَّنْ هَدَيْنَا واجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًا ﴾ [مريم: ٥٨].

وقوله في هذه الآية الكريمة: ﴿ ومِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ أي: وهدينا من ذريته ﴿ دَاوُدَ وسُلَيْمَانَ ﴾ الآية، وعود الضمير إلى "نوح"؛ لأنه أقرب المذكورين، ظاهر. وهو اختيار ابن جرير، ولا إشكال عليه. وعوده إلى "إبراهيم"؛ لأنه الذي سبق الكلام من أجله حسن، لكن يشكل على ذلك "لوط"، فإنه ليس من ذرية "إبراهيم"، بل هو ابن أخيه مادان بن آزر؛ اللهم إلا أن يقال: إنه دخل في الذرية تغليبًا، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وإِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فإسماعيل عمه، ودخل في آبائه تغليبا.

وكما قال في قوله: ﴿ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلا إِبْلِيسَ ﴾ [الحجر: ٣٠، ٣١] فدخل إبليس في أمر الملائكة بالسجود، وذم على المخالفة؛ لأنه كان قد تشبه بهم، فعومل معاملتهم، ودخل معهم تغليبا، وكان من الجن وطبيعتهم النار والملائكة من النور] وفي ذكر "عيسى"، عليه السلام، في ذرية "إبراهيم" أو "نوح"، على القول الآخر دلالة على دخول ولد البنات في ذرية الرجال؛ لأن "عيسى"، عليه السلام، إنما ينسب إلى "إبراهيم"، عليه السلام، بأمه "مريم" عليها السلام، فإنه لا أب له.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا سهل بن يحيى العسكري، حدثنا عبد الرحمن بن صالح، حدثنا علي ابن عابس عن عبد الله بن عطاء المكي، عن أبي حرب بن أبي

الأسود قال: أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعْمُر فقال: بَلَغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم، تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده؟ قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَيَحْيَى وَعِيسَى ﴾ ؟ قال: بلى، قال: أليس عيسى من ذرية إبراهيم، وليس له أب؟ قال: صدقت. فلهذا إذا أوصى الرجل لذريته، أو وقف على ذريته أو وهبهم، دخل أولاد البنات فيهم، فأما إذا أعطى الرجل بنيه أو وقف عليهم ، فإنه يختص بذلك بنوه لصلبه وبنو بنيه ، واحتجوا بقول الشاعر العربي:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأجانب

وقال آخرون: ويدخل بنو البنات فيه أيضا، لما ثبت في صحيح البخاري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للحسن بن علي: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين"(١) فسماه ابنا، فدل على دخوله في الأبناء. وقال آخرون: هذا تجوز.

وقوله: ﴿ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ﴾ ذكر أصولهم وفروعهم. وذوي طبقتهم، وأن الهداية والاجتباء شملهم كلهم؛ ولهذا قال: ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ثم قال: ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ أي: إنما حصل لهم ذلك بتوفيق الله وهدايته إياهم، ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملابسته، كما قال [تعالى] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ الآية [الزمر: ٦٥]، وهذا شرط، والشرط لا يقتضي جواز الوقوع ، كقوله [تعالى] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١]، وكقوله ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٧] وكقوله ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤].

وقوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ أي: أنعمنا عليهم بذلك رحمة للعباد بهم، ولطفا منا بالخليقة، ﴿ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ أي: بالنبوة. ويحتمل أن يكون الضمير عائدا على هذه الأشياء الثلاثة: الكتاب، والحكم، والنبوة.

وقوله: ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ يعني: أهل مكة. قاله ابن عباس، وسعيد بن المُسَيَّب،

---

(١) صحيح البخاري برقم (٢٧٠٤) من حديث أبي بكرة ، رضي الله عنه.

والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي. ﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ أي: إن يكفر بهذه النعم من كفر بها من قريش وغيرهم من سائر أهل الأرض، من عرب وعجم، ومليين وكتابيين، فقد وكلنا بها قوما ﴿ آخَرِينَ ﴾ يعني: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة، ﴿ لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴾ أي: لا يجحدون شيئا منها، ولا يردون منها حرفًا واحدًا، بل يؤمنون بجميعها محكمها ومتشابهها، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه وإحسانه.

ثم قال تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم: ﴿ أُولَئِكَ ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ أي: اقتد واتبع. وإذا كان هذا أمرا للرسول ﷺ، فأمته تبع له فيما يشرعه [لهم] ويأمرهم به.

قال البخاري عند هذه الآية: حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول، أن مجاهدا أخبره، أنه سأل ابن عباس: أفي (ص) سجدة؟ فقال: نعم، ثم تلا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ ﴾ إلى قوله: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ ثم قال: هو منهم - زاد يزيد بن هارون، ومحمد بن عبيد، وسهل بن يوسف، عن العوام، عن مجاهد قال: قلت لابن عباس، فقال: نبيكم صلى الله عليه وسلم ممن أُمِرَ أن يَقْتَدي بهم(١).

وقوله: ﴿ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أي: لا أطلب منكم على إبلاغي إياكم هذا القرآن ﴿ أَجْرا ﴾ أي: أجرة، ولا أريد منكم شيئا، ﴿ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ ﴾ أي: يتذكرون به فَيُرْشَدُوا من العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الكفر إلى الإيمان.

ردود من كتاب أصول مذهب الشيعة:

وضلال المصنف (الكاشاني) وعلماء الشيعة في هذا الركن يتمثل في عقائد متعددة كقولهم بأن الأئمة يُوحى إليهم، كما سبق إثباته في مسألة الإيمان بالكتب.

وكقولهم بعصمة الأئمة، وضرورة اتباع قولهم [انظر فصل العصمة.]، فهم أعطوهم بهذا معنى النبوة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن جعل بعد

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٢).

الرسول معصومًا يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها" [منهاج السنة: ٣/ ١٧٤].

وبالغوا في الضلالة حينما زعموا أن الأنبياء عليهم السلام هم أتباع لعلي، وأن منهم من عوقب لرفضه ولاية علي، حتى جاء في أخبارهم "عن حبّة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّ الله عرض ولايتي على أهل السّماوات وأهل الأرض أقرّ بها من أقرّ، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقرّ بها" [بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٨٢، بصائر الدّرجات: ص٢٢].

ولهم في هذا المعنى روايات كثيرة [ذكرها المجلسي في "باب تفضيلهم على الأنبياء" ٢٦/ ٢٦٧-٣١٩].

من هنا قرروا: بأن الأئمة هم أفضل من الأنبياء، وأن الأئمة جاءوا بالمعجزات لإقامة الحجة على الخلق أجمعين. وسأعرض لهاتين المسألتين بشيء من التفصيل في الصفحات التالية.

تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرّسل أفضل البشر وأحقّهم بالرّسالة؛ حيث أعدّهم الله تعالى لكمال العبوديّة والتّبليغ والدّعوة والجهاد ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام، آية: ١٢٤]، فهم قد امتازوا "برتبة الرّسالة عن سائر النّاس" [الحليمي/ المنهاج في شعب الإيمان: ١/ ٢٣٨].

وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [النّساء، آية: ٦٤]. ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطّحاوي في بيان اعتقاد أهل السنّة: "ولا نفضّل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السّلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء" [انظر: العقيدة الطّحاويّة (مع شرح علي بن أبي العزّ) ص٤٩٣، قال الشّيخ ابن أبي العزّ: "ويشير الشّيخ إلى الرّدّ إلى الاتّحاديّة وجهلة المتصوّفة" (شرح الطّحاويّة ص٤٩٣)، واللّقاء والتّشابه بين الصّوفيّة والرّافضة كثير].

وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي [البغدادي/ أصول الدين: ص٢٩٨]، والقاضي عياض [القاضي عياض/ الشفاء: ص١٠٧٨]، وشيخ الإسلام ابن تيمية [ابن تيمية/ منهاج السنة: ١/ ١٧٧].

وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب أن "من اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم ومساويًا لهم فقد كفر"، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء [رسالة في الرد على الرافضة: ص٢٩ .]. ولذلك قال القاضي عياض: "نقطع بتفكير غلاة الرّافضة في قولهم: إنّ الأئمّة أفضل من الأنبياء" [الشّفا: ص١٠٧٨]. وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثني عشرية، فقد قرّر صاحب الوسائل أنّ تفضيل الأئمّة الاثني عشر على الأنبياء من أصول مذهب الشّيعة التي نسبها للأئمّة [انظر: الفصول المهمّة في أصول الأئمّة "باب أنّ النّبيّ والأئمّة الاثني عشر - عليهم السّلام - أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السّابقين والملائكة وغيرهم": ص١٥١]

ويبدو أن هذا هو المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثني عشرية عبر التغيرات والتطورات التي تلاحق المذهب، والذي أشار المقاني إلى طبيعتها وهو التطور نحو الغلو [انظر: نص كلامه ص (٣٩٤، ١١٠٤)]، فإن الشيعة في هذه المسألة (أعني مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة) كانوا ثلاث فرق - كما يقول الأشعري -:

فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

والفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة [مقالات الإسلاميين: ١/ ١٢٠].

فما أعظم افتراءهم على الله، وعلى دينه، وعلى نبيه، وعلي، وأهل البيت. ولقد أنكر أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - تفضيله على الشيخين أبي بكر وعمر، وهدد من يتفوه بذلك بأنه سيجلده حد المفتري [منهاج السنة: ٤/ ١٣٧، وروي ذلك عن علي بأسانيد جيدة (الفتاوى: ٢٨/ ٤٧٥)]. وتواتر عنه من ثمانين وجهًا أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر [منهاج السنة: ٤/ ١٣٧-١٣٨]. ونقلت ذلك كتب الشيعة نفسها [انظر: تلخيص الشافي: ٢/ ٤٢٨، عن الشيعة وأهل البيت: ص٥٢].. فما حاله رضي الله عنه مع هذا الصنف الذي يدعي التشيع له ويفضله على أنبياء الله؟ لا شك أن إنكاره عليهم أعظم وأشد، وقد قرر بعض أهل العلم بأن من فضّل عليًا - فكيف ممن بعده - على نبي الله إبراهيم أو محمد فإنه أشد كفرًا من اليهود والنصارى [منهاج السنة: ٤/ ٦٩].

وفي ظني أن عقيدة عصمة الإمام عندهم تؤدي إلى ظهور هذا المذهب وأمثاله؛ ذلك أنهم يصفون الأئمة بأوصاف لا يتصف بها أحد من أنبياء الله ورسله ـ كما سيأتي ـ وإن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم الاثني عشر ذكر، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله.

كما أنه يلاحظ "أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله. قال تعالى: ﴿ فَأُولَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النّساء، آية: ٦٩] [مختصر الصّواقع: ص١٨٧]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/ ٢٢١]. «وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم" [مختصر التحفة: ص١٠١].

وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، وهذا الإجماع حجة ـ حتى عند الشيعة ـ لأن فيهم الأئمة [مختصر الصواقع: ص١٨٦-١٨٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذي ليسوا بأنبياء" [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/ ٢٢١].

والعقل يدل صريحًا على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله أمرًا وناهيًا وحاكمًا على الإطلاق والإمام نائبًا وتابعًا له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجودًا في حق كل نبي مفقودًا في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل [مختصر التحفة: ص١٠١].

ثم إنّه قد ورد في كتب الشّيعة نفسها ما يتّفق مع النّصّ والإجماع والعقل، وينفي ذلك الشّذوذ؛ وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بن علي أنّ الأنبياء أفضل من الأئمّة، وأنّ من قال غير ذلك فهو ضالّ [مختصر الصّواقع: ص١٨٧].

وروى ابن بابويه عن الصّادق ما ينصّ على أنّ الأنبياء أحبّ إلى الله من علي [انظر: مختصر التّحفة: ص١٠٠].

ولا شك أن هذا المذهب واضح البطلان، يدرك بطلانه بصري العقل وبما علم من الدين بالضرورة، وبالتاريخ والسير والفطر، ولا يحتاج إلى تكلف في إبطاله وهو

أحد البراهين على فساد المذهب الرافضي.

معجزات الإمام:

يرى أهل السنة "أن المعجزات [المعجزات: هي الآيات والبراهين التي لا يقدر عليها إلا الله والتي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه فتدل على صدقهم. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن لفظ المعجزات لم يكن موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية، والبينة والبرهان (الجواب الصحيح: ٤/ ٦٧) وقال رحمه الله: المعجزة تعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره يسمونها الآيات. لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة (قاعدة في المعجزات والكرامات ص٢، مطبعة المنار، أو ١١/ ٣١١-٣١٢ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام، وراجع النبوات لابن تيمية، وانظر: التعريفات للجرجاني: ص ٢٨٢، شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٩٥)] لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام [ابن حزم/ المحلى: ١/ ٣٥]، خلافًا للروافض الذين جعلوا علامة الإمام عندهم صدور المعجزة منه، لأنهم يقولون: "إنّ الإمامة استمرار للنبوّة [عقائد الإماميّة: ص٩٤] فكما أنّ الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوّة والرّسالة ويؤيّده بالمعجزة.. فكذلك يختار للإمامة" [أصل الشّيعة وأصولها: ص٥٨].

وقد امتلأت كتب الحديث عندهم بالحديث عن هذه المعجزات، ورواية قصصها وأحداثها ـ المزعومة ـ وقد يقال بأن غاية ما هنالك بأنهم سموا الكرامات معجزات.

ولا شك أن "من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري على أيديهم من خوارق العادة في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة" [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣/ ١٥٦].

وإذا كان الأمر كذلك فتسمية الكرامات بمعجزات مجرد اختلاف في الاصطلاح ولهذا حينما قال ابن المطهر الحلي عن أمير المؤمنين علي: "وظهرت منه معجزات كثيرة" عقب على ذلك شيخ الإسلام بقوله:

"فكأنه يسمي كرامات الأولياء معجزات وهذا اصطلاح كثير من الناس فيقال: علي أفضل من كثير ممن له كرامات، والكرامات متواترة عن كثير من عوام أهل السنة

الذين يفضلون أبا بكر وعمر فكيف لا تكون الكرامات ثابتة لعلي رضي الله عنه، وليس في مجرد الكرامات ما يدل على أنه أفضل من غيره" [منهاج السنة: ١٤٩/٢].

وقد رأى شيخ الإسلام أن اهتمام الروافض بأمر ما ينسب للأئمة من كرامات إنما سببه أن "الرافضة لجهلهم وظلمهم وبعدهم عن طريق أولياء الله ليس لهم من كرامات الأولياء المتقين ما يعتد به، فهو لإفلاسهم منها إذا سمعوا شيئًا من خوارق العادات عظموه تعظيم المفلس للقليل من النقد، والجائع للكسرة من الخبز.." [منهاج السنة: ٤/ ١٩٦].

ولكن الإمامية هل ترى هذه الخوارق من كرامات أولياء الله وتسميها معجزات؟

إن المتأمل للمذهب الإمامي يرى أنهم يذهبون في هذه الكرامات إلى مذهب آخر؛ فهم يرون أنها معجزات لإثبات الإمامة وإقامة الحجة ـ كما يزعمون ـ على الخلق، لأن الأئمة كما تقول رواياتهم هم الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض [أصول الكافي: ١/ ١٩٢، وانظر: المظفر/ علم الإمام: ص٤٣].

فهم يجعلون الأئمة كالأنبياء والرسل الذين يقيم الله بهم الحجة على خلقه فهم يحتاجون للمعجزات لإثبات رسالتهم كما يحتاج الأنبياء.

بل هم في الفضل، ووجوب الطاعة، وتحقق المعجزات قد يصلون إلى مرتبة أفضل الرسل والأنبياء أو أعظم.

قال أبو عبد الله ـ كما يزعمون -: "ما جاء به عليّ رضي الله عنه آخذ به وما نهي عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد ﷺ".

وكذلك يجري لأئمة الهدى واحدًا بعد واحد.

(انظر حول هذا المعنى: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/ ٢٢٥)].

ثم يبرهن على ما تميز به عليّ من معجزات وصفات ليست لمحمد ﷺ في قوله: (أنا قسيم الله... إلخ)، ويؤكد هذا المعنى في خاتمة النص وهو قوله: "لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد.." ويضفي على علي صفات الجبار جل علاه حينما يقول: "علمت المنايا والبلايا"، وكذلك حينما يقول: "فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني"، فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته شيء هو الرّبّ جلّ جلاله. لكنّ الرّبّ عندهم يبدو له كما زعموا.

فهذه ليست معجزات، هذه افتراءات وتأليه للأئمة.

كل هذه الأساطير تصاغ في قالب قصصي خيالي للتأثير على السذج من العامة، وهي قصص كثيرة وطويلة تنتهي بمثل هذه الغرائب التي تدعو للشرك بالله سبحانه، وتشل العقل، وتعطل التفكير، وتثبط عن العمل الصالح، وقد تنأى بعقلائهم إلى الكفر بالدين أصلاً إذا رأى هذه الخرافات الباطلة بضرورة العقل.

وقد استنكر جعفر الصّادق ما ينسبه له شيعة الكوفة من تلك المبالغات فقال ـ كما تروي كتب الشيعة -: "والله لو أقررت بما يقول فيّ أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شيء بضرّ ولا بنفع" (١).

ولا يستبعد أن تلك الدعاوى الغالية في الأئمة والتي ترفع الأئمة إلى مقام الألوهية ويسمونها معجزات لا يستبعد أن هذه موروثة عن المجوسية الذين دخلوا في سلك التشيع للكيد للإسلام أو لإظهار عقائدهم باسم الإسلام ذلك أن "المجوس تدعي لزرادشت من المعجزات والآيات أكثر مما يدعيه النصارى" (٢).

أما قولهم بأن الأئمة هم الحجة على الناس ولا تقوم الحجة على خلقه إلا بهم، ولهذا جرت المعجزات على أيديهم لإثبات الإمامة.. فهذا إذا بحثت عنه في كتاب الله سبحانه لم تجد ما يدل عليه البتة، بل تجد ما يخالفه وهو أن حجة الله على عباده قامت بالرسل. قال تعالى: ﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء، آية: ١٦٥] ولم يذكر الأئمة.

فعلم أن هذه الدعوى هي محض اختلاق، وأما تلك المعجزات التي ينسبونها للأضرحة أو الغائب المنتظر فهي كذب وبهتان، أو من وحي شيطان، فالغائب لا وجود له إلا في خيالات طائفة الاثني عشرية كما يقرره طوائف من الشيعة، وكما يذكر ذلك أهل العلم بالأنساب والتواريخ.

أما معجزات الأضرحة فإنها دعوى شيطانية للشرك، وهؤلاء أموات قد أفضوا إلى ما قدموا لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضراً.. وهم في حياتهم يلجؤون إلى الله سبحانه ينفون عن أنفسهم الحول والقوة.

وقد نقلت كتب الشيعة نفسها أحاديث كثيرة في هذا المعنى، والله سبحانه أمر نبيه أن يقول: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ﴾ [الأعراف، آية: ١٨٨]، ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ ﴾ [يونس، آية: ٤٩]، ﴿ قُل

---

(١) [تنقيح المقال: ٣/ ٣٣٢] .

(٢) [تثبيت دلائل النبوة: ١/ ١٨٥].

لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللهِ وَلا أَعْلَمُ الغَيْبَ ﴾ [الأنعام، آية: ٥٠]، ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ [الإسراء: آية: ٩٣]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف، آية: ١١٠].

فهذا هو رسول الهدى وخاتم الأنبياء وسيد الأولين والآخرين فكيف بمن دونه.

قال ابن كثير: (١٦٥) النساء:

وقوله: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أي: يبشرون من أطاع الله واتبع رضوانه بالخيرات، وينذرون من خالف أمره وكذب رسله بالعقاب والعذاب.

وقوله: ﴿ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ أي: أنه تعالى أنزل كتبه وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبين ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه؛ لئلا يبقى لمعتذر عذر، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴾ [طه: ١٣٤]، وكذا قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(٢)﴾ [القصص: ٤٧]. وقد ثبت في الصحيحين [١] عن ابن مسعود، [رضي الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا أحدَ أغيرُ من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظَهَر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، ولا أحدَ أحبَّ إليه العُذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين» وفي لفظ : «من أجل ذلك أرسل رسله، وأنزل كتبه».

﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾.

لما تضمن قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ إلى آخر السياق، إثبات نبوته ﷺ والرد على من أنكر نبوته من المشركين وأهل الكتاب، قال الله تعالى: ﴿ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ ﴾ أي: وإن كفر به من كفر به ممن كذبك وخالفك، فالله يشهد لك بأنك رسوله الذي أنزل عليه الكتاب، وهو: القرآن العظيم الذي ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]؛ ولهذا قال: ﴿ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ أي: فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان وما يحبه الله ويرضاه، وما يكرهه ويأباه، وما فيه من العلم بالغيوب من الماضي والمستقبل، وما فيه من ذكر صفاته تعالى المقدسة، التي

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٣٤) وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٠).

لا يعلمها نبي مرسل ولا ملك مقرب، إلا أن يُعْلِمَه الله به، كما قال [تعالى] (٢) ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال ﴿وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

سورة الأعراف

﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًا إِلا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ(١٨٨)﴾ أمره الله تعالى أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه، كما قال تعالى: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧]. ، عن مجاهد. ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ قال: لو كنت أعلم متى أموت، لعملت عملا صالحا. المرادُ أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك، والله أعلم.

والأحسن في هذا ما رواه الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ أي: من المال. وفي رواية: لعلمت إذا اشتريت شيئًا ما أربح فيه، فلا أبيع شيئًا إلا ربحت فيه، وما مسني السوء، قال: ولا يصيبني الفقر.

وقال ابن جرير: وقال آخرون: معنى ذلك: لو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة، ولعرفت الغَلاء من الرخص، فاستعددت له من الرخص.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ قال: لاجتنبت ما يكون من الشر قبل أن يكون، واتقيته. ثم أخبر أنه إنما هو نذير وبشير، أي: نذير من العذاب، وبشير للمؤمنين بالجنات.

الخلاصة:

ونؤمن بأن الله تعالى بعث إلى خلقه رسلاً (مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما) [النساء: ١٦٥].

ونؤمن بأن أولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله وسلّم عليهم أجمعين(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) [النساء: ١٦٣]، (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين [الأحزاب: ٤٠].

وأن أفضلهم محمد ثم إبراهيم ثم موسى ثم نوح وعيسى بن مريم وهم المخصوصون في قوله تعالى (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) [الأحزاب: ٧].

ونعتقد أن شريعة محمد ﷺ حاوية لفضائل شرائع هؤلاء الرسل المخصوصين بالفضل لقوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) [الشورى: ١٣].

ونؤمن بأن جميع الرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء، قال الله تعالى عن نوح وهو أولهم: (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) [هود: ٣١]. وأمر الله تعالى محمداً وهو آخرهم أن يقول: (ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إني ملك) [هود: ٣١). وأن يقول: (ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله([الأعراف: ١٨٨]، وأن يقول: (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) [الجن: ٢١].

ونؤمن بأنهم عبيد من عباد الله أكرمهم الله تعالى بالرسالة، ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وفي سياق الثناء عليهم، فقال في أولهم نوح (ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً) [الإسراء: ٣]، وقال في آخرهم محمد ﷺ «تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) [الفرقان: ١]، وقال في رسل آخرين (واذكر عبدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار) [ص: ٤٥]، (واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) [ص: ١٧]، (ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) [ص: ٣٠]، وقال في عيسى ابن مريم: (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل) [الزخرف: ٥٩].

ونؤمن بأن الله تعالى ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ وأرسله إلى جميع الناس لقوله تعالى: (قُل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته وأتبعوه لعلكم تهتدون) [الأعراف: ١٥٨].

ونؤمن بأن شريعته ﷺ هي دين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وأن الله تعالى لا يقبل من أحد ديناً سواه لقوله تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) [آل عمران: ١٩]، وقوله: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) [المائدة: ٣]، وقوله: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) [آل عمران: ٨٥].

ونرى أن من زعم اليوم ديناً قائماً مقبولاً عند الله سوى دين الإسلام، من دين اليهودية أو النصرانية أو غيرهما، فهو كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل مرتداً لأنه

مكذب للقرآن.

ونرى أن من كفر برسالة محمد ﷺ إلى الناس جميعاً فقد كفر بجميع الرسل، حتى برسوله الذي يزعم أنه مؤمن به متبع له، لقوله تعالى: (كذبت قوم نوح المرسلين) [الشعراء: ١٠٥]، فجعلهم مكذبين لجميع الرسل مع أنه لم يسبق نوحاً رسول. وقال تعالى: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً) (أولئك هم الكافرون حقاً واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً) [النساء: ١٥٠، ١٥١].

ونؤمن بأنه لا نبي بعد محمد رسول الله ﷺ، ومن ادعى النبوة بعده أو صدّق من ادّعاها فهو كافر لأنه مكذب لله ورسوله وإجماع المسلمين.

ومن ثمرات الإيمان بالرسل:

أولاً: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أرسل إليهم أولئك الرسل الكرام للهداية والإرشاد.

ثانياً: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

ثالثاً: محبة الرسل وتوقيرهم والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى وخلاصة عبيده، قاموا بعبادته وتبليغ رسالته والنصح لعباده والصبر على أذاهم.

الإيمان باليوم الآخر:

أقول أنا الباحث ان من المعلوم من الدين بالضرورة أن الايمان باليوم الآخر من أركان الايمان التى لا يصح ايمان العبد الا بها وعقيدة المسلم فى هذا مستقاة من الكتاب والسنة شأن أى اعتقاد وهذا هو سبيل النجاة، لأن أي زيادة أو نقصان فى أمور الدين تؤدى بصاحبها الى الكفر وبخاصة مسائل الاعتقاد، وعند دراسة هذا المبحث عند المصنف وجدته كما هو الشأن عنده وعند علماء الشيعة يحرفون ويغيرون ويزيدون وينقصون فى الدين ما ليس منه والدين منهم برآء، فعلى سبيل المثال لا الحصر يزيدون يوماً آخر قبل يوم القيامة ويسمونه بالرجعة، وينكرون أشياء فى يوم القيامة منها الميزان ويزعمون أن الميزان هو علىّ والأئمة وأن الذى يحاسب العباد هم الأئمة وليس الله سبحانه وأنهم يدخلون من يشاءون النار ومن يشاءون الجنة وأن الذى يزوج أهل الجنة هو علىّ، الى غير ذلك من الخرافات والخزعبلات التى لا ينطق بها الا مخمور سكران أو مجنون يخاطب مجانين لا عقول لهم والله سبحانه يقول (أفلا تعقلون)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا.

يزعم المصنف (الكاشانى) ومن يأخذ عنهم من علماء الشيعة :

أن عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وآله والأئمة من بعده لهم أمور فى الآخرة، (كذبا وزورا وتحريفا وتألياً على الله (سبحانه وتعالى عمايقولون علواً كبيرا):

١- فآيات القرآن في اليوم الآخر أوّلوا معناها بالرجعة

٢- قولهم بأن أمر الآخرة للإمام من المعلوم

٣- ويعتقدون بحشر بعد الموت لا يشاركهم في القول به أحد وقبل يوم القيامة

٤- وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة

٥- ويزعم أن الجنة جزاء" لمحبيهم والنار لمبغضيهم

٦- ويزعم أن النور كله فى الآخرة للامام حتى أبو طالب له أنوار يوم القيامة ويزعمون أنه فى الجنة

٧- التألى على الله بالحكم على المعين بالجنة والنار، ويزعم أن أول من يدخل النار الخلفاء الراشدين

في الكافي والقمي عنه عليه السلام أو كظلمات فلان وفلان في بحر لجي يغشاه موج يعني نعثل من فوقه موج طلحة والزبير بعضها فوق بعض معاوية ويزيد لعنهم الله وفتن بني امية إذا أخرج يده في ظلمة فتنتهم لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا يعني إماما من ولد فاطمة عليها السلام فما له من نور فماله من إمام يمشي بنوره كما في قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم قال إنما المؤمنون يوم القيامة نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم حتى ينزلوا منازلهم من الجنان.

سورة القصص : (**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو اعلم (٩٧)**)

وفي بشارة المصطفى عنه عن آبائه عن امير المؤمنين عليهم السلام قال كان ذات يوم جالسا بالرحبة والناس مجتمعون فقام إليه رجل فقال يا امير المؤمنين انك بالمكان الذي انزلك الله به وابوك يعذب بالنار فقال له مه فض الله فاك والذي بعث محمدا بالحق نبيا لو شفع ابي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى فيهم لابي يعذب بالنار وابنه قسيم النار ثم قال والذي بعث محمدا بالحق ان نور ابي طالب يوم القيامة ليطفي انوار الخلق الا خمسة انوار نور محمد ونوري ونور فاطمة ونوري الحسن والحسين ومن ولده من الأئمة عليهم السلام لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله عز وجل من قبل خلق آدم بألفي عام.

(٨٥) ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد اي معاد. القمي عن السجاد قال يرجع اليكم نبيكم واميـر المؤمنين والأئمة عليهم السلام. تأويل هذه الآية يعني الرجعة

سورة المعارج والذين يصدقون بيوم الدين . في الكافي عن الباقر عليه السلام قال بخروج القائم

سورة الصافات وقفوهم إحبسوهم في الموقف إنهم مسؤولون والقمي قال عن ولآية أمير المؤمنين

(٦١) قالوا القمي ثم يقول بنو امية ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار وذلك أن تزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين من العذاب قال يعنون الأول والثاني.

سورة غافر (١٢) ذلكم الذي أنتم فيه بأنه بسبب أنه إذا دعي الله وحده كفرتم بالتوحيد وإن يشرك به تؤمنوا بالأشراك.

القمي عن الصادق عليه السلام يقول إذا ذكر الله وحده بولآية من أمر الله بولايته كفرتم وإن يشرك به من ليست له ولآية تؤمنوا بأن له ولآية.

سورة الدخان في الكافي عن الباقر عليه السلام قال إذا أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث رب العزة عليا عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنة فزوّجهم فعليّ والله الذي يزوج أهل الجنة في الجنة وما ذاك إلى أحد غيره كرامة من الله وفضلاً فضّله الله ومّن به عليه.

سورة ق (٢٤) ألقيا في جهنم كل كفار عنيد قيل خطاب من الله للسائق والشهيد. والقمي مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وذلك قول الصادق عليه السلام علي قسيم الجنة والنار.

سورة الرحمن وقوله والسماء رفعها ووضع الميزان قال السماء رسول الله رفعه الله إليه والميزان أمير المؤمنين صلوات الله عليهما نصبه لخلقه قيل ألا تطغوا في الميزان قال لا تعصوا الامام قيل وأقيموا الوزن بالقسط قال أقيموا الامام بالعدل

سورة الحاقة القمي عن الصادق عليه السلام كل امة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الائمة أوليائهم وأعدائهم بسيماهم وهو قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون وهم الائمة عليهم السلام يعرفون كلا بسيماهم فيعطوا أوليائهم كتابهم بيمينهم فيمروا إلى الجنة بلا حساب ويعطوا أعداءهم كتابهم بشمالهم فيمروا إلى النار بلا حساب فإذا نظر

أولياؤهم في كتابهم يقولون لاخوانهم هاؤم اقرءوا كتبيه إني ظننت أنى ملاق حسابيه.

وفي المناقب عنه وعن أبيه وعن ابنه عليهم السلام هذه الآية جنب الله علي عليه السلام وهو حجة الله على الخلق يوم القيامة. (ما سبق من تفسير الصافى).

الردود والنقد:

من كتاب أصول المذهب:

ومزاعمهم في هذا الباب يصعب حصرها.. بدع كثيرة منكرة.. وما ذكرته مجرد إشارات لو قمنا باستعراض نصوصها وتحليلها لاستغرق ذلك صفحات كثيرة.

وكلها بدع ليس عليها من كتاب الله برهان، وليس لها في كتب الأمة شاهد ولا خبر.. ويكفي في بيان وضعها، ومعرفة كذبها مجرد عرضها.. فهم جعلوا الآخرة للأئمة والله سبحانه يقول: ﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ﴾ [النجم، آية: ٢٥] وما أشبه قولهم هذا بمزاعم يهود في قولهم إن الآخرة لهم. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ ﴾ [البقرة، آية: ٩٤-٩٥].

كما جعلوا للأئمة الحكم والأمر في يوم القيامة والله جل شأنه يقول: ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص، آية: ٧٠].

وقالوا بأن الجنة لهم كما قال اليهود: ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة، آية: ١١١-١١٢].

ونقول لهم في كل مزاعمهم التي مرت: ﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ بل أنتم بشر كسائر البشر، وما تدعونه إنما هو كيد عاجز، وصنعة حاقد، وتدبير زنديق، وبين أيدينا كتاب الله سبحانه لم يدع لهذه التخرصات والأوهام سبيلاً إلى قلب من احتكم إليه وجعله إمامه وقائده.

وأما من أغلق عقله، وأخذته العزة بالإثم، وأعمى تفكيره التعصب فسيجد مغبة ذلك في يوم ﴿ لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة، آية: ١٢٣].

الردود:

من تفسيرابن كثير:

سورة الأنبياء (٤٧)

وقــوله: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ أي: ونضـع الموازين العدل ليوم القيـامة. الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جـمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.

وقوله: ﴿ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ كما قال تعالى: ﴿ وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النسـاء: ٤٠]، وقـال لقـمـان: ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمـان: ١٦]. وفي الصحـيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ـ ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان، حبيبتـان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبـحان الله العظيم»(١). وقال الإمام أحمد : حدثنا إبراهيم بن إسحاق الطَّالَقَاني، حدثنا ابن المبارك، عن ليث بن سعد ، حدثني عـامر بن يحيى، عن أبي عـبد الرحمن الحبلـي، قال: سمعت عـبد الله بن عمرو بن العـاص يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يسـتخلص رجلا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليـه تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر، ثم يـقول أتنكر من هذا شيئًـا ؟ أظلمتك كتبتي الحـافظون؟ قال: لا يا رب، قال: أفلك عذر، أو حسنة؟» قال: فيبـهت الرجل فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك. فيخرج له بطاقة فيها: «أشهد أن لا إله إلا الـله، وأن (١) محمدًا عبده ورسوله» فيـقول: أحضروه، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقـول: إنك لا تظلم، قال: «فتوضع السجلات في كفة [والبطاقة في كفة]»قـال: «فطاشت السجلات وثقلت البطاقة» قال: «ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»(٢).

سورة غافر وقوله: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ(١١)﴾

قال الثوري، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحـوص، عن ابن مسعود [رضي الله

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٥٦٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٩٤).

(٢) المسند (٢/ ٢١٣).

عنه]: هذه الآية كقوله تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨] وكذا قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، وأبو مالك. وهذا هو الصواب الذي لا شك فيه ولا مرية.

والمقصود من هذا كله: أن الكفار يسألون الرجعة وهم وقوف بين يدي الله، عز وجل، في عرصات القيامة، كما قال: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢]، فلا يجابون. ثم إذا رأوا النار وعاينوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٧ ، ٢٨] فإذا دخلوا النار وذاقوا مسَّها وحسيسها ومقامعها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ [فاطر: ٣٧]، ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٧ ، ١٠٨]، وفي هذه الآية الكريمة تلطفوا في السؤال، وقدموا بين يدي كلامهم مقدّمة، وهي قولهم: ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ﴾ أي: قدرتك عظيمة، فإنك أحييتنا بعد ما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحييتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا، ﴿ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإنا ظالمون. فأجيبوا ألا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا. ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تجحده وتنفيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ أي: أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [الأنعام: ٢٨].

وقوله: ﴿ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ أي: هو الحاكم في خلقه، العادل الذي لا يجور، فيهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرحم من يشاء، ويعذب من يشاء، لا إله إلا هو.

سورة الأحقاف

﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٩) ﴾ وقوله: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في هذه الآية: نزل بعدها ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]. وهكذا قال عكرمة، والحسن، وقتادة: إنها منسوخة بقوله: ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾، قالوا: ولما نزلت هذه الآية قال رجل من المسلمين: هذا قد بين الله ما هو فاعل بك يا رسول الله، فما هو فاعل بنا؟ فأنزل الله: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ ﴾ [الفتح: ٥].

هكذا قال، والذي هو ثابت في الصحيح أن المؤمنين قالوا: هنيئا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله هذه الآية.

وقال الضحاك: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾: ما أدري بماذا أومر، وبماذا أنهى بعد هذا؟

وقال أبو بكر الهذليّ، عن الحسن البصري في قوله: ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ ﴾ قال: أما في الآخرة فمعاذ الله، قد علم أنه في الجنة، ولكن قال: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، أخرج كما أخرجت الأنبياء [من] قبلي؟ أم أقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي؟ ولا أدري أيخسف بكم أو تُرمون بالحجارة؟

الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أم العلاء - وهي امرأة من نسائهم - أخبرته - وكانت بايعت رسول الله ﷺ قالت : طار لهم في السكنى حين اقترعت الأنصار على سكنى المهاجرين عثمانُ بن مظعون. فاشتكى عثمان عندنا فمرَّضناه، حتى إذا توفي أدرجناه في أثوابه، فدخل علينا رسول الله فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، شهادتي عليك، لقد أكرمك الله. فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه ؟" فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي! فقال رسول الله ﷺ: «أما هو فقد جاءه اليقين من ربه، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي!" قالت: فقلت: والله لا أزكي أحدا بعده أبدا. وأحزنني ذلك، فنمت فرأيت لعثمان عينا تجري، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك ، فقال رسول الله ﷺ: «ذاك عمله" . فقد انفرد بإخراجه البخاري دون مسلم ، وفي لفظ له: "ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به" . وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ، بدليل قولها : "فأحزنني ذلك" . وفي هذا وأمثاله دلالة على أنه لا يقطع لمعين بالجنة إلا الذي نص الشارع على تعيينهم،

كالعشرة، وابن سلام، والغُميصاء، وبلال، وسراقة، وعبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر، والقراء السبعين الذين قتلوا ببئر معونة، وزيد بن حارثة، وجعفر، وابن رواحة، وما أشبه هؤلاء.

وقوله: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾ أي: إنما أتبع ما ينزله الله عليَّ من الوحي، ﴿ وَمَا أَنَا إِلا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ أي: بين النّذَارة، وأمري ظاهر لكل ذي لب وعقل.

سورة ق:

﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾ (٢١) أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله. هذا هو الظاهر من الآية الكريمة. وهو اختيار ابن جرير، ثم روي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن يحيى بن رافع - مولى لثقيف - قال: سمعت عثمان بن عفان يخطب، فقرأ هذه الآية: ﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾، فقال: سائق يسوقها إلى الله، وشاهد يشهد عليها بما عملت. وكذا قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾

قال مسلم في صحيحه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم. فقضى بينهما، فقال للجنة: إنما أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي. وقال للنار: إنما أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها» انفرد به مسلم دون البخاري من هذا الوجه. والله، سبحانه وتعالى، أعلم..

سورة النجم

وقوله: ﴿ فَلِلَّهِ الآخِرَةُ وَالأُولَى ﴾ أي: إنما الأمر كله لله، مالك الدنيا والآخرة، والمتصرف في الدنيا والآخرة، فهو الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وقوله: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾، كقوله: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ [سبأ: ٢٣]، فإذا كان هذا في حق الملائكة المقربين، فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأصنام والأنداد عند الله، وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله، وأنزل بالنهي عن

ذلك جميع كتبه؟.

الخلاصة:

ونؤمن باليوم الآخر وهو يوم القيامة الذي لا يوم بعده، حين يبعث الناس أحياء للبقاء إمّا في دار النعيم وإمّا في دار العذاب الأليم.

فنؤمن بالبعث وهو إحياء الله تعالى الموتى حين ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٨] فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاة بلا نعال، عراة بلا ثياب، غرلاً بلا ختان (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) [الأنبياء: ١٠٤].

ونؤمن بصحائف الأعمال تعطى باليمين أو من وراء الظهور بالشمال﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً ﴾ [الانشقاق: ٧ ـ ١٢]، ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

ونؤمن بالموازين توضع يوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ × تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٢ ـ ١٠٤]، ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

ونؤمن بالشفاعة العظمى لرسول الله ﷺ خاصة، يشفع عند الله تعالى بإذنه ليقضي بين عباده، حين يصيبهم من الهمّ والكرب ما لا يُطيقون فيذهبون إلى آدم ثم نوح ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى حتى تنتهي إلى رسول الله ﷺ.

ونؤمن بالشفاعة فيمن دخل النار من المؤمنين أن يخرجوا منها، وهي له ﷺ وغيره من النبيين والمؤمنين والملائكة، وبأن الله تعالى يُخرج من النار أقواماً من المؤمنين بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته.

ونؤمن بحوض رسول الله ﷺ ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك طوله شهر وعرضه شهر وآنيته كنجوم السماء حسناً وكثرة، يرده المؤمنون من أمته، من شرب منه لم يظمأ بعد ذلك.

ونؤمن بالصراط المنصوب على جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فيمر أولهم كالبرق ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرجال، والنبي ﷺ قائم على الصراط يقول: يارب سلّم سلّم. حتى تعجز أعمال العباد، فيأتي من يزحف، وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة، تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناجٍ ومكردس في النار.

ونؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم وأهواله، أعاننا الله عليها.

ونؤمن بشفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها. وهي للنبي ﷺ خاصة.

ونؤمن بالجنة والنار، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: ١٧]، والنار: دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها من العذاب والنكال ما لا يخطر على البال ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [الكهف: ٢٩]. وهما موجودتان الآن ولن تفنيا أبد الأبدين ﴿ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾ [الطلاق: ١١] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴾ [سبأ: ٦٤ ـ ٦٦].

ونشهد بالجنة لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف، فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، ونحوهم ممن عينهم النبي صلى الله عليه وسلم، ومن الشهادة بالوصف: الشهادة لكل مؤمن أو تقي.

ونشهد بالنار لكل من شهد له الكتاب والسنة بالعين أو بالوصف، فمن الشهادة بالعين: الشهادة لأبي لهب وعمرو بن لحي الخزاعي ونحوهما، ومن الشهادة بالوصف، الشهادة لكل كافرٍ أو مشركٍ شركاً أكبر أو منافق.

ونؤمن بفتنة القبر: وهي سؤال الميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه فـ ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] فيقول المؤمن: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد، وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

ونؤمن بنعيم القبر للمؤمنين ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٣٢].

ونؤمن بعذاب القبر للظالمين الكافرين ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

والأحاديث في هذا كثيرة معلومة، فعلى المؤمن أن يؤمن بكل ما جاء به الكتاب والسُنة من هذه الأمور الغيبية، وألا يعارضها بما يشاهد في الدنيا، فإن أمور الآخرة لا تُقاس بأمور الدنيا لظهور الفرق الكبير بينهما. والله المستعان.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

أولاً: الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

ثانياً: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

الإيمان بالقدر: ما يلي نقلا من تفسير الصافى

فإن هذا في أئمة الجور إدعوا أن الله أمرهم بالأيتمام بقوم لم يأمرهم الله بالأيتمام بهم فرد الله ذلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليه الكذب، وسمى ذلك منهم فاحشة. والعياشي: عن الصادق (عليه السلام) قال: من زعم أن الله يأمر بالفحشاء فقد كذب على الله، ومن زعم أن الخير والشر إليه فقد كذب على الله.

(٣٠) فريقا هدى: بأن وفقهم للأيمان. وفريقا حق عليهم الضلالة: أي الخذلان إذ لم يقبلوا الهدى فضلوا. إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله: أطاعوهم فيما أمروهم به. ويحسبون أنهم مهتدون.

القمي: وكأنه تمام الحديث السابق، وهم القدرية: الذين يقولون لا قدر، ويزعمون إنهم قادرون على الهدى والضلال، وذلك إليهم إن شاؤا اهتدوا وإن شاؤا ضلوا، وهم مجوس هذه الأمة وكذب أعداء الله المشيئة والقدرة لله (كما بدأهم يعودون) من خلقه شقيا يوم خلقه كذلك يعود إليه، ومن خلقه سعيدا يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيدا، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): الشقي: من شقي في بطن امه، والسعيد: من سعد في بطن أمه .

(ما سبق من تفسير الصافى) .

الردود:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن "قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة" [منهاج السنة: ٢/ ٢٩].

وهذا كان في أواخر المائة الثالثة، وكثر بينهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه [منهاج السنة: ١/ ٢٢٩].

كما أن "سائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر" [منهاج السنة: ٢/ ٢٩].

ويذكر الأشعري أن الرافضة في أفعال العباد ثلاثة فرق: فرقة يقولون بأن أعمال العباد مخلوقة لله، وأخرى تقابلها فتنفي أن تكون أعمال العباد مخلوقة لله، وثالثة تتوسط وتقول: لا جبر كما قال الجهمي، ولا تفويض كما قال المعتزلة؛ لأن الرواية عن الأئمة ـ كما زعموا ـ جاءت بذلك، ولم يتكلفوا أن يقولوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة أو لا شيئًا [مقالات الإسلاميين: ١/ ١١٤، ١١٥].

واعتبر شيخ الإسلام هذه الطائفة متوقفة بينما الأولى مثبتة والثانية نافية [منهاج السنة: ١/ ٢٨٦]، ولا يذكر صاحب التحفة الاثني عشرية عن الإمامية إلا قولهم: "إن العبد يخلق فعله" [مختصر التحفة: ص٩٠].

هذا ما تقوله مصادر أهل السنة.

وبالرجوع إلى مصادر الشيعة يتبين ما يلي:

نرى ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق، يقول في عقائده التي سجلها على أنها تمثل عقائد الشيعة واشتهرت باسم عقائد الصدوق يقول: "اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل الله عالمًا بمقاديرها" [عقائد الصدوق: ص٧٥].

وهذا فيه إثبات علم الله عز وجل بأعمال العباد فقط لا إثبات عموم مشيئته سبحانه، وهو لا يقتضي أن الله خالق أفعال العباد، ومع ذلك فقد تعقبه شيخهم المفيد فقال: "الصحيح عن آل محمد ﷺ أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، والذي ذكره أبو جعفر قد جاء به حديث غير معمول به، ولا مرضي الإسناد، والأخبار الصحيحة بخلافه، وليس يعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له" [شرح عقائد الصدوق: ص١٢].

ثم قال: "وقد روي عن أبي الحسن أنه سئل عن أفعال العباد فقيل له: هل هي

مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام: لو كان خالقًا لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه: ﴿ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ ﴾ ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم" [شرح عقائد الصدوق: ص١٣].

ويبدو في هذا الاستدلال الذي عزاه مفيدهم إلى الرضا التكلف الواضح، فبراءة الله عز وجل من المشركين لعدم رضاه سبحانه عن عملهم، ولا ينفي هذا قدرة الله سبحانه ومشيئته الشاملة النافذة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ﴾ [الأنعام، آية: ١٠٧]. وجاء في رواياتهم ما ينقض هذا ويتفق مع الحق، حيث قالوا: "ما خلال الله فهو مخلوق، والله خالق كل شيء" [الحر العاملي/ الفصول المهمة: ص٣٥].

ثم إن المفيد يذهب إلى معنى أن العباد خالقون لأفعالهم، لكنه لا يستحسن هذا التعبير فيقول: "أقول: إن الخلق يفعلون، ويحدثون ويخترعون ويصنعون ويكتسبون، ولا أطلق القول عليهم بأنهم يخلقون ولا هم خالقون، ولا أتعدى ذكر ذلك فيما ذكره الله تعالى ولا أتجاوز به مواضعه من القرآن، وعلى هذا القول إجماع الإمامية والزيدية والبغداديين من المعتزلة وأكثر المرجئة وأصحاب الحديث، وخالف فيه البصريون من المعتزلة وأطلقوا على العباد أنهم خالقون فخرجوا بذلك عن إجماع المسلمين" [أوائل المقالات: ص٢٥].

فهو يلتزم - كما يزعم - منهج القرآن؛ لأنه سماهم فاعلين وعاملين ولم يسمهم خالقين، غير أن إجماع طائفته لم يستمر - إن كان قد حصل - إذ إن طائفة من شيوخهم سلكوا مسلك معتزلة البصرة في إطلاق لفظ "الخلق" [وقالوا بأنه قيل لأبي الحسن: هل غير الخالق الجليل خالق؟ قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [المؤمنون، آية: ١٤]. إن في عباده خالقين وغير خالقين، منهم عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير (الفصول المهمة ص٨١)، ومثل هذا التوجيه نسب لبعض السلف حيث قال ابن جريج: إنما جمع الخالقين؛ لأن عيسى كان يخلق كما قال: ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ ﴾ فأخبر الله عن نفسه أنه أحسن الخالقين (تفسير الطبري: ١٢/ ١١، تفسير البغوي: ٣/ ٣٠٤)، ولكن عيسى عليه السلام إنما كان يخلق بإذن الله فلا خالق مع الله، ولذلك فإن أكثر أهل العلم قال: إن الخلق بمعنى التقدير كما يدل على ذلك لغة العرب، وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين (تفسير البغوي ٣/ ٣٠٤).

قال ابن جرير الطبري - بعد أن ذكر قول ابن جريج وقول مجاهد -: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقًا" (تفسير الطبري ١٢/ ١١).

والقضية عند هؤلاء الروافض ليست في إطلاق اللفظ الذي له معنى في اللغة غير الإيجاد، ولكن في قولهم بأن العبد هو الذي يخلق فعله، كما أن توجيه إمامهم بأن عيسى يخلق ليس بدليل لهم في قولهم إن كل إنسان يخلق فعله؛ لأن ذلك معجزة لعيسى بأمر الله، وورد به النص ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم ﴾ وهم يعممون إطلاق اللفظ].

والفرق اللفظي بينهم وبين معتزلة البصرة قد توارى فيما بعد على يد ثلة من أساطين المذهب.

فقد عقد شيخهم الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ) صاحب الشيعة في كتابه الذي يتحدث فيه عن أصول أئمته عقد بابًا بعنوان "باب أنّ الله سبحانه خالق كلّ شيء إلا أفعال العباد" [الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: ص٨٠]، وقال: "أقول: مذهب الإماميّة والمعتزلة أنّ أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها" [الفصول المهمّة في أصول الأئمّة: ص٨١].

وكذلك قال شيخهم الطبطبائي: "ذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها، وما في الايات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها إما مخصص بما سوى أفعال العباد، أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته" [مجالس الموحدين في بيان أصول الدين/ محمد صادق الطبطبائيك ص٢١].

وقال القزويني: "وأفعال العباد مخلوقة لهم" [قلائد الخرائد: ص٦٠].

وغير هؤلاء كثير [مثل ابن المطهر الحلي في كتابه نهج المسترشدين: ص٥٢، حيث قال: البحث الرابع: في خلق الأعمال، وقرر أن هذا مذهب طائفته ومذهب المعتزلة، ومثل ذلك صرح في كتابه "الباب الحادي عشر" (مع شرحه للمقداد) ص٣٢، وكتابه: كشف المراد ص٣٣٢، وكذلك شيخ الشيعة المجلسي صاحب البحار قال: "وذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها". (بحار الأنوار: ٤/١٤٨)، والمقداد الحلي (انظر: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ص٣٢-٣٣)]. وهو كما ترى عين مذهب أهل الاعتزال، فهل مقالة هؤلاء طارئة على المذهب الشيعي كما قاله شيخ

الإسلام ابن تيمية وغيره، وإن قدماء الشيعة لم يكونوا على هذا المعتقد، أو أن هذا هو مذهب الأقدمين ومن بعدهم؟

لعل أفضل مرجع يرجع إليه لاستقراء هذه الحقيقة هو كتب الحديث عند الشيعة.

وقد رجعت إلى مصادر الشيعة المعتمدة في الرواية وبالذات إلى مراجعها الرئيسة؛ فرأيت مجموعة كبيرة من الروايات تخالف ما هو شائع عن مذهب الشيعة من القول بمذهب المعتزلة في أفعال العباد، وتعارض ما قرره طائفة من شيوخهم في هذه المسألة من الأخذ بمسلك أهل الاعتزال، كما سبق ذكر بعض شواهده من أقوال المفيد، وابن المطهر، والحر العاملي وأضرابهم مما سجلوه في كتب العقيدة التي كتبوها لتعبر عن مذهب الشيعة.

فمن رواياتهم التي وصفنا:

"قال أبو جعفر وأبو عبد الله ؛ : إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون، قال: فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قال: نعم أوسع ما بين السماء والأرض"(١).

يعني أن بين القول بالجبر والقول بنفي القدر منزلة ثالثة وسط.

وجاءت عندهم مجموعة من الروايات تقول بأن مذهبهم في القدر هو أمر بين الأمرين لا جبر ولا تفويض (٢).

ولهذا قال المجلسي: "اعلم أنّ الذي استفاض عن الأئمّة هو نفي الجبر والتّفويض وإثبات أمر بين الأمرين"(٣).

ونفي الجبر واضح القصد وهو الخروج عن مذهب الجبرية، ولكن ماذا يريدون بالتفويض؟

يقول المجلسي: "وأما التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنه تعالى أوجد العباد، وأقدرهم على تلك الأفعال وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها وفق مشيئتهم وقدرتهم وليس لله في أفعالهم صنع" (٤).

كذلك عندهم روايات أخرى تنتقد مذهب المعتزلة، وتشنع على القائلين به، فهو رد على الشيعة نفسها في سلوكها مسلك المعتزلة، جاء في تفسير القمي - في التشنيع على القدرية نفاة القدر من المعتزلة ومن نهج سبيلهم - قول إمامهم: "القدرية الذين

---

(١) [أصول الكافي: ١/ ١٥٩]

(٢) [انظر: أصول الكافي/ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين: ١/ ١٥٥، وانظر: بحار الأنوار: ٥/ ٢٢، ٥٦، الفصول المهمة: ص٧٢].

(٣) [بحار الأنوار: ٥/ ٨٢].

(٤) [بحار الأنوار: ٥/ ٨٣] .

يقولون لا قدر، ويزعمون أنهم قادرون على الهدى والضلالة، وذلك إليهم إن شاءوا اهتدوا، وإن شاءوا ضلوا، وهم مجوس هذه الأمة، وكذب أعداء الله؛ المشيئة والقدرة لله ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [الأعراف، آية: ٢٩، ٣٠]. من خلقه الله شقيًا يوم خلقه كذلك يعود إليه شقيًا، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً، قال رسول الله ﷺ: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه" [تفسير القمي: ١/ ٢٢٦-٢٢٧، بحار الأنوار: ٥/ ٩].

وقال أبو عبد الله: "إنك لتسأل عن كلام أهل القدر وما هو من ديني ولا دين آبائي ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به" [بحار الأنوار: ٥/ ٥٦، البرهان: ١/ ٣٩٨].

وقال: "ويح هذه القدرية أما يقرأون هذه الآية: ﴿ إِلا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ ويحهم من قدّرها إلا الله تبارك وتعالى" [بحار الأنوار: ٥/ ٥٦ .] وغيرها كثير [انظر: بحار الأنوار، ٥/ ١١٦ وما بعدها رقم ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٩، وغيرها].

هذه الروايات تعبر عن مذهب الأئمة في إثبات القدر، وقد تشير إلى ما عليه قدماء الشيعة من الإثبات، وقد أعرض عن هذه الروايات الشيعة المتأخرون بلا دليل سوى تقليد أهل الاعتزال، وأغمضوا النظر عما يعارض ذلك من روايات كثيرة عندهم، بل إن الشيعة جعلوا من أصولهم العدل كالمعتزلة سواءً بسواء. وهذه الكلمة في ظاهرها لفظ جميل، ولكنها تخفي وراءها معنىً خطيرًا، وهو إنكار قدر الله عز وجل.

قال أحد شيوخهم: "أمّا الإماميّة فالعدل من أركان الإيمان عندهم بل ومن أصول الإسلام" [هاشم معروف/ الشّيعة بين الأشاعرة والمعتزلة: ص٢٤٠، عبد الأمير قبلان/ عقيدة المؤمن: ص٤٣].

مع أن أقوال الأئمة ـ كما أثبتته كتبهم المعتمدة عندهم ـ لا تصرح بنفي القدر في أكثر رواياتهم ـ كما مضى ـ بل تهاجم المعتزلة وتنتقد مذهبها في القدر، كما تقرر جملة أن الحق ليس مع المعتزلة القدرية، ولا مع الجبرية بل الحق منزلة أخرى ثالثة، وهذا حق، ولكن تفسير هذه المنزلة، أو الأمر بين الأمرين ما هو؟

لقد أحجمت بعض رواياتهم عن تفيسر هذا واكتفت بإطلاق هذا القول. ولما

سئل أبو عبد الله عن معناه لم يجب وقالت رواياتهم في وصف موقفه من هذا السؤال: "فقلب يده مرتين أو ثلاثًا ثم قال: لو أجبتك فيه لكفرت" (١) وجاءت روايات أخر شبيهة بهذا منها ما يقول بأن ذلك "سر من أسرار الله". (٢) أو "أن بينهما ما بين السماء والأرض"(٣)، وما ماثل ذلك].

وقد حمل بعض شيوخهم هذا الموقف من "جعفر" على التقية "لأنه ـ بزعمهم ـ كان يعلم أنه لا يدركه عقل السائل فيشك فيه أو يجحده فيكفر"(٤).

ولعل هذا التوقف هو ما أشار إليه الأشعري من أنه أحد مذاهب الرافضة الثلاثة. كما أن المذهب الأول قد جاء على لسان شيخهم المفيد في قوله: "إن أفعال العباد غير مخلوقة لله" (٥). وقد لوحظ أن المذهب الثالث وهو الإثبات قد نطقت به طائفة من رواياتهم، فأنت ترى أن المذاهب الثلاثة للرافضة التي أشار إليها الأشعري في مقالاته قد وجدت كلها ضمن مقالات الاثني عشرية ورواياتهم.

وذكر صدوقهم في عقائده رواية تفسر قولهم بالأمر بين الأمرين؛ حيث قال: قيل لأبي عبد الله: "ما أمر بين الأمرين؟ فقال: ذلك مثل رجل رأيته على المعصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لا يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية" (٦).

فهو هنا يفسر القدر بالأمر والنهي فحسب.. وهو لا يكفي في بيان المذهب الحق في القدر.. إذ كان الله سبحانه لا سلطان له على العبد إلا أمره أو نهيه.

ولكن نجد من شيوخهم من فسر ذلك بمقتضى مذهب أهل السنة وقال بما جاء في رواياتهم من الإثبات، وأعرض عما قاله طائفة من شيوخه وجعل ذلك هو معتقد طائفته فقال بعدما ذكر ضلال الجبرية فيما ذهبوا إليه، ان من قال بقولهم فقد نسب الظلم إليه تعالى عن ذلك، وضلال القدرية فيما أخذوا به من نفي القدر، وأن من قال بذلك فقد أشرك مع الله غيره في الخلق ـ قال: « واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام من الأمر بين الأمرين والطريق الوسط بين القولين.. فقد قال إمامنا الصادق عليه السلام لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة: "لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين".

---

(١) [ابن بابويه/ التوحيد: ص٣٦٣، بحار الأنوار: ٥/٥٣ .

(٢) (بحار الأنوار: ٥/١١٦) . (٣) (المصدر السابق ٥/١١٦) .

(٤) [المجلسي/ بحار الأنوار: ٥/٥٣-٥٤] .

(٥) [شرح عقائد الصدوق: ص١٠-١٢] . (٦) [عقائد الصدوق: ص٧٥]

ما أجمل هذا المغزى، وما أدق معناه وخلاصته: "أن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا على المعاصي، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والأمر وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد" (١) .

وهذه الكلمات لا تخالف ما قاله أهل السنة في باب أفعال العباد، وهي تفيد أن من شيوخ الشيعة المتأخرين من يذهب إلى ما ذهب إليه أوائلهم، وما قررته معظم رواياتهم إذا لم يكن قد جعل لكلماته ضربًا من التأويل أو لونًا من الاتقاء فذاك علمه عند الله.

وهذا لا ينفي أن شيوخ المذهب وأساطين الطّائفة قد ذهبوا في الغالب إلى ما ذهب إليه أهل الاعتزال.

ويمكن أن يقال: قد كان في القديم الإثبات هو الأصل والنفي طارئ نتيجة التأثر بالاتجاه الاعتزالي، وعند المتأخرين النفي هو الكثير الغالب، والإثبات موجود عند البعض.

ولا شك بأن من قال بالنفي فقد قال بجزء من الأدلة وعطل الباقي، ومن قال بالجبر فقد عمل بالجزء الآخر وعطل ما سواه، ومن أخذ بالقول الوسط فقد أعمل الأدلةِ كلها، وآيات القرآن أثبتت للعبد فعلاً وقدرة ومشيئة، ولكنها تابعة لقدرة الله ومشيئته، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان، آية: ٣٠، التكوير، آية: ٢٩].

قال شيخ الإسلام:

"فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة" ثم ساق الأدلة في ذلك [منهاج السنة: ١/ ٢٠-٢١].

والروايات الكثيرة عند الرافضة ـ والتي مضى بعضها ـ هي أكبر شاهد من مذهبهم نفسه على بطلان ما ذهب إليه شيوخهم من الأخذ بمذهب أهل الاعتزال [

---

(١) [المظفر/ عقائد الإمامية: ص٦٧-٦٨، وقريب من ذلك ما ذكره شيخهم الزنجاني/ في عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية: ٣/ ١٧٥-١٧٦] .

ولتفصيل القول في القدر، ونقض شبهات المعتزلة ومن قلدهم من الرافضة (١).

الردود: قال ابن كثير من سورة الصافات ٩٦

﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ يحتمل أن تكون "ما" مصدرية ، فيكون تقدير الكلام : والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى "الذي" تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر؛ لما رواه البخاري في كتاب "أفعال العباد" ، عن علي بن المديني، عن مروان بن معاوية، عن أبي مالك، عن رِبْعِيّ بن حراش، عن حذيفة مرفوعا قال: "إن الله يصنع كل صانع وصنعته". وقرأ بعضهم : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

سورة القمر : وقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾، كقوله: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢] وكقوله: ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى. الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى. وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ [الأعلى: ١ - ٣] أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمةُ السنة على إثبات قَدَر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردّوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرْقة القَدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة. وقد تكلمنا على هذا المقام مفصلا وما ورد فيه من الأحاديث في شرح "كتاب الإيمان" من "صحيح البخاري" رحمه الله، ولنذكر هاهنا الأحاديث المتعلقة بهذه الآية الكريمة: قال أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان الثوري، عن زياد بن إسماعيل السهمي، عن محمد بن عباد بن جعفر، عن أبي هُرَيرَة قال: جاء مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت: ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾. وهكذا رواه مسلم والترمذي وابن ماجه، من حديث وكيع، عن سفيان الثوري، به (٢).

---

(١) انظر: منهاج السنة النبوية: ١/ ٣٩-٤٥ ، ٢٨٥ ، ٣٥٦ وما بعدها. وجه ٢/ ٢ وما بعدها، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج ٨، وفي مواضع متفرقة أخرى راجع المجلد ٣٦ ص١٤٣-١٥٣ ، شرح الطحاوية ص٢١٧ وما بعدها، ٣٤٧-٣٥٢، وراجع رسالة الشيخ عبد الرحمن المحمود/ القضاء والقدر]

(٢) المسند (٢/ ٤٤٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٦) وسنن الترمذي برقم (٣٢٩٠) وسنن ابن ماجة برقم (٨٣).

وقال البزار: حدثنا عمرو بن علي، حدثنا الضحاك بن مَخْلَد، حدثنا يونس بن الحارث، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده قال: ما نزلت هذه الآيات: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ. يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ. إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾، إلا في أهل القدر (١).

وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر، وفيه مرفوع، فقال:

حدثنا أبو المغيرة، حدثنا الأوزاعي، عن بعض إخوته، عن محمد بن عُبَيد المكي، عن عبد الله بن عباس، قال: قيل له: إن رجلا قدم علينا يُكَذّب بالقدر فقال: دلوني عليه - وهو أعمى - قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنت منه لأعضَّنّ أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي لأدقنها؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كأني بنساء بني فِهْر يَطُفْنَ بالخزرج، تصطفق أَلْياتهن مشركات، هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قَدّر خيرا، كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا" (٢). ثم رواه أحمد عن أبي المغيرة، عن الأوزاعي، عن العلاء بن الحجاج، عن محمد بن عبيد، فذكر مثله (٣). لم يخرجوه.

وقال أحمد: حدثنا إسحاق بن الطباع، أخبرني مالك، عن زياد بن سعد، عن عمرو بن مسلم، عن طاوس اليماني قال: سمعت ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس".

ورواه مسلم منفردا به، من حديث مالك (٤)، (٥).

وفي الحديث الصحيح: "استعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك أمر فقل: قَدَّرُ الله وما شاء فعل، ولا تقل: لو أني فعلت لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان" (٦).

---

(١) مسند البزار برقم (٢٢٦٥) "كشف الأستار"، وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧): "فيه يونس بن الحارث، وثقه ابن معين وابن حبان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات".

(٢) المسند (١/ ٣٣٠).

(٣) المسند (١/ ٣٣٠). (٧/ ٤٨٣)

(٤) في م: "ورواه مسلم من حديث مالك منفردا به".

(٥) المسند (٢/ ١١٠) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٥).

(٦) رواه مسلم في صحيحه برقم (٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

وفي حديث ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال له: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء، لم يكتبه الله لك، لم ينفعوك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يكتبه الله عليك، لم يضروك. جفّت الأقلام وطويت الصحف"(١).

وقال سفيان الثوري، عن منصور، عن رِبْعِي بن خِرَاش، عن رجل، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر خيره وشره". وكذا رواه الترمذي من حديث النضر بن شُمَيْل، عن شعبة، عن منصور، به (٢). ورواه من حديث أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن منصور، عن ربعي، عن علي، فذكره وقال: "هذا عندي أصح". وكذا رواه ابن ماجه من حديث شريك، عن منصور، عن ربعي، عن علي، به (٣).

وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة" زاد ابن وهب: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ [هود: ٧]. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب.

وقوله: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾. وهو إخبار عن نفوذ مشيئته في خلقه كما أخبر وقد رجح هذه الرواية الدارقطني في العلل (٣/ ١٩٦) فقال: "حديث شريك وورقاء وجرير وعمرو بن أبي قيس عن منصور عن ربعي عن علي. وخالفهم سفيان الثوري وزائدة أبو الأحوص وسليمان التيمي فرووه: عن منصور عن ربعي عن رجل من بني راشد عن علي وهو الصواب".

الخلاصة:

ونؤمن بالقدر خيره وشره، وهو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته.

وللقدر أربع مراتب:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٩٣).
(٢) سنن الترمذي برقم (٢١٤٥) وسنن ابن ماجه برقم (٨١). ورواه أحمد في مسنده (١/ ١٣٣) عن وكيع والحاكم في مستدركه (١/ ٣٣) عن أبي حذيفة، كلاهما عن سفيان الثوري به.
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).

المرتبة الأولى: العلم، فتؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ما كان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل ولا يلحقه نسيان بعد علم.

المرتبة الثانية: الكتابة، فتؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠].

المرتبة الثالثة: المشيئة، فتؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما في السماوات والأرض، لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

المرتبة الرابعة: الخلق، فتؤمن بأن الله تعالى ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الزمر: ٦٢، ٦٣].

وهذه المراتب الأربع شاملة لما يكون من الله تعالى نفسه ولما يكون من العباد، فكل ما يقوم به العباد من أقوال أو أفعال أو تروك فهي معلومة لله تعالى مكتوبة عنده والله تعالى قد شاءها وخلقها ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ × وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩] ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة: ٢٥٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٣٧] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى جعل للعبد اختياراً وقدرة بهما يكون الفعل، والدليل على أن فعل العبد باختياره وقدرته أمور:

الأول: قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٣] وقوله: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً ﴾ [التوبة: ٤٦] فأثبت للعبد اتياناً بمشيئته وإعداداً بإرادته.

الثاني: توجيه الأمر والنهي إلى العبد، ولو لم يكن له اختيار وقدرة لكان توجيه ذلك إليه من التكليف بما لا يطاق، وهو أمر تأباه حكمة الله تعالى ورحمته وخبره الصادق في قوله: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

الثالث: مدح المحسن على إحسانه وذم المسيء على إساءته، وإثابة كل منهما بما يستحق، ولولا أن الفعل يقع بإرادة العبد واختياره لكان مدح المحسن عبثاً وعقوبة المسيء ظلماً، والله تعالى منزه عن العبث والظلم.

الرابع: أن الله تعالى أرسل الرسل ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى

اللَّه حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]، ولولا أن فعل العبد يقع بإرادته واختياره، ما بطلت حجته بإرسال الرسل.

الخامس: أن كل فاعل يحسُّ أنه يفعل الشيء أو يتركه بدون أي شعور بإكراه، فهو يقوم ويقعد ويدخل ويخرج ويسافر ويقيم بمحض إرادته، ولا يشعر بأن أحداً يكرهه على ذلك، بل يفرّق تفريقاً واقعياً بين أن يفعل الشيء باختياره وبين أن يكرهه عليه مكره. وكذلك فرّق الشرع بينهما تفريقاً حكيماً، فلم يؤاخذ الفاعل بما فعله مكرهاً عليه فيما يتعلق بحق الله تعالى.

ونرى أن لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى، لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره، من غير أن يعلم أن الله تعالى قدّرها عليه، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ﴾ [لقمان: ٣٤] فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتجّ بها حين إقدامه على ما اعتذر بها عنه، وقد أبطل الله تعالى هذه الحجة بقوله: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لماذا لم تقدم على الطاعة مقدراً أن الله تعالى قد كتبها لك، فإنه لا فرق بينها وبين المعصية في ا لجهل بالمقدور قبل صدور الفعل منك؟ ولهذا لما أخبر النبي ﷺ الصحابة بأن كل واحد قد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار قالوا: أفلا نتكل وندع العمل؟ قال" "لا، اعملوا فكلُ ميسر لما خُلق له".

ونقول للعاصي المحتج بالقدر: لو كنت تريد السفر لمكة وكان لها طريقان، أخبرك الصادق أن أحدهما مخوف صعب والثاني آمن سهل، فإنك ستسلك الثاني ولا يمكن أن تسلك الأول وتقول: إنه مقدر عليّ، ولو فعلت لعدّك الناس في قسم المجانين.

ونقول له أيضاً: لو عرض عليك وظيفتان إحداهما ذات مرتب أكثر، فإنك سوف تعمل فيها دون الناقصة، فكيف تختار لنفسك في عمل الآخرة ما هو الأدنى ثم تحتجّ بالقدر؟

ونقول له أيضا: نراك إذا أصبت بمرض جسمي طرقت باب كل طبيب لعلاجك، وصبرت على ما ينالك من ألم عملية الجراحة وعلى مرارة الدواء. فلماذا لا تفعل مثل ذلك في مرض قلبك بالمعاصي؟

ونؤمن بأن الشر لا ينسب إلى الله تعالى لكمال رحمته وحكمته، قال النبي ﷺ «والشر ليس إليك» [رواه مسلم]. فنفس قضاء الله تعالى ليس فيه شر أبداً، لأنه صادر عن رحمة وحكمة، وإنما يكون الشرُّ في مقتضياته، لقول النبي ﷺ في دعاء القنوت الذي علّمه الحسن: "وقني شر ما قضيت" فأضاف الشر إلى ما قضاه، ومع هذا فإن الشر في المقتضيات ليس شراً خالصاً محضاً، بل هو شر في محله من وجه، خير من وجه، أو شر في محله، خير في محل آخر، فالفساد في الأرض من الجدب والمرض والفقر والخوف شر، لكنه خير في محل آخر، قال الله تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم: ٤١]، وقطع يد السارق ورجم الزاني شر بالنسبة للسارق والزاني في قطع يد السارق وإزهاق النفس، لكنه خير لهما من وجه آخر، حيث يكون كفارة لهما فلا يجمع لهما بين عقوبتي الدنيا والآخرة، وهو أيضاً خير في محل آخر، حيث إن فيه حماية الأموال والأعراض والأنساب.

فصل:

هذه العقيدة السامية المتضمنة لهذه الأصول العظيمة تثمر لمعتقدها ثمرات جليلة كثيرة، فالإيمان بالله تعالى وأسمائه وصفاته يثمر للعبد محبة الله وتعظيمه الموجبين للقيام بأمره واجتناب نهيه، والقيام بأمر الله تعالى واجتناب نهيه يحصل بهما كمال السعادة في الدنيا والآخرة للفرد والمجتمع ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن ثمرات الإيمان بالقدر:

أولاً: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره.

ثانياً: راحة النفس وطمأنينة القلب، لأنه متى علم أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشاً وأريح نفساً وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

ثالثاً: طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن حصول ذلك نعمة من الله بما قدّره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك ويدع الإعجاب.

رابعاً: طرد القلق والضجر عند فوات المراد أو حصول المكروه، لأن ذلك بقضاء الله تعالى الذي له ملك السماوات والأرض وهو كائن لا محالة، فيصبر على ذلك

ويحتسب الأجر، وإلى هذا يشير الله تعالى بقوله: ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فنسأل الله تعالى أن يثبتنا على هذه العقيدة، وأن يحقق لنا ثمراتها ويزيدنا من فضله، وألا يزيغ العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان. تمت.

الباب الثالث
أقواله وآراؤه في تفسير الآيات لتتوافق مع أصولهم ومعتقداتهم الأخرى التي تفردوا بها

الفصل الأول : الإمامة

فى هذا الفصل تجد المصنف وعلماء الشيعة يجعلون الدين كله محصوراً فى الامامة بل لا أكون مغالياً ان قلت أنهم فتنوا أنفسهم وفتنوا الشيعة بأمر الامامة فراحوا يؤلون ويحرفون الآيات ليثبتوا كذباً وزوراً أنها معنىٌ بها الولاية والامامة، وما فعلوا هذا الا لمكر، هم أرادوه ولمخطط خبيث ماكر، ألا وهو هدم الدين من قواعده وشق صف المسلمين ووحدتهم وجعل الشيعة فى جانب المعادى للدين وأهله، وكل هذا تحت مسمى أنهم المسلمين وحدهم وأنهم المدافعين عن الدين والرافعين لرايته، وغيرهم عدو لهم وللأئمة طالما أنه لا يوافقهم ولا يتابعهم على عقيدتهم، ولاثبات ذلك اخترعوا روايات مكذوبة يحاولون من خلالها اثبات كذبهم وافترائهم على الله ورسوله وآل البيت وهم منها براء، فراحوا يقولون أن الآيات التى جاء فيها الأمر من الله بطاعة الرسول نحن له تبع لأننا ورثنا النبى ونحن شركاء للنبى وقرناء له كل هذا من خرافاتهم واختراعهم وكذبهم، والسؤال أين الدليل الواضح والبرهان الساطع على ما تزعمون؟، والجواب لا دليل ولا برهان ويصدق فيهم قوله سبحانه﴿ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ ثم انتقلوا الى كذبة أخرى يزعمون أن فى القرآن نص بالأئمة وبأسمائهم ولما لم يوجد اخترعوا كذبة أخرى لا يجرؤ عليها الا عدو حاقد كافر، ألا وهى أن الصحابة حرفوها وأزالوها من القرآن ولهذا نجدهم اخترعوا القول بوجود مصاحف أخرى، كما هو موضح فى مبحث الايمان بالكتب، اذاً فقولهم بوجود مصاحف أخرى أيضاً تحتاج الى دليل وبرهان فلما لم يجدوا قالوا أنه مع الامام الغائب واخترعوا لذلك ايضاً روايات مكذوبة، فنحن أمام شرذمة استحلت الكذب وجعلته لها دينا والله يقول ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فهل فقد القوم عقولهم وسلموا أنفسهم لهؤلاء الأفاكين الكذابين الذين نشروا هذا الفساد فى الأرض وراحوا يكفرون كل من لم يوافقهم ويتابعهم على هذا الكذب والافتراء وبدأوا بتكفير كل المسلمين بعد رسول الله حتى آل البيت لم يسلموا من تكفيرهم لهم، ومن هنا يتضح لنا أن المصنف وعلماء الشيعة قوم ليسوا من المسلمين دخلوا فى الاسلام ظاهراً وتزيوا بزى الاسلام وتظاهروا بالاسلام ووجدوا أن أسهل طريق للقضاء على الاسلام هو اظهار التشيع وحب آل البيت حتى تمكنوا من الالمام بما يخدم مكرهم وخداعهم وجاءوا بكل هذا الكذب والخرافات والخزعبلات

التى ملأوا بها كتب الشيعة ليصرفوهم عن الدين الحق الذى جاء به نبينا محمد ﷺ والذى ترك عليه خير جيل عرفته البشرية ألا وهوجيل الصحابة رضوان الله عليهم ونزل آخر ما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣] واليك أيها القارىء الحبيب بعض الآيات التى فسرها علماؤنا مما تتعلق بهذا الأمر ثم عرض لأقوال المصنف والردود والنقد باذن الله تعالى:

من تفسير ابن كثير :- من سورة البقرة آية ٣٠ وآية ١٢٤ .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ يخبر تعالى بامتنانه علي بني آدم، بتنويهه بذكرهم في الملأ الأعلى قبل إيجادهم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ ﴾ أي: واذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة، واقصص على قومك ذلك. ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أي: قوما يخلف بعضهم بعضا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ ﴾ [الأنعام: ١٦٥] وقال ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾ [الزخرف: ٦٠]. وقال ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ ﴾ [مريم: ٥٩]. [وقرئ في الشاذ : "إني جاعل في الأرض خليقة" حكاه الزمخشري وغيره ونقلها القرطبي عن زيد بن علي]. وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم، عليه السلام، فقط، كما يقوله طائفة من المفسرين، وعزاه القرطبي إلى ابن مسعود وابن عباس وجميع أهل التأويل، وفي ذلك نظر، بل الخلاف في ذلك كثير، حكاه فخر الدين الرازي في تفسيره وغيره، والظاهر أنه لم يرد آدم عينًا إذ لو كان كذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ فإنهم إنما أرادوا أن من هذا الجنس من يفعل ذلك، وكأنهم علموا ذلك بعلم خاص ، أو بما فهموه من الطبيعة البشرية فإنه أخبرهم أنه يخلق هذا الصنف من صَلْصَال من حمإ مسنون [أو فهموا من الخليفة أنه الذي يفصل بين الناس ويقع بينهم من المظالم ويرد عنهم المحارم والمآثم ، قاله القرطبي] أو أنهم قاسوهم على من سبق، كما سنذكر أقوال المفسرين في ذلك. وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم ، كما قد يتوهمه بعض المفسرين [وقد وصفهم الله تعالى بأنهم لا يسبقونه بالقول، أي: لا يسألونه شيئا لم يأذن لهم فيه وهاهنا لما أعلمهم بأنه سيخلق في الأرض خلقًا. قال قتادة : وقد تقدم إليهم أنهم يفسدون فيها فقالوا: ﴿ أَتَجْعَلُ

فيهَا ﴾الآية وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك، يقولون: يا ربنا، ما الحكمة في خلق هؤلاء مع أن منهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فإن كان المراد عبادتك، فنحن نسبح بحمدك ونقدس لك، أي: نصلي لك كما سيأتي، أي: ولا يصدر منا شيء من ذلك، وهلا وقع الاقتصار علينا ؟ قال الله تعالى مجيبا لهم عن هذا السؤال: ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ أي: إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها ما لا تعلمون أنتم؛ فإني سأجعل فيهم الأنبياء، وأرسل فيهم الرسل، ويوجد فيهم الصديقون والشهداء، والصالحون والعباد، والزهاد والأولياء، والأبرار والمقربون، والعلماء العاملون والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى المتبعون رسله، صلوات الله وسلامه عليهم.

قالوا: ربنا وما يكون ذلك الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا. قال ابن جرير: فكان تأويل الآية على هذا: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ مني، يخلفني في الحكم بين خلقي، وإن ذلك الخليفة هو آدم ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه. وأما الإفساد وسفك الدماء بغير حقها فمن غير خلفائه.

قال ابن جرير: وإنما [كان تأويل الآية على هذا] معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرنا. قال: والخليفة الفعلية من قولك، خلف فلان فلانا في هذا الأمر: إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [يونس ١٤]. ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفًا. ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ قال قتادة: فكان في علم الله أنه سيكون في تلك الخليقة أنبياء ورسل وقوم صالحون وساكنو الجنة، وسيأتي عن ابن مسعود وابن عباس وغير واحد من الصحابة والتابعين أقوال في حكمة قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾.

وقد استدل القرطبي وغيره بهذه الآية على وجوب نصب الخليفة ليفصل بين الناس فيما يختلفون فيه، ويقطع تنازعهم، وينتصر لمظلومهم من ظالمهم، ويقيم الحدود، ويزجر عن تعاطي الفواحش، إلى غير ذلك من الأمور المهمة التي لا يمكن إقامتها إلا بالإمام، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والإمامة تنال بالنص كما يقوله طائفة من أهل السنة في أبي بكر، أو بالإيماء إليه كما يقول آخرون منهم، أو باستخلاف الخليفة آخر بعده كما فعل الصديق بعمر بن الخطاب، أو بتركه شورى في جماعة صالحين كذلك كما فعله عمر، أو باجتماع أهل

الحل والعقد على مبايعته أو بمبايعة واحد منهم له فيجب التزامها عند الجمهور وحكى على ذلك إمام الحرمين الإجماع، والله أعلم، أو بقهر واحد الناس على طاعته فتجب لئلا يؤدي ذلك إلى الشقاق والاختلاف ، وقد نص عليه الشافعي. وهل يجب الإشهاد على عقد الإمامة ؟ فيه خلاف، فمنهم من قال: لا يشترط، وقيل: بلى ويكفي شاهدان. وقال الجبائي: يجب أربعة وعاقد ومعقود له، كما ترك عمر رضي الله عنه، الأمر شورى بين ستة، فوقع الأمر على عاقد وهو عبد الرحمن بن عوف، ومعقود له وهو عثمان، واستنبط وجوب الأربعة الشهود من الأربعة الباقين، وفي هذا نظر، والله أعلم.

ويجب أن يكون ذكرًا حرًا بالغًا عاقلا مسلمًا عدلا مجتهدًا بصيرًا سليم الأعضاء خبيرًا بالحروب والآراء قرشيًا على الصحيح، ولا يشترط الهاشمي ولا المعصوم من الخطأ خلافًا للغلاة الروافض، ولو فسق الإمام هل ينعزل أم لا ؟ فيه خلاف، والصحيح أنه لا ينعزل لقوله عليه الصلاة والسلام: "إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان" وهل له أن يعزل نفسه؟ فيه خلاف، وقد عزل الحسن بن علي نفسه وسلم الأمر إلى معاوية لكن هذا لعذر وقد مدح على ذلك.

فأما نصب إمامين في الأرض أو أكثر فلا يجوز لقوله عليه الصلاة والسلام : "من جاءكم وأمركم جميع يريد أن يفرق بينكم فاقتلوه كائنًا من كان" . وهذا قول الجمهور، وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد ، منهم إمام الحرمين، وقالت الكرامية: يجوز نصب إمامين فأكثر كما كان علي ومعاوية إمامين واجبي الطاعة، قالوا: وإذا جاز بعث نبيين في وقت واحد وأكثر جاز ذلك في الإمامة ؛ لأن النبوة أعلى رتبة بلا خلاف، وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم بينهما، وتردد إمام الحرمين في ذلك، قلت: وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والأمويين بالمغرب.

آية رقم ١٢٤

وقال العوفي في تفسيره، عن ابن عباس: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ فمنهن: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ومنهن: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ ومنهن: الآيات في شأن المنسك والمقام الذي جعل لإبراهيم، والرزق الذي رزق ساكنو البيت، ومحمد بعث في دينهما.

فإن قوله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ وقوله: ﴿ وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ

طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ وسائر الآيات التي هي وقوله: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ لما جعل الله إبراهيم إمامًا، سأل الله أن تكون الأئمةُ من بعده من ذريته، فأجيبَ إلى ذلك وأخبر أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله، ولا يكونون أئمة فلا يقتدى بهم، والدليل على أنه أجيب إلى طَلِبَتِه قول الله تعالى في سورة العنكبوت: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ [العنكبوت: ٢٧] فكل نبي أرسله الله وكل كتاب أنزله الله بعد إبراهيم ففي ذريته صلوات الله وسلامه عليه.

وأما قوله تعالى: ﴿ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ فقد اختلفوا في ذلك، فقال خَصِيف، عن مجاهد في قوله: ﴿ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال: إنه سيكون في ذريتك ظالمون. عن مجاهد ، في قوله: ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِي ﴾ قال: أما من كان منهم صالحًا فسأجعله إمامًا يقتدى به، وأما من كان ظالمًا فلا ولا نُعْمَةَ عَيْنٍ. وقال سعيد بن جبير: ﴿ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ المراد به المشرك، لا يكون إمام ظالم. يقول: لا يكون إمام مشرك.

عن ابن عباس، قال: ﴿ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال: ليس للظالمين عهد، وإن عاهدته فانتقضه. وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَرٌ، عن قتادة، في قوله: ﴿ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال: لا ينال عهدُ الله في الآخرة الظالمين، فأما في الدنيا فقد ناله الظالم فأَمِنَ به، وأكل وعاش. وقال الربيع بن أنس: عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣]، يقول: ليس كل ذريتك يا إبراهيم على الحق..

وقال جويبر، عن الضحاك: لا ينال طاعتي عدو لي يعصيني، ولا أنحلها إلا وليًا لي يطيعني.

وقال الحافظ أبو بكر بن مَرْدويه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن حامد، حدثنا أحمد بن عبد الله بن سعيد الأسدي، حدثنا سليم بن سعيد الدامغان، حدثنا وَكِيع، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي بن أبي طالب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ﴿ قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ قال: "لا طاعة إلا في المعروف".

فهذه أقوال مفسري السلف في هذه الآية على ما نقله ابن جرير، وابن أبي حاتم، رحمهما الله تعالى. واختار ابن جرير أن هذه الآية - وإن كانت ظاهرة في الخبر - أنه لا ينال عهد الله بالإمامة ظالما. ففيها إعلام من الله لإبراهيم الخليل ،

عليه السلام ، أنه سيوجد من ذريتك من هو ظالم لنفسه ، كما تقدم عن مجاهد وغيره، والله أعلم.

من سورة السجدة آية - ٢٤

قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾، أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر. ثم لما بدلوا وحرَّفوا وأوَّلوا، سلبوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية ، يحرفون الكلم عن مواضعه، فلا عمل صالحًا، ولا اعتقاد صحيحًا؛ ولهذا قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾ قال قتادة وسفيان: لما صبروا عن الدنيا: وكذلك قال الحسن بن صالح.

قال سفيان: هكذا كان هؤلاء، ولا ينبغي للرجل أن يكون إماما يُقتَدى به حتى يتحامى عن الدنيا.

قال وكيع: قال سفيان: لا بد للدين من العلم ، كما لا بد للجسد من الخبز. وقال ابن بنت الشافعي: قرأ أبي على عمي - أو: عمي على أبي - سئل سفيان عن قول علي، رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ألم تسمع قوله: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾، قال: لما أخذوا برأس الأمر صاروا رؤوسًا. قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وبعد هذا البيان الذى نقلت فيه أقوال أهل العلم فى تفسيرهم لبعض الآيات التى تتعلق بمبحث الامامة نأتى الى أقوال المصنف والردود عليها والنقد:

حصره الأئمة بعدد معين:

من تفسير الصافى المقدمة الثانية روي في الكافي ورواه العياشي في تفسيره والصدوق في إكمال الدين بتفاوت يسير في ألفاظه. وزيد في آخره: وقد أخبرني ربي أنه قد استجاب لي فيك وفي شركائك الذين يكونون من بعدك فقلت: يا رسول الله ومن شركائي من بعدي؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه وبي. فقال: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فقلت ومن هم؟ قال: الأوصياء مني. إلى أن يردوا عليّ الحوض كلهم هادين مهديين لا يضرهم من خذلهم، هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقهم ولا يفارقونه بهم ينصر امتي وبهم تمطر وبهم يدفع عنهم البلاء وبهم يستجاب دعاؤهم فقلت: يا رسول الله سمهم لي. فقال: إبني هذا ووضع يده على رأس الحسن ثم إبني هذا ووضع يده على رأس الحسين ثم ابن له يقال له علي وسيولد

في حياتك فاقرأه مني السلام ثم تكملة إثني عشر من ولد محمد (صلى الله عليه وآله) فقلت له بأبي انت وامي فسمهم لي فسماهم رجلا رجلا فقال: فيهم والله يا أخا بني هلال مهدي أمة محمد الذي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا والله إني لأعرف من يبايعه بين الركن والمقام وأعرف اسماء آبائهم وقبائلهم.

سورة الحج (٦٥) ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بإذنه إلا بمشيئته إن الله بالناس لرؤف رحيم في الأكمال عن النبي صلى الله عليه وآله بعد ذكر الأئمة الأثني عشر بأسمائم قال ومن أنكرهم أو أنكر واحدا منهم فقد أنكرني بهم يمسك الله عز وجل السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبهم يحفظ الأرض أن تميد بأهلها.

وفي الأكمال عن النبي ﷺ عنى بذلك ثلاثة عشر رجلا خاصة دون هذه الامة ثم قال أنا وأخي علي وأحد عشر من ولدي. ما سبق نقلا من تفسير الصافى.

المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة، يحصرون الأئمة بعدد معين .

والقول بأن الأئمة ثلاثة عشر قامت فرقة من الشيعة تقول به، ولعل تلك النصوص من آثارها، وقد ذكر هذه الفرقة الطوسي في رده على من خالف الاتجاه الاثني عشري، الذي ينتمي إليه [1] ، وكذلك النجاشي في ترجمة هبة الله أحمد بن محمد [حيث ذكر بأن هبة الله "كان يتعاطى الكلام، ويحضر مجلس أبي الحسين ابن الشيبة العلوي الزيدي المذهب، فعمل له كتابًا، وذكر أن الأئمة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين، واحتج بحديث في كتاب سليم بن قيس الهلالي: إن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين"] [2].

وكل فرقة من هذه الفرق تدعي أنها على الحق، وأن الخبر في تعيين أئمتها متواتر، وتبطل ما ذهبت إليه الفرق الشيعية الأخرى، وهذا دليل على أنهم ليسوا على شيء؛ إذ لو تواتر خبر إحدى فرقهم لم يقع الاختلاف قط بينهم. . . فإن هذه مزاعم افتروها على أهل البيت على وفق مصلحة الوقت، فكل طائفة تقرر إمامًا تدعو إليه ليأخذوا بهذه الذريعة الخمس والنذور والتحف والهدايا من أتباعهم باسم إمامهم المزعوم ويتعيشوا بها، ومتأخروهم قد قلدوا أوائلهم بلا دليل، وسقطوا في ورطة الضلال، ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ. فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [الصافات، آية: ٦٩-٧٠] [مختصر التحفة: ص٢٠٠].

---

(١) [الغيبة: ص ١٣٧] . (٢) (رجال النجاشي: ص٣٤٣) .

نقد حصره الأئمة بعدد معين [(١)] :

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء، آية: ٥٩]. ولم يحصر سبحانه أولي الأمر بعدد معين وهذا واضح جلي.

وأمر تعيين الأئمة من أعظم أمور الدين عندهم، وهو صنو النبوة أو أعظم.. فكيف لا يبين الله ذلك في كتابه، ويذكر الأئمة بأسمائهم وأعيانهم؟

لا يوجد لأئمتهم ذكر في كتاب الله، وليس هناك نص صحيح متواتر في تعيين أئمتهم.. ولو وجد لما تخبط الشيعة وتاهوا في أمر تعيين الإمام كما حكت ذلك كتب المقالات؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الثابتة عنه المستفيضة لم يوقت ولاة الأمور في عدد معين، ففي الصحيحين عن أبي ذر قال: "إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشيًا مجدع الأطراف" [(٢)] [والحديث المذكور أخرجه البخاري بلفظ: قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "اسمع وأطع ولو لحبشي كأن رأسه زبيبة"][(٣)].

أما كتب الشيعة الاثني عشرية فهي طافحة بالروايات التي تحدد الأئمة باثني عشر، والملاحظ أن هذه الروايات كانت موضع التداول السري، وكان الأئمة يكذبون رواتها، مما يثير الشكوك في صدقها، لاسيما وكتاب الله سبحانه ـ والذي أمر الأئمة بالرجوع إليه في الحكم على ما ينسب إليهم من أقوال ـ لا شاهد فيه لهذه الروايات إلا عن طريق التأويلات الباطنية، والروايات الموضوعة، فيصبح عمدتهم في النهاية هذه الروايات.. التي تؤكد الشواهد كذبها، كما أن الأوائل الذين جمعوا هذه الروايات وهم: الصفار وإبراهيم القمي والكليني هم ومن ينقل عنهم كالمصنف الكاشانى فى تفسيره من الغلاة الذين يجب اعتبارهم خارج الصف الإسلامي لنقلهم أساطير نقص القرآن وتحريفه، فهم بهذا غير مأمونين وكتبهم غير موثوقة.

وكتاب النّهج الذي هو أصح كتاب عند الشيعة لا ذكر فيه للأئمّة الاثني عشر بأسمائهم وأعيانهم؛ بل جاء فيه ما ينقض مبدأ حصر الأئمّة، حيث قال صاحب نهج البلاغة: ".. إنّه لا بدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر.. يقاتل به العدو، وتأمن السّبل،

---

(١) كتاب أصول مذهب الشيعة.
(٢) منهاج السنة النبوية: ٢/ ١٠٥ .

(٣) (صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ كتاب الأذان، باب إمامة المفتون والمبتدع، ج ص ١٨٨، ح٦٩٦)، وأخرجه مسلم بإسناده إلى أبي ذؤءصر ٢٣ باللفظ الذي ذكره شيخ الإسلام (صحيح مسلم/ كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية: ٢/ ١٤٦٧، ١٤٦٨، ح١٨٣٧) .

ويؤخذ به للضّعيف من القوي حتى يستريح بر، ويستراح من فاجر" [(١)] .

فلم يحدد الأئمة بعدد معين. فأين تذهب الشيعة، وهي تزعم أنها تصدق بكل حرف في النهج؟!

كما أن اختلاف أقوال فرق الشيعة في هذا الأمر، وتباين مذاهبهم في تحديد عدد الأئمة وأعيانهم يكشف حقيقة هذه الدعوى، إذ كل طائفة تدحض مزاعم الأخرى وتكذبها، وكفى الله المؤمنين القتال [انظر ـ مثلاً ـ ما كتبه أبو حاتم الرازي في التشكيك بإمامة أئمة الاثني عشرية بعد جعفر الصادق [(٢)] .

ومسألة حصر الأئمة بعدد معين لا يقبلها العقل ومنطق الواقع؛ إذ بعد انتهاء العدد المعين هل تظل الأمة بدون إمام؟ ولذلك فإن عصر الأئمة الظاهرين عند الاثني عشرية لا يتعدى قرنين ونصف إلا قليلاً.

وقد اضطر الشّيعة للخروج عن حصر الأئمّة بمسألة نيابة المجتهد عن الإمام، واختلف قولهم في حدود النيابة [(٣)] . وفي هذا العصر اضطرّوا للخروج نهائيًا عن هذا الأصل الذي هو قاعدة دينهم، فجعلوا رئاسة الدّولة تتمّ عن طريق الانتخاب.. لكنهم خرجوا عن حصر العدد إلى حصر النوع فقصروا رئاسة الدولة على الفقيه الشيعي [(٤)] .

هذا ويحتجّ الاثنا عشريّة في أمر تحديد عدد الأئمّة بما جاء في كتب السّنّة عن جابر بن سمرة قال: "يكون اثنا عشر أميراً ـ فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنّه قال: كلّهم من قريش" هذا لفظ البخاري[(٥)] ، وفي مسلم عن جابر قال: سمعت ﷺ يقول: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة؛ ثم قال كلمة لم أفهمها. فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: "كلّهم من قريش" [(٦)] وفي لفظ: «لا يزال هذا الدّين عزيزاً منيعًا إلى اثني عشر خليفة؛[(٧)] ، وفي لفظ آخر: «لا يزال أمر النّاس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلا. وعند أبي داود: «لا يزال هذا الدّين قائمًا حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلّهم تجتمع عليهم الأمّة [(٨)] ؛ وأخرجه أبو داود أيضًا من طريق

---

(١) [نهج البلاغة: ص٨٢]. (٢) في كتاب "الزينة" ص: ٢٣٢-٢٣٣، (مخطوط)].

(٣) [انظر: محمد مغنية/ الخميني والحكومة الإسلاميّة: ص٦٨].

(٤) [انظر: الخميني/ الحكومة الإسلامية: ص ٤٨].

(٥) [صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف: ٨/ ١٢٧] .

(٦) [صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب النّاس تبع لقريش والخلافة في قريش: ٢/ ١٤٥٣].

(٧) [صحيح مسلم، ٢/ ١٤٥٣] .

(٨) [سنن أبي داود، أوّل كتاب المهدي: ٤/ ٤٧١].

الأسود بن سعيد عن جابر بنحو ما مضى قال: "وزاد فلما رجع إلى منزله أتته قريش فقالوا: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج"، وأخرج البزار هذه الزيادة من وجه آخر فقال فيها: "ثم رجع إلى منزله فأتيته فقلت: ثم يكون ماذا؟ قال: الهرج"[(١)].

يتعلق الاثنا عشرية بهذا النص ويحتجون به على أهل السنة، لا لإيمانهم بما جاء في كتب أهل السنة [انظر ممن يحتج بذلك من شيوخهم [(٢)]، وغيرهم كثير]، ولكن للاحتجاج عليهم بما يسلمون به. وبالتأمل في النص بكل حيدة وموضوعية نجد أن هؤلاء الاثني عشر وصفوا بأنّهم يتولّون الخلافة، وأن الإسلام في عهدهم يكون في عزة ومنعة، وأن الناس تجتمع عليهم ولا يزال أمر الناس ماضيًا وصالحًا في عهدهم. وكلّ هذه الأوصاف لا تنطبق على من تدّعي الاثنا عشريّة فيهم الإمامة، فلم يتولّ الخلافة منهم إلا أمير المؤمنين علي والحسن مدّة قليلة، ولم تجتمع في عهدهما الأمة، كما لم يقم أمر الأمة في مدة أحد من هؤلاء الاثني عشر - في نظر الشيعة أنفسهم - بل ما زال أمر الأمة فاسدًا.. ويتولى عليهم الظالمون بل الكافرون[(٣)]، المنتقى [(٤)]، وستأتي أحاديثهم في أن الناس بعد رسول الله ﷺ ارتدوا إلا ثلاثة، وبعد الحسين ارتدوا إلا ثلاثة.. إلخ]، وأن الأئمّة أنفسهم كانوا يتستّرون في أمور دينهم بالتّقية [(٥)] وأن عهد أمير المؤمنين علي وهو على كرسي الخلافة عهد تقية، كما صرّح بذلك شيخهم المفيد فلم يستطع أن يظهر القرآن، ولا أن يحكم بجملة من أحكام الإسلام، كما صرح بذلك شيخهم الجزائري، واضطرّ إلى ممالأة الصّحابة ومجاراتهم على حساب الدّين، كما أقرّ بذلك شيخهم المرتضى فالحديث في جانب ومزاعم هؤلاء في جانب آخر، ثم إنه ليس في الحديث حصر للأئمة بهذا العدد؛ بل نبوءة منه ﷺ بأن الإسلام لا يزال عزيزًا في عصر هؤلاء.

وكان عصر الخلفاء الراشدين وبني أمية عصر عزة ومنعة، ولهذا قال شيخ الإسلام: "إن الإسلام وشرائعه في زمن بني أميّة أظهر وأوسع ممّا كان بعدهم، ثم استشهد بحديث "لا يزال هذا الأمر عزيزًا إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش". ثم قال: وهكذا كان، فكان الخلفاء أبو بكر وعثمان وعلي، ثم تولى من اجتمع الناس

---

(١) (ابن حجر/ فتح الباري: ١٣/ ٢١١)].

(٢) ابن بابويه/ الخصال: ص٤٧٠، الطوسي/ الغيبة: ص٨٨، الأربلي/ كشف الغمة: ص٥٦-٥٧، البياضي/ الصراط المستقيم: ٢/ ١٠٠، شبر/ حق اليقين: ص ٣٣٨، السماوي/ الإمامة: ١/ ١٤٧.

(٣) منهاج السنة: ٤/ ٢١٠.

(٤) (مختصر منهاج السنة): ص٥٣٣.

(٥) [مختصر الصواقع: ص٢٣١ (مخطوط)].

عليه وصار له عـز ومنعة معاوية وابنه يزيد ثم عبد الملك وأولاده الأربعـة وبينهم عمر بن عبد العزيز وبعد ذلك حصل من النقص ما هو باق إلى الآن" ثم شرح ذلك(١).

ونجد أن الاثني عـشرية ترى دوام "ولاية المنتظر.. إلى آخر الدهر، وحينـئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الاثني عشـر، وإذا كان كذلك لم يبق الزمان نوعين: نوع يقـوم فـيه أمـر الأمـة، ونوع لا يقـوم بل هو قائـم في الأزمان كلهـا وهو خـلاف الحديث(٢)، وخلاف ما يعتقده هؤلاء بأن عصر الاثني عشر إلى أن يخرج المنتظر هو عصـر تقيـة من تركهـا من الشيـعة بمنزلة من ترك الصـلاة" [انظره بنصه فـي فصل "التقـية"] ، كمـا أن الأمة لم تجتـمع عليهم لأنهم لم يتـولوا حكمًا ـ ما عـدا علياً والحسن ـ بل الشيعة أنـفسهم مختلفون في شأنهم وفي أعدادهم وأعـيانهم اختلافًا لا يكاد يحصى إلا بكلفة، كما حفلت بتصوير ذلك كتب الفرق والمقالات.

ثم إنه قال في الحـديث: "كلهم من قريش" وهذا يعني أنهم لا يختـصون بعلي وأولاده "ولو كانوا مـختصين بعلي وأولاده لذكر مـا يميزون به، ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد إسـماعيل ولا من العـرب، وإن كانوا كذلك، لأنه قـصد القـبيلة التي يمتازون بها، فلو امتازوا بكونهم من بني هاشم، أو من قبيل علي لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قـريش مطلقًا علم أنهم من قريش، بل لا يخـتصون بقـبيلة، بل بنو تيم وبنو عـدي، وبنو عبـد شمس، وبنو هاشـم، فإن الخلفـاء الراشدين كـانوا من هذه القبائل"(٣).

فإذن لم يبق من الأوصـاف التي تنطبق على ما يريدون إلا مجرد الـعدد، والعدد لا يدل على شيء.. ألا ترى أن هذا الرقـم وصف به هؤلاء الخلفـاء الصلحـاء كمـا وصف به أضدادهم، فقد جاء في صحيح مسلم "في أمتي اثنا عشر منافقًا" (٤).

ويبد أن هذا الرقم الذي تدعيـه الشيعة الاثني عـشرية يعود في الأصل إلى زعم يهودي قديم ورد في كـتاب دانيال [قال أبو الحسين بن المنادي في الجزء الذي جـمعه في المهدي: فقد وجدت في كتاب دانيال: إذا مات المهدي ملك بعده خمسة رجال من ولد السبط الأكـبر، ثم خمـسة من ولد السبط الأصـغر، ثم يوصي آخرهم بالخـلافة لرجل من ولد السـبط الأكبر، ثم يمـلك بعده ولده فيـتم بذلك اثنا عشـر ملكًا، كل واحد منهم إمـام مهدي(٥). كما أشار شيخ الإسلام ابن تيـمية إلى أن في التوراة مثل

---

(١) [منهاج السنة: ٤/ ٢٠٦]. (٢) [منهاج السنة: ٤/ ٢١٠] .

(٣) [منهاج السنة: ٤/ ٢١١].

(٤) [صحيح مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ٣/ ٢١٤٣-٢١٤٤، (ح٢٧٧٩)].

(٥) (انظر: فتح الباري: ١٣/ ٢١٣).

ذلك [١] .

استدلاله على مسألة الإمامة[٢]:

من أصول الروافض "أنه لا يجوز للرعية اختيار إمام، بل لابد فيه من النص[٣]" «فالإمامة لا تكون إلا بالنّصّ [٤] " . وأن الرسول ﷺ نص على علي وأولاده [٥] ، فهم الائمة إلى أن تقوم الساعة.

وقد رأينا بدايات هذه العقيدة على أيدي السبئية، والهشامية والشيطانية. إلا أن شيوخ الشيعة ادعوا أن هذا الأمر هو من شرع الله ورسوله ﷺ، وأقوال أئمة أهل البيت.

وأخذوا يستدلون على ذلك "بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم لا يعرفها جهابذة السنة ولا نقلة الشريعة، بل أكثرها موضوع أو مطعون في طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة[٦]" .

وبالغوا كعادتهم في جمع الروايات وحشد النصوص في ذلك حتى ألف شيخهم ابن المطهر كتابًا سماه "الألفين في إمامة أمير المؤمنين" [إلا أنه لم يبلغ ما يريد فلم يصل إلى الألفين، كما عنون به كتابه، حيث لم يذكر إلا ألفًا وثمانيًا وثلاثين، مما يعدها أدلة على مقصوده[٧].

وقل من مؤلفي الشيعة من لم يتكلم عن هذه القضية ويستدل لها [٨] ، لأنها عب دينهم وعماده.

وإذا علمت أن كل هذه الروايات تفرد بنقلها حسب منطق الشيعة آحاد الناس، بل الواحد وهو علي لأنه هو الباب، ومن ادعى سماعًا من غيره فقد أشرك [٨] ، كما أن ما سوى علي وبضعه نفر من الصحابة ثلاثة أو أربعة أو سبعة ما سوى هؤلاء محكوم عليهم في كتب الشيعة بالردة، فلا تقبل روايتهم. . وتفرد الواحد بالنقل موضع شك ولا سيما والجم الغفير على خلافه. . فاضطروا حينئذ للقول بالعصمة.

---

(١) [منهاج السنة: ٤/ ٢١٠]. (٢) كتاب أصول مذهب الشيعة .

(٣) [الحر العاملي: الفصول المهمة في أصول الأئمة ص١٤٢، وانظر: ابن المطهر/ نهج المسترشدين: ص٦٣].

(٤) [المظفّر/ عقائد الإماميّة: ص١٠٣] .

(٥) [الكليني/ أصول الكافي: باب ما نص الله ورسوله على الأئمة: ١/ ٢٨٦ وما بعدها] .

(٦) [ابن خلدون/ المقدمة: ٢/٥٢٧ (تحقيق د. علي عبد الواحد وافي)].

(٧) (الأعلمي/ مقدمة الألفين: ص١٠)]. (٨) [الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٣٢٠] .

(٩) [أصول الكافي: ١/ ٣٧٧] .

ولكن العصمة كيف تثبت بخبر من ادعاها وهو واحد.. فاضطروا حينئذ للقول ببدعة أخرى وهي إثبات المعجزة للأئمة، فصارت قضية الإمامة ترتكز عندهم على ثلاث شعب: النص، والعصمة، والمعجزة.

قال شيخهم المفيد: "إن الإمامة توجب لصاحبها عند الاثني عشرية: العصمة، والنص، والمعجزة..."(١).

وقد مضى القول بأن المعجزات لا يأتي بها إلا الأنبياء، وأن الشيعة قالت بها في حق الأئمة؛ لأنهم أعطتهم معنى النبوة دون اسمها، وزعمت أنهم هم الحجة على العباد، وليس لهم في ذلك من برهان إلا اتباع ما وضعه زنادقة العصور الماضية.. قال تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء، آية: ١٦٥]، ولم يقل سبحانه: والأئمة، فحجة الله قامت على عباده بالرسل وأيدهم سبحانه بالآيات.

ولا يملك المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة في باب معجزات الأئمة إلا دعاوى مجردة لا يعجز عن تأليفها المحتالون والمتآمرون.

أما مسألة العصمة فلأهميتها في المذهب الشيعي، فقد خصص لها الفصل التالي لهذا الفصل.

ثم إن المعجزة على تقدير الصدور موقوفة على الخبر، وكيف يوثق بخبر مرتدين؟! وكذا الشأن في العصمة، ومع ذلك فإن الشيعة تولي مسألة الخبر المتمثل في دعوى النص والوصية أهمية كبرى، فهي الحجر الأول في بناء المذهب، والقاعدة الأساسية في كيانهم العقدي.

ولا شك أن النص على عين من يتولى إمامة المسلمين إلى أن تقوم الساعة غير ممكن، إلا في عقل الرافضة، وقد انتهى بهم هذا القول إلى الاستسلام لوهم كبير، حيث اضطروا إلى القول بحياة واحد من البشر قرونًا مديدة (وهو مهديهم الذي ينتظرونه) فأصبحوا ضحكة الأمم..

وقد رد عليهم عليّ الرضا ـ والذي يدعون إمامته ـ برد هو من أبلغ الردود وأقواها في هذه المسألة، والشيعة تنقله في أوثق كتبها في الرجال، حيث قال: "لو كان الله يمدّ في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه لمد الله في أجل رسول الله ﷺ"(٢).

لكن المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة يخالفون هذا الأصل الواضح ويعتقدون أن بقاء المنتظر كل هذه القرون إنما هو لحاجة الخلق بل والكون كله إليه، ولو خلت منه الأرض لساخت بأهلها.

---

(١) [العيون: ٢/١٢٧]. (٢) [رجال الكشي: ص٤٥٨].

وبعد هذا التأصيل لقضية النص، لا أعتقد أننا بحاجة إلى أن نتتبع النصوص في هذه المسألة؛ لأن هذه القضية انتهت عندهم اليوم إلى الإيمان بهذا المنتظر الذي لا يسمع له حس ولا خبر ولا يرى له عين ولا أثر. ولو كان للناس فيه حاجة لبقي رسول الله ﷺ وهو أفضل منه، ولكن الأمة في غنى بقرآنها وسنة نبيها عن كل منتظر موهوم وكتاب مزعوم، وسيأتي نقض مسألة الغيبة.

ولكن المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة ترى أن القرآن نص على "إمامتهم"، وكذلك تزعم أن أمر "النص" متفق عليه بين أهل السنة والشيعة، فهي تريد أن تشرك السنة في "أوهامها" وتخدع بذلك أتباعها.. وما دام الأمر كذلك فلندرس ما تقدمه كتب الشيعة في هذا الباب، وسنختار أقوى أدلتها في ذلك من الكتاب والسنة، ثم نعرج بعد ذلك على أدلتها الخاصة بها.

ونختم القول بنقد "مسألة النص" من الكتاب والسنة، والاعتبار العقلي، والأمور المعلمة والمتفق عليها.

أدلته من القرآن:

المائدة: نقلا من تفسير الصافى (ص ٣٩١ ـ ٣٩٢ج ١).

أقول: إنما أكملت الفرائض بالولاية لأن النبي (صلى الله عليه وآله) أنهى جميع ما استودعه الله من العلم إلى علي صلوات الله عليه ثم إلى ذريته الأوصياء واحدا بعد واحد فلما أقامهم مقامه وتمكن الناس من الرجوع إليهم في حلالهم وحرامهم واستمر ذلك بقيام واحد به بعد واحد كمل الدين وتمت النعمة انشاء الله.

نقلا من تفسير الصافى (ص ٤١٦ ـ ٤٢٠).

(٥٤) يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه القمي قال هو مخاطبة لاصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمد صلوات الله عليهم حقهم وارتدوا عن دين الله فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه يحبهم الله ويحبون الله وقد سبق معنى المحبة من الله ومن العباد أذلة على

وفي الإحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) والذين آمنوا في هذا الموضع هم المؤتمنون على الخلائق من الحجج والأوصياء في عصر بعد عصر.

نقلا من تفسير الصافى (ص ٤٢٣ - ٤٣٨)

فحج بهم وبلغ من حج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل المدينة وأهل الأطراف والأعراب سبعين ألف إنسان أو يزيدون على نحو عدد أصحاب موسى سبعين ألفا الذين أخذ عليهم ببيعة هارون فنكثوا واتبعوا العجل والسامري وكذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ البيعة لعلي بن أبي طالب (عليه

السلام) بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعو العجل سنة بسنة ومثلا بمثل واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة.

فلما وقف بالموقف أتاه جبرئيل عن الله تعالى فقال: يا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إن الله تعالى يقرؤك السلام ويقول لك إنه قد دنا أجلك ومدتك وأنا مستقدمك على ما لا بد منه ولا عنه محيص فاعهد عهدك وقدم وصيتك واعمد إلى ما عندك من العلم وميراث علوم الأنبياء من قبلك والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء فسلمها إلى وصيك وخليفتك من بعدك حجتي البالغة على خلقي علي بن أبي طالب (عليه السلام) فأقمه للناس علما وجدد عهده وميثاقه وبيعته وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم به وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية ولي ومولاهم ومولى كل مؤمن ومؤمنة عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فإني لم أقبض نبيا من الأنبياء إلا من بعد إكمال ديني واتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي وذلك كمال توحيدي وديني وإتمام نعمتي على خلقي باتباع ولي وطاعته وذلك أني لا أترك أرضي بلا قيم ليكون حجة لي على خلقي فاليوم أكملت لكم دينكم الآية بولاية ولي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علي عبدي ووصي نبي والخليفة من بعده وحجتي البالغة على خلقي مقرون طاعته بطاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) نبيّي ومقرون طاعته مع طاعة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بطاعتي من اطاعه فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني جعلته علما بيني وبين خلقي من عرفه كان مؤمنا ومن أنكره كان كافرا ومن أشرك بيعته كان مشركا ومن لقيني بولايته دخل الجنة ومن لقيني بعدواته دخل النار فأقم يا محمد عليا صلوات الله عليهما علما وخذ عليهم البيعة وجدد عليهم عهدي وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه فإني قابضك إلي ومستقدمك علي. فإنه أمر من الله عز وجل ومني ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا مع إمام معصوم.

سورة هود في الكافي عن الباقر (عليه السلام)وفي الاكمال عنه (عليه السلام) أول ما ينطق به القائم (عليه السلام) حين خرج هذه الآية (بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين)، ثم يقول أنا بقية الله، وحجته، وخليفته عليكم فلا يسلم عليه مسلم إلا قال: السلام عليك يا بقية الله في أرضه.

آل عمران والعياشي عن الباقر (عليه السلام) آل محمد صلوات الله عليهم هم حبل الله المتين الذي أمر بالإعتصام به فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.وعن الكاظم)عليه السلام) علي بن أبي طالب (عليه السلام) حبل الله المتين.

وفي المعاني عن السجاد قال الإمام منا لا يكون إلا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصا فقيل له يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما معنى المعصوم فقال هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله عز وجل ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم. ما سبق نقلا من تفسير الصافى.

الردود والنقد من كتاب أصول مذهب الشيعة: قال شيخ الطائفة كما يلقبونه الطوسي: "وأما النص على إمامته من القرآن فأقوى ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة، آية: ٥٥]"[تلخيص الشافي: ٢/ ١٠]. وقال الطبرسي: "وهذه الآية من أوضح الدلائل على صحة إمامة علي بعد النبي بلا فصل" (١).

ويكاد شيوخهم يتفقون على أن هذا أقوى دليل عندهم؛ حيث يجعلون له الصدارة في مقام الاستدلال في مصنفاتهم (٢) .

أما كيف يستدلون بهذه الآية على مبتغاهم؟ فإنهم يقولون: "اتفق المفسرون والمحدثون من العامة والخاصة أنها نزلت في علي لما تصدق بخاتمه على المسكين في الصلاة بمحضر من الصحابة وهو مذكور في الصحاح الستة" [قوله: "الصحاح الستة" تسمية غير سليمة؛ لأن أهل السنة لا يعدون جميع الكتب الستة "صحاحًا" ولذا يسمونها "الكتب الستة"، ولكن الروافض أصحاب مبالغات، وليس هذا بكثير على من يتعمد الكذب على الله ورسوله]. و"إنما" للحصر باتفاق أهل اللغة، والولي بمعنى الأولى بالتصرف المرادف للإمام والخليفة (٣) .

فأنت ترى أن المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة تعتمد في استدلالها بالآية بما روي في سبب نزولها؛ لأنه ليس في نصها ما يدل على مرادها، فصار استدلالهم بالرواية لا بالقرآن، فهل الرواية ثابتة، وهل وجه استدلالهم سليم؛ يتبين هذا بالوجوه التالية:

أولاً: أن زعمهم بأن أهل السنة أجمعوا على أنها نزلت في عليّ هو "من أعظم الدعاوى الكاذبة، بل أجمع أهل العلم بالنقل على أنها لم تنزل في علي بخصوصه،

---

(١) [مجمع البيان: ٢/ ١٢٨].

(٢) [انظر مثلاً: ابن المطهر الحلي في منهاج الكرامة، حيث اعتبره البرهان الأول (ص: ١٤٧)، وشبر في حق اليقين: ١/ ١٤٤، والزنجاني في عقائد الإمامية الاثني عشرية: ١/ ٨١-٨٢].

(٣) [شبر/ حق اليقين: ١/ ١٤٤، الزنجاني/ عقائد الإمامية الاثني عشرية: ١/ ٨١-٨٢].

وأن عليًا لم يتصدق بخاتمه في الصلاة، وأجمع أهل العلم بالحديث على أن القصة المروية في ذلك من الكذب الموضوع(١)". وقوله: إنها "مذكورة في الصحاح الستة" كذب؛ إذ لا وجود لهذه الرواية في الكتب الستة [وهو من الكذب الذي لا يستحي الشيعة من إثباته، والغريب أن هذا الزعم يجري على ألسنة آياتهم في هذا العصر كشبر، والزنجاني، فهل يخفى عليهم أن هذا لا وجود له في الكتب الستة؟!.

وقد توفرت اليوم الفهارس والمعاجم التي تكشف الحقيقة راجع: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث، ومفتاح كنوز السنة، لفظ "علي بن أبي طالب"، وراجع الكتب المعنية بجميع الروايات المتعلقة بتفسير الآيات وسبب نزولها مثل: وغيره، أو المعنية بجمع روايات الكتب الستة كجامع الأصول فلا تجد لدعواهم أصلاً.

ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وجمهور الأمة لم تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة لا الصحاح ولا السنن ولا الجوامع ولا المعجمات ولا شيء من الأمهات".

وقد ساق ابن كثير الآثار التي تروى في أن هذه الآية نزلت في علي حين تصدق بخاتمه، وعقب عليها بقوله: "وليس يصح شيء منها بالكلية لضعف أسانيدها، وجهالة رجالها"(٤).

ثانياً: أن هذا الدليل الذى يستدلون به ينقض مذهب الاثني عشرية؛ لأنه يقصر الولاية على أمير المؤمنين بصيغة الحصر "إنما" فيدل على سلب الإمامة عن باقي الأئمة، فإن أجابوا عن النقض بأن المراد حصر الآية في بعض الأوقات، أعني وقت إمامته لا وقت إمامة من بعده، وافقوا أهل السنة في أن الولاية العامة كانت له وقت كونه إمامًا لا قبله، وهو زمان خلافة الثلاثة (٥).

ثالثًا: أن الله تعالى لا يثني على الإنسان إلا بما هو محمود عنده، إما واجب وإما مستحب، والتصدق أثناء الصلاة ليس بمستحب باتفاق علماء الملة، ولو كان مستحبًا لفعله الرسول صلى الله عليه وسلم ولحض عليه، ولكرر فعله، وإن في الصلاة لشُغلاً، وإعطاء السائل لا يفوت؛ إذ يمكن للمتصدق إذا سلم أن يعطيه؛ بل إن الاشتغال بإعطاء السائلين يبطل الصلاة كما هو رأي جملة من أهل العلم (٦).

رابعًا: أنه لو قدر أن هذا مشروع في الصلاة لم يختص بالركوع، فكيف يقال:

---

(١) [منهاج السنة: ٤/٤].
(٢) الدر المنثور: ٣/١٠٤-١٠٦ .
(٣) (منهاج السنة: ٤/٥)].
(٤) [تفسير ابن كثير: ٢/٧٦-٧٧].
(٥) [انظر: روح المعاني: ٦/١٦٨].
(٦) [منهاج السنة: ج ص ٢٠٨، ج ص ٥] .

لا ولي إلا الذين يتصدقون في حال الركوع، فإن قيل: هذه أراد بها التعريف بعلي، قيل له: أوصاف علي التي يعرف بها كثيرة ظاهرة، فكيف يترك تعريفه بالأمور المعروفة ويعرف بهذا الأمر الذي لا يعرفه إلا من سمعه وصدق به؟! وجمهور الأمة لا تسمع هذا الخبر ولا هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة (١) .

خامسًا: وقولهم: إن علياً أعطى خاتمه زكاة في حال ركوعه فنزلت الآية - مخالف للواقع؛ ذلك أن عليًا رضي الله عنه لم يكن ممن تجب عليه الزكاة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه كان فقيراً، وزكاة الفضة إنما تجب على من ملك النصاب حولاً وعلي لم يكن من هؤلاء.

كذلك فإن إعطاء الخاتم في الزكاة لا يجزي عند كثير من الفقهاء إلا إذا قيل بوجوب الزكاة في الحلي، وقيل إنه يخرج من جنس الحلي، ومن جوز ذلك بالقيمة فالتقويم في الصلاة متعذر، والقيم تختلف باختلاف الأحوال (٢) .

سادسًا: لما تبين أن الروايات التي أولوا بمقتضاها الآية باطلة سنداً ومتنًا، فلا متمسك لهم حينئذ بالآية بوجه سائغ؛ بل إن الآية حجة عليهم؛ لأنها جاءت بالأمر بموالاة المؤمنين، والنهي عن موالاة الكافرين [حتى وإن ثبت أن لها سبب نزول خاص (راجع كتب التفسير في سبب النزول)، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب]، وليس للرافضة - فيما يظهر من نصوص وتاريخها - من ذلك نصيب.

وهذا المعنى يدرك بوضوح من سياق الآيات؛ إذ قبل هذه الآية الكريمة جاء قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة، آية: ٥١]. فهذا نهي صريح عن موالاة اليهود والنصارى بالود والمحبة والنصرة.. ولا يراد بذلك باتفاق الجميع الولاية بمعنى الإمارة، وليس هذا بوارد أصلاً، ثم أردف ذلك بذكر من تجب موالاته وهو الله ورسوله والمؤمنون، فواضح من ذلك أن موالاة المحبة والنصرة التي نهى عنها في الأولى هي بعينها التي أمر بها المؤمنين في هذه الآية بحكم المقابلة كما هو بين جلي من لغة العرب.

قال الرازي: "لما نهى في الآيات المتقدمة عن موالاة الكفار، أمر في هذه الآية بموالاة من تجب موالاته" (٣) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنه من المعلوم المستفيض عند أهل التفسير خلفًا

---

(١) [منهاج السنة: ٤/ ٥]. (٢) [منهاج السنة: ٤/ ٥].

(٣) [تفسير الفخر الرازي: ١٢/ ٢٥] .

عن سلف أن هذه الآية نزلت في النهي عن موالاة الكفار، والأمر بموالاة المؤمنين(١).

سابعاً: قولهم: "إن المراد بقوله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ﴾ الإمارة - لا يتفق مع قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾؛ فإن الله سبحانه لا يوصف بأنه متول على عباده، وأنه أمير عليهم، فإنه خالقهم ورازقهم وربهم ومليكهم له الخلق والأمر، لا يقال: إن الله أمير المؤمنين كما يسمى المتولي مثل علي وغيره أمير المؤمنين [بل الرسول ﷺ أيضًا لا يقال إنه متول على الناس، وأنه أمير عليهم، فإن قدره أجل من هذا، بل أبو بكر الصديق رضي الله عنه لم يكونوا يسمونه إلا خليفة رسول الله، وأول من سمي من الخلفاء أمير المؤمنين عمر. (منهاج السنة: ٤/ ٩)]، وأما الولاية المخالفة للعداوة فإنه يتولى عباده المؤمنين فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، ومن عادى له وليًا فقد بارزه بالمحاربة [وهذه الولاية من رحمته وإحسانه ليست كولاية المخلوق للمخلوق لحاجته إليه. قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ ﴾. [الإسراء: آية: ١١١].

فالله تعالى لم يكن له ولي من الذل؛ بل هو القائل: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾. [فاطر، آية: ١٠]، فهذه الولاية هي المقصودة في الآية (٢) وقوله: ﴿ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ أي خاضعون لربهم منقادون لأمره، والركوع في أصل اللغة بمعنى الخضوع، أي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في حال الركوع وهو الخشوع والإخبات والتواضع لله"(٣).

ثامنًا: إن الفرق بين الولاية بالفتح، والولاية بالكسر معروف في اللغة، فالولاية ضد العداوة وهي المذكورة في هذه النصوص، ليست هي الولاية بالكسر التي هي الإمارة، وهؤلاء الجهال يجعلون الولي هو الأمير ولا يفرقون بين اللفظين، مع أنه واضح "أن الولاء بالفتح وهو ضد العداوة، والاسم منه مولى وولي، والولاية بالكسر والاسم منها والي ومتولي" (٤).

ولهذا قال الفقهاء: إذا اجتمع في الجنازة الوالي والولي فقيل: يقدم الوالي وهو قول أكثرهم، وقيل: يقدم الولي: فلفظ الولي والولاية غير لفظ الوالي (٥).

---

(١) [منهاج السنة: ٤/ ٥]. (٢) [منهاج السنة: ٤/ ٩].

(٣) [الكشاف للزمخشري: ١/ ٦٢٤، تفسير الرازي: ١٢/ ٢٥].

(٤) [المقدسي/ رسالة في الرد على الرافضة: ص٢٢٠-٢٢١، وراجع مختار الصحاح، مادة "ولي"].

(٥) [منهاج السنة: ٤/ ٨].

ولو أراد سبحانه الولاية التي هي الإمارة لقال: (إنما يتولى عليكم).

فتبين أن الآية دلت على الموالاة المخالفة للمعاداة الثابتة لجميع المؤمنين بعضهم على بعض[(١)] وللمزيد من التفصيل [(٢)] وما بعدها]، ولهذا جاء قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصيغة الجمع.

وإذا كانت هذه أقوى أدلتهم ـ كما يقوله شيوخهم ـ تبين أنهم ليسوا على شيء؛ ذلك أن الأصل أن يستعمل في هذا الأمر العظيم ـ والذي هو عند الشيعة أعظم أمور الدين، ومنكره في عداد الكافرين ـ صيغة واضحة جلية، يفهمها الناس بمختلف طبقاتهم، يدركها العامي، كما يدركها العالم، ويفهمها اللاحق، كما يفهمها الحاضر، ويعرفها البدوي، كما يعرفها الحضري، فلما لم يستعمل مثل ذلك في كتاب الله دل على أنه لا نص كما يزعمون، فليست الآية المذكورة ـ وغيرها مما يستدلون به ـ من ألفاظ الاستخلاف المعروفة في لغة العرب، والقرآن نزل بلسان عربي مبين. فأين يذهب المصنف وعلماء الشيعة بعد هذا؟ إما إلى الكفر بالقرآن وهو كفر بالإسلام، وإما ترك الغلو والتطرف والتعصب والرجوع إلى الحق، وهذا هو المطلوب.

هذه أقوى آية يستدلون بها من كتاب الله، ويسمونها آية الولاية، ولهم تعلق بآيات أخرى ذكرها ابن المطهر الحلي، وأجاب عليها شيخ الإسلام ابن تيمية بأجوبة جامعة [وقد قدّم الدكتور علي السالوس ـ في رسالة له بعنوان: "الإمامة عند الجعفرية والأدلة من القرآن العظيم" - عرضاً ومناقشة للآيات القرآنية الكريمة التي يستدل بها الإمامية لقولهم بالإمامة، وانتهى من ذلك إلى أن استدلالاتهم تنبني على روايات متصلة بأسباب النزول، وتأويلات انفردوا بها، ولم يصح شيء من هذا ولا ذاك بما يمكن أن يكون دليلاً يؤيد مذهبهم]، ومن يراجع كتب التفسير والحديث عندهم يلاحظ أنهم أجروا القرآن في فلك الولاية والأئمة كما مضى نقل صورة من ذلك وهذا برهان عجزهم وفشلهم.

وقد تبين أن القرآن ليس في ظاهره ما يدل على ما يذهب إليه المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة من النص على عليّ أو بقية الاثني عشر، وأن كل ما يستدلون به من آيات يحاولون أن يصرفوا معناها إلى ما يريدون بمقتضى روايات موضوعة، وتأويلات باطلة.. فهم في الحقيقة لا يستدلون بالقرآن، وإنما يستدلون بالأخبار، فدعواهم أخذ الأدلة من القرآن دعوى لا حقيقة لها.

---

(١) [منهاج السنة: ٤/ ٨].

(٢) راجع: تفسير الفخر الرازي : ١٢/ ٢٥ وما بعدها، تفسري الألوسي: ٦/ ١٦٧ .

نقض الآيات التي استدل بها المصنف وما ينقل عنهم من علماء االشيعة على إثبات الإمامة والأفضلية:

الدليل الأول: قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة:٦٧]:

قال الرافضي: اتفقوا على نزولها في علي، وروى أبو نعيم بإسناده عن عطية قال نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ في علي بن أبي طالب، ومن تفسير الثعلبي قال: معناها: بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي، فلما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: (من كنت مولاه فعلي مولاه) والنبي ﷺ مولى أبي بكر وعمر وباقي الصحابة بالإجماع، فيكون علي مولاهم فيكون هو الإمام.

الجواب:

(١) أما ما يرويه أبو نعيم في الحلية أو في فضائل الخلفاء، والنقّاش والثعلبي والواحدي ونحوهم في التفسير، فقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيراً من الكذب والموضوع.

(٢) هذه الآية - مع ما علم من أحوال النبي ﷺ تدل على نقيض ما ذكروا وهو: أن الله لم ينزلها عليه، ولم يأمره بها، فإنها لو كانت مما أمره بتبليغه لبلغه، فإنه لا يعصي الله في ذلك ولهذا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: [من زعم أن محمداً كتم شيئاً من الوحي فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ... ﴾]، ولكن أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن النبي ﷺ لم يبلغ شيئاً من إمامة علي، ولهم على هذا طرق كثيرة يثبتون بها هذا العلم.

(٣) أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله فلو كان له أصل لنقل، كما نقل أمثاله من حديثه، لاسيما مع كثرة ما ينقل في فضائل علي من الكذب الذي لا أصل له، فكيف لا ينقل الحق الصدق الذي قد بلغ للناس؟! ولأن النبي ﷺ أمر أمته بتبليغ ما سمعوا منه، فلا يجوز عليهم كتمان ما أمرهم الله بتبليغه.

عمدة أدلتهم هو ما يسمونه "حديث الغدير"، وقد بلغ من اهتمام الروافض بأمره أن ألف أحد شيوخهم المعاصرين كتابًا من ستة عشر مجلداً، يثبت به صحة هذا الحديث وشهرته سماه: "الغدير في الكتاب والسنة والأدب". فهم يرون أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما وصل إلى غدير خم [خمّ: واد بين مكة والمدينة عند الجحفة به غدير، وهذا الوادي موصوف بكثرة الوخامة. (معجم البلدان: ٢/ ٣٨٩)] بعد منصرفه من حجة الوداع بيّن للمسلمين أن وصيته وخليفته من بعده علي بن أبي طالب؛ حيث أمره الله عز وجل بذلك في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن

ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة: آية: ٦٧].

وقد أورد شيخهم المجلسي في هذا المعنى (١٠٥) من أحاديثهم [بحار الأنوار: ٣٧/ ١٠٨-٢٥٣]، وقال: "إنا ومخالفينا قد روينا عن النبي ﷺ أنه قام يوم غدير خم وقد جمع المسلمون فقال: أيها الناس، ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: اللهم بلى، قال ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله.." [بحار الأنوار: ٣٧/ ٢٢٥].

وقد أوردت كتب التفسير عندهم هذا الحديث للاحتجاج به على إمامة علي [انظر - مثلاً - مجمع البيان: ٢/ ١٥٢-١٥٣، تفسير الصافي: ٢/ ٥١-٧١، البرهان: ١/ ٤٨٨-٤٩١] عند قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ.. ﴾ الآية [المائدة، آية: ٦٧]. وكذلك سائر كتبهم التي تتحدث عن مسألة الإمامة [انظر: ابن المطهر/ كشف المراد: ص ٣٩٥، القزويني/ الشيعة في عقائدهم: ص٧١، الصادقي/ علي والحاكمون: ص٥٥-٧٦، خليل ياسين/ الإمام علي: ص٢٩٢، الزنجاني/ عقائد الإمامية الاثني عشرية: ١/ ٩٠، الأصفهاني/ عقيدة الشيعة في الإمامة: ص٥٥].

وهم يذكرون هذا الخبر في طليعة الأخبار التي يحتجون بها على أهل السنة. قال شيخهم عبد الله شبر: "ما روى العامة بأسرهم بطرق متواترة وأسانيد متضافرة تنيف على مائة طريق واتفقوا على صحته واعترفوا بوقوعه وهو حديث الغدير، ثم ذكر ملخصه بنحو ما ذكرناه آنفًا" [حق اليقين: ١/ ١٥٣، وقال الصادقي: "إن قصة الغدير لمن أثبت الآثار التي يتناقلها الرواة.." (علي والحاكمون: ص٧٢) وهي "حجة على الحاضر والغائب لئلا يكون للناس حجة بعد هذه الحجة البالغة" (علي والحاكمون: ص٧٣)].

والحديث احتج به ابن المطهر، وأجاب عليه شيخ الإسلام جوابا شافيا [انظر: منهاج السنة: ٤/ ٩-١٦، ٨٤-٨٧، المنتقى: ص٤٢٢-٤٢٥، ٤٦٦-٤٦٨]، كما ناقش الإمام محمد بن عبد الوهاب شيخهم المفيد في إيراده لهذا الحديث بالصورة التي تراها الشيعة [انظر: رسالة في الرد على الرافضة: ص ٦-٧]. وتعرض لهذا الحديث معظم أهل السنة الذين ردوا على الروافض [انظر: أبو نعيم/ الإمامة والرد على الرافضة: ص١٣، المقدسي/ رسالة في الرد على الرافضة: ص٢٢١-٢٢٤، الطفيلي/ المناظرة بين أهل السنة والرافضة: ص١٥-١٦، الألوسي/ روح المعاني: ٦/ ١٩٢-١٩٩]. ونوجز جواب أهل السنة فيما يلي:

أن الحديث زاد الوضّاعون فيه، ولا يصحّ منه في نظر طائفة من أهل العلم في الحديث إلا قوله: "من كنت مولاه فعليّ مولاه" [محمّد بن عبد الوهاب/ رسالة في الرّد على الرّافضة ص١٣ . والحديث أخرجه ابن ماجه: ١/ ٤٣ . وأخرجه الترمذي بسنده عن النبي ﷺ قال: "من كنت مولاه فعلي مولاه". قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن أبي طالب: ٥/ ٦٣٣ (ح٣٧١٣)، وابن ماجه بسنده عن البراء بن عازب قال: "أقبلنا مع رسول الله في حجته التي حج، فنزل في بعض الطرق فأمر الصلاة جامعة". فأخذ بيد علي فقال: "ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟" قالوا: بلى. قال: "ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟". قالوا: بلى. قال: "فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه". ابن ماجه: ١/ ٤٣، المقدمة (ح١١٦). لكن قال في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان (أحد رجال سند ابن ماجه)، (الزوائد: ص٦٩). وأخرجه الإمام أحمد ١/ ٨٤، قال الشيخ أحمد شاكر: الحديث متنه صحيح، ورد عن طرق كثيرة، وطرقه أو أكثرها في مجمع الزوائد (انظر: المسند: ٢/ ٥٦؛ تحقيق شاكر، ومجمع الزوائد: ٩/ ١٠٣-١٠٩)]، بينما يرى بعض أهل العلم أن الحديث لا يصح منه شيء البتة. قال ابن حزم: « وأما من كنت مولاه فعلي مولاه فلا يصح من طريق الثقات أصلاً؛ [ابن حزم/ الفصل: ٤/ ٢٢٤، وانظر: ابن تيمية/ منهاج السنة: ٤/ ٨٦، والذهبي/ المنتقى (مختصر منهاج السنة) ص٤٦٧]. ونقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعفوه [منهاج السنة: ٤/ ٨٦].

قال شيخ الإسلام: "وأما قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه" فليس هو في الصّحاح، لكن هو ممّا رواه أهل العلم وتنازع النّاس في صحّته [منهاج السنة: ٤/ ٨٦]. وأمّا قوله: "اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله" فهو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث" [منهاج السنة: ٤/ ١٦]. ثم بين شيخ الإسلام أن الكذب يعرف من مجرد النظر في متنها، لأن قوله: "اللهم انصر من نصره.." خلاف الواقع التاريخي الثابت [فإنه قاتل معه أقوام يوم "صفين" فما انتصروا، وأقوام لم يقاتلوا فما خذلوا: « كسعد ؛ الذي فتح العراق لم يقاتل معه، وكذلك أصحاب معاوية وبني أمية الذين قاتلوه فتحوا كثيراً من بلاد الكفار ونصرهم الله. (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/ ٤١٨)] فلا تصح عن رسول الله ﷺ، وأما قوله: "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه" فهو مخالف لأصل الإسلام، فإنّ القرآن

قد بيّن أنّ المؤمنين إخوة مع قتالهم وبغي بعضهم على بعض[(١)] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد ذكره لخلاف أهل العلم في ثبوت قوله: "من كنت مولاه فعلي مولاه"-: إن لم يكن النبي ﷺ قاله فلا كلام، فإن قاله فلم يرد به قطعًا الخلافة بعده؛ إذ ليس في اللفظ ما يدل عليه، وهذا الأمر العظيم يجب أن يبلغ بلاغًا مبينًا. . والموالاة ضد المعاداة. وهذا حكم ثابت لكل مؤمن [وإنما خص بذلك علي لسبب سيأتي بيانه]، فعلي رضي الله عنه من المؤمنين الذين يتولون المؤمنين ويتولونه، وفي هذا الحديث إثبات إيمان علي في الباطن، والشهادة له بأنه يستحق الموالاة باطنًا وظاهرًا، ويرد ما يقوله فيه أعداؤه من الخوارج والنواصب، ولكن ليس فيه أنه ليس من المؤمنين مولى غيره، فكيف ورسول الله ﷺ له موال وهم صالحو المؤمنين [(٢)].

قال الفيروزآبادي صاحب القاموس: "وأما ما يظنه من يظن من الرافضة أن في الآية [وهي قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.. ﴾] أو في الحديث دلالة على أن عليًا ـ رضي الله عنه ـ هو الخليفة بعد النبي ﷺ فمن الجهل المقطوع بخطأ صاحبه؛ فإن الولاية بالفتح هي ضد العداوة، والاسم منها مولى ووليّ، والولاية بكسر الواو هي الإمارة، والاسم منها والي ومتولي. . والموالاة ضد المعاداة وهي من الطرفين كقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ [التحريم، آية: ٤]، وقال: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [محمد، آية: ١١]. وقال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة، آية: ٧١][(٣)] والآيات في هذا المعنى كثيرة [انظر: المعجم المفهرس، مادة "ولي"]. ويبدو أن الرافضة وجدوا أن الحديث لا يخدم أغراضهم، فزادوا فيه زيادات فاحشة.

وقد رأى الإمام محمد بن عبد الوهاب في جملة من الزيادات التي زادها الروافض في هذا الحديث ما هو كفر بإجماع المسلمين [(٢)] ومن يقرأ زياداتها في ذلك من خلال ما جمعه المجلسي في بحاره يرى من الكفر والضلال ما يستغرق شرحه الصفحات الطوال، ويكفي في الحكم بكذبه مجرد النظر إلى متنه.

ومن المعلوم لغة وعقلاً وعرفًا، فضلاً عن الشرع أن الاستخلاف لا يكون بمثل

---

(١) [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤/٤١٨]. (٢)[منهاج السنة: ٤/٨٦].
(٣) [القضاب المشتهر، الورقة (١٣)].
(٤) [انظر: رسالة في الرد على الرافضة ص ٦ وما بعدها]،

هذه الألفاظ، لذلك قال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كما يروي البيهقي ـ حينما قيل له: ألم يقل رسول الله ﷺ لعلي: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ فقال: أما والله إن رسول الله ﷺ إن كان يعني الإمرة والسلطان والقيام على الناس بعده لأفصح لهم بذلك، كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت، ولقال لهم: إن هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا شيء، فإن أنصح الناس للمسلمين رسول الله ﷺ [البيهقي/ الاعتقاد: ص١٨٢-١٨٣، وانظر: تهذيب تاريخ دمشق: ٤/ ١٦٩، أبو حامد المقدسي/ رسالة في الرد على الرافضة: ص٢٢٢-٢٢٣].

والمعنى الذي في الحديث يعمّ كلّ مؤمن، ولكن خصّ بذلك عليًّا ـ رضي الله عنه ـ لأنّه قد نقم منه بعض أصحابه، وأكثروا الشكاية ضدّه حينما أرسله النبيّ ﷺ إلى اليمن قبل خروجه من المدينة لحجّة الوداع [سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٠٣، البداية والنّهاية: ٥/ ١٠٤-١٠٥]، ولذلك قال البيهقي: "ليس فيه إن صح إسناده نص على ولاية علي بعده فقد ذكرنا من طرقه في كتاب الفضائل ما دل على مقصود النبي ﷺ من ذلك، وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه وأظهروا بغضه، فأراد النبي ﷺ أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته فقال: من كنت وليه فعلي وليه، وفي بعض الروايات: من كنت مولاه فعلي مولاه، والمراد به ولاء الإسلام ومودته. وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضًا ولا يعادي بعضهم بعضًا" [الاعتقاد: ص١٨١، ونشير في ختام القول عن حديث الغدير إلى الملاحظات التالية:

أولاً: أن قوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [المائدة، آية:٦٧] نزلت قبل حجّة بمدّة طويلة، ويوم الغدير إنّما كان ثمان عشر ذي الحجّة بعد رجوعه من الحجّ، فقولهم بأنّه حينما نزلت عليه هذه الآية خطب خطبة الغدير هو من وضع من لا يعرف كيف يضع.

ثانياً: أنّ الذي رواه مسلم بأنّه بغدير خم قال: "إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنّور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به" فحثّ على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي.. " (صحيح مسلم كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ٢/ ١٨٨٣ (ح٢٤٠٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: وهذا ما انفرد به مسلم ولم يروه البخاري، وليس

فيه إلا الوصيّة باتّباع كتاب الله، وهذا أمر قد تقدّمت الوصيّة به في حجّة الوداع، وهو لم يأمر باتّباع العترة ولكن قال: "أذكّركم الله في أهل بيتي"، وتذكر الأمة لهم يقتضي أن يذكروا ما تقدم الأمر به قبل ذلك من إعطائهم حقوقهم، والامتناع من ظلمهم، وهذا أمر قد تقدم بيانه قبل غدير خم، فعلم أنه لم يكن في الغدير أمر بشرع نزل لا في حق علي ولا غيره[1].

وقال الفيروزآبادي: إن قوله: "أذكركم الله في أهل بيتي" ليس مما يختص بعلي - رضي الله عنه - بل هو مشترك بين جميع أهل البيت: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس، وأبعد الناس من قبول هذه الوصية هم الرافضة فإنهم يعادون جمهور آل البيت، ويعاونون الكفار على أهل البيت[2].

من تفسير ابن كثير:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ(٦٧) ﴾.

يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمداً ﷺ باسم الرسالة، وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتمّ القيام.

قال البخاري عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة قالت: من حدّثك أن محمداً ﷺ كتم شيئًا مما أُنزل عليه فقد كذب الله يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية. هكذا رواه ههنا مختصراً، وقد أخرجه في مواضع من صحيحه مطولاً. وكذا رواه مسلم في "كتاب الإيمان"، والترمذي والنسائي في "كتاب التفسير" من سننهما من طرق، عن عامر الشعبي، عن مسروق بن الأجدع، عنها رضي الله عنها [3].

وفي الصحيحين عنها أيضا أنها قالت: لو كان محمد ﷺ كاتمًا من القرآن شيئًا لكتم هذه الآية: ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٣٧] [4].

---

(١) (منهاج السنة: ٤/ ٨٥). (٢) (القضاب المشتهر، الورقة١٣)].

(٣) صحيح البخاري برقم (٤٦١٢) وبرقم (٤٨٥٥، ٧٣٨٠) وصحيح مسلم برقم (١٧٧) وسنن الترمذي برقم (٣٠٦٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١١٤٧).

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٤٢٠) لكنه رواه من حديث أنس، وقد تبع المؤلف هنا شيخه المزي حيث ذكره في تحفة الأشراف (١١/ ٣٨٥) من حديث أنس عن عائشة، ولعله اعتمد على رواية الداودي كما ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح، ورواه مسلم في صحيحه برقم (١٧٧).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا عباد، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسولُ الله ﷺ للناس. فقال: ألم تعلم أن الله تعالى قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداءَ في بيضاء. وهذا إسناد جيد، وهكذا في صحيح البخاري من رواية أبي جُحَيفَة وهب بن عبد الله السّوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب، رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فَهمًا يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر [١].

وقال البخاري: قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم[٢]. وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابه نحو من أربعين ألفًا كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله ؛ أن رسول الله ﷺ قال في خطبته يومئذ: "أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون ؟" قالوا: نشهد أنك قد بَلّغت وأدّيتَ ونصحت. فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويَقلبها إليهم ويقول: "اللهم هل بَلَّغْتُ، اللهم هل بلغت" [٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن نُمير، حدثنا فضيل - يعني ابن غَزْوان - عن عكْرمَة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: "يأيها الناس، أيّ يوم هذا! ؟" قالوا: يوم حرام. قال: "أيّ بلد هذا ؟" قالوا: بلد حرام. قال: "فأيّ شهر هذا؟" قالوا: شهر حرام. قال: "فإن أموالكم ودماءكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا". ثم أعادها مراراً. ثم

---

(١) صحيح البخاري برقم (١١١). (٣/ ١٥٠).

(٢) صحيح البخاري (١٣/٥٠٣) "فتح" وقال الحافظ ابن حجر: "هذا وقع في قصة أخرجها الحميدي ومن طريقه الخطيب، قال الحميدي: حدثنا سفيان قال رجل للزهري: يا أبا بكر قول النبي ﷺ: «ليس منا من شق الجيوب" ما معناه ؟ فقال الزهري: من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم. وهذا الرجل هو الأوزاعي أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الأدب، وذكر ابن أبي الدنيا عن دحيم، عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي قال: قلت للزهري فذكره".

(٣) صحيح مسلم برقم (١٢١٨).

رفع إصبعه إلى السماء فقال: "اللهم هل بلغت!" مراراً - قال: يقول ابن عباس: والله لَوصيَّةٌ إلى ربه عزوجل - ثم قال: "ألا فليبلغ الشاهدُ الغائبَ، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض". وقد روى البخاري عن علي بن المديني، عن يحيى بن سعيد عن فضيل بن غزوان، به نحوه(١). وقوله: ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني: وإن لم تُؤد إلى الناس ما أرسلتك به ﴿ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ أي: وقد عَلِم ما يترتب على ذلك لو وقع.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ يعني: إن كتمت آية مما أنزل إليك من ربك لم تبلغ رسالته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي: حدثنا قُبيصة بن عُقْبةَ حدثنا سفيان، عن رجل، عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ قال: "يا رب، كيف أصنع وأنا وحدي؟ يجتمعون عليّ". فنزلت ﴿ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾.

وقوله: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ أي: بلغ أنت رسالتي، وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم، فلا تخف ولا تحزن، فلن يصل أحد منهم إليك بسوء يؤذيك. وقد كان النبي ﷺ قبل نزول هذه الآية يُحْرَس كما قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا يحيى، قال سمعت عبد الله بن عامر بن ربيعة يحدث: أن عائشة كانت تحدث: أن رسول الله ﷺ سَهِر ذات ليلة، وهي إلى جنبه، قالت: فقلتُ: ما شأنك يا رسول الله ؟ قال: "ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ؟" قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال: "من هذا؟" فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: "ما جاء بك ؟" قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت: فسمعت غطيط رسول الله ﷺ في نومه. أخرجاه في الصحيحين من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري، به (٢).

وفي لفظ: سَهِر رسول الله ﷺ ذات ليلة مَقْدَمه المدينة. يعني: على أثر هجرته [إليها] بعد دخوله بعائشة، رضي الله عنها، وكان ذلك في سنة ثنتين منها.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا إبراهيم بن مرزوق البصري نزيل مصر، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا الحارث بن عُبَيد - يعني أبا قدامة - عن الجُرَيري، عن عبد الله بن شَقِيق، عن عائشة [رضي الله عنها] قالت: كان النبي ﷺ يُحْرَس حتى نزلت

---

(١) المسند (١/ ٢٣٠) وصحيح البخاري برقم (١٧٣٩).
(٢) المسند (٦/ ١٤٠) وصحيح البخاري برقم (٢٨٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).

هذه الآية: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ قالت: فأخرج النبي ﷺ رأسه من القُبَّة، وقال: "يأيها الناس، انصرفوا فقد عصمني الله عز وجل".

وهكذا رواه ابن جرير والحاكم في مستدركه، من طرق مسلم بن إبراهيم، به. ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وكذا رواه سعيد بن منصور، عن الحارث بن عُبَيد أبي قدامة [الأيادي] عن الجُرَيري، عن عبد الله بن شَقِيق، عن عائشة، به (١).

ومن عصمة الله [عز وجل لرسوله حفْظُه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعَانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبَغْضة ونصب المحاربة له ليلا ونهاراً، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقَدَره وحكمته العظيمة. فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيراً في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيراً، ثم قيض الله [عز وجل] له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم - وهي المدينة، فلما صار إليها حَمَوه من الأحمر والأسود، فكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، لما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سم اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به وحماه [الله] منه ؛ ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القَطَّان، حدثنا زيد بن الحُبَاب، حدثنا موسى بن عبيدة، حدثني زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: لما غزا رسول الله ﷺ بني أنمار، نزل ذات الرِّقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه، فقال غَوْرَث بن الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً. فقال له أصحابه: كيف تقتله ؟ قال: أقول له: أعطني سيفك. فإذا أعطانيه قتلته به، قال: فأتاه فقال: يا محمد، أعطني سيفك أشيمُه. فأعطاه إياه، فَرُعِدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله ﷺ: "حال الله بينك وبين ما تريد" فأنزل الله، عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ وهذا حديث غريب من هذا الوجه وقصة "غَوْرَث بن الحارث"

---

(١) سنن الترمذي برقم (٥٠٣٧) وتفسير الطبري (١٠/٤٦٩) والمستدرك (٢/٣١٣) وسنن سعيد بن منصور برقم (٧٦٨).

مشهورة في الصحيح (١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، سمعت أبا إسرائيل - يعني الجُشَمي - سمعت جَعْدَة - هو ابن خالد بن الصِّمَّة الجشمي - رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ورأى رجلا سمينًا، فجعل النبي ﷺ يومئ إلى بطنه بيده ويقول: "لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك". قال: وأتي النبي ﷺ برجل فقال: هذا أراد أن يقتلك. فقال النبي ﷺ: «لم تُرَع، ولم تُرَع، ولو أردتَ ذلك لم يسلطك الله عليّ". وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: بلغ أنت، والله هو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء، كما قال: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢] وقال ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴾ [الرعد: ٤٠].

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]:

قال الرافضي: فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الرب برسالتي، وبالولاية لعلي من بعدي) ثم قال: (من كنت مولاه، فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه! وانصر من نصره واخذل من خذله!)

الجواب:

١) أن هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالموضوعات، وهذا يعرفه أهل العلم بالحديث والمرجع إليهم في ذلك، ولذلك لا يوجد هذا في شيء من كتب الحديث التي يرجع إليها.

٢) أن هذه الآية ليس فيها دلالة على علي ولا إمامته بوجه من الوجوه، بل فيها إخبار الله بإكمال الدين وإتمام النعمة على المؤمنين، ورضا الإسلام دينا، فدعوى المدعي أن القرآن يدل على إمامته من هذا الوجه كذب ظاهر.

من تفسير ابن كثير:

وقوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ هذه أكبر نعم الله، عز وجل، على هذه الأمة حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا

---

(١) في إسناد ابن أبي حاتم موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف، والقصة أصلها في صحيح البخاري برقم (٤١٣٦).

حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خُلْف، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام: ١١٥] أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأوامر والنواهي، فلما أكمل الدين لهم تمت النعمة عليهم؛ ولهذا قال [تعالى] ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبه وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطُه أبدا.

وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عَرَفَة، فلم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات. قالت أسماء بنت عُمَيس: حَجَجْتُ مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تَجلّى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة، فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن، فبركت فأتيته فَسَجَّيْتُ عليه بُرْدا كان علي. قال ابن جُرَيْر وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوما. رواهما ابن جرير، ثم قال: حدثنا سفيان بن وَكيع، حدثنا ابن فُضَيْل، عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال: لما نزلت ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وذلك يوم الحج الأكبر، بكى عمر، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك ؟» قال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذْ أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص. فقال: «صدقت»(١). ويشهد لهذا المعنى الحديث الثابت: «إن الإسلام بدأ غَرِيبًا، وسيعود غريبا، فَطُوبَى للغُرَبَاء»(٢) وقال الإمام أحمد: حدثنا جعفر بن عَوْن، حدثنا أبو العُمَيس، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب [رضي الله عنه] فقال: يا أمير المؤمنين، إنكم تقرءون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: وأي آية ؟ قال قوله: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ فقال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله ﷺ، نزلت عَشية عَرَفَة في يوم جمعة.

---

(١) تفسير الطبري (٩/ ٥١٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وبرقم (١٤٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

ورواه البخاري عن الحسن بن الصباح عن جعفر بن عون، به. ورواه أيضا مسلم والترمذي والنسائي، من طرق عن قيس بن مسلم، به[١] ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية من طريق سفيان الثوري، عن قيس، عن طارق قال: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية، لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا. فقال عمر: إني لأعلم حين أنزلت، وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حيث أنزلت: يوم عرفة، وأنا والله بعرفة - قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية.[٢] وشك سفيان، رحمه الله، إن كان في الرواية فهو تَوَرُّعٌ، حيث شك هل أخبره شيخه بذلك أم لا؟ وإن كان شكا في كون الوقوف في حجة الوداع كان يوم جمعة، فهذا ما أخاله يصدر عن الثوري- رحمه الله - فإن هذا أمر معلوم مقطوع به، لم يختلف فيه أحد من أصحاب المغازي والسير ولا من الفقهاء، وقد وردت في ذلك أحاديث متواترة لا يشك في صحتها، والله أعلم، وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عمر. وقال ابن جرير: حدثني يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، أخبرنا رَجاء بن أبي سلمة، أخبرنا عبادة بن نُسَيّ، أخبرنا أميرنا إسحاق - قال أبو جعفر بن جرير: هو إسحاق بن خَرَشة - عن قَبِيصة - يعني ابن ذُؤيب - قال: قال كعب: لو أن غير هذه الأمة نزلت عليهم هذه الآية، لنظروا اليوم الذي أنزلت فيه عليهم، فاتخذوه عيدا يجتمعون فيه. فقال عمر: أي آية يا كعب ؟ فقال: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فقال عمر: قد علمت اليوم الذي أنزلت فيه، والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت في يوم جمعة ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد.

وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا قَبِيصة، حدثنا حماد بن سلمة، عن عمار - هو مولى بني هاشم - أن ابن عباس قرأ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ فقال يهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا يومها عيداً. فقال ابن عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم عيد ويوم جمعة[٣].

وقال ابن مَرْدُويه: حدثنا أحمد بن كامل، حدثنا موسى بن هارون، حدثنا يحيى بن الحُمَّاني، حدثنا قيس بن الربيع، عن إسماعيل بن سَلْمان، عن أبي عمر البزّار،

---

(١) المسند (١/ ٢٨) وصحيح البخاري برقم (٤٥) وصحيح مسلم برقم (٣٠١٧) وسنن الترمذي برقم (٣٠٤٣) وسنن النسائي (٥/ ٢٥١).
(٢) صحيح البخاري برقم (٤٦٠٦).
(٣) تفسير الطبري (٩/ ٥٢٥).

عن ابن الحنفية، عن علي [رضي الله عنه] قال: نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، وهو قائم عَشِيَّةَ عرفة: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ وقال ابن جرير: حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السَّكُوني، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا بن عياش، حدثنا عمرو بن قيس السكوني: أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر ينتزع بهذه الآية: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ حتى ختمها، فقال: نزلت في يوم عرفة، في يوم جمعة.

أدلته من السنة، والردود والنقد:

هذا وكما ذكرنا ما يراه المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة أنه أقوى أدلتهم من القرآن في إثبات الإمامة بحسب مفهومهم، نذكر أيضًا ما يرونه أقوى أدلتهم من السنة ونبين ما فيه.

عمدة أدلتهم من السنة(١):

أما السنة المطهرة فقد تعلق المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة في إثبات النص من طرق أهل السنة بما ورد في فضائل علي - رضي الله عنه -، ويلاحظ أن باب الفضائل مما كثر فيه الكذب، ويقال بأن الشيعة هم الأصل فيه (٢).

ولهذا تجد في كتب الموضوعات الأحاديث الموضوعة في حق علي أكثر من غيره من الخلفاء الأربعة.

والفضائل الواردة في حق علي رضي الله عنه ليست من ألفاظ النصوص والوصايا والاستخلاف، لا في لغة العرب ولا في عرفهم ولا في شريعة الإسلام ولا في عقول العقلاء، إنما هي فضائل أدخلها هؤلاء في الدعاوى. وقد قام ابن حزم بحصر الأحاديث الواردة في فضائل علي فقال: وأما الذي صح من فضائل علي فهو قول النبي ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي" [ونص الحديث - كما أخرجه البخاري -: "أنّ رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًا، فقال: أتخلفني في الصّبيان والنّساء؟ فقال: ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه ليس نبيّ بعدي"(٣). وهذا لا حجة فيه للرافضة [يقول ابن

---

(١) كتاب أصول مذهب الشيعة .

(٢) يقول ابن أبي الحديد: "الكذب في أحاديث الفضائل جاء من جهة الشيعة" [شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ١٣٤ (عن السنة ومكانتها في التشريع: ص٧٦)].

(٣) صحيح البخاري - مع الفتح - كتاب المغازي، باب غزوة تبوك: ٨/ ١٢ (ح٤٤١٦)، ورواه مسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب: ٢/ ١٨٧٠، (ح٢٤٠٤)، والتّرمذي: كتاب المناقب: ٥/ ٦٤٠-٦٤١ (ح٣٧٣٠، ٣٧٣١)، وابن ماجه، المقدّمة:

حزم في إثبات ذلك: « وهذا لا يوجب له فضلاً على من سواه ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السّلام؛ لأنّ هارون لم يل أمر بنيّ إسرائيل بعد موسى عليه السّلام، وإنّما ولي الأمر بعد موسى عليه السّلام يوشع بن نون، فتى موسى وصاحبه الذي سافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله ﷺ صاحبه في الغار الذي سافر معه إلى المدينة.

وإذا لم يكن علي نبيًّا كما كان هارون نبيًّا، ولا كان هارون خليفة، بعد موت موسى على بني إسرائيل، فصح أن كونه ـ رضي الله عنه ـ من رسول الله ﷺ بمنزلة هارون من موسى إنما هو في القرابة فقط.

وأيضًا فإنما قال له رسول الله ﷺ هذا القول إذ استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، فقال المنافقون: استقله (كذا في الأصل المحقق من الفصل، ولعلها استثقله) فخلفه، فلحق علي برسول الله ﷺ فشكى ذلك إليه، فقال له رسول الله ﷺ حينئذ: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، يريد عليه السلام أنه استخلفه على المدينة مختارًا لاستخلافه، ثم قد استخلف عليه السلام قبل تبوك وبعد تبوك على المدينة في أسفاره رجالاً سوى علي رضي الله عنه، فصح أن هذا الاستخلاف لا يوجب لعلي فضلاً على غيره، ولا ولاية الأمر بعده، كما لم يوجب ذلك لغيره من المستخلفين »[(١)].

وتشبيه علي بهارون ليس بأعظم من تشبيه أبي بكر بإبراهيم وعيسى، وتشبيه عمر بنوح وموسى (كما روى ذلك[(٢)]، وروى الترمذي في كتاب الجهاد طرفًا منه ٤/ ٢١٣). فإن هؤلاء الأربعة أفضل من هارون، وكل من أبي بكر وعمر شبه باثنين لا بواحد، فكان هذا التشبيه أعظم من تشبيه علي، مع أن استخلاف علي له فيه أشباه وأمثال من الصحابة، وهذا التشبيه ليس لهذين فيه شبيه، فلم يكن الاستخلاف من الخصائص، ولا التشبيه بنبي في بعض أحواله من الخصائص[(٣)].

وانظر في إبطال احتجاج الرافضة بهذا الحديث: شرح النووي على صحيح

١/ ٤٢-٤٣ (ح١١٥)، وأحمد: ١/ ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٥، ٣٣٠، وج ص٣٢، ٣٣٨، وج ص٣٦٩ و٤٣٨].

(١) (الفصل: ٤/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٣٨٣ (ح٣٦٣٢)، والحاكم في مستدركه: ٣/ ٢١-٢٢ .

(٣) (المنتقى: ص٣١٤-٣١٥).

مسلم: ١٥/ ١٧٤، الإمامة والرد على الرافضة لأبي نعيم ص: ٢٢١-٢٢٢، منهاج السنة: ٤/ ٨٧ وما بعدها، المنتقى ص٢١٢، ٢١٣، ٣١١، ٣١٤، فتح الباري: ٧/ ٧٤، المقدسي/ الرد على الرافضة ص٢٠١-٢٠٨، مختصر التحفة الاثني عشرية ص١٦٣-١٦٤، السالوس/ الإمامة عند الجعفرية في ضوء السنة ص٣٣-٣٤، وغيرها].

وقوله عليه السلام: "لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله" [أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب: ٧/ ٧٠ (البخاري مع الفتح)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب: ٢/ ١٨٧١-١٨٧٣]، وهذه صفة واجبة لكل مسلم وفاضل [أي ليس هذا الوصف من خصائص علي؛ بل غيره يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ولكن فيه الشهادة لعينه بذلك، كما شهد لأعيان العشرة بالجنة، فهو ليس من خصائصه فضلاً عن أن يكون نصًا على إمامته وعصمته. والرافضة الذين يقولون: إن الصحابة ارتدوا بعد موته صلى الله عليه وسلم لا يمكنهم الاستدلال بهذا؛ لأن الخوارج تقول لهم: هو ممن ارتد أيضًا، قال الأشعري: أجمعت الخوارج على كفر علي. (المقالات: ١/ ١٦٧)، وأهل السنة يبطلون قول الخوارج بأدلة كثيرة لكنها مشتركة تدل على إيمان الثلاثة.. (انظر: منهاج السنة: ٤/ ٩٨، ٩٩)].

وعهده عليه السلام: "أن عليًا لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق" [أخرجه الترمذي، في كتاب المناقب: ٥/ ٦٤٣ (ح٣٧٣٦). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح]. وقد صح مثل هذا في الأنصار- رضي الله عنهم - أنه لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر [الحديث أخرجه مسلم بسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر" (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق: ج ص٨٦ (ح١٣٠)، وهناك أحاديث في الأنصار مطابقة للفظ الوارد في علي رضي الله عنه، منها ما أخرجه الشيخان أن النبي ﷺ قال: "الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق" البخاري - مع الفتح - كتاب مناقب الأنصار، باب حب الأنصار من الإيمان: ٧/ ١١٣ (ح٣٧٨٣، ٣٧٨٤)، ومسلم، في الموضع السابق (ح١٢٩)، والترمذي، كتاب المناقب، باب فضل الأنصار وقريش: ٥/ ٧١٢ (ح٣٩٠٠)].

وأمّا "من كنت مولاه فعليّ مولاه" [سيأتي تخريجه، والتعليق عليه]، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً.

"وأما سائر الأحاديث التي تتعلق بها الرافضة فموضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلتها" [الفصل: ٤/ ٢٢٤].

وقد نقل هذا النص عن ابن حزم شيخ الإسلام ابن تيمية وعقب عليه بقوله: « فإن قيل: لم يذكر ابن حزم ما في الصحيحين من قوله: "أنت مني وأنا منك" [راجع: صحيح البخاري ـ مع الفتح ـ كتاب الصلح: ٥/ ٣٠٣-٣٠٤ (ح٢٦٩٩)، وكتاب المغازي، باب عمرة القضاء: ٧/ ٤٩٩ (ح٤٢٥١)].

وحديث المباهلة [وهو في مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص قال: «. . . ولما نزلت هذه الآية: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ ﴾ [آل عمران، آية: ٦١] دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: "اللهم هؤلاء أهلي".

(صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ٢/ ١٨٧١). وهذا "لا دلالة فيه على الإمامة ولا على الأفضلية. . والمباهلة إنما تحصل بالأقربين إليه، وإلا فلو باهلها بالأبعدين في النسب، وإن كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود" (انظر تفصيل الرد على الروافض في احتجاجهم بهذا الحديث في: منهاج السنة: ٤/ ٣٤-٣٦، المقدسي/ رسالة في الرد على الرافضة ص٢٤٣-٢٤٥)] والكساء [وهو في مسلم من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط (يعني كساء) مرحّل (هو الموشى المنقوش عليه صور رجال الإبل) من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله. ثم جاء الحسين فدخل معه. ثم جاءت فاطمة فأدخلها. ثم جاء علي فأدخله. ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ [الأحزاب، آية: ٣٣]. «صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ: (٢/ ١٨٨٣ ح٢٤٢٤)، وانظر: في الرد على تعلق الرافضة بهذا الحديث: منهاج السنة: ٤/ ٢٠-٢٥، وانظر: المقدسي، رسالة في الرد على الرافضة ص٢٤٦، مختصر التحفة: ص١٥٥-١٥٦)]؟ قيل: مقصود ابن حزم الذي في الصحيح من الحديث الذي لا يذكر فيه إلا علي، وأما تلك ففيها ذكر غيره، فإنه قال لجعفر: "أشبهت خلقي وخلقي". وقال لزيد: "أنت أخونا ومولانا"، وحديث المباهلة والكساء فيهما ذكر علي، وفاطمة، وحسن، وحسين رضي الله عنهم فلا يرد هذا على ابن حزم" [منهاج السنة: ٤/ ٨٦].

ولكن الرافضة قد توسعوا في هذا الباب، واختلقوا الروايات، وزادوا على النصوص الصحيحة نصوصًا كاذبة. . وقد ذكرت كتب الموضوعات جملة من الروايات التي يستند إليها الروافض[(١)]، قال ابن الجوزي: "فضائله ـ يعني عليًا ـ الصحيحة كثيرة، غير أن الرافضة لم تقنع، فوضعت له ما يضع ولا يرفع" [(٢)] .

وتجدهم في كتبهم يحتجون بكثير من الروايات التي يعزونها لكتب أهل السنة من باب الخداع والكذب إذ لا وجود لها أصلاً، ولذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ورأيت كثيراً من ذلك المعزو الذي عزاه أولئك (يعني بهم شيوخ الروافض الذين اطلع على كتبهم) إلى المسند والصحيحين وغيرهما باطلاً لا حقيقة له" [(٣)].

وقد جمع ابن المطهر الحلي جل ما يحتجون به في هذا الباب، وكشف شيخ الإسلام ما فيها من حق وباطل في "منهاج السنة" [ولا سيما في المجلد الأخير منه، وقد قام د. علي السالوس بجمع كل الأحاديث المتصلة بالإمامة والموجودة في الكتب الستة والموطأ ومسند أحمد ودرسها سنداً ومتنًا، وانتهى إلى أن السنة النبوية لا تؤيد ما ذهب إليه الجعفرية في مسألة الإمامة؛ بل تنقضه بأحاديث صحيحة ثابتة. (انظر: الإمامة عند الجعفرية في ضوء السنة)].

لكن للروافض وسائل خفية ماكرة في طريقتهم في الاحتجاج من كتب أهل السنة، لعل أول من تولى كشفها وشرحها علامة الهند شاه عبد العزيز الدهلوي في كتابه التحفة الاثني عشرية [انظر: التحفة الاثني عشرية، الورقة ٤٤ وما بعدها، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص٣٢ وما بعدها]، وكذلك فعل شيخ العلماء الأعلام فريد دهره ووحيد عصره ـ كما يصفه الألوسي ـ الشيخ محمد الشهير بخواجة نصر الله الهندي المكي في كتابه "الصواعق المحرقة" وقد اختصره الألوسي ـ رحمه الله ـ وسماه "السيوف المشرقة" [انظر: السيوف المشرقة، ومختصر الصواقع المحرقة، الورقة ٥٠ وما بعدها].

والشيخ السويدي ـ رحمه الله ـ قد ساهم في ذلك في كتابه "نقض عقائد الشيعة" [انظر: نقض عقائد الشيعة، وهو مخطوط غير مرقم الصفحات وبالعد ينظر الورقة ٢٥ وما بعدها.

وبعد أن عرضنا لأهم دليل عندهم من كتاب الله، وأقوى دليل عندهم من سنة رسول الله ﷺ ندع استعراض باقي أدلتهم إلى كتب أهل السنة التي تتبعت شبه

---

(١) [انظر مثلاً: الموضوعات لابن الجوزي: ١/ ٣٣٨ وما بعدها].
(٢) [الموضوعات لابن الجوزي: ١/ ٣٣٨]. (٣) [منهاج السنة: ٤/ ٢٧].

الروافض التي يثيرونها من كتب السنة وأتت عليها من القواعد.

ولا شك أن التعرف على هذه الشبه والرد عليها أمر ميسور، إذ يكفي الرجوع إلى منهاج السنة وما ماثله من كتب أهل السنة.. ولكن استعراضها كلها في بحثنا يستوعب المجلدات ولن يأتي بجديد.. ولذلك اقتصرنا على أقوى دليل عندهم من الكتاب والسنة.

وسبب آخر في غاية الأهمية وهو أن هؤلاء الروافض لا يؤمنون أصلاً بما جاء عن طريق أهل السنة ولو كان في غاية الصحة ـ كما سلف ـ لكنهم يثيرون هذه الشبهات ليحققوا بها أمرين ـ فيما أرى -:

الأول: إقناع المتشككين والحائرين من أتباعهم، وذلك بخداعهم أن هذه العقائد متفق عليها بين السنة والشيعة، ولكن أهل السنة يكابرون.

الثاني: إشغال أهل السنة بهذه المسائل والدفاع عنها حتى لا يتمكنوا من الوصول إلى كتب الروافض المعتمدة في الحديث والرجال والتفسير ودراستها بعين بصيرة ناقدة.. وكشف الأمر أمام الأتباع الجهلة.

ولذلك أقول: إن علماء السنة قدموا جهداً عظيماً في مواجهة الأمر الأول، أما الثاني فإن عدم توفر كتب الروافض ـ فيما يظهر ـ حال بينهم وبين نقدها، وكشف ما فيها، إلا في العصور المتأخرة، حيث بدأ علماء الهند والباكستان الإسهام في ذلك. والموضوع لا يزال بحاجة إلى مواصلة هذا الطريق وتضافر الجهود، بدراسات علمية موضوعية تبين الحقيقة وتكشف الزيف أمام أولئك المغرورين والمخدوعين.

ونعود الآن إلى مسألة النص في كتب الشيعة بعد أن أشرنا إلى أقوى أدلتهم من طريق السنة.

النص في كتب الشيعة:

نقلا من تفسير الصافى آل عمران (١٠٣) واعتصموا بحبل الله

والقمي: الحبل التوحيد والولاية. والعياشي عن الباقر (عليه السلام) آل محمد صلوات الله عليهم هم حبل الله المتين الذي أمر بالإعتصام به فقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا.

وعن الكاظم (عليه السلام) علي بن أبي طالب (عليه السلام) حبل الله المتين.

وفي المعاني عن السجاد قال الإمام منا لا يكون إلا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصا فقيل له يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما معنى المعصوم فقال هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله عز وجل ان هذا القرآن يهدي للتي

هي أقوم.

النساء (٥٩) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم.

في الكافي والعياشي عن الصادق (عليه السلام) أيانا عنى خاصة أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامة بطاعتنا. وفيه والعياشي عنه (عليه السلام) في هذه الآية قال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام فقيل ان الناس يقولون فماله لم يسم عليا وأهل بيته في كتابه فقال فقولوا لهم نزلت الصلاة ولم يسم الله لهم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فسر ذلك لهم ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهما درهم حتى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي فسر ذلك لهم ونزل الحج فلم يقل طوفوا اسبوعا حتى كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولي الأمر.

منكم ونزلت في علي والحسن والحسين (عليهم السلام) فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في علي من كنت مولاه فعليّ مولاه، وقال أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي فإني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما عليّ الحوض فاعطاني ذلك وقال لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وقال انهم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة فلو سكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين من أهل بيته لادعاها آل فلان وآل فلان ولكن الله أنزل في كتابه تصديقا لنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فكان علي والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فادخلهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت الكساء في بيت أم سلمة ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم) اللهم ان لكل نبي أهلا وثقلا وهؤلاء أهل بيتي وثقلي فقالت أم سلمة ألست من أهلك فقال انك على خير ولكن هؤلاء أهل بيتي وثقلي (الحديث). وزاد العياشي آل عباس وآل عقيل قبل قوله وآل فلان وآل فلان. وعن الصادق (عليه السلام) انه سئل عما بنيت عليه دعائم الإسلام إذا أخذ بها زكى العمل ولم يضر جهل ما جهل بعده فقال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإقرار بما جاء به من عند الله وحق في الأموال الزكاة والولاية التي أمر الله بها ولاية آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال من مات ولا يعرف امامه مات ميتة جاهلية قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فكان علي (عليه

السلام) ثم صار من بعده الحسن ثم من بعده الحسين ثم من بعده علي بن الحسين ثم من بعده محمد بن علي ثم هكذا يكون الأمر ان الأرض لا تصلح إلا بإمام (عليهم السلام) (الحديث).

وفي المعاني عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه سئل ما أدنى ما يكون به الرجل ضالا فقال أن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته وجعل حجته في أرضه وشاهده على خلقه قال فمن هم يا أمير المؤمنين قال الذين قرنهم الله بنفسه ونبيه فقال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم قال فقبلت رأسه وقلت أوضحت لي وفرجت عني وأذهبت كل شك كان في قلبي.

وفي الإكمال عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضى الله عنه) قال لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرنهم الله طاعتهم بطاعتك فقال هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي صلوات الله عليهم المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرئه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي محمد وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي صلوات الله عليهم، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للإيمان قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل لشيعته الإنتفاع به في غيبته فقال أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيؤون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجلاها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن أهله والأخبار في هذا المعنى في الكتب المتداولة المعتبرة لا تحصى كثرة.

وفي التوحيد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) اعرفوا الله بالله تعالى والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالمعروف والعدل والإحسان.

وفي العلل عنه (عليه السلام) لا طاعة لمن عصى الله وانما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الأمر انما أمر الله بطاعة الرسول لأنه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية وانما أمر بطاعة أولي الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصية فإن تنازعتم أيها المأمورون في شيء من امور الدين فردوه فراجعوا فيه إلى الله إلى محكم كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه. ما سبق نقلا من تفسير الصافى

الردود والنقد

قال ابن تيمية:

أصل قول الرافضة هو دعوى النص[١] . وقد تنوعت احتجاجاتهم على مسألة النص؛ فهي تارة كتب إلهية تنزل من السماء في النص على.. وهي أخرى نصوص صريحة في القرآن في النص على الاثني عشر، ولكن هذه النصوص اختفت من القرآن علي والأئمة، ولكن هذه الكتب غابت منذ سنة ٢٦٠هـ مع الغائب المنتظر وهي ثالثة نصوص صريحة من الرسول ﷺ ولكن الأمة أجمعت على كتمانها، وكان أول من أظهر القول بها ـ كما في رجال الكشي وغيره ـ ابن سبأ وهي تارة رابعة تأويلات باطنية لآيات القرآن بالأئمة، ولكن لا يعرف هذه التأويلات إلا الأئمة.

ويدعمون ذلك بدعاوى غريبة في الأئمة من معجزات خارقة، وعصمة مطلقة وكتب موروثة، وعلوم متلقاة عن الوحي السماوي.. وعلامات في الأئمة ينفردون بها دون سائر البشر... إلخ.

وقد تفرد بنقل دعوى النص في بدايتها ابن سبأ، ثم عممت هذه الدعوى على آخرين من آل محمد اختلفت فرق الشيعة في أعدادهم وأعيانهم اختلافًا كبيرًا، وقد تولى كبرها هشام بن الحكم وشيطان الطاق كما يقوله طائفة من أهل العلم، ثم كان استقرار القول باثني عشر إمامًا بعد سنة (٢٦٠هـ) على يد ثلة ممن ادعوا واخترعوا فكرة الإمام الغائب، والنيابة عنه والارتزاق باسمه كما سيأتي في مسألة الغيبة.

ورواياتهم في النص على الأئمة قد استحوذت على حيز كبير من كتبهم المعتمدة في الكافي والبحار وكتب التفسير، وعامة كتب شيوخهم كالمفيد وابن بابويه، والطوسي، وابن المطهر وغيرهم.

وما دام قد قام ما يشبه الاتفاق بين كتب السنة والشيعة على أن الذي تولى كبر فرية النص هو ابن سبأ، ونقلت كتب الشيعة أن أحاديث النص كانت موضوع التداول السري بين العناصر المنتسبة للتشيع، ولم تعلن ذلك أمام علماء الإسلام بما فيهم أئمة أهل البيت، وهذا الجو السري مجال واسع للوضع والافتراء.

وقد كانت بداية التدوين من عناصر ليست من الإسلام في شيء لافترائها على كتاب الله، كالصفار وإبراهيم القمي والكليني والمصنف الكاشانى ينقل عنهم، فما دام الأمر كذلك فهل يثق المسلم بمثل هذه النصوص التي تكاثرت على مر الزمان؟!

وبعض الشيعة الأصوليين قد لا يثقون بكل ما جاء في هذه المدونات، حتى قال جعفر آل كاشف الغطا في كتابه "كشف الغطا" والذي تعتمد عليه الشيعة اليوم،

---

(١) [ابن تيمية/ منهاج السنة: ٣/ ٣٥٦].

قال: المحمدون الثلاثة كيف يوثق بتحصيل العلم عليهم [وهو يعني بالمحمدين الثلاثة أصحاب الكتب الأربعة].

والكتاب الوحيد الذي تطمئن الشيعة إلى كل كلمة فيه هو كتاب نهج البلاغة مع أنه لم يجمع إلا في القرن الرابع عن أمير المؤمنين في القرن الأول وليس له سند معروف(١) . فإذا كان هذا هو عمدة كتبه فما حال الكتب الأخرى؟ ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس أحد من الإمامية ينقل هذا النص بإسناد متصل فضلاً عن أن يكون متواتراً" (٢) .

ومع ذلك إذا أردنا أن نحتكم إلى نهج البلاغة نجد فيه ما ينفي دعوى النص ويهدم كل ما زعموه في هذا الباب، أو يثبت التناقض، والتناقض دليل بطلان المذهب.

جاء في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين عليًا قال ـ لما أراده الناس على البيعة -: "دعوني والتمسوا غيري فإنّنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول، وإن تركتموني فإنّي كأحدكم، ولعليّ أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير منّي لكم أميراً"(٣) وقال المفيد في الإرشاد: ومما حفظ العلماء من كلام أمير المؤمنين أنه قال: "... أتيتموني فقلتم: بايعنا، فقلت: لا أفعل، فقلتم: بلى، فقلت: لا، وقبضت يدي فبسطتموها، ونازعتكم فجذبتموه ـ كذا ـ وتداككتم عليّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها حتى ظننت أنكم قاتلي، وإن بعضكم قاتل بعضًا لدي فبسطت يدي فبايعتموني...".(٤) فهل يقول مثل هذا الكلام من يتطلع للخلافة، ويطوف بفاطمة على بيوت الصحابة يطالب بالبيعة... إلى آخر أساطير الشيعة في هذا الباب؟ وهل يبقى لدعوى النص على الإمامة وكفر من خالفه بعد هذا القول مكان؟! إذ هل يخطر بالبال أن يدعو علي الناس إلى الكفر، ذلك أن من لم يبايع الإمام المنصوص عليه هو كافر في قواميس الشيعة.. وعليّ هنا يرفض البيعة؟!].

وهذا النص يدل على أنه لم يكن منصوصًا عليه بالإمامة من جهة الرسول وإلا لما جاز أن يقول: "دعوني.. إلخ، ولعلّي.. إلخ، وأنا لكم.. إلخ" [محمود شكري الألوسي/ تعليقات على ردود الشيعة (مخطوط)].

---

(١) [انظر: ص (٣٨٩) أصول مذهب الاثنى عشرية].

(٢) [منهاج السنة: ٤/ ٢١٠]. (٣) [نهج البلاغة: ص١٣٦ .

(٤) (الإرشاد: ص ١٣٠-١٣١ ط: الأعلمي بيروت، وص: ١٤٣-١٤٤ ط: الحيدرية بالنجف).

فكيف يرفض الإمام المعصوم مبايعته بالإمامة في قوله: "دعوني" مع أن ذلك أهم ركن من أركان الدين؟ وكيف يأمرهم بمبايعة غيره في قوله: "التمسوا غيري" مع أن كتب الشيعة تقول: ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يكلمهم ولهم عذاب أليم: "من بايع إمامًا ليس من عند الله.."؟!

فهل يأمرهم بالكفر بعد الإيمان.. أو أن دعاوى الشيعة في هذا الباب لا صلة لها بالإمام عليّ، وإنما هي دسيسة حاقد، وصنيعة كافر موتور.. أراد تفرقة الأمة وبث النزاع والخلاف في صفوفها؟

إن ابن المطهر الحلي يقرر بأن من طلب الإقالة فليس بإمام؛ إذ "لو كان إمامًا لم يجز له طلب الإقالة" [1] فكيف بمن يرد بيعته، ويأمر بمبايعة غيره.. ألا تكون من باب أولى ألا يكون عنده نص بإمامته من لدن رسول الله ﷺ؟!

وهذا المعنى الذي جاء في النهج يتفق مع ما أثبتته القرائن والأحداث التاريخية من أن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ما كانوا يتطلعون لمنصب الخلافة، ولا يستشرفونه.. لأن ذلك في نظرهم أمانة عظيمة، وتكليف باهظ.

"وقد اتفق أهل السنة والشيعة على أن عليًا لم يدع إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ولا بايعه على ذلك أحد" [2] ولكن الشيعة تفسر ذلك بتفسير لا يليق بمقام أمير المؤمنين؛ إذ "تعتقد أنه كان يريد ذلك، وتعتقد أنه الإمام المستحق للإمامة دون غيره ولكن كان عاجزًا عنه" [3] فكان يلوذ بالتقية، وتخلى عن أعظم أمر من أمور الدين كما يراها هؤلاء، وهذا ما حدا بطائفة من الشيعة وهي الكاملية إلى تكفيره ـ رضي الله عنه ـ لتخليه عن المطالبة بهذا الأمر، وهذا لأن من وضع هذا الاعتقاد لا يقصد نصرة أمير المؤمنين ومشايعته وإنما يرمي إلى تفرقة الأمة والكيد لها.. ولهذا كانت النتيجة لمقالته الحكم بالضلال على جميع الأمة بما فيهم أمير المؤمنين علي.

ثم قرر أمير المؤمنين ـ كما يذكر صاحب النهج ـ في قوله: "ولعليّ أسمعكم وأطوعكم لِمَن وليّتموه أمركم" بأنه رضي الله عنه سيكون أكثر سمعًا وطاعة لمن ولاه المسلمون واختاروه خليفة.. وهذا ينقض دعوى التّقية في مبايعته لمن سبقه وطاعته لهم رضي الله عنه، إذ إن من يتعامل معهم بالتقية لا يكون كأحد المسلمين المبايعين فضلاً عن أن يكون أكثرهم سمعًا وطاعة.

---

(١)[ابن المطهر/ منهاج الكرامة: ص١٩٥] .
(٢)[منهاج السنة: ١/ ٢٢٥].
(٣) [منهاج السنة: ١/ ٢٢٥] .

وقوله: "لمن وليتموه" يقتضي أن أمر الولاية يعود إلى رأي جمهور المسلمين واتفاقهم، لا إلى نص مزعوم، كما لا ينحصر في شخص معلوم.

ثم يدفع أمر مبايعته مرة أخرى وبطريق آخر في قوله: "وأنا لكم وزيراً خير مني لكم أميراً" وهذا أيضًا ينفي ما نسبه الروافض إليه ـ رضي الله عنه ـ من التفاخر بالفضائل والتظاهر بالخوارق والمعجزات.. والطعن في الخلفاء السابقين للاحتجاج على أحقيته بالإمامة. لذلك تنسف الوصية من القواعد.

وهو يشير في نص آخر إلى أن قبوله للخلافة لا عن رغبة بها ولا تطلع إليها، ولكنه استجابة لحمل المسلمين له على ذلك، ولم يدّع نصًا ولا وصيّة فهو يقول: "والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة [الإربة ـ بكسر الهمزة -: الغرض والطّلبة]، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتوني عليها.."[1].

ويذكر أن ثبوت خلافته تم بمبايعة المهاجرين والأنصار الذين كانت الشورى لهم، وكان إجماعهم هو المعتبر في هذا المقام، ولو كان هؤلاء مرتدين كما تصفهم كتب الشيعة لم يجز اعتبار بيعتهم وإجماعهم، ولو كان ثمة نص لم يحتج إلى بيعتهم وإجماعهم.

يقول أمير المؤمنين ـ كما في النهج -: "إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه (فطرقة بيعته لا تختلف عمّن سبقه) فلم يكن للشّاهد أن يختار ولا للغائب أن يَرُدَّ (وهذا يوحي بأن بيعته لم تكن ثابتة من قبل كما يزعم الإمامية، وإنما بعد ثبوتها بالبيعة لم يكن ثمة مجال للرد حينئذ) وإنّما الشّورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إمامًا كان ذلك رضى (فإجماعهم هو الأصل في الاختيار لا النص)، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردّوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتّباعه غير سبيل المؤمنين وولاّه ما تولى"[2].

فهذا نص صريح أيضًا في عدم وجود نص، فالشورى في أمر الإمامة هي للمهاجرين والأنصار، ومن أجمعوا عليه هو الإمام، ومن خرج عن ذلك وجب قتاله لاتباعه غير سبيل المؤمنين، ولو كان هناك نص في الإمام لم يقل علي رضي الله عنه ذلك.

فهذه النصوص من كتاب نهج البلاغة الذي ترى الشيعة أنه من الكلام الذي لا ريب فيه، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهو من كلام المعصوم على

---

(١) [نهج البلاغة: ص٣٢٢].

(٢) نهج البلاغة: ص٣٦٦-٣٦٧، وقارن ما ذكره المفيد عنه في الإرشاد ص١٣٠ ط: الأعلمي بيروت، وص١٤٣ ط: الحيدريّة النّجف]

وجـه اليقين عندهم. ولا يشك الشـيعـة في كلمـة منه، وهي تهدم كل مـا بنوه من دعاوى حول النص على عليّ والأئمة.

وهذا المعنى المروي عن علي في النهج يتفق مع مـا جاء عن طريق أهل السنة عن أمير المؤمنين فيأخذ صفة الإجماع عند الفريقين، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن وكيع عن الأعمش عن سـالم بن أبي الجعد عن عبد الله بن سبع قـال: سمعت عليًّا يقول: (وذكر أنّـه سيقتل) قالـوا: فاستخلف علينا، قـال: لا، ولكن أترككم إلى ما ترككم إليـه رسول الله ﷺ. قالوا: مـا تقول لربّك إذا أتيـته؟ قال: أقـول: "اللّهمّ تركتني فـيهما مـا بدا لك ثم قبضتني إليك وأنت فـيهم، فإن شئت أصلحـتهم، وإن شئت أفسدتهم" [(١)].

وقد قـال العباس لعلي ـ رضي الله عنـهما ـ: ".. فاذهب بـنا إليه (يعني إلى رسول الله ﷺ فنسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه وإن كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا.. "[(٢)]. وقد كان هذا كما جاء في بعض الروايات "يوم الاثنين يوم الوفاة، فدل على أنه عليه السلام توفي عن غير وصية في الإمارة"[(٣)]. وقد جاء في صحيح البخاري أنّهم "ذكروا عند عائشة أنّ عليًّا ـ رضي الله عنه وعنها ـ كان وصيًّا فقالت: متى أُوصِيَ إليه؟! وقد كنت مسندته إلى صـدري، أو قالت: حجري فدعا بالطّست، فلقد انخنث في حجري فما شعرت أنّه قد مات فمتى أوصى إليه"[(٤)].

وقد صح عن ابن عباس أنه ﷺ لم يوص "أخرجه ابن أبي شيبة من طريق أرقم بن شرحبيل عنه" [(٥)].

---

(١) [مسند أحمـد: ٢/ ٢٤٢ رقم (١٠٧٨)، وقال أحمد شاكر: إسناده صـحيح، والحديث في مجمع الزّوائـد: ٩/ ١٣٧ . وقال الهيثمي: رواه أحـمد وأبو يعلى ورجاله رجال الـصّحيح، ورواه البزّار بإسناد حسن]. وروى الإمام أحمد مثله عن أسود بن عامر بن الأعمش عن سلمة بن كهـيل عن عبد الله بن سبـع [المسند: ٢/ ٣٤٠ رقم(١٣٣٩). قال أحمد شـاكر: إسناده صحيح]. وفي هذا الباب روايات أخرى [الدارقطنـي/ السنن الكبرى: ٨/ ١٤٩، وراجع: البداية والنهاية: ٥/ ٢٥٠-٢٥١، ٧/ ٣٢٤-٣٢٥].

(٢) [صحيح البخاري/ كتاب الاستئذان: ٧/ ١٣٦].

(٣) [ابن كثير/ البداية والنهاية: ٥/ ٢٥١].

(٤) [صحـيح البخاري/ كـتاب الوصايا: ٣/ ١٨٦، وكتـاب المغازي ٥/ ١٤٣، ومسلم، كـتاب الوصيّة، باب ترك الوصيّـة لِمَن ليس له شيء يُوصي فيه: ٢/ ١٢٥٧ (ح١٦٣٦)، والنّسائي، كتاب الأحباس، باب هل أوصَى النّبيّ ﷺ: ٦/ ٢٤٠، وأحمد: ٦/ ٣٢].

(٥) [مصنف ابـن أبي شيبـة: ١١/ ٢٠٧ (ح١٠٩٨٨)، وقد صححه الحـافظ ابن حجـر (فتح الباري: ٥/ ٣٦١)].

الاستدلال بالأمور المعلومة والمتفق عليها في مسألة النص والردود والنقد:

إن لدى أهل السنة أدلة ثابتة صحيحة عندهم في أن الرسول ﷺ لم ينص على عليّ بالإمامة.

وما ينسبه المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة من نصوص لأهل السنة هي باطلة في أصلها أو في دلالتها، ولا حجة فيها عليهم.

ولدى الشيعة أدلتهم في ثبوت النص سجلوها في كتبهم الخاصة بهم، وأهل السنة لا يؤمنون بها، ويرون أنها وضعت على الأئمة من قبل بعض الروافض.

وما في كتب الشيعة من أدلة تنقض ما ادعوه في هذا الباب كما في نهج البلاغة وغيره يلجؤون في ردها إلى التأويل أو دعوى التقية، فليرجع في الحكم في هذه المسألة التي هي أصل الأصول عند الشيعة إلى الأمور المعلومة والمتواترة والمتفق عليها "نقدر ـ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ أن الأخبار المتنازع فيها لم توجد أو لم يعلم أيها الصحيح، ونترك الاستدلال بها في الطرفين، ونرجع إلى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر وما يعلم من العقول والعادات وما دلت عليه النصوص المتفق عليها" [قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن النبي ﷺ لم يبلغ شيئًا من إمامة علي، ولهم على هذا طرق كثيرة يثبتون بها هذا العلم"[1] ويكفي نقل ما ذكره شيخ الإسلام في مواضع متفرقة من المنهاج فهي كنز عظيم]:

أولاً: لندع جانب الرّوايات المختَلَف فيها ونحتكم إلى كتاب الله سبحانه عن طريق فهمه من خلال اللّغة العربيّة. فالله سبحانه أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وقد اتّفق أهل السنّة والشّيعة على حدود العربيّة، واتّفقوا على ما وضع لمفرداتها من المعاني، ومعنى هذا أنّ اللّغة العربيّة يمكن أن تكون المرجع في الحكومة في هذا الأمر.

فهل نجد في كتاب الله ذكراً للأئمّة الاثني عشر بأسمائهم، كما ذكر رسول الهدى ﷺ باسمه ووصفه؛ لأنّ الإمام عندهم كالنّبي، ومنكر الإمام كمنكر النبي أو أعظم. وهل نجد لإمامة الاثني عشر ذكراً صريحًا في كتاب الله كما ذكرت أركان الإسلام صريحة واضحة في مواضع متفرقة من كتاب الله من غير حاجة لمعرفة أصلها إلى تأويل باطني أو روايات موضوعة، والإمامة عندهم أعظم أركان الإسلام؟!

فكيف لا تذكر ولا يشار إليها؟ أليس هذا دليلاً على أنّ مزاعم الإماميّة في هذا الباب لا أصل لها؟ وحينئذ لابد من رفض هذه المزاعم لمناقضتها لكتاب الله.

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في مناقشته لابن المطهر الحلي إلى هذا المنهج

---

(١) (منهاج السنة: ٤/ ١٤) .

فقال: "فإن تركوا الرواية رأسًا أمكن أن تترك الرواية" (١)، ثم طبق هذا المنهج في الاحتجاج لإبطال دعوى الروافض في الإمامة فقال: "وهب أنا لا نحتج بالحديث فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال، آية: ٢-٤]. فشهد لهؤلاء بالإيمان من غير ذكر للإمامة.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحجرات، آية: ١٥] فجعلهم صادقين في الإيمان من غير ذكر الإمامة.

وساق شيخ الإسلام شواهد أخرى من هذا القبيل(٢)، وهي وغيرها تبين أن إمامة الاثني عشر التي تجعلها الاثنا عشرية أصل الدين وأساسه، ليس لها أصل في كتاب الله سبحانه.

ثانيًا: أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، فلو كان له أصل لنقل كما نقل أمثاله من حديثه، لاسيما مع كثرة ما ينقل في فضائل علي من الكذب الذي لا أصل له فكيف لا ينقل الحق الذي قد بلغ للناس؟! ولأن النبي ﷺ أمر أمته بتبليغ ما سمعوا منه، فلا يجوز عليهم كتمان ما أمرهم الله بتبليغه(٣).

ولو كتم الصّحابة مسألة النّصّ عليه لكتموا فضائل علي ومناقبه ولم ينقلوا منها شيئًا، وهذا خلاف الواقع، فَعُلِمَ أنّه لو كان شيء من ذلك لنقل؛ لأنّ "النّصّ على الخلافة واقعة عظيمة، والوقائع العظيمة يجب اشتهارها جدًا، فلو حصلت هذه الشهرة لعرفها المخالف والموافق، وحيث لم يصل خبر هذا النص إلى أحد من الفقهاء والمحدثين علمنا أنه كذب"(٤)، وإنما تفرد بنقله الشيعة "وهم فيه مدعون وفيما نقلوه متهمون لا سيما مع ما ظهر من كذبهم وفسقهم وبدعتهم وسلوكهم طرق الضلالة والبهت بادعاء المحال ومخالفة العقول، وسب أصحاب الرسول"(٥).

والصحابة رضوان الله عليهم نقلوا إلينا ما صدر عنه ﷺ من قوله وفعله، وأمره ونهيه، وأكله وشربه، وقعوده، ونومه، وسائر أحواله عليه الصلاة والسلام، فكيف يتصور أن ينص النبي ﷺ على علي بالخلافة ولا ينقل ذلك بحال؟!

قال ابن حزم: "وبرهان ضروري وهو أن رسول الله مات وجمهور الصحابة

---

(١) [منهاج السنة: ١/٣٢]. (٢) [منهاج السنة: ١/٣٣].
(٣) [منهاج السنة: ٤/١٤]. (٤) [الرازي/ أصول الدين: ص١٣٧].
(٥) [الآمدي/ غاية المرام: ص٣٧٧].

رضوان الله عليهم، حاشا من كان منهم في النواحي يعلم الناس الدين، فما منهم أحد أشار إلى علي بكلمة يذكر فيها أن رسول الله ﷺ نص عليه.

ومن المحال الممتنع الذي لا يمكن البتة اتّفاق أكثر من عشرين ألف إنسان متنابذي الهمم والنيّات والأنساب.. على طيّ عهد عهده رسول الله ﷺ إليهم، وما وجدنا قطّ رواية عن أحد في النّصّ المدّعى إلا رواية واهية عن مجهولين إلى مجهول يكنّى أبا الحمراء لا يعرف من هو في الخلق(١).

ثالثًا: أن الإمامة من المفرضات التي تتعلق بها مصالح الناس كلهم، فإذا قيل فيها: إن النبي ﷺ نص على أحد بعينه، والصحابة غيروا وبدلوا، أمكن حينئذ لكل ملحد أن يقول: إن الصلوات الخمس كانت عشرًا وإنما الصحابة كتموها وجعلوها خمسًا بأهوائهم، وهكذا إذا ادعى مدع تغيير ما نص عليه النبي ﷺ أمكن ذلك في جميع الفرائض ويتعدى ذلك إلى أن يحصل الثقة بشيء من أمور الدين أصلاً [دفع شبه الخوارج والرافضة: الورقة(١٥)].

رابعًا: أن قول الروافض بالنص على علي كقول من يزعم النص على العباس، فإن قالوا: ليس النص على العباس بصحيح، قيل: ولا النص على عليّ صحيح، وبإبطالهم النص على العباس يبطل النص على عليّ، لأن الكل لم يرد به نص صحيح صريح، وهناك فرق شيعية كثيرة تنازع الروافض في النص على الكثير ممن تدعي إمامته، حتى ينازعها في إمامها الثاني عشر عشرون فرقة، والكل يزعم بطلان نص الآخر. والنص في اللغة مأخوذ من المنصة وهي الظاهر على الفرس لظهوره، فأين ظهور النص، ولو كان لذلك أصل لظهر واشتهر ونقل وتداولته الألسنة وشاع بين الخاص والعام، فإن قالوا: فقد نص ولكنهم كتموه، قيل لهم: فقد نص على عمه العباس ولكنهم كتموه، وأيضًا فإذا أمكن أن يكتم مثل هذا ولا يظهر يسوغ لقائل أن يقول: إن النبي ﷺ كان له ابن ونص عليه وأن الصحابة حسدوه وقتلوه، وما أشبه هذه الدواعي الفاسدة التي لا يصير إليها عاقل (٢).

خامسًا: أنا رأينا أبا بكر حيث نص على عمر ما اختلف فيه اثنان، ولا وقع في ذلك خفاء، وكذلك حيث نص عمر على ستة أنفس من قريش ظهر ذلك عنهم ظهورًا لا يسع جحده، لا يمكن رده، ورسول الله ﷺ أفضل، ومبادرة الخلق إلى امتثال أمره أكثر، وتشوف النفوس إلى نقل ما صدر عنه أعظم، فمن المحال البين أن ينص أبو بكر على واحد ولا يقع خلاف فيمن استخلفه، ولا أمكن أحد أن يكتمه،

---

(١) [الفصل: ٤/١٦١]. (٢) [دفع شبه الخوارج والرافضة: الورقة ١٤ ب].

وكذلك عمر، بل معاوية حيث نص على يزيد، اشتهر ذلك ونقل عنه اشتهاراً ظاهراً متواتراً لا نزاع فيه ولا مراء، فكيف نقل نص معاوية، وكتم نص رسول الله ﷺ، وما نقله أحد [١]، باعتراف الشيعة الذين يقرون بأن مسألة الولاية وأحاديثها سر من أسرارهم؟!

سادسًا: كيف يقبل المهاجرون والأنصار والمسلمون جميعًا أمر أبي بكر في عمر حين استخلفه، ولم يختلف اثنان على إمامة عمر، ولا يقبلون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في علي، فهل صار المسلمون أطوع لأبي بكر من رسول الله ﷺ؟!

"كيف يحتمل عقل عاقل، أو يشتبه على بر أو فاجر ـ إلا من أراد الله فتنته ـ أن المهاجرين والأنصار وجميع التابعين لهم بإحسان علموا أن رسول الله ﷺ قد نص على علي بن أبي طالب، وأمرهم أن يوالوه فعصوه وتركوا أمر الرسول ﷺ، وأمرهم أبو بكر أن يولوا عمر بن الخطاب فاتبعوه وأطاعوه، وأمرهم عمر بن الخطاب أن يولوا الستة فلم يخالفوه ولم يعصوه" [أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه/ إمامة أبي بكر الصديق (مخطوط غير مرقم الصفحات)].

وكيف يتصور أن يقوم المسلمون بالصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد وغيرها من فرائض الإسلام ويتركون فريضة واحدة تحبط عملهم كله وهي بيعة علي، وأي مصلحة لهم في مبايعة أبي بكر وترك مبايعة علي؟ [أبو بكر محمد بن حاتم بن زنجويه/ إمامة أبي بكر الصديق (مخطوط غير مرقم الصفحات)].

سابعًا: لو كان النّصّ على عليّ صحيحًا لم يجز لعليّ رضي الله عنه أن يدخل مع السّتّة الذي نصّ عليهم عمر، وكان يقول: أنا المنصوص عليّ فلا حاجة لي إلى الدّخول فيمن نصّ عليه عمر [٢] ولم يجز له أن يبايع أبا بكر وعمر وعثمان، ولا يجوز أن يظنّ بعليّ ـ رضي الله عنه ـ أنّه أمسك عن ذكر النّصّ عليه خوف الموت، وهو الأسد شجاعة، وقد عرض نفسه للموت بين يدي رسول الله ﷺ مرّات، ثم يوم الجمل، وصفّين، فما الذي جبنه بين هاتين الحالتين؟[٣] وألجأه إلى التّقية.

وإذا كان منصوصًا عليه بالإمامة، ومفوضًا إليه أمر الأمة بعد رسول الله ﷺ، فقد قلد أمرًا يجب عليه القيام به، ومدافعة المبطل عنه بكل وجه، وإن أهمل ذلك

(١) [دفع شبه الخوارج والرافضة: الورقة ١٤-١٥ (مخطوط)] .

(٢) [دفع شبه الخوارج والرّوافض: الورقة ١٥، وقد أخرج البخاري في صحيحه قصّة البيعة والاتّفاق على عثمان بن عفّان ـ رضي الله عنه - (انظر: البخاري/ فضائل الأصحاب، باب قصّة البيعة والاتّفاق على عثمان: ٤/ ٢٠٤ وما بعدها)].

(٣) [الفصل: ٤/ ١٦٢] .

وتركه من غير سبب، فقد خالف وحاشاه من ذلك، ولو كان مغلوبًا عليه فلا بد أن يجري سبب يوجب عذره من أخذ حقه سيما مع التفويض إليه.

ورأينا عثمان بن عفان وهو أضعف عندكم من علي لم يسلمها إلى غير أهلها، ورضي بحكم الله وقضائه، ولم يضيع ما جعل إليه، ورأينا أبا بكر حيث ارتدت قبائل العرب، ومنعوا الزكاة لم يهمل أمر الأمة ولو أهمله لانهدم الإسلام، فقاتلهم ونصره الله عليهم.. وما كان في صحابة رسول الله ﷺ من يسكت عن حق رآه[1].

فكيف ينسب هؤلاء الروافض إلى أمير المؤمنين علي الرضى بالباطل، والجبن والخوف عن المطالبة بحقه، حتى ارتد الناس كلهم بسبب تأخره عن إعلان حقه والدعوة إليه، ولم يبق منهم إلا النزر اليسير ـ كما يقولون ـ وهو أسد الله وأسد رسوله؟!

بل لم ينقل أنه دعا إلى نفسه، وجادل من أجل بيعته، فضلاً عن القتال، ولو وقع ذلك لاشتهر، وقد وقعت مناسبات مهمة، وأحداث خطيرة توجب إظهار النص كحادثة السقيفة، وحادثة الشورى، فلم يفعل شيئًا من ذلك [قال شيخهم البياضي: إنما عدل عن ذلك النص لوجهين:

أ ـ لو ذكره فأنكروه حكم بكفرهم حيث أنكروا متواترًا.

ب ـ أنهم قصدوا في الشورى الأفضل فاحتج عليهم بما يوجب تقديمه[2]. فتأمل جوابه تجد أنه متناقض، حيث زعم أن عليًا تخلى عن إعلان النص خشية إنكاره، فيرتد منكره، مع أنهم يكفرون الصحابة لإنكارهم النص بزعمهم، ثم هي حجة باردة ساقطة لأنها تعني أن أصل الدين وجوهره لا يدعى إليه لئلا ينكر فيكفر منكره.

أما اعتذاره من عدم ذكره للنص في حادثة الشورى، فيكفي إقراره بأنه لم يظهرالنص إذ زعمه بأنه لا موجب لذكر النص لا يتفق مع العقل والمنطق، لاسيما وأن الأمر يتعلق بمنصب الإمامة. وهي أصل الأصول عندهم]، بل إنه دعا أصحابه إلى بيعته كما تقر الرافضة ولم يدّع نصًا [قال البياضي: "قالوا: طلب علي بيعة أصحابه دليل على عدم نصه. قلنا: الخلافة حقه فله التوصل إليها بما يمكنه"[3].

وهذا إقرار منهم بأن عليًا حين واتته الخلافة بعد عثمان لم يذكر نصًا لأصحابه، ولو كان ثمة نص لأظهره ولم يحتج الأمر إلى بيعة وانتخاب.

وقوله: "هي حقه فله التوصل إليه بما يمكنه" حجة منقوضة عندهم، لأن القضية تتعلق عندهم بإيمان الناس، أو كفرهم، وهي منصبة كالنبوة أو أعظم وليست حقًا شخصيًا، لكن الروافض يتحدثون في كل مسألة بما يوجب ـ في نظرهم ـ ردها،

---

(١) [دفع شبه الخوارج والرافضة: الورقة ١٦أ] . (٢، ٣)(الصراط المستقيم: ١/ ٢٩٩).

وينسون ما قرروه من قبل].

وقد ذكر شيخ الإسلام بأن من الطرق التي نعلم منها بالاضطرار أن النبي ﷺ لم يبلغ شيئًا من إمامة علي أن النبي ﷺ لما مات وطلب بعض الأنصار أن يكون منهم أمير، ومن المهاجرين أمير [وهذا يقر به الشيعة. انظر: الصراط المستقيم: ١/ ٢٩٩] فأنكروا ذلك عليه وقالوا: الإمارة لا تكون إلا في قريش [أخرجه الإمام أحمد: ٣/ ١٢٩، ٤/ ٤٢١، وأبو داود الطيالسي ص١٢٥ (ح٩٢٦، ٢١٣٣)، ورواه الإمام مسلم بلفظ "الناس تبع لقريش" وفي لفظ آخر "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان" (صحيح مسلم، كتاب الإمارة: ٢/ ١٤٥١-١٤٥٢ (ح١٨١٨، ١٨٢٠)].

وروى الصحابة في متفرقة الأحاديث عن النبي ﷺ أن الإمامة في قريش، ولم يرو واحد منهم لا في ذلك المجلس ولا غيره ما يدل على إمامة علي، وبايع المسلمون أبا بكر، وكان أكثر بني عبد مناف من بني أمية وبني هاشم وغيرهم لهم ميل قوي إلى علي بن أبي طالب يختارون ولايته، ولم يذكر أحد منهم هذا النص، وهكذا جرى الأمر في عهد عمر وعثمان، وفي عهده أيضًا لما صارت له ولاية لم يذكر هو ولا أحد من أهل بيته ولا من الصحابة المعروفين هذا النص.

ولو كان للنص وجود ما حصل الاختلاف في عهده، إذ لم تتفق الأمة فيه لا عليه ولا على غيره.

وقد جرى تحكيم الحكمين ومعه أكثر الناس فلم يكن في المسلمين من أصحابه فضلاً عن غيرهم من احتج في مثل هذا المقام الذي تتوفر فيه الهمم والدواعي على إظهاره، وقد احتجوا بقوله ﷺ: «تقتل عماراً الفئة الباغية" [أخرجه البخاري، في كتاب الجهاد والسير، باب مسح الغبار عن الناس: ٣/ ٢٠٧، ومسلم كتاب الفتن ٣/ ٢٢٣٥ (ح٢٩١٥)، والترمذي: كتاب المناقب، باب مناقب عمار بن ياسر: ٥/ ٦٦٩ (ح٣٨٠٠)، وأحمد: ٢/ ١٦١، ١٦٤، ٢٠٦، وجه ص٥، ٢٢، ٢٨، ٩٠، وج ص٩٧، وج ص٢١٤، ٣٠٦، جـه ص٢٨٩، ٣٠٠، ٣١١، ٣١٥]، وهذا الحديث خبر واحد أو اثنين أو ثلاثة ونحوهم، وليس هذا متواتراً، والنص عند القائلين به متواتر، فيا لله العجب كيف ساغ عند الناس احتجاج شيعة علي بذلك الحديث، ولم يحتج أحد منهم بالنص [منهاج السنة: ٤/ ١٤-١٥]؟!

أما دعوى النص على إمامة الاثني عشر، وأن الرسول ﷺ نص على ذلك فهي أعظم استحالة، وأوضح بطلانًا، وأظهر كذبًا، فلم ينقله إلا الاثنا عشرية، وسائر

فرق الشيعة تكذبها وهم فرقة من نحو سبعين فرقة من طوائف الشيعة.

والنصوص التي ينقلها الاثنا عشرية تعارضها نصوص القائلين بإمامة غير الاثني عشر من فرق الشيعة البالغة الكثرة، فإن كل طائفة تدعي من النص غير ما تدعيه الاثنا عشرية.

وهذه الدعوى لم تظهر إلا بعد موت النبي ﷺ بأكثر من مائتين وخمسين سنة، فهو من اختلاق متأخري الشيعة، ومن قبلهم يخالفهم في ذلك.

وأهل السنة وعلماؤهم وهم أضعاف أضعاف الشيعة يعلمون أن هذا كذب على رسول الله ﷺ علمًا يقينًا لا يخالطه الريب، ويباهلون الشيعة على ذلك.

والمنقول بالنقل المتواتر عن أهل البيت يكذب مثل هذا وأنهم لم يكونوا يدعون أنه منصوص عليهم بل يكذبون من يقول ذلك، فضلاً عن أن يثبتوا النص على اثني عشر [منهاج السنة: ٤/ ٢٠٩-٢١٠].

ولو كان الأمر في الإمامة على ما يقول هؤلاء الروافض لَمَّا كان الحسن رضي الله عنه في سعة من أن يسلّمها إلى معاوية رضي الله عنه، فيعينه على الضّلال وعلى إبطال الحقّ وهدم الدّين، فيكون شريكه في كلّ مظلمة، ويبطل عهد رسول الله ﷺ ويوافقه على ذلك أخوه الحسين رضي الله عنهما، فما نقض قطّ بيعة معاوية إلى أن مات، فكيف استحلّ الحسن والحسين رضي الله عنهما إبطال عهد رسول الله ﷺ إليهما طائعين غير مكرهين؟ مع أنّ الحسن معه أزيد من مائة ألف عنان يموتون دونه.

فتالله لولا أن الحسن رضي الله عنه علم أنه في سعة من إسلامهم إلى معاوية، وفي سعة من أن لا يسلمها لما جمع بين الأمرين، فأمسكها ستة أشهر لنفسه وهي سحقه، وسلمها بعد ذلك لغير ضرورة، وذلك له مباح؛ بل هو الأفضل بلا شك، لأن جده رسول الله ﷺ قد خطب بذلك على المنبر وقال: "إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين" رويناه من طريق البخاري [ابن حزم: الفصل: ٤/ ١٧٢-١٧٣، والحديث رواه البخاري في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: "ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين": ٣/ ١٦٩، وأبو داود، كتاب السنة، باب ما يدل على ترك الفتنة: ٥/ ٤٨ (ح٤٦٦٢)، الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام: ٥/ ٦٥٨ (ح٣٧٧٣)، والنسائي، كتاب الجمعة، باب مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر: ٣/ ١٠٧، وأحمد: ٥/ ٣٧-٣٨، ٤٤، ٤٩، ٥١].

هذا والبراهين المعلومة الضرورية في هذا الباب كثيرة، ويكفي بعضها لمعرفة الحق

لمن تجرد عن الهوى والتعصب. من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية

حكم من أنكر إمامة أحد الاثنى عشر:

الإمامة صنو النبوة أو أعظم، وهي أصل الدين وقاعدته الأساسية عندهم..

لهذا جاء حكم الشيعة الاثني عشرية على من أنكر إمامة واحد من أئمتهم الاثني عشر مكملاً لهذا الغلو، حيث حكموا عليه بالكفر والخلود في النار.

قال ابن بابويه: "واعتقادنا فمن جحد إمامة أمير المؤمنين والأئمّة من بعده أنّه بمنزلة من جحد نبوّة الأنبياء".

واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد ﷺ [الاعتقادات: ص١١١، بحار الأنوار: ٢٧/٦٢].

فهذا النص يقتضي أن الاثني عشرية تكفر كل فرق المسلمين حتى فرق الشيعة التي وجدت على مدار التاريخ، مع أنها تتلقى عنهم دينها، لأن رواتهم من رجالها.

وقال شيخهم الطّوسي: "ودفع الإمامة كفر، كما أنّ دفع النّبوّة كفر، لأنّ الجهل بهما على حدّ واحد" [الطّوسي/ تلخيص الشّافي: ٤/ ١٣١، بحار الأنوار: ٨/ ٣٦٨].

وهذا فيما يبدو لم يقنع ابن المطهّر الحلّي فرأى أن إنكار إمامة الاثني عشر أعظم من إنكار النبوة، فقال: "الإمامة لطف عامّ، والنّبوّة لطف خاصّ لإمكان خلو الزّمان من نبيّ حيّ بخلاف الإمام، وإنكار اللّطف العامّ شرّ من إنكار اللّطف الخاصّ" [ابن المطهر الحلي/ الألفين: ص٣].

فهو يجعل من لم يؤمن بأئمتهم أشد كفراً من اليهود والنصارى، وقد بنى ذلك على أن الزمان لا يخلو من إمام، وهو إشارة إلى عقيدتهم بالإيمان بوجود إمامهم المنتظر الغائب، والذي أنكره طوائف من الشيعة، وقرر المحققون من علماء النسب والتاريخ أنه لم يولد أصلاً ـ كما سيأتي ـ ولكن شيخ الشيعة يرى أن إنكاره أعظم الكفر.

وينقل شيخهم المفيد اتفاقهم على هذا المذهب في تكفير أمة الإسلام فيقول: "اتّفقت الإماميّة على أنّ من أنكر إمامة أحد من الأئمّة وجحد ما أوجبه الله تعالى له من فرض الطّاعة فهو كافر ضالّ مُستحقّ للخلود في النّار" [المسائل للمفيد، وقد نقل ذلك عنه المجلسي في البحار: ٨/ ٣٦٦].

وبلغ الأمر بشيخهم نعمة الله الجزائري أن يعلن انفصال الشيعة عن المسلمين

بسبب قضية الإمامة فيقول: "لم نجتمع معهم على إله ولا نبي ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إن ربهم هو الذي كان محمد ﷺ نبيه، وخليفته بعده أبو بكر، ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي، بل نقول إن الرب الذي خليفته نبيه أبو بكر ليس ربنا ولا ذلك النبي نبينا" [الأنوار النعمانية: ٢/ ٢٧٩].

وبعد هذا التكفير العام، خصصوا باللعن والحكم بالردة جميع فئات المسلمين ما عدا الاثني عشرية فتناول تكفيرهم:

١- الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى رأسهم خير هذه الأمة بعد خاتم الأنبياء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

٢- أهل البيت.

٣- خلفاء المسلمين وحكوماتهم.

٤- الأمصار الإسلامية وأهلها.

٥- قضاة المسلمين.

٦- أئمة المسلمين وعلمائهم.

٧- الفرق الإسلامية.

٨- الأمة.

وسأذكر عقيدتهم في هذه الفئات تفصيلاً فيما يلي:

١- الصحابة رضوان الله عليهم، وعلى رأسهم خير هذه الأمة بعد خاتم الأنبياء أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

١- الصحابة رضوان الله عليهم

المصنف وما ينقل عنهم من علماء الشيعة يقولون أقوالاً فى صحابة رسول الله ﷺ ان دلت فانما تدل على حقد دفين وبغض شديد لهؤلاء الأخيار الأطهار ولا أدرى ما السبب ولكن من خلال اطلاعى على أقوالهم تيقنت أنهم يريدون الطعن فى ثوابت الدين والتهوين بكل ما يتعلق بأمور الاعتقاد، فحين يطعنون فى الصحابة ويكفرونهم تارة ويصفونهم بالمنافقين تارة أخرى بل ويحكمون عليهم بدخول النار فهم بهذا قالوا وفعلوا مالا يفعله أعداء الاسلام الظاهرين المحاربين، اذاً فهم أشد عداءً للاسلام وأهله من الأعداء المحاربين وأشد خطراً وهدفهم واضح جلى ألا وهو القضاء على هذا الدين وابطال القرآن والسنة، لأنهم بطعنهم فى الصحابة يبطلون القرآن والسنة لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين حفظوا ونقلوا الينا القرآن والسنة، والذي يقرأ القرآن والسنة يجد فيهما الثناء والمدح والتزكية والبشارة والوعد بدخول الجنة لخير جيل عرفته الأمة انه جيل الصحابة ومن تبعهم باحسان بنص كلام العزيز الغفار قال سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [

التّوبة: آية: ١٠٠]. وما أكثر الآيات التـي تبين فضل ومكانة الصحابة التى لا ينكرها الا جاحد كافـر بدين الاسلام، وسيأتى فى نهاية هذا الفصل تفصـيل لفضل الصحابة ومكانتهم كما جاء فى كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، واليك أقوال المصنف وبعدها الردود والنقد :-

١- يزعم أن أبا بكر وعـمر و الصـحابة رضـوان الله عليهم من المنافـقين الذين زادوا على الكفر الموجب للختم والغشاوة والنفاق.

البـقرة آية (٨) ومن الناس من يقـول آمنا بالله وباليـوم الآخر. أقول كـابن أُبي وأصحـابه وكالأول والثـاني واضرابهمـا من المنافقين الذين زادوا على الـكفر الموجب للختم والغـشاوة والنفاق ولا سـيما عند نصب أميـر المؤمنين (عليه السلام) للخـلافة والإمامة.

٢- يزعم أنهم قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم

(٧٤) يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفـر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا

القمي: نزلت في الذين تحـالفوا في الكعبـة أن لا يردوا هذا الأمر في بني هاشم فهي كلمة الكفر، ثم قعدوا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في العقبة وهموا بقتله، وهو قوله: (وهمـوا بما لم ينالوا). وقال في موضع آخر: فلمـا أطلع الله نبيه وأخبره حلفوا له أنهم لم يقولوا ذلك ولم يهـموا به حتى أنزل الله: (يحلفون بالله ما قالوا) الآية. وعن الصـادق (عليه السـلام): لما أقام رسول الله (صلى الـله عليه وآله وسلم) عليـا يوم غدير خم كـان بحـذائه سبـعة نفـر من المنافـقين، وهم: أبو بكر، وعمر، وعبـد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبـيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغـيرة بن شعبة، قال عـمر: ألا ترون عينيه كأنهمـا عينا مجنون يعني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي، فلما قام قال

٣- يزعم أن أبا بكر وعـمـر، زريق وزفر يردون الناس عن الصـراط القـهقـرى والشجرة الملعونة قال هم بنو امية.

الاسراء العياشي عن الباقر عليه السـلام إنه سئل عن قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك فـقـال إن رسول الله صـلى الله عليـه وآله وسلم رأى إن رجـالا من بني تيم وعدي على المنابر يردون الناس عن الصراط القهقرى قيل والشجرة الملعونة قال هم بنو امية. وعن الصادق عليه السلام مثله إلا أنه قال رأى أن رجالا على المنابر يردون الناس ضلالا زريق وزفر. أقول: وهما كنايتان عن الأولين وتيم وعدي جداهما قال

٤- وكذلك يزعم بتحريفه الفاسد فى تفسيره للآيات أن الخلفاء الثلاثة هم المعنيون بالفحشاء والمنكر والبغي الخ. . . . .
النحل والقمي قال العدل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رسول الله والأحسان أمير المؤمنين والفحشاء والمنكر والبغي فلان وفلان وفلان. والعياشي عن الباقر عليه السلام مثله إلا أنه قال الفحشاء الأول والمنكر الثاني والبغي الثالث قال وفي رواية سعد عنه عليه السلام العدل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فمن أطاعه فقد عدل والاحسان علي عليه السلام فمن تولاه فقد أحسن

٥- يزعم إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، ويكرر الحكم عليهم بالكفر ودخول النار ويلعنهم، ويفترى على عمر ابن الخطاب بقوله أنه ولد زنا كما فى سورة المدثر، ومحمد والاسراء والحج والانبياء الخ. . . المدثر فى تفسيره الايه ١١ - ٢٥وفي رواية اخرى للقمي عن الصادق عليه السلام إنها نزلت في عمر في إنكاره الولاية وأنه إنما سمي وحيدا لانه كان ولد زنا ثم أول الايات فيه. ويزعم زورا أن هذه الآية فى عمربن الخطاب وهى قوله سبحانه (ساصليه سقر)

٦- يزعم أن الصحابة منافقين لذلك أمر الله نبيه أن يجاهد بهم الكفار.

التحريم (٩) يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين. في المجمع عن الصادق عليه السلام إنه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقاتل منافقا قط إنما كان يتألفهم.

٧- يحمله التعصب الأعمى وكفره البين ليحكم على الصحابة بدخول النار وعند قوله سبحانه: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر، آية: ٤٤].

وفي الخصال عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام إن للنار سبعة أبواب باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون وباب يدخل منه المشركون والكفار ومن لم يؤمن بالله طرفة عين وباب يدخل منه بنو امية هو لهم خاصة لا يزاحمهم فيه أحد وهو باب لظى وهو باب سعير وهو باب الهاوية يهوي بهم سبعين خريفا فكلما هوى بهم سبعين خريفا فار بهم فورة قذف بهم في أعلاها سبعين خريفا ثم هوى بهم هكذا سبعين خريفا فلا يزالون هكذا أبدا خالدين مخلدين وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا وأنه لأعظم الأبواب وأشدها حرا ثم قال والباب الذي يدخل منه بنو امية هو لأبي سفيان ومعاوية وآل مروان خاصة يدخلون من ذلك الباب فتحطمهم النار فيه حطما لا يسمع لهم واعية ولا يحيون فيها ولا يموتون.

وعن الصادق عليه السلام أن فاطمة عليها السلام لعظمها على الله حرم الله ذريتها على النار وفيهم نزلت ثم أورثنا الكتاب الآية ثم فسر الفرق الثلاث بما مر. ما سبق نقلا" من تفسير الصافى

الردود والنقد:

من كتاب أصول مذهب الاثنى عشرية

كتب الشيعة وما ينقل المصنف عنهم مليئة باللعن والتفكير لمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، من المهاجرين والأنصار، وأهل بدر، وبيعة الرضوان، وسائر الصحابة أجمعين، ولا تستثني منهم إلا النزر اليسير الذي لا يبلغ عدد أصابع اليد، وأصبحت هذه المسألة بعد ظهور كتبهم وانتشارها من الأمور التي لا تحجب بالتقية.

وإن كانت من قبل قد تخفى على بعض أئمة الإسلام. فقد جاء في شرح مسلم للنووي بأن الإمامية يقولون بأن الصحابة مخطئون في تقديم غير علي لا كفار [شرح مسلم للنووي: ١٥/ ١٧٤].

ولكن من أهل العلم وأصحاب المقالات من اطلع على هذا الأمر عند الإمامية، قال القاضي عبد الجبار: "وأما الإمامية فقد ذهبت إلى أن الطريق إلى إمامة الاثني عشر النص الجلي، الذي يكفر من أنكره، ويجب تكفيره، فكفروا لذلك صحابة النبي عليه السلام" [شرح الأصول الخمسة: ص٧٦١].

وقريب من هذا المعنى قال عبد القاهر البغدادي [الفرق بين الفرق: ص ٣٢١]، وابن تيمية [منهاج السنة: ٤/ ١٢٨] وغيرهما [انظر: البزدوي/ أصول الدين: ص٢٤٧-٢٤٨].

ولكن العدد الذي تستثنيه الرافضة من حكمها العام بالتكفير لم أجد من أشار إليه بما يتفق مع ما جاء في كتب الاثني عشرية، فيقول عبد القاهر البغدادي: "وأما الإمامية فقد زعم أكثرهم [تلحظ أن عبد القاهر لا يعمم هذا المذهب على الإمامية كلها، وقد أشار الأشعري إلى أنهم اختلفوا في ذلك على فرقتين. (انظر: مقالات الإسلاميين: ١/ ١٢٨-١٢٩)] أن الصحابة ارتدت بعد النبي صلى الله عليه وسلم سوى علي وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفراً قليلاً. . إما بضعة عشر أو أكثر، ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما مازالا منافقين. وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا" [مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣/ ٣٥٦].

وستجد أن العدد الذي تستثنيه الاثني عشرية أقل مما يذكرون.

هذا ما جاء في كتب أهل السنة وغيرهم حول مذهب الشيعة في الصحابة، وسنرى فيما يلي ماذا تقول الشيعة من خلال مصادرها المعتمدة عندها.

تقول كتب الاثني عشرية: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة، وتزيد بعض رواياتهم ثلاثة أو أربعة آخرين رجعوا إلى إمامة علي، ليصبح المجموع سبعة، ولا يزيدون على ذلك.

ولقد تداولت الشيعة أنباء هذه "الأسطورة" في المعتمد من كتبها، فسجلوا ذلك في أول كتاب ظهر لهم وهو كتاب سليم بن قيس [انظر: كتاب سليم بن قيس: ص٧٤-٧٥]، ثم تتابعت كتبهم في تقرير ذلك وإشاعته وعلى رأسها الكافي [الكليني/ الكافي: ٢/ ٢٤٤] أوثق كتبهم الأربعة، ورجال الكشي [رجال الكشي: ص٦، ٧، ٨، ٩، ١١] عمدتهم في كتب الرجال، وغيرها من مصادرهم كتفسير العياشي [تفسير العياشي: ١/ ١٩٩]، والبرهان [هاشم البحران/ البرهان: ١/ ٣١٩]، والصافي [محسن الكاشاني/ الصافي: ١/ ٣٨٩]، وتفسير نور الثقلين [الحويزيني/ نور الثقلين: ١/ ٣٩٦]، والاختصاص [المفيد/ الاختصاص: ص٤-٥]، والسرائر [ابن إدريس/ السرائر: ص٤٦٨]، وبحار الأنوار [بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٤٥، ٣٥١، ٣٥٢، ٤٤٠].

وليست هذه مجرد آراء لبعض شيوخهم، ولكنها روايات عن معصوميهم تحمل صفة "العصمة" والقدسية عندهم.

أما السب لذلك الجيل القرآن الفريد، على ألسنة شيوخهم فهو قد سود معظم كتبهم.

ولو ذهبت أسرد للقارئ ما رأيت من هذا الغثاء لبلغ مجلدات، وسأكتفي بذكر بعض النصوص التي فيها التصريح بالتكفير؛ إذ هو يكشف ويغني عما دونه من سب وطعن.

روى ثقتهم الكليني في الكافي: "عن حمران بن أعين قال: قلت لأبي جعفر عليه السّلام: جعلت فداك، ما أقلنا لو اجتمعنا على شاة ما أفنيناها؟ فقال: ألا أحدّثك بأعجب من ذلك، المهاجرون والأنصار ذهبوا إلا ـ وأشار بيده ـ ثلاثة" [علّق هنا شيخهم المعاصر "علي أكبر الغفاري" فقال: "يعني أشار عليه السّلام بثلاث من أصابع يده. والمراد بالثّلاثة سلمان وأبو ذرّ والمقداد". (الكافي: ٢/ ٢٤٤ ـ الهامش). فانظر كيف لم تمح هذه المعاني الخرافيّة من عقول هؤلاء الشّيوخ على مرّ السّنين.. وسيأتي مزيد بيان في باب الشّيعة المعاصرين] [أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر،

باب قلّة عدد المؤمنين: ٢/ ٢٤٤، وانظر: رجال الكشّي: ص٧، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٤٥].

فالتكفير - كما ترى - يتناول أفضل صحابة رسول الله وهم المهاجرون والأنصار، ويبين أن الشيعة في عصر أبي جعفر لا يرون أحدًا من المسلمين على الإسلام إلا قلة شاذة تقول برأيهم، وهي لا تشكل بالنسبة إلى مجموع المسلمين شيئًا، حتى إنها لو اجتمعت على أكل شاة لما أتت عليها، وقد شكوا ذلك إلى إمامهم، فقال لهم معزيًا بأن الشيعة الأوائل كانوا لا يتجاوزون الثلاثة والباقي في حكم المرتدين.

وهذا النص قد يبين أن الرافضة إلى عهد أبي جعفر محمد الباقر، كانوا قلة شاذة بالنسبة للمسلمين، وأن دعوتهم لم تجد القبول، ولم تحظ بالانتشار، وكانت تعيش في سراديب التقية والكتمان، ويعزي رؤساؤها أتباعهم بما يفترونه على أهل البيت من أمثال هذه المفتريات.

ولم تكشف رواية الكافي أسماء الثلاثة الذين سلموا من الردة، حيث قالوا بمذهب الرافضة، لكن مذهب الرفض لم يظهر أصله إلا بعد مقتل عثمان، فهؤلاء ليسوا بصحابة، ولا يبعد أن يكون هؤلاء من السبئيين الذين بدأ النشاط الرافضي على أكتافهم، ولا يستبعد أن هؤلاء السبئيين يتخذون أسماء "مستعارة" وقد تكون أسماء صحابة لهم مكانتهم.

وهذا ما جاء في رجال الكشي ". . عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان الناس أهل الردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة، فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ثم عرف الناس بعد يسير، وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا لأبي بكر حتى جاءوا بأمير المؤمنين مكرهًا فبايع" [رجال الكشي: ص٦، الكافي، كتاب الروضة: ١٢/ ٣٢١-٣٢٢ (مع شرح جامع للمازندراني)].

فهذا النص بالإضافة إلى تكفيره لصحابة رسول الله ﷺ، قد يشير إلى الخلية الأولى لمذهب الرفض وأنها تتقنع بهذه الأسماء المستعارة. وحتى هؤلاء الثلاثة الذين تستثنيهم أخبار الشيعة، لم يسلموا من شك في "معرفة" الإمام التي هي أصل الإيمان باستثناء واحد منهم، ولذلك حينما قال أبو جعفر: ارتد الناس إلا ثلاثة، أردف قائلاً: "إن أردت الذي لم يشك، ولم يدخله شيء فالمقداد".

فأما سلمان فإنه عرض في قلبه عارض أن عند أمير المؤمنين عليه السلام اسم الله الأعظم لو تكلم به لأخذتهم الأرض، وهو هكذا، فلبب [لببه: جمع ثيابه عند نحره

في الخصومة ثم جره (رجال الكشي الهامش- ص١١)] ووجئت [وجأ يوجأ: ضربه باليد والسكين (رجال الكشي الهامش- ص١١)] عنقه حتى تركت كالسلقة [في نسخة أخرى "كالسلعة" . والسلعة: خراج كهيئة الغدة. (المصباح: ص٣٣٧)]، فمر به أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أبا عبد الله، هذا من ذاك، بايع، فبايع.

وأما أبو ذر فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بالسكوت، ولم يأخذه في الله لومة لائم، فأبى إلا أن يتكلم فمر به عثمان فأمر به" [رجال الكشي: ص١١، بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٤٠] ـ كذا ـ.

وهؤلاء الثلاثة الذين نجوا من الردة، لم يسلموا أيضًا من قدح الشيعة وعيبهم، فتذكر أخبارهم بأن العلاقة بين هؤلاء الثلاثة طيبة في الظاهر، ولكن لو علم كل واحد منهم بما في قلب الآخر لقتله، أو ترحم على قاتله؛ لأن كلاً منهم أجنبي في باطنه واعتقاده عن صاحبه، ففي رجال الكشي "قال أمير المؤمنين: يا أبا ذر، إن سلمان لو حدثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان" [رجال الكشي: ص١٥].

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: يا سلمان، لو عرض علمك على مقداد لكفر، يا مقداد لو عرض علمك على سلمان لكفر [رجال الكشي: ص١١].

ولذلك فإن التعامل قائم بينهم (وهم خلص الشيعة في زعم الروافض) على أساس التقية والكتمان، "فعن جعفر عن أبيه رضي الله عنه قال: ذكرت التقية يومًا عند علي عليه السلام فقال: إن عَلِمَ أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله، وقد آخر رسول الله ﷺ بينهما فما ظنك بساير الخَلَق" [رجال الكشي: ص١٧].

وهذه النصوص تنطبق على أهل البدعة والكفر؛ لأنك ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ ويبرأ منها صحابة رسول الله ﷺ. لكن هذه النصوص يؤخذ منها تكفير الشيعة لصحابة رسول الله ﷺ، كما يؤخذ منها أيضًا الصورة غير المنظورة في الظاهر لأهل الرفض؛ حيث قتلهم وتناكر قلوبهم، وإضمار السوء لبعضهم، واعتقادهم بأنه ليس على الإيمان سواهم، وهذه خصائص الرعيل الأول عندهم فما ظنك بسائرهم؟

وتقول نصوص الشيعة: إن هؤلاء الثلاثة قد لحق بهم أربعة آخرون، ليصل عدد المؤمنين (أو قل: الروافض) في عصر الصحابة إلى سبعة، ولكنهم لم يتجاوزوا هذا العدد.

وهذا ما تتحدث عنه أخبارهم حيث تقول: "عن الحارث بن المغيرة النصري، قال: سمعت عبد الملك بن أعين يسأل أبا عبد الله رضي الله عنه فلم يزل يسأله حتى

قال له: فهلك الناس إذًا [أي: بعد وفاة الرسول ﷺ ومبايعة الناس لأبي بكر (في منظور الروافض)]؟ فقال: إي والله يا ابن أعين هلك الناس أجمعون، قلت: من في الشرق ومن في الغرب؟ قال: فقال: إنها فتحت على الضلال إي والله هلكوا إلا ثلاثة. ثم لحق أبو ساسان [قال شيخهم الأردبيلي: أبو ساسان اسمه الحصين بن المنذر، وقد يقال: أبو سنان، ثم ساق الرواية المذكورة عن الكشي (جامع الرواة: ٢/ ٣٨٧). وقد ذكر ابن حجر بأنه يسمى "حضين" - بالضاد المعجمة مصغرًا - ابن المنذر بن الحارث الرقاشي، وقال: كان من أمراء علي بصفين، وهو ثقة، مات على رأس المائة (تقريب التهذيب: ١/ ١٨٥)]، وعمار [يعني: عمار بن ياسر]، وشتيرة [قال الأردبيلي: "شتيرة" من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ساق رواية الكشي مرة أخرى. (جامع الرواة: ١/ ٣٩٨)]، وأبو عمرة [قال الأردبيلي: أبو عمرة الأنصاري اسمه ثعلبة بن عمرو، من الأصفياء من أصحاب أمير المؤمنين (جامع الرواة: ٢/ ٤٠٨). قال ابن عبد البر: أبو عمرة الأنصاري اختلف في اسمه؛ فقيل: عمرو بن محصن، وقيل: ثعلبة بن عمرو بن محصن، وقيل: بشير بن عمرو بن محصن بن عتيك. قال ابن عبد البر: وهو الصواب إن شاء الله، قتل بصفين وهو يقاتل مع علي رضي الله عنهما.

(الاستيعاب: ٤/ ١٣٣-١٣٤، وانظر: الإصابة: ٤/ ٤٤١، أسد الغابة: ٥/ ٢٦٣)] وصاروا سبعة" [رجال الكشي: ص٧].

وتؤكد جملة من نصوصهم على أن العدد لم يزد على ذلك. قال أبو جعفر: "وكانوا سبعة، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين عليه السلام إلا هؤلاء السبعة" [رجال الكشي: ص١١-١٢].

وكان أبو عبد الله يقسم على ذلك فيقول: "فوالله ما وفى بها إلا سبعة نفر" [المفيد/ الاختصاص: ص٦٣، الحميري/ قرب الإسناد: ص٣٨، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٢٢].

وتتفاوت أخبارهم وتختلف في تعيين بعض هؤلاء السبعة [قارن - مثلاً - بين ما جاء في الرواية التي عند الكشي والطوسي في تعيين السبعة كما سقتها، وبين ما جاء في قرب الإسناد للحميري وفيه: "فوالله ما وفى بها إلا سبعة نفر: سلمان، وأبو ذر، وعمار، والمقداد بن الأسود الكندي، وجابر بن عبد الله الأنصاري، ومولى لرسول الله ﷺ، يقال له الثبيت، وزيد بن أرقم" (قرب الإسناد: ص٣٨، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٢٢)]، فيما يبدو أنه اختلاف بين الفرق الشيعية في تعيين آحادهم،

وكل يضع من جهته، أو لأن من طبيعة الكذب الاختلاف والتناقض.

وإن كان يحتمل ـ كما قلت ـ أن الرافضة تكفر الصحابة كلهم، وأن هؤلاء السبعة رموز على "الخلية الأولى للرفض" لأن صفاتهم، وعلاقاتهم، ومذهبهم ليست من الصحابة في شيء.

والرافضة تؤول أحيانًا [لأن تأويلها في غالب نصوصهم بالأئمة] آيات الإيمان والثناء على الصحابة بهذا العدد اليسير الذي تستثنيه من الأصل العام في التكفير، ففي تفسير القمي في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [الأنفال، آية: ٢-٤]. قال: "فإنها نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، وأبي ذر وسلمان والمقداد" [تفسير القمي: ١/ ٢٥٥].

وفاتهم أن الشيعة إنما تثني على هؤلاء الثلاثة، وتدخلهم في عداد المؤمنين، لا لهذه الأوصاف المذكورة في الآية ولكن لأنهم آمنوا بإمامة علي، وكفروا بإمامة أبي بكر، وهذا الأصل الذي تزن به الشيعة من خالفها ليس له ذكر في هذه الآية التي جعلوها نصًا في إيمان الثلاثة، وكذلك الشأن في آيات القرآن كلها فهي رد عليهم لا حجة لهم.

وجعلوا آيات الكفر والكافرين والشرك والمشركين في سائر الصحابة أجمعين، كما نجد ذلك في عدد من أبواب الكافي وبحار الأنوار [انظر في الكافي: باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية: ١/ ٤١٢-٤٣٦، وفيه (٩٢) رواية، وراجع ما مر حول ذلك ص١٥٨ وما بعدها].

ومع هذا الحكم العام في التكفير لأصحاب محمد بن عبد الله ﷺ، وأنصاره وأحبابه، وأصفيائه، فإنهم يخصون، كبار الصحابة رضوان الله عليهم بمزيد من الطعن والتكفير، ولهم في ذلك أقوال ونصوص تقشعر من سماعها جلود المؤمنين.

فهم يخصون الخلفاء الثلاثة أبا بكر وعمر وعثمان، وزراء رسول الله وأصهاره بالنصيب الأوفى من التكفير، وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه البحار ـ الذي عده بعض شيوخهم المعاصرين المرجع الوحيد في تحقيق معارف المذهب ـ [البهبودي/ مقدمة البحار، ج صفر ص١٩] بابًا بعنوان "باب كفر الثّلاثة ونفاقهم وفضائح أعمالهم" [بحار الأنوار: ٨/ ٢٠٨-٢٥٢ من الطّبعة الحجريّة]. وعقد شيخهم الآخر البحراني عدة أبواب في هذا الموضوع منها: "الباب ٩٧: اللّذان تقدّما على أمير

المؤمنين عليهما مثل ذنوب أمّة محمّد إلى يوم القيامة [المعالم الزّلفى: ص٣٢٤]. والباب ٩٨ أن إبليس أرفع مكانًا في النار من عمر، وأن إبليس شرف عليه في النار؛ [المعالم الزلفى: ص٣٢٥].

وجاءت رواياتهم مغرقة في هذا الكفر تضرب في كل اتجاه فيه، فهي مرة لا تكفر الشيخين فحسب؛ بل ترى أن من أعظم الكفر الحكم بإسلامهما حتى روى صاحب الكافي: "ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم: من ادّعى إمامة من الله ليست له [هذا نصّ في تكفير كلّ خلفاء المسلمين إلى أن تقوم السّاعة!]، ومن جحد إمامًا من الله [هذا تكفير لكلّ من لا يؤمن بأئمّتهم الاثني عشر من جميع المسلمين الأوّلين والآخرين!]، ومن زعم أنّ لهما في الإسلام نصيبًا" [أصول الكافي: ١/ ٣٧٣، ٣٧٤، النّعماني/ الغيبة: ص٧٠، تفسير العيّاشي: ١/ ١٧٨]، وحينًا تنعتهم بأنّهم الجبت والطّاغوت [أصول الكافي: ١/ ٤٢٩]، وتارة تصبّ عليهم اللّعنات ولا سيّما في أدعية الزّيارات [من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٥٤]، و"أذكار" ما بعد الصّلوات حيث يستبدلونها باللّعن على الشّيخين وسائر المسلمين [مستدرك الوسائل: ١٠/ ٣٤٢].

وقد نقل بعض من كتب عن الشيعة في هذا العصر شيئًا من سوآت الشيعة وعوراتها في تكفير صديق الأمة وفاروقها [كما في كتابات الشيخ موسى جار الله في الوشيعة، وإحسان إلهي ظهير في "السنة والشيعة" وغيرهما]، ولكن الذي يمكن أن أضيفه هنا، أن ما كتبه شيوخ الشّيعة في ظل الدّولة الصّفويّة كان فيه التّكفير لأفضل أصحاب محمّد ﷺ صريحًا ومكشوفًا، وما كتبه أوائل الشّيعة في عصر الكليني وما بعده كان بلغة الرّمز والإشارة، وقد كشف أقنعة هذه الرموز شيوخ الشيعة المتأخرون حينما ارتفعت التقية إلى حد ما وظهرت الاثنا عشرية على حقيقتها.

فمن مصطلحاتهم الخاصة: تسمية الشيخين بالفصيل ورمع، وذلك لأنهم لا يجرؤون على التصريح بالاسم في إبان قوة دولة الإسلام.

جاء في تفسير العيّاشي: ".. قلت (الراوي يقول لإمامهم): ومن أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل، ورمع، ونعثل، ومعاوية، ومن دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله" [تفسير العيّاشي: ٢/ ١١٦].

قال شيخهم المجلسي في بيانه لهذه المصطلحات: "أبو الفصيل أبو بكر؛ لأنّ الفصيل والبكر متقاربان في المعنى، ورمع مقلوب عمر، ونعثل هو عثمان" [بحار

الأنوار: ٢٧/ ٥٨].

وعند قوله سبحانه: ﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴾ [الحجر، آية: ٤٤] روى العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: "يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب، بابها الأول للظالم وهو زريق، وبابها الثاني لحبتر، والباب الثالث للثالث، والرابع لمعاوية، والباب الخامس لعبد الملك، والباب السادس لعسكر بن هوسر، والباب السابع لأبي سلامة، فهم أبواب لمن اتبعهم" [تفسير العياشي: ٢/ ٢٤٣، البرهان: ٢/ ٣٤٥].

قال المجلسي في تفسير هذا النص: "زريق كناية عن الأول؛ لأن العرب تتشام بزرقة العين، والحبتر هو الثعلب، ولعله إنما كنى عنه لحيلته ومكره، وفي غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر؛ إذ الحبتر بالأول أنسب ويمكن أن يكون هنا أيضًا المراد ذلك، إنما قدم الثاني لأنه أشقى وأفظ وأغلظ، وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بني أمية أو بني العباس، وكذا أبي سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وساير أهل الجمل؛ إذ كان اسم جمل عائشة عسكراً وروي أنه كان شيطانًا" [البحار: ٤/ ٣٧٨، ٨/ ٢٢٠].

كما يردّ في كثير من نصوصهم الإشارة إلى هذين العظيمين بلقب "فلان وفلان"، كما في روايتهم التي تقول: عن أبي عبد الله في قوله: ﴿ وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [البقرة، آية: ١٦٨، ٢٠٨، الأنعام، آية: ١٤٢] قال: وخطوات الشيطان والله ولاية فلان وفلان [تفسير العياشي: ١/ ١٠٢، البرهان: ١/ ٢٠٨، تفسير الصّافي: ١/ ٢٤٢].

وفي قوله سبحانه: ﴿ .. أَوْ كَظُلُمَاتٍ ﴾ قالوا: فلان وفلان ﴿ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ ﴾ يعني نعثل ﴿ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ ﴾ طلحة والزبير ﴿ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ﴾ [النور، آية: ٤٠] معاوية.. [تفسير القمي: ٢/ ١٠٦، نقلا من تفسير الصافى].

قال المجلسي: المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونعثل هو عثمان [بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٠٦].

ومن مصطلحاتهم أيضًا للرمز للشيخين ما جاء في تأويلهم سورة الليل وفيها ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴾ هو قيام القائم ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴾ حبتر ودلام غشيًا عليه الحق [كنز الفوائد: ص٣٨٩-٣٩٠، بحار الأنوار: ٢٤/ ٧٢-٧٣].

قال شيخ الدولة الصفوية ـ في زمنه ـ «المجلسي»: حبتر ودلام: أبو بكر وعمر [بحار الأنوار: ٢٤/ ٧٣].

وتجد بعض النصوص التي فيها الرمز للشيخين في كتب أوائلهم، ولكن حينما

ينقلها عنهم بعض شيوخ الدولة الصفوية يستبدل الرمز بالاسم الصريح [انظر: تفسير القمي: ١/ ٣٠١، حيث رمز للشيخين بفلان وفلان، ولكن حينما ينقل شيخهم الكاشاني هذا النص يصرح بالاسمين. (تفسير الصافي: ٢/ ٣٥٩)].

كما تطاولوا بالسب والتكفير، وعلى سبيل التعيين على كثير من صحابة رسول الله ﷺ، ويختارون منهم أعيانهم وخيارهم، فكما طعنوا وكفروا الخلفاء الثلاثة، فكذلك يفعلون في آخرين من فضلاء الصحابة وعظمائهم كعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح، وسالم مولى أبي حذيفة، جاء في تفسير القمي والصافي: "عن الصادق: لما أقام رسول الله ﷺ يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين وهم: أبو بكر، وعمر [هكذا في تفسير الصافي، أما في تفسير القمي فقال: "وهم: الأول والثاني.. إلخ"]، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيدة، وسالم مولى أبي حذيفة، والمغيرة بن شعبة. قال عمر [هكذا في تفسير الصافي، وفي تفسير القمي "قال الثاني"]:أما ترون عينه كأنما عين مجنون يعني النبي، الساعة يقوم ويقول: قال لي ربي [لا يخفى على عاقل أن واضع هذا القول قد رام الطعن في رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه وفي نبوته بادئ ذي بدء، لأنه يريد أن يقال: إذا كان كبار صحابته لم يؤمنوا به، وهم الذين عاصروه وتلقوا عنه، وشاهدوا معجزاته.. فغيرهم أحق، كذلك يريد أن يقال: رجل سوء له أصحاب سوء، كما كشف عن هذا الهدف بعض السلف، كما يريدون الطعن في الإسلام ذاته بطريقة ماكرة خفية على الأغرار والدهماء وهو الطعن في الناقل لإبطال المنقول] فلما قام قال: أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله. قال: اللهم فاشهد، ثم قال: ألا من كنت مولاه فعلي مولاه، وسلموا عليه بإمرة أمير المؤمنين فنزل جبرائيل وأعلم رسول الله [هكذا في الأصل المنقول منه بدون ذكر للصلاة على النبي ﷺ، ولاحظ: الرسول يعلمه جبريل، وأئمتهم يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم شيء، كما بوب عليه صاحب الكافي. (أصول الكافي: ١/ ٢٦٠)] بمقالة القوم فدعاهم وسألهم فأنكروا وحلفوا فأنزل الله: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾" [تفسير القمي: ١/ ٣٠١، تفسير الصافي: ٢/ ٣٥٩].

ومثل هؤلاء أيضًا يتناولون آخرين من فضلاء الصحابة ونقلة الشريعة كأبي هريرة[١] . وقد ألف الرافضي المعاصر عبد الحسين الموسوي كتابًا في أبي هريرة -

---

(١) [انظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤٢، الخصال: ١/ ١٩٠ .

رضي الله عنه ـ انتهى فيه إلى القول بأنه كان منافقًا كافرًا [١] .

أما كلام شيوخهم في هؤلاء العظماء فقد سود الصفحات، فإنه لا يخلو مصنف من مصنفاتـهم في مسألة الإمامة ونحـوها إلا وفيه من التكفيـر والسب واللعن ما لا يخطر ببـال مسلم، لأنهم لا يرونهم علـى الإسلام أصلاً، وفـضلاً عن ذلك فـإنهم يرونهم من ألد أعدائهم، ومن الظالمين لهم، لأنهم بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان وكانوا في عهدهم على كلمة سواء، وكانوا بنعمة الله إخـوانًا فأقاموا دولة الإسلام، وفتحوا البلاد ونشروا الإسلام بين الـعباد، وأطفأوا نار المجوسية، وحطمـوا طاغوت الوثنية، وأخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد وخالقهم، فأوغروا بذلك صدور الزنادقة الحاقدين مـن أصحاب تلك البلاد المفتوحة، وأتبـاع تلك الديانات الموضوعة، فكان من كيدهم الدخول لإفساد أمر هذه الأمـة من طريق التشيع، وكان من الطبيعي أن تكون مسألة الإمامة هي هدفهم، وشـغلهم الشاغل، فكان من أمرهم ما كان، ثم أصبح كيدهم وخلاصة مكرهم عقيدة لهؤلاء الشيع كفروا بها الحاكم والمحكوم.

قال ابن بـابويه في الاعتـقادات: "فمن ادعـى الإمامة وليس بـإمام فهـو الظالم الملعون، ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون" [٢].

فهذا تكفيـر للحاكم والمحكوم في مختلف العصور (مـا عدا حكم علي والحسن) وحينما سـئل شيخهم المفـيد الملقب عندهم بركن الإسلام وآية الله الملك العـلام عما ورد عن أميـر المؤمنين علي رضي الله عنه أنه قال: لا أوتى برجل يفـضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري. فأجاب: عليه من الله ما يستحق "إن الوجه فيه أن المفاضل بينه وبين الرجلين إنما وجب عليه حـد المفتري، لأن المفاضلة لا تكون إلا بين متقاربين في الفـضل، وكان الرجلان بجحدهما النص قـد خرجا عن الإيمان بطل أن يكون لهمـا فضل في الإسلام فكيف يحـصل لهما من الفـضل ما يقارب فضل أمير المؤمنين؟ ومتى فضل إنسـان أمير المؤمنين عليهما فـقد افترى بالتفضـيل لأمير المؤمنين عليهما، من حيث كذب في إثبات فضل لهم في الدين، وجرى في هذا الباب مجرى

---

(١) (انظر: الموسوي/ أبو هريرة) وانظر في الرد على افتراءاته: محمد عجاج الخطيب، أبو هريرة راوية الإسلام ص٢٠١ ومـا بعدها، عبد المنعم الـعزي/ دفاع عن أبي هريرة، عبـد الرحمن الزرعي/ أبو هريرة وأقـلام الحـاقدين]، وأنس بن مـالك [انظر: رجـال الكشي: ص٤٥]، والبراء بن عازب [رجال الكشي: ص٤٥]، وطلحة والزبير بن العـوام [وقالوا فهيما: "كانا إمامين من أئمـة الكفر" انظر: تفـسيـر العياشي: ٢/ ٧٧-٧٨، البـرهان: ٢/ ١٠٧، تفسـير الصافي: ٢/ ٣٢٤] وغيرهم.

(٢) [الاعتقادات: ص١١٢-١١٣، بحار الأنوار: ٢٧/ ٦٢].

من فضل المسلم البر التقي على الكافر المرتد، ومجرى من فضل جبرائيل على إبليس، ورسوله الله على أبي جهل بن هشام" (١).

فانظر كيف عدّ أفضل الأمة بعد نبيها بمنزلة إبليس وأبي جهل. وهذا موضع إجماع طائفته حيث يقول: "فقد حصل الإجماع على كفره (يعني عمر) بعد إظهاره الإيمان" (٢).

وقال شيخهم المجلسي: "ومما عدّ من ضروريّات دين الإماميّة [انظر كيف يستخدم كلمة "دين" وكأنّه يلوح بأنّ ما عليه الإماميّة دين مستقلّ بذاته، منفصل عن دين الإسلام، ولا ريب أنّ ما سطّره المجلس في بحاره وعقائده هو في الغالب دين آخر لا يمتّ لدين الإسلام بصلة] استحلال المتعة، وحجّ التّمتّع، والبراءة من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية" [الاعتقادات للمجلسي: ص ٩٠-٩١].

ومن لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحب عليًا [انظر: وسائل الشيعة: ٥/ ٣٨٩].

ولذلك يتعبّدون الله سبحانه بعد كلّ صلاة بلعن الخلفاء الثّلاثة وغيرهم من فضلاء الصّحابة، وبعض أمّهات المؤمنين رضوان الله عليهم أجمعين. وعقد لذلك الحرّ العاملي بابًا بعنوان: "باب استحباب لعن أعداء الدّين عقيب الصّلاة بأسمائهم"، وذكر فيه ما روى الكليني عن ابن ثوير والسّراج قالا: سمعنا أبا عبد الله رضي الله عنه وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرّجال وأربعًا من النّساء، فلانًا وفلانًا وفلانًا (الخلفاء الثّلاثة) ويسمّيهم ومعاوية، وفلانة وفلانة (عائشة، وحفصة رضي الله عنهما) وهندًا وأمّ الحكم أخت معاوية [فروع الكافي: ١/ ٩٥، الطّوسي/ التّهذيب: ١/ ٢٢٧، وسائل الشّيعة: ٤/ ١٠٣٧].

وفي مستدرك الوسائل لشيخهم النّوري الطّبرسي عقد بابًا بعنوان: "باب استحباب لعن أعداء الدّين عُقيب الصّلاة بأسمائهم" [مستدرك الوسائل: ١/ ٣٤٢]. وساق فيه جملة من رواياتهم ومنها: "عن أبي عبد الله أنّه قال: إنّ من حقّنا على أوليائنا وأشياعنا أن لا ينصرف الرّجل فيهم حتى يدعو بهذا الدّعاء: اللّهمّ.. ضاعف لعنتك وبأسك ونكالك وعذابك على اللّذين كفرا نعمتك، وخوّفا رسولك.. وحلا عقده في وصيه، ونبذا عهده في خليفته من بعده، وادعيا مقامه، وغيّرا أحكامه، وبدّلا سنّته، وقلبا دينه، وصغّرا قدر حجّتك وحججك، وبدءا بظلمهم، وطرقا طريق الغدر عليهم، والخلاف عن أمرهم، والقتل لهم.. ومنعا خليفتك من سدّ الثّلم، وتقويم العوج، وإمضاء الأحكام، وإظهار دين الإسلام، وإقامة حدود القرآن، اللّهمّ

---

(١) [العيون والمحاسن: ٢/ ١٢٢-١٢٣]. (٢) [العيون والمحاسن: ١/ ٩].

العنهما، وابنتيهما، وكلّ من مال ميلهم، وحذا حذوهم، وسلك طريقتهم وتصدّر ببدعتهم لعنًا لا يخطر على البال، ويستعيذ منه أهل النّار، العن اللّهمّ من دان بقولهم، واتّبع أمرهم، ودعا إلى ولايتهم، وشكّ في كفرهم من الأوّلين والآخرين"(٢).

فانظر كيف لعنوا في هذه "الكلمات المظلمة" المسلمين جميعًا من الأوّلين والآخرين، وخصّوا بمزيد من اللّعن والتّكفير من أقاما دولة الإسلام بعد رسول الله ﷺ، ونشرا دين الله في العالمين، وعدوهما وجميع من ابتعهما (أي جميع المسلمين) من أعداء الدين، فأي دين يعتقده هؤلاء الذين يعدون صحابة رسول الله ومن اتبعهم بإحسان هم أعداء للدين؟ فليكن أي دين ونحلة إلا دين الإسلام، إن هذه "اللعنات" تؤكد أن واضعها من أتباع تلك الديانات التي قضى عليها الإسلام بقيادة أبي بكر وعمر وإخوانهما رضوان الله عليهم جميعًا.

وفي مزاراتهم يجري أيضًا ـ بواسطة الأدعية التي وضعها لأولئك الأتباع زنادقة العصور البائدة - غرس الأحقاد وبثّ الضّغائن، وتأجيج العداوة في لعنات متتالية ومتتابعة على خير القرون، ففي زيارة فاطمة ـ مثلاً ـ يلعنون أبا بكر وبقيّة الصّحابة رضوان الله عليهم في دعاء يقولون فيه: "السّلام عليك يا فاطمة يا سيّدة نساء العالمين، لعن الله مانعك إرثك، ودافعك عن حقّك، والرّادّ عليك قولك، لعن الله أشياعهم وأتباعهم وألحقهم بدرك الجحيم" [بحار الأنوار: ١٩٧/١٠٠، باب زيارة فاطمة، وانظر: ص١٩٨ رقم١٦، وانظر: ص٢٠٠ من الجزء نفسه].

وتلاحظ أن واضع هذا الدعاء يقصد فيه لعن صديق هذه الأمة ثم يلحق فيه كل من شايعه، فيدخل فيهم أمير المؤمنين علي، لأنه من شيعة أبي بكر وأعوانه ووزرائه. ولا تخفى هذه الحقيقة على واضع هذا الدعاء، ولكنه عدو للجميع ويتستر بالتشيع لأن العقل الشيعي في غيبوبة بفعل العواطف المشحونة ـ زوراً ـ بظلم آل البيت وقهرهم وضياع حقهم، وصراعهم مع أعدائهم وهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد حشدوا في ذلك ركامًا هائلاً من الأساطير لا تبقى في قلب من يؤمن بها إلا الحقد، والتعطش لسفك الدماء، والرغبة في الانتقام [انظر بعض أخبار هذا الصراع المزعوم، في إثبات الوصية الذي ينسبونه للمسعودي صاحب مروج الذهب ص١٢٢ وما بعدها].. وواقعهم يشهد بذلك.

(١) [مستدرك الوسائل: ٣٤٢/١].

من أصول مذهب الاثنى عشرية

مثالب الصحابة (المزعومة):

ومع اللعن والتكفير لخير القرون، فإن الشيعة ملأت الصفحات فيما يسمونه بمثالب الصحابة ومعايبهم (١) ، وانشغل بعض أهل السنة في الرد عليهم [وقد أجاب شيخ الإسلام عما يثيره الروافض في هذا الباب بجواب مفصل (٢) وبجواب مجمل ملخصه ما يلي: أن المثالب التي تنقل عن الصحابة نوعان:

أحدهما: ما هو كذب، إما كذب كله، وإما محرف قد دخله من الزيادة والنقصان ما يخرجه إلى الذم والطع، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، وهشام بن السائب الكلبي، وأمثالهما من الكذابين الذين شهد الأئمة بكذبهم، وسقوط أخبارهم.

النوع الثاني: ما هو صدق، وأكثر هذه الأمور لهم فيها معاذير تخرجها من أن تكون ذنوبًا، وتجعلها من موارد الاجتهاد التي إن أصاب المجتهد فله أجران، وإن أخطأ فله أجر، وعامة المنقول الثابت عن الخلفاء الراشدين من هذا الباب.

وما قدّر من هذه الأمور ذنبًا محققًا، فإن ذلك لا يقدح فيما علم من فضائلهم وسوابقهم وكونهم من أهل الجنة، لأن الذنب المحقق يرتفع عقابه في الآخرة بأسباب متعددة، منها: التوبة، ومنها الحسنات الماحية للذنوب؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، ومنها المصائب المكفرة. . (منهاج السنة: ٣/ ١٩)]، والحقيقة المهمة في هذا الموضوع أن إثارة الشيعة لهذه القضايا هو في حقيقة أمره تستر على السبب الحقيقي من موقفهم من الصحابة، ذلك أن الصحابة رضوان الله عليهم لو كانوا في عصمة من كل خطأ، وفي حرز من كل ذنب، لما رضي عنهم الإمامية، لأن ذنب الصحابة عند هؤلاء هو بيعتهم لأبي بكر دون علي، وكل ذنب يغتفر إلا هذا الأمر، كما أن من جاء بقراب الأرض خطايا ومعه "جواز الولاية" فقد نجا.

وقد تنبه إلى هذه الحقيقة المهمة القاضية عبد الجبار فقال: "وكثيرًا تسأل الإمامية عما كان من عثمان في تولية أقاربه وغير ذلك، وفي سير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، وما ذاك إلا لضعفهم وانقطاعهم؛ لأن عثمان لو لم يول أقاربه ولم يصنع ما صنع لكان كافرًا مشركًا عندهم بادعائه الإمامة لنفسه ولأبي بكر وعمر، ولو كان طلحة والزبير وعائشة في عسكر أمير المؤمنين وفي المحاربين معه ما كانوا إلا مشركين

---

(١) [انظر: ابن المطهر الحلي/ منهاج الكرامة: ص١٣٢].

(٢) (انظر: منهاج السنة ٣/ ١٩ وما بعدها) .

باعتقادهم إمامة أبي بكر وعمر وعثمان، فمن يكلم الإمامية في إثارتهم لهذه المسائل كمن يكلم اليهود في وجوب النية في الطهارة، أو يكلم النصارى في استحلالهم الخمر، وإنما يكلم في هذا من قال: لا ذنب لعثمان إلا ما أتاه من الحمى، وتولية الأقارب، ولولا ذلك لكان مثل عمر، ومن قال: لا ذنب لطلحة والزبير وعائشة إلا مسيرهم إلى البصرة، ولولا ذلك لكانوا مثل أبي عبيدة وعبد الرحمن وابن مسعود.

فاعرف هذا ولا تكلمهم فيه البتة، وكلمهم فيما يدعونه من النص فهو الأصل[1]".

٢ ـ تكفيرهم أهل البيت:

نقلا" من تفسير الصافى

١- يزعم أن بنى العباس وبنى أمية يعذبون- العياشي: عن الصادق (عليه السلام) يؤاخذ بني أمية بغتة، وبني العباس جهرة.

الأنعام والعياشي: عنه (عليه السلام) لما تركوا ولاية علي صلوات الله عليه وقد أمروا بها (أخذناهم بغتة) الآية قال: نزلت في ولد العباس.

٢- يزعم أن عائشة نكثت ايمانها وأن عليّ سيطلقها،وأن القائم سيرجعها وينتقم منها ويجلدها فى الرجعة المزعومة.

وزاد القمي لجعلكم أمة واحدة قال على مذهب واحد وأمر واحد ولكن يضل من يشاء يعذب بنقض العهد ويهدي من يشاء قال يثيب.وعنه عليه السلام التي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا عائشة هي نكثت إيمانها.

الأنبياء وفي العلل عن الباقر عليه السلام أما لو قد قام قائمنا ردت بالحميراء حتى يجلدها الحد وحتى ينتقم لأبنة محمد صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام منها قيل ولم يجلدها قال لفريتها على ام إبراهيم قيل فكيف أخره الله للقائم عليه السلام قال ان الله تبارك وتعالى بعث محمد صلى الله عليه وآله رحمة وبعث القائم عليه السلام نقمة.

الاحزاب وفي الاكمال عن القائم عليه السلام انه سئل عن معنى الطلاق الذي فوض رسول الله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال إن الله تقدس اسمه عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الامهات فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا أبا الحسن إن هذا الشرف باق ما دمن على الطاعة فأيتهن عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلقها في الأزواج وأسقطها من تشرف الامهات ومن شرف امومة المؤمنين وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في حكمه المكتوب.

---

(١) [تثبيت دلائل النبوة: ١/ ٢٩٤].

الجاهلية الاولى في الأكمال عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث أن يوشع ابن نون وصي موسى عليه السلام عاش بعد موسى ثلاثين سنة وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت أنا أحق منك بالأمر فقاتلها فقتل مقاتلتها وأحسن أسرها وأن ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفا من امتي فيقاتلها فيقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها وفيها أنزل الله تعالى وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى يعني صفراء بنت شعيب.

٣- يزعم أن فاطمة كرهت الحسين، وأن النبى كان يرضعه.

الأحقاف في الكافي عن الصادق عليه السلام قال لما حملت فاطمة عليهما السلام جاء جبرئيل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال إن فاطمة عليهما السلام ستلد غلاما تقتله امتك من بعدك فلما حملت فاطمة بالحسين عليهما السلام كرهت حمله وحين وضعته كرهت وضعه ثم قال لم تر في الدنيا ام تلد غلاما تكرهه ولكنها كرهته لما علمت أنه سيقتل قال وفيه نزلت هذه الاية وفي رواية اخرى ثم هبط جبرئيل فقال يا محمد إن ربك يقرؤك السلام ويبشرك بأنه جاعل في ذريته الامامة والولاية والوصية فقال إني رضيت ثم بشر فاطمة بذلك فرضيت قال فلولا أنه قال اصلح لى في ذريتي لكانت ذريته كلهم أئمة قال ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة ولا من انثى وكان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع ابهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثه فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ودمه ولم يولد لستة أشهر إلا عيسى بن مريم عليهما السلام والحسين عليه السلام

٤- يزعم أنه (أن رسول الله لما قبض لم يكن على أمر الله إلا علي والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام وسلمان والمقداد وأبو ذر فمكثوا أربعين حتى قام علي فقاتل من خالفه) والعياشي عن الباقر عليه الصلاة والسلام قال كان الناس أهل ردة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

المقدمة العياشي عن الباقر (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطئون طريقهم ولا تخطأكم سنة بني إسرائيل ثم قال أبو جعفر (عليه السلام) قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم فردوا عليه وكانوا ست مائة ألف فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين الآيات قال فعصى إلا أربعون ألفا وسلم هارون وابناه ويشوع بن نون وكالب بن يوفنا فسماهم الله فاسقين فقال لا تأس على القوم الفاسقين فتاهوا أربعين سنة لانهم عصوا فكانوا حذوا النعل

بالنعل أن رسول الله لما قبض لم يكن على أمر الله إلا علي والحسن والحسين عليهم الصلاة والسلام وسلمان والمقداد وأبو ذر فمكثوا أربعين حتى قام علي فقاتل من خالفه.

آل عمران والعياشي عن الباقر عليه الصلاة والسلام قال كان الناس أهل ردة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ثلاثة قيل ومن الثلاثة قال المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي رحمهم الله ثم عرف أناس بعد يسير فقال هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وابوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين.

وعن الصادق (عليه السلام) أتدرون مات النبي أو قتل ان الله يقول أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ثم قال انهما سقتاه قبل الموت يعني الامرأتين. ما سبق نقلاً من تفسير الصافى

الردود والنقد

هذه الرّوايات التي تحكم بالرّدة على ذلك المجتمع المثالي الفريد، ولا تستثني منهم جميعًا إلا سبعة في أكثر تقديراتها، لا تذكر من ضمن هؤلاء السّبعة أحدًا من أهل بيت رسول الله باستثناء بعض روايات عندهم جاء فيها استثناء علي فقط، وهي رواية الفضيل بن يسار عن أبي جعفر قال: صار الناس كلهم أهل جاهلية إلا أربعة: علي، والمقداد، وسلمان، وأبو ذر. فقلت: فعمار؟ فقال: إن كنت تريد الذين لم يدخلهم شيء فهؤلاء الثلاثة [1].

فالحكم بالرّدّة في هذه النّصوص شامل للصّحابة وأهل البيت النّبويّ من زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، مع أن واضعها يزعم التشيع لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهل هذا إلا دليل واضح على أن التشيع إنما هو ستار لتنفيد أغراض خبيثة ضد الإسلام وأهله، وأن واضعي هذه الروايات أعداء للصحابة وللقرابة؟

ولا يستعبد ـ كما سبق ـ أن تلك الأسماء التي تستثنى هي «أسماء مستعارة» للزنادقة الذين يشكلون الخلية الأولى "للرفض"، ولا يعني بهم الصحابة، وإلا لماذا لم يذكر أحد معهم من أهل البيت؟ ولماذا هؤلاء الصحابة الذين يستثنون ما ظهر منهم منابذة ومناوأة للخليفتين الراشدين بل ظهر منهم الحب والمؤازرة؟!

لقد حكموا بالردة في نصوصهم التي مر ذكرها، على الحسن والحسين وآل عقيل وآل جعفر، وآل العباس، وزوجات رسول الله أمهات المؤمنين.

---

(١) [تفسير العياشي: ١/ ١٩٩، البرهان: ١/ ٣١٩، تفسير الصافي: ١/ ٣٨٩].

بل إن الشيعة خصت بالطعن والتكفير جملة من أهل بيت رسول الله ﷺ كعم النبي العباس، حتى قالوا بأنه نزل فيه قوله سبحانه: ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ (١) .

وكابنه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن، فقد جاء في الكافي ما يتضمن تكفيره، وأنه جاهل سخيف العقل(٢) . وفي رجال الكشي: "اللهم العن ابني فلان واعم أبصارهما، كما عميت قلوبهما. . واجعل عمى أبصارهم دليلاً على عمى قلوبهما" [رجال الكشي: ص٥٣].

وعلق على هذا شيخهم حسن المصطفوي فقال: "هما عبد الله بن عباس وعبيد الله بن عباس" [رجال الكشي: ص٥٣ (الهامش)].

وبنات النبي ﷺ يشملهن سخط الشيعة وحنقهم، فلا يذكرن فيمن استثنى من التكفير، بل ونفى بعضهم أن يكن بنات للنبي صلى الله عليه وسلم - ما عدا فاطمة [انظر: جعفر النجفي/ كشف الغطاء: ص٥، حسن الأمين/ دائرة المعارف الإسلامية، الشيعة: ١/ ٢٧] ـ فهل يحب رسول الله ﷺ من يقول فيه وفي بناته هذا القول؟!

وقد نص صاحب الكافي في رواياته على أن كل من لم يؤمن بالاثني عشر فهو كافر، وإن كان علويًا فاطميًا [انظر: الكافي، باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل: ١/ ٣٧٢-٣٧٤]، وهذا يشمل في الحقيقة التكفير لجيل الصحابة ومن بعدهم بما فيهم الآل والأصحاب؛ لأنهم لم يعرفوا فكرة "الاثني عشر" التي لم توجد إلا بعد سنة (٢٦٠هـ).

كما باءوا بتكفير أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ؟ إذ لم يستثنوا واحدة منهن في نصوصهم. . ولكنهم يخصون منهن عائشة [انظر: أصول الكافي: ١/ ٣٠٠، رجال الكشي: ص٥٧-٦٠، بحار الأنوار: ٥٣/ ٩٠] وحفصة [انظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤٦] رضي الله عنهن جميعًا ـ بالذم واللعن والتكفير.

وقد عقد شيخهم المجلسي بابًا بعنوان "باب أحوال عائشة وحفصة" ذكر فيه (١٧) رواية [بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٢٧-٢٤٧]، وأحال في بقية الروايات إلى أبواب أخرى [حيث قال: "قد مر بعض أحوال عائشة في باب تزويج خديجة، وفي باب أحوال أولاده ﷺ في قصص مارية وأنها قذفتها فنزلت فيها آيات الإفك (انظر كيف

---

(١) رجال الكشي: ص٥٣، والآية (٧٢) من سورة الإسراء]. (٢) [أصول الكافي: ١/ ٢٤٧].

يقلبون الحقائق) وسيأتي أكثر أحوالها في قصة الجمل" [١]، وقد آذوا فيها رسول الله ﷺ في أهل بيته أبلغ الإيذاء.

حتى اتهموا في أخبارهم من برأها الله من سبع سماوات؛ عائشة الصديقة بنت الصديق بالفاحشة، فقد جاء في أصل أصول التفاسير عندهم (تفسير القمي) هذا القذف الشنيع [ونص ذلك: "قال علي بن إبراهيم في قوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ [التّحريم، آية:١١] ثم ضرب الله فيهما (يعني عائشة وحفصة زوجتي رسول الله مثلاً فقال: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ [التّحريم، آية١٠] قال: والله ما عنى بقوله ﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ إلا الفاحشة، وليقيمنّ الحدّ على فلانة فيما أتت في طريق البصرة، وكان فلان يحبّها، فلمّا أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها فلان: لا يحلّ لك أن تخرجين ـ كذا ـ من غير محرم فزوّجت نفسها من فلان..

هذا نصّ القمّي كما نقله عنه المجلسي [٢] ، أمّا تفسير القمّي فقد جاء فيه النّصّ، إلا أنّ المصحّح حذف اسم البصرة الذي ورد مرّتين ووضع مكانه نقط (انظر: تفسير القمّي ٢/ ٣٧٧).

والنص فيه عدم التصريح بالأسماء، فقوله: "ليقيمن الحد" من الذي يقيم؟ وقوله: "فلان، وفلانة" من هما؟ لكن شيخ الشيعة المجلسي كشف هذه التّقية وحلّ رموزها وذلك لأنه يعيش في ظل الدولة الصفوية فقال: قوله: وليقيمنّ الحدّ أي القائم عليه السّلام في الرّجعة كما سيأتي (وقد نقلت ذلك عن المجلسي في فصل الغيبة، وصرّح بالاسم وأنّها عائشة أمّ المؤمنين، إلا أنه قال بأنه بسبب ما قالته في مارية، فلم يجرؤ أن يصرح مع ذكر الاسم بما صرح به هنا من القذف الصريح) والمراد بفلان طلحة (بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤١).

هذا النص كما ترى قد جاء في تفسير القمي الذي يوثقه شيوخهم المعاصرون، ولم يتعقبه المصحح والمعلق على تفسير القمي بشيء، فهو عار يلف السابقين والمعاصرين من شيوخهم، إلا أن المعلق على البحار عقب على النص المذكور بالدفاع عن شيخهم القمي لا الدفاع عن عائشة أم المؤمنين، وأم المؤمنين لا تحتاج إلى شهادة أحد بعد شهادة الله لها.. ولكن نذكر ذلك لبيان عظيم جرمهم] المتضمن تكذيب القرآن العظيم، قال ابن كثير في تفسير سورة النور: "أجمع أهل العلم ـ رحمهم الله ـ قاطبة على أن من سبها ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في الآية فإنه كافر، لأنه معاند للقرآن" [تفسير ابن كثير: ٣/ ٢٨٩-٢٩٠، وانظر: الصارم المسلول لابن

---

(١) (بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤٥)] . (٢) في بحار الأنوار: ٢٢/ ٢٤٠ .

تيمية ص٥٧١].

وقال القرطبي: "فكل من سبها مما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر" [تفسير القرطبي: ١٢/٢٠٦].

هذا وظاهرة التكفير عند الشيعة لا تخص جيل الصحابة، وإن كان الصحابة ينالهم النصيب الأوفى من السب والتكفير باعتبار أنهم حملة الشريعة، ونقلة الكتاب والسنة، والمبلغون عن رسول الله دين الله، ولذلك صار "الطعن فيهم طعن في الدين" [ابن تيمية/ منهاج السنة: ١/ ٥]. وكان هذا هو هدف الزنادقة من وراء الحملة الضارية عليهم، ولكن سلسلة التكفير عند الشيعة مستمرة.

فكما قالت كتب الشيعة: إن الناس ارتدوا بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة، قالت أيضًا: "ارتد الناس بعد قتل الحسين إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي، ويحيى أم الطويل، وجبير بن مطعم" [رجال الكشي: ص١٢٣، أصول الكافي: ٢/ ٣٨٠].

فأنت ترى أن هذا النص لا يستثني أحدًا من أهل البيت ولا الحسن بن علي الذي تعده الاثنا عشرية إمامها، ويبدو أنها لا تستثنيه لأنها عليه ساخطة لقيامه بمصالحة معاوية حتى خاطبه بعض الشيعة بقوله: "يا مذل المؤمنين" [انظر: رجال الكشي: ص١١١]، ووثب عليه أهل عسكره فانتهبوا فسطاطه، وأخذوا متاعه، وطعنه ابن بشير الأسدي في خاصرته فردوه جريحًا إلى المدائن [انظر: المصدر السابق: ص١١٣].

٣ ـ تكفيرهم خلفاء المسلمين وحكوماتهم:

آل عمران والعياشي عن الباقر عليه الصلاة والسلام قال كان الناس أهل ردة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ثلاثة قيل ومن الثلاثة قال المقداد وأبو ذر وسلمان الفارسي رحمهم الله ثم عرف أناس بعد يسير فقال هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وابوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين (عليه السلام) مكرها فبايع وذلك قول الله وما محمد الآية.

النحل (٢٥)والعياشي عن الحسين بن علي عليهما السلام ما أحدعلى ملة إبراهيم إلا نحن وشعيتنا وساير الناس منها براء.

النور أقول: فقوله عليه السلام هم والله شيعتنا يفعل ذلك بهم يعني تبديل الخوف بالأمن إنما يكون لهم.

وفي الأكمال عن الصادق عليه السلام في قصة نوح وذكر إنتظار المؤمنين من قومه الفرج حتى أراهم الله الأستخلاف والتمكين قال وكذلك القائم عليه السلام فإنه

تمتد أيام غيبته ليصرح الحق عن محضه ويصفو الأيمان من الكدر بإرتداد كل من كانت طينته خبيثـة من الشيعة الذين يخشى عليهم النفاق إذا أحسـوا بالأستخلاف والتمكين والأمر المنتشر في عهد القائم عليـه السلام قال الراوي فقلت يابن رسول الله فإن هذه النواصب تزعم أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمـر وعثمان وعلي فـقال لا لا يهد الله قلوب الناصبة متى كان الدين الذي إرتضاه الله ورسـوله متمكنا بإنتشار الأمر في الامة وذهاب الخوف من قلوبها وإرتفاع الـشك من صدورها في عهد واحد من هؤلاء وفي عهـد علي عليـه السلام مع إرتداد المسلمين والفتن التي كـانت تثور في أيـامهم والحروب التي كانت تنشب بين الكفار وبينهم.

وفي الأحتجاج عن أمـير المؤمنين عليه السلام في حديث ذكر فيـه مثالب الثلاثة وإمهال الله إياهم قال كل ذلك لتتم النظرة التي أوجبها الله لعدوه إبليس إلى أن يبلغ الكتاب أجلـه ويحق الحق على الكافرين ويقـرب الوعد الحق الذي بينه الله في كـتابه بقوله وعـد الله الذين آمنوا منكم وعـملوا الصالحـات ليسـتخلفنهم في الارض كـما اسـتخلف الذين من قـبلهم وذلك إذا لم يبق من الأسلام إلا إسـمه ومن الـقرآن إلا رسمه وغـاب صاحب الأمر بإيضـاح العذر له في ذلك لاشتمـال الفتنة على القلوب حـتى يكون أقرب الناس إليـه أشـد عداوة له وعند ذلك يؤيـده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه على يديه ويظهره على الدين كله ولو كـره المشركون . ما سبق نقلاً من تفسير الصافي

في دين الاثني عشرية أن كل حكومة غير حكومـة الاثني عشر باطلة، وصاحبها ظالم وطاغوت يعبد من دون الله، ومن يبايعه فإنما يعبد غير الله.

وقد أثبت الكليني هذا المعنى في عدة أبواب مـثل: باب من ادعى الإمامة وليس لها بأهل، ومن جحد الأئمة أو بعضهم، ومن أثبت الإمامة لمن ليس لها بأهل، وذكر فيه اثني عشر حديثًـا عن أئمتهم [الكافي: ١/ ٣٧٢-٣٧٤]، وباب فيمن دان الله عز وجل بغير إمام من الله جل جلاله، وفيه خمسة أحاديث [الكافي: ١/ ٣٧٤-٣٧٦].

وفي البحار "باب عقاب من ادعى الإمـامة بغير حق أو رفع راية جور، أو أطاع إمامًا جائرًا" [بحار الأنوار: ٢٥/ ١١٠ وما بعدها].

وكل خلفاء المسلمين ما عدا عليًا والحسن طواغيت ـ حسب اعتقادهم ـ وإن كانوا يدعون إلى الحق، ويحـسنون لأهل البيت، ويقـيمون دين الله، ذلـك أنهم يقولون: "كل راية ترفع قـبل راية القـائم [هو: مـهديهـم المنتظر] رضي الله عنه صـاحـبهـا طاغـوت" [الكافي: بشرحـه للمازندراني: ١٢/ ٣٧١، بحـار الأنوار: ٢٥/ ١١٣].

قال شارح الكافي: "وإن كان رافعها يدعو إلى الحق" [المازندراني/ شرح جامع: ١٢/ ٣٧١]، وحكم المجلسي على هذه الرواية بالصحة [مرآة العقول: ٤/ ٣٧٨] حسب مقاييسهم.

أما من قبل سنة (٢٦٠هـ) فيقول شيخهم المجلسي عن الخلفاء الراشدين: "إنهم لم يكونوا إلا غاصبين جائرين مرتدين عن الدين، لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم في ظلم أهل البيت من الأولين والآخرين" [بحار الأنوار: ٤/ ٣٨٥].

٤ ـ الحكم على الأمصار الإسلامية بأنها دار كفر:

يكرر الحديث عن الفرس

البقرة (٢٤٣) ص (٢٧٢) وفي الغوالي عن الصادق (عليه السلام) في حديث يذكر فيه نيروز الفرس قال ثم ان نبيا من انبياء بني إسرائيل سأل ربه أن يحيي القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله فأوحى الله إليه أن صب الماء في مضاجعهم فصب عليهم الماء في هذا اليوم فعاشوا وهم ثلاثون الفا فصار صب الماء في يوم النيروز سنة ماضية لا يعرف سببها الا الراسخون في العلم.

(٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي القمي أي لا يكره أحد على دينه الا بعد أن تبين الرشد من الغي وقيل يعني ان الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه خيرا فيحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الايمان رشد يوصل إلى السعادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه إلى

(ص٢٨٤). القمي هم الذين غصبوا آل محمد حقهم (عليهم السلام).

والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت (١) في الكافي عن الباقر (عليه السلام) أولياؤهم الطواغيت. القمي وهم الظالمون آل محمد (عليهم السلام) أولياؤهم الطاغوت وهم الذين تبعوا من غصبهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات قيل من نور الفطرة إلى فساد الاستعداد. وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) النور آل محمد (عليهم السلام) والظلمات عدوهم وعن ابن ابي يعفور قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) اني اخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا لهم امانة وصدق ووفاء وأقوام يتولونكم ليست لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق قال فاستوى أبو عبد الله (عليه السلام) جالسا فأقبل علي كالغضبان ثم قال لا دين لمن دان الله بولاية امام جائر وليس من الله ولا عتب على من دان الله بولاية امام عادل من الله قلت لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء قال نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ثم قال الا تسمع لقول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

الظلمات إلى النور يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله عز وجل وقـال والذين كفروا أولياؤهم الطاغـوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات إنما عنى بهـذا انهم كانوا على نور الاسلام فلما ان تولـوا كل امام جائر ليس من الله خرجـوا بولايتهم من نور الاسـلام إلى ظلمات الكفر فـأوجب الله لهم النار مع الكفار. وزاد العـياشي بعد قوله إلى الظلمات قـال قلت أليس الله عنى بهذا الكفار حين قـال والذين كفروا قال فقـال وأي نور للكافر وهو كافر فـأخرج منه إلى الظلمات انما عنى بهذا إلى آخر الحديث أولئك أصحب النار هم فيها خالدون العياشي عن الصادق (عليـه السلام) في آخر الحـديث السابق برواية أخـرى فأعداء علي أمير المؤمنين (عليـه السلام) هم الخـالدون في النار وان كانوا في أديانهم على غـاية الورع والزهد والعبادة، القمي هم فيها خالدون والحمد لله رب العالمين.

النســاء (١٣٣) إن يشأ يذهبكـم يفنكم أيها الناس ويـأت بآخرين ويوجـد قومـا آخرين مكانكم وكان الله على ذلك من الإعدام والإيجـاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مـراد. في المجمع ويـروى أنه لما نزلت هذه الآية ضـرب النبي (صلى الله عليـه وآله وسلم) يده على ظهر سلمان رضي الله عنه وقال هم قوم هذا يعني عجم الفرس.

المائدة وعنه (عليه السلام) قال نعم الأرض الشام وبئس القوم أهلها وبئس البلاد مصر أما أنها سجن مـن سخط الله عليه ولم يكن دخول بني إسرائيل إلا معـصية منهم لله لان الله قال ادخلوا الأرض المقدسة التي كـتب الله لكم يعني الشام فأبوا أن يدخلوها فتاهوا في الأرض أربعين سنة في مصر وفيا فـيها ثم دخلوها بعد أربعين سنة قال وما خروجـهم من مصر ودخولهم الشـام إلا بعد توبتهم ورضـاء الله عنهم وعن الصادق (عليه السـلام) وذكر موسى وقولهم اذهب أنت وربك فـقاتلا إنا هيهنا قـاعدون قال فحرمها الله عليهم أربعين سنة وتيّههم فكانوا إذا كان العشاء وأخذوا. - ما سبق نقلا" من تفسير الصافى

جاء في أخبـارهم تخصيص كثير من بلاد المسلمين بـالسب، وتفكير أهلها على وجه التعيين، ويخـصون منها غالبًا ما كـان أكثر التزامًا بالإسلام واتباعًـا للسنة، فقد صرحوا بكفر أهالي مكة والمدينة في القرون المفضلة، فـفي عصر جعفر الصادق كانوا يقـولون عـن أهل مكة والمدينة: "أهل الـشّـام شـرّ من أهل الرّوم (يعـني شـرّ من النّصارى)، وأهل المدينة شرّ من أهل مكّة، وأهل مكّة يكفـرون بالله جهرة" [أصول الكافي: ٢/ ٤٠٩].

«وعن أبي بصير، عن أحـدهما عليهما السـلام قال: إن أهل مكة ليكفرون بالله

جهـرة، وإن أهل المدينة أخبث من أهل مكة، أخبث منهم سـبعين ضعفًـا" [أصول الكافي: ٢/ ٤١٠].

ومن المعلوم أن أهل المدينة كـانوا ـ ولا سيمـا في القرون المفضلة ـ يتـأسون بأثر رسول الله ﷺ أكثر من سائر الأمصار، ولهذا لم يذهب أحد من علماء المسلمين إلى أن إجمـاع أهل مدينة من المدائن حجة يجـب اتباعها غـير المدينة [اشتهـر عن مالك وأصحابه، أن إجمـاع أهلها حجة، وإن كان بقيـة الأئمة ينازعونهم في ذلك، والمراد إجـماعـهم في تلك الأعـصار، المفـضلة، أمـا بعد ذلك فـقـد اتفق الناس على أن إجماعهم ليس بحجة (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٠/ ٣٠٠)].

وقد ظل أهل المدينة مـتمسكين بمذهبهـم القديم، منتسبين إلى مـذهب مالك إلى أوائل المائة السادسة أو قبل ذلك أو بعد ذلك، فإنهم قدم إليهم من رافضة المشرق من أفسد مذهب كثير منهم [انظر: الفتاوى: ٢٠/ ٢٩٩-٣٠٠].

وهذا الالتـزام بالإسلام قـد أغاظ هؤلاء الزنادقـة، فعـبروا عن حـقدهم بهـذه الكلمات، والـتاريخ يعيـد نفسه، فـفي هذا العصـر خطب خطيبهـم وقال: بأن مكة يحكمها شرذمة أشر من اليهود [وسيأتي ذكر ذلك بنصه في فصل «دولة الآيات» من الباب الرابع ص١١٧٤].

وقد كـشف شيـخهم المـعاصـر والذي علق على نصوص الكافي عن وجـه هذه الكلمات، وأبان عن فحوى هذه النصوص فـقال: "لعل هذا الكلام في زمن بني أمية وأتباعهم، كانـوا منافقين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، والمنافقـون شر من الكفار وهم في الدرك الأسفل من النار.. ويحتمل أن يكون هذا مبنيًا على أن المخالفين غير المستضعفين مطلقًـا شر من سائر الكفار كما يظهر من كثيـر من الأخبار" [علي أكبر الغفاري/ أصول الكافي: ٢/ ٤٠٩-٤١٠ (الهامش)].

فهو يرى أن هذا التكفـير حق، ويخرج الحكم عليهم بأنهم شـر من الكفار بأحد أمرين: إما باتبـاعهم للأمويين أي: بمقـتـضى مبايعتهم لخلفـاء المسلمين من الأمويين، وهذا نفاق أكـبر عندهم، أو لأن المخالـف شر من الكافر.. وبهـذا التخريج الأخـير يشمل التفكير ديار المسلمين في كل الأزمان.

وقالوا أيضًا عن مـصر وأهلها: "أبناء مصر لعنوا على لسـان داود عليه السّلام، فـجعل الله مـنهم القردة والخنازيـر" [بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٠٨، تفـسـير القمّي: ص٥٩٦ ط: إيران] «وما غضب الله على بني إسـرائيل إلا أدخلهم مصر، ولا رضي عنهم إلا أخـرجـهم منهـا إلى غـيرها" [بحـار الأنوار: ٦٠/ ٢٠٨-٢٠٩، قـرب

الإسناد: ص ٢٢٠، تفسير العياشي: ١/ ٣٠٤، البرهان: ١/ ٤٥٦].

«بئس البلاد مصر! أما إنها سجن من سخط الله عليه من بني إسرائيل" [تفسير العياشي: ١/ ٣٠٥، بحار الأنوار: ٦٠/ ٢١٠، البرهان: ١/ ٤٥٧].

«انتـحوا مـصر لا تطلبـوا المكث فيـها (لأنه) يورث الدياثة" [بحـار الأنوار: ٦٠/ ٢١١].

وجاءت عندهم عدة روايات في ذم مصر، وهجاء أهلها، والتحذير من سكناها، ونسبوا هذه الروايات إلى رسـول الله ﷺ ، وإلى محمد البـاقر، وإلى علي الرضا، وهذا رأي الروافض في مصر في تلك العصور الإسلامية الزاهرة، وقد عقب المجلسي على هذه النصوص بقوله بأن مصر صارت من شر البلاد في تلك الأزمنة، لأن أهلها صاروا من أشقى الناس وأكفرهم [انظر: بحار الأنوار: ٥/ ٢٠٨].

كل ذلك لأنها لم تأخـذ بنهج الروافض، ويحتمل أن هذه الروايات قـبل أو بعد الحقـبة الإسماعـيلية من تاريخ مصر، لأن مـن يشاركهم في رفضـهم.. ويقيم دولة تسمح بكفرهم لا ينالون منه بمثل هذا.

ولا يبعـد أن هذه النصوص هي تعـبير عن حـقد الرافضـة وغيظهم على مـصر وأهلها بسبب سقوط دولة إخوانهم الإسـماعيليين على يد القائد العظيم صلاح الدين الذي طهر أرض الكنانة من دنسهم ورجسهم.

وأين هذه الكلمات المظلمة في حق مصر وأهلهـا من الباب الذي عقده مسلم في صحيحه "باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر" [صحيح مسلم: ٢/ ٢٩٧٠].

وجـاء عنـدهم ذم كـثيـر من بلدان الإسـلام وأهـلهـا [انظر: الخـصـال: ص٥٠٦-٥٠٧، بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٠٦ وما بعـدها]. ولم يستثن من ديار المسلمين إلا من يقول بمذهبهم وهي قليلة في تلك الأزمـان، حتى جاء عندهم "إن الله عرض ولايتنا على أهل الأمصـار فلم يقبلها إلا أهل الكوفـة" [بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٠٩، وعزاه إلى بصائر الدرجات].

٥ ـ قضاة المسلمين:

من تفسير الصافى: (٢٥٦) لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي القمي أي لا يكره أحـد على دينه الا بعـد أن تبين الرشـد من الغي وقـيل يعني ان الاكـراه في الحقيقة الزام الغـير فعلا لا يرى فيه خيرا فيحـمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالآيات الواضحة ودلت الدلائل على أن الايمان رشد يوصل إلى السعـادة الأبدية والكفر غي يؤدي إلى الشـقاوة السـرمدية والعاقل مـتى تبين له ذلك

بادرت نفسه إلى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج إلى الاكراه والالحاح وقيل اخبار في معنى النهي أي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم واما خاص بأهل الكتاب إذا أدوا الجزية. أقول: ان اريد بالدين التشيع كما يستفاد من حديث ابن ابي يعفور الآتي واول تمام الآية بولايتهم (عليهم السلام) فهو اخبار في معنى النهي من غير حاجة إلى القول بالنسخ والتخصيص فمن يكفر بالطاغوت الشيطان كذا في المجمع عن الصادق (عليه السلام). أقول: ويعم كل ما عبد من دون الله من صنم أو صاد عن سبيل الله كما يستفاد من أخبار اخر فالطاغوت فعلوت من الطغيان. القمي هم الذين غصبوا آل محمد حقهم (عليهم السلام).

في المعاني عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أحب أن يستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية اخي ووصيي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فانه لا يهلك من احبه وتولاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه.

والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت (١) في الكافي عن الباقر (عليه السلام) أولياؤهم الطواغيت. القمي وهم الظالمون آل محمد (عليهم السلام) أولياؤهم الطاغوت وهم الذين تبعوا من غصبهم يخرجونهم من النور إلى الظلمات قيل من نور الفطرة إلى فساد الاستعداد.

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) النور آل محمد (عليهم السلام) والظلمات عدوهم وعن ابن ابي يعفور قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) اني اخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولونكم ويتولون فلانا وفلانا لهم امانة وصدق ووفاء وأقوام يتولونكم ليست لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق قال فاستوى أبو عبد الله (عليه السلام) جالسا فأقبل علي كالغضبان ثم قال لا دين لمن دان الله بولاية امام جائر وليس من الله ولا عتب على من دان الله بولاية امام عادل من الله قلت لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء قال نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ثم قال الا تسمع لقول الله عز وجل الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل امام عادل من الله عز وجل وقال والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات إنما عنى بهذا انهم كانوا على نور الاسلام فلما ان تولوا كل امام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الاسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله لهم النار مع الكفار. وزاد العياشي بعد قوله إلى الظلمات قال قلت أليس الله عنى بهذا

الكفار حين قال والذين كفروا قال فقال وأي نور للكافر وهو كافر فأخرج منه إلى الظلمات انما عنى بهذا إلى آخر الحديث أولئك أصحب النار هم فيها خالدون العياشي عن الصادق (عليه السلام) في آخر الحديث السابق برواية أخرى فأعداء علي أمير المؤمنين (عليه السلام) هم الخالدون في النار وان كانوا في أديانهم على غاية الورع والزهد والعبادة، القمي هم فيها خالدون والحمد لله رب العالمين.

الردود والنقد

من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية.

تعد أخبارهم قضاة المسلمين طواغيت لارتباطهم بالإمامة الباطلة بزعمهم، فقد جاء في الكافي عن عمر بن حنظلة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة أيحل ذلك؟ قال: من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقًا ثابتًا له؛ لأنه أخذ بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفر به. قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ ﴾ [النساء، آية: ٦٠] [١] .

فأنت ترى أنهم اعتبروا قضاة المسلمين وحكامهم طواغيت، واعتبروا أحكامهم باطلة، ومن يأخذ حقه بواسطتها فإنما يأكل الحرام، وهذا الحكم يعم قضاة المسلمين على مدى القرون وتعاقب الأجيال، وهذه الرواية تحكم على القضاء والقضاة في عصر جعفر الصادق، كما يظهر من إسنادهم للرواية إلى جعفر، فإذا كان هذا نظرهم في قضاة المسلمين في القرون المفضلة فما بالك فيمن بعدهم.

ويبدو أنهم يريدون قضاة يحكمون بحكايات الرقاع، وبالجفر والجامعة، ومصحف فاطمة، وحكم آل داود، ولا يسألون البينة، كما جاء ذلك في أخبارهم [انظر: "فصل السنة، ومبحث الإيمان بالكتب، وفصل الغيبة"] لا في حكم الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، فهم الذين تتناولهم الآية التي استدلوا بها، لأنها نزلت في بعض المنافقين الذين فضلوا حكم الطاغوت على حكم محمد بن عبد الله ﷺ [انظر: تفسير الطبري: ٨/٥٠٧ وما بعدها (من الأجزاء المحققة)، تفسير البغوي: ١/٤٤٦]. وهؤلاء الروافض من جنس أولئك المنافقين.

وهذه النظرة لم يتغير منها شيء في نفوس شيوخهم في هذا العصر؛ فها هو الخميني يعقب على حديثهم هذا فيقول ـ مؤكدًا معناه -: "الإمام عليه السلام نفسه

(١) أصول الكافي: ١/٦٧

ينهى عن الرجوع إلى السلاطين وقضاتهم ويعتبر الرجوع إليهم رجوعًا إلى الطاغوت" [الحكومة الإسلامية: ص٧٤].

ويقول المعلق على الكافي: والآية بتأييد الخبر تدل على عدم الترافع إلى حكم الجور مطلقًا، وربما قيل بجواز التوسل بهم إلى أخذ الحق المعلوم، اضطرارًا مع عدم إمكان الترافع إلى الفقيه العدل [أصول الكافي: ١/ ٦٧ (الهامش)].

ولكن يظهر أن هذه المبادئ التي وضعها الزنادقة لم تجد القبول لدى بعض أتباعهم، لأنه يجد في ظل قضاة المسلمين العدل والإنصاف ما لا يجد عند قومه، وقد اعترف بعضهم لشيخ الإسلام ابن تيمية فقال له: أنتم (يعني أهل السنة) تنصفوننا ما لا ينصف بعضنا بعضًا [منهاج السنة: ٣/ ٣٩ . وقد حدثني بعض قضاة السنة وقد تولى القضاء في بعض المناطق التي يقطنها شيعة بأنه يجد رغبة في التحاكم إلى أهل السنة لاستخلاص حقوقهم ولا يرجعون لشيوخهم. ويبدو أنهم لا يلجأون إلى شيوخهم إلا مكرهين تحت سياط الوعيد والتهديد بإصدار صكوك الحرمان، والوعيد بالنيران].

وقد اشتكى بعض رجالهم لإمامه بأنهم يجدون عند أهل السنة كثرة الأمانة، وحسن الخلق، وحسن السمت، ويجدون على الضد من ذلك في الشيعة فيغتمون لذلك [أصول الكافي: ٢/ ٤].

٦ـ أئمة المسلمين وعلماؤهم:

حذروا من التلقي عن شيوخ المسلمين وعلمائهم، وعدوهم كملل أهل الشرك "عن هارون بن خارجة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: إنّا نأتي هؤلاء المخالفين [هذا اللّقب يطلق عندهم في الغالب على أهل السنّة، وقد يتناول كلّ مخالف] فنسمع منهم الحديث يكون حجّة لنا عليهم؟ قال: لا تأتهم ولا تسمع منهم، لعنهم الله ولعن مللهم المشركة" [بحار الأنوار: ٢/ ٢١٦، وعزاه للسّرائر لابن إدريس].

وجاء في الكافي عن سدير عن أبي جعفر قال: ". . يا سدير فأريك الصّادّين عن دين الله، ثم نظر إلى أبي حنيفة وسفيان الثّوري في ذلك الزّمان وهم حلق في المسجد، فقال: هؤلاء الصّادّون عن دين الله بلا هدى من الله ولا كتاب مبين، إنّ هؤلاء الأخابث لو جلسوا في بيوتهم فجال النّاس، فلم يجدوا أحدًا يخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ حتى يأتونا فنخبرهم عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله ﷺ "[أصول الكافي: ١/ ٣٩٢-٣٩٣، تفسير نور الثّقلين: ٤/ ١٣٢].

فيبدوا أن الغيظ أخذ من هؤلاء الباطنيين مأخذه، وهم يرون أئمة أهل السنة يعلمون الناس القرآن والسنة، ويدعون إلى دين الإسلام والناس مقبلون عليهم، ينهلون من علمهم ويأخذون عنهم، فترى حلقهم في المسجد، عامرة بالرواد، مزدانة بالعلم. . تغمرها السكينة، وتحفها الرحمة، وتغشاها الملائكة، وكان هؤلاء العلماء الأعلام للمتقين أئمة وقادة، وأولئك الباطنيون قد قبعوا في بيوتهم، لا يلتفت إليهم، ولا يحفل بهم، قد استولت عليهم الذلة، والمسكنة وباءوا بغضب الناس، واحتقارهم. فكانت أمنياتهم التي وضعوها على ألسنة أهل البيت للتغرير بالأتباع، ومحاولة إيجاد الفتنة والعزلة بين أهل البيت وأئمة المسلمين، كانت هذه الأمنيات تكفر أئمة المسلمين وتتمنى أن تخلو الأرض منهم لتتهيأ لهم الفرصة لتحقيق أغراضهم.

٧- الفرق الإسلامية:

ويخصون كثيراً من الفرق الإسلامية بالتكفير والطعن، ولا سيما أهل السنة والذين يلقبونهم حينًا بالنواصب، وأحيانًا بالمرجئة. جاء في الكافي: "عن أبي مسروق قال: سألني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟ فقلت: مرجئة وقدرية [صارت الشيعة قدرية فيما بعد ـ كما سلف ـ فاللعن يشملهم]، وحرورية. فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة التي لا تعبد الله على شيء" [أصول الكافي: ٢/ ٣٨٧، ٤٠٩].

ويعنون بالمرجئة أهل السنة، ولهذا تجد شيخهم المجلسي يشرح حديثهم الذي يقول: "اللهم العن المرجئة فهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة" [فروع الكافي (مع شرحه مرآة العقول: ٤/ ٣٧١)].

ويرجح أن المراد بالإرجاء في هذا النص تأخير عليّ عن الدرجة الأولى إلى الدرجة الرابعة [مرآة العقول: ٤/ ٣٧١].

ويكفي أن تعرف أن الزيدية وهي من الشيعة نالهم من الذم والتكفير مالا يخطر بالبال. قالوا ـ مثلاً ـ عن الزيدية عن عمر بن يزيد قال: سألت أبا عبد الله عن الصدقة على الناصب وعلى الزيدية قال: لا تصدّق عليهم بشيء ولا تسقهم من الماء إن استطعت، وقال لي: الزيدية هم النصاب [رجال الكشي: ص١٩٩، بحار الأنوار: ٧٢/ ١٧٩].

وفي الكافي "عن عبد الله بن المغيرة قال: قلت لأبي الحسن رضي الله عنه: إنّ لي جارين أحدهما ناصب والآخر زيدي ولا بدّ من معاشرتهما فمن أعاشر؟ فقال: هما سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره هو المكذّب

بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، ثم قال: إنّ هذا نصب لك، وهذا الزّيدي نصب لنا" [الكافي/ كتاب الرّوضة: ١٢/ ٣٠٤ (مع شرحه للمازندراني)، مفتاح الكتب الأربعة: ٨/ ٧٦].

ولم يشفع للزيدية عندهم أنهم "دعوا إلى ولاية علي" [بحار الأنوار: ٧٢/ ١٨١] وكانوا شيعة: لأنهم "خلطوها بولاية أبي بكر وعمر" [بحار الأنوار: ٧٢/ ١٨١] وهذا عندهم ذنب لا يغفر، بل إن مجرد محبة أبي بكر عندهم هي من الكفر. جاء في البحار "عن أبي علي الخراساني عن مولى لعليّ بن الحسين عليه السّلام قال: كنت معه عليه السّلام في بعض خلواته فقلت: إنّ لي عليك حقًّا ألا تخبرني عن هذين الرّجلين: عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران كافر من أحبّهما" [بحار الأنوار: ٧٢/ ١٣٧-١٣٨].

وعدوا مجرد الاعتقاد بإمامة أبي بكر وعمر من النصب الذي هو أعظم الكفر عندهم.

ولهذا قال الملجسي: "قد يطلق الناصب على مطلق المخالف غير المستضعف كما هو ظاهر من كثير من الأخبار" [مرآة العقول: ٤/ ٧٢].

وقال أيضًا: "لا تجوز الصلاة على المخالف لجبر أو تشبيه أو اعتزال أو خارجية أو إنكار إمامة إلا للتقية، فإن فعل (يعني صلى عليه تقية) لعنه بعد الرابعة" [مرآة العقول: ٤/ ٧٢-٧٣].

وقد قال المفيد بأن كل أهل البدع كفار [أوائل المقالات: ص١٥]، ولهذا عقد المجلسي بابًا بعنوان: "باب كفر المخالفين والنصاب" [بحار الأنوار: ٧٢/ ١٣١].

وقال المجلسي: "كتب أخبارنا مشحونة بالأخبار الدالة على كفر الزيدية وأمثالهم من الفطحية، والواقفة" [بحار الأنوار: ٣٧/ ٣٤].

وهذه الفرق التي يذكر كلها شيعة، فما بالك بمن دونهم - في رأيهم -.

بل إن رجال الاثني عشرية يكفر بعضهم بعضًا، استمع إلى ما يرويه الكشي، ويوافقه عليه شيخ طائفتهم الطوسي [لأن رجال الكشي من اختياره وتهذيبه]، عن حال أصحابهم من التكفير والاختلاف والتنابذ، حيث يقول في روايته بأنه في سنة (١٩٠هـ) اجتمع ستة عشر رجلاً في باب أبي الحسن الثاني، فقال له أحدهم ويدعى جعفر بن عيسى: "يا سيدي، نشكو إلى الله وإليك [هذا من الألفاظ المنهي عنها لدخولها في دائرة الشرك، بل يقال: "نشكو إلى الله ثم إليك" وضلال هؤلاء أكبر من ذلك، ولكن هذا لتنبيه القارئ] ما نحن فيه من أصحابنا، فقال: وما أنتم فيه

منهم؟ فقال جعفر: هم والله يزندقونا ويكفرونا ويتبرؤون منا، فقال: هكذا كان أصحاب علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وأصحاب جعفر، وموسى: صلوات الله عليهم، ولقد كان أصحاب زرارة يكفرون غيرهم، وكذلك غيرهم كانوا يكفرونهم.. " وقال يونس: "جعلت فداك إنهم يزعمون أنا زنادقة" [رجال الكشي: ص٤٩٨-٤٩٩].

وهذا حال "رعيلهم الأول" الذين ينتسبون زوراً لأهل البيت، فما حال من بعدهم؟!

٨- الأمة كلها:

ولعن الأمة الإسلامية وتكفيرها مما استفاض في كتب الشيعة، ولذلك فإن أدعية الزيارة والمشاهد التي يلهج بها الشيعة ويرددونها لا تخلو من لعن لهذه الأمة المباركة الوسط.

ففي زيارة أمير المؤمنين علي يقولون: "لعن الله من خالفك، ولعن الله من افترى عليك وظلمك، ولعن الله من غصبك [الظلم والغصب عندهم هو تولية أبي بكر وعمر وعثمان الخلافة (انظر الاعتقادات لابن بابويه ص١١٢-١١٣)]، ولعن الله من بلغه ذلك فرضي به [أي من رضي بخلافة أبي بكر لأنه رضي - بزعمهم - بالظلم والغصب، فيشمل جميع أمة محمد ما عدا غلاة الشيعة]، أنا إلى الله منهم بريء، لعن الله أمة خالفتك [بتوليتها لأبي بكر] وأمة جحدتك، وجحدت ولايتك [الولاية لعلي ممتدة عندهم منذ وفاة الرسول ﷺ، فمن أقر بخلافة الثلاثة فقد جحد الولاية. (انظر: الإرشاد للمفيد ص١٢)]، وأمة تظاهرت عليك، وأمة حادت عنك وخذلتك، الحمد لله الذي جعل النار مثواهم وبئس الورد المورد، وبئس ورد الواردين.. اللهم العن الجوابيت والطواغيت والفراعنة، واللات والعزى، وكل ند يدعى دون الله [الجوابيت.. إلخ هم في اعتقادهم خلفاء المسلمين ولا سيما الخلفاء الثلاثة، والخلفاء الأمويون، والند الذي يدعى من دون الله هو الإمام الذي يبايع دون أئمتهم الاثني عشر (انظر: عقيدتهم في توحيد الألوهية)]، وكل مفتر، اللهم العنهم وأشياعهم وأتباعهم، وأولياءهم، وأعوانهم، ومحبيهم لعنًا كثيراً" [ابن بابويه/ من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٣٥٤]..

وهذه اللعنات التي تجري على ألسنة هؤلاء مكان التسبيح والتهليل لها آثارها في تعبئة نفوسهم حقداً وكراهية للأمة ودينها..

والأمة عند هؤلاء الروافض لها ألقاب وشناعات وخواص لا توجد في كتب

طائفة من الطوائف، لا لشيء إلا لأن الأمة ارتضت من رضيه الصحابة والمهاجرون لهم خليفة.

فهي أحيانًا تقذف الأمة الإسلامية جميعًا وتتهمها بالفجور [قالوا بأنه يحضر المولود أحد الشياطين ليتولى الفجور به، ولا يسلم من ذلك إلا شيعتهم، وقد مضى ذكر نصوصهم في ذلك ص: ٤٦٠ هامش: ٤]، وحينًا تدعي بأنهم كلهم أولاد زنا [قالوا: إن الناس كلهم أولاد بغايا ما عدا شيعتنا، وقد مضى تخريج ذلك من كتبهم ص: ٤٦٠ هامش: ٤]، ولذلك فإنهم يوم القيامة يظهرون على حقيقتهم فيدعون بأسماء أمهاتهم [وهذا أحد عناوين بحار الأنوار: ٧/ ٢٣٧]، ومرة تقول بأنهم خلق منكوس وهم ليسوا من البشر، بل هم قردة وكلاب وخنازير [ومن شواهد ذلك "عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنا مولاك ومن شيعتك، ضعيف البصر، اضمن لي الجنة. قال: أولا أعطيك علامة الأئمة؟ قلت: وما عليك أن تجمعها لي؟ قال: وتحب ذلك؟ قلت: كيف لا أحب؟ فما زاد أن مسح على بصير فأبصرت جميع ما في السقيفة التي كان فيها جالسًا، قال: يا أبا محمد هذا بصرك، فانظر ما ترى بعينك، قال: فوالله ما أبصرت إلا كلبًا وخنزيرًا وقدرًا، قلت: ما هذا الخلق المسوخ؟ قال: هذا الذي ترى، هذا السواد الأعظم، ولو كشف الغطاء للناس ما نظر الشيعة إلى من خالفهم إلا في هذه الصورة، ثم قال: يا محمد، إن أحببت تركتك على حالك هكذا وحسابك على الله، وإن أحببت ضمنت لك على الله الجنة ورددتك على حالك الأول، قلت: لا حاجة في إلى النظر إلى هذا الخلق المنكوس، ردني فما للجنة عوض، فمسح يده على عيني فرجعت كما كنت" (بحار الأنوار: ٢٧/ ٣٠، وعزاه إلى الخرائج والجرائح للراوندي).

فانظر إلى هذه المخاريق التي لا تشيع إلا في مجتمعات السحرة والمشعوذين، وانظر إلى دعواهم أن الأئمة يملكون الضمان بالجنة، ثم زعمهم بأن كل الناس كلاب وخنازير ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا ﴾]، ولهم أقوال ولعنات في الأمة كثيرة منكرة.

هذه نصوص الاثني عشرية لم تدع أحدًا من أمة محمد ﷺ إلا وتناولته بالطعن والتكفير، وخصت بذلك صحابة رسول الله من المهاجرين والأنصار وأهل البيت النبوي، والأمصار الإسلامية وأهلها، والفرق الإسلامية، وأمة محمد وتلعن الجميع في دعواتها وصلواتها وزياراتها، فهل استثنت الشيعة أحدًا؟ نعم، إنها استثنت الفئة التالية ودافعت عنهم وأثنت عليهم.

الفئة التي تستثنيها الشيعة من عموم اللعن والتكفير للأمة:

وإذا كفرت الاثنا عشرية الصحابة والقرابة، والخلفاء، والقضاة، والأئمة والفرق الإسلامية بما فيها فرق من الشيعة. فمن تثني عليه؟

لقد رأيتها تثني على أقزام التاريخ، وحثالة البشر، بل تمدح وتدافع عن الكفرة الملحدين، والزنادقة والمنافقين، (والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف).

فهي تدافع عن المرتدين كأصحاب مسيلمة الكذاب [انظر: عبد الله العلايلي/ الإمام الحسين، مقدمة الطبعة الثانية: ص٣، ٤، ١٩، وراجع: المنتقى: ص٢٧١-٢٧٣]، وعن الزنادقة: كالمختار بن أبي عبيد [انظر: ابن إدريس/ السرائر: ص٤٧٥، وانظر: حسين البرقي/ تاريخ الكوفة: ص٦٢]، والنصير الطوسي [انظر: الخوانساري/ روضات الجنات: ٦/ ٣٠٠-٣٠١، الخميني/ الحكومة الإسلامية: ص١٢٨]، وعن الكذابين والمفترين كجابر الجعفي [انظر: ص(٣٧٥-٣٨٢) من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية]، وزرارة بن أعين، وعن المجوس الحاقدين مثل أبي لؤلؤة المجوسي - قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حتى إنها تسميه بابا شجاع الدين [عباس القمي/ الكنى والألقاب: ٢/ ٥٥، وتعد يوم مقتل عمر رضي الله عنه من أعظم أعيادها، وتقول: "إن هذا يوم عيد وهو من خيار الأعياد" انظر أخبارهم في ذلك في الأنوار النعمانية للجزائري: ١٠٨/١ وما بعدها، فصل "نور سماوي يكشف عن ثواب يوم قتل عمر بن الخطاب"، وهذا اعتقادهم في عظيم الإسلام وفاروق هذه الأمة، وسبب هذا الحق أنه هو الذي فتح بلاد فارس وأخضعها لحكم الإسلام، ولذلك عظموا قاتله ويوم مقتله].

كما تتلقى دينها عن الكفرة الذين يعتقدون في كتاب الله النقص والتحريف وفي صحابة رسول الله الكفر والردة: كإبراهيم القمي، والكليني وأمثالهما وتجعل منهم ثقات دينها، وعمدة رواياتها.

الردود والنقد:

هذا التكفير العام الشامل الذي لم ينج منه أحد هل يحتاج إلى نقد؟ إن بطلانه أوضح من أن يبين، وكذبه أجلى من أن يكشف، وتكفير الأمة امتداد لتكفير الصحابة، والسبب واحد لا يختلف.

ومن الطبيعي أن من يحقد على صحابة رسول الله ويسبهم ويكفرهم يحقد على الأمة جميعًا ويكفرها، كما قال بعض السلف: "لا يغلّ قلب أحد على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا كان قلبه على المسلمين أغلّ" [الإبانة لابن بطّة: ص٤١] فإذا لم يرض عن أبي بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، والمهاجرين

والأنصار وهم في الذروة من الفضل والإحسان، فهل يرضى بعد ذلك عن أحد بعدهم؟!

ومبنى هذا الموقف هو دعوى الروافض أن الصحابة رضوان الله عليهم أنكروا النص على إمامة علي وبايعوا أبا بكر، وقد مضى بيان بطلان النص بالنقل والعقل وبالأمور المتواترة المعلومة. وما بني على الباطل فهو باطل.

ولقد كان حكمهم بردة ذلك "الجيل القرآني الفريد" من الظواهر الواضحة على بطلان مذهب الرفض من أساسه، وأنه إنما وضع أصوله شرذمة من الزنادقة، وبطلان هذه المقالة معروف بداهة، ولذلك قال أحمد الكسروي (الإيراني والشيعي الأصل):

"وأما ما قالوا من ارتداد المسلمين بعد موت النبي ﷺ فاجتراء منهم على الكذب والبهتان، فلقائل أن يقول: كيف ارتدوا وهم كانوا أصحاب النبي آمنوا به حين كذبه الآخرون، ودافعوا عنه واحتملوا الأذى في سبيله ثم ناصروه في حروبه، ولم يرغبوا عنه بأنفسهم، ثم أي نفع لهم في خلافة أبي بكر ليرتدوا عن دينهم لأجله؟! فأي الأمرين أسهل احتمالاً: أكذب رجلاً أو رجلين من ذوي الأغراض الفاسدة، أو ارتداد بضع مئات من خلص المسلمين؟ فأجيبونا إن كان لكم جواب" [التشيع والشيعة: ص٦٦].

ومع وضوح بطلان مذهبهم ـ كما ترى ـ لمخالفته للشرع والعقل والتاريخ، وما علم من الإسلام بالضرورة، فإنه لابد من وقفة ولو سريعة في الرد عليه؛ لأنه وجد في الماضي ويوجد اليوم من يتجاهل الدلائل والبراهين في ذلك، وحسبك أن تعرف أن أحد آيات الشيعة في هذا العصر، ومن يرفع شعار الوحدة الإسلامية، ويرددها في نشراته وخطبه ورحلاته [انظر ـ مثلاً -: الإسلام فوق كل شيء: ص٦٥] وهو شيخهم محمد الخالصي قد كتب رسالة للشيخ محمد بهجة البيطار في تاريخ ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٨٢هـ يقول فيها:

"لم أذكر الصحابة بخير لأني لا أريد أن أتعرض لعذاب الله وسخطه بمخالفتي كتابه وسنته في مدح من ذمه الكتاب والسنة، والإطراء على من قبح أعماله القرآن المجيد، والأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ، وغاية ما كنت أكتبه وأقوله هو أن كتاب الله وسنته لم تذكر الصحابة بخير، ولا تدل على فضل لهم لأنهم صحابة" [رسالة الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعة للشيخ محمد بهجة البيطار: ص٦].

فالخالصي هنا لا يذكر الصحابة بخير مع تواتر النصوص في فضلهم، ولكنه يقول عن أئمته: إن "الأئمة الاثني عشر أركان الإيمان ولا يقبل الله تعالى الأعمال

من العباد إلا بولايتهم" [١] مع أن الاثني عشر لا ذكر لهم ولا لإمامتهم أصلاً في كتاب الله سبحانه. فانظر كيف يكذبون بالحقائق الواضحات، ويصدقون بالكذب الصريح.

وإذا كان الأمر وصل إلى هذا الحد فإننا نسوق الأدلة والبراهين على نقض مذهب الرافضة، وبيان فضل الصحابة من الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة، والتاريخ، والعقل، والأمور المعلومة المتواترة.. ونكشف - من خلال كتب الشيعة نفسها - مؤسس وواضع هذه العقيدة في المذهب الشيعي.

وهو بالتالي نقض لمذهبهم في تكفير الأمة جميعًا، لأن السبب الذي كفروا به الصحابة هو السبب بعينه الذي كفروا به سائر المسلمين، ولكن الصحابة - رضوان الله عليهم - يختصون بالمزيد من السب واللعن والتكفير قديمًا وحديثًا بهدف إبطال الشريعة التي ينقلونها للأمة.

الردود المهمه:

ج-: النقد الداخلى

ثناء الأئمة على الصحابة رضوان الله عليهم:

من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية.

في الخصال لابن بابويه القمي: « عن أبي عبد الله قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ اثني عشر ألفًا [هذا من وضع الجهّال، فعدد الصّحابة الذين شهدوا معه ﷺ حنينًا اثنا عشر ألفًا سوى الأتباع والنّساء، وجاءت إليه هوازن مسلمين، وترك مكّة مملوءة ناسًا، وكذلك المدينة أيضًا، وكلّ من اجتاز به من قبائل العرب كانوا مسلمين، فهؤلاء كلّهم لهم صحبة، وقد شهد معه تبوك من الخلق الكثير ما لا يحصيهم ديوان، وكذلك حجّة الوداع وكلّهم له صحبة[٢].

قال أبو زرعة: توفي النّبيّ ﷺ، ومن رآه وسمع منه زيادة عن مائة ألف إنسان من رجل وامرأة. (تدريب الرّاوي: ٢/ ٢٢١، الإصابة: ص٤، الذهبي/ تجريد أسماء الصّحابة ﷺ: ص(ب)، والمعتمد أنّه ليس هناك تحديد ثابت لهم. انظر: السّخاوي/ فتح المغيث: ٣/ ١١١)]، ثمانية آلاف في المدينة وألفان من أهل مكّة، وألفان من الطّلقاء، لم يرد فيهم قدري، ولا مرجئ، ولا حروري، ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون اللّيل والنّهار ؛ وفي البحار للمجلسي[٣]:

---

(١) [الخالصي/ الاعتصام بحبل الله: ص٤٣]. (٢) (ابن الأثير/ أسد الغابة: ١/ ١٢).

(٣) [ابن بابويه القمي/ الخصال: ص ٦٣٩-٦٤٠، وانظر: المجلسي/ البحار: ٢٢/ ٣٠٥]

عن الصّادق عن آبائه عن علي عليه السّلام قال: "أوصيكم بأصحاب نبيّكم لا تسبّوهم، الذين لم يحدثوا بعده حدثًا ولم يؤووا مُحدِثًا، فإنّ رسول الله أوصى بهم الخير" (١).

وفي البحار أيضًا، قال النبي ﷺ: «طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رأى من رآني، وطوبى لمن رأى من رأى من رآني" (٢).

وعن موسى بن جعفر (إمامهم السّابع) قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أمنة لأصحابي، فإذا قبضت دنا من أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمّتي، فإذا قبض أصحابي دنا من أمّتي ما يوعدون، ولا يزال هذا الدّين ظاهرًا على الأديان كلّها ما دام فيكم من قد رآني "(٣).

وفي معاني الأخبار لشيخهم ابن بابويه القمي (الصدوق): "عن جعفر بن محمد عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما وجدتم في كتاب الله عز وجل فالعمل لكم به، لا عذر لكم في تركه، وما لم يكن في كتاب الله عز وجل، وكانت فيه سنة مني فلا عذر لكم في ترك سنتي، وما لم يكن فيه سنة مني فما قال أصحابي فقولوا به، فإنما مثل أصحابي فيكم كمثل النجوم بأيها أخذ اهتدي، وبأي أقاويل أصحابي أخذتم اهتديتم (ثم زاد دعاة التفرقة على هذا النص الزيادة التالية) فقيل: يا رسول الله، ومن أصحابك؟ قال: أهل بيتي" [ابن بابويه/ معاني الأخبار: ١٥٦-١٥٧، المجلسي/ البحار: ٣٠٧].

ولا شك أن تفسير الصحابة بأهل البيت فقط بعيد جدًا، وقد لاحظ صدوقهم هذا البعد فعقب على النص السالف بقوله: "إن أهل البيت لا يختلفون، ولكن يفتون الشيعة بمر الحق، وربما أفتوهم بالتقية، فما يختلف من قولهم فهو للتقية، والتقية رحمة للشيعة" (٤).

فهو هنا يحمل "النص الذي يثني على الصحابة" على التقية، والعقل والمنطق يعترض على هذا "التأويل" فلم يكون الثناء على الصحابة الذي أثنى عليهم الله ورسوله، وشهد التاريخ بفضلهم وجهادهم تقية، ويكون السب لهم هو الحقيقة وهو مذهب الأئمة؟ إنه لا دليل لهم على هذا المذهب سوى أنه يتمشى مع منطق أعداء الأمة.

ثم إن النص السابق يرويه "جعفر الصادق" عن رسول الله ﷺ، فهل رسول الله

---

(١) [المجلسي: البحار ٢٢/ ٣٠٥-٣٠٦].

(٢) [أمالي الصدوق: ٢٤٠-٢٤١، بحار الأنوار: ٢٢/ ٣٠٥].

(٣) [المجلسي/ البحار: ٢٢/ ٣٠٩-٣١٠، وعزاه إلى نوادر الرّواندي: ص٢٣].

(٤) [ابن بابويه/ معاني الأخبار: ١٥٦-١٥٧، المجلسي/ البحار: ٣٠٧] .

يكذب على الأمة ـ تقية ـ أو أن جعفراً يكذب على رسول الله من أجل التقية؟! وكلا الأمرين طعن في رسول الله ﷺ وأهل بيته ومخالفة صريحة للنصوص.

وفي نهج البلاغة يقول علي رضي الله عنه في أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما على اختلاف بين شيوخ الشيعة في ذلك [انظـر: ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٧]: «لله بلاء فلان [أي عمله الحسن في سبيـل الله (ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٧)] فلقـد قوم الأود [وهو كناية عن تقويمه لاعوجـاج الخلق عن سبيل الله إلى الاستقامـة. (ميثم البحراني/ شرح نهج البـلاغة: ٤/ ٩٧)]، وداوى العَمَد [العـمد بالتّـحـريك: العلّة. انظر: صـبحي الصّـالح في تعليـقه عـلى نهج البلاغـة ص: ٦٧١]، وأقام السنّة. . وخلف الفتنة [تركها خلفًـا لا هو أدركها ولا هي أدركته (المصدر السّابق)]، ذهب نقي الثّوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرّها، أدّى إلى الله طاعته واتّقاه بحقّه" [نهج البلاغة: ص٠ ٣٥ (تحقيق صبحي الصّالح)] .

وهذا نصّ عظيم يهدم كلّ ما بنوه وزعموه عن عداوة وصراع بين علي والشيخين رضي الله عنهم.

وقـد احتـار "الروافض" بمثل هذا النص؛ لأنه في نهج البـلاغة ومـا في النهج عندهم قطعي الثبوت، وصور شيخهم ميثـم البحراني [ميثم بن علي البحراني (كمال الدين) من شيوخ الإمامية، من أهل البحرين، من كتبه: "شرح نهج البلاغة"، توفي في البحرين سنة ٦٧٩هـ)معجم المؤلفين: ١٣/ ٥٥)] ذلك بقوله: "واعلم أن الشيعة قد أوردوا هنا سـؤالاً فقالوا: إن هذه المادح التي ذكـرها في حق أحد الرجلين تنافي ما أجمعنا عليـه من تخطئتهم وأخذهما لمنصب الخلافـة، فإما أن لا يكون هذا الكلام من كلامه رضي الله عنه، وإما أن يكون إجماعنا خطأ" .

ثم حملوا هذا الكلام على التقية وأنه إنما قال هذا المدح من أجل "استصلاح من يعتقد صحة خلافة الشيخين واستجلاب قلوبهم بمثل هذا الكلام" . أي: أن عليًا ـ في زعمهـم ـ أراد خداع الصحابة، وأظهـر لهم خلاف ما يبطن فهـو خطب هذه الخطبة العامة أمام الناس، وهي مبنيـة على الكذب، هذا هو جواب من يزعم التشيع لعلي [ميثم البحراني/ شرح نهج البلاغة: ٤/ ٩٨].

وما أعتقد أن عاقلاً يرضى هذا "الجواب" ، وإننا نقول بأن إجماع الشيعة ضلال، وقول علي هو الحق والصدق، وهو الذي لا يخاف في الله لومة لائم.

وقد يقـول قائل: هذه النصوص المنقـولة من كتبـهم تناقض ما سلف من تكفـير الشـيعـة للصحـابة، وأقول: نعم، لأن هذا المـذهب يحمل في رواياته هذه الصـورة

المتناقضة، لكن شيوخهم وضعوا أصولاً وأقوالاً نسبوها للأئمة للتخلص من هذه الأخبار، والخروج من هذا التناقض، فمن أصولهم أن هذا التناقض أمر مقصود لإخفاء حقيقة المذهب حتى لا يقضى على المذهب وأهله من قبل العامة (يعني أهل السنة) (١).

وقالوا عند الاختلاف: "خذوا بما خالف العامة، فإن فيه الرشاد" [انظر: ص (٤١٣) من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية]. ولذلك يحمل شيوخهم أمثال هذه الروايات على التقية، ولأنها روايات قليلة بالنسبة لأخبارهم الكثيرة التي تفكر وتلعن، فهم لا يأخذون بها، فمفيدهم يقول: "ما خرج للتقية لا يكثر روايته عنهم كما تكثر روايات المعمول به"(٢).

ولذلك تجد في تعقيب ابن بابويه إشارة إلى أن مدح الصحابة في الرواية التي ذكرها إنما هو على سبيل التقية، وكذلك في تعقيب ميثم.

وإذا كان الأمر كذلك فإني إنما ذكرت هذه الأخبار وأمثالها لإثبات تناقض المذهب أمام العقلاء، وتبصير من يريد الحق من أتباع المذهب إلى أن هذه الروايات هي الحقيقة لا التقية؛ لاتفاقها مع كتاب الله سبحانه وإجماع الأمة.

وبيان أن عقيدة التقية جعلت من المذهب ألعوبة بأيدي الشيوخ يوجهونه وفق إرادتهم، فلم يعد مذهب أهل البيت، إنما مذهب الكليني والقمي والمجلسي وأضرابهم.

دلالة العقل والتاريخ وما علم بالتواتر وأجمع الناس عليه:

أولاً: قد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كان لهم بالنبي صلى الله عليه وسلم اختصاص عظيم وكانوا من أعظم الناس اختصاصًا به، وصحبة له وقربًا إليه، وقد صاهرهم كلهم، وكان يحبهم ويثني عليهم، وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطنًا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته، فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا القرب فأحد الأمرين لازم، إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو من أعظم القدح في الرسول ﷺ كما قال:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة ... وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته، وأكابر أصحابه، ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله، فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟ فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول ﷺ كما قال مالك

---

(١) [انظر: أصول الكافي: ١/ ٦٥]. (٢) [تصحيح الاعتقاد: ص٧١].

وغيره: إنّما أراد هؤلاء الرّافضة الطّعن في الرّسول ﷺ ليقول القائل: رجل سوء كان له أصحاب سوء، ولو كان رجلاً صالحًا لكان أصحابه صالحين، ولهذا قال أهل العلم: إن الرافضة دسيسة الزندقة (١).

ثانيًا: إن المرتد إنما يرتد لشبهة أو شهرة، ومعلوم أن الشبهات والشهوات في أوائل الإسلام كانت أقوى، حيث كان الإسلام إذ ذاك قليلاً، والكفار مستولون على عامة الأرض، وكان المسلمون يؤذون بمكة ويلقون من أقاربهم وغيرهم من المشركين من الأذى ما لا يعلمه إلا الله، وهم صابرون على الأذى متجرعون لمرارة البلوى، وقد اتبعوه ﷺ وهو وحيد فقير، ذليل خائف، مقهور مغلوب، وأهل الأرض يد واحدة في عداوته، وقد خرجوا من ديارهم وأموالهم وتركوا ما كانوا عليه من الشرف والعزة حبًا لله ورسوله.

وهذا كله فعلوه طوعًا واختيارًا، فمن كان إيمانهم مثل الجبال في حال ضعف الإسلام، كيف يكون إيمانهم بعد ظهور آياته وانتشار أعلامه [منهاج السنة: ٤/١٢٨]؟! لاسيما والسبب الذي تكفرهم الرافضة من أجله وهو بيعة أبي بكر من دون علي، لا يوجد فيه ما يدفعهم إلى التضحية بإيمانهم، وخسارة سابقتهم وجهادهم وبيع آخرتهم من أجل أبي بكر، فما الذي حملهم على ذلك وهم يعلمون أنه كفر بربهم، ورجوع عن دينهم، وتركوا اتباع قول رسول الله في بيعة علي بن أبي طالب، وقد علموا أنها طاعة نبيهم، والثبات على دينهم، هل يعقل أن يطيع المهاجرون والأنصار أبا بكر في الكفر بالله، ويتركوا اتباع قول رسول الله في علي؟ وهم الذين خرجوا من ديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا، وينصرون الله ورسوله، أولئك هم الصادقون.

ثالثًا: إن مذهب الرافضة في تكفير الصحابة يترتب عليه تكفير أمير المؤمنين لتخليه عن القيام بأمر الله، ويلزم عليه إسقاط تواتر الشريعة، بل بطلانها ما دام نقلتها مرتدين، ويؤدي إلى القدح في القرآن العظيم، لأنه وصلنا عن طريق أبي بكر وعمر وعثمان وإخوانهم، وهذا هو هدف واضع هذه المقالة، ولذلك قال أبو زرعة: « إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق والقرآن حق، وإنا أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة» (٢).

---

(١)[منهاج السنّة: ٤/ ١٢٣].

(٢) [الكفاية: ص٤٩].

ولذلك اعترفت كتب الشّيعة أن الذي وضع هذه المقالة هو ابن سبأ فقالت إنه: "أوّل من أظهر الطّعن في أبي بكر عمر وعثمان والصّحابة، وتبرأ منهم، وادّعى أنّ عليًا عليه السّلام أمره بذلك" [القمي/ المقالات والفِرَق: ص٢٠، النّوبختي/ فِرَق الشّيعة: ص١٩-٢٠].

رابعًا: أنّ عليًا رضي الله عنه لم يكفّر أحدًا ممّن قاتله حتى ولا الخوارج، ولا سبى ذرية أحد منهم، ولا غنم ماله، ولا حكم في أحد ممن قاتله بحكم المرتدين كما حكم أبو بكر وسائر الصحابة في بني حنيفة وأمثالهم من المرتدين، بل كان يترضى عن طلحة والزبير وغيرهما ممن قاتله، ويحكم فيهم وفي أصحاب معاوية ممن قاتله بحكم المسلمين، وقد ثبت بالنّقل الصّحيح أنّ مناديه نادى يوم الجمل: لا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح، ولا يغنم مال [وهذا ممّا أنكرته الخوارج عليه حتى ناظرهم ابن عبّاس ـ رضي الله عنه ـ في ذلك. (منهاج السّنّة: ٤/ ١٨١)].. واستفاضت الآثار أنه كان يقول عن قتلى عسكر معاوية: إنهم جميعًا مسلمون ليسوا كفارًا ولا منافقين [منهاج السنة: ٤/ ١٨١].

وهذا ثبت بنقل الشّيعة نفسها، فقد جاء في كتبهم المعتمدة عندهم: "عن جعفر عن أبيه أنّ عليًا ـ عليه السّلام ـ لم يكن ينسب أحدًا من أهل حربه إلى الشّرك، ولا إلى النّفاق، ولكنّه يقول: هم بغوا علينا" [قرب الإسناد: ص ٦٢، وسائل الشّيعة: ١١/ ٦٢].

ولكن عقيدة التقية عندهم تجعل دينهم دين الشيوخ لا دين الأئمة، فقد قال الحر العاملي في التعليق على النص السابق: "أقول: هذا محمول على التّقية" [وسائل الشّيعة: ١١/ ٦٢].

وجاء في كتاب علي إلى أهل الأمصار يذكر فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين: "وكان بدء أمرنا التقينا والقوم من أهل الشّام، والظّاهر أنّ ربّنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله، والتّصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء" [نهج البلاغة: ص ٤٤٨].

وقد أنكر على من يسب معاوية ومن معه فقال: "إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللّهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم" [نهج البلاغة: ص٣٢٣].

فهذا السب والتكفير لم يكن من هدي علي باعتراف أصح كتاب في نظر الشيعة.

خامسًا: "إن الذين تستثنيهم الرافضة من حكمها بالردة كسلمان وعمار والمقداد، إنما استثنتهم لأنهم بزعمها على مذهب الرفض من تكفير أبي بكر وعمر، وإنكار بيعتهما، وهذا من جملة نصب الرافضة وتلبيسهم؛ لأنه لم يعهد لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما منازع في إمامتهما لا هؤلاء ولا غيرهم. وهذا سلمان كان أميرًا على مدائن كسرى من قبل عمر يدعو إلى إمامته وطاعته.. وهذا عمّار كان أميرًا من قبل عثمان - رضي الله عنه - على الكوفة، وهذا المقداد وغيره كانوا في عساكر الصّحابة وغزواتهم فكيف يمشي تلبيس الرافضة" [أبو المحاسن الواسطي/ المناظرة: الورقة(٦٦)، وانظر: ص(٦٦-٦٧) من رّسالة أصول مذهب الاثنى عشرية].

سادسًا: من المعلوم المقطوع به من وقائع التاريخ وأحداثه المعلومة المستفيضة حال الصحابة رضوان الله عليهم، وأنهم لم يؤثروا على الله شيئًا، وبلغ المكروه بهم كل مبلغ، وبذلوا النفوس في الله حتى أيد الله تعالى بهم نبيه، وأظهر بهم دينه، فكيف يجسر على الطعن عليهم من عرف الله ساعة في عمره؟ أم كيف يجترئ على سبهم وانتقاصهم من يزعم أنه مسلم [التنبيه والرد: ص١٠-١١]؟! ولهذا قال الخطيب البغدادي: "على أنه لو لم يرد من الله عز وجل فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأولاد، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم والاعتقاد بنزاهتهم" [الكفاية: ص٤٩، وانظر مثل هذا المعنى: الإيجي/ المواقف: ص٤١٣].

ومن يراجع أحداث السيرة وما لقي رسول الله ﷺ وصحبه من أذى واضطهاد، حتى رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحملوا اضطهاد قريش في بطحاء مكة، وقاسوا مرارة المقاطعة وشدة الحصار في الشعب، وعانوا من فراق الوطن والأهل والعشيرة فهاجروا إلى الحبشة، والمدينة، وقاموا بأعباء الجهاد وتضحياته، وحاربوا الأهل والعشيرة، إلى آخر ما هو مشهور ومعلوم من حالهم.

من يتأمل شيئًا من هذه الأحوال، يعرف عظمة ذلك الجيل، وقوة إيمانه، وصدق بلائه.

سابعًا: قامت القرائن العملية، والأدلة الواقعية من سيرة أمير المؤمنين علي في علاقته مع إخوانه أبي بكر وعمر وعثمان مما اشتهر وذاع ونقله حتى الروافض ما يثبت المحبة الصادقة، والإخاء الحميم بين هذه الطليعة المختارة، والصفوة من جيل الصحابة

رضوان الله عليهم.

وتأتي في مقدمة هذه الأدلة والقرائن تزويج أمير المؤمنين علي ابنته أم كلثوم لأمير المؤمنين عمر [انظر: عقد أم كلثوم للشيخ فاروقي، محمد صديق/ التحقيق الجلي في تزويج أم كلثوم بنت علي]. فإذا كان عمر فاروق هذه الأمة قد صار عند الاثني عشرية أشد كفراً من إبليس، أفلا يرجعون إلى عقولهم ويتدبروا فساد ما ينتهي إليه مذهبهم؟! إذ لو كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما كافرين لكان علي بتزويجه ابنته أم كلثوم الكبرى من عمر رضي الله عنه كافراً أو فاسقًا معرضًا بنته للزنا، لأن وطء الكافر للمسلمة زنا محض [السمعاني/ الأنساب: ١/ ٣٤٧].

والعاقل المنصف البريء من الغرض، الصادق في تشيعه لا يملك إلا الإذعان لهذه الحقيقة، حقيقة الولاء والحب بين الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولذلك لما قيل لمعز الدولة أحمد بن بويه ـ وكان رافضيًا يشتم صحابة رسول الله -: "إن عليًا ـ عليه السلام ـ زوج ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب، استعظم ذلك وقال: ما علمت بهذا، وتاب وتصدق بأكثر ماله وأعتق مماليكه ورد كثيراً من المظالم وبكى حتى غشي عليه" [ابن الجوزي/ المنتظم: ٧/ ٣٨-٣٩] لشعوره بعظيم جرمه فيما سلف من عمره، الذي أمضاه ينهش في أعراض هؤلاء الأطهار مغتراً بشبهات الروافض.

وقد حاول شيوخ الشّيعة إبطال مفعول هذا الدّليل فوضعوا روايات الأئمّة تقول: "ذلك فرج غصبناه" [فروع الكافي: ٢/ ١٠، وسائل الشّيعة: ٧/ ٤٣٤-٤٣٥]، فزادوا الطين بلة، حيث صوّروا أمير المؤمنين في صورة "الدّيّوث" الذي لا ينافح عن عرضه، ويقر الفاحشة في أهله، وهل يتصور مثل هذا في حق أمير المؤمنين علي؟! "إنّ أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، فضلاً عن بني هاشم الذين هم سادات العرب وأعلاها نسبًا وأعظمها مروءة وحمية، فكيف يثبتون لأمير المؤمنين مثل هذه المنقصة الشنيعة، وهو الشجاع الصنديد، ليث بني غالب، أسد الله في المشارق والمغارب؟!" [السويدي/ مؤتمر النّجف: ص٨٦].

ويبدو أن بعضهم لم يعجبه هذا التوجيه، فرام التخلص من هذا الدليل بمنطق أغرب وأعجب، حيث زعم أنّ أم كلثوم لم تكن بنت علي ولكنّها جنّيّة تصوّرت بصورتها [انظر: الأنوار النّعمانيّة: ١/ ٨٣-٨٤، وقد جاء مثل هذا التّوجيه في كتب الإسماعيليّة. انظر: الهفت الشّريف: ص٨٤ وما بعدها].

ومن القرائن أيضًا علاقات القربى القائمة بينهم، ووشائج الصلة، وكذلك مظاهر المحبة، حتى إنّ عليًا والحسن والحسين يسمّون بعض أولادهم باسم أبي بكر وعمر،

وهل يطيق أحد أن يسمي أولاده بأسماء أشد أعدائه كفراً وكرهًا له؟ وهل يطيق أن يسمع أسماء أعدائه تتردد في أرجاء بيته، يرددها مع أهلها في يومه مرات وكرات؟!
[انظر ما سجّله محبّ الدّين الخطيب من علاقات المصاهرة بين الآل والأصحاب وأولاد آل البيت الذين يحملون أسماء الخلفاء الثّلاثة وغيرهم من الصّحابة في كتابه: "حملة رسالة الإسلام الأوّلون وما كانوا عليه من المحبّة والتّعاون" ص:١١ وما بعدها، أو "نشأة التّشيّع وتطوّره" : ص١٢ وما بعدها، وانظر: ما سجّله إحسان إلهي ظهير ممّا نقله من كتب الشّيعة في هذا الباب في كتابه "الشّيعة وأهل البيت"، ممّا لا حاجة لتكرار نقله هنا].

وهناك أحاديث أخرى ظاهرة الدلالة على فضلهم بالجملة . أما فضائلهم على التفصيل فكثيرة جدا . وقد جمع الإمام أحمد رحمه الله في كتابه ((فضائل الصحابة)) مجلدين، قريبا من ألفي حديث وأثر . وهو أجمع كتاب في بابه . (وقد حققه د . وصي الله بن محمد، ونشرته جامعة أم القرى عام ١٤٠٣ هـ.

أدلة عدالة الصحابة من الكتاب العزيز:

عدالة الصحابة عند أهل السنة من مسائل العقيدة القطعية، أو مما هو معلوم من الدين بالضرورة، ويستدلون لذلك بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة.

أ- القرآن الكريم.

الآية الأولى: يقول الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (سورة الفتح: ١٨).

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: كنا ألفا وأربعمائة (صحيح البخاري: كتاب المغازي -باب عزوة الحديبية- حديث [١٤٥٤] فتح الباري: ٥٠٧/٧ . طبعة الريان).

فهذه الآية ظاهرة الدلالة على تزكية الله لهم، تزكية لا يخبر بها، ولا يقدر عليها إلا الله. وهي تزكية بواطنهم وما في قلوبهم، ومن هنا رضي عنهم. ((ومن رضي عنه تعالى لا يمكن موته على الكفر؛ لأن العبرة بالوفاة على الإسلام. فلا يقع الرضا منه تعالى إلا على من علم موته على الإسلام)) (الصواعق المحرقة: ص ٣١٦ ط). ومما يؤكد هذا ما ثبت في صحيح مسلم من قول رسول الله - ﷺ-: (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد؛ الذين بايعوا تحتها) (صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة. . حديث [٢٤٩٦]. صحيح مسلم ١٩٤٣/٤ .

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: (والرضا من الله صفة قديمة، فلا يرضى إلا عن عبد علم أن يوافيه على موجبات الرضا -ومن رضي الله عنه لم يسخط عليه أبداً- فكل من أخبر الله عنه أنه رضي عنه فإنه من أهل الجنة، وإن كان رضاه عنه بعد إيمانه وعمله الصالح؛ فإنه يذكر ذلك في معرض الثناء عليه والمدح له. فلو علم أنه يتعقب ذلك بما سخط الرب لم يكن من أهل ذلك) (الصارم المسلول: ٥٧٢، ٥٧٣ . طبعة دار الكتب العلمية. تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد).

وقال ابن حزم: (فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزال السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم أو الشك فيهم البتة) (الفصل في الملل والنحل: ٤/ ١٤٨).

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (سورة الفتح: ٢٩).

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: (بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة -رضي الله عنهم- الذين فتحوا الشام، يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وصدقوا في ذلك؛ فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة، وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم في الكتب المنزلة والأخبار المتداولة؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى هنا: (ذلك مثلهم في التوراة). ثم قال: ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ أي فراخه. ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ أي: شده ﴿فَاسْتَغْلَظَ ﴾ أي: شب وطال. ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله -ﷺ- آزروه وأيدوه ونصروه، فهو معهم كالشطء مع الزراع ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ (الاستيعاب لابن عبد البر ١/ ٦ ط. دار الكتاب العربي بحاشية الإصابة، عن ابن القاسم. وتفسير ابن كثير: ٤/ ٢٠٤ ط. دار المعرفة -بيروت، دون إسناد).

وقال ابن الجوزي: (وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور) (زاد المسير: ٤/ ٢٠٤).

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ

وَالْإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة الحشر: ٨ ـ ١٠]. يبين الله عز وجل في هذه الآيات أحوال وصفات المستحقين للفيء، وهم ثلاثة أقسام: القسم الأول: ﴿للفقراء المهاجرين﴾. والقسم الثاني: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾. والقسم الثالث: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾. وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة، أن الذي يسب الصحابة ليس له من مال الفيء نصيب؛ لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء -القسم الثالث- في قولهم: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ الآية (تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٣٩).

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (الناس على ثلاث منازل، فمضت منزلتان، وبقيت واحدة، فأحسن ما أنتم عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. قال: ثم قرأ: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ إلى قوله: ﴿رضوانا﴾ فهؤلاء المهاجرون. وهذه منزلة قد مضت ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾ إلى قوله: ﴿ولو كان بهم خصاصة﴾. قال: هؤلاء الأنصار. وهذه منزلة قد مضت. ثم قرأ: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ إلى قوله: ﴿ربنا إنك رءوف رحيم﴾ قد مضت هاتان وبقيت هذه المنزلة، فأحسن ما أنتم كائنون عليه أن تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت. يقول: أن تستغفروا لهم) (الصارم المسلول: ٥٧٤، والأثر رواه الحاكم ٢/ ٣٤٨٤ وصححه ووافقه الذهبي).

وقالت عائشة رضي الله عنها: (أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي -ﷺ- فسبوهم) (رواه مسلم في كتاب التفسير-حديث [٣٠٢٢] صحيح مسلم ٤/٢٣١٧).

قال أبو نعيم: (فمن أسوأ حالاً ممن خالف الله ورسوله وآب بالعصيان لهما والمخالفة عليهما. ألا ترى أن الله تعالى أمر نبيه -ﷺ- بأن يعفو عن أصحابه ويستغفر لهم ويخفض لهم الجناح، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (سورة آل عمران: ١٥٩). وقال: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة الشعراء: ٢١٥).

فمن سبهم وأبغضهم وحمل ما كان من تأويلهم وحروبهم على غير الجميل الحسن، فهو العادل عن أمر الله تعالى وتأديبه ووصيته فيهم. لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي -ﷺ- وصحابته والإسلام والمسلمين)) (الإمامة: ص

٣٧٥-٣٧٦ . لأبي نعيم تحقيق د. علي فقهي، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ط١ عام ١٣٠٧ هـ).

وعن مجاهد، عن ابن عباس، قال: (لا تسبوا أصحاب محمد، فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتتلون) (الصارم المسلول: ٥٧٤ . وانظر منهاج السنة ٢/ ١٤ والأثر رواه أحمد في الفضائل رقم (١٨٧، ١٧٤١) وصحح إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية، ونسب الحديث لابن بطة منهاج السنة ٢/ ٢٢).

الآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (سورة التوبة: ١٠٠).

والدلالة في هذه الآية ظاهرة. قال ابن تيمية: (فرضي عن السابقين من غير اشتراط إحسان. ولم يرض عن التابعين إلا أن يتبعوهم بإحسان) (الصارم المسلول: ٥٧٢). ومن اتباعهم بإحسان الترضي عنهم والاستغفار لهم.

الآية الخامسة: وقال تعالى: ﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ﴾ [الحديد، آية: ١٠].

وقد حكم الله لمن وعد بالحسنى بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ﴾ [الأنبياء، آية: ١٠١، ١٠٢، ١٠٣].

فجاء النص أن من صحب النبي ﷺ فقد وعده الله تعالى بالحسنى، وقد نص الله سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [آل عمران، آية: ٩] وصح بالنص أن كل من سبقت له من الله تعالى الحسنى، فإنه مبعد عن النار لا يسمع حسيسها، وهو فيما اشتهى خالد لا يحزنه الفزع الأكبر. وليس المنافقون ولا سائر الكفار من أصحابه ﷺ [المحلى: ١/ ٤٢].

والحسنى: الجنة. قال ذلك مجاهد وقتادة (تفسير ابن جرير: ١٢٨/٢٧ . دار المعرفة ـ بيروت ط الراعبة ١٤٠٠ هـ).

واستدل ابن حزم من هذه الآية بالقطع بأن الصحابة جميعاً من أهل الجنة لقوله عز وجل: ﴿وكلا وعد الله الحسنى﴾ (الفصل: ٤/ ١٤٨، ١٤٩ . ط).

الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم﴾ (سورة التوبة: ١١٧).

وقد حضر غزوة تبوك جميع من كان موجوداً من الصحابة، إلا من عذر الله من النساء والعجزة. أما الثلاثة الذين خُلفوا فقد نزلت توبتهم بعد ذلك.

ولقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عنهم، وأثنى الله عليهم في آيات كثيرة جلية واضحة، لا نحتاج لمعرفة معناها إلى تأويل باطني كحال الشيعة في تأويل آيات القرآن بالاثني عشر.

قال جل شأنه: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران، آية: ١١٠].

«وكفى فخراً لهم أن الله تبارك وتعالى شهد لهم بأنهم خير الناس، فإنهم أول داخل في هذا الخطاب، ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونصرته» [ابن حجر الهيثمي/ الصواعق المحرقة: ص٧].

ولهذا جاء تأويلها عن السلف بأقوال «مقتضاها أن الآية نزلت في الصحابة، قال الله لهم كنتم خير أمة» [ابن عطية/ المحرر الوجيز: ٣/ ١٩٣، ولهذا قال علامة الشيعة الزيدية محمد بن إبراهيم الوزير بعدما ذكر من أحوال أولئك الصحب العظام ما لم تر أمة من أمم الأرض مثله. قال: «وهذه الأشياء تنبه الغافل، وتقوي بصيرة العاقل، وإلا ففي قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ كفاية وغنية» (الروض الباسم: ١/ ٥٦-٥٧، وانظر: محب الدين الخطيب/ الجيل المثالي: ص١٩)].

وقال سبحانه: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: آية: ١٠٠].

فالآية صريحة الدلالة على رضاء الله سبحانه عن المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وتبشيرهم بالفوز العظيم، والخلود في جنات النعيم، ولهذا قال ابن كثير عند هذه الآية:

«فيا ويل من أبغضهم أو سبهم، أو أبغض أو سب بعضهم ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم [بل تجاوزوا مرحلة السب إلى الحكم بالردة والتكفير]، عياذاً بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة، وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن، إذ يسبون من رضي الله عنهم» [تفسير ابن كثير: ٢/ ٤١٠].

ـ وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح، آية: ١٨].

قال ابن حزم: "فمن أخبرنا الله سبحانه أنه علم ما في قلوبهم، ورضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة" [الفصل: ٤/ ٢٢٥].

«والذين بايعوا تحت الشّجرة بالحديبيّة عند جبل التّنعيم [التّنعيم: على ثلاثة أميال أو أربعة من مكّة المشرّفة، سمّي به لأنّ على يمينه جبل نعيم كزبير، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان بالفتح. (انظر: تاج العروس، مادّة "نعم"، ومعجم البلدان، لفظ "تنعيم")] كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، بايعوه لما صده المشركون عن العمرة [منهاج السنة: ٢/ ١٥-١٦ (تحقيق د. رشاد سالم)]...

وهؤلاء كما يقول شيخ الإسلام ابن تيميّة هم أعيان من بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم [منهاج السنّة: ٢٠٦/١].

ولقد خاب وخسر من رد قول ربه أنه رضي عنه المبايعين تحت الشجرة.. وقد علم كل أحد له أدنى علم أن أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير وعمارًا والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم من أهل هذه الصفة، وقد انتظمت الخوارج والروافض البراءة منهم خلافًا لله عز وجل وعنادًا [الفصل: ٤/ ٢٢٦].

وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح، آية: ٢٩].

فانظر إلى عظيم مقام الصحابة، حيث أثنى الله عليهم بهذه الأوصاف، وأخبر أن صفتهم مذكورة في التوراة والإنجيل، حتى ذكر بعض أهل العلم أنّ ظاهر هذه الآية يُوجب أنّ الرّوافض كفّار؛ لأنّ في قلوبهم غيظًا من الصّحابة وعداوة لهم، والله يقول: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾، فبيّن أنّ من كان في قلبه غيظ منهم فهو من الكفّار [انظر: الإسفراييني/ التبصير في الدّين: ص٢٥، تفسير ابن كثير: ٤/ ٢١٩، تفسير القاسمي: ١٥/ ١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر، الآيات: ٨، ٩، ١٠].

وهذه الآيات تتضمّن الثّناء على المهاجرين والأنصار، وعلى الذين جاءوا من بعدهم يستغفرون لهم، ويسألون الله ألا يجعل في قلوبهم غلاً لهم، وتتضمّن أنّ هؤلاء الأصناف هم المستحقّون للفيء.

ولا ريب أن هؤلاء الرّافضة خارجون من الأصناف الثلاثة، فإنهم لم يستغفروا للسّابقين، وفي قلوبهم غلّ عليهم. ففي الآيات الثناء على الصحابة وعلى أهل السنة الذين يتولونهم وإخراج الرافضة من ذلك، وهذا ينقض مذهب الرافضة [منهاج السنة: ١/ ٢٠٤].

والآيات في هذا الباب كثيرة

ب ـ السنة المطهرة: أدلة عدالة الصحابة من السنة المطهرة.

الحديث الأول: عن أبي سعيد، قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شئ، فسبه خالد. فقال رسول الله ﷺ: « لا تسبوا أحداً من أصحابي؛ فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُد أحدهم ولا نصيفَه)) (رواه البخاري: كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً- حديث/ ٣٦٧٣ . ومسلم: كتاب فضائل الصحابة -باب تحريم سب الصحابة- حديث/ ٢٥٤١ . صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٧م. والنصيف هو النصف. والسياق لمسلم ط. عبد الباقي).

قال ابن تيمية في الصارم المسلول: وكذلك قال الإمام أحمد وغيره: كل من صحب النبي ﷺ سنة أو شهراً أو يوماً أو رآه مؤمناً به، فهو من أصحابه، له من الصحبة بقدر ذلك.

فإن قيل: فلمَ نَهى خالداً عن أن يسب أصحابه إذا كان من أصحابه أيضاً؟ وقال: ((لو أن أحدكم أَنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُد أحدهم ولا نصيفه))؟ قلنا: لأن عبد الرحمن بن عوف ونظراءه من السابقين الأولين، الذين صحبوه في وقت كان خالد وأمثاله يعادونه فيه، وأنفقوا أموالهم قبل الفتح وقاتلوا، وهم أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا، وكلا وعد الله الحسنى. فقد انفردوا من الصحبة بما لم يشركهم فيه خالد ونظراؤه، ممن أسلم بعد الفتح الذي هو صلح الحديبية وقاتل. فنهى أن يسب أولئك الذين صحبوه قبله. ومن لم يصحبه قط نسبته إلى من صحبه، كنسبة خالد إلى السابقين، وأبعد (الصارم المسلول: ص٥٧٦).

الحديث الثاني: قال ﷺ لعمر: ((وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)) (صحيح البخاري فتح الباري: حديث ٣٩٨٣ . وصحيح مسلم: حديث ٢٤٩٤ . عبد الباقي).

قيل: ((الأمر في قوله: ((اعملوا)) للتكريم. وأن المراد أن كل عمل البدري لا يؤاخذ به لهذا الوعد الصادق)). وقيل: ((المعنى إن أعمالهم السيئة تقع مغفورة، فكأنها لم تقع)) (معرفة الخصال المكفرة لابن حجر العسقلاني: ص ٣١ تحقيق جاسم الدوسري -الأولى ١٤٠٤ هـ).

وقال النووي: ((قال العلماء: معناه الغفران لهم في الآخرة، وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا. ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد. وأقامه عمر على بعضهم -قدامة بن مظعون قال: وضرب النبي ﷺ مسطحاً الحد، وكان بدرياً)) (صحيح مسلم بشرح النووي: ١٦/٥٦، ٥٧).

وقال ابن القيم: ((والله أعلم، إن هذا الخطاب لقوم قد علم الله سبحانه أنهم لا يفارقون دينهم، بل يموتون على الإسلام، وأنهم قد يقارفون بعض ما يقارفه غيرهم من الذنوب، ولكن لا يتركهم سبحانه مصرين عليها، بل يوفقهم لتوبة نصوح واستغفار وحسنات تمحو أثر ذلك، ويكون تخصيصهم بهذا دون غيرهم؛ لأنه قد تحقق ذلك فيهم، وأنهم مغفور لهم. ولا يمنع ذلك كون المغفرة حصلت بأسباب تقوم بهم، كما لا يقتضي ذلك أن يعطلوا الفرائض وثوقاً بالمغفرة. فلو كانت حصلت بدون الاستمرار على القيام بالأوامر لما احتاجوا بعد ذلك إلى صلاة ولا صيام ولا حج ولا زكاة ولا جهاد وهذا محال)) (الفوائد لابن القيم: ص ١٩، المكتبة القيمة، الأولى ١٤٠٤ هـ).

الحديث الثالث: عن عمران بن الحصين رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)). قال عمران: ((فلا أدري؛ أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً)) (البخاري: حديث [٣٦٥٠]. ومسلم: حديث [٢٥٣٥]. وهذا سياق البخاري مختصراً).

الحديث الرابع: عن أبي موسى الأشعري، أن رسول الله -ﷺ قال: ((النجوم أَمَنَةٌ للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يُوعَدُون، وأصحابي أَمَنَةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يُوعَدُون)) (صحيح مسلم: حديث [٢٥٣١]. والأمنة هي الأمان).

الحديث الخامس: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله -ﷺ قال: ((أكرموا أصحابي؛ فإنهم خياركم)) (رواه الإمام أحمد، والنسائي، والحاكم

بسند صحيح. انظر مشكاة المصابيح: ٣/ ١٦٩٥ . ومسند الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر: ١/ ١١٢). وفي رواية أخرى: ((احفظوني في أصحابي)) (رواه ابن ماجة: ٢/ ٦٤ . وأحمد: ١/ ٨١ . والحاكم: ١/ ١١٤ . وقال: صحيح ووافقه الذهبي وقال البوصيري: إسناد رجاله ثقات -زوائد ابن ماجة ٣/ ٥٣ وانظر بقية كلامه).

الحديث السادس: عن واثلة يرفعه: ((لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأي من رآني وصاحبني)) (رواه ابن أبي شيبة ١٢/ ١٧٨، وابن أبي عاصم: ٢/ ٦٣٠ . في السنة ومن طريق المصنف، ورواه الطبراني في الكبير ٢٢/ ٨٥ . وعنه أبو النعيم في معرفة الصحابة ١/ ١٣٣، وقد حسنه الحافظ في الفتح ٧/ ٥، وقال الهيثم في الجمع ١٠/ ٢٠: رواه الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح).

الحديث السابع: عن انس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: « آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار)) (البخاري ٧ / ١١٣، ومسلم ١ / ٨٥).

وقال في الأنصار كذلك: ((لا يحبهم الا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق)) (البخاري ٧ / ١١٣ ومسلم ١ / ٨٥ من حديث البراء رضي الله عنه).

وكتب السنة مليئة بالثناء على الصحب، وبيان فضلهم عن سيد الخلق ﷺ.

١ـ فنصوص تثني عليهم جميعًا كقوله ﷺ: «لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو

أنّ أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه" [أخرجه البخاري، باب فضائل أصحابِ النّبي ﷺ ٤/ ١٩٥. ومسلم، واللّفظ له، في كتابه فضائل الصّحابة، باب تحريم سبّ الصّحابة رضي الله عنهم: ٢/ ١٩٦٧ (ح٢٥٤٠)، وأبو داود في كتاب السّنّة، باب في النّهي عن سبّ أصحاب رسول الله: ٥/ ٤٥ (ح٤٦٥٨)، والتّرمذي في كتاب المناقب، باب ٥٩: ٥/ ٦٩٥-٦٩٦ (ح٣٨٦١)].

وقوله عليه الصلاة والسلام: "خير النّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ؛، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرني أو ثلاثة" [أخرجه البخاري: ٣/ ١٥١، في كتاب الشّهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا شهد. . واللّفظ له، ومسلم بنحوه في كتاب فضائل الصّحابة، باب فضل الصّحابة ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم: ٢/ ١٩٦٢ (ح٢٥٣٣)].

٢ـ ونصوص تثني على جماعات منهم على سبيل التعيين كأهل بدر، وقد قال فيهم ﷺ: «. . وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" [أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل أهل بدر:

٢/ ١٩٤١ (ح٢٤٩٤)].

وأصحاب الشّجرة أهل بيعة الرّضوان، وقد قال فيهم ﷺ: «لا يدخل النّار - إن شاء الله - من أصحاب الشّجرة أحد، الذين بايعوا تحتها» [أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصّحابة، باب من فضائل أصحاب الشّجرة: ٢/ ١٩٤٢ (ح٢٤٩٦)]. وغيرهما [راجع: جامع الأصول، الباب الرّابع في فضائل الصّحابة ومناقبهم، وفيه خمسة فصول: ٨/ ٥٤٧ وما بعدها، وانظر: فضائل الصّحابة للإمام أحمد، وفضائل الصّحابة للنّسائي، وانظر: الشّوكاني/ درّ السّحابة في مناقب القرابة والصّحابة، الكبيسي/ صحابة رسول الله ﷺ في الكتاب والسّنّة: ص١٦١].

٣ـ ونصوص تثني على آحادهم وهي كثيرة ذكرتها كتب الصحاح، والسنن والمسانيد.

قطوف من فضائل الخلفاء الراشدين والرد على بعض المطاعن:

الخليفةالراشدأبو بكر الصديق

المطلب الأول: خصائصه:

سأذكر في هذا الفصل فضائل الصديق ومناقبه، مبتدئا بذكر خصائصه في الفضائل العامة ثم خلافته ثم أختم الفصل بذكر مطاعن الرافضة عليه، والرد عليها، فأقول:

أ- من خصائصه، أنه أعلم الصحابة: (وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ جلس على المنبر فقال: «إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده؛ فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به، فقال النبي ﷺ : «لا تبك أبا بكر إن من أمّن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر»[1] [2].

وهذا هو أمر مشهور.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة باب «الخوخة والممر في المسجد؛ ١/ ١١٩، ١٢٠، وكتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر؛ ٤/ ١٩٠، ١٩١، وفي كتاب مناقب الأنصار باب «هجرة النبي إلى المدينة؛ ٤/ ٢٥٣، ٢٤٥، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب «من فضائل أبي بكر الصديق؛ ٤/ ١٨٥٤، ١٨٥٥، وغيرهما.

(٢) المنهاج ٨/ ٥٤٩، انظر ٨/ ٤٢٥- ٤٢٧، ٤٩٨، ٥/ ٢٠، ٣٥، ٧/ ٢٨٣، ٣٧٥، ٥٠٥ .

ب- إنفاقه في سبيل الله: (وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فإن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصـلاة وأن كان من أهـل الجهـاد دعي من باب الجـهاد وأن كـان من أهل الصدقة دعي من باب الصـدقة» فقال أبو بكر: يا رسول الـله فما على من دعى من تلك الأبواب كلهـا من ضرورة فـهل يدعى أحـد من تلك الأبواب كلها قـال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»[1] ولـم يذكر هذا لغير أبي بكر رضى الله عنه. . .

وقد قال رسـول الله ﷺ: «ما نفعني مال كـمال أبي بكر»[2] وهذا صـريح في اختصاصه بهذه الفضيلة لم يشركه فيها علي ولا غيره)[3].

(وفي الترمذي وسنن أبي داود عن عمـر رضى الله عنه قال امرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق منى مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر أن سبقته قال فجئت بنصف مالي فقال النبي ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت مـثله واتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: «يا أبا بكر مـا أبقـيت لأهلك ؟» قـال : الله ورسـوله قلت : «لا أسـابقـه إلى شيء أبدا»[4] [5].

المطلب الثاني: بقية الفضائل:

سبق كـثير من فـضائله في ذكر فـضائل أبي بكر رضي الله عنهـما وذلك فيـما يشتركان فيه مـثل إنفاقهما في سبيل الله ومشاورة النبي ﷺ لهما وشـجاعتهما وكون المشركين لم يسألوا عن أحـد بعد رسول الله ﷺ غيرهما، مما يدل على مـعرفة الناس بأن منزلتهما عند رسول الله ﷺ عظيمة، وأن هذا أمر مشهور، كما سبق بيان ذلك،

---

(١) رواه البخاري في كتاب الصوم، باب «الريان للصائمين» ٢/ ٢٧٧، وكتاب «بدء الخلق» باب «ذكر الملائكة صلوات الله عليهم» ٤/ ٨٠، وغيرها، ومسلم في كتاب الزكاة باب «من جمع الصدقة والبر» ٢/ ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، وغيرها. فضائل الصحابـة للإمام أحمد ١/ ١٩٦، ١٩٧ .

(٢) المسند تحقيق أحمـد شاكر ١٣/ ٨٣، وكذلك ١٦/ ٣٢٠، ٣٢١، وصححه، والتـرمذي كتاب المناقب باب مناقب أبي بكـر ٥/ ٦٠٩، وقال التـرمذي: هذا حـديث حسن غـريب من هذا الوجه، وابن مـاجه في المقدمـة ١/ ٣٦، فضائل الصـحابة للإمام أحـمد ١/ ٦٤- ٦٨، وفي مسند الحميدي ١/ ١٢١، وكذا الألباني في صحيح الجامع ٥/ ١٩٠ .

(٣) المنهاج ٧/ ١٦١- ١٦٣ .

(٤) سنن التـرمذي في كتـاب المناقب، باب أبي بكر وعـمر رضي الله عنهـما كلهـما ٥/ ٦١٤، ٦١٥، وأبو داود في كتاب الزكاة باب الرخصة في ذلك ٢/ ٣١٢، ٣١٣، سنن الدارمي كتاب الزكاة باب «الرجل يتصدق بجميع ما عنده» ١/ ٣٢٩ .

(٥) المنهاج ٧/ ١٦٤ .

ومن فضائل الفاروق رضي الله عنه وأرضاه ومناقبه:

كونه أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر رضى الله عنه: (وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة [١] قال سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف قالت أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر قيل لها ثم من بعد عمر قالت أبو عبيدة عامر بن الجراح [٢] ثم انتهت إلى هذا [٣] [٤].

(وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في بعض مغازيه: «إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا» [٥].

وفي رواية في الصحيح: «كيف ترون القوم صنعوا حين فقدوا نبيهم وأرهقتهم صلاتهم؛ قلنا الله ورسوله أعلم قال: «أليس فيهم أبو بكر وعمر إن يطيعوهما فقد رشدوا ورشدت أمتهم وإن يعصوهما فقد غووا وغوت أمتهم؛ [٦] قالها ثلاثا) [٧].

وقد سبق قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر) [٨].

وأنه قد روى عنه من طرق كثيرة، وسبق أيضا قوله رضى الله عنه: («لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري» [٩].

وفي السنن عن [النبي] ﷺ أنه قال: « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» [١٠].

ولهذا كان أحد قولي العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد أن قولهما إذا اتفقا حجة لا يجوز العدول عنها وهذا أظهر القولين كما أن الأظهر أن اتفاق الخلفاء الأربعة أيضا حجة لا يجوز خلافها لأمر النبي ﷺ باتباع سنتهم) [١١].

---

(١) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة و - بالتصغير - بن عبد الله بن جدعان التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه ت سنة ١١٧ هـ، روى له الجماعة التقريب / ٣١٢، الخلاصة ٢/ ٧٦ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) المنهاج ٦/ ٢٣، ٢٤ .

(٥) سبق تخريجه.

(٦) رواه مسلم بمعناه في المساجد باب «قضاء الصلاة الفائتة... إلخ؛ ١/ ٤٧٢، ٤٧٣، وفي المسند ٥/ ٣٠٢ .

(٧) المنهاج ٦/ ١٢٩ .

(٨) سبق تخريجه.

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) سبق تخريجه.

(١١) المنهاج ٦/ ١٣٨ .

(وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أكثر اجتماعا بالنبي ﷺ من علي بكثير.

كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه[١] الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علي وترحم عليٌّ على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله عز وجل بمثل عمله منك وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذلك أني كثيرا ما كنت اسمع النبي ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» فان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك[٢] [٣].

علم عمر: (والمسائل التي تنازع فيها عمر وعلي في الغالب يكون فيها قول عمر أرجح)[٤].

وقد قال عبيدة السلماني[٥] لعلي: (رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة[٦]. وقال ابن مسعود: «كان عمر إذا فتح لنا بابا دخلناه فوجدناه سهلا أتى في زوج وأبوين وامرأة وأبوين فقال للأم ثلث الباقي[٧] ثم إن عثمان وعليا وابن مسعود وزيدا اتبعوه».

وسعيد بن المسيب كان من أعلم التابعين باتفاق المسلمين وكان عمدة فقهه قضايا عمر وكان ابن عمر يسأله عنها...

واعلم أن أهل الكوفة وأصحاب ابن مسعود كعلقمة والأسود[٨] وشريح[٩]

---

(١) هكذا في البخاري ٤/ ١٩٩ . (٢) سبق تخريجه.

(٣) المنهاج ٧/ ٥٢٤، ٥٢٥، انظر المنهاج ٧/ ٣٩٠، ٣٩١ .

(٤) المنهاج ٧/ ٥٢٥ .

(٥) لعله عبيدة بن عمر السلماني - أبو عمرو تابعي كبير مخضرم، أسلم عام الفتح وبرع في الفقه، فقيه ثبت، كان شريح إذا أشكل عليه شيء يسأله، ت سنة ٧٢هـ، على الصحيح. السير ٤/ ٤٠- ٤٤، التقريب / ٣٧٩ .

(٦) السنن الكبرى للبيهقي كتاب عتق أمهات الأولاد / ١٠/ ٣٤٨، باختلاف يسير المحلى لابن حزم كتاب العتق ٩/ ٣١٧، باختلاف يسير، المغني كتاب عتق أمهات الأولاد ٩/ ٥٣١ .

(٧) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٢٦٧، ٢٦٨، بلفظ: «إذا سلك طريقًا».

(٨) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام القدوة، أبو عمرو النخعي الكوفي مخضرم، ت سنة ٧٥هـ، على الراجح، السير ٤/ ٥٠- ٥٣، التقريب / ١١١ .

(٩) شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية، قاضي الكوفة، فقيه أسلم في حياة النبي ﷺ وليست له صحبة، ت سنة ٨٠ هـ السير ٤/ ١٠٠- ١٠٦، التقريب/ ٢٦٥ .

والحارث بن قيس[(١)] وعبيدة السلماني ومسروق وزر بن حبيش وأبي[(٢)] وائل وغيرهم هؤلاء كانوا يفضلون علم عمر وعلم ابن مسعود على علم علي ويقصدون في الغالب قول عمر وابن مسعود دون قول علي) [(٣)].

وقد سبق في خصائصه رؤيا النبي ﷺ أنه أُتي بلبن فشرب منه ثم أعطى فضله عمر وأول ذلك بالعلم[(٤)]، ومع ذلك فهو من أخطب الناس بعد أبي بكر رضي الله عنهما[(٥)].

ج- فراسته: (وثبت عن طارق بن شهاب قال إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذب الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه الحديث فيقول احبس هذه فيقول كل ما حدثتك به حق إلا ما أمرتني أن أحبسه[(٦)].

وروى ابن وهب عن يحيى بن أيوب[(٧)] عن ابن عجلان[(٨)] عن نافع عن ابن عمر [أن عمر بن الخطاب بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية[(٩)] قال فبينا عمر يخطب في الناس فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! قال فقدم رسول الجيش فسأله فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فإذا بصائح يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله فقيل لعمر بن الخطاب إنك كنت تصيح بذلك على المنبر[(١٠)] [(١١)].

---

(١) الحارث بن قيس الجعفي، الكوفي، العابد، الفقيه، صحب عليا وابن مسعود وكان كبير القدر ذا عبارة وتأله، ت في زمن معاوية، السير ٤/ ٧٥- ٧٦، التقريب / ١٤٧ .

(٢) الحارث بن حسان البكري، ويقال اسمه حريث، صحابي له وفادة، التقريب / ١٤٥، الخلاصة ١/ ١٨٢ .

(٣) انظر المنهاج ٧/ ٥٢٥، ٥٢٦ .

(٤) سبق تخريجه.

(٥) انظر المنهاج ٨/ ٥١ .

(٦) أخرجه السيوطي في تاريخ الخلفاء /١٢٧، عن طارق بن شهاب وعزاه لابن عساكر.

(٧) يحيى بن أيوب أبو العباس الغافقي المصري الإمام المحدث العالم الشهير، قال ابن حجر: «صدوق ربما أخطأ» ت سنة ١٦٨ هـ، السير ٨/ ٥- ١٠، التقريب / ٥٨٨ .

(٨) محمد بن عجلان المدني القرشي مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة، أبو عبد الله، أحد العلماء العاملين، وثقه الإمام أحمد وابن عيينة، ت سنة ١٤٨ هـ، قال ابن حجر: «صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة». التهذيب ٩/ ٣٤١، ٣٤٢، التقريب / ٤٩٦ .

(٩) سارية بن زنيم الكناني ذكره ابن سعد وأبو موسى ولم يذكرا له ما يدل على صحبته لكنه أدرك، تجريد أسماء الصحابة ١/ ٢٠٣ .

(١٠) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي باب «ذكر كرامات عمر» / ١٧٢، ١٧٣، الرياض النضرة ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ١٠١ .

(١١) المنهاج ٦/ ٦٣، ٦٤ .

د - عدله: (بعدل عمر يضرب المثل حتى يقال: سيرة العمرين سواء كانا عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز كما هو قول أهل العلم والحديث كأحمد وغيره أو كانا أبا بكر وعمر كما تقول طائفة من أهل اللغة كأبي عبيد[١] وغيره فإن عمر بن الخطاب داخل في ذلك على التقديرين.

ومعلوم أن شهادة الرعية لراعيها أعظم من شهادته هو لنفسه وقد قال تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [٢].

(ومعلوم أن رعية عمر انتشرت شرقًا وغربًا... ومع هذا فكلهم يصفون عدله وزهده وسياسته ويعظمونه والأمة قرنا بعد قرن تصف عدله وزهده وسياسته ولا يعرف أن أحدا طعن في ذلك) [٣].

(ويكفي الإنسان أن الخوارج الذين هم أشد الناس تعنتا راضون عن أبي بكر وعمر في سيرتهما وكذلك الشيعة الأولى أصحاب علي كان يقدمون عليه أبا بكر وعمر وروى ابن بطة ما ذكره الحسن بن عرفة[٤] حدثني كثير بن مروان الفلسطيني[٥] عن أنس بن سفيان[٦] عن غالب بن عبد الله العقيلي[٧] قال لما طعن عمر دخل عليه رجال منهم ابن عباس وعمر يجود بنفسه وهو يبكي فقال له ابن عباس ما يبكيك يا أمير المؤمنين فقال له عمر أما والله ما أبكي جزعا على الدنيا ولا شوقا إليها ولكن أخاف هول المطلع قال فقال له ابن عباس فلا تبك يا أمير المؤمنين فوالله لقد أسلمت فكان إسلامك فتحا ولقد أمرت فكانت إمارتك فتحا ولقد ملأت الأرض عدلا وما

---

(١) هو القاسم بن سلام بن عبد الله -أبو عبيد- الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ولد سنة ١٥٧ هـ، له كتاب الأموال «والغريب» و«الغريب المصنف في علم اللسان» و«الأمثال» وغيرها ت سنة ٢٢٤هـ، بمكة السير ١٠/ ٤٩٠- ٥٠٩، التاريخ الكبير ٧/ ١٢٧ .

(٢) البقرة/ ١٤٣ .

(٣) المنهاج ٦/ ١٦- ١٧ .

(٤) هو الحسن بن عرفة بن يزيد أبو علي العبدلي البغدادي الإمام المحدث الثقة ولد سنة ١٥٠ هـ، وكان رحمه الله صاحب سنة واتباع، ت سنة ٢٥٧هـ، السير ١١/ ٥٤٧٠ ٥٥١، طبقات الحنابلة ١/ ١٤٠، ١٤١ .

(٥) كثير بن مروان أبو محمد الفهري المقدسي، ضعفوه يروى عنه الحسن بن عرفة وغيره، قال يحيى والدارقطني: ضعيف، وقال يحيى مرة كذاب، قال الفسوي: ليس حديثه بشيء، ميزان الاعتداد ٣/ ٤٠٩، ٤١٠، لسان الميزان ٤/ ٤٨٣- ٤٨٤، الجرح والتعديل ٧/ ١٥٧ .

(٦) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.

(٧) لعله غالب بن عبيد الله العقيلي سمع منه يعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف، منكر الحديث، انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي / ١٩٥، كتاب التاريخ الكبير ٧/ ١٠١، المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٠١، لسان الميزان ٤/ ٤١٤، ٤١٥ .

من رجلين من المسلمين يكون بينهما ما يكون بين المسلمين فتذكر عندهما إلا رضيا بقولك وقنعا به قال فقال عمر أجلسوني فلما جلس قال عمر أعد على كلامك يا ابن عباس قال نعم فأعاده فقال عمر أتشهد لي بهذا عند الله يوم القيامة يا ابن عباس قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أشهد لك بهذا عند الله وهذا علي يشهد لك وعلي بن أبي طالب جالس فقال علي بن أبي طالب نعم يا أمير المؤمنين) [١] [٢].

خلافته:

ثم ذكر الأدلة على إمامة أبي بكر بعد ذكر النزاع في المسألة فقال: (ذهبت طوائف من أهل السنة إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص والنزاع في ذلك معروف في مذهب أحمد وغيره من الأئمة وقد ذكر القاضي أبو يعلى[٣] في ذلك روايتين عن الإمام أحمد إحداهما: أنها ثبتت بالاختيار قال وبهذا قال جماعة من أهل الحديث والمعتزلة والأشعرية وهذا اختيار القاضي أبي يعلى وغيره.

والثانية أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة قال: «وبهذا قال الحسن البصري[٤] وجماعة من أهل الحديث وبكر من أخت عبد الواحد[٥] والبيهسية[٦] من الخوارج».

---

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٤٧، ٢٤٨، روى عن ابن مسعود، مناقب عمر لابن الجوزي / ٢٢٥، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ٢٥- ٢٧ .

(٢) المنهاج ٦/ ٥١- ٥٢ .

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء، من أهل بغداد عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون، له تصانيف كثيرة، شيخ الحنابلة ت سنة ٤٥٨هـ، السير ١٨/ ٨٩- ٩٢، تاريخ بغداد ٢/ ٢٥٦، الشذرات ٣/ ٣٠٦- ٣٠٧، طبقات الحنابلة ٢/ ١٩٣- ٢٣٠، المنهج الأحمد ٢/ ١٢٨- ١٤٢، الأعلام ٦/ ١٩٩ .

(٤) الحسن بن يسار البصري الأنصاري مولاهم، ثقة فقيه فاضل مشهور، مات سنة ١١٠هـ، وقد قارب التسعين روى له الجماعة، التقريب / ١٦٠، الخلاصة ١/ ٢١٠ .

(٥) بكر بن زيد البصري الزاهد من الخوارج، وإليه تنسب البكرية من الخوارج كان يقول في الكبائر التي تكون من أهل القبلة إنها نفاق وإن مرتكب الكبيرة من أهل الصلاة عابد للشيطان مكذب لله سبحانه جاحد له منافق في الدرك الأسفل من النار مخلد فيها أبدًا، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة / ٣٤، مقالات الإسلاميين ١/ ٣٤٢، لسان الميزان ٢/ ٦٠ .

(٦) البيهسية أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر كان في زمن الحجاج وقتل في المدينة سنة ٩٤، انفردوا بأن قالوا: من عمل ذنبا لا يحكم عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالي فيحد فيحكم عليه بالكفران، وإن تاب، الفرق بين الفرق / ١٠٨- مقالات الإسلاميين ١/ ١٩١، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين/ ٥٦، البرهان في عقائد أهل الأديان / ٢٣، ذكر مذاهب الفرق الثنتين والسبعين ٣٢، ٤١ .

وقال شيخه أبو عبد الله بن حامد[1] فأما الدليل على استحقاق أبي بكر الخلافة دون غيره من أهل البيت والصحابة فمن كتاب الله وسنة نبيه. قال: وقد اختلف أصحابنا في الخلافة هل أخذت من حيث النص أو الاستدلال فذهب طائفة من أصحابنا إلى أن ذلك بالنص وأنه ﷺ ذكر ذلك نصا وقطع البيان على عينه حتما ومن أصحابنا من قال إن ذلك بالاستدلال الجلي. قال ابن حامد: والدليل على إثبات ذلك بالنص أخبار.

من ذلك ما أسنده البخاري عن جبير بن مطعم[2] قال أتت امرأة إلى النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه فقالت أرأيت إن جئت فلم أجدك كأنها تريد الموت قال: «إن لم تجديني فأتي أبا بكر»[3] وذكر له سياقا آخر وأحاديث أخر. قال: «وذلك نص على إمامته».

قال: وحديث سفيان عن عبد الملك بن عمير[4] عن ربعي[5] عن حذيفة بن اليمان[6] قال: قال رسول الله ﷺ: « اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[7].

---

(١) الحسن بن حامد بن علي بن مروان أبو عبد الله البغدادي إمام الحنبلية في زمانه، ومدرسهم وفقيههم، له مصنفات في العلوم المختلفة منها "الجامع في المذهب نحو من ٤٠٠ جزء وشرح أصول الدين وأصول الفقه، وهو شيخ أبي يعلى، وكان كثير الحج ت سنة ٤٠٣هـ، راجعا من مكة، وقد سمع من ابن بطة". طبقات الحنابلة ٢/ ١٧١- ١٧٧، الشذرات ٣/ ١٦٦، ١٦٧ .

(٢) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القريشي النوفلي صحابي عارف بالأنساب توفي سنة ٥٨هـ، وقيل سنة ٥٩هـ. التقريب / ١٣٨، الخلاصة ١/ ١٦١ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي، ويقال له الفرسي بفتح الفاء والراء ثم مهملة ثقة فصيح عالم تغير حفظه وربما دلس ت سنة ١٣٦ هـ، روى له الجماعة. التقريب / ٣٦٤، الخلاصة ٢/ ٧٨- ١٧٩ .

(٥) ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن نجاد الإمام القدوة الولي الحافظ الحجة توفي سنة ٨١هـ، وقيل ٨٢، وقيل ١٠١، السير ٤/ ٣٥٩- ٣٦٢، تاريخ بغداد ٨/ ٤٣٣، ٤٣٤، الشذرات ١/ ١٢١، تقريب التهذيب / ٢٠٥ .

(٦) حذيفة بن اليمان العبسي صحابي جليل من السابقين قال ابن حجر: صح في مسلم بأن رسول الله (أعلمه بما كان وما يكون إلى قيام الساعة ت سنة ٣٦ هـ في أول خلافة علي، التقريب / ١٥٤، الخلاصة ١/ ٢٠١ .

(٧) سبق قريبا.

قال وأسند البخاري عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعة ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريا يفرى فرية حتى ضرب الناس بعطن»[1].

قال: «وذلك نص في الإمامة». قال: «ويدل عليه ما أخبرنا أبو بكر بن مالك وروى عن مسند أحمد عن حماد بن سلمة[2] عن علي بن زيد بن جدعان[3] عن عبد الرحمن بن أبي بكرة[4] عن أبيه[5] قال: قال رسول الله ﷺ:«يوما أيكم رأى رؤيا؛ فقلت أنا رأيت يا رسول الله كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت بأبي بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فقال النبي ﷺ : « خلافة نبوة ثم يؤتى الله الملك لمن يشاء»[6].

قال: وأسند أبو داود عن جابر الأنصاري[7] قال: قال رسول الله ﷺ:«رأى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبي بكر ونيط عثمان بعمر؛ قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ وأما نوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه[8].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التعبير باب نزع الذنوب والذنوبين بضعف ٨/ ٧٧، ٧٨، وفي التوحيد باب في المشيئة والإرادة ٨/ ١٩٢، ١٩٣، «وفي فضائل أصحاب النبي (باب قول النبي (: لو كنت متخذا خليلا...؛ ٤/ ١٩٣، مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عمر (٤/ ١٨٦٠- ١٨٦٢ .

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة ثقة عابد، وتغير حفظه بآخره ت سنة ١٦٧هـ التقريب / ١٧٨، الخلاصة ١/ ٢٥٢ .

(٣) علي بن زيد بن عبد الله بن جدعان التيمي البصري، أصله حجازي ينسب أبوه إلى جد جده، ضعيف ت سنة ١٣١ وقيل قبلها، التقريب / ٤٠١، الخلاصة ٢/ ٢٤٨ .

(٤) عبد الرحمن بن أبي بكرة، نفيع بن الحارث الثقفي أول مولود بالبصرة روى عن أبيه وعنه ابن سيرين وجماعة، وثقة ابن حبان، وقال ابن حجر ثقة ت سنة ٩٦هـ، الخلاصة ٢/ ١٢٦، ١٢٧، التقريب / ٣٣٧ .

(٥) هو نفيع بن حارث بن كلدة الثقفي أبو بكرة - نزل عليها من الطائف فكناه النبي (بها - ت سنة ٥١، الخلاصة ٣/ ٩٩، التقريب ٥٦٥ .

(٦) سبق تخريج هذا الحديث.

(٧) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، وستأتي ترجمته.

(٨) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٥٥، وأبو داود في كتاب السنة باب في الخلفاء ٥/ ٣١، =

قال: ومن ذلك حديث صالح بن كيسان[١] عن الزهري[٢] عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل على رسول الله ﷺ اليوم الذي بدئ به فيه فقال: «ادعى لي أباك وآخاك حتى أكتب لأبي بكر كتابا؛ ثم قال: «يأبي الله والمسلمون إلا أبا بكر؛ وفي لفظ: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع؛.

وهذا الحديث في الصحيحين... وقال أبو محمد بن حزم في كتابه في الملل والنحل[٣] اختلف الناس في الإمامة بعد رسول الله ﷺ فقالت طائفة إن النبي ﷺ لم يستخلف أحدا ثم اختلفوا فقال بعضهم لكن لما استخلف أبا بكر على الصلاة كان ذلك دليلا على أنه أولاهم بالإمامة والخلافة على الأمر وقال بعضهم لا ولكن كان أبينهم فضلا فقدموه لذلك وقالت طائفة بل نص رسول الله ﷺ على استخلاف أبي بكر بعده على أمور الناس نصا جليا.

قال أبو محمد: وبهذا نقول لبراهين أحدها إطباق الناس كلهم وهم الذين قال الله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ فقد اتفق هؤلاء الذين شهد الله لهم بالصدق وجميع إخوانهم من الأنصار رضى الله عنهم على أن سموه خليفة رسول الله ﷺ.

ومعنى الخليفة في اللغة: هو الذي يستخلفه المرء لا الذي يخلفه دون أن يستخلفه هو لا يجوز غير هذا ألبتة في اللغة بلا خلاف تقول استخلف فلان فلانا يستخلفه فهو خليفة ومستخلفه فإن قام مكانه دون أن يستخلفه لم يقل إلا خلف فلان فلانا يخلفه فهو خالف.

قال: ومحال أن يعنوا بذلك الاستخلاف على الصلاة لوجهين ضرورين:

أحدهما: أنه لم يستحق أبو بكر قط هذا الاسم على الإطلاق في حياة رسول الله ﷺ وهو حينئذ خليفته على الصلاة فصح يقينا أن خلافته المسمى بها هي غير خلافته على الصلاة.

والثاني: أن كل من استخلفه رسول الله ﷺ في حياته كعلي في غزوة تبوك

= والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ٣/ ٧١، ٧٢، وقال: إسناده صحيح، ولم يخرجاه، وقال الذهبي في التلخيص صحيح.

(١) صالح بن كيسان المدني أبو محمد أو أبو الحارث مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز ثقة ثبت فقيه ت بعد سنة ١٤٠هـ، التقريب /٥٠٦، الخلاصة ٢/ ٤٥٧ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الفصل ٤/ ١٧٦- ١٧٨، تحت عنوان «الإمامة بعد الرسول (؛.

وابن أم مكتوم[١] في غزوة الخندق وعثمان بن عفان في غزوة ذات الرقاع وسائر من استخلفه على البلاد باليمن والبحرين والطائف وغيرها لم يستحق أحد منهم قط بلا خلاف بين أحد من الأمة أن يسمى خليفة رسول الله ﷺ فصح يقينا بالضرورة التي لا محيد عنها أنها الخلافة بعده على أمته ومن المحال أن يجمعوا على ذلك وهو لم يستخلفه نصا ولو لم يكن ههنا إلا استخلافه في الصلاة لم يكن أبو بكر أولى بهذه التسمية من سائر من ذكرنا قال وأيضا فإن الرواية قد صحت أن امرأة قالت يا رسول الله أرأيت إن رجعت فلم أجدك كأنها تعنى الموت قال: «فأتي أبا بكر»[٢] قال: وهذا نص جلي على استخلاف أبي بكر قال: وأيضا فإن الخبر قد جاء من الطرق الثابتة أن رسول الله ﷺ قال لعائشة في مرضه الذي توفي فيه: «لقد هممت أن أبعث إلى أبيك وأخيك وأكتب كتابا وأعهد عهدا لكيلا يقول قائل أنا أحق أو يتمنى متمن ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» وروى «ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أبا بكر» وروى أيضا «ويأبى الله والنبيون إلا أبا بكر»..

قال فهذا نص جلي على استخلافه ﷺ أبا بكر على ولاية الأمة بعده قال واحتج من قال لم يستخلف أبا بكر بالخبر المأثور عن عبد الله بن عمر عن عمر أنه قال إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني -يعني أبا بكر- وإلا استخلف فلم يستخلف من هو خير مني -يعني رسول الله ﷺ.[٣]

وبما روى عن عائشة رضي الله عنها إذ سئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف؟[٤].

قال ومن المحال أن يعارض إجماع الصحابة الذي ذكرنا عنهم والأثران الصحيحان المسندان إلى رسول الله ﷺ من لفظه بمثل هذين الأثرين الموقوفين على عمر وعائشة رضي الله عنهما مما لا تقوم به حجة ظاهرة من أن هذا الأثر خفي على عمر كما خفي عليه كثير من أمر رسول الله ﷺ كالاستئذان وغيره أو أنه أراد استخلافا بعهد

---

(١) هو عمرو بن قيس بن زائدة العامري «ابن أم مكتوم»، وقيل: اسمه عبد الله. قال الذهبي: وعمرو أصح. هاجر إلى المدينة واستخلفه النبي (على المدينة غير مرة، وكان مؤذنه مع بلال رضي الله عنهما، شهد القادسية ومعه اللواء فقتل. تجريد أسماء الصحابة ١/ ٣٣٠، ٤١٦، الإصابة ٧/ ٨٣، ٨٤ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب الاستخلاف ٨/ ١٢٦، مسلم في كتاب الأمارة باب الاستخلاف وتركه ٣/ ١٤٥٤، وغيرهما.

(٤) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب «من فضائل أبي بكر» ٤/ ١٨٥٦ .

مكتوب ونحن نقر أن استخلاف أبي بكر لم يكن بعهد مكتوب وأما الخبر في ذلك عن عائشة فكذلك أيضا. وقد يخرج كلاهما على سؤال سائل وإنما الحجة في روايتهما لا في قولهما[١].

قلت والكلام في تثبيت خلافة أبي بكر وغيره مبسوط في غير هذا الموضع وإنما المقصود هنا البيان لكلام الناس في خلافته هل حصل عليها نص جلي أو نص خفي وهل ثبتت بذلك أو بالاختيار من أهل الحل والعقد.

فقد تبين أن كثيرا من السلف والخلف قالوا فيها بالنص الجلي أو الخفي وحينئذ فقد بطل قدح الرافضي في أهل السنة بقوله إنهم يقولون إن النبي ﷺ لم ينص على إمامة أحد وأنه مات من غير وصية وذلك أن هذا القول لم يقله جميعهم فإن كان حقا فقد قاله بعضهم وإن كان الحق هو نقيضه فقد قال بعضهم ذلك فعلى التقديرين لم يخرج الحق عن أهل السنة)[٢]. وقال: (وأيضا فقد روى ابن بطة بإسناده قال حدثنا أبو الحسن بن أسلم الكاتب[٣] حدثنا الزعفراني[٤] حدثنا يزيد بن هارون[٥] حدثنا المبارك بن فضالة[٦] أن عمر بن عبد العزيز[٧] بعث محمد بن الزبير الحنظلي[٨] إلى الحسن[٩] فقال هل كان رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر فقال أو في شك صاحبك

---

(١) الفصل لابن حزم ٤/١٧٦- ١٧٨ . (٢) المنهاج ١/٤٨٦- ٥٠٠ .

(٣) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.

(٤) هو الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي صاحب الشافعي، وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه، ثقة توفي سنة ٢٦٠هـ أو قبلها بسنة، روى له البخاري وغيره، السير ١٢/ ٢٦٢- ٢٦٥، تقريب التهذيب ١٦٣، تهذيب الكمال ٦/ ٣١٠، ٣١٣ .

(٥) هو يزيد بن هارون بن زاذان السلمي مولاهم أبو خالد الواسطي ثقة متقن عابد ت سنة ٢٠٦، التقريب ٦٠٦، الخلاصة ٣/ ١٧٨ .

(٦) هو المبارك بن فضالة أبو فضالة البصري، صدوق يدلس ويسوي ت سنة ١٦٦، على الصحيح، التقريب ٥١٩، الخلاصة ٣/ ٨ .

(٧) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد أمير المؤمنين، أشجع بني أمية كان من أئمة الاجتهاد، ومن الخلفاء الراشدين، قال الشافعي: الخلفاء خمسة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ولد سنة ٦٣ هـ ت سنة ١٠١هـ، السير ٥/ ١١٤- ١٤٨، الشذرات ١/ ١١٩، البداية والنهاية ٩/ ١٩٢- ٢١٩ .

(٨) محمد بن الزبير الحنظلي البصري، متروك التقريب/ ٤٧٨، وقال ابن حبان منكر الحديث جدًا، المجروحين ٢/ ٢٥٩ .

(٩) الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته، وقد صحبه وحفظ عنه. مات شهيداً بالسم سنة ٤٩هـ، وقيل غيرها التقريب ١٦٢، الخلاصة ١/ ٢١٦ .

نعم والله الذي لا إله إلا هو استخلفه، لهو أتقى من أن يتوثب عليها[١] قال ابن المبارك[٢] استخلافه هو أمره أن يصلى بالناس وكان هذا عند الحسن استخلافا.

قال: «وأنبأنا أبو القاسم عبد الله بن محمد[٣] حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب[٤] حدثنا يحيى بن سليم[٥] حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر[٦] قال ولينا أبو بكر فخير خليفة أرحمه بنا وأحناه علينا[٧] قال وسمعت معاوية بن قرة[٨] يقول إن رسول الله ﷺ استخلف أبا بكر»[٩].

ثم القائلون بالنص على أبي بكر منهم من قال بالنص الجلي واستدلوا على ذلك باتفاق الصحابة [رضي الله عنهم] على تسميته خليفة رسول الله ﷺ. . .

وقالت طائفة: بل ثبتت بالنص المذكور في الأحاديث التي تقدم إيراد بعضها. . . . [فذكر بعض ما سبق ثم قال]: ومثل قوله: «مروا أبا بكر فليصل بالناس»[١٠] وقد روجع في ذلك مرة بعد مرة فصلى بهم مدة مرض النبي ﷺ من

---

(١) تاريخ الخلفاء / ٦٤- ٦٥ وعزاه إلى ابن عساكر.

(٢) عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير ت سنة ١٨١هـ، التقريب ٣٢٠، وفي الخلاصة ٢/ ٩٣ .

(٣) أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابورين شاهنشاه شيخ ابن بطة، الحافظ الإمام الحجة، وقد ذكره ابن عدي في كامله فتكلم فيه، ت سنة ٣١٧ هـ السير ٤/ ٤٤٠، ميزان الاعتدال ٢/ ١٩٢- ١٩٣، تذكرة الحفاظ ٢/ ٧٣٧- ٧٤٠، الشذرات ٢/ ٢٧٥- ٢٧٦ .

(٤) زهير بن حرب بن شداد أبو خيثمة نزيل بغداد، ثقة ثبت روى عنه مسلم أكثر من ألف حديث ت سنة ٢٣٤هـ. التقريب ٢١٧ . الخلاصة ١/ ٣٣٩ .

(٥) يحيى بن سليم القرشي الطائفي الحذاء الخراز نزيل مكة ت سنة ١٩٥هـ، وثقه البعض وضعفه آخرون، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٨٣، ٣٨٤، تهذيب التهذيب ١١/ ٢٢٦، ٢٢٧، وفي الخلاصة ٣/ ١٥٠ .

(٦) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي السيد العالم أبو جعفر القرشي الحبشي المولد الجواد بن الجواد ذي الجناحين له صحبة ورواية ت سنة ٨٠هـ، السير ٣/ ٤٥٦- ٤٦٢، الشذرات ١/ ٨٧، ٨٨، العبر ١/ ٦٧، الجرح والتعديل ٥/ ٢١، الكنى لمسلم ١/ ١٧٣ .

(٧) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ١٦٢، برواية ونحوها، شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٢٩٩، المستدرك للحاكم ٣/ ٧٩، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٨) معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزني أبو إياس البصري ثقة ت سنة ١١٣هـ التقريب ٣٨، الخلاصة ٣/ ٤١- ٤٢ .

(٩) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٧/ ١٢٩١ .

(١٠) رواه البخاري في كتاب الأذان باب «حد المريض أن يشهد الجماعة» ١/ ١٦٢، وفي باب =

يوم الخميس إلى يوم الخميس إلى يوم الاثنين وخرج النبي ﷺ مرة فصلى بهم جالسا وبقي أبو بكر يصلي بأمره سائر الصلوات وكشف الستارة يوم مات وهم يصلون خلف أبي بكر فسر بذلك)[١]. .

ومثل قوله في الحديث الصحيح على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت إلا خوخة أبي بكر»[٢]. . . . وروى أبو داود. . . . من حديث حماد بن سلمة عن أشعث بن عبد الرحمن[٣] عن أبيه، عن أبيه سمرة بن جندب[٤]، أن رجلا قال: «يا رسول الله رأيت كأن دلوا أدلي من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها فشرب شربا ضعيفا ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت فانتضح عليه منها شيء»[٥].

وعن سعيد بن جهمان[٦] عن سفينة[٧] قال: قال رسول الله ﷺ «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء» أو قال "الملك" قال سعيد قال لي سفينة أمسك مدة أبي بكر سنتان وعمر عشر وعثمان اثنتا عشرة وعلي كذا قال سعيد قلت

= «أهل العلم والفضل أحق بالإمامة» ١/ ١٦٥، وفي باب «من أسمع الناس بالتكبير» ١/ ١٧٤، وفي غيرها.

مسلم كتاب باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ١/ ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ١١٨ .

(١) انظر المنهاج ٨/ ٥٥٧- ٥٧٠ .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أشعث بن عبد الرحمن الجرمي وقيل: الأزدي، بصري صدوق، وثقه ابن معين روى عن ابن عبد الرحمن الجرمي وأبي قلابة الجرمي وروى عنه حماد بن سلمة، تهذيب الكمال، ٣/ ٢٧٦- ٢٧٧، تقريب التهذيب / ١١٣، وأبوه هو عبد الرحمن الأزدي الجرمي البصري مقبول وذكره ابن حبان في الثقات تهذيب التهذيب ٦/ ٣٠٣، التقريب ٣٥٣، الثقات لابن حبان ٥/ ٨٧، والحديث في التاريخ الكبير للبخاري ذكره كاملا ٥/ ٢٩٦ .

(٤) سمرة بن جندب بن هلال الفزاري حليف الأنصار صحابي مشهور، له أحاديث ت سنة ٥٨، التقريب ٢٥٦، الخلاصة ١/ ٤٢٢ .

(٥) المسند ٥/ ٢١، سنن أبي داود كتاب السنة باب في الخلفاء ٥/ ٣١- ٣٢ .

(٦) سعيد بن جهمان، لعله سعيد بن جهمان الأسلمي أبو حفص البصري، روى عن سفينة، وثقه ابن معين، وأبو داود، وابن حبان ت سنة١٣٦هـ، الخلاصة ١/ ٣٧٥، التقريب ٢٣٤ .

(٧) مولى رسول الله (يكنى أبا عبد الرحمن يقال كان اسمه مهران أو غير ذلك فلقب سفينة لكونه حمل شيئا كثيرا في السفر، مشهور له أحاديث روى له مسلم وغيره، التقريب ٢٤٥، الخلاصة ١/ ٤٣٩ .

لسفينة إن هؤلاء يزعمون أن عليا لم يكن بخليفة قال كذبت أستاه بني الزرقاء[١] يعني بني مروان وأمثال هذه الأحاديث ونحوها مما يستدل بها من قال إن خلافته ثبتت بالنص.

والمقصود هنا أن كثيرا من أهل السنة يقولون أن خلافته ثبتت بالنص وهم يسندون ذلك إلى أحاديث معروفة صحيحة...

والتحقيق أن النبي ﷺ دل المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله وأخبر بخلافته إخبار راض بذلك حامد له وعزم على أن يكتب بذلك عهدا ثم علم أن المسلمين يجتمعون عليه فترك الكتاب اكتفاء بذلك ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر رضى الله عنه.

فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه النبي ﷺ بيانا قاطعا للعذر لكن لما دلتهم دلالات متعددة على أن أبا بكر هو المتعين وفهموا ذلك حصل المقصود والأحكام يبينها ﷺ تارة بصيغة عامة وتارة بصيغة خاصة ولهذا قال عمر بن الخطاب في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: «وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر؛ رواه البخاري ومسلم[٢]... ولم يقل قط أحد من الصحابة إن النبي ﷺ نص على غير أبي بكر رضى الله عنه لا على العباس[٣] ولا على علي ولا على غيرهما ولا ادعى العباس ولا علي ولا أحد ممن يحبهما الخلافة لواحد منهما ولا أنه منصوص عليه بل ولا قال أحد من الصحابة إن في قريش من هو أحق بها من أبي بكر لا من بني هاشم ولا من غير بني هاشم وهذا كله مما يعلمه العلماء العالمون بالآثار والسنن والحديث وهو معلوم عندهم بالاضطرار...

فخلافة أبي بكر الصديق دلت النصوص الصحيحة على صحتها وثبوتها ورضا الله ورسول الله ﷺ له بها وانعقدت بمبايعة المسلمين له واختيارهم إياه اختيارا استندوا فيه إلى ما علموه من تفضيل الله ورسوله وأنه أحقهم بهذا الأمر عند الله ورسوله

---

(١) رواه الترمذي كتاب الفتن باب ما جاء في الخلافة ٤/ ٥٠٣، المسند ٥/ ٢٢٠- ٢٢١، أبو داود كتاب السنة باب الخلفاء ٥/ ٣٦- ٣٧، المستدرك مطولا ٣/ ٧١، وسكت عليه الذهبي، السنة لابن أبي عاصم ٢/ ٥٦٤، وصححه الألباني في ظلال الجنة تخريج السنة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم عم النبي ت سنة ٣٢هـ، أو بعدها، التقريب ٢٩٣، الخلاصة ٢/ ٣٥ .

فصارت ثابتة بالنص والإجماع جميعا.

ولكن النص دل على رضا الله ورسوله بها وأنها حق وأن الله أمر بهذا وقدرها وأن المؤمنين يختارونها وكان هذا أبلغ من مجرد العهد بها لأنه حينئذ كان يكون طريق ثبوتها مجرد العهد.

وأما إذا كان المسلمون قد اختاروه من غير عهد.

ودلت النصوص على صوابهم فيما فعلوه ورضا الله ورسوله بذلك كان ذلك دليلا على أن الصديق كان فيه من الفضائل التي بان بها عن غيره ما علم المسلمون به أنه أحقهم بالخلافة وأن ذلك لا يحتاج فيه إلى عهد خاص)[1].

ثم قال بعد أن ذكر حديث عائشة في الكتابة: (... فبين ﷺ أنه يريد أن يكتب كتابا خوفا ثم علم أن الأمر واضح ظاهر ليس مما يقبل النزاع فيه والأمة حديثة عهد بنبيها وهم خير أمة أخرجت للناس وأفضل قرون هذه الأمة فلا يتنازعون في هذا الأمر الواضح الجلي فإن النزاع إنما يكون لخفاء العلم أو لسوء القصد وكلا الأمرين منتف فإن العلم بفضيلة أبي بكر جلي وسوء القصد لا يقع من جمهور الأمة الذين هم أفضل القرون ولهذا قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» فترك ذلك لعلمه بأن ظهور فضيلة أبي بكر الصديق واستحقاقه لهذا الأمر يغنى عن العهد فلا يحتاج إليه فتركه لعدم الحاجة وظهور فضيلة الصديق واستحقاقه وهذا أبلغ من العهد)[2].

وقال: (فكيف إذا كنا نعلم أنهم كانوا أكمل هذه الأمة عقلا وعلما ودينا كما قال فيهم عبدالله بن مسعود: «من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة وأبرها قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»[3] رواه غير واحد منهم ابن بطة عن قتادة[4].

---

(١) المنهاج ١/ ٥٠٥- ٥٢٥، انظر ٤/ ٣٦٥- ٦؛ ٣، ٧/ ٣٤١- ٣٤٢، ٨/ ٥٧٥- ٥٨٢ .

(٢) المنهاج ١/ ٥٢٥- ٥٢٦، انظر المنهاج ٨/ ٥٧٠- ٥٧٣ .

(٣) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٩٧، رواه الطبراني في الكبير ٩/ ٦٦، بنحوه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/ ١٨٠ بعد عزوه للطبراني، ورجاله رجال الصحيح، السنن الكبرى للبيهقي ٢/ ١٠ بنحوه.

(٤) قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري، ثقة ثبت يقال ولد أكمها ت سنة مائة وبضعة عشره التقريب / ٤٥٣، الخلاصة ٢/ ٣٥٠ .

وروى هو غيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بن حبيش[١] قال: قال عبدالله بن مسعود: «إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيئ»[٢] وفي رواية قال أبو بكر بن عياش الراوي لهذا الأثر عن عاصم بن أبي النجود[٣] عن زر بن حبيش عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «وقد رأى أصحاب رسول الله ﷺ جميعا أن يستخلفوا أبا بكر».

وقول عبدالله بن مسعود: «كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما وأقلها تكلفا» كلام جامع بين فيه حسن قصدهم ونياتهم ببر القلوب وبين فيه كمال المعرفة ودقتها بعمق العلم وبين فيه تيسر ذلك عليهم وامتناعهم من القول بلا علم بقلة التكلف)[٤].

ثم بين سبب تسميته أبي بكر بخليفة رسول الله ﷺ فقال: (وأما تسميته بخليفة رسول الله فإن المسلمين سموه بذلك فإن كان الخليفة هو المستخلف كما ادعاه هذا [الرافضي] كان رسول الله ﷺ قد استخلفه كما يقول ذلك من يقول من أهل السنة وإن كان الخليفة هو الذي خلف غيره وإن كان لم يستخلفه ذلك الغير كما يقوله الجمهور لم يحتج في هذا الاسم إلى الاستخلاف.

والاستعمال الموجود في الكتاب والسنة يدل على أن هذا الاسم يتناول كل من خلف غيره سواء استخلفه أو لم يستخلفه... [ثم ذكر عدة أدلة من القرآن تدل على الاستخلاف ويكون الثاني خليفة الأول وإن لم يستخلفه] وسمي الخليفة خليفة لأنه يخلف من قبله والله تعالى جعله يخلفه كما جعل الليل يخلف النهار والنهار يخلف

---

(١) زر بكسر أوله وتشديد الراء بن حبيش مصغرًا بن حباشة الأسدي الكوفي أبو مريم ثقة مخضرم، ت سنة ٨٢، وقيل غيرها، التقريب / ٢١٨، الخلاصة ١/ ٣٥٨ .

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢١١، تحقيق أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح، وأبو داود الطيالسي /٣٣، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٤٢- ٤٣، والطبراني في المعجم الكبير ٩/ ١١٨، وقال في مجمع الزوائد ١/ ١٧٧- ١٧٨ رجاله موثوقون، والبغوي في شرح السنة ١/ ٢١٤- ٢١٥ .

(٣) عاصم بن بهدلة وهو ابن أبي النجود الأسدي مولاهم الكوفي أبو بكر المقرئ وثقه الإمام أحمد، حجة في القراءة وحديثه في الصحيحين ت سنة ١٢٨هـ، التقريب ٢٨٥، الخلاصة ٢/ ١٦ .

(٤) المنهاج ٢/ ٧٦- ٧٩، انظر المنهاج ٢/ ٥٠- ٥٤ .

الليل ليس المراد أنه خليفة عن الله كما ظنه بعض الناس كما قد بسطناه في موضع آخر والناس يسمون ولاة أمور المسلمين الخلفاء وقال النبي ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[١].

ومعلوم أن عثمان لم يستخلف عليا وعمر لم يستخلف واحدا معينا وكان يقول إن استخلف فإن أبا بكر استخلف وإن لم أستخلف فإن رسول الله ﷺ لم يستخلف[٢] وكان مع هذا يقول لأبي بكر يا خليفة رسول الله وكذلك خلفاء بني أمية وبني العباس كثير منهم لم يستخلفه من قبله فعلم إن الاسم عام فيمن خلف غيره)[٣].

ثم وضح المراد بكون بيعة أبي بكر فلتة وأن الله وقى المسلمين شرها فقال: (لفظ عمر ما ثبت في الصحيحين عن ابن عباس من خطبة عمر التي قال فيها ثم «إنه قد بلغني أن قائلا منكم يقول والله لو مات عمر بايعت فلانا؛ فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلته ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن قد وقى الله شرها وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا وإنه كان من خيرنا حين توفّى الله نبيه ﷺ وذكر الحديث وفيه أن الصديق قال: "وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم" فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة وهو جالس بيننا فلم أكره مما قال غيرها كان والله أن أقدم فيضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إليّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لي نفسي شيئا عند الموت لا أجده الآن وقد تقدم الحديث بكماله[٤].

ومعنى ذلك أنها وقعت فجأة لم تكن قد استعددنا لها ولا تهيأنا لأن أبا بكر كان متعينا لذلك فلم يكن يحتاج في ذلك إلى أن يجتمع لها الناس إذ كلهم يعلمون أنه أحق بها وليس بعد أبي بكر من يجتمع الناس على تفضيله واستحقاقه كما اجتمعوا على ذلك في أبي بكر فمن أراد أن ينفرد ببيعة رجل دون ملأ من المسلمين فاقتلوه وهو لم يسأل وقاية شرها بل أخبر أن الله وقى شر الفتنة بالاجتماع)[٥].

ثم بين أن الإجماع لا يضر فيه تخلف الواحد والاثنين فقال: (ولا ريب أن

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.
(٣) المنهاج ٥/ ٥٢٣- ٥٢٥، انظر المنهاج ٤/ ٢٦٩- ٢٧٣ .
(٤) سبق تخريجه.
(٥) المنهاج ٨/ ٢٧٧- ٢٧٨، انظر المنهاج ٥/ ٤٦٩- ٤٨١، ٨/ ٥٦٤- ٥٦٥ .

الإجماع المعتبر في الإمامة لا يضـر فيه تخلف الواحد والاثنين والطائفة القليلة فإنه لو اعتبر ذلك لم يكد ينعقد إجماع على إمامـة فإن الإمامة أمر معين فقد يتخلف الرجل لهوي لا يُعلم كتخلف سعد[١] فإنه كان قد استشرف إلى أن يكون هو أميرا من جهة الأنصار فلم يحصل له ذلك فبقي في نفسه بقيه هوي.

ومن ترك الشيء لهـوي لم يؤثر تركـه بخلاف الإجـمـاع على الأحكام العامـة كالإيجـاب والتحريم والإبـاحة فإن هذا لو خـالف فيه الواحـد أو الاثنان فهل يعـتد بخلافهما؟.

فيه قولان للعلماء وذكر عن أحمد في ذلك روايتان:

إحداهما: لا يعـتد بخلاف الواحد والاثنين وهو قـول طائفة كمحـمد بن جرير الطبري والثاني يعـتد بخلاف الواحد والاثنين في الأحكام وهو قول الأكـثرين والفرق بينه وبين الإمامة أن الحكم أمر عام يتناول هذا وهذا فـإن القائل بوجوب الشيء يوجبه على نفسه وعلى غيره والقائل بتحريمه يحـرمه على نفسه وعلى غيره فالمنازع فيه ليس متهما. . .)[٢].

وقال: (فنحن نشير إلى ما يدل على أن الإجمـاع حجة بالدلالة المبسوطة في غير هذا الموضع ولكل مقام مقال.

ونحن لا نحـتاج فـي تقرير إمـامـة الصديق رضى الله عـنه ولا غيـره إلى هذا الإجماع ولا نشترط في إمامة أحد هذا الإجماع لكن هو لما ذكر أن أهل السنة اعتمدوا على الإجماع تكلمنا على ذلك فنشير إلى بعض ما يدل على صحة الإجماع.

فنقول أولا ما مـن حكم اجتمعت الأمة عـليه إلا وقد دل عليه النص فـالإجماع دليل على نص موجود معلوم عند الأئمة لـيس مما درس علمه والناس قد اختلفوا في جواز الإجماع عن اجتهاد ونحن نجـوز أن يكون بعض المجمعين قال عن اجتهاد لكن لا يكون النص خافيا على جميع المجتهدين وما من حكم يعلم أن فيه إجماعا إلا وفي الأمة من يعلم أن فيه نصا وحينئذ فالإجماع دليل على النص.

ولهـذا قال تعـالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾[٣] فعلّق الوعيدَ بمشاقة الرسـول واتباع غير سبيل المؤمنين. . . وخلافـة الصديق من هذا البـاب فإن النصوص الكثـيرة دلت على أنهـا حق وصواب

---

(١) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الأنصاري الخزرجي أحـد النقباء سيد الخزرج أحد الأجواد، ت سنة ١٥ هـ، وقيل غير ذلك، التقريب / ٢٣١، السير ١/ ٢٧٠- ٢٧٩ .

(٢) المنهاج ٨/ ٢٣٥- ٣٣٦ .

(٣) النساء آية / ١١٥ .

وهذا مما لم يختلف العلماء فيه واختلفوا هل انعقدت بالنص الذي هو العهد كخلافة عمر أو بالإجماع والاختيار؟.

وأما دلالة النصوص على أنها حق وصواب فما علمت أحدا نازع فيه من علماء السنة كلهم يحتج على صحتها بالنصوص إذا كنا نبين أن ما انعقد عليه الإجماع فهو منصوص عليه كان ذكر الإجماع لأنه دليل على النص لا يفارقه ألبتة)[1].

وقد ذكر طرقًا أخرى يمكن سلوكها في بيان صحة إمامة أبي بكر فقال: (وهنا طرق يمكن سلوكها لمن لم تكن له معرفة بالأخبار من الخاصة، فان كثيرا من الخاصة فضلا عن العامة يتعذر عليه معرفة التمييز بين الصدق والكذب من جهة الإسناد في اكثر ما يروى من الأخبار في هذا الباب وغيره وإنما يعرف ذلك علماء الحديث ولهذا عدل كثير من أهل الكلام والنظر عن معرفة الأخبار بالإسناد وأحوال الرجال لعجزهم عنها وسلكوا طريقا آخر.

ولكن تلك الطريق هي طريقة أهل العلم بالحديث العالمين بما بعث الله به رسوله ولكن نحن نذكر طريقا آخر فنقول نقدر أن الأخبار المتنازع فيها لم توجد أو لم يعلم أيها الصحيح ونترك الاستدلال بها في الطرفين ونرجع إلى ما هو معلوم بغير ذلك من التواتر وما يعلم من العقول والعادات وما دلت عليه النصوص المتفق عليها.

فنقول: من المعلوم المتواتر عند الخاصة والعامة الذي لم يختلف فيه أهل العلم بالمنقولات والسير أن أبا بكر رضى الله عنه لم يطلب الخلافة لا برغبة ولا برهبة لا بذل فيها ما يرغب الناس به ولا شهر عليهم سيفا يرهبهم به ولا كانت له قبيلة ولا موال تنصره وتقيمه في ذلك كما جرت عادة الملوك أن أقاربهم ومواليهم يعاونونهم ولا طلبها أيضا بلسانه ولا قال بايعوني بل أمر بمبايعة عمر وأبي عبيدة ومن تخلف عن بيعته كسعد بن عبادة لم يؤذه ولا أكرهه على المبايعة ولا منعه حقا له ولا حرك عليهم ساكنا وهذا غاية في عدم إكراه الناس على المبايعة.

ثم إن المسلمين بايعوه ودخلوا في طاعته والذين بايعوه هم الذين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وهم أهل الإيمان والهجرة والجهاد ولم يتخلف عن بيعته إلا سعد بن عبادة[2].

وأما علي وسائر بني هاشم فلا خلاف بين الناس أنهم بايعوه، ،لكن تخلف فإنه كان يريد الإمرة لنفسه رضي الله عنهم أجمعين ثم إنه في مدة ولايته قاتل بهم

---

(١) المنهاج ٨/ ٣٤٤- ٣٤٥ .

(٢) سبق ذكره.

المرتدين والمشركين ولم يقاتل مسلمين بل أعاد الأمـر إلى ما كان عليه قبل الردة وأخذ يزيد الإسلام فتوحـاً وشرعًا في قتال فارس والروم ومات والمسلمون مـحاصرو دمشق وخرج منها أزهد مما دخل فيها لم يستأثر عنهم بشيء ولا أمر له قرابة)(١).

ثم ذكر طريقًا ثانـية فقال: (وهناك طريق آخر وهو أن يقـال دواعي المسلمين بعد موت النبي ﷺ كانت متوجهة إلى اتباع الحق وليس لهم ما يصرفهم عنه وهم قادرون على ذلك فإذا حصل الداعي إلى الحق وانتفى الصارف مع القدرة وجب(٢) الفعل.

فعلم أن المسلمين اتبـعوا فيمـا فعلوه الحق وذلك أنهم خير الأمم وقـد أكمل الله لهم الدين وأتم عليهم النعمة ولم يكن عند الصـديق غرض دنيوي يقدمونه لأجله ولا عند علي غرض دنيوي يأخرونه لأجله بل لو فعـلوا بموجب الطبع لقدموا عليا وكانت الأنصار لو اتبعت الهـوى أن تتبع رجلا من بني هاشم أحب إليهـا من أن تتبع رجلا من بني تيم وكذلك عامة قبائل قريش لا سيما بنو عبد مناف وبنو مخزوم فإن طاعتهم لمنافي كانت أحب إليـهم من طاعة تيمي لو اتبـعوا الهوى. . . . وهذا وأمـثاله مما إذا تدبره العاقـل علم أنهم لم يقدموا أبـا بكر إلا لتقديم الله ورسـوله لأنه كان خـيرهم وسيدهم وأحبهم إلى الله ورسوله فـإن الإسلام إنما يقدم بالتقوى لا بالنسب وأبو بكر كان أتقاهم)(٣).

ثم ذكر طريقًا ثالثة فقال: (وهنا طريق آخر وهو أنه تواتر عن النبي ﷺ «أن خير هذه الأمة القرن الأول ثم الذين يلونـهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهذه الأمة هي خير الأمم؛ كما دل عليها الكتاب والسنة.

وأيضا فإنه من تأمل أحـوال المسلمين في خلافة بني أمية فـضلا عن زمن الخلفاء الراشدين علم أن أهل ذلك الزمان كان خيرا وأفضل من أهل هذا الزمان وأن الإسلام كان في زمنهم أقـوى وأظهر فإن كان القـرن الأول قد جحدوا حق الإمـام المنصوص عليه المولى عليـهم ومنعوا أهل بيت نبيهم مـيراثهم وولوا فاسقا وظـالما ومنعوا عادلا عـالما مع علمهم بالحق فـهـؤلاء من شر الخلق وهذه الأمـة شر الأمم لأن هذا فـعل خيارها فكيف بفعل شرارها؟!)(٤).

ثم ذكر طريقًا رابعـة فقال: (وهنا طريق آخر وهو أنه قـد عرف بالتواتر الذي لا يخفى على العامة والخاصة أن أبا بكر وعـمر وعثمان رضى الله عنهم كان لهم بالنبي ﷺ اختـصاص عظيم وكـانوا من أعظم الناس اختصـاصا به وصحـبة له وقـربا إليه

---

(١) المنهاج ٧/ ٤٤٩- ٤٥١ .

(٢) أي وجد.

(٣) المنهاج ٧/ ٤٥٧- ٤٥٨ .

(٤) المنهاج ٧/ ٤٥٨ .

واتصالا به وقد صاهرهم كلهم وما عرف عنه أنه كان يذمهم ولا يلعنهم بل المعروف عنه أنه كان يحبهم ويثني عليهم.

وحينئذ فإما أن يكونوا على الاستقامة ظاهراً وباطنا في حياته وبعد موته، وإما أن يكونوا بخلاف ذلك في حياته أو بعد موته فإن كانوا على غير الاستقامة مع هذا التقرب فأحد الأمرين لازم إما عدم علمه بأحوالهم، أو مداهنته لهم، وأيهما كان فهو أعظم القدح في الرسول ﷺ. . . وإن كانوا انحرفوا بعد الاستقامة فهذا خذلان من الله للرسول في خواص أمته وأكابر أصحابه ومن قد أخبر بما سيكون بعد ذلك أين كان عن علم ذلك وأين الاحتياط للامة حتى لا يولي مثل هذا أمرها ومن وعد أن يظهر دينه على الدين كله فكيف يكون أكابر خواصه مرتدين؟

فهذا ونحوه من أعظم ما يقدح به الرافضة في الرسول كما قال مالك وغيره إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل رجل سوء كان له أصحاب سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحين.

ولهذا قال أهل العلم: أن الرافضة دسيسة الزندقة وإنه وضع عليها [(١)].

ثم ذكر طريقًا خامسة: قال بعد ذلك: لكن لما كان المقتضى مع أبي بكر وهو دين الله قويا والإسلام في جدته وطراوته وإقباله كان أتقى لله إلا يصرفوا الحق عمن يعلمون أنه الأحق إلى غيره ولو كان لبعضهم هوى مع الغير.

وأما أبو بكر فلم يكن لأحد معه هوى إلا هوى الدين الذي يحبه الله ويرضاه.

فهذه الأمور وأمثالها من تدبرها علم بالاضطرار أن القوم علموا أن أبا بكر هو الأحق بخلافة النبوة وأن ولايته أرضى لله ورسوله فبايعوه، وأن لم يكن ذلك لزم إن يعرفوا ويحرفوا وكلاهما ممتنع عادة ودينا)[(٢)].

رد المطاعن التي يطعن بها الرافضة على أبي بكر

سأذكر بعض المطاعن التي يطعن بها الرافضة على أبي بكر وأذكر رد شيخ الإسلام عليها فمن ذلك: -

أولاً: قول الرافضي: (ومنع أبو بكر فاطمة[(٣)] إرثها فقالت: يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا أرث أبي والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها وكان هو الغريم لها لأن

---

(١) المنهاج ٧/ ٤٥٨- ٤٥٩ .

(٢) المنهاج ٧/ ٤٦٣- ٤٦٤ .

(٣) هي فاطمة بنت النبي (الزهراء، رضي الله عنها أم الحسن سيدة نساء هذه الأمة، تزوجها علي في السنة الثانية من الهجرة وماتت بعد النبي (بستة أشهر، وقد جاوزت العشرين بقليل، التقريب ٧٥١، الخلاصة ٣/ ٣٨٩ .

الصدقة تحل له لأن النبي ﷺ قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة»[1]. . . . إلخ).

قال شيخ الإسلام: والجواب عن ذلك من وجوه.

أحدها: أن ما ذكر من قول فاطمة رضي الله عنها أترث أباك ولا أرث أبي؟ لا يعلم صحته عنها وإن صح فليس فيه حجة لأن أباها صلوات الله عليه وسلامه لا يقاس بأحد من البشر وليس أبو بكر أولى بالمؤمنين من أنفسهم كأبيها ولا هو ممن حرم الله عليه صدقة الفرض والتطوع كأبيها ولا هو أيضا ممن جعل الله محبته مقدمة على محبة الأهل والمال كما جعل أباها كذلك.

والفرق بين الأنبياء وغيرهم أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورثوا دنيا لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا وخلفوها لورثتهم وأما أبو بكر الصديق وأمثاله فلا نبوة لهم يقدح فيها بمثل ذلك كما صان الله تعالى نبينا عن الخط والشعر صيانة لنبوته عن الشبهة وإن كان غيره لم يحتج إلى هذه الصيانة.

الثاني: أن قوله: [والتجأ في ذلك إلى رواية انفرد بها] كذب فإن قول النبي ﷺ «لا نورث ما تركناه فهو صدقة» رواه عنه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد[2] وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب وأزواج النبي ﷺ وأبو هريرة والرواية عن هؤلاء ثابته في الصحاح والمسانيد مشهورة يعلمها أهل العلم بالحديث فقول القائل إن أبا بكر انفرد بالرواية يدل على فرط جهله أو تعمده الكذب.

الثالث: قوله: [وكان هو الغريم لها] كذب فإن أبا بكر رضى الله عنه لم يدع هذا المال لنفسه ولا لأهل بيته وإنما هو صدقة لمستحقها كما أن المسجد حق للمسلمين والعدل لو شهد على رجل أنه وصى بجعل بيته مسجدا أو بجعل بئره مسبلة أو أرضه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب «ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع» ٨/ ١٤٦، وقد رواه عمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن سعد بن أبي وقاص، وفي كتاب الخمس باب «فرض الخمس» ٤/ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، عن عائشة وأبي بكر وعمر وعلي وعباس وأبي هريرة ومالك، وفي مواضع أخرى، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب «حكم الفرد» ٣/ ١٣٣٧- ١٣٣٩، باب قول النبي (: «لا نورث ما تركناه صدقة» ٣/ ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، عن عائشة وأبي بكر، وقد رواه أصحاب السنن.

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أبو إسحاق أحد العشرة، أول من رمي بسهم في سبيل الله ومناقبه كثيرة توفي سنة ٥٥هـ، على المشهور وهو آخر العشرة وفات. التقريب/ ٢٣٢، الخلاصة ٣٧١ .

مقبرة ونحو ذلك جازت شهادته باتفاق المسلمين وإن كان هو ممن يجوز له أن يصلي في المسجد ويشرب من تلك البئر ويدفن في تلك المقبرة فإن هذا شهادة لجهة عامة غير محصورة والشاهد دخل فيها بحكم العموم لا بحكم التعيين ومثل هذا لا يكون خصما. . . ولو شهد عدل بأن فلانا وقف ماله على الفقراء والمساكين قبلت شهادته وإن كان الشاهد فقيرا.

الرابع: أن الصديق رضى الله عنه لم يكن من أهل هذه الصدقة بل كان مستغنيا عنها ولا انتفع هو ولا أحد من أهله بهذه الصدقة فهو كما لو شهد قوم من الأغنياء على رجل أنه وصى بصدقة للفقراء فإن هذه شهادة مقبولة بالاتفاق

الخامس: أن هذا لو كان فيه ما يعود نفعه على الراوي له من الصحابة لقبلت روايته لأنه من باب الرواية لا من باب الشهادة والمحدث إذا حدث بحديث في حكومة بينه وبين خصمه قبلت روايته للحديث لأن الرواية تتضمن حكما عاما يدخل فيه الراوي وغيره وهذا من باب الخبر كالشهادة برؤية الهلال فإن ما أمر به النبي ﷺ يتناول الراوي وغيره وكذلك ما نهى عنه وكذلك ما أباحه.

وهذا الحديث تضمن رواية بحكم شرعي ولهذا تضمن تحريم الميراث على ابنة أبي بكر عائشة رضي الله عنها وتضمن تحريم شرائه لهذا الميراث من الورثة واتهابه لذلك منهم وتضمن وجوب صرف هذا المال في مصارف الصدقة. . . إلخ)[(١)].

ثانيًا: قول الرافضي: (السادس:[(٢)] قول أبي بكر أقيلوني فلست بخيركم ولو كان إماما لم يجز له طلب الإقالة).

قال شيخ الإسلام: والجواب أن هذا:

أولاً: كان ينبغي أن يبين صحته وإلا فما كل منقول صحيح والقدح بغير الصحيح لا يصح.

وثانيًا: إن صح هذا عن أبي بكر لم تجز معارضته بقول القائل الإمام لا يجوز له طلب الإقالة فإن هذه دعوى مجردة لا دليل عليها فلم لا يجوز له طلب الإقالة إن كان قال ذلك؟ بل إن كان قاله لم يكن معنا إجماع علي نقيض ذلك ولا نص فلا يجب[(٣)] الجزم بأنه باطل وإن لم يكن قاله فلا يضر تحريم هذا القول.

---

(١) المنهاج ٤/ ١٩٤- ١٩٨ .

(٢) السادس من الوجوه التي يدعي الروافض أنها تدل على أن من تقدم عليا لم يكن إماما وهو في الفصل الخامس من كتابه.

(٣) أي فلا يجوز.

وأما تثبيت كون الصديق قاله والقدح في ذلك بمجرد الدعوى فهو كلام من لا يبالي ما يقول.

وقد يقال هذا يدل على الزهد في الولاية والورع فيها وخوف الله أن لا يقوم بحقوقها)[١].

ثالثًا: قول الرافضي: (الثامن: قوله في مرض موته ليتني كنت تركت بيت فاطمة لم أكبسه[٢] وليتني كنت في ظلة بني ساعدة ضربت على يد أحد الرجلين وكان هو الأمير وكنت الوزير[٣]، وهذا يدل على إقدامه علي بيت فاطمة عند اجتماع أمير المؤمنين والزبير وغيرهما فيه).

قال شيخ الإسلام: (والجواب أن القدح لا يقبل حتى يثبت اللفظ بإسناد صحيح ويكون دالا دلالة ظاهرة على القدح فإذا انتفت إحداهما انتفى القدح فكيف إذا انتفى كل منهما ونحن نعلم يقينا أن أبا بكر لم يقدم على علي والزبير بشيء من الأذى بل ولا على سعد بن عبادة المتخلف عن بيعته أولا وآخرا.... وهذا كله دعوى مختلق وإفك مفتر باتفاق أهل الإسلام ولا يروج إلا على من هو من جنس الأنعام.

وأما قوله ليتني كنت ضربت على يد أحد الرجلين فهذا لم يذكر له إسنادا ولم يبين صحته فإن كان قاله فهو يدل على زهده وورعه وخوفه من الله تعالى)[٤].

رابعًا: قول الرافضي: (العاشر: أنه لم يولِّ أبا بكر شيئا من الأعمال وولي عليه).

قال شيخ الإسلام: والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا باطل بل الولاية التي ولاها أبا بكر لم يشركه فيها أحد وهي ولاية الحج وقد ولاَّه غير ذلك.

الثاني: أن النبي ﷺ قد ولّى من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر مثل عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وخالد بن الوليد فعلم أنه لم يترك ولايته لكونه ناقصا عن هؤلاء.

---

(١) المنهاج ٨/٢٢٨ .

(٢) الكبس: طمك حفرة بتراب، ومعناه سد منافذة وضغط على الأرض وهم يدعون هذا قاتلهم الله، تهذيب اللغة ١/ ٨٠- ٨٢، معجم مقاييس اللغة ٥/ ١٥٤، لسان العرب ٦/ ١٩٠- ١٩٢ .

(٣) رواه الطبراني ١/٦٢، ٦٣، قال في مجمع الزوائد: ٥/٢٠٢، ٢٠٣، وفيه علوان بن داود البجلي وهو ضعيف، وهذا الأثر مما أنكر عليه.

(٤) المنهاج ٨/ ٢٩٠- ٢٩١ .

الثالث: أن عدم ولايته لا يدل على نقصه بل قد يترك ولايته لأنه عنده أنفع له منه في تلك الولاية وحاجته إليه في المقام عنده وغنائه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في تلك الولاية فإنه هو وعمر كانا مثل الوزيرين له يقول كثيرا «دخلت أنا وأبو بكر وعمر» «وخرجت أنا وأبو بكر وعمر»[1] وكان أبو بكر يسمر عنده عامة[2] ليله... وكان مشاورته لأبي بكر أغلب واجتماعه به أكثر هذا أمر يعلمه من تدبر الأحاديث الصحيحة التي يطول ذكرها)[3].

خامسًا: قول الرافضي: (الحادي عشر: أنه ﷺ أنفذه لأداء سورة براءة ثم أنفذ عليا وأمره برده وأن يتولى هو ذلك من لا يصلح لأداء سورة أو بعضها فكيف يصلح للإمامة العامة المتضمنة لأداء الأحكام إلى جميع الأمة؟!).

قال شيخ الإسلام: والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا كذب باتفاق أهل العلم وبالتواتر العام فإن النبي ﷺ استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع[4] لم يرده ولا رجع بل هو الذي أقام للناس الحج ذلك العام وعلي من جملة رعيته يصلي خلفه ويدفع بدفعه ويأتمر بأمره كسائر من معه.

وهذا من العلم المتواتر عند أهل العلم لم يختلف اثنان في أن أبا بكر هو الذي أقام الحج ذلك العام بأمر النبي ﷺ فكيف يقال إنه أمره برده؟!.

ولكن أردفه بعلي لينبذ إلى المشركين عهدهم لأن عادتهم كانت جارية أن لا يعقد العقود ولا يحلها إلا المطاع أو رجل من أهل بيته فلم يكونوا يقبلون ذلك من كل أحد.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة[5] قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمَّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر أن «لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»[6] وفي رواية ثم أردف النبي ﷺ

---

(١) سبق تخريجه. (٢) سبق تخريجه.

(٣) المنهاج ٨/ ٢٩٤، ٢٩٥ . (٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ١٧٧ .

(٥) أبو هريرة (الصحابي الجليل حافظ الصحابة اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال جمة أرجحها عبد الرحمن بن صخر الدوسي، اليماني سيد الحفاظ الأثبات، قال الذهبي: وكان حفظ أبي هريرة الخارق من معجزات النبوة، وقال الشافعي: أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره، واختلف في وفاته على عدة أقوال والراجح سنة ٥٧ هـ، السير ٢/ ٥٧٨، ٣٦٢، التقريب / ٦٨٠، ٦٨١، الشذرات ١/ ٦٣- ٦٤ .

(٦) بعث النبي لأبي بكر ببراءة، انظر مسند أحمد ١/ ١٥٦، تحقيق أحمد شاكر، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح ٢/ ٣٢، الترمذي كتاب تفسير القرآن، ومن سورة التوبة ٥/ ٢٧٥، ٢٧٦ .

بعلي وأمره أن يؤذن ببراءة فأذن علي معنا في أهل منى يوم النحر ببراءة وبأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان[١] قال فنبذ أبو بكر إلى الناس في ذلك العام فلم يحج عام حجة الوداع التي حج فيها رسول الله ﷺ مشرك.

قال أبو محمد بن حزم[٢]: وما حصل في حجة الصديق كان من أعظم فضائله لأنه هو الذي خطب بالناس في ذلك الموسم والجمع العظيم والناس منصتون لخطبته يصلون خلفه وعلي من جملتهم وفي السورة فضل أبي بكر وذكر الغار فقرأها علي على الناس فهذا مبالغة في فضل أبي بكر وحجة قاطعة. وتأميره لأبي بكر على علي هذا كان بعد قوله: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟»[٣].

ولا ريب أن هذا الرافضي ونحوه من شيوخ الرافضة من أجهل الناس بأحوال الرسول وسيرته وأموره ووقائعه يجهلون من ذلك ما هو متواتر معلوم لمن له أدنى معرفة بالسيرة ويجيئون إلى ما وقع فيقلبونه ويزيدون فيه وينقصون.

وهذا القدر وإن كان الرافضي لم يفعله فهو فعل شيوخه وسلفه الذين قلدهم ولم يحقق ما قالوه ويراجع ما هو المعلوم عند أهل العلم المتواتر عندهم المعلوم لعامتهم وخاصتهم.

الثاني: قوله الإمامة العامة متضمنة لأداء جميع الأحكام إلى الأمة.

قول باطل فالأحكام كلها قد تلقتها الأمة عن نبيها لا تحتاج فيها إلى الإمام إلا كما تحتاج إلى نظائره من العلماء وكانت عامة الشريعة التي يحتاج الناس إليها عند الصحابة معلومة ولم يتنازعوا زمن الصديق في شيء منها إلا واتفقوا بعد النزاع بالعلم الذي كان يظهره بعضهم لبعض وكان الصديق يعلم عامة الشريعة وإذا خفي عنه الشيء اليسير سأل عنه الصحابة ممن كان عنده علم ذلك كما سألهم عن ميراث الجدة[٤] فأخبره من أخبره منهم أن النبي ﷺ أعطاها السدس. ولم يعرف لأبي بكر فتيا ولا حكم خالف نصا...

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) هذا الكلام موجود بمعناه في الفصل لابن حزم ٤/ ٢٢، والاختلاف يسير ولعل شيخ الإسلام ذكره بالمعنى.

(٣) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب: «من فضائل علي بن أبي طالب» ٤/ ١٨٧٠، ١٨٧١.

(٤) سنن سعيد بن منصور ١/ ٥٤، ٥٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ورمز له الذهبي في التلخيص بـ (خ، م) ٤/ ٣٨٨، ٣٣٩.

الثالث: أن القرآن بلّغه عن النبي ﷺ كل أحد من المسلمين فيمتنع أن يقال إن أبا بكر لم يكن يصلح لتبليغه.

الرابع: أنه لا يجوز أن يظن أن تبليغ القرآن يختص بعلي فإن القرآن لا يثبت بخبر الآحاد بل لا بد أن يكون منقولا بالتواتر.

الخامس: أن الموسم ذلك العام كان يحج فيه المسلمون والمشركون وكان النبي ﷺ أمر أبا بكر أن ينادي في الموسم «أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» كما ثبت في الصحيحين فأي حاجة كانت بالمشركين إلى أن يبلّغوا القرآن)[١].

بقية الفضائل: عمر بن الخطاب رضى الله عنه:

سبق كثير من فضائله في ذكر فضائل أبي بكر رضي الله عنهما وذلك فيما يشتركان فيه مثل إنفاقهما في سبيل الله ومشاورة النبي ﷺ لهما وشجاعتهما وكون المشركين لم يسألوا عن أحد بعد رسول الله ﷺ غيرهما، مما يدل على معرفة الناس بأن منزلتهما عند رسول الله ﷺ عظيمة، وأن هذا أمر مشهور، كما سبق بيان ذلك، ومن فضائل الفاروق رضي الله عنه وأرضاه ومناقبه:

كونه أفضل هذه الأمة بعد أبي بكر رضى الله عنه: (وفي صحيح مسلم عن ابن أبي مليكة[٢] قال سمعت عائشة وسئلت من كان رسول الله ﷺ مستخلفا لو استخلف قالت أبو بكر فقيل لها ثم من بعد أبي بكر قالت عمر قيل لها ثم من بعد عمر قالت أبو عبيدة عامر بن الجراح[٣] ثم انتهت إلى هذا[٤] [٥].

(وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في بعض مغازيه: «إن يطع القوم أبا بكر وعمر يرشدوا»[٦].

وفي رواية في الصحيح: «كيف ترون القوم صنعوا حين فقدوا نبيهم وأرهقتهم صلاتهم» قلنا الله ورسوله أعلم قال: «أليس فيهم أبو بكر وعمر إن يطيعوهما فقد

---

(١) المنهاج ٨/ ٢٩٥، ٣٠٠، انظر ٥/ ٤٩٣، ٤٩٤ .

(٢) عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة و - بالتصغير - بن عبد الله بن جدعان التيمي المدني، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه ت سنة ١١٧ هـ، روى له الجماعة التقريب / ٣١٢، الخلاصة ٢/ ٧٦ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) المنهاج ٦/ ٢٣، ٢٤ .

(٦) سبق تخريجه.

رشدوا ورشدت أمتهم وإن يعصوهما فقد غووا وغوت أمتهم»[(١)] قالها ثلاثا)[(٢)].

وقد سبق قول علي بن أبي طالب رضى الله عنه: (خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر)[(٣)].

وأنه قد روى عنه من طرق كثيرة، وسبق أيضا قوله رضى الله عنه: («لا أوتي بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري»[(٤)].

وفي السنن عن [النبي] ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[(٥)].

ولهذا كان أحد قولي العلماء وهو إحدى الروايتين عن أحمد أن قولهما إذا اتفقا حجة لا يجوز العدول عنها وهذا أظهر القولين كما أن الأظهر أن اتفاق الخلفاء الأربعة أيضا حجة لا يجوز خلافها لأمر النبي ﷺ باتباع سنتهم)[(٦)].

(وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما أكثر اجتماعا بالنبي ﷺ من علي بكثير.

كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال وضع عمر رضى الله عنه على سريره فتكنفه[(٧)] الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع فلم يرعني إلا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي فالتفت إليه فإذا هو علي وترحم عليٌّ على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله عز وجل بمثل عمله منك وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك وذلك أني كثيرا ما كنت اسمع النبي ﷺ يقول: «جئت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» فان كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك[(٨)] [(٩)].

علم عمر: (والمسائل التي تنازع فيها عمر وعلي في الغالب يكون فيها قول عمر أرجح)[(١٠)].

---

(١) رواه مسلم بمعناه في المساجد باب «قضاء الصلاة الفائتة... إلخ» ١/ ٤٧٢، ٤٧٣، وفي المسند ٥/ ٣٠٢.

(٢) المنهاج ٦/ ١٢٩.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) المنهاج ٦/ ١٣٨.

(٧) هكذا في البخاري ٤/ ١٩٩.

(٨) سبق تخريجه.

(٩) المنهاج ٧/ ٥٢٤، ٥٢٥، انظر المنهاج ٧/ ٣٩٠، ٣٩١.

(١٠) المنهاج ٧/ ٥٢٥.

وقد قال عبيدة السلماني[١] لعلي: (رأيك مع عمر في الجماعة أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة[٢]. وقال ابن مسعود: «كان عمر إذا فتح لنا بابا دخلناه فوجدناه سهلا أتى في زوج وأبوين وامرأة وأبوين فقال للأم ثلث الباقي[٣] ثم إن عثمان وعليا وابن مسعود وزيدا اتبعوه».

وسعيد بن المسيب كان من أعلم التابعين باتفاق المسلمين وكان عمدة فقهه قضايا عمر وكان ابن عمر يسأله عنها...

واعلم أن أهل الكوفة وأصحاب ابن مسعود كعلقمة والأسود[٤] وشريح[٥] والحارث بن قيس[٦] وعبيدة السلماني ومسروق وزر بن حبيش وأبي[٧] وائل وغيرهم هؤلاء كانوا يفضلون علم عمر وعلم ابن مسعود على علم علي ويقصدون في الغالب قول عمر وابن مسعود دون قول علي)[٨].

وقد سبق في خصائصه رؤيا النبي ﷺ أنه أُتي بلبن فشرب منه ثم أعطى فضله عمر وأول ذلك بالعلم[٩]، ومع ذلك فهو من أخطب الناس بعد أبي بكر رضي الله عنهما[١٠].

ج - فراسته: (وثبت عن طارق بن شهاب قال إن كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذب الكذبة فيقول احبس هذه ثم يحدثه الحديث فيقول احبس هذه فيقول

---

(١) لعله عبيدة بن عمر السلماني - أبو عمرو تابعي كبير مخضرم، أسلم عام الفتح وبرع في الفقه، فقيه ثبت، كان شريح إذا أشكل عليه شيء يسأله، ت سنة ٧٢هـ، على الصحيح. السير ٤/ ٤٠- ٤٤، التقريب / ٣٧٩ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي كتاب عتق أمهات الأولاد / ١٠/ ٣٤٨، باختلاف يسير المحلى لابن حزم كتاب العتق ٩/ ٣١٧، باختلاف يسير، المغني كتاب عتق أمهات الأولاد ٩/ ٥٣١ .

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد ١/ ٢٦٧، ٢٦٨، بلفظ: «إذا سلك طريقًا».

(٤) الأسود بن يزيد بن قيس الإمام القدوة، أبو عمرو النخعي الكوفي مخضرم، ت سنة ٧٥هـ، على الراجح، السير ٤/ ٥٠- ٥٣، التقريب / ١١١ .

(٥) شريح بن الحارث بن قيس الكندي أبو أمية، قاضي الكوفة، فقيه أسلم في حياة النبي ﷺ، وليست له صحبة، ت سنة ٨٠ هـ السير ٤/ ١٠٠- ١٠٦، التقريب/ ٢٦٥ .

(٦) الحارث بن قيس الجعفي، الكوفي، العابد، الفقيه، صحب عليا وابن مسعود وكان كبير القدر ذا عبارة وتأله، ت في زمن معاوية، السير ٤/ ٧٥- ٧٦، التقريب / ١٤٧ .

(٧) الحارث بن حسان البكري، ويقال اسمه حريث، صحابي له وفادة، التقريب / ١٤٥، الخلاصة ١/ ١٨٢ .

(٨) انظر المنهاج ٧/ ٥٢٥، ٥٢٦ .

(٩) سبق تخريجه.

(١٠) انظر المنهاج ٨/ ٥١ .

كل ما حدثتك به حق إلا ما أمرتني أن أحبسه[١].

وروى ابن وهب عن يحيى بن أيوب[٢] عن ابن عجلان[٣] عن نافع عن ابن عمر [أن عمر بن الخطاب بعث جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى سارية[٤] قال فبينا عمر يخطب في الناس فجعل يصيح على المنبر يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! قال فقدم رسول الجيش فسأله فقال يا أمير المؤمنين لقينا عدونا فهزمونا فإذا بصائح يا سارية الجبل! يا سارية الجبل! فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزمهم الله فقيل لعمر بن الخطاب إنك كنت تصيح بذلك على المنبر[٥])[٦].

د - عدله: (بعدل عمر يضرب المثل حتى يقال: سيرة العمرين سواء كانا عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز كما هو قول أهل العلم والحديث كأحمد وغيره أو كانا أبا بكر وعمر كما تقول طائفة من أهل اللغة كأبي عبيد[٧] وغيره فإن عمر بن الخطاب داخل في ذلك على التقديرين.

ومعلوم أن شهادة الرعية لراعيها أعظم من شهادته هو لنفسه وقد قال تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [٨].

(ومعلوم أن رعية عمر انتشرت شرقًا وغربًا... ومع هذا فكلهم يصفون عدله وزهده وسياسته ويعظمونه والأمة قرنا بعد قرن تصف عدله وزهده وسياسته ولا يعرف أن أحدا طعن في ذلك)[٩].

---

(١) أخرجه السيوطي في تاريخ الخلفاء /١٢٧، عن طارق بن شهاب وعزاه لابن عساكر.

(٢) يحيى بن أيوب أبو العباس الغافقي المصري الإمام المحدث العالم الشهير، قال ابن حجر: «صدوق ربما أخطأ» ت سنة ١٦٨ هـ، السير ٨/ ٥- ١٠، التقريب / ٥٨٨ .

(٣) محمد بن عجلان المدني القرشي مولى فاطمة بنت الوليد بن عتبة، أبو عبد الله، أحد العلماء العاملين، وثقه الإمام أحمد وابن عيينة، ت سنة ١٤٨ هـ، قال ابن حجر: «صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة». التهذيب ٩/ ٣٤١، ٣٤٢، التقريب / ٤٩٦ .

(٤) سارية بن زنيم الكناني ذكره ابن سعد وأبو موسى ولم يذكرا له ما يدل على صحبته لكنه أدرك، تجريد أسماء الصحابة ١/ ٢٠٣ .

(٥) مناقب عمر بن الخطاب لابن الجوزي باب «ذكر كرامات عمر» / ١٧٢، ١٧٣، الرياض النضرة ٢/ ٣٢٦، ٣٢٧، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣/ ١٠١ .

(٦) المنهاج ٦/ ٦٣، ٦٤ .

(٧) هو القاسم بن سلام بن عبد الله -أبو عبيد- الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون ولد سنة ١٥٧ هـ، له كتاب الأموال «والغريب» و«الغريب المصنف في علم اللسان» و«الأمثال» وغيرها ت سنة ٢٢٤هـ، بمكة السير ١٠/ ٤٩٠- ٥٠٩، التاريخ الكبير ٧/ ١٢٧ .

(٨) البقرة/ ١٤٣ .

(٩) المنهاج ٦/ ١٦- ١٧ .

(ويكفي الإنسان أن الخوارج الذين هم أشد الناس تعنتا راضون عن أبي بكر وعمر في سيرتهما وكذلك الشيعة الأولى أصحاب علي كان يقدمون عليه أبا بكر وعمر وروى ابن بطة ما ذكره الحسن بن عرفة[١] حدثني كثير بن مروان الفلسطيني[٢] عن أنس بن سفيان[٣] عن غالب بن عبد الله العقيلي[٤] قال لما طعن عمر دخل عليه رجال منهم ابن عباس وعمر يجود بنفسه وهو يبكي فقال له ابن عباس ما يبكيك يا أمير المؤمنين فقال له عمر أما والله ما أبكي جزعا على الدنيا ولا شوقا إليها ولكن أخاف هول المطلع قال فقال له ابن عباس فلا تبك يا أمير المؤمنين فوالله لقد أسلمت فكان إسلامك فتحا ولقد أمرت فكانت إمارتك فتحا ولقد ملأت الأرض عدلا وما من رجلين من المسلمين يكون بينهما ما يكون بين المسلمين فتذكر عندهما إلا رضيا بقولك وقنعا به قال فقال عمر أجلسوني فلما جلس قال عمر أعد على كلامك يا ابن عباس قال نعم فأعاده فقال عمر أتشهد لي بهذا عند الله يوم القيامة يا ابن عباس قال نعم يا أمير المؤمنين أنا أشهد لك بهذا عند الله وهذا علي يشهد لك وعلي بن أبي طالب جالس فقال علي بن أبي طالب نعم يا أمير المؤمنين[٥])[٦].

عثمان بن عفان رضى الله عنه

خصائصه:

أ- ذكر اختصاصه بتزوج ابنتي رسول الله ﷺ [واحدة بعد الأخرى]: «عثمان قد

---

(١) هو الحسن بن عرفة بن يزيد أبو علي العبدلي البغدادي الإمام المحدث الثقة ولد سنة ١٥٠ هـ، وكان رحمه الله صاحب سنة واتباع، ت سنة ٢٥٧هـ، السير ١١/ ٥٤٧٠ ٥٥١، طبقات الحنابلة ١/ ١٤٠، ١٤١ .

(٢) كثير بن مروان أبو محمد الفهري المقدسي، ضعفوه يروى عنه الحسن بن عرفة وغيره، قال يحيى والدارقطني: ضعيف، وقال يحيى مرة كذاب، قال الفسوي: ليس حديثه بشيء، ميزان الاعتداد ٣/ ٤٠٩، ٤١٠، لسان الميزان ٤/ ٤٨٣- ٤٨٤، الجرح والتعديل ٧/ ١٥٧ .

(٣) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.

(٤) لعله غالب بن عبيد الله العقيلي سمع منه يعلى بن عبيد ومحمد بن يوسف، منكر الحديث، انظر الضعفاء والمتروكين للنسائي / ١٩٥، كتاب التاريخ الكبير ٧/ ١٠١، المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٠١، لسان الميزان ٤/ ٤١٤، ٤١٥ .

(٥) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة ١/ ٢٤٧، ٢٤٨، روى عن ابن مسعود، مناقب عمر لابن الجوزي / ٢٢٥، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٩/ ٢٥- ٢٧ .

(٦) المنهاج ٦/ ٥١- ٥٢ .

زوجه النبي ﷺ ابنتين من بناته وقال: «لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان»[١] وسمي ذو النورين بذلك إذ لم يعرف أحد جمع بين بنتي نبي غيره[٢])[٣].

(كذا مصاهرة عثمان له لم يزل فيها حميدا لم يقع منه ما يعتب عليه فيها حتى قال لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان.

وهذا يدل على أن مصاهرته للنبي ﷺ أكمل)[٤].

ب- تجهيز جيش العسرة: (وقد تصدق عثمان بألف بعير في سبيل الله في غزوة العسرة[٥] حتى قال النبي ﷺ: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم»[٦] والإنفاق في سبيل الله وفي إقامة الدين في أول الإسلام أعظم)[٧]. من الإنفاق بعد ذلك (فكذلك الإنفاق الذي صدر في أول الإسلام في إقامة الدين ما بقي له نظير يساويه)[٨].

جـ- مبايعة النبي في بيعة الرضوان: وذلك أن بيعة الرضوان كانت بسببه، فإن النبي ﷺ لما أرسل عثمان رضى الله عنه إلى مكة أشيع أنه قتل فبايع النبي ﷺ الصحابة على القتال، وبايع النبي ﷺ بيده عن عثمان ويد النبي ﷺ خير لعثمان من يده (والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبي ﷺ له وثنائه عليه وتخصيصه بابنتيه وشهادته له بالجنة وإرساله إلى مكة ومبايعة له عنه لما أرسله إلى مكة وتقديم الصحابة له باختيارهم في الخلافة وشهادة عمر وغيره له بأن رسول الله ﷺ مات وهو عنه راض وأمثال ذلك مما يوجب العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه)[٩].

و(كما ثبت في الصحيح أن رجلا أراد أن يطعن في عثمان عند ابن عمر فقال إنه قد فر يوم أحد ولم يشهد بدرا ولم يشهد بيعة الرضوان فقال ابن عمر أما يوم أحد

---

(١) فضائل الصحابة ١/ ٤٨١، ٥٠٨-٥٠٩، مجمع الزوائد ٩/ ٨٣، الرياض النضرة ٣/ ١٠-١١، أورد عدة روايات بمعناه.

(٢) انظر تاريخ الخلفاء/ ١٤٩ .

(٣) المنهاج ٨/ ٢٣٤، انظر ٤/ ١٤٦ .

(٤) المنهاج ٨/ ٢٣٥ .

(٥) في مصنف ابن أبي شيبة ١٢/ ٤٣ عن قتادة: "أن عثمان حمل في جيش العسرة على ألف بعير إلا سبعين كلها خيلاً".

(٦) رواه الترمذي في كتاب المناقب باب "فضائل عثمان بن عفان (. ٥/ ٦٢٥-٦٢٦ ورواه الإمام أحمد في المسند/ ٦٣ وفي فضائل الصحابة ١/ ٤٥٧-٢٥٨ وقال المحقق إسناده حسن. وابن هاني في مسائل الإمام أحمد ٢/ ١٧٢، وابن أبي عاصم في السنة "باب فضل عثمان بن عفان (" ٢/ ٥٨٧ .

(٧) المنهاج ٧/ ٢٢-٣٣ .

(٨) المنهاج ٧/ ٢٣ .

(٩) المنهاج ٦/ ٢٦٨ .

فقد عفا الله عنه وفي لفظ فر يوم أحد فعفا الله عنه وأذنب عندكم ذنبا فلم تعفوا عنه وأما يوم بدر فإن النبي ﷺ استخلفه على ابنته وضرب له بسهمه وأما بيعة الرضوان فإنما كانت بسبب عثمان فإن النبي ﷺ بعثه إلى مكة وبايع عنه بيده ويد النبي ﷺ خير من يد عثمان[1].

فقد أجاب ابن عمر بأن ما يجعلونه عيبا ما كان منه عيبا فقد عفا الله عنه والباقي ليس بعيب بل هو من الحسنات وهكذا عامة ما يعاب به على سائر الصحابة هو إما حسنة وإما معفو عنه)[2].

(وقد ثبت أن النبي ﷺ شهد له، بل بشره بالجنة على بلوى تصيبه [3])[4].

معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه:

فضائله:

(فلم يكن من ملوك المسلمين ملك خير من معاوية ولا كان الناس في زمان ملك من الملوك خيرا منهم في زمن معاوية إذا نسبت أيامه إلى أيام من بعده وأما إذا نسبت إلى أيام أبي بكر وعمر ظهر التفاضل.

وقد روى أبو بكر الأثرم ورواه ابن بطة من طريقه حدثنا محمد بن عمرو بن جبلة[5] حدثنا محمد بن مروان[6] عن يونس[7] عن قتادة قال لو أصبحتم في مثل

---

(١) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عثمان ٤/ ٢٠٢، وسنن الترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان ٥/ ٦٢٩، والمسند ٢/ ١٠١ .

(٢) المنهاج ٦/ ٢٣٨-٢٣٩ .

(٣) البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب عثمان ٤/ ٢٠٢ وفي الأدب باب نكت العود في الماء والطين ٧/ ١٢٢-١٢٣ وغيرها ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان ٤/ ١٨٦٧-١٨٦٨ ، والترمذي في المناقب، باب في مناقب عثمان ٥/ ٦٣١ ، والمسند ١/ ١٨٧ ، ١٨٨ ، ٤٠٨ ، ٤/ ٣٩٣، ٤٠٦ ، ٤٠٧ وغيرهم.

(٤) المنهاج ٦/ ١٩٧ .

(٥) محمد بن عمرو بن جبلة بن أبي داود العكي مولاهم، أبو جعفر البصري قال الآجري عن أبي داود: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكره ابن أبي عاصم فيمن مات سنة أربع وثلاثين ومائتين، تهذيب التهذيب ٩/ ٣٧٣ .

(٦) محمد بن مروان العقيلي أبو بكر البصري المعروف بالعجلي، قال إسحاق بن منصور عن ابن معين/ صالح، وقال النسائي: سأل ابن معين عن محمد العقيلي، فقال: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات، ولينه أحمد، تهذيب التهذيب ٩/ ٤٣٥-٤٣٦ ، ميزان الاعتدال ٤/ ٣٣ .

(٧) يونس بن أبي الفرات القرشي مولاهم، ويُقال: المعولي البصري الإسكاف قال عبد الله بن =

عمل معاوية لقال أكثركم هذا المهدي[١].

وكذلك رواه ابن بطة بإسناده الثابت من وجهين عن الأعمش عن مجاهد قال: لو أدركتم معاوية لقلتم هذا المهدي[٢].

ورواه الأثرم حدثنا محمد بن حواش[٣] حدثنا أبو هريرة المكتب[٤] قال: كنا عند الأعمش فذكروا عمر بن عبد العزيز[٥] وعدله فقال الأعمش: فكيف لو أدركتم معاوية قالوا: في حلمه قال لا والله بل في عدله.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق[٦] قال لما قدم معاوية فرض لناس على أعطية آبائهم حتى انتهى إلي فأعطاني ثلاثمائة درهم[٧].

وقال عبد الله أخبرنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة[٨] ثنا الثقفي[٩] عن أبي إسحاق يعني السبيعي أنه ذكر معاوية فقال لو أدركتموه أو أدركتم أيامه لقلتم كان المهدي[١٠].

وروى الأثرم حدثنا محمد بن العلاء[١١] عن أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق

= أحمد عن أبيه: أرجو أن يكون صالح الحديث، وقال ابن معين: ليس به بأس، وقال أبو داود والنسائي ثقة، تهذيب التهذيب ١١/٤٤٦، التقريب/ ٦١٤ .

(١) السنة للخلال ٤٣٧-٤٣٨ .

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١٣٥ .

(٣) هكذا في المنهاج ولم أجد أحد بهذا الاسم ولعله أحمد بن جواس كما أشار إليه المحقق في بعض النسخ، وأحمد بن جواس الحنفي أبو عاصم الكوفي ثقة ت سنة ٢٨٣ هـ. تهذيب الكمال ١/ ٢٨٥-٢٨٦، التقريب/ ٧٨ .

(٤) لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من المراجع.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) السنة للخلال ٢/ ٤٤٠ .

(٨) حماد بن أسامة بن زيد القرشي، أبو أسامة الكوفي الحافظ الثبت مولى بن هاشم كان من أئمة العلم، قال عنه أحمد: ثقة كان أعلم الناس بأمور الناس، ت سنة ٢٠١ هـ، تهذيب الكمال ٧/ ٢١٧-٢٢٤، تذكرة الحافظ ١/ ٣٢١-٣٢٢، السير ٩/ ٢٧٧-٢٧٩ .

(٩) لعله عمر بن سويد الثقفي الكوفي أبو العجلي، ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، التاريخ الكبير ٦/ ٢٠٦، التقريب/ ٤١٣، الثقات لابن حبان ٧/ ١٧٧، تهذيب التهذيب ٧/ ٤٥٨-٤٥٩ .

(١٠) مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٧ عن الأعمش.

(١١) محمد بن العلاء بن كريب الحافظ الثقة الإمام، شيخ المحدثين، وثقة النسائي وغيره، وقال أبو حاتم: صدوق ت سنة ٢٤٨ هـ، السير ١١/ ٣٩٤-٣٩٨، الشذرات ٢/ ١١٩، التقريب/ ٥٠٠ .

قال ما رأيت بعده مثله[١] يعني معاوية.

وقال البغوي[٢]: حدثنا سويد بن سعيد[٣] حدثنا ضمام بن إسماعيل[٤] عن أبي قيس[٥] قال كان معاوية قد جعل في كل قبيلة رجلاً وكان رجل منا يكنى أبا يحيى يصبح كل يوم فيدور على المجالس هل ولد فيكم الليلة ولد هل حدث الليلة حدث هل نزل اليوم بكم نازل قال فيقولون نعم نزل رجل من أهل اليمن بعياله يسمونه وعياله فإذا فرغ من القبيل كله أتى الديوان فأوقع أسماءهم في الديوان[٦].

وروى محمد بن عوف الطائي[٧] حدثنا أبو المغيرة[٨] حدثنا ابن أبي مريم[٩] عن عطية بن قيس[١٠] قال سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطبنا يقول: إن في بيت مالكم فضلا بعد أعطياتكم وإني قاسمه بينكم فإن كان يأتينا فضل عاما قابلا قسمناه عليكم

---

(١) انظر السير ٣/ ١٥٢ .

(٢) هو شيخ الإسلام، محيي السنة، أبو محمد: الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر، صاحب التصانيف كشرح السنة ومعالم التنزيل، والمصابيح وغيرها، ت ٥١٦ هـ، السير ١٩/ ٤٣٩-٣٤٣ . الشذرات ٤/ ٤٨-٤٩ .

(٣) سويد بن سعيد الإمام المحدث الصدوق شيخ المحدثين، رحال جوال صاحب حديث وعناية بهذا الشأن، ت سنة ٢٤٠ هـ، تاريخ بغداد ٩/ ٢٢٨-٢٣٢، الجرح والتعديل ٤/ ٢٤٠، السير ١١/ ٤١٠-٤٢٠ .

(٤) ضمام بن إسماعيل بن مالك المرادي المعافري ثم الناشري، أبو إسماعيل صدوق، وربما أخطأ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه صالح الحديث، وقال يحيى بن معين: لا بأس به، ت سنة ١٨٥ هـ، ميزان الاعتدال ٢/ ٣٢٩-٣٣٠، تهذيب الكمال ١٣/ ٣١١-٣١٤ التقريب/ ٢٨٠ .

(٥) لم أجده.

(٦) البداية والنهاية ٨/ ١٣٤ بنفس المعنى.

(٧) محمد بن عوف الطائي الإمام الحافظ المجود، محدث حمص، أبو جعفر الطائي، قال أبو حاتم: هو صدوق، قال ابن معين: هو أعرف بحديث أهل بلده، قال ابن عدي: هو عالم بحديث الشام صحيحاً وضعيفاً، ت سنة ٢٧٢ هـ، السير ١٢/ ٦١٣-٦١٦، العبر ١/ ٣٩٣، الشذرات ٢/ ١٦٣ .

(٨) أبو المغيرة الإمام المحدث الصادق، قال العجلي ثقة، وقال أبو حاتم صدوق، وقال النسائي: ليس به بأس، قال البخاري ت سنة ٢١٢ هـ، السير ١٠/ ٢٢٣-٢٢٥، العبر ١/ ٢٨٥، الشذرات ٢/ ٢٨ .

(٩) ابن أبي مريم الإمام المحدث القدوة الرباني، أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي، شيخ أهل حمص، ضعفه أحمد بن حنبل وغيره من قبل حفظه، وقال ابن عدي: أحاديثه صالحة ولا يحتج به، ت سنة ١٥٦ هـ، السير ٧/ ٦٤-٦٥ .

(١٠) عطية بن قيس الإمام القانت مقرئ دمشق مع ابن عامر أبو يحيى الكلبي الدمشقي، ت سنة ١٢١ هـ وقيل غير ذلك، السير ٥/ ٣٢٤-٣٢٥، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٢٨-٢٢٩ .

وإلا فلا عتبه علي فإنه ليس بمالي وإنما هو مال الله الذي أفاء عليكم[١].

وفضائل معاوية في حسن السيرة والعدل والإحسان كثيرة وفي الصحيح أن رجلا قال لابن عباس: هل لك في أمير المؤمنين معاوية إنه أوتر بركعة قال أصاب إنه فقيه[٢].

وروى البغوي في معجمه[٣] بإسناده ورواه ابن بطة من وجه آخر كلاهما عن سعيد بن عبد العزيز[٤] عن إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر[٥] عن قيس بن الحارث[٦] عن الصنابحي[٧] عن أبي الدرداء قال ما رأيت أحدا أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا[٨] يعني معاوية فهذه شهادة الصحابة بفقهه ودينه والشاهد بالفقه ابن عباس وبحسن الصلاة أبو الدرداء وهما هما والآثار الموافقة لهذا كثيرة.

هذا ومعاوية ليس من السابقين الأولين بل قد قيل إنه من مسلمة الفتح وقيل

---

(١) ورد بعضه في السير ٣/ ١٥٢ .

(٢) البخاري في أصحاب النبي ﷺ باب ذكر معاوية (٤/ ٢١٩ .

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المزربان بن سابور بن شاهنشاه الحافظ الإمام الحُجة أبو القاسم ويُعرف بـ "ابن بنت منيع" ت سنة ٣١٧ هـ، وقد جاوز المائة وله كتاب "معجم الصحابة" و"الجعديات" وغيرهما، السير ١٤/ ٤٤٠-٤٥٧، معجم المؤلفين ٦/ ١٢٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٩٢-٤٩٣، لسان الميزان ٣/ ٣٣٨-٣٤١ .

(٤) سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى التنوخي الإمام القدوة، مفتي دمشق أبو محمد الدمشقي، ويُقال أبو عبد العزيز، قال ابن معين: إنما الحجة عبيد الله بن عمر ومالك والأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، ت سنة ١٦٧ هـ، وقيل غيرها، السير ٨/ ٣٢-٣٨، تهذيب الكمال ١٠/ ٥٣٩-٥٤٥، تهذيب التهذيب ٤/ ٥٩-٦١ .

(٥) إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر، الإمام الكبير أبو عبد الحميد الدمشقي مولى بني مخزوم، من الثقات العلماء، وثقه أحمد العجلي وغيره، ت سنة ١٨٢ هـ، السير ٥/ ٢١٣، تهذيب التهذيب ١/ ٣١٧-٣١٨، تهذيب الكمال ٣/ ١٤٣-١٥١ .

(٦) هو قيس بن الحارث أوحارثة الكندي الحمصي، ثقة، ذكره ابن حبان في الثقات، التقريب/ ٤٥٦، الثقات ٧/ ٣٢٦-٣٢٧، تهذيب التهذيب ٨/ ٣٨٦ .

(٧) عبد الرحمن بن عسيلة المرادي ثم الصنابحي، الفقيه: أبو عبد الله، نزيل دمشق، قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ بليال، وصلى خلف الصديق، وحدث عن بعض الصحابة ت سنة ٧١ هـ، السير ٣/ ٥٠٥-٥٠٧، البداية والنهاية ٨/ ٣٢٣ .

(٨) مجمع الزوائد ٩/ ٣٥٧ . وانظر السير ٣/ ١٣٥ .

أسلم قبل ذلك وكان يعترف بأنه ليس من فضلاء الصحابة وهذه سيرته مع عموم ولايته فإنه كان في ولايته من خراسان إلى بلاد إفريقية بالمغرب ومن قبرص إلى اليمن.

ومعلوم بإجماع المسلمين أنه ليس قريبا من عثمان وعلي فضلا عن أبي بكر وعمر فكيف يشبه غير الصحابة بهم وهل توجد سيرة أحد من الملوك مثل سيرة معاوية رضي الله عنه ؟)(١).

(وضعفت خلافة النبوة ضعفا أوجب أن تصير ملكا فأقامها معاوية ملكا برحمة وحلم كما في الحديث المأثور «تكون نبوة ورحمة ثم تكون خلافة نبوة ورحمة ثم يكون ملك ورحمة ثم يكون ملك»(٢) ولم يتول أحد من الملوك خيرا من معاوية فهو خير ملوك الإسلام وسيرته خير من سيرة سائر الملوك بعده)(٣).

(وكذلك معاوية لم يبايعه أحد لما مات عثمان على الإمامة ولا حين كان يقاتل عليا بايعه أحد على الإمامة ولا تسمى بأمير المؤمنين ولا سماه أحد بذلك ولا ادعى معاوية ولاية قبل حكم الحكمين)(٤).

رد مطاعن الرافضة عليه:

الرد على قول الرافضي:

(مع أن رسول الله ﷺ لعن معاوية الطليق بن الطليق اللعين بن اللعين وقال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه وكان من المؤلفة قلوبهم وقاتل عليا وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق وكل من حارب إمام حق فهو باغ ظالم...

والجواب أن يقال: أما ما ذكره من أن النبي ﷺ لعن معاوية وأمر بقتله إذا رُئي على المنبر فهذا الحديث ليس في شيء من كتب الإسلام التي يرجع إليها في علم النقل وهو عند أهل المعرفة بالحديث كذب موضوع مختلق على النبي ﷺ وهذا الرافضي الراوي له لم يذكر له إسنادا حتى يُنظر فيه وقد ذكره أبو الفرج بن الجوزي في الموضوعات(٥).

ومما يبين كذبه أن منبر النبي ﷺ قد صعد عليه بعد معاوية من كان معاوية خيرا

---

(١) المنهاج ٦/ ٢٣٢-٢٣٦ .

(٢) مجمع الزوائد ٥/ ١٨٩-١٩٠، سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٨-٩، المسند ٤/ ٢٧٣ .

(٣) المنهاج ٧/ ٤٥٢-٤٥٣ . (٤) المنهاج ٦/ ٣٣٠ .

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ٢٤-٢٦، وقال: هذا حديث موضوع لا يصح عن رسول الله ﷺ وفي أحاديث مختارة من موضوعات الجوزقاني وابن الجوزي/ ٩٠، والسير ٣/ ١٤٩ .

منه باتفاق المسلمين فإن كان يجب قتل من صعد عليه لمجرد الصعود على المنبر وجب قتل هؤلاء كلهم ثم هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام فإن مجرد صعود المنبر لا يبيح قتل مسلم وإن أمر بقتله لكونه تولى الأمر وهو لا يصلح فيجب قتل كل من تولى الأمر بعد معاوية ممن معاوية أفضل منه وهذا خلاف ما تواترت به السنن عن النبي ﷺ من نهيه عن قتل ولاة الأمور وقتالهم كما تقدم بيانه.

ثم الأمة متفقة على خلاف هذا فإنها لم تقتل كل من تولى أمرها ولا استحلت ذلك ثم هذا يوجب من الفساد والهرج ما هو أعظم من ولاية كل ظالم فكيف يأمر النبي ﷺ بشيء يكون فعله أعظم فسادا من تركه؟!

وأما قوله: "إنه الطليق ابن الطليق". فهذا ليس نعت ذم فإن الطلقاء هم مسلمة الفتح الذين أسلموا عام فتح مكة وأطلقهم النبي ﷺ وكانوا نحوا من ألفي رجل وفيهم من صار من خيار المسلمين...

ومعاوية ممن حسن إسلامه باتفاق أهل العلم ولهذا ولاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه موضع أخيه يزيد بن أبي سفيان لما مات أخوه يزيد بالشام وكان يزيد بن أبي سفيان من خيار الناس...

ثم إنه بقي في الشام عشرين سنة أميرا وعشرين سنة خليفة ورعيته من أشد الناس محبة له وموافقة له وهو من أعظم الناس إحسانا إليهم وتأليفا لقلوبهم حتى أنهم قاتلوا معه علي بن أبي طالب وصابروا عسكره حتى قاوموهم وغلبوهم وعلي أفضل منه وأعلى درجة وهو أولى بالحق منه باتفاق الناس، وعسكر معاوية يعلمون أن عليا أفضل منه وأحق بالأمر ولا ينكر ذلك منهم إلا معاند أو من أعمى الهوى قلبه.

ولم يكن معاوية قبل تحكيم الحكمين يدعي الأمر لنفسه ولا يتسمى بأمير المؤمنين بل إنما ادعى ذلك بعد حكم الحكمين وكان غير واحد من عسكر معاوية يقول له: لماذا تقاتل عليا وليس لك سابقته ولا فضله ولا صهره وهو أولى بالأمر منك(١) فيعترف لهم معاوية بذلك.

لكن قاتلوا مع معاوية لظنهم أن عسكر علي فيه ظلمة يعتدون عليهم كما اعتدوا على عثمان وأنهم يقاتلونهم دفعا لصيالهم عليهم وقتال الصائل جائز ولهذا لم يبدءوهم بالقتال حتى بدأهم أولئك ولهذا قال الأشتر النخعي: إنهم ينصرون علينا لأنا نحن بدأناهم بالقتال(٢).

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ١٢٩، السير ٣/ ١٤٠ .
(٢) لم أجده فيما بين يدي من المراجع.

وأما قوله: «كان معاوية من المؤلفة قلوبهم». فنعم وأكثر الطلقاء كلهم من المؤلفة قلوبهم كالحارث بن هشام وابن أخيه عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية وحكيم بن حزام وهؤلاء من خيار المسلمين والمؤلفة قلوبهم غالبهم حسن إسلامه وكان الرجل منهم يسلم أول النهار رغبة منه في الدنيا فلا يجيء آخر النهار إلا والإسلام أحب إليه مما طلعت عليه الشمس.

وأما قوله: «وقاتل عليا وهو عندهم رابع الخلفاء إمام حق وكل من قاتل إمام حق فهو باغ ظالم».

فيقال له أولا: الباغي قد يكون متأولا معتقدا أنه على حق وقد يكون متعمدا يعلم أنه باغ وقد يكون بغيه مركبا من شبهة وشهوة وهو الغالب وعلى كل تقدير فهذا لا يقدح فيما عليه أهل السنة فإنهم لا ينزهون معاوية ولا من هو أفضل منه من الذنوب فضلا عن تنزيههم عن الخطأ في الاجتهاد بل يقولون إن الذنوب لها أسباب تدفع عقوبتها من التوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وغير ذلك وهذا أمر يعم الصحابة وغيرهم)[١].

وأما قول الرافضي:

(وأما قوله: «إن سبب قولهم لمعاوية إنه خال المؤمنين دون محمد[٢] أن محمدا هذا كان يحب عليا ومعاوية كان يبغضه».

فيقال: هذا كذب أيضا فإن عبد الله بن عمر كان أحق بهذا المعنى من هذا وهذا وهو لم يقاتل لا مع هذا ولا مع هذا وكان معظما لعلي محبا له يذكر فضائله ومناقبه وكان مبايعا لمعاوية لما اجتمع عليه الناس غير خارج عليه وأخته أفضل من أخت معاوية[٣] وأبوه أفضل من أبي معاوية[٤] والناس أكثر محبة وتعظيما له من معاوية ومحمد ومع هذا فلم يشتهر عنه أنه خال المؤمنين فعلم أنه ليس سبب ذلك ما ذكره)[٥].

---

(١) المنهاج ٤/٣٧٨-٣٨٥ .

(٢) يعني محمد بن أبي بكر.

(٣) يعني أن حفصة بنت عمر (وستأتي ترجمتها) أفضل من أم حبيبة، وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب الأموية، أخت معاوية رضي الله عنهم "أم المؤمنين" ت سنة ٤٤ هـ، تجريد أسماء الصحابة ٢/٣١٦، الإصابة ١٢/ ٢٦٠-٢٦٣، ١٣/ ١٩٢ .

(٤) يعني أن عمر (أفضل من أبي سفيان.

(٥) المنهاج ٤/ ٣٩٥ .

وأما قول الرافضي:

(وسموه كاتب الوحي ولم يكتب له كلمة واحدة من الوحي. فهذا قول بلا حجة ولا علم، فما الدليل على أنه لم يكتب له كلمة واحدة من الوحي وإنما كان يكتب له رسائل.

وقوله: «إن كتاب الوحي كانوا بضعة عشر أخصهم وأقربهم إليه علي».

فلا ريب أن عليًا كان ممن يكتب له أيضا كما كتب الصلح بينه وبين المشركين عام الحديبية ولكن كان يكتب له أبو بكر وعمر أيضا ويكتب له زيد بن ثابت [1] بلا ريب.

ففي الصحيحين أن زيد بن ثابت لما نزلت ﴿ لا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ ﴾[2] كتبها له[3]. وكتب له أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعامر بن فهيرة وعبد الله بن الأرقم[4] وأبي بن كعب[5] وثابت بن قيس[6] وخالد بن سعيد بن العاص[7] وحنظلة بن الربيع الأسدي[8] وزيد بن ثابت ومعاوية وشرحبيل بن حسنة [9] رضى الله

---

(١) سبقت ترجمته. (٢) النساء/ ٩٥ .

(٣) البخاري في التفسير سورة النساء باب لا يستوي القاعدون من المؤمنين ٥/ ١٨٢-١٨٣، ومسلم في الإمارة باب سقوط فرض الجهاد عن المضرورين ٣/ ١٥٠٨-١٥٠٩ .

(٤) عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، القرشي الزهري الكاتب، من مسلمة الفتح وهو خال النبي، ت في خلافة عثمان، السير ٢/ ٤٨٢ .

(٥) أبي بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري أبو المنذر، سيد القراء كان من اصحاب العقبة الثاني، وشهد بدراً، كان عمر يسميه سيد المسلمين، ت في خلافة عثمان على الصحيح، الإصابة ١/ ٢٦-٢٧، الاستيعاب ١/ ١٢٦-١٣٤ .

(٦) ثابت بن قيس بن شماس بن زهير بن مالك بن امريء القيس الخزرجي أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن خطيب الأنصار، شهد أحد وبيعة الرضوان، استشهد يوم اليمامة، التقريب/ ١٣٣، السير ١/ ٣٠٨-٣١٤ .

(٧) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، أحد السابقين الأولين، استعمله الرسول على صنعاء، وقتل يوم أجنادين، الإصابة ٣/ ٥٨-٦٠، السير ١/ ٢٥٩-٢٦٠ .

(٨) حنظلة بن الربيع الأسدي التميمي، أبو ربعي الكاتب، شهد مع خالد بن الوليد حروب العراق، قال ابن حبان: مات في أيام معاوية، الإصابة ٢/ ٢٦٩-٢٧٠، تهذيب الكمال ٧/ ٤٣٨-٤٤٣، تهذيب التهذيب ٣/ ٦٠ .

(٩) شرحبيل بن عبد الله بن المطاع حليف بني زهرة، أبو عبد الله، أسلم مبكراً وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة، ت سنة ١٨ هـ، الإصابة ٥/ ٦٠-٦١، الاستيعاب ٥/ ٦٠-٦٢، التقريب/ ٢٦٥ .

عنهم.

وأما قوله: «إن معاوية لم يزل مشركا مدة كون النبي ﷺ مبعوثا».

فيقال: لا ريب أن معاوية وأباه وأخاه وغيرهم أسلموا عام فتح مكة قبل موت النبي ﷺ بنحو من ثلاث سنين فكيف يكون مشركا مدة المبعث ومعاوية رضى الله عنه كان حين بعث النبي ﷺ صغيرا كانت هند[١] ترقصه ومعاوية رضى الله عنه أسلم مع مسلمة الفتح مثل أخيه يزيد وسهيل بن عمرو[٢] وصفوان بن أمية[٣] وعكرمة بن أبي جهل[٤] وأبي سفيان بن حرب وهؤلاء كانوا قبل إسلامهم أعظم كفرا ومحاربة للنبي ﷺ من معاوية...

ومعاوية لم يعرف عنه قبل الإسلام أنه آذى النبي ﷺ لا بيد ولا بلسان فإذا كان من هو أعظم معاداة للنبي ﷺ من معاوية قد حسن إسلامه وصار ممن يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فما المانع أن يكون معاوية رضى الله عنه كذلك.

وكان من أحسن الناس سيرة في ولايته وهو ممن حسن إسلامه ولولا محاربته لعلي رضى الله عنه وتوليه الملك لم يذكره أحد إلا بخير كما لم يذكر أمثاله إلا بخير، وهؤلاء مسلمة الفتح معاوية ونحوه قد شهدوا مع النبي ﷺ عدة غزوات كغزاة حنين والطائف وتبوك فله من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله ما لأمثاله فكيف يكون هؤلاء كفارا وقد صاروا مؤمنين مجاهدين تمام سنة ثمان وتسع وعشر وبعض سنة إحدى عشرة؟)[٥].

---

(١) هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف صحابية قرشية عالية الشهرة أم معاوية بن أبي سفيان، أهدر النبي دمها يوم الفتح فجاءته مع بعض النسوة في الأبطح فأعلنت إسلامها، الإصابة ١٣/ ١٦٥-١٦٧، الأعلام ٨/ ٩٨ .

(٢) سهيل بن عمرو، أبو زيد، خطيب قريش وفصيحهم، ومن أشرافهم، تأخر إسلامه ثم حسن إسلامه، استشهد يوم اليرموك، وقيل غير ذلك. السير ١/ ١٩٤-١٩٥، الشذرات ١/ ٣٠، التاريخ الكبير ٤/ ١٠٣-١٠٤ .

(٣) صفوان بن أمية، صحابي من المؤلفة قلوبهم، أسلم بعد الفتح، وروى أحاديث، حسن إسلامه. شهد اليرموك، ت سنة ٤١ هـ، السير ٢/ ٥٦٢-٥٦٧، تقريب التهذيب/ ٢٧٦، تهذيب التهذيب ٤/ ٤٢٤-٤٢٥ .

(٤) عكرمة بن أبي جهل أبو عثمان القرشي المخزومي المكي، أسلم سنة ثمان للفتح وحسن إسلامه، وولي أعمالاً كثيرة وتوفي في الشام مجاهداً في معركة اليرموك وقيل استشهد يوم أجنادين وقيل غير ذلك، السير ١/ ٣٢٣-٣٢٤، الاستيعاب ٨/ ١١٦-١٢٢، الإصابة ٧/ ٣٦-٣٧ .

(٥) المنهاج ٤/ ٤٢٧-٤٢٩ .

الرد على قول الرافضي:

(وقد روى عبد الله بن عمر قال: أتيت النبي ﷺ فسمعته يقول: «يطلع عليكم رجل يموت على غير سنتي فطلع معاوية؛ وقام النبي ﷺ خطيبا فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ولم يسمع الخطبة فقال النبي ﷺ «لعن الله القائد والمقود أي يوم يكون للأمة مع معاوية ذي الإساءة».

فالجواب أن يقال أولاً: نحن نطالب بصحة هذا الحديث فإن الاحتجاج بالحديث لا يجوز إلا بعد ثبوته ونحن نقول هذا في مقام المناظرة وإلا فنحن نعلم قطعا أنه كذب.

ويقال ثانيًا: هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث ولا يوجد في شيء من دواوين الحديث التي يرجع إليها في معرفة الحديث وليس له إسناد معروف وهذا المحتج به لم يذكر له إسنادا ثم من جهله أن يروي مثل هذا عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كان من أبعد الناس عن سب الصحابة وأروى الناس لمناقبهم وقوله في مدح معاوية معروف ثابت عنه حيث يقول: «ما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية، قيل له: ولا أبو بكر وعمر فقال: كان أبو بكر وعمر خيرا منه، وما رأيت بعد رسول الله ﷺ أسود من معاوية»[(١)].

قال أحمد بن حنبل: "السيد الحليم"[(٢)] يعني معاوية وكان معاوية كريما حليما.

ثم إن خطب النبي ﷺ لم تكن واحدة بل كان يخطب في الجمع والأعياد والحج وغير ذلك ومعاوية وأبوه يشهدان الخطب كما يشهدها المسلمون كلهم أفتراهما في كل خطبة كانا يقومان ويمكنان من ذلك، هذا قدح في النبي ﷺ وفي سائر المسلمين إذ يمكنون اثنين دائما يقومان ولا يحضران الخطبة ولا الجمعة وإن كانا يشهدان كل خطبة فما بالهما يمتنعان من سماع خطبة واحدة قبل أن يتكلم بها؟

ثم من المعلوم من سيرة معاوية أنه كان من أحلم الناس وأصبرهم على من يؤذيه وأعظم الناس تأليفا لمن يعاديه فكيف ينفر عن رسول الله ﷺ مع أنه أعظم الخلق مرتبة في الدين والدنيا وهو محتاج إليه في كل أموره فكيف لا يصبر على سماع كلامه وهو بعد الملك كان يسمع كلام من يسبه في وجهه فلماذا لا يسمع كلام النبي ﷺ وكيف يتخذ النبي ﷺ كاتبا هذه حاله؟

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٥، السير ٣/ ١٥٢، ١٥٣، الاستيعاب ١٠/ ١٣٩، العواصم من القواصم تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب/ ٢١١ .

(٢) السنة للخلال ٢/ ٤٤١-٤٤٢ .

وقوله: «إنه أخذ بيد ابنه زيدا أو يزيد»؛ فمعاوية لم يكن له ابن اسمه زيد وما يزيد ابنه الذي تولى بعده الملك وجرى في خلافته ما جرى فإنما ولد في خلافة عثمان باتفاق أهل العلم ولم يكن لمعاوية ولد على عهد رسول الله ﷺ قال الحافظ أبو الفضل بن ناصر(١): خطب معاوية رضى الله عنه في زمن رسول الله ﷺ فلم يزوج لأنه كان فقيرا وإنما تزوج في زمن عمر رضى الله عنه وولد له يزيد في زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه سنة سبع وعشرين من الهجرة(٢).

ثم نقول ثالثًا: هذا الحديث يمكن معارضته بمثله من جنسه بما يدل على فضل معاوية رضى الله عنه قال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الموضوعات: قد تعصب قوم ممن يدعي السنة فوضعوا في فضل معاوية رضى الله عنه أحاديث ليغيظوا الرافضة وتعصب قوم من الرافضة فوضعوا في ذمه أحاديث وكلا الفريقين على الخطأ القبيح)(٣)، (٤).

ثم رد على افتراء الرافضي على معاوية فقال:

(وأما قوله إن معاوية قتل جمعا كثيرا من خيار الصحابة فيقال: الذين قتلوا من الطائفتين قتل هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء وأكثر الذين كانوا يختارون القتال من الطائفتين لم يكونوا يطيعون لا عليا ولا معاوية وكان علي ومعاوية رضي الله عنهما أطلب لكف الدماء من أكثر المقتتلين لكن غُلبا فيما وقع.... ثم قتال أصحاب معاوية معه لم يكن لخصوص معاوية بل كان لأسباب أخرى وقتال الفتنه مثل قتال الجاهلية لا تنضبط مقاصد أهله واعتقاداتهم كما قال الزهري: وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا أن كل دم أو مال أو فرج أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر أنزلوهم منزلة الجاهلية(٤))(٥).

الرد على قول الرافضي:

(وقد أحسن بعض الفضلاء في قوله شر من إبليس من لم يسبقه في سالف

---

(١) أبو الفضل بن ناصر: الإمام، المُحدث، محمد بن ناصر بن محملي السلامي البغدادي ولد سنة ٤٦٧ هـ، كان من أئمة اللغة، وقد اعتنق مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الأصول والفروع، وهو ثقة ثبت، ت سنة ٥٥٠ هـ، السير ٢٠/ ٢٦٥-٢٧١، الشذرات ٤/ ١٥٥-١٥٦، ذيل طبقات الحنابلة ١/ ٢٢٥-٢٢٩ .

(٢) انظر السير ٣/ ١٢٢ . (٣) الموضوعات ٢/ ١٥ . (٤) المنهاج ٤/ ٤٣٣-٤٤٧ .

(٥) السُنة للخلال ١٥١، ١٥٢ بلفظه، السنن الكبرى للبيهقي بمعناه ٨/ ١٧٥، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١١٦ .

(٦) المنهاج ٤/ ٤٦٧-٤٦٨ .

طاعته وجرى معه في ميدان معصيته... ومعاوية لم يزل في الإشراك وعبادة الأصنام إلى أن أسلم بعد ظهور النبي ﷺ بمدة طويلة ثم استكبر عن طاعة الله في نصب أمير المؤمنين عليه إماما وبايعه الكل بعد قتل عثمان وجلس مكانه فكان شرا من إبليس.

فيقال: هذا الكلام فيه من الجهل والضلال والخروج على دين الإسلام وكل دين بل وعن العقل الذي يكون لكثير من الكفار مالا يخفى عن من تدبره.

أما أولاً: فلأن إبليس أكفر من كل كافر وكل من دخل النار فمن أتباعه كما قال تعالى: ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [١]، وهو الآمر لهم بكل قبيح، المزين له فكيف يكون أحد شرا منه؟ لا سيما من المسلمين لا سيما من الصحابة.

وقول هذا القائل «شر من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعة وجرى معه في ميدان المعصية» يقتضي أن كل من عصى الله فهو شر من إبليس؛ لأنه لم يسبقه في سالف طاعة وجرى معه في ميدان المعصية وحينئذ فيكون آدم وذريته شرا من إبليس فإن النبي ﷺ قال: «كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون»[٢].

ثم هل يقول من يؤمن بالله واليوم الآخر إن من أذنب ذنبا من المسلمين يكون شرا من إبليس أو ليس هذا مما يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام وقائل هذا كافر كفرا معلوما بالضرورة من الدين وعلى هذا فالشيعة دائما يذنبون فيكون كل منهم شرا من إبليس...

وأما ثانيًا: فهذا الكلام كلام بلا حجة بل هو باطل في نفسه فلم قلت إن شرا من إبليس من لم يسبقه في سالف طاعة وجرى معه في ميدان معصية وذلك أن أحدا لا يجري مع إبليس في ميدان معصيته؟ كلها فلا يتصور أن يكون في الآدميين من يساوي إبليس في معصيته بحيث يضل الناس كلهم ويغويهم.

ويقال ثالثا: ما الدليل على أن إبليس كان أعبد الملائكة إلخ، فإن هذا أمر إنما يعلم بالنقل الصادق وليس في القرآن شيء من ذلك ولا في ذلك خبر صحيح عن النبي ﷺ وهل يحتج بمثل هذا في أصول الدين إلا من هو من أعظم الجاهلين؟!

وما وصف الله ولا رسوله ﷺ إبليس بخير قط ولا بعبادة متقدمة ولا غيرها مع أنه لو كان له عبادة لكانت قد حبطت بكفره وردته.

ويقال رابعًا: إن إبليس كفر كما أخبر الله تعالى ﴿ إِلا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

---

(١) ص/ ٨٥ .

(٢) ابن ماجه في الزهد باب ذكر التوبة ٢/ ١٤٢٠، والمسند ٣/ ١٩٨ .

الكَافِرِينَ ﴾ (١) فلو قدر أنه كان له عمل صالح حبط بكفره كذلك غيره إذا كفر حبط عمله فأين تشبيه المؤمنين بهذا؟!

ويقال خامسًا: قوله: «إن معاوية لم يزل في الإشراك إلى أن أسلم»؛ به يظهر الفرق فيما قصد به الجمع فإن معاوية أسلم بعد الكفر وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾(٢) وتاب من شركه وأقام الصلاة وآتى الزكاة وقد قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ (٣) وإبليس كفر بعد إيمانه فحبط إيمانه بكفره وذاك حبط كفره بإيمانه فكيف يقاس من آمن بعد الكفر بمن كفر بعد الإيمان؟!

ويقال سادسًا: قد ثبت إسلام معاوية رضى الله عنه والإسلام يجب ما قبله فمن ادعى أنه ارتد بعد ذلك كان مدعيا دعوى بلا دليل لو لم يعلم كذب دعواه فكيف إذا علم كذب دعواه وأنه ما زال على الإسلام إلى أن مات كما علم بقاء غيره على الإسلام فالطريق الذي يعلم به بقاء إسلام أكثر الناس من الصحابة وغيرهم يعلم به بقاء إسلام معاوية ﷺ والمدعي لارتداد معاوية وعثمان وأبي بكر وعمر رضى الله عنهم ليس هو أظهر حجة من المدعي لارتداد علي فإن كان المدعي لارتداد علي كاذبا فالمدعي لارتداد هؤلاء أظهر كذبا لأن الحجة على بقاء إيمان هؤلاء أظهر وشبهة الخوارج أظهر من شبهة الروافض.

ويقال سابعا: هذه الدعوى إن كانت صحيحة ففيها من القدح والغضاضة بعلي والحسن وغيرهما ما لا يخفي وذلك أنه كان مغلوبا مع المرتدين وكان الحسن قد سلم أمر المسلمين إلى المرتدين وخالد بن الوليد قهر المرتدين... بل وكذلك جيوش أبو بكر(٤) وعمر وعثمان ونوابهم فإنهم كانوا منصورين على الكفار وعلي عاجز عن مقاومة المرتدين الذين هم من الكفار أيضا.... وعلي رضى الله عنه دعا معاوية إلى السلم في آخر الأمر لما عجز عن دفعه عن بلاده وطلب منه أن يبقى كل واحد منهما على ما هو عليه وقد قال تعالى: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾(٥) فإن كان أصحابه مؤمنين وأولئك مرتدين وجب أن يكونوا الأعلين وهو خلاف الواقع)(٦).

ثم رد على قول الرافضي عن معاوية إنه جلس مكانه فقال:

---

(١) ص/ ٧٤ .
(٢) الأنفال/ ٣٨ .
(٣) التوبة/ ١١ .
(٤) هكذا في المنهاج والصواب "أبي" .
(٥) آل عمران/ ١٣٩ .
(٦) المنهاج ٤/٥٠٦-٥١٤ .

(قولكم إنه جلس مكانه). كذب فإن معاوية لم يطلب الأمر لنفسه ابتداء ولا ذهب إلى علي لينزعه عن إمارته ولكن امتنع هو وأصحابه عن مبايعته وبقي على ما كان عليه واليا على من كان واليا عليه في زمن عمر وعثمان ولما جرى حكم الحكمين إنما كان متوليا على رعيته فقط فإن أريد بجلوسه في مكانه أنه استبد بالأمر دونه في تلك البلاد فهذا صحيح لكن معاوية رضى الله عنه يقول: إني لم أنازعه شيئا هو في يده ولم يثبت عندي ما يوجب علي دخولي في طاعته وهذا الكلام سواء كان حقا أو باطلا لا يوجب كون صاحبه شرا من إبليس ومن جعل أصحاب رسول الله ﷺ شرا من إبليس فما أبقى غاية في الافتراء على الله ورسوله والمؤمنين والعدوان على خير القرون في مثل هذا المقام ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، والهوى إذا بلغ بصاحبه إلى هذا الحد فقد أخرج صاحبه عن ربقة العقل فضلا عن العلم والدين فنسأل الله العافية من كل بلية وإن كان حقًا على الله أن يذل أصحاب مثل هذا الكلام وينتصر لعباده المؤمنين من أصحاب نبيه وغيرهم من هؤلاء المفترين الظالمين)[(١)].

أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها:

الرد على قول الرافضي:

(وأعظموا أمر عائشة على باقي نسوانه مع أنه عليه السلام كان يكثر من ذكر خديجة بنت خويلد وقالت له عائشة إنك تكثر من ذكرها وقد أبدلك الله خيرا منها فقال: «والله ما بدلت بها ما هو خير منها صدقتني إذ كذبني الناس وآوتني إذ طردني الناس وأسعدتني بمالها ورزقني الله الولد منها ولم أرزق من غيرها».

والجواب أولا أن يقال: إن أهل السنة ليسوا مجمعين على أن عائشة أفضل نسائه بل قد ذهب إلى ذلك كثير من أهل السنة واحتجوا بما في الصحيحين عن أبي موسى[(٢)] وعن أنس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[(٣)] والثريد هو أفضل الأطعمة لأنه خبز ولحم...

---

(١) المنهاج ٤/ ٥٠٦- ٥١٧ .

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) البخاري في فضائل أصحاب النبي (باب "فضل عائشة" ٤/ ٢٢٠، ومسلم في فضائل الصحابة باب "في فضل عائشة" ٤/ ١٨٩٥، ولم يذكر رواية أبي موسى، وفي المسند ١٥٦/٣، ٢٦٤، ٤/ ٣٩٤، ٤٠٩، ٦/ ١٥٩ .

وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رضى الله عنه [١] قال: «قلت: يا رسول الله أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، قلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر، وسمى رجالا»[٢].

وهؤلاء يقولون قوله لخديجة: «ما أبدلني الله بخير منها»[٣] إن صح معناه ما أبدلني بخير لي منها لأن خديجة نفعته في أول الإسلام نفعا لم يقم غيرها فيه مقامها فكانت خيرا له من هذا الوجه لكونها نفعته وقت الحاجة لكن عائشة صحبته في آخر النبوة وكمال الدين فحصل لها من العلم والإيمان ما لم يحصل لمن لم يدرك إلا أول زمن النبوة فكانت أفضل بهذه الزيادة فإن الأمة انتفعت بها أكثر مما انتفعت بغيرها وبلغت من العلم والسنة ما لم يبلغه غيرها فخديجة كان خيرها مقصورا على نفس النبي ﷺ لم تبلغ عنه شيئا ولم تنتفع بها الأمة كما انتفعوا بعائشة ولا كان الدين قد كمل حتى تعلمه ويحصل لها من كمال الإيمان به ما حصل لمن علمه وآمن به بعد كماله ومعلوم أن من اجتمع همه على شيء واحد كان أبلغ فيه ممن تفرق همه في أعمال متنوعة فخديجة رضي الله تعالى عنها خير له من هذا الوجه ولكن أنواع البر لم تنحصر في ذلك.

وفي الجملة الكلام في تفضيل عائشة وخديجة ليس هذا موضع استقصائه لكن المقصود هنا أن أهل السنة مجمعون على تعظيم عائشة ومحبتها وأن نساءه أمهات المؤمنين اللاتي مات عنهن كانت عائشة أحبهن إليه وأعلمهن وأعظمهن حرمة عند المسلمين.

وقد ثبت في الصحيح[٤] أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة لما يعلمون من حبه إياها حتى أن نساءه غرن من ذلك وأرسلن إليه فاطمة رضي الله عنها فقلن له نسألك العدل في ابنة أبي قحافة فقال لفاطمة: «أي بنية ألا تحبين ما أحب؟ قالت:

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) رواه البخاري في فضائل أصحاب النبي باب "قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً" ٤/ ١٩٢، ومسلم في فضائل الصحابة باب "من فضائل أبي بكر" ٤/ ١٨٥٦، والترمذي في المناقب باب "فضل عائشة" ٥/ ٧٠٦، ولم يذكر بعد أبي بكر أحداً، والمسند ٤/ ٢٠٣ وقد سبق.

(٣) رواه الإمام أحمد في المُسند ٦/ ١١٧-١١٨ .

(٤) البخاري في فضائل أصحاب النبي باب "فضل عائشة" ٤/ ٢٢١، والهبة، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض ... إلخ ٣/ ١٣٢، ومسلم في فضائل الصحابة باب في فضل عائشة ٤/ ١٨٩١، والمسند ٦/ ٢٩٣ .

بلى. قال: فأحبي هذه؛ الحديث وهو في الصحيحين[(١)].

وفي الصحيحين أيضا أن النبي ﷺ قال: «يا عائش هذا جبريل يقرأ عليك السلام. فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا نرى؛ ولما أراد فراق سودة بنت زمعة[(٢)] وهبت يومها لعائشة رضي الله عنها بإذنه ﷺ [(٣)] وكان في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا اليوم؟ استبطاء ليوم عائشة ثم استأذن نساءه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فمرض فيه، وفي بيتها توفي بين سحرها ونحرها وفي حجرها[(٤)] وجمع الله بين ريقه وريقها[(٥)]. وكانت رضي الله عنها مباركة على أمته حتى قال أسيد بن حضير[(٦)]: لما أنزل الله آية التيمم بسببها ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ما نزل بك أمر قط تكرهينه إلا جعل الله فيه للمسلمين بركة[(٧)].

وكان قد نزلت آيات براءتها قبل ذلك لما رماها أهل الإفك فبرأها الله من فوق سبع سماوات[(٨)] وجعلها من الطيبات) [(٩)].

---

(١) البخاري في الهبة باب من أهدى إلى صاحبه وتحري بعض نسائه دون بعض ٣/ ١٣٢-١٣٣، ومسلم في فضائل الصحابة باب في فضل عائشة ٤/ ١٨٩١-١٨٩٢، والمسند ٦/ ٨٨، ١٥٠-١٥١.

(٢) البخاري في فضائل أصحاب النبي، باب "فضل عائشة" ٤/ ٢١٩-٢٢٠، وفي الأدب باب "من دعا صاحبه فنقص من اسمه حرفاً" ٧/ ١١٩، ومسلم في فضائل الصحابة باب في "فضل عائشة" ٤/ ١٨٩٥-١٨٩٦.

(٣) سودة بن زمعة القرشية العامرية أم المؤمنين أول من تزوج بها الرسول (بعد خديجة، توفيت في خلافة عمر وقيل غير ذلك، الإصابة ١٢/ ٣٢٣-٣٢٤، الاستيعاب ١٣/ ٥٣-٥٥، تجريد أسماء الصحابة ٢/ ٢٨٠، السير ٢/ ٢٦٥-٢٦٩.

(٤) أبو داود في النكاح باب في "القسم بين النساء" ٢/ ٦٠٢، وابن ماجه في النكاح باب "المرأة تهب يومها لصاحبتها" ١/ ٦٣٤، والمسند ٦/ ١١٧.

(٥) البخاري في المغازي، باب "مرض النبي (ووفاته" ٥/ ١٣٩، وفي الطب باب "حدثنا بشر بن محمد" ٧/ ١٨، وفي مسلم في الصلاة باب "استخلاف الإمام إذا عرض له عذر .. إلخ" ١/ ٣١٢-٣١٣، البخاري في المغازي باب "مرض النبي (ووفاته" .. إلخ ٥/ ١٣٨-١٣٩، ١٤١-١٤٢، وفي المسند ٦/ ٤٨، ٢٠٠، ٢٧٤.

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) البخاري باب قوله تعالى: (فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً..) الآية ١/ ٨٦، وفي مسلم في الحيض باب التيمم ١/ ٢٧٩، وفي النسائي في الطهارة باب بدء التيمم ١/ ١٦٣-١٦٥، وفي المسند ٦/ ١٧٩.

(٨) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٧٨، الدر المنثور في التفسير المأثور ٦/ ١٦٧-١٧٠، وجامع البيان عن تأويل القرآن ١٠/ ١٠٦-١٠٩، عند تفسير قوله تعالى: (الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ(الآية من سورة النور/ ٢٦.

(٩) المنهاج ٤/ ٣٠١-٣٠٨.

وقد رد على قول الرافضي:

وأذاعت سر رسول الله ﷺ فقال: (وأما قوله وأذاعت سر رسول الله ﷺ فلا ريب أن الله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[1].

وقد ثبت في الصحيح عن عمر أنهما عائشة وحفصة[2].[3] .

فيقال أولاً: هؤلاء يعمدون إلى نصوص القرآن التي فيها ذكر ذنوب ومعاص بينة لمن نصت عنه من المتقدمين يتأولون النصوص بأنواع التأويلات وأهل السنة يقولون بل أصحاب الذنوب تابوا منها ورفع الله درجاتهم بالتوبة وهذه الآية ليست بأولى في دلالتها على الذنوب من تلك الآيات فإن كان تأويل تلك سائغا كان تأويل هذه كذلك وإن كان تأويل هذه باطلا فتأويل تلك أبطل.

ويقال ثانيًا: بتقدير أن يكون هناك ذنب لعائشة وحفصة فيكونان قد تابتا منه وهذا ظاهر لقوله تعالى: ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[4] فدعاهما الله تعالى إلى التوبة فلا يظن بهما أنهما لم يتوبا مع ما ثبت من علو درجتهما وأنهما زوجتا نبينا في الجنة وأن الله خيرهن بين الحياة الدنيا وزينتها وبين الله ورسوله والدار الآخرة فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ولذلك حرم الله عليه أن يتبدل بهن غيرهن وحرم عليه أن يتزوج عليهن واختلف في إباحة ذلك له بعد ذلك ومات عنهن وهن أمهات المؤمنين بنص القرآن ثم قد تقدم أن الذنب يغفر ويعفى عنه بالتوبة وبالحسنات الماحية وبالمصائب المكفرة.

ويقال ثالثا: المذكور عن أزواجه كالمذكور عمن شهد له بالجنة من أهل بيته وغيرهم من الصحابة)[5].

---

(١) التحريم/ ٣ .

(٢) هي أن أم المؤمنين حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما تزوجها النبي ﷺ بعد انقضاء عدتها من خنيس بن حذيفة السهمي سنة ثلاثة من الهجرة ولها نحو عشرين سنة، توفيت سنة ٤١ هـ، قيل غير ذلك، السير ٢/ ٢٢٧-٢٣١، الإصابة ١٢/ ١٩٧-١٩٩ .

(٣) البخاري في تفسير القرآن سورة التحريم باب (وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً (الآية ٦/ ٦٩-٧٠ ، ومسلم كتاب الطلاق باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ٢/ ١١١٠-١١١٣ .

(٤) التحريم/ ٤ .

(٥) المنهاج ٤/ ٣١٣-٣١٥ .

وقد رد على زعم الرافضي:

(أن رسول الله ﷺ قال لها: «إنك تقاتلين عليا وأنت ظالمة له»).

فقال: وأما الحديث الذي رواه وهو قوله: «لها تقاتلين عليا وأنت ظالمة له»[١] فهذا لا يعرف في شيء من كتب العلم المعتمدة ولا له إسناد معروف وهو بالموضوعات المكذوبات أشبه منه بالأحاديث الصحيحة بل هو كذب قطعا فإن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين وظنت أن في خروجها مصلحة للمسلمين ثم تبين لها فيما بعد أن ترك الخروج كان أولى فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبل خمارها[٢].

وهكذا عامة السابقين ندموا على ما دخلوا فيه من القتال فندم طلحة والزبير وعلي رضي الله عنهم أجمعين ولم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصد في الاقتتال ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم فإنه لما تراسل علي وطلحة والزبير[٣] وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهل الفتنة وكان عليّ غير راض بقتل عثمان ولا معينا عليه كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلت عثمان ولا مالأت على قتله[٤] وهو الصادق البار في يمينه فخشي القتلة أن يتفق علي معهم على إمساك القتلة فحملوا على عسكر طلحة والزبير فظن طلحة والزبير أن عليا حمل عليهم فحملوا دفعا عن أنفسهم فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه فوقعت الفتنة بغير اختيارهم، وعائشة رضي الله عنها راكبة: لا قاتلت، ولا أمرت بالقتال. هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار[٥].

ثم رد على زعم الرافضي؛ أنها خالفت أمر الله فقال:

وأما قوله: وخالفت أمر الله في قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾[٦]، فهي رضي الله عنها لم تتبرج تبرج الجاهلية الأولى والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة مأمور بها، كما لو خرجت للحج والعمرة، أو خرجت مع زوجها في سفره، فإن هذه الآية قد نزلت في حياة النبي ﷺ، وقد سافر بهن رسول الله ﷺ بعد ذلك كما سافر في حجة الوداع بعائشة

---

(١) لم أجده.

(٢) انظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٠-١٨١، السير ٢/ ١٧٧ .

(٣) سبقت ترجمته. (٤) سبقت ترجمته.

(٥) المنهاج ٤/ ٣١٦-٣١٧ .

(٦) الأحزاب/ ٣٣ .

رضي الله عنها وغيرها، وأرسلها مع عبد الرحمن[١] أخيها فأردفها خلفه وأعمرها من التنعيم[٢].

وحجة الوداع كانت قبل وفاة النبي ﷺ بأقل من ثلاثة أشهر بعد نزول هذه الآية، ولهذا كان أزواج النبي ﷺ كما كن يحججن معه في خلافة عمر رضى الله عنه وغيره وكان عمر يوكل بقطارهن عثمان أو عبد الرحمن بن عوف، وإذا كان سفرهن لمصلحةٍ جائزة فعائشة اعتقدت أن ذلك السفر مصلحة للمسلمين، فتأولت في ذلك.

والوعيد لا يتناول المجتهد المتأول وإن كان مخطئاً، فإن الله تعالى يقول في دعاء المؤمنين: ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [٣] قال: قد فعلت[٤]. فقد عفي للمؤمنين عن النسيان والخطأ، والمجتهد المخطئ مغفور له خطؤه وإذا غفر خطأ هؤلاء في قتال المؤمنين، فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقر في بيتها - إذ كانت مجتهدة - أولى.

وبهذا يُجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها، وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة[٥].

ثم من جهل الرافضة أنهم يُعظمون أنساب الأنبياء: آباءهم وأبناءهم، ويقدحون في أزواجهم، كل ذلك عصبية واتباع هوى حتى يُعظمون فاطمة والحسن والحسين، ويقدحون في عائشة أم المؤمنين[٦].

وقد وضح أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[٧]، يدل على أن نساء النبي ﷺ من أهل بيته وأن سياق الآيات يدل على ذلك فقال بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر شقيق أم المؤمنين شهد بدراً مع المشركين وأسلم وهاجر قبل الفتح، كان من الرماة الشجعان، ت سنة ٥٣ هـ، وقيل غيرها، الاستيعاب ٦/٢٩، تجريد أسماء الصحابة ١/ ٣٥٠، السير ٢/ ٤٧١-٤٧٣ .

(٢) التنعيم: موضع بمكة خارج الحرم هو أدنى الحل إليه على طريق المدينة منه يُحرم المكيون بالعمرة، على ثلاثة أميال من مكة، معجم البلدان ٢/ ٤٩-٥٠، مراصد الاطلاع ١/ ٢٧٧، وأما الآن فقد دخل في مكة وهو مشهور.

(٣) البقرة/ ٢٨٦ .

(٤) مسلم في الإيمان باب "بيان أنه سبحانه وتعالى لم يُكلف إلا ما يُطاق" ١/ ١١٥-١١٦، المسند تحقيق أحمد شاكر ٣/ ٣٤١-٣٤٢، ٥/ ٣٠-٣١، تفسير الطبري تحقيق محمود شاكر ٦/ ١٤٢-١٤٦، ٦/ ١٠٣-١٠٥ .

(٥) المنهاج ٤/ ٣١٧-٣٢١، انظر ٦/ ٢٠٨ .

(٦) المنهاج ٤/ ٣٤٩، انظر ٤/ ٣٤٤-٣٤٨ . (٧) الأحزاب/ ٣٣ .

الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا * يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾[(١)].

وهذا السياق يدل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن[(٢)]، وقد تنازع العلماء: هل أزواجه من آله؟ على قولين: هما روايتان عن أحمد[(٣)] أصحهما أنهم من آله وأهل بيته، كما دل على ذلك ما في الصحيحين من قوله: «اللهم صلي على محمد وعلى أزواجه وذريته»[(٤)] وهذا مبسوط في موضع آخر[(٥)].

آل البيت رضوان الله عليهم :

الرد على قول الرافضي: (العاشر: ما رواه الجمهور من قول النبي ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». وقال: أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح: من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وهذا يدل على وجوب التمسك بقول أهل بيته، وعلي سيدهم، فيكون واجب الطاعة على الكل، فيكون هو الإمام.

والجواب من وجوه:

أحدهما: أن لفظ الحديث الذي في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم[(٦)]: قام فينا رسول الله ﷺ خطيباً بماء يُدعى خما بين مكة والمدينة، فقال: «أما بعد أيها الناس إنما

---

(١) الأحزاب/ ٣٠-٣٤ .
(٢) المنهاج ٣/ ٢٣ .
(٣) انظر تفسير القرطبي ١٤/ ١٨٢ .
(٤) رواه البخاري في الأنبياء باب حدثنا موسى بن إسماعيل ٤٠٠٠/ ١١٨، ومسلم في الصلاة باب الصلاة على النبي بعد التشهد ١/ ١٦٠-٣٠٦ .
(٥) المنهاج ٤/ ٢٤ .
(٦) زيد بن أرقم الأنصاري الخزرجي، نزيل الكوفة، شهد غزوة مؤتة وغيرها، وهو الذي جاء القرآن مُصدقاً له في قصة المنافقين يوم أن أخبر أن عبد الله بن أبي يقول: ليُخرجن الأعز منها الأذل . . ت سنة ٦٦ هـ، وقيل غيرها، الإصابة ٤/ ٣٨-٣٩، الاستيعاب ٤/ ٣٨-٤٠، السير ٣/ ١٦٥-١٦٨ .

أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين: أولهما: كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أُذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وهذا اللفظ يدل على أن الذي أمرنا بالتمسك به وجعل المتمسك به لا يضل هو كتاب الله.

وهكذا جاء في غير هذا الحديث، كما في صحيح مسلم عن جابر[2] في حجة الوداع لما خطب يوم عرفة وقال: «قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: "اللهم اشهد" ثلاث مرات»[3].

وأما قوله «وعترتي أهل بيتي وأنهما[4] لن يفترقا حتى يردا على الحوض[5]» فهذا رواه الترمذي. وقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعفه، وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا: لا يصح. وقد أجاب عنه طائفة بما يدل على أن أهل بيته كلهم لا يجتمعون على ضلالة، قالوا: ونحن نقول بذلك، كما ذكر ذلك القاضي أبو يعلى[6] وغيره.

لكن أهل البيت لم يتفقوا - ولله الحمد - على شيء من خصائص مذهب الرافضة، بل هم المبرءون المُنزهون عن التدنس بشيء منه.

وأما قوله: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح»[7] فهذا لا يُعرف له إسناد لا صحيح

---

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ٤/ ١٨٧٣، ١٨٧٤ .

(٢) جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، الإمام الكبير، المجتهد الحافظ، صاحب رسول الله ﷺ من أهل بيعة الرضوان، كان مُفتي المدينة في زمانه، ت سنة ٧٨ هـ، وقيل سنة ٧٧ هـ، الإصابة ٢/ ٤٦-٤٧، الاستيعاب ٢/ ١٠٩-١١٠، تجريد أسماء الصحابة ١/ ٧٣ .

(٣) مسلم في الحج باب حجة النبي (٢/ ٨٩٠ .

(٤) هكذا في المنهاج ولعل الصواب (وأنهما).

(٥) الترمذي في المناقب باب مناقب أهل بيت النبي (٥/ ٦٦٣، والمسند ٣/ ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، ٥/ ١٨١-١٨٢، ١٨٩-١٩٠ .

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) رواه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تفسير سورة هود ٢/ ٣٤٣ عن أبي ذر، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأورده السيوطي في الجامع الصغير ٢/ ٤٦٠، وعزاه إلى البزار عن ابن عباس وابن الزبير وإلى الحاكم عن أبي ذر، ورمز له بالحسن (ح) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع ٥/ ١٣١ .

ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يُعتمد عليها، فإن كان قد رواه مثل من يروي أمثاله من حطاب الليل الذين يروون الموضوعات فهذا مما يزيده وهنا.

الوجه الثاني: أن النبي ﷺ قال عن عترته: إنها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهو الصادق المصدوق، فيدل على أن إجماع العترة حجة، وهذا قول طائفة من أصحابنا، وذكره القاضي في "المعتمد" لكن العترة هم بنو هاشم كلهم: ولد العباس، وولد علي، وولد الحارث بن عبد المطلب، وسائر بني أبي طالب وغيرهم[١]، وعلي وحده ليس هو العترة، وسيد العترة هو رسول الله ﷺ.

يبين ذلك أن علماء العترة ـ كابن عباس وغيره ـ لم يكونوا يوجبون اتباع علي في كل ما يقوله، ولا كان علي يوجب على الناس طاعته في كل ما يُفتي به، ولا أعرف أن أحداً من أئمة السلف ـ لا من بني هاشم ولا غيرهم ـ قال: إنه يجب اتباع علي في كل ما يقوله[٢].

ثم رد على قول الرافضي: الحادي عشر: ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته، روى أحمد بن حنبل في مُسنده أن رسول الله ﷺ أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما فهو معي في درجتي يوم القيامة»[٣].

والجواب: المطالبة بتصحيح النقل، وهيهات له بذلك. وأما قوله "رواه أحمد" فيُقال: أولاً: أحمد له المُسند المشهور، وله كتاب مشهور في "فضائل الصحابة" روى فيه أحاديث، لا يرويها في المسند لما فيها من الضعف، لكونها لا تصلح أن تُروى في المُسند، لكونها مراسيل أو ضعافاً بغير الإرسال، ثم إن هذا الكتاب زاد فيه ابنه عبد الله زيادات، ثم إن القطيعي ـ الذي رواه عن ابنه عبد الله ـ زاد عن شيوخه زيادات،

---

(١) كما ثبت في صحيح مسلم من قول زيد بن أرقم قال له صحين ـ بعد ذكره الحديث «أذكركم الله أهل بيتي» السابق ـ ومَن أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟، قال: نساؤه من أهل بيته. ولكن أهل بيته من حرم الصدقة من بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

(٢) المنهاج ٧/ ٣٩٣-٣٩٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند تحقيق أحمد شاكر ٢/ ٢٥-٢٦، وقال إسناده حسن وقد أطال عليه في التعليق وفي فضائل الصحابة له ٢/ ٦٩٣-٦٩٤ . والترمذي في سننه في كتاب المناقب باب حدثنا سفيان بن وكيع ٥/ ٦٤١-٦٤٢، وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه. وما ورد في "المسند" وفي "فضائل الصحابة" فليس من رواية الإمام أحمد بل هو من رواية ابنه عبد الله حدثني نصر بن علي الجهضمي الأزدي »..

وفيها أحاديث موضوعة باتفاق أهل المعرفة.

وبتقدير أن يكون أحمد روى الحديث، فمجرد رواية أحمد لا توجب أن يكون صحيحاً يجب العمل به، بل الإمام أحمد روى أحاديث كثيرة ليعرف ويبين للناس ضعفها، وهذا في كلامه وأجوبته أظهر وأكبر من أن يحتاج إلى بسط، لا سيما في مثل هذا الأصل العظيم، مع أن هذا من زيادات القطيعي، رواه عن نصر بن علي الجهضمي[1] عن علي بن جعفر[2]

عن أخيه موسى بن جعفر[3][4]. وقد ذكر أن الحسين رضي الله عنه استشهد يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ وأن الرافضة أحدثوا الحزن والنوح واللطم في يوم عاشوراء وقابلهم طائفة اتخذته يوم فرح وعيد فقال (والحسين رضي الله عنه استشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين، وهي أول سنة مُلك يزيد، والحسين استشهد قبل أن يتولى على شيء من البلاد) [5]. وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضى الله عنه يحدث للناس بدعتين: بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء، من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما يُفضي إليه ذلك من سب السلف ولعنتهم، وإدخال من لا ذنب له مع ذوي الذنوب، حتى يسب السابقون الأولون، وتقرأ أخبار مصرعه التي كثير منها دخلها الكذب، وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الأمة، فإن هذا ليس واجباً ولا مُستحباً باتفاق المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرمه الله ورسوله، وكذلك بدعة السرور والفرح[6].

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال عن الحسن: «إن بني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»[7]، فأثنى على الحسن بالإصلاح، ولو كان القتال واجباً

---

(١) نصر بن علي الجهضمي، وثقه ابن حبان، روى عنه ابنه ووكيع وعبيد الله بن موسى ومسلم بن إبراهيم، خلاصة تهذيب الكمال ٣/ ٩١-٩٢، التقريب/ ٥٦١، التاريخ الكبير ٨/ ١٠٣، السير ١٢/ ١٣٦.

(٢) علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، هو أخو موسى الكاظم، وهو مقبول، وقد روى عنه الترمذي رواية واحدة، ت سنة ٢١٠ هـ، التقريب/ ٣٩٩، تهذيب التهذيب ٧/ ٢٩٣.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) المنهاج ٧/ ٣٩٧-٤٠٠.

(٥) المنهاج ٤/ ٥٢٢.

(٦) المنهاج ٤/ ٥٥٤.

(٧) البخاري في الصلح "باب ابني هذا سيد" ٣/ ١٦٩-١٧٠، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب الحسن والحسين ٤/ ٢١٦، والفتن باب قول النبي (للحسن بن علي إن ابني هذا لسيد ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ٨/ ٩٨-٩٩.

أو مُستحباً لما مدح تاركه[١].

وقد رد على ادعاء الرافضي تحريم ذرية فاطمة على النار[٢]، فقال: (والحديث الذي ذكره عن النبي ﷺ عن فاطمة هو كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث، ويظهر كذبه لغير أهل الحديث، أيضا، فإن قوله: "إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار"[٣]، يقتضي أن إحصان فرجها هو السبب لتحريم ذريتها على النار وهذا باطل قطعاً، فإن سارة أحصنت فرجها، ولم يُحرم الله جميع ذريتها على النار.

وأيضاً ففضيلة فاطمة ومزيتها ليست بمجرد إحصان فرجها، فإن هذا يُشارك فيه فاطمة جمهور نساء المؤمنين، وفاطمة لم تكن سيدة نساء العالمين بهذا الوصف، بل بما هو أخص منه. وأيضاً فليست ذرية فاطمة كلهم مُحرَّمين على النار، بل فيهم البر والفاجر)[٤].

* * *

ولكن المصنف وعلماء الشيعة قد رضيت لنفسها أن تنأى عن هذا المورد العظيم فهي لا تعرج في مقام الاستدلال عليها، ولا تحتج بها، ولا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصدقونها، كما أنه لا معنى لاحتجاجهم علينا برواياتهم فنحن لا نصدقها، وإنما ينبغي أن يحتج الخصوم بعضهم على بعض بما يصدقه الذي تقام عليه الحجة به، سواء صدقه المحتج أو لم يصدقه [الفصل: ٤/ ١٥٩].

ولذا أكتفي في هذا المقام بالإحالة على الكتب الأمهات في أبواب فضائل الصحابة؛ ففيها أحاديث كثيرة في فضل الصحابة والثناء عليهم، والنهي عن سبهم وأقيم عليهم الحجة من كتبهم أيضًا، من أقوال الأئمة التي يعدونها كأحاديث رسول الله ﷺ.

خلاصة ما سبق:

نستنتج من العرض السابق للآيات والأحاديث في مناقب الصحابة ما يلي:

أولاً: إن الله عز وجل زكى ظاهرهم وباطنهم؛ فمن تزكية ظواهرهم وصفهم بأعظم الأخلاق الحميدة، ومنها: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾(الفتح/ ٢٩).

---

(١) المنهاج ١/ ٥٣٩-٥٤٠ .

(٢) انظر المنهاج ٤/ ٥٨-٥٩ .

(٣) الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٤٢٢، تنزيه الشريعة لابن عراق ١/ ٤١٧-٤١٨، والفوائد المجموعة للشوكاني ٣٩٢-٣٩٣ .

(٤) المنهاج ٤/ ٦٢، ٩٤ .

﴿وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ (الحشر/ ٩). ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾(الحشر/ ١٠).

أما بواطنهم، فأمر اختص به الله عز وجل، وهو وحده العليم بذات الصدور. فقد أخبرنا عز وجل بصدق بواطنهم وصلاح نياتهم؛ فقال على سبيل المثال: ﴿فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم﴾ (الفتح/ ١٨). ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ (التوبة/ ١٧٧). ﴿يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾ (الفتح/ ٩). ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ (التوبة/ ١١٧). فقد تاب عليهم سبحانه وتعالى؛ لما علم صدق نياتهم وصدق توبتهم. والتوبة عمل قلبي محض كما هو معلوم. . وهكذا.

ثانياً: بسبب توفيق الله عز وجل لهم لأعظم خلال الخير ظاهراً وباطناً أخبرنا أنه رضي عنهم وتاب عليهم، ووعدهم الحسنى.

ثالثاً: وبسبب كل ما سبق أمرنا بالاستغفار لهم، وأمر النبيُ -ﷺ بإكرامهم، وحفظ حقوقهم، ومحبتهم. ونُهينا عن سبهم وبغضهم. بل جعل حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق.

رابعاً: ومن الطبيعي بعد ذلك كله أن يكونوا خير القرون، وأماناً لهذه الأمة. ومن ثم يكون اقتداء الأمة بهم واجباً، بل هو الطريق الوحيد إلى الجنة: ((عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي)) (رواه أحمد ٤/ ١٢٦، ١٢٧ وأصحاب السنن والدارمي. والحديث صححه جماعة من المحدثين -انظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحديث (٣٨) ص ٣٨٧، دار الفرقان ط. الأولى ١٤١١هـ وانظر الإرواء (٢٥٤٤) ٨/١٠٧ للتوسع).

منزلة الصحابة لا يعادلها شيء:

تعظيم الصحابة ومعرفة قدرهم أمر مقرر عند كبارهم، ولو كان اجتماع الرجل به - ﷺ قليلا، رضي الله عنهم.

قال الحافظ بن حجر ذاكرا ما يدل على ذلك: ((فمن ذلك ما قرأت في كتاب " أخبار الخوارج " تأليف محمد بن قدامة المروزي - ثم ذكر سنده - إلى أن قال: عن نبيج العنزي عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا عنده وهو متكئ، فذكرنا عليا ومعاوية، فتناول رجل معاوية، فاستوى أبو سعيد الخدري جالسا، فذكر قصته حينما كان في رفقة مع رسول الله ﷺ فيه أبو بكر ورجل من الأعراب - إلى أن قال أبو سعيد -: ثم رأيت ذلك البدوي أتي به عمر بن الخطاب وقد هجا الأنصار . فقال

لهم عمر: لولا أن له صحبة من رسول الله ﷺ، ما ادري ما نال فيها لكفيتكموه (رواه أحمد ٣ / ٥١ دون كلام عمر، ورواه بلفظه علي بن الجعد ٢ / ٩٥٦، قال الهيثمي ٤ / ٩٢: رجاله ثقات، وعزاه ابن حجر ليعقوب بن شيبة كما في إسناده عنه، وعزاه شيخ الإسلام لأبي ذر الهروي الصارم المسلول ٥٩٠) قال الحافظ: ورجاله ثقات .

فقد توقف عمر رضي الله عنه عن معاتبته، فضلا عن معاقبته، لكونه علم أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك أبين شاهد على أنهم كانوا يعتقدون أن شأن الصحبة لا يعدلها شيء.

حدثنا وكيع، قال: سمعت سفيان يقول في قوله تعالى: ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾ قال: هم أصحاب محمد ﷺ. (الآية في النحل ٥٩، والأثر عند الطبري ٢٠ / ٣ ط دار المعرفة، وابن كثير ٣ / ٣٦٩ ط المعرفة)) .انتهى من الإصابة . (١ / ٢٠ ـ ٢٢).

فهذا الاصطفاء والاختيار أمر لا يتصور ولا يدرك ولا يقاس بعقل، ومن ثم لا مجال لمفاضلتهم مع غيرهم مهما بلغت أعمالهم.

قال ابن عمر: ((لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم أربعين سنة)) . (رواه أحمد في فضائل الصحابة ١ / ٥٧، ابن ماجة ١ / ٣١، وابن أبي عاصم ٢ / ٤٨٤، والخبر صححه البويصيري في زوائد ابن ماجة ١ / ٢٤، والمطالب العلية ٤ / ١٤٦، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجة ١ / ٣٢) . وفي رواية وكيع: ((خير من عبادة أحدكم عمره)).

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل، لمشاهدة رسول الله ﷺ، أما من اتفق له الذب عنه، والسبق إليه بالهجرة، أو النصرة، أو ضبط الشرع المتلقى عنه وتبليغه لمن بعده، فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة إلا وللذي سبق بها مثل اجر من عمل بها من بعده، فظهر فضلهم .(فتح الباري ٧ / ٧).

قال النووي: ((وفضيلة الصحبة - ولو لحظة - لا يوازيها عمل، ولا تنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بالقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)) . (شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ١ / ١٦٠).

أيضا التزكية الداخلية لهم من الله عز وجل، العليم بذات الصدور، مثل قوله تعالى: ﴿ فعلم ما في قلوبهم ﴾، وقبول توبتهم ﴿ لقد تاب الله عن النبي والمهاجرين

والأنصار﴾، ورضاه عنهم ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ . . الخ، كل ذلك اختصوا به، فأنى لمن بعدهم مثل هذه التزكيات ؟

لكن قد يقول قائل: لقد وردت بعض الروايات الدالة على خلاف ما ذكرت (من أشهر من قال ذلك الإمام ابن عبد البر، والاستدلال المذكور هو من أقوى استدلالاته، والجمهور على خلافه كما ذكرنا)، مثل قوله ﷺ في حديث أبي ثعلبة: ((تأتي أيام للعامل فيهن أجر خمسين)) . قيل منهم أو منا يا رسول الله؟. قال: ((بل منكم)) . (رواه أبو داوود ٤٣٤١، والترمذي ٢ / ١٧٧، وابن ماجة ٤٠١٤، وابن حبان ١٨٥٠، قال الترمذي: حديث حسن غريب، صححه الألباني بشواهده -الصحيحة ٤٩٤).

وكذلك ما روى أبو جمعة رضي الله عنه، قال: قال أبو عبيدة: يا رسول الله أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك ؟ . قال: ((قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني)) . (رواه أحمد والدارمي ٤ / ١٠٦، والطبراني ٤ / ٢٢-٢٣، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ٤ / ٨٥، قال ابن حجر: إسناده حسن - الفتح ٧ / ٦ . انظر الفتح الرباني ١ / ١٠٣ -١٠٤).

وقد جمع العلماء بين هذه الأحاديث والأحاديث السابقة من عدة وجوه، أهمها:

الوجه الأول: حديث ((للعامل فيهن أجر خمسين)) لا يدل على الأفضلية، لأن مجرد زيادة الأجر على بعض الأعمال لا يستلزم ثبوت الأفضلية مطلقا.

الوجه الثاني: أن المفضول قد توجد فيه مزايا وفضائل ليست عند الفاضل، ولكن من حيث مجموع الخصال لا يساوي الفاضل .

الوجه الثالث: يقال كذلك: إن الأفضلية بينهما إنما هي باعتبار ما يمكن أن يجتمعا فيه، وهو عموم الطاعات المشتركة بين سائر المؤمنين، فلا يبعد حينئذ تفضيل بعض من يأتي على بعض الصحابة في ذلك، أما ما اختص به الصحابة رضوان الله عليهم وفازوا به، من مشاهدة طلعته صلى الله عليه وسلم ورؤية ذاته المشرفة المكرمة، فأمر من وراء العقل، غذ لا يسع أحد أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلا عن أن يماثله . (الصواعق المحرقة للهيثمي).

الوجه الرابع: إن الرواة لم يتفقوا على لفظ حديث أبي جمعة، فقد رواه بعضهم بلفظ الخيرية كما تقدم، ورواه بعضهم بلفظ ((قلنا يا رسول الله هل من قوم اعظم منا أجرا ؟)) أخرجه الطبراني .

قال الحافظ في الفتح: ((وإسناد هذه الرواية أقوى من إسناد الرواية المتقدمة))، وهي توافق حديث أبي ثعلبة، وقد تقدم الجواب عنه والله أعلم.

وأخيرا: ينبغي التنبيه في آخر هذه الفقرة إلى أن الخلاف بين الجمهور وغيرهم في ذلك لا يشمل كبار الصحابة من الخلفاء، وبقية العشرة، ومن ورد فيهم فضل مخصوص، كأهل العقبة وبدر وتبوك . . الخ .

وإنما يحصل النزاع فيمن لم يحصل له إلا مجرد المشاهدة . ولذلك استثنى الإمام ابن عبد البر أهل بدر والحديبية .(فتح الباري ٧ / ٧).

سب الصحابة وحكمه:

ينقسم سب الصحابة إلى أنواع، ولكل نوع من السب حكم خاص به.

والسبب: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السب بعقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوهما . (الصارم المسلول ٥٦١).

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمن سب بالكفر أو الفسق، ومن سب بأمور دنيوية كالبخل، وضعف الرأي .

وهذا السب أما أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، وهذا الفرد إما أن يكون ممن تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك.

وإليك تفاصيل وبيان أحكام كل قسم:

من سب الصحابة بالكفر والردة أو الفسق، جميعهم أو بعضهم فلا شك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

إن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول. إن في هذا تكذيبا لما نص عليه القرآن من الرضا عنهم والثناء عليهم (فالعلم الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي) . (الرد على الرافضة ص١٩) . ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

إن في ذلك إيذاء له ﷺ، لأنهم أصحابه وخاصته، فسب المرء خاصته والطعن فيهم، يؤذيه ولا شك . وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا حكم هذا القسم: ((وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرا قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفسا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضا في كفره، لأنه مكذب لما نص القرآن في غير

موضع، من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين . . - إلى أن قال - وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام)) . (الصارم المسلول ٥٨٦- ٥٨٧).

وقال الهيثمي رحمه الله: ((ثم الكلام - أي الخلاف - إنما هو في سب بعضهم، أما سب جميعهم فلا شك في أنه كفر)) . (الصواعق المحرقة ٣٧٩).

ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة، ذكر بعض العلماء أدلة أخرى تفصيلية، منها:

أولا: ما مر معنا من تفسير العلماء للآية الأخيرة من سورة الفتح، من قوله ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ إلى قوله ﴿ ليغيظ بهم الكفار ﴾ استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة، لان الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه الشافعي وغيره . (الصواعق المحرقة ص٣١٧، وتفسير ابن كثير ٤ / ٢٠٤).

ثانيا: ما سبق ذكره من حديث أنس عند الشيخين أن النبي ﷺ قال: ((آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار))، وفي رواية: ((لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق)).

ولمسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ:((لا يبغض الأنصار رجل آمن بالله واليوم الآخر))، فمن سبهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقا لا يؤمن بالله ولا اليوم الآخر . (الصارم المسلول ص٥٨١).

ثالثا: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انه ضرب بالدرة من فضله على أبي بكر، ثم قال عمر: ((أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا))، ثم قال عمر: ((من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري)) . (فضائل الصحابة للإمام أحمد ١ / ٣٠٠، وصححه ابن تيمية في الصارم ص٥٨٥).

وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ((لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري)). (فضائل الصحابة ١ / ٨٣، والسنة لابن أبي عاصم ٢ / ٥٧٥ عن طريق الحكم بن جحل وسنده ضعيف لضعف أبي عبيدة بن الحكم، انظر فضائل الصحابة ١ / ٨٣، لكن له شواهد أحدهما من طريق علقمة عن علي عند ابن أبي عاصم في السنة ٢ / ٤٨، حسن الألباني إسناده، والأخر عن سويد بن غفلة عن علي عند الالكائي ٧ / ١٢٩٥).

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل عليا على أبي بكر وعمر، أو يفضل عمرا على أبي بكر، مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سب ولا عيب، علم عقوبة السب عندهما فوق هذا بكثير .

(الصارم المسلول ص ٥٨٦).

من سب بعضهم سبا يطعن في دينهم:

كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق، وكان ممن تواترت النصوص بفضله . (بعض العلماء يقيد ذلك بالخلفاء، والبعض يقتصر على الشيخين، ومن العلماء من يفرق باعتبار تواتر النصوص بفضله أو عدم تواترها، ولعله الأقرب والله اعلم، وكذلك بعض من يكفر ساب الخلفاء يقصر ذلك على رميهم بالكفر، والآخرون يعممون بكل سب فيه طعن في الدين): فذلك كفر على الصحيح، لأن في هذا تكذيبا لأمر متواتر.

روى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون، قال: (من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أنهم كانوا على ضلال وكفر، قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد). (الشفا للقاضي عياض ٢/ ١١٠٩).

وقال هشام بن عمار: (سمعت مالكا يقول: من سب أبا بكر وعمر، قتل، ومن سب عائشة رضي الله عنها، قتل، لأن الله تعالى يقول فيها: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾ فمن رماها فقد خالف القرآن، ومن خالف القرآن قتل) . (الصواعق المحرقة ص٣٨٤).

أما قول مالك رحمه الله في الرواية الأخرى: (ومن سب أبا بكر، جلد، ومن سب عائشة، قتل . قيل له: لم ؟ . قال: من رماها فقد خالف القرآن).

فالظاهر - والله اعلم - أن مقصود مالك رحمه الله هنا في سب أبي بكر رضي الله عنه فيما هو دون الكفر، ويوضحه بقية كلامه عن عائشة رضي الله عنها، حيث قال: (من رماها فقد خالف القرآن) فهذا سب مخصوص يكفر صاحبه - ولا يشمل كل سب - وذلك لأنه ورد عن مالك القول بالقتل فيمن كفر من هو دون أبي بكر. (الشفا ٢ / ١١٠٩).

قال الهيثمي مشيرا إلى ما يقارب ذلك عند كلامه عن حكم سب أبي بكر: (فيتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد، فليس بكفر . نعم قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر، فتكون المسألة عنده على حالين: إن اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفره وإلا كفره) . (الصواعق ٣٨٦).

وقال أيضا: (وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي، والذي أراه الكفر فيها قطعا) . (الصواعق ٣٨٥).

وقال الخرشي: (من رمى عائشة بما برأها الله منه . . . أو أنكر صحبة أبي بكر، أو إسلام العشرة، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفر الأربعة، أو واحدا منهم، كفر). (الخرشي على مختصر خليل ٨ / ٧٤).

وقال البغدادي: (وقالوا بتكفير كل من أكفر واحدا من العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ، وأكفروا من أكفرهن، أو أكفر بعضهن). (الفرق بين الفرق ص ٣٦٠).

والمسألة فيها خلاف مشهور، ولعل الراجح ما تقدم، وأما القائلون بعدم تكفير من هذه حاله، فقد اجمعوا على أنه فاسق، لارتكابه كبيرة من كبائر الذنوب، يستحق عليه التعزير والتأديب، على حسب منزلة الصحابي، ونوعية السب.

وإليك بيان ذلك:

قال الهيثمي: (أجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق) . (الصواعق المحرقة ص٣٨٣).

وقال ابن تيمية: (قال إبراهيم النخعي: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر، وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال الله تعالى فيها: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾. وإذا كان شتمهم بهذه المثابة، فأقل ما فيه التعزير، لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد أو كفارة . وهذا مما لا نعلم فيه خلافا بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم . . . وعقوبة من أساء فيهم القول) . (اللالكائي ٨ / ١٢٦٢ -١٢٦٦).

وقال القاضي عياض:(وسب أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزر ولا يقتل) . (مسلم بشرح النووي ١٦ / ٩٣).

وقال عبد الملك بن حبيب: (من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان والبراء منه أدب أدبا شديدا، وإن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر، فالعقوبة عليه اشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت)). (الشفا ٢ / ١١٠٨).

فلا يقتصر في السب أبي بكر رضي الله عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في غيره، لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة، فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقضي الاخترام، لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي ﷺ وغير ذلك، كان كل واحدة من هذه الأمور تقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه . (الصواعق المحرقة ٣٨٧).

وعقوبة التعزير المشار إليها لا خيار للإمام فيها، بل يجب عليه فعل ذلك .

قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع) . (طبقات الحنابلة ١ / ٢٤، والصارم المسلول ٥٦٨). فانظر أخي المسلم إلى قول إمام أهل السنة فيمن يعيب أو يطعن بواحد منهم، ووجوب عقوبته وتأديبه .ولما كان سبهم المذكور من كبائر الذنوب عند بعض العلماء فحكم فاعله حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، مبينا حكم استحلال سب الصحابة:(ومن خص بعضهم بالسب، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء، فإن اعتقد حقية سبه أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعا عن رسول الله ﷺ، ومكذبه كافر، وإن سبه من غير اعتقاد حقية سبه أو إباحته فقد تفسق، لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم البعض فيمن سب الشيخين بالكفر مطلقا، والله أعلم). (الرد على الرافضة ص١٩). وقال القاضي أبو يعلي - تعليقا على قول الإمام أحمد رحمه الله حين سئل عن شتم الصحابة، فقال: "ما أراه على الإسلام "، قال أبو يعلي:(فيحتمل أن يحمل قوله: ما أراه على الإسلام،إذا استحل سبهم، فإنه يكفر بلا خلاف، ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده تحريمه، كمن يأتي بالمعاصي) ثم ذكر بقية الاحتمالات . (الصارم المسلول ص ٥٧١ وما قبلها).

يتلخص مما سبق فيمن سب بعضهم سبا يطعن في دينه وعدالته، وكان ممن تواترت النصوص بفضله، انه يكفر - على الراجح - لتكذيبه أمرا متواترا .

أما من لم يكفره من العلماء، فاجمعوا على أنه من أهل الكبائر، ويستحق التعزير والتأديب، ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه، ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي . ولا يكفر عندهم إلا إذا استحل السب .أما من زاد على الاستحلال، كأن يتعبد الله عز وجل بالسب والشتم، فكفر مثل هذا مما لا خلاف فيه، ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك.

وباتضاح هذا النوع بإذن الله، يتضح ما بعده بكل يسر وسهولة، ولذلك أطلنا القول فيه.

أما من سب صحابي لم يتواتر النقل بفضله:

فقد بينا فيما سبق رجحان تكفير من سب صحابيا تواترت النصوص بفضله من جهة دينه، أما من لم تتواتر النصوص بفضله، فقول جمهور العلماء بعدم كفر من سبه، وذلك لعدم إنكاره معلوما من الدين بالضرورة، إلا أن يسبه من حيث الصحبة.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: (وإن كان ممن لم يتواتر النقل بفضله وكماله، فالظاهر أن سابه فاسق، إلا أن يسبه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإنه يكفر)[١].

أما سب بعضهم سبا لا يطعن في دينهم وعدالتهم:

فلا شك أن فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب، ولكن من مطالعتي لأقوال العلماء في المراجع المذكورة، لم أر أحدا منهم يكفر فاعل ذلك، ولا فرق عندهم بين كبار الصحابة وصغارهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما إن سبهم سبا لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء)[٢].

وذكر أبو يعلي من الأمثلة على ذلك اتهامهم بقلة المعرفة بالسياسة[٣].

ومما يشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية، والغفلة، وحب الدنيا، ونحو ذلك.

وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ، وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة، باسم الموضوعية والمنهج العلمي. وللمستشرقين أثر في غالب الدارسات التي من هذا النوع.

وقفة مع المنهج الموضوعي:

ولعل من المناسب هنا أن نقف وقفة قصيرة جدا، نبين فيها فساد هذا المنهج، وخطورة تطبيقه على تاريخ الصحابة. والمنهج الموضوعي، عند الغربيين يعني أن يبحث الموضوع بحثا عقليا مجردا، بعيدا عن التصورات الدينية [٤].

فنقول ردا على ذلك:

أولا: المسلم لا يمكن أن يتجرد من عقيدته بأي حال من الأحوال، إلا أن يكون

---

(١) (الرد على الرافضة ص١٩) .
(٢) (الصارم المسلول ص ٥٨٦).
(٣) (الصارم المسلول ص ٥٧١).
(٤) (راجع منهج كتابة التاريخ للعلياني ص١٣٨).

كافرا بها (١).

ثانيا: كذلك بالنسبة للتاريخ الإسلامي، إذا ثبتت الحوادث في ميزان نقد الرواية، فبأي منهج نفهمها ونفسرها ؟ إذا لم نفسرها بالمنهج الإسلامي، فلا بد أن نختار منهجا أخر . فنقع في الانحراف من حيث لا نعلم.

وبناء على ذلك، يجب أن نحذر من تطبيق هذا المنهج على تاريخ الصحابة.

ويجب أن نعلم أيضا أن ما يسمى بالنقد العلمي أو الموضوعية لتاريخ الصحابة، هو السب الوارد في كتب أهل البدع، وفي كتب الأخبار، وتسميته بالمنهج العلمي لا يخرجه من حقيقته التي عرف بها عند أهل السنة، وأيضا تسميته بذلك لا تعلي من قيمته، كما لا يعلي من قيمته أن يردده كتاب مشهورون، وفيهم أولو فضل وصلاح .

وإنما كل ما فعله المحدثون أنهم أحيوا هذا السب الذي أماته أهل السنة عندما كانت الدولة دولتهم . (هذه الفقرة مأخوذة من البحث القيم للدكتور رشاد خليل).

والذي أوصي به نفسي وإخواني الباحثين في تاريخ الصحابة إلا يتخلوا عن عقيدتهم، ومنها الاعتقاد بعدالة الصحابة وتحريم سبهم عند البحث في تاريخهم، فالله الله أن يؤتى الإسلام من قبلهم، وليعلموا أن لأهل السنة منهجا واضحا في النظر إلى تلكم الأخبار، كما سيأتي في آخر البحث.

حكم سب أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

أما من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، فقد أجمع العلماء انه يكفر.

قال القاضي أبو يعلي: (من قذف عائشة رضي الله عنها بما براها الله منه كفر بلا خلاف). وقد حكي الإجماع على هذا غير واحد من الأئمة لهذا الحكم .

فروي عن مالك: (من سب أبا بكر جلد، ومن سب عائشة قتل. قيل له: لم ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن) (٢).

وقال ابن شعبان في روايته، عن مالك: (لأن الله تعالى يقول: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين﴾ فمن عاد فقد كفر (٣).

والأدلة على كفر من رمى أم المؤمنين صريحة وظاهرة الدلالة، منها:

أولا: ما استدل به الإمام مالك، أن في هذا تكذيبا للقرآن الذي شهد ببراءتها، وتكذيب ما جاء به القرآن كفر.

---

(١) (راجع في تفصيل ذلك، وفي الرد على دعوى الموضوعية، بحث مخطوط للدكتور رشاد خليل ٣٤ -٣٧).

(٢) (الصارم المسلول ص ٥٦٦). (٣) (الشفا ٢ / ١١٠٩).

قال الإمام ابن كثير: (وقد اجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبها بعد هذا ورماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه يكفر، لأنه معاند للقرآن) . (راجع تفسير ابن كثير ٣ / ٢٧٦، عند تفسير قوله تعالى ﴿إن الذين يرمون المحصنات﴾ .

وقال ابن حزم - تعليقا على قول الإمام مالك السابق -: (قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها). (المحلي ١١ / ١٥).

ثانيا: إن فيه إيذاء وتنقيصا لرسول الله ﷺ، من عدة وجوه، دل عليها القرآن الكريم، فمن ذلك:

إن ابن عباس رضي الله عنهما فرق بين قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ﴾ وبين قوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، فقال عند تفسير الآية الثانية: ((هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة، وهي مبهمة ليس توبة، ومن قذف امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة . . . إلى آخر كلامه . . . قال: فهم رجل أن يقوم فيقبل رأسه من حسن ما فسر)). (انظر ابن جرير ١٨ / ٨٣، وعنه ابن كثير ٣ / ٢٧٧).

فقد بين ابن عباس، أن هذه الآية إنما نزلت فيمن قذف عائشة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه، فمن قذف المرأة أذى لزوجها، كما هو أذى لابنها، لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه، وإن زنى امرأته يؤذيه أذى عظيما . ولعل ما يلحق بعض الناس من العار والخزي بقذف أهله اعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف . (الصارم المسلول ص ٤٥، والقرطبي ١٢ / ١٣٩). وكذلك فإيذاء رسول الله ﷺ كفر بالإجماع .

قال القرطبي عند قوله تعالى ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾: « يعني في عائشة، لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي ﷺ، لما في ذلك من إذاية رسول الله ﷺ في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله) . (القرطبي ١٢ / ١٣٦، عن ابن عربي في أحكام القرآن ٣ / ١٣٥٥ - ١٣٥٦).

ومما يدل على أن قذفهن أذى للنبي ﷺ، ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما في حديث الإفك عن عائشة، قالت: (فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أبي سلول)، قالت: (فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر -: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي . .) كما جاء في الصحيحين .

فقوله: (من يعذرني) أي من ينصفني ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي، والله أعلم. فثبت أنه ﷺ قد تأذى بذلك تأذيا استعذر منه.

وقال المؤمنون الذين لم تأخذهم حمية: (مرنا نضرب أعناقهم، فإنا نعذرك إذا أمرتنا بضرب أعناقهم)، ولم ينكر النبي ﷺ على سعد استئماره في ضرب أعناقهم. (الصارم المسلول ص ٤٧).

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ومن يقذف الطيبة الطاهرة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة، لما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي سلول رأس المنافقين.

ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن أذاني في أهلي. ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا مبينا﴾. فأين أنصار دينه ليقولوا له: نحن نعذرك يا رسول الله). (الرد عل الرافضة ٢٥-٢٦). كما أن الطعن بها رضي الله عنها فيه تنقيص برسول الله ﷺ من جانب آخر، حيث قال عز وجل: (الخبيثات للخبيثين).

قال ابن كثير: (أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعا ولا قدرا، ولهذا قال تعالى ﴿أولئك مبرءون مما يقولون﴾ أي عما يقوله أهل الإفك والعدوان). (ابن كثير ٣ / ٢٧٨).

حكم سب بقية أمهات المؤمنين:

اختلف العلماء في قذف بقية أمهات المؤمنين، والراجح الذي عليه الأكثرون: كفر فاعل ذلك، لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ، والله تعالى إنما غضب لها، لأنها زوجته صلى الله عليه وسلم، فهي وغيرها منهن سواء. (البداية والنهاية ٨ / ٩٥). وكذلك فيه تنقيصا وأذى لرسول الله ﷺ بقذف حليلته. (الشفا ٢ / ١١١٣، وراجع أيضا الصواعق المحرقة ص ٣٨٧).

وقد بينا ذلك عند كلامنا عن حكم قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

أما أن سب أمهات المؤمنين سبا غير ذلك فحكمهن حكم سائر الصحابة على التفصيل السابق.

لوازم السب:

تيقظ السلف الصالح رضوان الله عليهم لخطورة الطعن في الصحابة وسبهم،

وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم، وذلك لعلمهم بما يؤدي إليه ذلك السب من لوازم باطلة تناقض أصول الدين، فقال بعضهم كلمات قليلة، لكنها جامعة، أذكرها في مقدمة هذا المبحث، ثم أوضح - بعض الشيء - ما يترتب على السب غالبا .

وسأركز في الرد على السب من القسم الأول والثاني، من نسبة الكفر أو الفسق لمجموع الصحابة أو أكثرهم، أو الطعن في عدالة من تواترت النصوص بفضله كالخلفاء رضي الله عنهم.

قال الإمام مالك رحمه الله عن هؤلاء الذين يسبون الصحابة: (إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحون) . (رسالة في سب الصحابة، عن الصارم المسلول ص٥٨٠).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام). (البداية والنهاية ٨ / ١٤٢، وأنظر المسائل والرسائل المروية عن أحمد في العقيدة الأحمدية للأحمدي ٢ / ٣٦٣، ٣٦٤).

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: ((فإذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فأعلم انه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة) . (الكفاية للخطيب البغدادي ٩٧).

وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله: (فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا مفتون القلب في دينه) . (الإمامة لأبي نعيم ٣٤٤).

ويقول أيضا: (لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين) . (الإمامة لأبي نعيم ٣٧٦).

وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة، وتأمل قول إمام أهل السنة: ((يذكر أحدا من الصحابة بسوء))، وقول أبي زرعة: ((ينتقص أحدا))، فحذروا ممن ينتقص مجرد انتقاص أو ذكر بسوء، وذلك دون الشتم أو التكفير، ثم في واحد منهم وليس جميعهم، فماذا يقال فيمن سب أغلبهم ؟!

وإليك أخي إيضاح لبعض لوازم السب:

أولا: يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفرا يسيرا،

الشك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون - والعياذ بالله - ولذلك صرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسب الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن، والبعض أخفى ذلك .

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية، فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم، صارت الأسانيد مرسلة مقطوعة لا حجة فيها، ومع ذلك يزعم بعض هؤلاء الإيمان بالقرآن .

فنقول لهم: يلزم من الإيمان بالقرآن الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم، وأن الله لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم . . . الخ، فمن لم يصدق ذلك فيهم، فهو مكذب لما في القرآن، ناقض لدعواه .

ثانيا: هذا القول يقتضي أن هذه الأمة - والعياذ بالله - شر أمة أخرجت للناس، وسابقي هذه الأمة شرارها، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفارا أو فساقا وإنهم شر القرون [1]. كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

ثالثا: يلزم من هذا القول، أحد أمرين: إما نسبة الجهل إلى الله تعالى عما يصفون، أو العبث في هذه النصوص التي أثنى فيها على الصحابة .

فإن كان الله عز وجل - تعالى عن قولهم - غير عالم بأنهم سيكفرون، ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل، والجهل عليه تعالى محال .

وإن كان الله عز وجل عالما بأنهم سيكفرون، فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث، والعبث في حقه تعالى محال [2].

ويتبع ذلك الطعن في حكمته عز وجل، حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، فجاهدوا معه وآزروه ونصره واتخذهم أصهارا له، حيث زوج ابنتيه ذا النورين عثمان رضي الله عنه، وتزوج ابنتي الصديق وعمر رضي الله عنهما، فكيف يختار لنبيه أنصارا وأصهارا مع علمه بأنهم سيكفرون؟!.

رابعا: لقد بذل رسول الله ﷺ جهودا خارقة في تربية الصحابة على مدى ثلاثة وعشرين عاما، حتى تكون بفضل الله عز وجل المجتمع المثالي في خلقه وتضحياته وزهده وورعه، فكان ﷺ اعظم مرب في التاريخ .

لكن على العكس من ذلك، فإن جماعة تدعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام، تقدم لهذا المجتمع صورة معاكسة، تهدم المجهودات التي قام بها النبي ﷺ

---

(١)(الصارم ٥٨٧).   (٢) (انظر إتحاف ذوي النجابة لمحمد بن العربي التباني ص٧٥).

في مجال التـربية والتوجيـه، وتثبت له إخفاقا لم يواجـهه أي مصلح أو مرب خـبير مخـلص لم يكن مأمـورا من الله، كمـا كان الشـأن مع رسول الله صلى الله علـيه وسلم. (صرح بـعض من تولى كبر تلـكم المزاعم والتهم والضـلالات أن رسول الله ﷺ لم ينجح، وأن الذي ينجح في ذلك المهدي الغائب ـ مهديهم).

إن الإمامية ترى أن المجهودات التي بذلهـا محمد ﷺ لم تنتج إلا ثلاثة أو أربعة - وفقا لبـعض الروايات - ظلوا متمسـكين بالإسلام إلى بعد وفاته ﷺ، أمـا غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام - والعياذ بـالله - فور وفاته ﷺ، وأثبتوا أن صحبة النبي ﷺ وتربيته أخفقت ولم يعد لها أي تأثير .

وهذا الزعم يؤدي إلى اليـأس من إصـلاح البشـرية، وعـدم الثـقـة في المنهج الإسلامي وقدرته على التـربية وتهذيب الأخلاق، وإلى الشك في نبوة مـحمد ﷺ، وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعـالم عددا وجيها من نماذج عملـية ناجحة بناءة، ومجتـمعا مثاليـا في أيام الداعي وحامل رسالته الأول، فكيف يسـتطيع أتباعه ذلك بعد مضي وقت طويل على عهد النبوة ؟!

وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة، ولم يعودوا أوفياء لنبيهم ﷺ بعد انتقـاله إلى الرفيق الأعلى، فلم يبق على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتبـاعه إلا أربعة فـقط، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكـية النفوس وبناء الأخلاق؟ وانه يستـطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشـقاء، ويرفعه إلى قمة الإنسانية؟ .

بل ربما يقال: لو أن النبي ﷺ كان صادقا في نبـوته، لكانت تعاليمه ذات تأثير، ووجد هناك من آمـن به من صميم القلـب، ووجد من بين العدد الهـائل ممن آمنوا به بضع المئات ثبـتوا على الإيمان، فإن كـان أصحابه سـوى بضعة رجـال منهم منافقين ومرتدين - فـيما زعـموا - فمن دان بالإسـلام ؟! ومن أنتفع بالرسـول ﷺ؟ وكيف يكون رحمة للعالمين؟[1].

الإمساك عما شجر بينهم:

قال ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فامسكوا، وإذا ذكر النجوم فامسكوا، وإذا ذكر القدر فامسكوا) [2] .

---

(١) (صورتان متضادتان للشيخ أبي الحسن الندوي ص ١٣ -٤٥ -٥٨-٩٩).

(٢) (أخرجه الطبراني في الكبير ٢ / ٧٨ / ٢، وأبو نعيم في الحلية ٤ / ١٠٨، وفي الإمام من حديث ابن مسعود، وقواه الألباني بطرقه وشواهده - السلسلة الصحيحة١ / ٣٤) .

ولذلك فمن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

قال أبو نعيم رحمه الله: (فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان، الذين مدحهم الله عز وجل بقوله: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾.

ويقول أيضا في تعليقه على الحديث المشار إليه: (لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفضائلهم، وإنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم وما يفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الوجدة). (الإمامة ٣٤٧).

إذا فالإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك مخصوص يقصد منه عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى. (منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل ٢٢٧).

ونحن لم نؤمر بما سبق / وإنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، وإذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل. (منهاج السنة ٦ / ٢٥٤).

وهذا مما نحتاجه في زماننا، حيث ابتليت الأمة المسلمة في جامعاتها ومدارسها بمناهج - يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية - تخوض فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي علمنا إياها ربنا عز وجل ورسوله ﷺ.

وكذلك وللأسف وصلت هذه العدوى إلى بعض الإسلاميين، حتى إن بعضهم يجمع الغث والسمين من الروايات حول الفتنة التي وقعت بين الصحابة، ثم يبني أحكامه دون الاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم.

من أجل ذلك أردت أن أشير إلى بعض الأسس والتوجيهات التي ينبغي أن يعرفها الباحث إذا اقتضت الحاجة أن يبحث فيما شجر بينهم رضي الله عنهم.

أسس البحث في تاريخ الصحابة:

أولا: إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل، بل الأصل الاعتقادي عند أهل السنة والجماعة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة، وهذا مبسوط في عامة كتب أهل السنة في العقيدة، كالسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل، والسنة لابن أبي عاصم، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني، والإبانة لابن بطة، والطحاوية، وغيرها.

ويتأكد هذا الإمساك عند من يخشى عليه الالتباس والتشويش والفتنة، وذلك بتعارض ذلك بما في ذهنه عن الصحابة وفضلهم ومنزلتهم وعدالتهم وعدم إدراك مثله، لصغر سنه أو لحداثة عهده بالدين . . . لحقيقة ما حصل بين الصحابة، واختلاف اجتهادهم في ذلك، فيقع في الفتنة بانتقاصه للصحابة من حيث لا يعلم.

وهذا مبني على قاعدة تربوية تعليمية مقررة عند السلف، وهي إلا يعرض على الناس من مسائل العلم إلا ما تبلغه عقولهم .

قال الإمام البخاري رحمه الله: (باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا) . وقال علي رضي الله عنه: (حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله).

وقال الحافظ في الفتح تعليقا على ذلك: (وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة . ومثله قول ابن مسعود: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة). (رواه مسلم).

وممن كره التحدث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب . . إلى أن قال:(وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة، وظاهره في الأصل غير مراده، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب، والله أعلم. (صحيح البخاري ١ / ٤١، الفتح ١ / ١٩٩ - ٢٠٠، وراجع أيضا كلاما جيدا للسلمي في كتابة التاريخ ٢٢٨).

ثانيا: إذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بينهم، فلابد من التحقيق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة، قال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾. وهذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق، لكيلا يحكموا بموجبها على الناس فيندموا .

فوجوب التثبت والتحقيق فيما نقل عن الصحابة، وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى، خصوصا ونحن نعلم أن هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف، أما من جهة اصل الرواية أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم والطعن .

وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب، مثل أبي مخنف لوط بن يحيى، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأمثالهما. (منهاج السنة ٥ / ٧٢، وانظر دراسة نقدية " مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري / عصر الراشدين، ليحيى اليحيى).

من أجل ذلك لا يجوز أن يدفع النقل المتواتر في محاسن الصحابة وفضائلهم بنقول بعضها منقطع وبعضها محرف، وبعضها يقدح فيما علم، فإن اليقين لا يزول بالشك، ونحن تيقنا ما ثبت في فضائلهم، فلا يقدح في هذا أمور مشكوك فيها، فكيف إذا علم بطلانها . (منهاج السنة ٦ / ٣٠٥).

ثالثا: إذا صحت الرواية في ميزان الجرح والتعديل، وكان ظاهرها القدح، فليلتمس لها أحسن المخارج والمحاذير .

قال ابن أبي زيد: (والإمساك عما شجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب) . (مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني، وانظر تنويرا لمقالة حل ألفاظ الرسالة للتتائي).

وقال ابن دقيق العيد: (وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه، فمنه ما هو باطل وكذب، فلا يلتفت إليه، وما كان صحيحا أولناه تأويلا حسنا، لأن الثناء عليهم من الله سابق، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل، والمشكوك والموهوم لا يبطل الملحق المعلوم) . (أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم لعبد العزيز العجلان ص٣٦٠). هذا بالنسبة لعموم ما روي في قدحهم.

رابعا: أما ما روي على الخصوص فيما شجر بينهم، وثبت في ميزان النقد العلمي، فهم فيه مجتهدون، وذلك أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ، فوجب عليهم نصرته وقتال الباغي عليه، فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

القسم الثاني: عكس هؤلاء، ظهر لهم بالاجتهاد إن الحق مع الطرف الآخر، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه .

القسم الثالث: اشتبهت عليهم القضية، وتحيروا فيها، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين، فاعتزلوا الفريقين، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك . (مسلم بشرح النووي ١٥ / ١٤٩، ١٨ / ١١، وراجع الإصابة ٢ / ٥٠١، فتح الباري ١٣ / ٣٤).

أيضا من المهم أن نعلم أن القتال الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير علي، ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي، ولا قال ذلك طلحة والزبير، وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء، بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان رضي

الله عنه، وهو من باب قتال أهل البغي والعدل، وهو قتال بتأويل سائغ لطاعة غير الإمام، لا على قاعدة دينية، أي ليس بسبب خلاف في أصول الدين . (منهاج السنة ٦ / ٣٢٧).

ويقول عمر بن شبه: (إن أحدا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليا في الخلافة، ولا دعوا أحدا ليولوه الخلافة، وإنما أنكروا على علي منعه من قتال قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم). (أخبار البصرة لعمر بن شبه نقلا عن فتح الباري ١٣ / ٥٦).

ويؤيد هذا ما ذكره الذهبي: (أن أبا مسلم الخولاني وأناسا معه، جاءوا إلى معاوية، وقالوا: أنت تنازع عليا أم أنت مثله ؟ . فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما، وأنا ابن عمته، والطالب بدمه، فائتوه فقولوا له، فليدفع إلي قتلة عثمان، وأسلم له . فأتوا عليا، فكلموه، فلم يدفعهم إليه). (سير أعلام النبلاء للذهبي ٣ / ١٤٠، بسند رجاله ثقات كما قال الأرناؤوط).

وفي رواية عند ابن كثير: (فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية) . (البداية والنهاية ٨ / ١٣٢، وانظر كلاما لإمام الحرمين وتعليقا للتباني عليه - إتحاف ذوي النجابة ص ١٥٢).

وأيضا فجمهور الصحابة وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة.

قال عبد الله بن الإمام أحمد: (حدثنا أبي، حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا أيوب السختياني، عن محمد بن سيرين، قال: هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين).

قال ابن تيمية: (وهذا الإسناد من اصح إسناد على وجه الأرض، ومحمد بن سيرين من أورع الناس في منطقته، ومراسيله من أصح المراسيل) . (منهاج السنة ٦ / ٢٣٦).

فأين الباحثون المنصفون ليدرسوا مثل هذه النصوص الصحيحة، لتكون منطلقا لهم، لا أن يلطخوا أذهانهم بتشويشات الإخباريين، ثم يؤولوا النصوص الصحيحة حسب ما عندهم من البضاعة المزجاة.

خامسا: ما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة - مع اجتهادهم فيها وتأولهم - حزنهم الشديد وندمهم لما جرى، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه، بل إن البعض لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال، وإليك بعض من هذه النصوص:

هذه عائشة أم المؤمنين، تقول فيما يروي الزهري عنها: (إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال، ولو علمت ذلك لم اقف ذلك الموقف أبدا) . (مغازي الزهري).

وكانت إذا قرأت ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ تبكي حتى يبتل خمارها. (سير أعلام النبلاء ٢ / ١٧٧).

وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، يقول عنه الشعبي: (لما قتل طلحة ورآه علي مقتولا، جعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدّلا تحت نجوم السماء . ثم قال: إلى الله أشكو عجزي وبجري. - أي همومي وأحزاني -وبكى عليه هو وأصحابه، وقال: يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة). (أسد الغابة لابن الأثير ٣ / ٨٨ ـ ٨٩).

وكان يقول ليالي صفين: (لله در مقام عبد الله بن عمر وسعد بن مالك - وهما ممن اعتزل الفتنة - إن كان برا إن أجره لعظيم، وإن كان إثما إن خطره ليسير). (منهاج السنة ٦ / ٢٠٩).

فهذا قول أمير المؤمنين، رغم قول أهل السنة أن عليا ومن معه أقرب إلى الحق. (فتح الباري ١٢ / ٦٧).

وهذا الزبير بن العوام رضي الله عنه - وهو ممن شارك في القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها - يقول: (إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها)، فقال مولاه: أتسميها فتنة وتقاتل فيها ؟! قال: (ويحك، إنا نبصر ولا نبصر، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه، غير هذا الأمر، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر). (فتح الباري ١٢ / ٦٧).

وهذا معاوية رضي الله عنه، لما جاءه نعي علي بن أبي طالب، جلس وهو يقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون، وجعل يبكي . فقالت امرأته: أنت بالأمس تقاتله، واليوم تبكيه ؟! . فقال: ويحك، إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره). وفي رواية (ويحك، أنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم). (البداية والنهاية ٨ / ١٥ ـ ١١٣).

وبعد هذه المنقولات كلها، كيف يلامون بأمور كانت متشابهة عليهم، فاجتهدوا، فأصاب بعضهم وأخطأ الآخرون، وجميعهم بين أجر وأجرين، ثم بعد ذلك ندموا على ما حصل وجرى .

وما حصل بينهم من جنس المصائب التي يكفر الله عز وجل بها ذنوبهم، ويرفع بها درجاتهم ومنازلهم، قال ﷺ:(لا يزال البلاء بالعبد، حتى يسير في الأرض وليس

عليه خطيئة). (رواه الترمذي ٢٣٩٨ وقال حسن صحيح، وحسنه ابن حبان والحاكم وسكت عنه الذهبي ١ / ٤١، وحسنه الألباني - المشكاة ١ / ٤٩٢ من حديث سعد، وصححه في الصحيحة ١٤٤، وانظر شواهده ١٤٣ ١٤٥، وراجع الفتح ١٠ / ١١١ _ ١١٢).

وعلى أقل الأحوال، لو كان ما حصل من بعضهم في ذلك ذنبا محققا، فإن الله عز وجل يكفره بأسباب كثيرة، من أعظمها الحسنات الماضية من سوابقهم ومناقبهم وجهادهم، والمصائب المكفرة، والاستغفار، والتوبة التي يبدل بها الله عز وجل السيئات حسنات، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم. (للتوسع راجع منهاج السنة٦ / ٢٠٥ فقد ذكر عشر أسباب مكفرة).

سادسا: نقول أخيرا أن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن الصحابي معصوم من كبائر الإثم وصغائره، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، ثم إذا كان صدر من أحدهم ذنب فيكون إما قد تاب منه، أو أتى بحسنات تمحوه، أو غفر له بسابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ، وهم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة، فكيف بالأمور التي هم مجتهدون فيها: إن أصابوا فلهم أجران، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور.

ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نادر، مغفور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح. (أنظر شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس ١٦٤ -١٦٧).

يقول الذهبي رحمه الله: (فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع بينهم، وجهاد محاء، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة) . (سير أعلام النبلاء ١٠ / ٩٣، في ترجمة الشافعي).

إذن، فاعتقادنا بعدالة الصحابة لا يستلزم العصمة، فالعدالة استقامة السيرة والدين، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا، حتى تحصل ثقة النفس بصدقه . . . ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي.

ومع ذلك يجب الكف عن ذكر معايبهم ومساوئهم مطلقا - كما مر سابقا -، وإن دعت الضرورة إلى ذكر زلة أو خطأ صحابي، فلا بد أن يقترن بذلك منزلة هذا الصحابي من توبته أو جهاده وسابقته - فمثلا من الظلم أن نذكر زلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه دون ذكر توبته التي لو تابها صاحب مكس لقبل منه . . .

وهكذا . (الإمامة لأبي نعيم ٣٤٠، ومنهاج السنة ٦ / ٢٠٧).

فالمرء لا يعاب بزلة يسيرة حصلت منه في فترة من فترات حياته وتاب منها، فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية، سيما وإن كانت له حسنات ومناقب ولو لم يزكه أحد، فكيف إذا زكاه خالقه العليم بذات الصدور .

﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

اللهم اجعلنا ممن يحب صحابة رسولك ﷺ ، ويدافع عنهم، ويتبع منهجهم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. انتهى

الفصل الثاني
عصمة الإمام

نقلا من تفسير الصافى : سورة البقرة (٣٤) وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وذلك لما كان في صلبه من أنوار نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام) وكانوا قد فضلوا على الملائكة باحتمالهم الأذى في جنب الله فكان السجود لهم تعظيما وإكراما ولله سبحانه عبودية ولآدم (عليه السلام) طاعة. سورة آل عمران (٣٣) إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين.

والقمي قال العالم (عليه السلام) نزل وآل ابراهيم وآل عمران وآل محمد صلوات الله عليهم على العالمين فاسقطوا آل محمد (عليهم السلام) من الكتاب. والعياشي عن الصادق (عليه السلام) قال وآل محمد كانت فمحوها. وفي المجمع وفي قراءة اهل البيت وآل محمد صلوات الله عليهم على العالمين وقالوا ايضا ان آل ابراهيم (عليهم السلام) هم آل محمد صلوات الله عليهم الذين هم أهله ويجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه سبحانه لا يختار ولا يصطفي الا من كان كذلك انتهى كلامه. وفي كتاب الواحدة عن الباقر (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) ان الله تعالى احد واحد تفرد في وحدانيته تعالى ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلك النور محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور واسكنه في ابداننا فنحن روح الله وكلماته فبنا احتجب على خلقه فما زلنا في ظلة خضراء لا شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه وذلك قبل أن يخلق خلقه واخذ ميثاق الأنبياء بالأيمان والنصرة لنا وذلك قوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعني لتؤمنن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولتنصرن وصيه وسينصرونه جميعا وان الله اخذ ميثاقي مع ميثاق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمدا وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم ينصرني احد من انبياء الله ورسله وذلك لما قبضهم الله إليه وسوف ينصروني ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها وليبعثهم الله أحياء من آدم إلى محمد

(صلى الله عليه وآله وسلم) كل نبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعا فيا عجبا وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك يا داعي الله قد اظلوا بسكك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم واتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ اي يعبدونني آمنين لا يخافون احدا في عبادتي ليس عندهم تقية وإن لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة وأنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات وانا قرن من حديد. الحديث بطوله. وفي المعاني عن السجاد قال الإمام منا لا يكون إلا معصوما وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها ولذلك لا يكون إلا منصوصا فقيل له يابن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فما معنى المعصوم فقال هو المعتصم بحبل الله وحبل الله هو القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله عز وجل ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم. جئت به عن الله تعالى في علي أمير المؤمنين (عليه السلام) والأئمة من بعده صلوات الله عليهم أجمعين الذين هم مني ومنه أمة قائمة منهم المهدي صلوات الله عليه إلى يوم القيامة الذي يقضي بالحق معاشر الناس وكل حلال دللتكم عليه وكل حرام نهيتكم عنه فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل ألا فاذكروا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدلوه ولا تغيروه ألا وإني أجدد القول ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر الا وإن رأس الأمر بالمعروف أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضره وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته فإنه أمر من الله عز وجل ومني ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا مع إمام معصوم، ما سبق نقلا من تفسير الصافي .

عصمة الإمام (١)

مسألة عصمة الإمام لها أهمية كبرى عند الشيعة (٢)، والعصمة في كلام العرب: تعني المنع، وعصمة الله عبده: أن يعصمه مما يوبقه، واعتصم فلان بالله

---

(١) من رسالة أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

(٢) [عبد الله فياض/ تاريخ الإمامية: ص١٥٧] . وهي من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي [باقر شريف القرشي/ حياة الإمام موسى بن جعفر: ١/ ١١١]

إذا امتنع بـه [تهذيب اللغة: مادة "عصم"]أما معنى العصمة عند الشيعة فيختلف بحسب أطوار التشيع وتطوراته، لكن يظهر أن مذهب الشيعة في عصمة الأئمة قد استقر على ما قرره شيخ الشيعة - في زمنه - المجلسي - صاحب بحار الأنوار (المتوفى سنة ١١١١هـ) في قوله: "اعلم أنّ الإماميّة اتّفقوا على عصمة الأئمّة - عليهم السّلام - من الذّنوب - صغيرها وكبيرها - فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدًا ولا نسيانًا ولا الخطأ في التّأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه" (١) فالمجلسي يسبغ على أئمته العصمة من كافة الأوجه المتصورة: العصمة من المعصية كلها - صغيرة أو كبيرة - العصمة من الخطأ، والعصمة من السهو والنسيان.

وهذه الصّورة للعصمة التي يرسمها المجلسي، ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تتحقّق لأنبياء الله ورسله كما يدلّ على ذلك صريح القرآن، والسّنّة، وإجماع الأمة(٢)، فهي غريبة على الأصول الإسلامية، بل إنّ النّفي المطلق للسّهو والنّسيان عن الأئمّة تشبيه لهم بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، ولهذا قيل للرّضا - وهو الإمام الثّامن الذي تدعي الشيعة عصمته -: "إنّ في الكوفة قومًا يزعمون أنّ النّبيّ ﷺ لم يقع عليه السّهو في صلاته، فقال: كذبوا - لعنهم الله - إنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو" (٣) وهذا النص - إن صح - من الممكن أن نستقرئ منه بأن نفي السهو - والذي أصبح من أسس مفهوم العصمة عند الاثني عشرية المتأخرين - كان في عصر الرضا عقيدة لقوم ينتسبون للتشيع، لم يذكر لهم اسم لقلتهم أو حقارتهم أو شناعة قولهم، وكانوا يخصون بهذه العقيدة أفضل الخليفة محمد بن عبد الله ﷺوقد قوبل هذا الاتجاه الغالي باللعن والتكذيب والتفكير من إمام الشيعة نفسه؛ لأن في هذا تشبيهًا للرسول ﷺ بمن لا تأخذه سنة ولا نوم، فماذا يقول الرضا إذًا فيمن يطلق هذا الوصف عليه، وعلى آخرين معه من أجداده وأبنائه؟

لا شك أن إنكاره عليهم أشد وأعظم، كما يمكن أن يؤخذ من هذا النص تأخر شيوع هذا الاتجاه عن عصر الرضا.

وهذا يدعونا لبحث بواكير النشأة لهذه العقيدة وتطورها.

نشأة هذه العقيدة وتطورها (٤)

إن شيخ الإسلام ابن تيمية يقرر أن معتقد العصمة كان من آراء ابن سبأ [مجموع

---

(١) [بحار الأنوار: ٢٥/ ٢١١، وانظر: مرآة العقول: ٤/ ٣٥٢] .
(٢) [انظر: فكرة التقريب: ص٢٩٩ (الهامش)] .
(٣) [بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٥٠، وانظر: ابن بابويه/ عيون أخبار الرّضا: ص٣٢٦].
(٤) من رسالة أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

فتاوى شيخ الإسلام: ٤/٥١٨، منهاج السنة: ٤/ ٦٠]، ولكن لم أجد لفظ "العصم" مأثوراً عن ابن سبأ ـ في حدود اطلاعي -، ولا شك أن ابن سبأ قد نقل عنه ما يؤدي إلى القول بالعصمة وأعظم، فقد نقل عنه القول بألوهية أمير المؤمنين [انظر: مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٦، التنبيه والرد: ص١٨، الفرق بين الفرق: ص٢١، الملل والنحل: ١/ ١٧٤، وانظر في كتب الشيعة: رجال الكشي: ص١٠٦-١٠٧، الرازي/ الزينة: ص٣٠٥، تنقيح المقال: ٢/ ١٨٣]، لكنه لم يقل بالعصمة حسب النظرية الإمامية، وكانت آراؤه في الغالب خاصة بأمير المؤمنين علي، حتى إنه كان أول من قال بالتوقف من الشيعة [القمي/ المقالات والفرق: ص٢٠] - أي انتظار ظهور الإمام علي ورجعته -.

ويرى القاضي عبد الجبار أن القول بعصمة الإمام وأنه لا يجوز عليه الخطأ والزلل في حال من الأحوال ولا يلحقه سهو ولا غفلة لم يعرف في عصر الصحابة والتابعين لهم إلى زمن هشام بن الحكم حيث ابتدع هذا القول [تثبيت دلائل النبوة: ٢/ ٥٢٨]ويتفق معه محب الدين الخطيب في تحديد الحقبة الزمنية التي نشأت فيها عقيدة العصمة، لكنه يعزوها إلى شخص آخر من معاصري هشام بن الحكم فيقول: "وأول من اخترع لهم هذه العقيدة الضالة خبيث يسميه المسلمون شيطان الطاق وتسميه الشعية "مؤمن آل محمد" [في رجال الكشي: ص١٨٥، +مؤمن الطاق؛ .]، واسمه محمد بن علي الأحول" [مجلة الفتح: المجلد (١٨) ص٢٧٧]وقد أشار دونلدسن إلى احتمال أن فكرة العصمة قد بدأت عند الشيعة في عصر جعفر الصادق [دونلدسن/ عقيدة الشيعة: ص٣٢٩، محمود صبحي/ نظرية الإمامة: ص١٣٤ .]، ويلحظ أن هشام بن الحكم، وشيطان الطاق من المعاصرين لجعفر، فلعل هذه العقيدة عرفت عند الشيعة في عصر جعفر الصادق، ولكنها تطورت، ومرت بمراحل حتى استقرت على تلك الصورة التي يعرضها المجلسي.

أطوار عقيدة العصمة:

وإذا حاولنا أن نرجع إلى النصوص الشيعية التي ورد فيها النص على العصمة لنستقرئ من خلالها الأطوار التي مرت بها هذه العقيدة نجد ما يلي: تنسب كتب الشيعة إلى زين العابدين علي بن الحسين أنّه قال: "المعصوم هو من اعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن" [ابن بابويه/ معاني الأخبار: ص١٣٢، بحار الأنوار: ٢٥/ ١٩٤] .وسواء صحت نسبة هذا النص إلى علي بن الحسين أم لم تصح فإنه يطلعنا على تلك النظرة السليمة للعصمة، وربطها بهذا المعنى الإسلامي الجميل في

تلك الفترة المبكرة من تاريخ التشيع، فالاعتصام بالقرآن والتمسك به هو العصمة والنجاة، وهذا المعنى ليس مقصوراً على أناس معينين، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران، آية: ١٠٣]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران، آية: ١٠١] . وبعد ذلك نجد أن هشام بن الحكم الذي ينسب له القاضي عبد الجبار اختراع عقيدة العصمة يسأله أحد رجال الشيعة ويدعى حسين الأشقر فيقول: ما معنى قولكم: "إن الإمام لا يكون إلا معصومًا؟" فقال هشام: سألت أبا عبد الله (جعفر الصادق) عن ذلك فقال: "المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران، آية: ١٠١، والنص عن معاني الأخبار: ص١٣٢، بحار الأنوار: ٢٥/ ١٩٤-١٩٥] . ويقول شيعي آخر يدعى ابن أبي عمير: ما استفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئًا أحسن من هذا الكلام في عصمة الإمام وهو: أن الإمام لا يذنب؛ لأن منافذ الذنوب الحرص والحسد والغضب والشهوة، وهذه الأوجه منتفية عن الإمام [بحار الأنوار: ٢٥/ ١٩٢-١٩٣ "باختصار"، وانظر: ابن بابويه/ الخصال: ١/ ٢١٥، معاني الأخبار: ص١٣٣، أمالي الصدوق: ص٣٧٥-٣٧٦] . ولكن هذا المفهوم ـ على كل حال ـ ليس من غلوّ المجلسي في العصمة، ولا يترتب عليه من الآثار ما يترتب على عصمة الشيعة في صياغتها الأخيرة والتي تزيد على ذلك، بجعل كلام الإمام وحيًا يوحى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وتنفي عنه العوارض البشرية من السهو والغفلة والنسيان لتخرج به من طور المخلوقين إلى صفات خالق البشر.

كما يلحظ أن الحكم بامتناع الإمام من المعصية ولزوم فعله للطّاعة يعني أنّه مجبور من الله ـ سبحانه ـ على ذلك، وهذا يتعارض مع مذهب الاثني عشريّة في القدر، من القول بالحرّيّة والاختيار، وأنّ العبد يخلق فعله، ممّا يدلّ على أنّ مفهوم العصمة هذا سابق لمذهبهم في القدر والذي أخذوه عن المعتزلة في المائة الثّالثة.

ولهذا نجد أنه بعد تأثر الشيعة بالفكر الاعتزالي اصطبغ مفهوم العصمة عندهم ببعض الأفكار الاعتزالية كفكرة اللطف الإلهي، وفكرة الاختيار الإنساني، كما نلاحظ هذا في تعريف المفيد (المتوفى سنة ٤١٣هـ) للعصمة حيث قال: "بأنها لطف يفعله الله ـ تعالى ـ بالمكلف بحيث يمنع منه وقوع المعصية، وترك الطاعة مع قدرته عليها" [المفيد/ النكت الاعتقادية: ص٣٣-٣٤، تصحيح الاعتقاد: ص١٠٦، الجيلاني/ توفيق التطبيق: ص١٦ .]، فليس معنى العصمة أن يجبر الله الإمام على ترك المعصية بل يفعل به ألطافًا يترك معها المعصية مختاراً. فتلحظ الاستعانة

بمصطلحات المعتزلة لتحديد مفهوم العصمة.

ومسألة العصمة لم تقف عند حد نفي المعصية بل تجاوزت ذلك.. ففي القرن الرابع يقرر ابن بابويه (المتوفى سنة ٣٨١هـ) عقيدة الشيعة في العصمة في كتابه الاعتقادات الذي يسمى "دين الشيعة الإمامية" فيقول: "اعتقادنا في.. الأئمة.. أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر، واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل" [الاعتقادات: ص١٠٨-١٠٩] .فهو هنا ينفي المعصية، وأيضًا الجهل والنقص، ويثبت الكمال الذي يلازمهم من أول حياتهم إلى آخرها، ويكفر من خالف ذلك.

فهذا طور آخر انتقل إليه مسألة العصمة، ولكنه لم يصرح بنفي السهو عن الأئمة كما فعل المجلسي وشيوخ الشيعة المتأخرون، بل إنّه نصّ في كتابه "من لا يحضره الفقيه" على أنّ نفي السّهو عن النّبيّ ﷺهو مذهب الغلاة والمفوّضة، يقول: "إنّ الغلاة والمفوّضة ـ لعنهم الله ـ ينكرون سهو النّبيّ - ﷺ ـ يقولون: لو جاز أن يسهو في الصّلاة لجاز أن يسهو في التّبليغ؛ لأن الصلاة فريضة كما أن التبليغ فريضة.. وليس سهو النبي ﷺ كسهونا؛ لأن سهوه من الله عز وجل وإنّما أسهاه الله ليعلم أنّه بشر مخلوق فلا يتّخذ ربًا معبودًا دونه، وليعلم النّاس بسهوه حكم السّهو، وكان شيخنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد يقول: أوّل درجة في الغلو نفي السّهو عن النّبيّ ﷺ وأنا أحتسب الأجر في تصنيف كتاب مفرد في إثبات سهو النّبيّ والرّد على مُنكريه" [من لا يحضره الفقيه: ١/ ٢٣٤]فأنت ترى أن ابن بابويه وهو رئيس الشّيعة ـ كما يسمّونه ـ ينكر على من نفى السّهو عن المصطفى ﷺ ، فكيف بمن هو أقل منه كالأئمة؟! ويعدّ نفي السّهو علامة الغلو، ويشير إلى أن هذا القول من مذاهب الغلاة.. ويلمح إلى ما ينطوي عليه نفي السهو من تشبيه المخلوق بالخالق جل شأنه.

ولكن نفي السّهو هو ممّا أضافه الشّيعة المتأخّرون إلى مسألة العصمة، في تطور آخر لهذه القضية، ولذلك فإن نصوصهم الموضوعة سلفًا عن الأئمة تخالف ذلك، فأبو عبد الله كان يقول ـ لمّا ذكر له السّهو -: "أو ينفلت من لك أحد؟ ربّما أقعدت الخادم خلفي يحفظ عليّ صلاتي" [بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٥١] .والرضا يلعن من

ينفي السهـو عن النبي ﷺ ـ كما مرّ ـ ويقـول: إن الذي لا يسهو هو الله سبـحانه، وكتب الشيعـة روت أخباراً في سهوه ﷺ في صلاته [انظر: من لا يحضـره الفقيه: ١/ ٢٣٣] .ومن الغريب أنهم يحـتجّون بإجـماعهم رغم أنّه منقـوض بمخالفة شيـعة القرن الرّابع من قبلهم، وبنصوصهم.

ولكن شهوة الغلو تقـول: "إنّ أصحابنا الإماميّـة أجمعوا على عصـمة الأئمّة ـ صلوات الله عليـهم ـ من الذّنوب الصّغيـرة والكبيرة عـمداً وخطأ ونسـيانًا من وقت ولادتهم إلى أن يلقـوا الله عزّ وجلّ" [بحـار الأنوار: ٢٥/ ٣٥٠-٣٥١] .وإذا قيل لهم كيف ينعقد إجماعكم، وشيخكم الصّدوق ابن بابويه وشيخه ابن الوليد قد خالفا هذا المذهب؟ قالوا: "إن خـروجهما لا يخل بالإجـماع لكونهما مـعروفي النسب" [بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٥١ .]، أما القسم الآخر الذين قالوا بالعـصمة المطلقة ففيهم من لا تعرف هويتـه ونسبه أو كلهم كـذلك، فيحـتمل أن يكون الإمام الغـائب خرج من مخبئه وأدلى بصوته معهم، وقوله هو العمدة في الإجماع [انظر: فصل الإجماع.]، أي أنه يكفي في إثبات حجية الإجماع في هذه المسألة وجود الظن بأن الغائب المعصوم يوجد مع الفئة المجهولة التي قررت نفي السهو.

ولك أن تعجب كـيف يردون النصوص الصـريحة في إثبات السـهو والواردة في كتبهم عن الأئمة ويتعلقون بإجمـاع يكشف عن قول المعصوم الغائب على سبيل الظن والاحتمال؟!

ولكن مذهب الشيعة هو مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة.

ولقد احتار المجلسي ـ وهو يرى النصوص التي تخالـف إجماع أصحابه - فقال: "المسألة في غاية الإشكال لدلالة كثير مـن الأخبار والآيات على صدور السّهو عنهم، وإطباق الأصـحاب إلا من شـذ منهم على عدم الجـواز" [بحار الأنوار: ٢٥/ ٣٥١] .وهذا اعتراف من المجلسي بأن إجمـاع الشيعة المتأخرين على عـصمة الأئمة بإطلاق يخالف رواياتهم، وهذا دليل واقعي واعتراف صـريح في أنهم يجمعون على ضلالة، وعلى غير دليل حتى من كتبهم (١).

استدلاله على عصمة أئمتهم:

استدلاله بالقرآن:

نقلا من تفسـيـر الصافى: سورة البـقرة (١٢٤) وإذ ابتلى إبراهيم ربـه بكلمات

---

(١) من رسالة أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية

فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظلمين، وفي الخصال عن الصادق (عليه السلام): قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم الا تبت عليّ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم فقيل له يا بن رسول الله فما يعني بقوله عز وجل: فأتمهن قال يعني اتمهن إلى القائم إثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين (عليهم السلام).

والعياشي مضمرا قال: اتمهن بمحمد وعلي والأئمة من ولد علي (عليهم السلام) قال وقال إبراهيم: يا رب فعجل بمحمد وعلي ما وعدتني فيهما وعجل بنصرك لهما.

وفي الكافي عن الصادق (عليه السلام) قال إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبيا وان الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا وان الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا وان الله اتخذه خليلا قبل أن يجعله إماما فلما جمع له الأشياء قال إني جاعلك للناس إماما قال فمن عظمها في عين إبراهيم قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال لا يكون السفيه إمام التقي وعنه (عليه السلام) من عبد صنما أو وثنا لا يكون إماما. أقول: وفيه تعريض بالثلاثة حيث عبدوا الأصنام قبل الاسلام.

في العيون عن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل ان الامامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل (عليه السلام) بعد النبوة والخلة مرتبة ثالثة وفضيلة شرفها بها واشاد (١) بها ذكره فقال عز وجل إني جاعلك للناس إماما فقال الخليل (عليه السلام) سرورا بها ومن ذريتي قال الله عز وجل لا ينال عهدي الظالمين فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة.

سورة فاطر (٣٢) ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا يعني العترة الطاهرة خاصة فمنهم ظالم لنفسه لا يعرف إمام زمانه ومنهم مقتصد يعرف الأمام ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله هو الأمام.

في البصائر عن الباقر عليه السلام هي في ولد علي وفاطمة عليهما السلام. وفي الكافي عنه عليه السلام قال السابق بالخيرات الأمام والمقتصد العارف للأمام والظالم لنفسه الذي لا يعرف الأمام.

وعن الصادق عليه السلام إنه قيل له إنها في الفاطميين فقال ليس حيث تذهب ليس يدخل في هذا من أشار بسيفه ودعا الناس إلى ضلال فقيل أي شيء الظالم لنفسه قال الجالس في بيته لا يعرف حق الأمام والمقتصد العارف بحق الأمام والسابق

بالخيرات الأمام. وعن الكاظم عليه السلام أنه تلا هذه الآية قال فنحن الذين اصطفانا الله تعالى عز وجل وأورثنا هذا الكتاب فيه تبيان كل شيء. وفي العيون عنه عليه السلام أراد الله بذلك العترة الطاهرة ولو أراد الامة لكانت بأجمعها في الجنة لقول الله فمنهم ظالم لنفسه الآية ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال جنات عدن يدخلونها الآية فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم. وفي الخرائج عن الزكي عليه السلام كلهم من آل محمد صلى الله عليه وآله الظالم لنفسه الذي لا يقر بالأمام عليه السلام والمقتصد العارف بالأمام والسابق بالخيرات الأمام عليه السلام.

وعن الصادق عليه السلام أن فاطمة عليها السلام لعظمها على الله حرم الله ذريتها على النار وفيهم نزلت ثم أورثنا الكتاب الآية ثم فسر الفرق الثلاث بما مر.

وفي المجمع عنه عليه السلام الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الأمام والمقتصد منا من يعرف حق الأمام والسابق بالخيرات هو الأمام وهؤلاء كلهم مغفور لهم. وفي سعد السعود عنه عليه السلام هي لنا خاصة أما السابق بالخيرات فعلي ابن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام والشهيد منا وأما المقتصد فصائم بالنهار وقائم بالليل وأما الظالم لنفسه ففيه ما في الناس وهو مغفور له ذلك هو الفضل الكبير إشارة إلى التوريث أو الأصطفاء أو السبق. ما سبق نقلا من تفسير الصافي

رغم أن كتاب الله سبحانه ليس فيه ذكر للاثني عشر أصلاً - كما مرّ - فضلاً عن عصمتهم، إلا أن الاثني عشرية تتعلق بالقرآن لتقرير العصمة، ويتفق شيوخهم على الاستدلال بقوله - سبحانه -: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة، آية: ١٢٤]وبهذه الآية صدر المجلسي بابه الذي عقده في بحاره بشأن العصمة بعنوان "باب.. لزوم عصمة الإمام"(١) وجملة من شيوخ الشيعة المعاصرين يجعلون هذه الآية أصل استدلالهم من القرآن، ولا يستدلون بسواها مثل محسن الأمين (٢)، ومحمد حسين آل كاشف الغطا، والذي يقول بأنّ هذه الآية صريحة في لزوم العصمة (٣)ويتولى صاحب مجمع البيان سياق وجهة استدلال أصحابه بهذه الآية على مرادهم فيقول: "استدل أصحابنا بهذه الآية على أن الإمام لا يكون إلا معصومًا من القبايح؛ لأنّ الله - سبحانه - نفى أن ينال عهده - الذي هو الإمامة [اختلف السّلف في معنى العهد - كم سيأتي - ولكن الرّوافض يأخذون بما يوافق هواهم ويقطعون به بلا دليل] - ظالم، ومن ليس بمعصوم

---

(١) [بحار الأنوار: ٢٥/ ١٩١]. (٢) [انظر: أعيان الشيعة: ١/ ٤٥٨] .
(٣) [أصل الشّيعة: ص٥٩] .

فقد يكون ظالمًا إمّا لنفسه، وإما لغيره.

فإن قيل: إنما نفى أن ينال ظالم في حال ظلمه، فإذا تاب فلا يسمى ظالمًا فيصح أن يناله.

والجواب: أن الظّالم وإن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالمًا، فإذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، والآية مطلقة غير مقيّدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلها، فلا ينالها الظّالم وإن تاب فيما بعد" [الطّبرسي/ مجمع البيان: ١/ ٢٠١، وانظر: الطّوسي/ التّبيان: ١/ ٤٤٩، المجلسي/ بحار الأنوار: ٢٥/ ١٩١] نقد استدلالهم: (١)

أولاً: اختلف السلف في معنى العهد على أقوال:

قال ابن عباس والسدي: إنه النبوة، قال: ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ "أي نبوتي"، وقال مجاهد: الإمامة، أي لا أجعل إمامًا ظالمًا يقتدى به، وقال قتادة وإبراهيم النّخعي وعطاء والحسن وعكرمة: لا ينال عهد الله في الآخرة الظّالمين فأمّا في الدّنيا فقد ناله الظّالم فأمن به وأكل وعاش.. قال الزّجّاج: وهذا قول حسن، أي لا ينال أماني الظّالمين؛ أي: لا أؤمنهم من عذابي. والمراد بالظّالم: المشرك..، وقال الربيع بن أنس والضحاك، عهد الله الذي عهد إلى عباده: دينه، يقول: لا ينال دينه الظالمين، ألا ترى أنه قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ يقول: ليس كلّ ذرّيتك يا إبراهيم على الحقّ.. وروي عن ابن عباس - أيضًا - ﴿لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، قال: ليس للظالمين عهد، وإن عادته فانقضه [انظر: تفسير الطبرّي: ج (من الأجزاء المحققة) ص٢٠ وما بعدها، تفسير البغوي: ١/ ١١٢، ابن عطية/ المحرر الوجيز: ١/ ٢٥٠، القرطبي/ الجامع لأحكام القرآن: ٢/ ١٠٨، تفسير ابن كثير: ١/ ١٧٢-١٧٣، الشوكاني/ فتح القدير: ١/ ١٣٨، الألوسي/ روح المعاني: ١/ ٣٧٧، تفسير القاسمي: ٢/ ٢٤٥-٢٤٦] فالآية - كما ترى - اختلف السلف في تأويلها، فهي ليست في مسألة الإمامة أصلاً في قول أكثرهم، والذين فسروها بالإمامة قصدوا إمامة العلم والصلاح والاقتداء، لا الإمامة بمفهوم الرافضة.

ثانيًا: لو كانت الآية في الإمامة فهي لا تدلّ على العصمة بحال؛ إذ لا يمكن أن يقال بأنّ غير الظّالم معصوم لا يخطئ ولا ينسى ولا يسهو.. إلخ كما هو مفهوم العصمة عند الشيعة، إذ يكون قياس مذهبهم من سها فهو ظالم ومن أخطأ فهو ظالم.. وهذا لا يوافقهم عليه أحد ولا يتّفق مع أصول الإسلام، فبيّن إثبات

---

(١) من رسالة أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

العصمة، ونفي الظّلم فرق كبير؛ لأنّ نفي الظّلم إثبات للعدل، لا للعصمة الشّيعيّة.

ثالثًا: لا يسلم لهم أن من ارتكب ظلمًا ثم تاب منه لحقه وصف الظلم ولازمه، ولا تجدي التوبة في رفعه، فإن أعظم الظّلم الشّرك، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: آية: ٨٢ .]، ثم فسّر الظّلم بقوله: ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان، آية:١٣ .] ومع هذا قال ـ جلّ شأنه ـ في حقّ الكفّار: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: آية: ٣٨] .لكن قياس قول هؤلاء أنّ من أشرك ولو لحظة، أو ارتكب معصية ولو صغيرة فهو ظالم لا ينفكّ عنه وصف الظّلم، ومؤدّى هذا أنّ المشرك ولو أسلم فهو مشرك لأنّ الظّلم هو الشّرك [هم يعنون بالظّلم الشّرك؛ لأنّ مرادهم إبطال خلافة أبي بكر وعمر؛ لأنّهما قد أسلما بعد شرك، والشّرك لم ينفكّ عنهما بعد إيمانهما في زعمهم، ولذلك قال الكليني: "هذه الآية أبطلت إمامة كلّ ظالم" (١) . فصاروا بهذا أشدّ من الخوارج الوعيديّة؛ لأن الخوارج لا يثبتون الوعيد لصاحب الكبيرة إلا في حالة عدم توبته.

ومن المعلوم في بدائه العقول فضلاً عن الشرع والعرف واللغة "أن من كفر أو ظلم ثمّ تاب وأصلح لا يصحّ أن يطلق عليه أنّه كافر أو ظالم.. وإلا جاز أن يُقال: صبي لشيخ، ونائم لمستيقظ، وغني لفقير، وجائع لشبعان، وحي لميت، وبالعكس، وأيضًا لو اطرد ذلك يلزم من حلف لا يسلم على كافر فسلم على إنسان مؤمن في الحال إلا أنه كان كافراً قبل سنين متطاولة أن يحنث، ولا قائل به" (٢) . ومن المعروف أنه قد يكون التائب من الظلم أفضل ممن لم يقع فيه. ومن اعتقد أن كل من لم يكفر ولم يقتل ولم يذنب أفضل من كل من آمن بعد كفره واهتدى بعد ضلاله، وتاب بعد ذنوبه، فهو مخالف لما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن المعلوم أن السابقين أفضل من أولادهم، وهل يشبه أبناء المهاجرين والأنصار بآبائهم عاقل (٣)؟!

كما أن استدلالهم هذا يؤدي إلى أن جميع المسلمين وكذلك الشيعة وأهل البيت ـ إلا من تعتقد الشيعة عصمتهم ـ جميعهم ظلمة لأنهم غير معصومين، وقد قال شيخهم الطوسي بأن الظّلم اسم ذمّ فلا يجوز أن يطلق إلا على مستحقّ اللّعن لقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤) رابعًا: وأختم القول بما قرره أحد علماء الشيعة الزيدية في نقض استدلال الشيعة الاثني عشرية بهذه الآية حيث قال: "احتج الرافضة بالآية على أن الإمامة لا يستحقها من ظلم مرة، ورام الطعن في إمامة أبي

---

(١) (أصول الكافي: ١/١٩٩)] . (٢) [الألوسي/ روح المعاني: ١/ ٣٧٧] .
(٣) [انظر: منهاج السنة: ١/ ٣٠٢-٣٠٣] .
(٤) [التبيان: ١/١٥٨، والآية رقم ١٨ من سورة هود] .

بكر وعمر، وهذا لا يصح لأن العهد إن حمل على النبوة فلا حجة، وإن حمل على الإمامة فمن تاب من الظّلم لا يوصف بأنّه ظالم، ولم يمنعه - تعالى - من نيل العهد إلا حال كونه ظالمًا" (١) .

أدلتهم من السنة:

ويتمسكون بروايات من طرق أهل السنة للاحتجاج بها على أهل السنة، وإقناع قومهم بأن ما هم عليه موضع إجماع، وهي ما بين كذب، أو بعيد عن استدلالهم، وقد مضى الحديث فيها في فصل الإمامة.

والروايات التي يحتجون بها هي تتعلق بأهل البيت، ولا حجة للاثني عشرية في ذلك أصلاً لما ثبت من أن الاثني عشرية ليس لها علاقة بأهل البيت إلا العلاقة المزعومة بعلي وبعض أولاده، وهما الحسن والحسين، وبعض ذرية الحسين، وقد انقطع النسل الذين يقولون بإمامتهم لوفاة الحسن العسكري عقيمًا، فعلاقتهم منذ سنة ٢٦٠هـ بشيوخ يزعمون النيابة عن معدوم لا وجود له، وهم الذين انتهوا بالمذهب إلى هذه النهاية المفزعة التي مر علينا جملة من صورها.

وقد سلف ذكر الشواهد في تكفيرهم لأهل البيت، ولذلك فإنّ تمسّكهم بالقول بعصمة أهل البيت هو من خداع العناوين.

غير أن الاثني عشرية تقيم معتقدها في العصمة وغيرها بما يرويه صاحب الكافي، وإبراهيم القمي، والمجلسي وأضرابهم من روايات منكرة في متنها فضلاً عن إسنادها، تثبت لهؤلاء الاثني عشر العصمة المزعومة، وقد ساق المجلسي في بابه الذي عقده في شأن العصمة ثلاثًا وعشرين رواية من روايات شيوخه كالقمي، والعياشي والمفيد وغيرهم، وقد ذكرها بعد استدلاله بآية البقرة، التي تبين لنا أن استدلالهم فيها باطل.

أما الكليني في الكافي فقد عقد مجموعة من الأبواب في معنى العصمة المزعومة، ساق فيها أخباراً بسنده عن الاثني عشر يدّعون فيها أنهم معصومون بل وشركاء في النبوة، بل ويتصفون بصفات الألوهية، وقد مر في باب اعتقادهم في أصول الدين أمثلة من ذلك، وتجد ذلك في الكافي في باب "أن الأئمة هم أركان الأرض" وأثبت فيه ثلاثة روايات تقول بأن الأئمة الاثني عشر كرسول الله في وجوب الطاعة، وفي الفضل، وفي التكليف، فعلي "جرى له من الطاعة بعد رسول الله ﷺ ما لرسول الله ﷺ" (٢)، كذا سائر الاثني عشر، ثم ما تلبث أن ترفعهم عن مقام

(١) [يوسف بن أحمد الزّيدي/ الثّمرات اليانعة: الورقة ٦٠ (مخطوط)] .

(٢) [أصول الكافي: ١٩٨/١] .

رسول الله ﷺ إلى مقام رب العالمين حيث تقول بأن عليًا قال: "أعطيت خصالاً لم يعطهنّ أحد قبلي: علّمت علم المنايا والبلايا.. فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عنّي ما غاب عنّي" (١)والذي يعلم المنايا والبلايا هو الله ـ سبحانه ـ ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان، آية: ٣٤]والذي لا يعزب عنه شيء، ولا يفوته شيء هو الخالق ـ جل علاه ـ قال تعالى: ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ، آية:٣]فالأمر تعدى حدود العصمة إلى دعوى الرسالة والألوهية، وهذا خروج عن الإسلام رأسًا.

وقد تتابعت أبواب الكافي في هذا المعنى [انظر: من أصول الكافي، باب فرض طاعة الأئمة: ١/ ١٨٥، وقد ذكر فيه (١٧) رواية لهم، وباب أن الأئمة ولاة أمر الله وخزنة علمه: ١/ ١٩٢، وأورد فيه (٦) روايات، وباب أن الأئمة خلفاء الله ـ عز وجل ـ في أرضه، وأبوابه التي منها يؤتى: ١/ ١٩٣، وفيه ثلاثة روايات، وغيرها من الأبواب والأخبار التي يعرف كذبها بالاضطرار من دين الإسلام]، وهي لا تخرج عن دعاوى المتنبئين والملحدين على مدار التاريخ سوى أنهم نسبوا هذه المفتريات إلى جملة من أهل البيت الأطهار.

أدلتهم العقليّة على مسألة العصمة:

نستطيع أن نرجع أدلتهم العقلية التي يستدلون بها على عصمة الإمام إلى أصل واحد، وهو أنّ الأمّة كلّها معرّضة للخطأ والضّلال، والعاصم لها من الضّلال هو الإمام.

ولهذا رتبوا أدلتهم على هذا الأساس فقالوا: إن الأمة لابد لها من رئيس معصوم يسدد خطأها، فلو جاز الخطأ عليه لزم له آخر يسدّده فيلزم التّسلسل فحينئذ يلزم القول بعصمة الإمام؛ لأن الثقة عندهم بالإمام لا بالأمة.. وقالوا بأنه هو الحافظ للشرع، ولا اعتماد على الكتاب والسنة والإجماع بدونه...إلخ (٢) والحقيقة غير هذا تمامًا، فالأمّة معصومة بكتاب ربّها وسنّة نبيّها ﷺ ، ولا تجمع الأمّة على ضلالة، وعصمة الأمّة مغنية عن عصمة الإمام، وهذا مما ذكره العلماء في حكمة عصمة الأمة قالوا: لأن من كان من الأمم قبلنا كانوا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيًا يبين الحق، وهذه الأمّة لا نبي بعد نبيّها، فكانت عصمتها تقوم مقام النّبوّة، فلا يمكن أحد منهم

---

(١) [أصول الكافي: ١/١٩٧] .

(٢) [انظر: ابن المطهر/ كشف المراد: ص٣٩٠-٣٩١، وانظر: نهج المسترشدين: ص٦٣، وانظر: الألفين: ص٥٦ وما بعدها، القزويني/ الشيعة في عقائدهم: ص٣٦٨-٣٦٩، الزنجاني/ عقائد الإمامية: ص٧٧، هاشم معروف الحسيني/ أصول التشيع: ص١٣١-١٣٢].

أن يبدّل شيئًا من الدّين إلا أقام الله من يبيّن خطأه فيما بدّله، ولذلك فإنّ الله - سبحانه - قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله - عزّ وجلّ -: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النّسَاء، آية: ١٥٥] . فعصمة الأمة وحفظها من الضلال - كما جاءت بذلك النصوص الشرعية - تخالف تمامًا من "يوجب عصمة واحد من المسلمين، ويجوز على مجموع المسلمين - إذا لم يكن فيهم معصوم - الخطأ" (١). وكل ما سطروه وملأوا به الصفحات من أدلة عقلية تؤكد الحاجة إلى معصوم قد تحققت بالرسول ﷺ، ولذلك فإن الأمة ترد عند التنازع إلى ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ولا ترد إلى الإمام ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النّساء، آية: ٥٩] . «قال العلماء: إلى كتاب الله، وإلى نبيّه ﷺ، فإن قبض فإلى سنّته» (٢) ، وهي بهدي الكتاب والسنة لا تجمع على ضلالة؛ لأنها لن تخلو من متمسك بهما إلى أن تقوم الساعة.

ولهذا فإن الحجة على الأمة قامت بالرسل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾ إلى قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النّساء، آية: ١٦٥]، ولم يقل - سبحانه -: والأئمة، وهذا يبطل قول من أحوج الخلق إلى غير الرسل كالأئمة (٣) . وأدلّتهم العقليّة التي تؤكّد الحاجة إلى إمام معصوم، وأنّ الأمّة بدونه لا إيمان لها ولا أمان، هذه الحجج هي أيضًا تؤدّي في النّهاية إلى إبطال عصمة الأئمّة عندهم؛ لأنّ أئمّتهم لم يتحقّق بهم مقاصد الإمامة التي يتحدّثون عنها.

والواقع أنّه يكفي من ذلك انتهاء ظهور الإمام عندهم منذ سنة (٢٦٠هـ)، سواء كان لم يوجد أصلاً - كما يقوله أكثر الفرق الشّيعيّة التي وجدت إثر وفاة الحسن، وكما تقوله أسرة الحسن وعلى رأسهم أخوه جعفر، وكما يؤكّده علماء النّسب والتّاريخ، كما سيأتي - أو هو مختف لم يظهر - كما تقوله الاثنا عشريّة - فإنّ هذا الغائب الموعود أو المعدوم لم ينتفع به في دين ولا دنيا.

وهذه ثلمة لا تسد، وفتق لا يرتق في المذهب الاثني عشري لا يبقي ولا يذر لحججهم وزنًا ولا أثرًا، وكذلك أجداده من قبل إذ لم يتول منهم أحد ما عدا أمير المؤمنين علي، والحسن قبله تنازله، ولهذا قال أهل العلم: إن دعوى العصمة عندهم

---

(١) [المنتقى (مختصر منهاج السنة): ص٤١٠] .

(٢) [ابن عبد البر/ التّمهيد: ٤/ ٢٦٤] .

(٣) [انظر: ابن تيمية/ الفتاوى: ١٩/ ٦٦] .

ليس عليها دليل إلا زعمهم بأن الله لم يخل العالم من أئمة معصومين لما في ذلك من المصلحة واللطف. . وكذلك أجداده المتقدمون لم يحصل بهم المصلحة واللطف الحاصلة من إمام معصوم ذي سلطان كما كان النبي ﷺ بعد الهجرة، فإنه كان إمام المؤمنين الذي يجب عليهم طاعته، ويحصل بذلك سعادتهم، ولم يحصل بعده أحد له سلطان تدعى له العصمة إلا علي ـ رضي الله عنه ـ ومن المعلوم أن المصلحة واللّطف الذي كان المؤمنون فيها زمن الخلفاء الثّلاثة أعظم من المصلحة واللّطف الذي كان في خلافة علي زمن القتل والفتنة والافتراق [منهاج السنّة: ٢/ ١٠٤] . أما من دون علي فإنما كان يحصل للناس من علمه ودينه مثل ما يحصل من نظرائه، وكان علي بن الحسين وابنه أبو جعفر، وابنه جعفر بن محمد يعلمون الناس ما علمهم الله كما علمه علماء زمانهم، وكان في زمانهم من هو أعلم منهم وأنفع للأمة، وهذا معروف عند أهل العلم، ولو قدر أنهم كانوا أعلم وأدين فلم يحصل من أهل العلم والدين ما يحصل من ذوي الولاية من القوة والسلطان، وإلزام الناس بالحق ومنعهم باليد عن الباطل.

وأما من بعد الثلاثة كالعسكريين فهؤلاء لم يظهر عليهم علم تستفيده الأمة، ولا كان لهم يد تستعين بها الأمة؛ بل كانوا كأمثالهم من الهاشميين لهم حرمة ومكانة، وفيهم من معرفة ما يحتاجون إليه في الإسلام والدين ما في أمثالهم، وهو ما يعرفه كثير من عوام المسلمين. . ولذلك لم يأخذ عنهم أهل العلم كما أخذوا عن أولئك الثلاثة (٢) .

نقد عام لمبدأ "عصمة الأئمة" (٣):

دعوى العصمة للأئمّة تضاهي المشاركة في النّبوّة، فإنّ المعصوم يجب اتّباعه في كلّ ما يقول، ولا يجوز أن يخالف في شيء، وهذه خاصّة الأنبياء ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة آية: ١٣٦] فأمرنا أن نقول: آمنا بما أوتي النبيون. . فالإيمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به، وهذا ما اتفق عليه المسلمون. . فمن جعل بعد الرّسول معصومًا يجب الإيمان بكلّ ما يقوله فقد أعطاه معنى النّبوّة، وإن لم يعطه لفظها (٤) . وهذا مخالف لدين الإسلام، للكتاب والسنة

---

(١) [منهاج السنة: ٢/ ١٠٥] .
(٢) [منهاج السنة: ٣/ ٢٤٨]
(٣) من رسالة أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.
(٤) [منهاج السنّة: ٣/ ١٧٤] .

وإجماع سلف الأمة وأئمتها.

أما القرآن فقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النّساء، آية:٥٩]، فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول، ولو كان للناس معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه؛ فدل القرآن أن لا معصوم إلا الرسول ﷺ (١). وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ [النّساء، آية: ٦٩]، وقال: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن، آية:٢٣] فدل القرآن ـ في غير موضع ـ على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة، ولم يشترط في ذلك طاعة معصوم آخر، ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد وإن قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم.

وقد اتفق أهل العلم أهل الكتاب والسنة على أن كل شخص ـ سوى الرسول ـ فإنه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فإنه يجب تصديقه في كل ما أخبر، واتباعه فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع فإنه المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٢) والسنة المطهرة دلت على ذلك، ولكنهم ـ كما سلف ـ لا يرجعون إلا إلى أقوال أئمتهم، وإليك ما ينقض مذهبهم من أقوالهم:

النقد الداخلي : (٣)

جاء في نهج البلاغة ـ الذي لا تشك الشيعة في كلمة منه ـ ما يهدم كل ما بنوه من دعاوى في عصمة الأئمة؛ حيث قال أمير المؤمنين ـ كما يروي صاحب النهج ـ: "لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي، ولا التماس إعظام النفس، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه، فلا تكفوا عن مقالة بحق، أو مشهورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي"، فأمير المؤمنين يطلب من أصحابه ألا يترددوا في إبداء النصيحة والمشورة، ولا يمنعهم من ذلك المجاملة والمصانعة، أو أن يظن به أنه لا يقبل الحق إذا قيل له، استثقالاً له وتعظيمًا لنفسه، فإن الحكم الذي لا يقبل مشررة الرعية ولا يرضى أن يقال له: أخطأت هو عن العمل بالحق والعدل أبعد؛ لأن من يثقله استماع النصيحة فهو عن العمل بها أعجز، فلا تكفوا عن مقالة بحق ولا مشورة

---

(١) منهاج السنة : ٢/ ١٠٥ . (٢) [منهاج السنة: ٣/ ١٧٥] .

(٣) من رسالة أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

بعدل فالجماعة أقرب إلى الحق والعصمة، والفرد لا يأمن على نفسه الوقوع في الخطأ، فهو هنا لم يدّع ما تزعم الشيعة فيه من أنه لا يخطئ بل أكد أنه لا يأمن على نفسه من الخطأ، كما لم يعلن استغناءه عن مشورة الرعية بل طلب منهم المشورة بالحق والعدل لأن الأمة لا تجتمع على ضلالة، وكل فرد لوحده معرض للضلالة، فعلم أن دعوى العصمة من مخترعات غلاة الشيعة.

وجاء في نهج البلاغة ـ أيضًا ـ: "لابدّ للنّاس من أمير برّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السّبل، ويؤخذ به للضّعيف من القوي" ، فأنت ترى أنه لم يشترط العصمة في الأمير، ولم يشر لها من قريب أو بعيد، بل رأى أنه لابدّ من نصب أمير تناط به مصالح العباد والبلاد، ولم يقل أنه لا يلي أمر الناس إلا إمام معصوم، وكل راية تقوم غير راية المعصوم فهي راية جاهلية ـ كما تقول كتب الشيعة ـ ولم يحصر الإمارة في الاثني عشر المعصومين عند الشيعة ويكفر من تولاها من خلفاء المسلمين كما تذهب إليه الشيعة، بل رأى ضرورة قيام الإمام ولو كان فاجراً، وجعل إمارته شرعية بدليل أنه أجاز الجهاد في ظل إمارة الفاجر؛ فأين هذا مما تقرره الشريعة بمنع الجهاد حتى يخرج المنتظر.. لأن الإمامة الشرعية محصورة في الاثني عشر؟!

وكان الأئمة يعترفون بالذنوب ويستغفرون الله منها..

فأمير المؤمنين يقول في دعائه ـ كما في نهج البلاغة ـ: "اللّهمّ اغفر لي ما أنت أعلم به منّي، فإن عدت فعد عليّ بالمغفرة، اللّهمّ اغفر لي ما وأيت [وأيت: وعدت.] من نفسي ولم تجد له وفاء عندي، اللّهمّ اغفر لي ما تقرّبت به إليك بلساني، ثم خالفه قلبي، اللّهمّ اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ، وشهوات الجنان، وهفوات اللّسان" فأنت ترى الإقرار بالذنب، وبالعودة إليه بعد التوبة، والاعتراف بسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، ومخالفة القلب للسان.. كل ذلك ينفي ما تدعيه الشيعة من العصمة، إذ لو كان علي والأئمة معصومين لكان استغفارهم من ذنوبهم عبثًا.. وكل أئمتهم قد نقلت عنهم كتب الشيعة الاستغفار إلى الله ـ سبحانه ـ من الذنوب والمعاصي، ولو كانوا معصومين لما كانت لهم ذنوب.

قال أبو عبد الله ـ كما تروي كتب الشيعة ـ: "إنّا لنذنب ونسيء ثم نتوب إلى الله متابًا" (١) وكان أبو الحسن (موسى الكاظم) يقول ـ حسب روايات الشيعة ـ: "ربّ عصيتك بلساني ولو شئت وعزّتك لأخرستني، وعصيتك ببصري ولو شئت

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠٧/٢٥] .

لأكمهتني [كمه بصره: اعترته ظلمة تطمس عليه، عمى أو صار أعشى (١)]، وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزّتك لأصممتني، وعصيتك بيدي ولو شئت وعزّتك لكنعتني [كنع يده: أشلّها وأيبسها. (٢)]، وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزّتك لأعقمتني، وعصيتك برجلي ولو شئت وعزّتك لجذمتني، وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها عليّ ولم يكن هذا جزاك منّي" (٣) ولقد احتار شيوخ الشيعة في توجيه مثل هذه الأدعية والتي تتنافى ومقرراتهم في العصمة.

ولقد نقل لنا أحدهم صورة لهذا التردد حول الحديث السابق فقال: "كنت أفكر في معناه وأقول: كيف يتنزل على ما تعتقده الشيعة من القول بالعصمة؟ وما اتضح لي ما يدفع التردد الذي يوجبه" ثم يذكر بأنه توجه بالسؤال عن هذا إلى شيخهم رضي الدين أبي الحسن علي بن موسى بن طاووس العلوي الحسني وذكر له هذا الإشكال، فقال ابن طاووس: "إنّ الوزير مؤيّد الدّين العلقمي سألني عنه فقلت: كان يقول هذا ليعلم النّاس"، ويبدو أن ابن العلقمي اقتنع بالجواب ولكن صاحب الإشكال استدرك على جواب ابن طاووس وقال: "إنّي فكّرت بعد ذلك فقلت: هذا كان يقوله في سجدته في اللّيل وليس عنده من يعلّمه".

يقول: "ثم خطر ببالي جواب آخر وهو أنه كان يقول ذلك على سبيل التواضع".

ولكن لم يقنعه هذا الجواب.. واستقر جواب السائل على أن اشتغالهم بالمباحات من "المأكل والمشرب والتفرغ إلى النكاح يعدونه ذنبًا، ويعتقدونه خطيئة ويستغفرون الله منه". ويذكر أن هذا هو الجواب الذي لا شيء بعده ويتمنى حياة ابن العلقمي ليهديه إليه ويكشف حيرته به (٤). وهذا الجواب الذي يرى أنه هو الكاشف لهذه المعضلة عندهم لا يتفق وشريعة الإسلام التي تنهى عن تحريم ما أحل الله وترفض الرهبانية ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف، آية: ٣٢]. وكيف يعد الأئمة هذه الأمور ذنوبًا، كيف يجعلون النكاح الذي هو من شرائع الإسلام ذنبًا يستغفرون الله منه، والله ـ سبحانه ـ يقول: ﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء﴾ [النساء، آية: ٣] ويعتبرون الأكل والشرب معاصي والله يقول: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [الأعراف، آية: ١٦٠، طه، آية:٨١]. ولكن الجواب الذي يكشف هذه المعضلة، ويتفق مع واقع الأئمة وشرائع الإسلام هو بطلان دعوى

---

(١) (بحار الأنوار: ٢٥/٢٠٣ ـ الهامش-) (٢) (بحار الأنوار: ٢٥/٢٠٣-الهامش-).

(٣) [بحار الأنوار: ٢٥/٢٠٣].

(٤) [بحار الأنوار: ٢٥/٢٠٣-٢٠٥].

العصمة بالصورة التي تراها الشيعة وأن الأئمة ليسوا بمعصومين من الخطأ والعصيان، وهذا كما يتفق مع النصوص الشرعية ينسجم مع واقع الأئمة، وبه تتحقق إمكانية القدوة.

ولهذا فإن أنبياء الله ـ سبحانه ـ كانوا كسائر البشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.. ويسعون في نشر الدعوة، ويعانون من أذى قومهم، ومن تكاليف الجهاد، كل ذلك لتتحقق بهم القدوة، وليكونوا لمن بعدهم أسوة.

وأمر آخر يبطل دعوى العصمة ومن كتب الشيعة نفسها؛ ذلك هو الاختلاف والتّناقض حيال بعض المواقف والمسائل، وأعمال المعصومين لا تتناقض ولا تختلف بل يصدق بعضها بعضًا ويشهد بعضها لبعض.. والاختلاف ناقض للعصمة التي هي شرط للإمامة عندهم، وهو ناقض بالتالي لأصل الإمامة نفسها، ولذلك فإن ظاهرة الاختلاف في أعمال الأئمة كانت سببًا مباشرًا لخروج بعض الشيعة من نطاق التشيع حيث رابهم أمر هذا التناقض.

ومن أمثلة ذلك ما يذكره القمي والنوبختي من أنه بعد قتل الحسين حارت فرقة من أصحابه وقالت: قد اختلف علينا فعل الحسن وفعل الحسين، لأنه إن كان الذي فعله الحسن حقًا واجبًا صوابًا من موادعته معاوية وتسليمه له عند عجزه عن القيام بمحاربته مع كثرة أنصار الحسن وقوتهم - فما فعله الحسين من محاربته يزيد بن معاوية مع قلة أنصار الحسين وضعفهم، وكثرة أصحاب يزيد حتى قُتل وقُتل أصحابه جميعًا باطل غير واجب، لأن الحسين كان أعذر في القعود من محاربة يزيد وطلب الصلح والموادعة من الحسن في القعود عن محاربة معاوية، وإن كان ما فعله الحسين حقًا واجبًا صوابًا من مجاهدته يزيد حتى قتل ولده وأصحابه، فقعود الحسن وتركه مجاهدة معاوية وقتاله ومعه العدد الكثير باطل، فشكوا في إمامتهما ورجعوا فدخلوا في مقالة العوام" (١). أما الأمثلة على الاختلاف والتّناقض في أقوال الأئمّة فهو باب واسع، وكان هو الآخر من أسباب انصراف بعض الشيعة من التشيع، وقد شهد بذلك شيخ الطّائفة الطّوسي وقال بأنّ أخبارهم متناقضة متباينة مختلفة حتى لا يوجد خبر إلا بإزائه ما يضادّه، ولا رواية إلا ويوجد ما يخالفها، وعدّ ذلك من أعظم الطّعون على المذهب الشّيعي، ومن أسباب مفارقة بعض الشّيعة للمذهب .

وكتابا التهذيب والاستبصار ـ وهما المصدران المعتمدان من المصادر الأربعة عند الشيعة ـ يشهدان بهذا التناقض والاختلاف عبر رواياتهما الكثيرة، وقد حاول الطوسي

---

(١) [القمي/ المقالات والفرق: ص٢٥، النوبختي/ فرق الشيعة: ص٢٥-٢٦] .

درء هذا الاختلاف ومعالجة هذا التناقض بحمله على التقية فما أفلح إذ زاد الطين بلة.

وقد أوجد الشّيعة عقيدة التّقية والبداء لتغطية هذا الاختلاف في أخبار الأئمةّ وأعمالهم.. فاكتشف بعض الشيعة هذه المحاولة، وعرف سبب وضع هاتين العقيدتين، فترك التشيع وقال: إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً، وهما القول بالبداء وإجازة التقية (١)، والقائل هو: سليمان بن جرير الذي تنسب له طائفة السليمانية من الزيدية] .وتنقل كتب الشيعة أن الإمام في مجلس واحد وفي مسألة واحدة يجيب بثلاثة أجوبة مختلفة متباينة، ويحيل ذلك على التقية، أو على حرية الإمام في الفتوى وأن له أن يجيب على الزيادة والنقصان.

وقد ذهب رجل من الشيعة يدعى عمر بن رياح ليسأل إمامه، فلما أفتاه عاد إليه من قابل فسأله عن نفس المسألة فأفتاه بخلاف الجواب الأول فاستنكر ذلك وقال: هذا خلاف ما أجبتني في هذه المسألة العام الماضي، فقال له: (أي الإمام): إن جوابنا خرج على التقية، فتشكك في أمره وإمامته. ثم خرج من عنده ولقي أحد الشيعة (ويدعى محمد بن قيس) وقص عليه ما حدث وقال له: وقد علم الله أني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به وقوله في العمل به، فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي، فقال له محمد بن قيس: فلعله حضرك من اتقاه؟ فقال: ما حضر مجلسه في واحدة من المسألتين غيري ولكن جوابيه جميعًا خرجا على وجه التبخيت - كذا - ولم يحفظ ما أجاب به في العام الامضي فيجيب بمثله، فرجع عن إمامته وقال: لا يكون إمامًا من يفتي بالباطل (٢) .وقد روى الكليني عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر - رضي الله عنه - قال (زرارة): "سألته عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت صاحبيه؟ فقال: يا زرارة إن هذا خير لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم" (٣) .وأحيانًا يفتي في تفسير آية من كتاب الله بثلاثة أجوبة مختلفة متباينة، ويزعم أن هذا قد فوض إليه، يقولون فيه ما يشاؤون [(٤) .فأنت ترى اختلاف الجواب في مسألة واحدة وفي مجلس واحد،

---

(١) [المقالات والفرق: ص٧٨، فرق الشيعة: ص٥٥-٥٦ .

(٢) [فرق الشيعة: ص٥٩-٦١] .

(٣) [أصول الكافي: ١/ ٦٥] .

(٤) انظر: أصول الكافي: ١/ ٢٦٥-٢٦٦].

والاختلاف ينفي دعوى العصمة. . هذا بحسب المنطق الشيعي، وإلا فإن شيئًا من ذلك لم يحدث من أبي جعفر محمد الباقر، فدينه وعلمه وورعه ينفي أن يفتي في دين الله بالكذب خوفًا وتقية، ولكن هذه الرواية وأمثالها هي حيلة ممن اخترع عقيدة العصمة والغلو في الأئمة لستر الخلاف والتناقص الحاصل في روايتهم والتي هي في الغالب ـ أيضًا ـ من صنع أيديهم، فيحصل فيها من التناقض ما يليق بجهلهم.

ثم إن المعصوم الذي يدعون اتباعه لم يعصمهم من الخلاف في أصل الدين عندهم وأساسه وهو الإمامة؛ فتجدهم مختلفين متنابذين متلاعنين يكفر بعضهم بعضًا لاختلافهم في عدد الأئمة، وفي تحديد أعيانهم، وفي الوقف وانتظار عودة الإمام، أو المضي إلى إمام آخر. . هذا عدا الروايات المختلفة المتناقضة في الكثير من أمور الدين ـ أصوله وفروعه ـ فما منعت العصمة المزعومة أهل الطائفة من الاختلاف. . وعدم وجود أثرها يدل على انعدام أصلها.

هذا، وقد يكون مبدأ العصمة ورثته الشيعة عن المذهب المجوسي، ذلك أن المجوس تدعي في منتظرهم الذي ينتظرون وأصحابه أنهم لا يكذبون، ولا يعصون الله، ولا يقع منهم خطيئة صغيرة ولا كبيرة (١) .وقد يقال بأن اعتقادهم في عصمة الأئمة أمر لا يؤثر اليوم لأن الأئمة قد انتهى وجودهم الفعلي منذ عام ٢٦٠هـ . . ولم يبق إلا الانتظار للغائب الموعود.

وأقول: إن هذه العقيدة لها آثارها اليوم في واقع الشيعة، ويتمثل ذلك في جوانب منها:

أولاً: علمهم بما يؤثر عن الأئمة الاثني عشر كما يعلم سائر المسلمين بالقرآن والسنة.

ثانيًا: غلوهم في قبورهم وأضرحتهم؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم فيطاف بها وتدعى من دون الله سبحانه.

ثالثًا: أن المجتهد الشيعي أصبح له شيء من هذه الصفة، فهم يرون أن الراد عليه كالراد على الله، وهو على حد الشرك بالله [سيأتي ـ إن شاء الله ـ ذكر بعض نصوصهم في ذلك في فصل الغيبة]، وهذا من الخطورة بمكان؛ لأن آيات الشيعة اليوم هم الذين يقودون الحكم في دولة الشيعة. . فينفذ الشعب تعاليمهم على أنها من شرع الله، ولا يعترض عليهم خشية الوقوع في الشرك.

رابعًا: حمل هذا الاعتقاد الفاسد والدينونة به. من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية. انتهى.

---

(١) [تثبيت دلائل النبوة: ١/ ١٧٩] .

الفصل الثالث
الطينـــة

فى هذا المبحث المصنف وما ينقل عنهم من أدعياء العلم ممن يسمون بعلماء الشيعة يبتدعون كعادتهم بدعة جديدة ليستمروا فى حبك مؤامرتهم على هذا الدين لاخراج الشيعة من دين الاسلام وادخالهم فى دين آخر لا يمت الى الاسلام بأى صلة، فأوهموهم أن الأئمة وآباءهم ومن شايعهم ممن آمنوا بمعتقد علماء الشيعة بزعمهم خلقوا من طينة خاصة يترتب على هذا المعتقد الفاسد أن مصيرهم جميعاً الى الجنة بلا استثناء مهما عملوا من كفر أو شرك أو موبقات وكبائر فانها تحمل جميعها لتوضع على أهل السنة الذين يطلقون عليهم لفظ مبغضونا والنواصب والعامة، ويدخل أهل السنة جميعاً النار بزعمهم، وفى المقابل هم يأخذون حسنات أهل السنة ويدخلون الجنة، فهل هذا دين؟ ولم يكتفوا بهذا فأضافوا بدعة أخرى، فوصفوا أهل السنة أنهم أبناء زنا من نطفة الشيطان ، فهل يطلق على هؤلاء وصف أو اسم الاسلام لا والله انهم أعدى أعداء الاسلام وهم محاربين لله ورسوله مكذبين بقول الله ورسوله محرفين مبدلين لآيات الله، ثم راحوا يغيرون عقائد أتباعهم بناء" على هذا المعتقد الباطل فقالوا أن أبا طالب مات موحداً وكان يبطن الايمان بل قالوا أنه يأتى يوم القيامة ونوره يغطى على كل الأنوار وأن ابنه قسيم الجنة والنار، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ ويرد على هؤلاء الأفاكين وأمثالهم بقوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وقوله ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ × وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا﴾ وقوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، فهؤلاء المبطلين جعلوا من أنفسهم أرباباً تعبد من دون الله، واليك أيها القارىء هذه الأباطيل من تفسير المصنف وبعدها الردود والنقد.

ما سيأتى نقلا من تفسير الصافى

المقدمة الثالثة: فحيثما خوطب قوم بخطاب أو نسب إليهم فعل دخل في ذلك الخطاب وذلك الفعل عند العلماء وأولي الألباب كل من كان من سنخ أولئك القوم وطينتهم فصفوة الله حيثما خوطبوا بمكرمة أو نسبوا إلى أنفسهم مكرمة يشمل ذلك كل من كان من سنخهم وطينتهم من الأنبياء والأولياء وكل من كان من المقربين الا مكرمة خصوا بها دون غيرهم وكذلك إذا خوطبت شيعتهم بخير أو نسب إليهم خير أو خوطب أعداؤهم بسوء ونسب إليهم سوء يدخل في الأول كل من كان من سنخ

شيعتهم وطينة محبيهم وفي الثاني كل من كان من سنخ أعدائهم وطينة مبغضيهم من الأولين والآخرين، وذلك لأن كل من أحبه الله ورسوله أحبه كل مؤمن من ابتداء الخلق إلى إنتهائه وكل من أبغضه الله ورسوله أبغضه كل مؤمن كذلك وهو يبغض كل من أحبه الله تعالى ورسوله وكل مؤمن في العالم قديما أو حديثا إلى يوم القيامة فهو من شيعتهم ومحبيهم وكل جاحد في العالم قديما أو حديثا إلى يوم القيامة فهو من مخالفيهم ومبغضيهم.

وفي الكافي: عن الصادق (عليه السلام) في حديث قال الله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ فالحي: المؤمن الذي يخرج طينته من طينة الكافر، والميت الذي يخرج من الحي: هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن، فالحي: المؤمن، والميت: الكافر، وذلك قوله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ فكان موته اختلاط طينته مع طينة الكافر، وكان حياته حين فرق الله بينهما بكلمته كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور، وذلك قوله عز وجل: ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إنه قرء هذه الآية ثم قال إن الشيطان ليجيء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث وينكح كما ينكح قيل بأي شيء يعرف ذلك قال بحبنا وبغضنا فمن أحبنا كان نطفة العبد ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان.

سورة الفرقان في الكافي عنهما عليهما السلام ان الله جل وعز عرض ولايتنا على المياه فما قبل ولايتنا عذب وطاب وما جحد ولايتنا جعله الله مرا وملحا اجاجا.

وفي الامالي باسناده الى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله قال قلت له يا رسول الله عليّ اخوك قال نعم عليّ اخي قلت يا رسول الله صف لي كيف عليّ اخوك قال ان الله عز وجل خلق ماء تحت العرش قبل ان يخلق آدم بثلاثة آلاف عام واسكنه في لؤلؤة خضراء في غامض علمه الى ان خلق آدم فلما خلق آدم نقل ذلك الماء من اللؤلؤة فأجراه في صلب آدم الى ان قبضه الله تعالى ثم نقله الى صلب شيث فلم يزل ذلك الماء ينقل من ظهر الى ظهر حتى صار في عبد المطلب ثم شقه عز وجل نصفين فصار نصفه في أبي عبد الله بن عبد المطلب ونصفه في أبي طالب فانا من نصف الماء وعلي من النصف الآخر فعلي اخي في الدنيا والآخرة ثم قرء رسول الله صلى الله عليه وآله وهو الذي خلق من الماء بشرا الآية ، وفي روضة الواعظين

قال رسول الله صلى الله عليه وآله خلق الله عز وجل نطفة بيضاء مكنونة فنقلها من صلب الى صلب حتى نقلت النطفة الى صلب عبد المطلب فجعل نصفين فصار نصفها في عبد الله ونصفها في ابي طالب فأنا من عبد الله وعلي من ابي طالب وذلك قول الله عز وجل وهو الذي خلق الآية. وفي حديث ابي اسحاق الليثي عن الباقر عليه السلام الذي ورد في طينة المؤمن وطينة الكافر ما معناه ان الله سبحانه يأمر يوم القيامة بأن تؤخذ حسنات اعدائنا فترد على شيعتنا وتؤخذ سيئات محبينا فترد على مبغضينا قال وهو قول الله تعالى فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات ويبدل الله حسنات اعدائنا سيئات.

سورة القصص وفي الكافي عن الصادق عليه السلام ان مثل ابي طالب مثل اصحاب الكهف اسروا الايمان واظهروا الشرك فأتاهم الله اجرهم مرتين. وعنه عليه السلام قال قال نزل جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فقال يا محمد ان ربك يقرؤك السلام ويقول اني قد حرمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك فالصلب صلب أبيك عبد الله بن عبد المطلب والبطن الذي حملك فآمنة بنت وهب وأما حجر كفلك فحجر أبي طالب وزاد في رواية وفاطمة بنت أسد.

(٥٦) انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشآء وهو اعلم وفي بشارة المصطفى عنه عن آبائه عن امير المؤمنين عليهم السلام قال كان ذات يوم جالسا بالرحبة والناس مجتمعون فقام إليه رجل فقال يا امير المؤمنين انك بالمكان الذي انزلك الله به وابوك يعذب بالنار فقال له مه فض الله فاك والذي بعث محمدا بالحق نبيا لو شفع ابي في كل مذنب على وجه الأرض لشفعه الله تعالى فيهم لابي يعذب بالنار وابنه قسيم النار ثم قال والذي بعث محمدا بالحق ان نور ابي طالب يوم القيامة ليطفي انوار الخلق الا خمسة انوار نور محمد ونوري ونور فاطمة ونوري الحسن والحسين ومن ولده من الأئمة عليهم السلام لأن نوره من نورنا الذي خلقه الله عز وجل من قبل خلق آدم بألفي عام.

وفي المجمع قد ذكرنا في سورة الانعام ان اهل البيت عليهم السلام قد اجمعوا على ان ابا طالب مات مسلما وتظاهرت الروايات بذلك عنهم عليهم السلام واوردنا هناك طرفا من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي صلى الله عليه وآله وتوحيده فان استيفاء جميعه لا يسع له الطوامير ماسبق نقلا من تفسير الصافى

الردود والنقد:

وبما أننى أرد على تفسير من تفسير أهل الباطل فاخترت ردودا من ردود أهل

الحق وبخاصة من تفسير ابن كثير الذى يأتى بآراء أهل الحق ممن سبقوه بعد تفسير القرآن بالقرآن والسنة وقول السلف الصالح وأهل اللغة، فبداية اخترت آيات من سورة الحجر وبعدها آيات من سورة فاطر.

الحجر ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧)﴾ قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة: المراد بالصلصال هاهنا: التراب اليابس. والظاهر أنه كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤ - ١٥] وعن مجاهد أيضا: الصلصال: المنتن. وتفسير الآية بالآية أولى وقوله: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ أي: الصلصال من حمأ، وهو: الطين. والمسنون: الأملس، كما قال الشاعر(١) ثم خاصرتها إلى القبة الخضراءتمشي في مرمر مسنون أي: أملس صقيل. ولهذا روي عن ابن عباس: أنه قال: هو التراب الرطب. وعن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك أيضا: أن الحمأ المسنون هو المنتن. وقيل: المراد بالمسنون هاهنا: المصبوب. وقوله: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل الإنسان ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ قال ابن عباس: هي السموم التي تقتل. وقال بعضهم: السموم بالليل والنهار. ومنهم من يقول: السموم بالليل، والحرور بالنهار. وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: دخلت على عَمْرو الأصم أعوده، فقال: ألا أحدّثك حديثا سمعته من عبد الله بن مسعود، يقول: هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق منها الجان، ثم قرأ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٢) وعن ابن عباس: أن الجان خُلق من لهب النار، وفي رواية: من أحسن النار. وعن عمرو بن دينار: من نار الشمس، وقد ورد في الصحيح: "خُلقت الملائكة من نور، وخُلقت الجان من مارج من نار، وخُلق بنو آدم مما وصف لكم"(٣) ومقصود الآية: التنبيه على شرف آدم، عليه السلام، وطيب عنصره، وطهارة مَحْتِده، ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١)﴾ .

﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ

(١) هو عبد الرحمن بن حسان، والبيت في اللسان، مادة (سنن).
(٢) ورواه الطبري في تفسيره (٢١/١٦) من طريق شعبة به نحوه.
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٩٩٦) من حديث عائشة ، رضي الله عنها.

صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)﴾، ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣)﴾ يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له، وتشريفه إياه بأمره الملائكة بالسجود له. ويذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة، حسدًا وكفرًا، وعنادًا واستكبارًا، وافتخارًا بالباطل، ولهذا قال: ﴿لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] وقوله: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٦٢].

فاطر ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾ يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد، وهو الماء الذي ينزله من السماء، يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، إلى غير ذلك من ألوان الثمار، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى (٣) بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] .وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ أي: وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان، كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر، وفي بعضها طرائق - وهي: الجُدَد، جمع جُدّة - مختلفة الألوان أيضا. قال ابن عباس، رضي الله عنهما: الجُدَد: الطرائق. وكذا قال أبو مالك، والحسن، وقتادة، والسدي. ومنها ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾، قال عكرمة: الغرابيب: الجبال الطوال السود. وكذا قال أبو مالك، وعطاء الخراساني وقتادة. وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد، قالوا: أسود غربيب. ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ أي : سود غرابيب. وفيما قاله نظر. وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ أي: [و] كذلك الحيوانات من الأناسي والدواب - وهو: كل ما دب على قوائم - والأنعام، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضا،

فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد، وصقالبة وروم في غاية البياض، والعرب بين ذلك، والهنود دون ذلك؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢] . وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان، حتى في الجنس الواحد، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان، بل الحيوان الواحد يكون أبلق، فيه من هذا اللون وهذا اللون، فتبارك الله أحسن الخالقين. وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده: حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان بن صالح، حدثنا زياد بن عبد الله، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: أيصبغ ربك قال: "نعم صبغا لا يُنفَض، أحمر وأصفر وأبيض". (١) ورُوي مرسلا وموقوفا، والله أعلم. ولهذا قال تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير. وقال ابن لَهِيعَة، عن ابن أبي عمرة، عن عِكْرِمَة، عن ابن عباس قال: العالم بالرحمن مَنْ لم يشرك به شيئا، وأحل حلاله، وحرم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله.

وقال سعيد بن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل.

وقال الحسن البصري: العالم مَن خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سَخط الله فيه، ثم تلا الحسن: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾. وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال أحمد بن صالح المصري، عن ابن وهب، عن مالك قال: إن العلم ليس بكثرة الرواية، وإنما العلم نور يجعله الله في القلب. قال أحمد بن صالح المصري: معناه: أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية، وأما العلم الذي فرض الله، عز وجل، أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة، وما جاء عن الصحابة، رضي الله عنهم، ومن بعدهم من أئمة المسلمين، فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله: "نور" يريد به فهم العلم، ومعرفة معانيه. وقال سفيان الثوري،

(١) مسند البزار برقم (٢٩٤٤) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٢٨/٥) : "وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط".

عن أبي حيان [التميمي] ، عن رجل قال: كان يقال: العلماء ثلاثة: عالم بالله عالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله. فالعالم بالله وبأمر الله: الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض. والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود ولا الفرائض. والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض، ولا يخشى الله عز وجل.

تابع الردود والنقد : (١)

هذه العقيدة من مقالاتهم السرية، وعقائدهم التي يتواصون بكتمانها حتى من عامتهم، لأنه لو اطلع العامي الشيعي على هذه العقيدة "تعمد أفعال الكبار لحصول اللذة الدنيوية، ولعلمه بأن وبالها الأخروي إنما هو على غيره" (٢).

وكانت هذه المقالة موضع إنكار من بعض عقلاء الشّيعة المتقدّمين كالمرتضى وابن إدريس، لأنّها في نظرهم وإن تسللت أخبارها في كتب الشيعة إلا "أنّها أخبار آحاد مخالفة للكتاب والسنّة والإجماع فوجب ردّها" لكن هذه الأخبار تكاثرت على مر الزمن حتى قال شيخهم نعمة الله الجزائري ت١١١٢هـ "إنّ أصحابنا قد رووا هذه الأخبار بالأسانيد المتكثّرة في الأصول وغيرها، فلم يبق مجال في إنكارها، والحكم عليها بأنّها أخبار آحاد، بل صارت أخباراً مستفيضة، بل متواترة" ، قال هذا في الرد على من أنكرها من شيوخهم السابقين. "(٣) .

والذي تولى كبر إرساء هذه العقيدة ـ فيما يظهر ـ هو شيخهم الكليني الذي بوّب لها بعنوان "باب طينة المؤمن والكافر" ، وضمّن ذلك سبعة أحاديث في أمر الطّينة (٤) .

ثمّ ما زالت تكثر هذه الأخبار من بعد الكليني حتى سجّل منها شيخهم المجلسي سبعة وستّين حديثًا في باب عقده بعنوان "باب الطّينة والميثاق" (٥) .

وكأن القارئ يتطلع إلى معرفة تفاصيل هذه المقالة التي تجعل الشيعي يعتقد بأن كل بائقة يرتكبها فذنبها على أهل السنة، وكل عمل صالح يعمله أهل السنة فثوابه للشيعة، ولذلك فإن شيوخ الشيعة يكتمون ذلك عن عوامهم حتى لا يفسدوا عليهم البلاد والعباد.

---

(١) من رسالة أصول مذهب الاثنى عشرية.
(٢) [انظر: الأنوار النعمنية: ١/ ٢٩٥].
(٣) [الأنوار النّعمانيّة: ١/٢٩٣] .
(٤) [أصول الكافي: ٢/ ٢-٦] .
(٥) [بحار الأنوار: ٥/ ٢٢٥-٢٧٦]

هذه العقيدة أوسع تفصيل لها هو رواية ابن بابويه في علل الشّرائع حيث استغرقت عنده خمس صفحات وختم بها كتابه (١) ، ورأى بعض شيوخهم المعاصرين أنّ هذا كمسك الختام فقال: "إنّه ختم بهذا الحديث الشّريف"(٢).

وملخص ذلك يقول بأنّ الشّيعي خلق من طينة خاصّة والسّنّي خلق من طينة أخرى، وجرى المزج بين الطينتين بوجه معين، فما في الشّيعي من معاصٍ وجرائم هو من تأثّره بطينة السّنّيّ، وما في السّنّيّ من صلاح وأمانة هو بسبب تأثّره بطينة الشّيعي، فإذا كان يوم القيامة فإنّ سيّئات وموبقات الشّيعة تُوضع على أهل السّنّة، وحسنات أهل السّنّة تُعطى للشّيعة. وعلى هذا المعنى تدور أكثر من ستّين رواية من رواياتهم. ويمكن أن يستنبط سبب القول بهذه العقيدة من الأسئلة التي وجهت للأئمة، والشكاوى التي رفعت إليهم، فالشيعة يشكون من انغماس قومهم بالموبقات والكبائر، ومن سوء معاملة بعضهم لبعض، ومن الهم والقلق الذي يجدونه ولا يعرفون سببه. ولكن يعزو إمامهم ذلك كله لتأثر طينة الشيعي بطينة السني في الخلقة الأولى.

ولنستمع إلى بعض هذه الأسئلة المثيرة التي تكشف واقع المجتمع الشيعي المغلق:

روى ابن بابويه بسنده: "عن أبي إسحاق اللّيثي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر ـ عليه السّلام ـ: يا بن رسول الله، أخبرني عن المؤمن المستبصر [يعني الرّافضي] إذا بلغ في المعرفة وكمل هل يزني؟ قال: اللّهمّ لا، قلت: فيشرب الخمر؟ قال: لا، قلت: فيأتي بكبيرة من هذه الكبائر أو فاحشة من هذه الفواحش؟ قال: لا . . ، قلت: يا ابن رسول الله، إنّي أجد من شيعتكم من يشرب الخمر، ويقطع الطّريق، ويخيف السّبيل، ويزني، ويلوط، ويأكل الرّبا، ويرتكب الفواحش ويتهاون بالصّلاة والصّيام، والزّكاة، ويقطع الرّحم، ويأتي الكبائر، فكيف هذا ولِمَ ذاك؟ فقال: يا إبراهيم، هل يختلج في صدرك شيء غير هذا؟ قلت: نعم يا ابن رسول الله أخرى أعظم من ذلك، فقال: وما هو يا أبا إسحاق؟ قال: فقلت: يا ابن رسول الله، وأجد من أعدائكم ومناصبيكم [يشير إلى أهل السنة] من يكثر من الصلاة والصيام ويخرج الزكاة ويتابع بين الحج والعمرة، ويحرص على الجهاد، ويأثر ـ كذا ـ على البر، وعلى صلة الأرحام، ويقضي حقوق إخوانه، ويواسيهم من ماله، ويتجنب شرب الخمر والزنا، واللواط وسائر الفواحش، فما ذاك؟ ولِمَ ذاك؟ فسّره لي يا ابن رسول الله وبرهنه وبينه، فقد والله كثر فكري وأسهر ليلي، وضاق ذرعي"(٣) .

---

(١)ـ [علل الشّرائع: ص٦٠٦-٦١٠]

(٢) بحار الأنوار (الهامش): ٥/ ٢٣٣]

(٣)ـ [علل الشرائع: ص٦٠٦-٦٠٧، بحار الأنوار: ٥/ ٢٢٨-٢٢٩] .

هذا واحد من الأسئلة والشكاوى التي تكشف انزعاج الشيعة من واقعهم المليء بالمعاصي والموبقات بالمقارنة بواقع سلف هذه الأمة، وأئمة أهل السنة ومعظم عامتهم من تقى وأمانة وصلاح، وقد أجيب السائل بمقتضى عقيدة الطينة وهي أن المعاصي الموجودة عند الشيعة هي بسبب طينة أهل السنة، والأعمال الصالحة التي تسود المجتمع السني بسبب طينة الشيعي.

ويأتي سائل آخر يدعى إسحاق القمي فيقول لأبي جعفر الباقر: "جعلت فداك أرى المؤمن الموحد الذي يقول بقولي، ويدين الله بولايتكم، وليس بيني وبينه خلاف، يشرب السكر، ويزني، ويلوط، وآتيه في حاجة واحدة فأصيبه معبس الوجه، كالح اللون، ثقيلاً في حاجتي، بطيئًا فيها، وقد أرى الناصب المخالف لما أنا عليه، ويعرفني بذلك [أي يعرف أنه رافضي]، فآتيه في حاجة، فأصيبه طلق الوجه، حسن البشر، متسرعًا في حاجتي، فرحًا بها، يحب قضاءها، كثير الصلاة، كثير الصوم، كثير الصدقة، يؤدي الزكاة، ويُستودَع فيؤدي الأمانة"(١).

فهذا السائل يزيد عن سابقه بشكواه من سوء معاملة أصحابه، وجَفاء طبعهم، وقلة وفائهم، على حين يجد أهل السنة وهم خصومه أحسن له من أصحابه وأقضى للحاجة، وأفضل في الخلق والمعاملة والعبادة.

وقريب من ذلك ما شكاه بعض الشيعة إلى أبي عبد الله فقال: "أرى الرجل من أصحابنا ممن يقول بقولنا خبيث اللسان، خبيث الخلطة، قليل الوفاء بالميعاد فيغمني غمًا شديدًا، وأرى الرجل من المخالفين علينا حسن السمت، حسن الهدي [الهدي: الطريقة، السيرة (٢)]، وفيًا بالميعاد فأغتم غمًا"(٣) .

ويأتي سائل رابع يشكو ما يجده من قلق وهم لا يعرف له تفسيرًا. تقول روايتهم: "عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله، ومعي رجل من أصحابنا فقلت له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إني لأغتم وأحزن من غير أن أعرف لذلك سببًا. "(٤) ويبدو أن مصدر القلق تلك العقيدة غير الواضحة والمستقرة التي تأخذ بها الروافض، ولكن "إمامه" يفسر هذا القلق بمقتضى عقيدة الطينة.

هذه الأسئلة والشكاوى وغيرها كثير [تجدها في أبواب الطينة في الكافي والبحار، وسيأتي نماذج؛ أخرى في باب أثر الشيعة في العالم الإسلامي] توضح

---

(١) [علل الشرائع: ٤٨٩-٤٩٠، بحار الأنوار: ٥/٢٤٦-٢٤٧]
(٢) (بحار الأنوار: ٥/ ٢٥١).
(٣) [البرقي/ المحاسن: ص١٣٧-١٣٨، بحار الأنوار: ٥/ ٢٥١] .
(٤) [بحار الأنوار: ٥/ ٢٤٢، وعزاه إلى علل الشرائع: ص٤٢] .

طبيعة التركيبة الشيعية في نفسيتها، وعلاقاتها، وخلقها، ومعاملاتها ودينها.. وقد احتال شيوخ الشيعة لمواجهة هذا الإحساس الذي ينتاب بعض الصادقين من الشيعة، إزاء هذه الظواهر المقلقة والمخيفة فكانت محاولة الخروج من إلحاح هذه التساؤلات والشكاوى بقولهم بهذه العقيدة.

ولنستمع إلى بعض الأجوبة على تلك الشكاوى [والجواب المذكور هو على السؤال الذي قالوا إنه سأله إسحاق القمي، وقد مضى نصه:[1] وباقي الأجوبة نكتفي بما مضى من إحالات عليها، خشية الإطالة والتكرار، لأنها ترجع في النهاية إلى معنى واحد ونتيجة واحدة غالبًا] . يقول (إمامهم): "يا إسحاق (راوي الخبر) ليس تدرون من أين أوتيتم؟ قلت: لا والله، جعلت فداك إلا أن تخبرني، فقال: يا إسحاق، إن الله ـ عز وجل ـ لما كان متفردًا بالوحدانية ابتدأ الأشياء لا من شيء، فأجرى الماء العذب على أرض طيبة طاهرة سبعة أيام مع لياليها، ثم نضب [أي نشح ماؤه ونشف[2]] الماء عنها فقبض قبضة من صفاوة ذلك الطين وهي طينتنا أهل البيت، فلو أن طينة شيعتنا تركت كما تركت طينتنا لما زنى أحد منهم، وسرق، ولا لاط، ولا شرب المسكر ولا اكتسب شيئًا مما ذكرت، ولكن الله ـ عز وجل ـ أجرى الماء المالح على أرض ملعونة من حمأ مسنون [الحمأ: الطين الأسود والمتغير، والمسنون: المنتن [3]]، وهي طينة خبال [الخبال: الفساد، النقصان[4]]، وهي طينة أعدائنا، فلو أن الله ـ عز وجل ـ ترك طينتهم كما أخذها لم تروها في خلق الآدميين، ولم يقرّوا بالشهادتين، ولم يصوموا ولم يصلوا، ولم يزكوا، ولم يحجوا البيت، ولم تروا أحدًا منهم بحسن خلق، ولكن الله ـ تبارك وتعالى ـ جمع الطينتين ـ طينتكم وطينتهم ـ فخلطهما وعركهما عرك الأديم، ومزجهما بالماءين فما رأيت من أخيك من شر لفظ، أو زنا، أو شيء مما ذكرت من شرب مسكر أو غيره، ليس من جوهريته وليس من إيمانه، إنما هو بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت، وما رأيت من الناصب من حسن وجه وحسن خلق، أو صوم، أو صلاة، أو حج بيت، أو صدقة، أو معروف فليس من جوهريته، إنما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان.

قلت: جعلت فداك فإذا كان يوم القيامة فَمَهْ؟ قال لي: يا إسحاق أيجمع الله الخير والشر في موضع واحد؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله ـ عزّ وجلّ ـ مسحة الإيمان

(١)ـ ص(٩٥٨) كتاب أصول مذهب الشيعة .
(٢) (بحار الأنوار: ٥/ ٢٣٠/ هامش٣).
(٣) (بحار الأنوار: ٥/ ٢٤٧، هامش٢).
(٤) (بحار الأنوار: ٥/ ٢٤٧، هامش رقم٣).

منهم فردّها إلى شيعتنا، ونزع مسحة النّاصب بجميع ما اكتسبوا من السّيّئات فردّها على أعدائنا، وعاد كلّ شيء إلى عنصره الأوّل.

قلت: جعلت فداك تُؤخذ حسناتهم فتردّ إلينا، وتُؤخذ سيّئاتنا فتردّ إليهم؟ قال: إي والله الذي لا إله إلا هو (١).

هذه عقيدة الطينة عندهم، وقد جاء في سياق رواية القمّي في أوّلها قوله: "خذ إليك بيانًا شافيًا فيما سألت، وعلمًا مكنونًا من خزائن الله وسرّه".

وجاء في خاتمتها: "خذها إليك يا أبا إسحاق، فوالله إنّه لَمن غرر أحاديثنا، وباطن سرايرنا، ومكنون خزائننا، وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحدًا إلا مؤمنًا مستبصرًا، فإنّك إن أذعت سرّنا بليت في نفسك ومالك وأهلك وولدك" (٢).

فهي ـ كما ترى ـ عقيدة سرية في إبّان قوة الدولة الإسلامية، يؤكّد على سريتها في بدايتها ونهايتها، فهل خطر ببال مخترع هذه العقيدة أنها ستقع في أيدي أهل السنة، ويعلنونها أمام الملأ كإحدى الفضائح..؟

نقد هذا القول:

أولاً: إن هذه الرّوايات ناقضت نفسها بنفسها، فالشّيعي كما ترى في عرض الشّكاوى والأسئلة هو أغرق في الجريمة، وأكثر إيغالاً في المعاصي والموبقات، وأسوأ معاملة، وأردأ خلقًا ودينًا، فكيف يكون مَنْ هذه حاله أفضل طينة، وأطهر خلقة؟وهو امتداد لأباطيل اليهود والنصارى حين زعموا أن الجنة انما هى لهم وليست لغيرهم .

قال ابن كثير:

البقرة

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إلا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تلكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادقِينَ * بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

يبين الله تعالى اغترار اليهود والنصارى بما هم فيه، حيث ادعت كل طائفة من اليهود والنصارى أنه لن يدخل الجنة إلا من كان على ملتها ، كما أخبر الله عنهم في سورة المائدة أنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة : ١٨] . فأكذبهم الله تعالى بما أخبرهم أنه معذبهم بذنوبهم ، ولو كانوا كما ادعوا لما كان الأمر كذلك، وكما تقدم من دعواهم أنه لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، ثم ينتقلون إلى الجنة.

---

(١) [علل الشّرائع: ص٤٩٠-٤٩١، بحار الأنوار: ٥/ ٢٤٧-٢٤٨] .
(٢) [علل الشّرائع: ص٦١٠، بحار الأنوار: ٥/ ٢٣٣] .

وردَّ عليهم تعالى في ذلك، وهكذا قال لهم في هذه الدعوى التي ادعوها بلا دليل ولا حجة ولا بينة، فقال ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ وقال أبو العالية: أماني تمنوها على الله بغير حق. وكذا قال قتادة والربيع بن أنس. ثم قال: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد، ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ وقال أبو العالية ومجاهد والسدي والربيع بن أنس: حجتكم. وقال قتادة: بينتكم على ذلك. ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما تدعونه. ثم قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: من أخلص العمل لله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ الآية [آل عمران: ٢٠] . وقال أبو العالية والربيع: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ يقول: من أخلص لله. وقال سعيد بن جبير: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ﴾ أخلص، ﴿وَجْهَهُ﴾ قال: دينه، ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ أي: متبع فيه الرسول ﷺ . فإن للعمل المتقبل شرطين، أحدهما: أن يكون خالصًا لله وحده والآخر: أن يكون صوابًا موافقا للشريعة. فمتى كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يتقبل؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ :من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد" . رواه مسلم من حديث عائشة، عنه، عليه السلام. فعمل الرهبان ومن شابههم - وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله - فإنه لا يتقبل منهم، حتى يكون ذلك متابعًا للرسول [محمد] ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، وفيهم وأمثالهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: ٣٩] . وروي عن أمير المؤمنين عمر أنه تأولها في الرهبان كما سيأتي. وأما إن كان العمل موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضًا مردود على فاعله وهذا حال المنافقين والمرائين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢] ، وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ× وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ - ٧]، ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] . وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ وقوله: ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ضمن لهم تعالى على ذلك تحصيل الأجور، وآمنهم مما يخافونه من المحذور فـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى مما يتركونه، كما قال سعيد بن جبير: فـ ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: في الآخرة ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يعنى: لا يحزنون] للموت.

ثانيًا: قد خلق الله سبحانه النّاس جميعًا على فطرة الإسلام، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الرّوم، آية: ٣٠] . والمعنى: أن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢] أي: من البنات، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، وجعلوها بنات الله، وقد كان أحدهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، فهم يأنفون من البنات. وجعلوا الملائكة بنات الله، فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم، فهذا أغلظ الكفر. وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه، وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك، أن يكون عبدهُ شريكَه في ماله، يساويه فيه. ولو شاء لقاسمه عليه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. قال الطبراني: حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، حدثنا حماد بن شعيب، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير[١]، عن ابن عباس قال: كان يلبي أهل الشرك: لبيك اللهم [لبيك][٢] ، لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فأنزل الله: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [٣]. ولما كان التنبيه بهذا المثل على براءته تعالى ونزاهته بطريق الأولى والأحرى، قال: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾. ثم قال تعالى مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سفهًا من أنفسهم وجهلا ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: المشركون ﴿أَهْوَاءَهُمْ﴾ أي: في عبادتهم الأنداد بغير علم، ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ [أي: فلا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم][٤] ، ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ أي: ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير، ولا محيد لهم عنه؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله

---

(١)ـ في ت : "روى الطبراني بإسناده" . (٢) زيادة من ت.

(٣) المعجم الكبير (١٢/ ٢٠) ، وقال الهيثمي في المجمع (٣/ ٢٢٣) : "وفيه حماد بن شعيب وهو ضعيف".

(٤) زيادة من ت ، أ.

لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على [معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفي الحديث: "إني خلقت عبادي حُنَفاء ، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم". وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على] الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية. وقوله: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبرا بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهذا معنى حسن صحيح. وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النَّخَعي، وسعيد بن جُبَير، ومجاهد، وعِكْرِمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيدفي قوله: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أي: لدين الله. وقال البخاري: قوله: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾: لدين الله، خَلْقُ الأولين: [دين الأولين] ، والدين والفطرة: الإسلام. حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجسانه، كما تُنْتج البهيمة بهيمة جَمْعاء، هل تحسون فيها من جدعاء" ؟ ثم يقول: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾. ورواه مسلم من حديث عبد الله بن وهب، عن يونس بن يزيد الأيْلي، عن الزهري، به(١). وأخرجاه - أيضا - من حديث عبد الرزاق، عن معْمَر، عن همام، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي ﷺ (٢) . وفي معنى هذا الحديث قد وردت أحاديث عن جماعة من الصحابة ، فمنهم الأسودُ بن سَرِيع التميمي.

ورواه النسائي في كتاب السير، عن زياد بن أيوب، عن هُشَيْم، عن يونس - وهو ابن عبيد -عن الحسن البصري، به (٣) (٤). ومنهم جابر بن عبد الله الأنصاري، قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم، حدثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، عن الحسن، عن جابر عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : «كل مولود يولد على

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٧٥) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨).
(٢) صحيح البخاري برقم (٦٥٩٩) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٨).
(٣) في ت : "وروى أيضا بإسناده".
(٤) المسند (٣/ ٤٣٥) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٦١٦).

الفطرة، حتى يُعرب عنه لسانه، فإذا عبر عنه لسانه إما شاكرًا وإما كفورا"(١). ومنهم عبد الله بن عباس الهاشمي، قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا أبو عَوَانة، حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ سُئل عن أولاد المشركين، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين إذ خلقهم". أخرجاه في الصحيحين، من حديث أبي بشر جعفر بن إياس اليَشْكُرِي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعا بذلك (٢). وقد قال أحمد أيضا: حدثنا عفان، حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - أنبأنا عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس قال: أتى عليَّ زمان وأنا أقول: أولاد المسلمين مع أولاد المسلمين، وأولاد المشركين مع المشركين. حتى حدثني فلان عن فلان: أن رسول الله ﷺ سئل عنهم فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين". قال: فلقيت الرجل فأخبرني. فأمسكت عن قولي(٣). ومنهم عياض بن حِمار المجاشعي، قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام، حدثنا قتادة، عن مُطَرِّف، عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: "إن ربي، عز وجل، أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، ثم إن الله، عز وجل، نظر إلى أهل الأرض فمقتهم، عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، وقال: إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء، تقرؤه نائما ويقظان.

ثم إن الله أمرني أن أحرق قريشا، فقلت: يا رب إذًا يَثْلَغُوا رأسي فيدعوه خبزَةً. قال: استخرجهم كما استخرجوك، واغزهم نَغْزُك، وأنفق عليهم فسننفق عليك. وابعث جيشا نبعث خمسة مثله، وقاتل بِمَنْ أطاعك مَنْ عصاك". قال: "وأهل الجنة: ثلاثة ذو سلطان مُقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم، ورجل عفيف فقير متصدق. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زَبْرَ له، الذين هم فيكم تَبَعًا، لا يبتغون أهلا ولا مالا. والخائن الذي لا يخفى له طمع

---

(١) المسند (٣/ ٣٥٣) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١٨) "وفيه أبو جعفر الرازي وهو ثقة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات".

(٢) المسند (١/ ٣٢٨) وصحيح البخاري برقم (١٣٨٣) وصحيح مسلم برقم (٢٦٦٠).

(٣) المسند (٥/ ٧٣) وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٢١٨) "رجاله رجال الصحيح".

وإن دق إلا خانه. ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك" وذكر البخيل، أو الكذاب، والشنظير: الفحاش. انفرد بإخراجه مسلم، فرواه من طرق عن قتادة، به (١).

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ أي: التمسك بالشريعة والفطرة السليمة هو الدين القويم المستقيم، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلهذا لا يعرفه أكثر الناس، فهم عنه ناكبون، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية [الأنعام: ١١٦] . وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال ابن زيد، وابن جريج : أي راجعين إليه، ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ أي: خافوه وراقبوه، ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي: بل من الموحدين المخلصين له العبادة، لا يريدون بها سواه. قال ابن جرير: [حدثنا ابن حُميد] ، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا يونس بن أبي إسحاق، عن يزيد بن أبي مريم قال: مر عمر، رضي الله عنه، بمعاذ بن جبل فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث، وهن [من] المنجيات: الإخلاص، وهي الفطرة، فطرة الله التي فَطرَ الناس عليها، والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة. فقال عمر: صدقت. حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّةَ، حدثنا أيوب، عن أبي قلابة: أن عمر -رضي الله عنه- قال لمعاذ: ما قوام هذا الأمر؟ فذكره نحوه. وقوله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي: بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقرأ بعضهم: "فارقوا دينهم" أي: تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعَبَدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء ومِلَل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه أنه سئل، عليه السلام عن الفرقة الناجية منهم، فقال: "ما أنا عليه [اليوم] وأصحابي" .

والتّفريق بينهما ممّا شذّت به أساطير الشّيعة.

---

(١) المسند (٤/ ١٦٢) وصحيح مسلم برقم (٢٨٦٥).

ثالثًا: ناقضت الشّيعة في أخبار الطّينة مذهبها في أفعال العباد؛ لأنّ مقتضى هذه الأخبار أن يكون العبد مجبوراً على فعله وليس له اختيار له؛ إذ أفعاله بمقتضى الطّينة.

رابعًا: تقرر أخبار طينتهم + أن موبقات الشيعة وأوزارها يتحملها أهل السنة، وحسنات المسلمين جميعًا تعطى للشيعة، وهذا مخالف للعدل الرّباني ولا يتفق مع العقل الصريح ولا الفطرة السليمة، فضلاً عن نصوص الشرع وأصول الإسلام، قال تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام، آية: ١٦٤، فاطر، آية:١٨، والزّمر، آية:٧]، وقال ـ عز وجل ـ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: آية: ٢١] . وقال ـ عز وجل ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [الطّور: آية:٢١]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨]، وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر، آية: ١٧] وغيرها كثير.

وهذه المقالة ظاهرة البطلان، يكفي مجرد تصورها لمعرفة فسادها، وهي من فضائح المذهب الاثني عشري وعوراته. ولا يستحي الشيعة إلى اليوم من التجاهر بهذه العقيدة وإعلانها، فتجد أخبار هذه الفرية؛ في بحار الأنوار

الرد بأحسن التفسير:

قال ابن كثير: (الزمـــــر)

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ × وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ يقول تعالى مخبرا عن نفسه تعالى: أنه الغني عما سواه من المخلوقات، كما قال موسى: ﴿ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨] . وفي صحيح مسلم: "يا عبادي، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم، ما نقص ذلك من ملكي شيئا"(١). وقوله: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي: لا يحبه ولا يأمر به، ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي: يحبه منكم ويزدكم من فضله. ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئا، بل كل مطالب بأمر نفسه، ﴿ثُمَّ إِلَى

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور﴾ أي: فلا تخفى عليه خافية. وقوله: ﴿وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه﴾ أي: عند الحاجة يضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا﴾ [الإسراء: ٦٧] . ولهذا قال: ﴿ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ أي: في حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع، كما قال تعالى: ﴿وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه﴾ [يونس: ١٢] .

﴿وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله﴾ أي: في حال العافية يشرك بالله، ويجعل له أندادا. ﴿قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار﴾ أي: قل لمن هذه حاله وطريقته ومسلكه: تمتع بكفرك قليلا. وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، كقوله: ﴿قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وقوله: ﴿نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ﴾ [لقمان: ٢٤] .أقول فى ختام هذا المبحث أن أهل الباطل حين يفترون الكذب يظهر ذلك جليا" على أقوالهم ورواياتهم المكذوبة وهذا شان المحرفين أهل الأهواء، فتجد أضطراب شديد فى ما ياتون به ليلبسوا على الناس باطلهم ، فتارة يقولون أنهم خلقوا من نور وتارة يقولون أنهم خلقوا من طينة طيبة، وبفضل الله سبحانه أتيت بردود من القرآن والسنة وأقوال أهل العلم فى هذا المبحث والله أسأل أن ينفع بها وأن يثبتنا على الحق حتى نلقاه وأختم بهذه الآية من سورة الأعراف وأسأله سبحانه أن يجعلنا من أهلها (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) .

الفصل الرابع
المهدية والغيبة

أقواله فى المهدية والغيبة وما يتعلق بها من امور

المهدية والغيبة:

نقلا من تفسير الصافى

سورة البقرة (ص ٢١٠) (١٤٨) ولكل وجهة ولكل قوم قبلة وملة وشرعة ومنهاج يتوجهون إليها هو مولّيها الله موليها إياهم وقرئ مولاها وفي اخبار أهل البيت أن المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان. وفي المجمع والعياشي عن الرضا (عليه السلام) أن لو قام قائمنا لجمع الله جميع شيعتنا من جميع البلدان.

وفي الاكمال والعياشي عن الصادق (عليه السلام) لقد نزلت هذه الآية في أصحاب القائم وإنهم المفتقدون من فرشهم ليلا فيصبحون بمكة وبعضهم يسير في السحاب نهارا نعرف اسمه واسم أبيه وحليته ونسبه إن الله على كل شيء قدير على الاماتة والاحياء والجمع.

وفي الإكمال عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رض) قال لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرنهم الله طاعتهم بطاعتك فقال هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي صلوات الله عليهم المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرئه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سميي محمد وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي صلوات الله عليهم، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته الا من امتحن الله قلبه للإيمان قال جابر فقلت له يا رسول الله فهل لشيعته الإنتفاع به في غيبته فقال أي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيؤون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وان تجلاها سحاب يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه الا عن أهله والأخبار في هذا المعنى في الكتب المتداولة المعتبرة لا تحصى كثرة.

سورة الليل: (١) والليل إذا يغشى الشمس أو النهار. (٢) والنهار إذا تجلى

ظهر بزوال ظلمة الليل. القمي عن الباقر عليه السلام قال الليل في هذا الموضع الثاني غشي أمير المؤمنين عليه السلام في دولته التي جرت له عليه وأمير المؤمنين عليه السلام يصبر في دولتهم حتى تنقضي والنهار إذا تجلى قال النهار هو القائم عليه السلام منا أهل البيت عليهم السلام إذا قام غلب دولة الباطل قال والقرآن ضرب فيه الامثال للناس وخاطب نبيه صلى الله عليه وآله به ونحن فليس يعلمه غيرنا.

وفي الاكمال عن الصادق عليه السلام قال العصر عصر خروج القائم عليه السلام ان الانسان لفى خسر يعني أعدائنا إلا الذين آمنوا يعني بآياتنا وعملوا الصالحات يعني بمواساة الاخوان وتواصوا بالحق يعني بالامامة وتواصوا بالصبر يعني بالعترة. ما سبق نقلا من تفسير الصافى.

المصنف الكاشانى وما ينقل عنهم من علماء الشيعة، لهم خرافات وخزعبلا ت وتأويلات منحرفة لم تخطر ببال بشر.

في هذا الفصل سأتناول ـ بحول الله ـ (من كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية)

مسألة المهدية والغيبة عند الفرق الشيعية بوجه عام، ثم نشأة هذه الفكرة عند الاثني عشرية وتطورها، وبعد ذلك أبين الخطوط العريضة لهذه العقيدة عندهم، وما يستدلون به لإسناد هذا المعتقد ودفاعهم عن طول زمن الغيبة الذي مضى عليه الآن أكثر من أحد عشر قرنًا، ومناقشة ذلك.

يلي ذلك بيان لما يتخيله الاثنا عشرية لدولة المهدي بعد عودته من غيبته، وهي خيالات صاغوها على شكل روايات عن أئمة أهل البيت لتأخذ صفة العصمة والقداسة عند أتباعهم، فأبين ما قالوه حول شريعته، وسيرته، وجنده.

ثم أعرض بعد هذا للشيعة في فترة الغيبة، والمبادئ التي شرعوها، والشرائع التي عطلوها بسبب هذه العقيدة، ومحاولة شيوخهم لمواجهة فقد إمامهم باختراع عقيدة "النيابة عن المهدي".

وأختم الموضوع بنقد لأصل هذه الفكرة ومناقشتها.

المهدية والغيبة عند فرق الشيعة

فكرة الإيمان بالإمام الخفي أو الغائب توجد لدى معظم فرق الشيعة، حيث تعتقد في إمامها بعد موته أنه لم يمت، وتقول بخلوده، واختفائه عن الناس، وعودته إلى الظهور في المستقبل مهديًا، ولا تختلف هذه الفرق إلا في تحديد الإمام الذي قدرت له العودة، كما تختلف في تحديد الأئمة وأعيانهم والتي يعتبر الإمام الغائب واحدًا

منهم.

وتعتبر السبئية ـ كما يقول القمي، والنوبختي، والشهرستاني وغيرهم ـ أول فرقة قالت بالوقف على علي [أي لم تسق الإمامة لمن بعده] وغيبته (١)، حيث زعمت "أن عليًا لم يقتل ولم يمت، ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، ويملأ الأرض عدلاً وقسطًا كما ملئت ظلمًا وجوراً" (٢) .

ولما بلغ عبد الله بن سبأ نعي علي بالمدائن قال للذي نعاه: "كذبت، لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض" (٣) وظلت تنتظر عودته من غيبته، ثم انتقلت هذه "الفكرة" من السبئية إلى بعض فرق الكيسانية كالكربية [الكربية: أتباع أبي كريب الضرير، وقد مضى التعريف بالكيسانية] حيث قالت لما مات محمد بن الحنفية ـ وهو الذي تدعي أنه إمامها -: إنه حي لم يمت وهو في جبل رضوى بين مكة والمدينة عن يمينه أسد وعن يساره نمر موكلان به يحفظانه إلى أوان خروجه وقيامه [وقد تغنى شعراؤهم بذلك حتى قال شاعرهم (كثير عزة):

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة الحق أربعة سواء (٤)
علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبرّ ... وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء
تغيب لا يرى عنا زمان ... برضوا عنده عسل وماء

وقد أوردت كتب المقالات أيضًا أشعاراً في هذا المعنى لشعراء آخرين (٥)، وقد نظم البغدادي بعض الأبيات في الرد عليها(٦)، وقالوا: إنه المهدي المنتظر(٧). وزعموا أنه سيغيب عنهم سبعين عامًا في جبل رضوى ثم يظهر فيقيم لهم الملك، ويقتل لهم

---

(١) [القمي/ المقالات والفر: ص١٩-٢٠، النوبختي/ فرق الشيعة: ص٢٢، الشهرستاني/ الملل والنحل: ١/ ١٧٤ .

(٢) [المقالات والفرق: ص١٩، فرق الشيعة: ص٢٢، مقالات الإسلاميين: ١/ ٨٦] .

(٣) فرق الشيعة: ص٢٣، المقالات والفرق: ص٢١ .

(٤) (انظر: مسائل الإمامة ص٢٦، مقالات الإسلاميين: ١/ ٩٢-٩٣، الفرق بين الفرق ص٤١).

(٥) (انظر: مسائل الإمامة ص٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩)

(٦) الفرق بين الفرق: ص٤١-٤٣ - ٦ .

(٧) [مسائل الإمامة: ص٢٦، فرق الشيعة: ص٢٧، مقالات الإسلاميين: ١/ ٩٢، الفرق بين الفرق: ص٣٩، التبصير في الدين: ص١٨-١٩

الجبابرة من بني أمية (١)... فلما مضت سبعون سنة ولم ينالوا من أمانيهم شيئًا حاول بعض شعرائهم توطين أصحابه على هذه العقيدة، وأن يرضوا بالانتظار ولو غاب مهديهم مدة عمر نوح عليه السلام [يقول شاعرهم في ذلك:

لو غاب عنا عمر نوح أيقنت منا النفوس بأنه سيؤوب
إنـي لأرجوه وآملـه كما قد كان يأمل يوسفًا يعقوب

ثم شاع التوقف على الإمام وانتظار عودته مهديًا بعد ذلك بين فرق الشيعة.. فبعد وفاة كل إمام من آل البيت تظهر فرقة من أتباعه تدعي فيه هذه الدعوى.. وتنتظر عودته، وتختلف فيما بينها اختلافًا شديدًا في تحديد الإمام الذي وقفت عليه وقدرت له العودة ـ في زعمهم ـ ولذلك قال السمعاني: "ثم إنهم في انتظارهم الإمام الذي انتظروه مختلفون اختلافًا يلوح عليه حمق بليغ" (٢).

وحتى بعض فرق الزيدية وهي الجارودية تاهت في وهم هذا الانتظار للإمام الذي قد مات، مع اختلاف فروع هذه الطائفة في تحديد الإمام المنتظر، كما نقل ذلك الأشعري (٣) والبغدادي ولذلك فإنه لا صحة لما قاله بعضهم من أن الزيدية كلها تنكر هذا الاتجاه كما قاله أحمد أمين، وأشار إليه جولد سيهر (٤).

هذه عقيدة الغيبة عند فرق الشيعة، ارتبطت بأفراد من أهل البيت معروفين وجدوا في التاريخ فعلاً وعاشوا حياتهم كسائر الناس، فلما ماتوا ادعت فيهم هذه الفرق تلك الدعوى، حيث لم تصدق بموتهم، وزعمت أنهم غابوا، وسيعودون للظهور مرة أخرى. أما هذه الفكرة عند الاثني عشرية فتختلف من حيث إنها ارتبطت عندهم "بشخصية خيالية" لا وجود لها عند أكثر فرق الشيعة المعاصرة لظهور هذه "الدعوى" وهي عند أصحابها شخصية رمزية [وتتداول الشيعة أخبارها بالرمز إليه بدون ذكر اسمها]، لم يرها الناس، ولم يعرفوها، ولا يعلمون مكانها، غابت ـ كما يدعون ـ بعد ولادتها، ولم يظهر حملها، وأحيطت ولادتها بسياج من السرية والكتمان، بل إن عائلتها، ووكيلها وأقرب الناس إليها لم يعلموا بأمر هذا الحمل وذلك المولود، وكانوا له منكرين، بل لم يظهر للشيعة التي تدعيه إلا من خلال نواب يدعون الصلة به.

هذه الشخصية هي شخصية المهدي المنتظر عندهم، ويشكّل الإيمان بها عند الاثني عشريّة الأصل الذي ينبني عليه مذهبهم، والقاعدة التي تقوم عليها بنية التّشيّع

---

(١)- [مسائل الإمامة: ص٢٧].
(٢) ـ [الأنساب: ١/ ٣٤٥].
(٣) [مقالات الإسلاميين: ١/ ١٤١-١٤٢].
(٤) [العقيدة والشريعة: ص٢١١].

عندهم؛ إذ بعد انتهاء وجود أئمّة الشّيعة بوفاة الحسن العسكري أصبح الإيمان بغيبة ابنه المزعوم هو المحور الذي تدور عليه عقائدهم، والأساس الذي يمسك بنيان الشّيعة من الانهيار (١) .

ولكن كيف ومتى بدأت هذه الفكرة عند الاثني عشرية؟

نشأة فكرة الغيبة عند الشيعة الاثني عشرية وتطورها:

حال الشيعة بعد وفاة الحسن العسكري (٢):

لابد في الحديث عن النشأة أن نتناول حال الشيعة بعد وفاة الحسن لعلاقته الوثيقة بنشأة هذه الفكرة.

إذ بعد وفاة الحسن ـ إمامهم الحادي عشر ـ سنة (٢٦٠هـ) "لم ير له خلف، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمّه" [المقالات والفِرَق: ص١٠٢، فِرَق الشّيعة: ص٩٦ (وفيها: "ولم ير له أثر")] كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها.

ويسبب ذلك اضطرب أمر الشّيعة، وتفرّق جمعهم، لأنّهم أصبحوا بلا إمام، ولا دين عندهم بدون إمام، لأنّه هو الحجّة على أهل الأرض (٣). وحتى كتاب الله سبحانه ليس حجة عندهم إلا به ـ كما سلف-، وبالإمام بقاء الكون، إذ "لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت" ، وهو أمان النّاس "ولو أنّ الإمام رفع من الأرض ساعة لَمَاجَتْ بأهلها كما يموج البحر بأهله"(٤) ولكن الإمام مات بلا عقب، وبقيت الأرض بلا إمام، ولم يحدث شيء من هذه الكوارث. فتحيرت الشيعة واختلفت في أعظم أمر عندها وهو تعيين الإمام، فافترقت إلى أربع عشرة فرقة كما يقول النّوبختي ، أو خمس عشرة فرقة كما ينقل القمّي وهما من الاثني عشريّة. وممّن عاصر أحداث الاختلاف، إذ هما من القرن الثّالث، فمعلوماتهما مهمة في تصوير ما آل إليه أمر الشيعة بعد الحسن العسكري. ومن بعدهما زادت الفرقة واتّسع الاختلاف، حيث يذكر المسعودي الشّيعي (المتوفّى سنة ٣٤٦هـ) ما بلغه اختلاف شيعة الحسن بعد وفاته، وأنّه وصل إلى عشرين فرقة فما بالك بما بعده [وعندي أن هذا الاختلاف لم يتوقف إلا بعد قيام السمري ـ كما سيأتي ـ بإلغاء فكرة البابية واختراع فكرة النيابة

---

(١)ـ كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

(٢) المصدر السابق.

(٣)- أصول الكافي: ١/ ١٨٨ .

(٤) أصول الكافي: ١/ ١٧٩ .

العامة عن المهدي من جميع شيوخهم، فاتفقوا حينئذ على دعوى غيبة المولود لاتفاقهم على قسمة الغنائم التي تجبى باسمه فيما بينهم باسم النيابة] . وقد ذهبت هذه الفرق مذاهب شتّى في أمر الإمامة، فمنهم من قال: "إنّ الحسن بن علي حيّ لم يمت، وإنّما غاب وهو القائم، ولا يجوز أن يموت ولا ولد له ظاهر، لأنّ الأرض لا تخلو من إمام" فوقفت هذه الفرقة على الحسن العسكري وقالت بمهديته وانتظاره كما هي العادة عند الشّيعة بعد وفاة كلّ إمام تدّعي إمامته، وذهبت فرقة أخرى إلى الإقرار بموته، ولكنّها زعمت أنّه حيّ بعد موته، ولكنّه غائب وسيظهر، بينما فرق أخرى حاولت أن تمضي بالإمامة من الحسن إلى أخيه جعفر وأخرى أبطلت إمامة الحسن بموته عقيمًا أما الاثنا عشريّة فقد ذهبت إلى الزّعم بأن للحسن العسكري ولدًا "كان قد أخفى (أي الحسن) مولده، وستر أمره لصعوبة الوقت وشدّة طلب السّلطان له.. فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته ويقابل ذلك اتجاه آخر يقول: "إن الحسن بن علي قد صحت وفاته كما صحت وفاة آبائه بتواطؤ الأخبار التي لا يجوز تكذيب مثلها، وكثرة المشاهدين لموته، وتواتر ذلك عن الولي له والعدو، وهذا ما لا يجب الارتياب فيه، وصح بمثل هذه الأسباب أنه لا ولد له، فلما صح عندنا الوجهان ثبت أنه لا إمام بعد الحسن بن علي، وأن الإمامة انقطعت.. كما جاز أن تنقطع النبوة بعد محمد، فكذلك جائز أن تنقطع الإمامة، لأن الرسالة والنبوة أعظم خطرًا وأجل، والخلق إليها أحوج، والحجة بها ألزم، والعذر بها أقطع، لأن معها البراهين الظاهرة والأعلام الباهرة، فقد انقطعت، فكذلك يجوز أن تنقطع الإمامة" (١).

وقطعت كذلك فرقة أخرى بموت الحسن بن علي وأنه لا خلف له، وقالت: إن الله سيبعث قائمًا من آل محمد ممن قد مضى، إن شاء بعث الحسن بن علي، وإن شاء بعث غيره، ونحن الآن في زمن فترة انقطعت فيه الإمامة وهكذا تضاربت أقوالهم، واختلفت اتجاهاتهم، وتفرقوا شيعًا وأحزابًا كل حزب بما لديهم فرحون.. وبلغت الحيرة في تلك الفترة أن اختار بعضهم التوقف وقال: "نحن لا ندري ما نقول في ذلك وقد اشتبه علينا الأمر.. هذه بعض ملامح الخلاف الذي دب بين الشيعة بعد وفاة الحسن.

---

(١) [المقالات والفرق: ص١٠٧-١٠٨، فرق الشيعة: ص١٠٥] .

أسباب القول بالغيبة [١]:

ولعل القارئ يعجب من ذلك الإصرار الشديد على القول بإمامة أحد من آل البيت حتى ينكرون موت من مات، أو يدعون أنه حي بعد موته، أو يخترعون ولدًا لمن لا عقب له، وقليل منهم ثاب إلى رشده لما انكشف له الغطاء بموت الإمام عقيمًا فترك التحزب والتشيع وقال بانقطاع الإمامة، ورجع إلى شئون حياته. ولعل هذه الفئة هي التي تتشيع عن صدق، فلما تبين لها الأمر، وسقط القناع رجعت.

إن أهم سبب لهذا الإصرار يتبين من خلال اختلاف هذه الفرق ونزاعها فيما بينها للدفاع عن رأيها والفوز بأكثر قدر من الأتباع، حيث إن كل طائفة تنادي بمهدي لها وتكذب الأخرى، ومن خلال تلك الخصومة تتسرب الحقيقة. لنستمع ـ مثلاً ـ إلى ما ترويه الاثنا عشرية ـ التي تقول بالغيبة والوقف على الابن المزعوم للحسن للعسكري ـ في كشف حقيقة دعوى الطائفة الأخرى التي تقول بالغيبة والوقف على موسى الكاظم تقول: "مات أبو إبراهيم (موسى الكاظم) وليس من قوامه [نوابه ووكلاؤه] أحد إلا وعنده المال الكثير، وكان ذلك سبب وقفهم وجحدهم موته طمعًا في الأموال، كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار، وعند علي بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار.. "[٢] وجاء عندهم روايات أخر بهذا المعنى تكشف ما خفي.. وأن وراء دعوى غيبة الإمام وانتظار رجعته الرغبة في الاستئثار بالأموال، وأن هناك فئات منتفعة بدعوى التّشيّع تغرّر بالسّذّج، وتأخذ أموالهم باسم أنّهم نوّاب الإمام، فإذا ما توفّي الإمام أنكروا موته لتبقى الأموال في أيديهم، ويستمرّ دفع الأموال إليهم باسم خمس الإمام الغائب.

وهكذا تدور عمليات النهب والسلب.. والضحية هم أولئك السذج المغفلون الذين يدفعون أموالهم إلى من زعموا أنهم نواب الإمام في بلدان العالم الإسلامي. والذين استمرأوا هذه الغنيمة الباردة فظلوا يذكون في النفوس محبة آل البيت، واستشعار ظلم آل البيت، والحديث عن محن آل البيت، والمطالبة بحق آل البيت.. ليفرقوا الأمة، ويتخذوا من تلك الأموال وسيلة لتغذية جمعياتهم السرية التي تعمل على تقويض كيان الدولة الإسلامية ، ولعل من أسباب القول بالمهدية والغيبة أيضًا تطلع الشيعة إلى قيام كيان سياسي لهم مستقل عن دولة الإسلام، وهذا ما نلمسه في اهتمامهم بمسألة الإمامة، ولما خابت آمالهم، وغلبوا على أمرهم وانقلبوا صاغرين

---

(١) كتاب أصول مذهب الشيعة الاثنى عشرية.

(٢) [الغيبة للطوسي: ص٤٢-٤٣] .

هربوا من الواقع إلى الآمال والأحلام كمهرب نفسي ينقذون به أنفسهم من الإحباط وشيعتهم من اليأس، وأخذوا يبثون الرجاء والأمل في نفوس أصحابهم، ويمنونهم بأن الأمر سيكون في النهاية لهم. ولذلك فإن القول بالمهدية والغيبة ينشط دعاته بعد وفاة كل إمام لمواجهة عوامل اليأس وفقدان الأمل، بالإضافة إلى تحقيق المكاسب المادية كما أن التشيع كان مهوى قلوب أصحاب النحل والأهواء والمذاهب المتطرفة؛ لأنهم يجدون من خلاله الجو المناسب لتحقيق أهدافهم، والعودة إلى معتقداتهم ، فانضم إلى ركب التشيع أصناف من أصحاب هذه الاتجاهات الغالية.. وكان هذا الخليط؛ يشطح "بالشيعة" نحو معتقداته الموروثة، ولا سيما بعد أن عزلت الشيعة نفسها عن أصول الأمة، وإجماعها ، ولهذا فإن مسألة المهدية والغيبة حسب الاعتقاد الشيعي لها جذورها في بعض الديانات والنحل، مما لا يستبعد معه أن لأتباع تلك الديانات دوراً في تأسيس هذه الفكرة في أذهان الشيعة.

ويميل بعض المستشرقين أنها ذات أصل يهودي، لأن اليهود يعتقدون بأن إيليا رفع إلى السماء وسيعود في آخر الزمان، ولذلك فإن إيليا هو ـ حسب رأيهم ـ النموذج الأول لأئمة الشيعة المختفين الغائبين (١).

وفي نظري أن هذا لا يكفي لإظهار الأثر اليهودي، لأن في الإسلام أن عيسى رفع إلى السماء وسيعود في آخر الزمان، فليست هذه الفكرة التي عرضوها غريبة على الأصول الإسلامية، ولكن لأن المستشرقين ينكرون مسألة المهدية أصلاً قالوا هذا القول. إنما يبرز إيضاح الأثر اليهودي أكثر من أوجه أخرى هي أن نظرية الغيبة ترجع في أصولها إلى ابن سبأ وهو حبر من أحبار اليهود.

كذلك ما صرح به بعض شعراء الشيعة من أن فكرة المهدية مستمدة من أخبار كعب الأحبار الذي كان على دين اليهودية قبل إسلامه، ويبدو ذلك بوضوح فيما قاله شاعر الكيسانية كثير عزة في ابن الحنفية:

هو المهدي خبرناه كعب ... أخو الأحبار في الحقب الخوالي(٢)

ويقول فان فلوتن: "وأما نحن معاشر الغربيين فقد استرعت عقيدة المهدي المنتظر بوجه خاص أنظار المستشرقين منا" (٣). ثم يربط هذه العقيدة بالإسرائيليات ويردها إلى أصول يهودية ونصرانية، لأنه يرى أنها تدخل تحت نطاق التنبؤ ببعض الأشخاص

(١) [جولد سيهر/ العقيدة والشريعة: ص١٩٢] .
(٢) ديوان كثير عزة: ١/ ٢٧٥] .
(٣)ـ السيادة العربية والإسرائيليات: ص١١٠

والحوادث المعينة، وهو التنبؤ الذي أفاضت فيه كتب إسرائيلية لم تكن معروفة عند العرب في بادي الأمر، وإنما وصلت إليهم عن طريق اليهود والمسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام ، ويبدو أن ربطه هذه العقيدة باليهودية والنصرانية لمجرد أنها تدخل في نطاق الإخبار بالمغيبات الذي لا يعرفه العرب كما يقول هو ربط ضعيف، ذلك أن من معجزات رسول الإسلام العربي الهاشمي الإخبار ببعض المغيبات، لكن هؤلاء يحللون هذه المسائل وفق عقليتهم الكافرة، واتجاههم المنكر لنبوة محمد ﷺ ، وأرجح في هذه المسألة أن عقيدة الاثني عشرية في المهدية والغيبة ترجع إلى أصول مجوسية، فالشّيعة أكثرهم من الفرس، والفرس من أديانهم المجوسيّة، والمجوس تدّعي أنّ لهم منتظرًا حيًّا باقيًا مهديًّا من ولد بشتاسف بن بهراسف يُقال له: أبشاوثن، وأنّه في حصن عظيم من لعلها "بين". خراسان والصّين.(١) .

وهذا مطابق لجوهر المذهب الاثني عشري.

واضع مبدأ الغيبة عند الاثني عشرية:

نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة

إذا كان ابن سبأ هو الذي وضع عقيدة النص على علي بالإمامة ـ كما تذكره كتب الفرق عند الشيعة وغيرها ـ فإن هناك ابن سبأ آخر هو الذي وضع البديل "لفكرة الإمامة" بعد انتهائها حسيًا بانقطاع نسل الحسن، أو أنه واحد من مجموعة وضعت هذه الفكرة، لكنه هو الوجه البارز لهذه الدعوى. هذا الرجل يدعى عثمان بن سعيد العمري [ويرى الأستاذ محب الدين الخطيب أن مؤسس فكرة الغيبة هو محمد بن نصير من موالي بني نمير(٢)، وقد ورد في كتب الاثني عشرية أنه ممن ادعى البابية للغائب، وقد سبقه في ذلك رجل آخر يدعى الشريعي، وتلاه آخرون ادعوا كدعواه ، وقد قام بدوره في منتهى السرية حيث "كان يتجر في السمن تغطية على الأمر"، وكان يتلقى الأموال التي تؤخذ من الأتباع باسم الزكاة والخمس وحق أهل البيت فيضعها "في جراب السمن وزقاقة. . تقية وخوفًا"(٣).

وقد زعم ـ في دعواه ـ أن للحسن ولدًا قد اختفى وعمره أربع سنوات وقد اختلفوا في عمره حينما غاب لاختلاف رواياتهم في ذلك ـ كما سيأتي -، قال المجلسي: أكثر الروايات على أنه ابن أقل من خمس سنين بأشهر أو بسنة وأشهر، وزعم أنه لا

---

(١) تثبيت دلائل النّبوّة: ١/ ١٧٩] . (٢) الخطوط العريضة: ص٣٧ .

(٣) الغيبة للطوسي: ص٢١٤-٢١٥، محمد الصدر/ تاريخ الغيبة الصغرى: ص٣٩٦-٣٩٧ .

يلتقي به أحد سواه فهو السفير بينه وبين الشيعة يستلم أموالهم ويتلقى أسئلتهم ومشكلاتهم ليوصلهم للإمام الغائب.

ومن الغريب أن الشيعة تزعم أنها لا تقبل إلا قول معصوم حتى ترفض الإجماع بدون المعصوم، وها هي تقبل في أهم عقائدها دعوى رجل واحد غير معصوم وقد ادعى مثل دعواه آخرون، كل يزعم أنه الباب للغائب وكان النزاع بينهما على أشده، وكل واحد منهم يخرج توقيعًا يزعم أنه صدر عن الغائب المنتظر يتضمن لعن الآخر وتكذيبه، وقد جاء على ذكر أسمائهم الطوسي في مبحث بعنوان: "ذكر المذمومين الذين ادعوا البابية لعنهم الله"، ولعثمان بن سعيد ـ كما تنقل كتب الشيعة ـ وكلاء في معظم الديار الإسلامية يدعون لإمامة هذا المعدوم والقول ببابية عثمان بن سعيد. وقد جاء على ذكر هؤلاء الوكلاء ابن بابويه القمي، وهو أجمع نص لأسمائهم، كما يذكر محمد باقر الصدر ، وهناك وكلاء آخرون غير مرضيين من عثمان بن سعيد ومن يشايعه، وقد ذكر منهم الطوسي سبعة في مبحث بعنوان "ذكر المذمومين من وكلاء الأئمة" ، والفرق عندهم بين الباب والوكيل: أن الباب يلتقي بالإمام الغائب، والوكيل يلتقي بالباب ولا يرى الإمام، ويكون الواسطة بين الشيعة والباب، ولما توفي عثمان بن سعيد الباب الأول المعتمد عند الاثني عشرية، عين من بعده ابنه محمداً، ولكن خالفه في ذلك طائفة منهم، فلم ترتض ببابية ابنه، ونشأ نزاع بينهم ولعن بعضهم بعضًا، فهذا أحد المخالفين ويدعى أحمد بن هلال الكرخي لما قيل له: "ألا تقبل أمر أبي جعفر محمد بن عثمان وترجع إليه، وقد نص عليه الإمام المفترض الطاعة، يعنون إمامهم المنتظر، لأنهم يعتبرون قول الباب الأول هو قول الإمام، لأنه بابه وسفيره الوحيد، فاعتبروا تعيين عثمان بن سعيد لابنه نصًا مقدسًا من الإمام يلعن مخالفه]؟ فقال لهم: لم أسمعه ينص عليه بالوكالة، ولست أنكر أباه ـ يعني عثمان بن سعيد ـ فأما أن أقطع أن أبا جعفر وكيل [يلاحظ أنه سماه وكيلاً مع أن الاثني عشرية تسميه بالباب، وتفرق بين الوكيل والباب] صاحب الزمان فلا أجسر عليه. فقالوا: قد سمعه غيرك، فقال: أنتم وما سمعتم.. فلعنوه وتبرؤوا منه"، وتكشف بعض أوراقهم سبب هذا التنازع بينهم، يذكر الطوسي ـ مثلاً ـ عن رجل يدعى محمد بن علي بن بلال بأنه رفض بابية محمد بن عثمان العمري، وأنه جرى بينه وبين العمري قصة معرفة ـ كما يقول ـ حيث تمسك الأول "بالأموال التي كانت عنده للإمام، وامتنع من تسليمها وادعى أنه الوكيل حتى تبرأت منه الجماعة ولعنوه"(١).

---

(١) [الغيبة للطوسي: ص٢٤٥] .

فأنت تلاحظ أنه شارك عثمان بن سعيد في الوكالة، فلما توفي استأثر بالمال ، فهو تزاحم وتكالب على البابية والوكالة من أجل جمع الأموال.. وإلا لو كان هناك إمام؛ غائب، يسير أمر شيعته عن طريق الأبواب لما صارت الأموال إلى هذا الرجل المحتال، ولما كان محل ثقة الإمام صاحب الزمان، لأن الإمام عندهم يعلم ما كان وما يكون.. فلماذا لم يصدر أمره من البداية في التحذير من التعامل معه حتى لا يأخذ أموال الناس؟! لكن الحقيقة أنه لا إمام غائب؛ بل عصابات تأكل أموال الناس بالباطل باسم التشيع والتدين، وأن نزاعها كان لأجل ذلك ، ثم توفي محمد بن عثمان بن سعيد (ت٣٠٤ أو ٣٠٥هـ) بعد أن تولى البابية "نحواً من خمسين سنة ، يحمل الناس إليه أموالهم، ويخرج إليهم التوقيعات بالخط الذي كان يخرج في حياة الحسن عليه السلام إليهم بالمهمات في أمر الدين والدنيا وفيما يسألونه من المسائل بالأجوبة العجيبة" وتولى بعده رجل يدعى أبا القاسم الحسين بن روح، وقد كان كما تذكر رواياتهم يقوم بمهمة البابية في آخر حياة محمد بن عثمان؛ حيث كان يحيل إليه استلام الأموال التي يأتي بها الأشياع، ولذلك قال رجل يدعى (محمد بن علي الأسود) : كنت أحمل الأموال التي تحصل في باب الوقف إلى أبي جعفر محمد بن عثمان العمري فيقبضها مني فحملت إليه شيئًا من الأموال في آخر أيامه قبل موته بستين أو ثلاث سنين، فأمر بتسليمه إلى أبي القاسم الروحي فكنت أطالبه بالقبوض، فشكا ذلك إلى أبي جعفر (محمد بن عثمان) فأمرني ألا أطالبه بالقبوض، وقال: كل ما وصل إلى أبي القاسم فقد وصل إليّ، فكنت أحمل بعد ذلك الأموال إليه ولا أطالبه بالقبوض ، ولما تردد أحدهم في تسليم أمواله إلى أبي القاسم بن روح غضب منه الباب محمد بن عثمان وقال له: لم لم تمتثل ما قلته لك؟ ولكن الرجل حاول أن يلاطفه ويهدئ من غضبه خشية أن يخرج له توقيعًا بلعنه والبراءة منه كعادة [وهي كصكوك الحرمان عند النصارى] الأبواب فيمن يرفض دفع الأموال إليهم، فقال له متلطفًا: "لم أجسر على ما رسمته لي" إلا أن الباب أجابه وهو غاضب وقال له: "قم كما أقوال لك" يقول الرجل: "فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرت إلى أبي القاسم بن روح وهو دار ضيقة فعرّفته ما جرى فسر به وشكر الله عز وجل، ودفعت إليه الدنانير، وما زلت أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك من الدنانير" ، فأنت تلاحظ ما تحيط به الرموز الشيعية نفسها من صفة القداسة، وما تضفي به على قولها من العصمة ووجوب الطاعة المطلقة، وإلا فاللعن والطرد من رحمة الله ، كما تلاحظ بأن لغة المال هي السائدة في التوقيعات المنسوبة للمنتظر وعلى ألسنة الأبواب والوكلاء

وكان اختيار أبي القاسم لأنه أحفظ لسر المكان الذي يقيم فيه الغائب، حيث إن اختيار الباب يتم من قبل الدوائر الشيعية حسب مواصفات خاصة لعل من أبرزها حفظ السر، وعدم الظهور والشهرة، يدل على ذلك ما جاء في الغيبة للطوس "أن سهلاً النوبختي سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح دونك؟ فقال: هم أعلم وما اختاروه [لاحظ أنه عزا الاختيار ـ فيما يظهر ـ إلى شيوخ الشيعة، وهم يزعمون أن ذلك إلى الإمام الغائب]، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم، ولو علمت بمكانه [أي مكان المهدي الغائب لأنه لا يعلم بمكانه سوى الباب] كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة على مكانه لعلي كنت أدل على مكانه، وأبو القاسم فلو كانت الحجة [يعني القاسم المنتظر الغائب] تحت ذيله وقرض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه" ورغم ذلك فقد أثار تعيين أبي القاسم بن روح نزاعًا كبيراً بين الخلايا السرية، فانفصل عدد من رؤسائهم وادعوا البابية لأنفسهم. . وكثر التلاعن بينهم، وقد اضطر بعضهم لأن يكشف حقيقة دعوى البابية تلك بسبب أنه لم ينجح في اقتناص مجموعة أكبر من الأتباع، ومن هؤلاء محمد بن علي الشلمغاني المقتول سنة(٣٢٣هـ) وهو ممن ادعى النيابة عن مهدي الروافض، ونافس أبا القاسم الحسين بن روح عليها، وفضح أمرهم فقال: "ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف"(١)

ويعقب على ذلك أحمد الكروي الإيراني (الشيعي الأصل): "لقد صدق فيما قال، فإن التخاصم لم يكن إلا لأجل الأموال، كان الرجل يجمع المال ويطمع فيه فيدعي البابية لكيلا يسلمه إلى آخر"(٢).

ثم ما لبث ابن روح أن توفي سنة (٣٢٦هـ) فانتقلت البابية بوصية منه إلى رجل رابع يدعى: أبا الحسن علي بن محمد السمري ، والذي تولى منصب البابية وكان قد انقضى على غيبة الإمام قرابة سبعين عامًا لم يتحقق فيها أمل الشيعة في رجعته رغم انتظارهم إياه وتلهفهم عليه ، وقد تخلفت وعود الشيعة بالظهور للغائب المستور، وساد الشك الأوساط الشيعية، وبدأت تتكشف حقيقة الأمر بعد النزاع الحاد الذي وقع بين أدعياء البابية، ولذلك اختفى نشاط الباب تمامًا، فلا تجد له في كتب الشيعة مثل

---

(١) انظر عنه: الغيبة للطوسي: ص ٢٤١- ٢٤٨]، [البداية والنهاية لابن كثير: ١١/ ١٧٩، الكامل: / ٢٩٠

(٢) التشيع والشيعة: ص٣٣ .

ما تجد لأسلافه من الرقاع والتوقيعات التي ينسبونها للغائب المنتظر. وقد اعترف بذلك بعض الشيعة وإن حاول أن يتستر على تلك الأسباب فيعزو الأمر إلى كثرة الضغوط على الشيعة(١).

وقد استمر السمري في منصبه (الشكلي) ثلاث سنوات [لأنه توفي سنة (٣٢٩هـ) ، وربما أدركته "الخيبة وشعر بتفاهة منصبه كوكيل معتمد للإمام الغائب(٢)، فلما قيل له وهو على فراش الموت: من وصيك من بعدك؟ قال: لله أمر هو بالغه" ، وهكذا انتهت دعوى الصلة المباشرة بالغائب، لأن أوراقها انكشفت بسبب التنافس عليها، ووصلت دعوى الغيبة إلى طريق مسدود، إذ لم تنجح فكرة البابية الخاصة، ولكن أخرج شيوخ الشيعة توقيعًا منسوبًا للسمري عن المنتظر يعلن فيه انقطاع البابية المباشرة، واختراع مبدأ النيابة العامة التي يشترك فيها شيوخ الشيعة ـ كما سيأتي -.

وبعد هذا التغيير خرجت قضية غيبة المهدي من طريقها المسدود، واختفت ظواهر النزاع على منصب البابية واقتسمت الغنيمة بين الجميع بالسوية، وقررت عقيدة النيابة والتي ستتحدث عنها بعد استعراضنا لقضية المهدي عند الشيعة.

هؤلاء الأبواب الأربعة: عثمان بن سعيد، وابنه، وابن روح، والسمري، هم المؤسسون لقضية الغيبة والمهدية، أو هم الوجوه البارزة التي رسمت نظرية المهدي عند الاثني عشرية، وتسمى فترة عملهم بالبابية: "الغيبة الصغرى" والتي استمرت سبعين سنة أو تزيد [يقول شيخهم وآيتهم جعفر النجفي أن الغيبة الصغرى استمرت ٧٤ سنة ويبدو أن هذا التحديد غير متفق عليه بينهم، ففي تنقيح المقال للمامقاني رد ـ فيما يظهر ـ لهذا التحديد حيث قال: "وما قيل إن مدة الغيبة أربع وسبعون سنة اشتباه بلا شبهة، إلا أن يحسبها من سنة الولادة" (أي ولادة منتظرهم المزعومة) ثم ذكر أن مدتها ثمان أو تسع وستون سنة إلا شهراً بينما يذكر الصدر أن مدتها سبعون سنة .

وسنتناول نظرية المهدية والغيبة كما جاءت في كتب الاثني عشرية، ونتعرف على مضامينها، حيث أصبحت اليوم هي أساس المذهب الشيعي.

الخطوط العامة لقصة المهدية عند المصنف وعلماء الاثني عشرية:

من تفسير الصافى : سورة الأنعام وتمت كلمت ربك في الكافي: عن الصادق (عليه السلام) إن الأمام يسمع في بطن أمه فإذا ولد خط بين كتفيه، وفي رواية بين عينيه. وفي أخرى: على عضده الأيمن (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) الآية فإذا

---

(١) محمد باقر الصدر/ تاريخ الغيبة الصغرى: ص ٤١٤ .

(٢) رونلدسن/ عقيدة الشيعة، ص ٢٥٧ .

صار الأمر إليه جعل الله له عمودا من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة. وفي رواية فبهذا يحتج الله على خلقه. وفي الخرائج عن حكيمة لما ولد القائم كان نظيفا مفروغا منه وعلى ذراعه الأيمن مكتوب جاء الحق الآية

سورة الأنبياء(١٠٥) ولقد كتبنا في الزبور في كتاب داود عليه السلام من بعد الذكر.

وفي المجمع عن الباقر عليه السلام في قوله أن الارض يرثها عبادي الصالحون قال هم أصحاب المهدي عليه السلام في آخر الزمان.

سورة المؤمنون وقد تظاهرت الأخبار عن ائمة الهدى من آل محمد صلوات الله عليهم في ان الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي عليه السلام قوما ممن تقدم موتهم في اوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويتبهجوا بظهور دولته ويعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العقاب في القتل على ايدي شيعته أو الذل والخزي مما يشاهدون من علو كلمته ولا يشك عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الامم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرناه في موضعه وصح عن النبي صلى الله عليه وآله قوله سيكون في امتي كل ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو ان احدهم دخل حجر ضب لدخلتموه. ما سبق نقلا من تفسير الصافى

الرد من رسالة أصول مذهب الشيعة (١).

قصة المهدي في كتب الشيعة قصة غريبة، نسج الخيال خيوطها وبلغ مداه في صياغة أحداثها، وتحولت إلى أسطورة كبرى لا تجد إلى العقل منفذًا، ولا في الفطر السليمة قبولاً حتى أنكرتها أكثر الفرق الشيعية التي عاصرت ولادتها، ولنعرض لخطوطها العامة بدءًا من اختيار الحسن لأم المهدي المزعوم، إلى ولادة المهدي، واختفائه، ثم عودته، وسيرته.

أما اقتران الحسن بأم المهدي فقد صاغت كتب الشيعة أحداثه بما يشبه قصص ألف ليلة وليلة، فاختيار الحسن العسكري للجارية التي ينسبون لها الولد قد تم - كما تصوره كتب الشيعة - عن دراية بالغيب المستور، فهو يبعث خادمه لسوق بيع الجواري، ويعطيه أوصاف الجارية، ونوع لباسها، والكلام الذي ستنطق به أثناء بيعها، وما يحدث أثناء المساومة، ويرسل معه كتابًا لها بالرومية ما إن تنظر إليه حتى تبكي

(١) انظر: ص٨٢٨-٨٣٠ من رسالة أصول مذهب الشيعة.

بكاءً شديداً وتتمسح به، وحينما يعجب الخادم من كل ذلك تكشف له عن هويتها وأنها مليكة بنت يوشع بن قيصر ملك الروم. وتسرد له قصة حياتها، ووقوف الكوارث أمام زواجها من خطابها، وأنها رأت في منامها أن رسول الله ﷺ جاء يخطبها من المسيح وقال له: "يا روح الله جئتك خاطبًا من وصيك شمعون فتاته مليكة لابني هذا، وأومأ بيده إلى أبي محمد" (الحسن العسكري). ثم تتابع الرؤى عليها حتى تزورها في المنام أم الحسن العسكري، ومعها مريم بنت عمران، وألف وصيفة من وصائف الجنان فتقول لها مريم: هذه سيدة النساء [لاحظ إطلاق هذا اللقب على أم الحسن العسكري؛ فهل هي أفضل من فاطمة؟!] أم زوجك أبي محمد عليه السلام، فتتعلق بها أم المهدي وتبكي وتشكو إليها امتناع الحسن العسكري من زيارتها، لكن أم الحسن قالت لها: إن ابني محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله [أبو محمد لا يزورها وهي مشركة، وسيدة النساء، ومريم، ووصائف الجنة يزرنها وهي مشركة!] . ثم تمضي أحداث القصة حتى تسلم بتأثير هذه المنامات، فتبدأ زيارات الحسن العسكري لها في الأحلام.

ثم تذكر قصة وقوعها في أسر المسلمين، واختيارها لاسم "نرجس" إخفاءً لحقيقتها، ثم طلبها من مالكها ألا يبيعها إلا لمن ترضاه وهو الذي يحمل المواصفات التي أوحي إليه بها في المنام، ثم تلتقي بعد ذلك بالحسن ولا تجد غرابة في لقائه لأنها تعرفه وتتصل به من قبل ذلك من خلال الرؤى والأحلام، فيزف لها البشرى بولد يملك الدنيا شرقًا وغربًا ويملأ الأرض قسطًا وعدلاً ، أما حملها بالمهدي فأغرب وأعجب، إذ لم يظهر عليها أثر الحمل مع أن حكيمة بنت محمد [حكيمة بنت محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق] ـ كما يقولون ـ حاولت التثبت من حملها فوثبت إليها ـ كما تزعم رواياتهم ـ فقلبتها ظهراً لبطن فلم تر فيها أثراً للحمل، وعادت إلى الحسن وأخبرته، لكنه أكد لها وجود الحمل وقال لها: "إذا كان وقت الفجر يظهر لك الحبل" ، والأغرب من ذلك أن أم الولد نفسها حتى ليلة ولادتها لم تعلم بأمر حملها حتى قالت لحكيمة: "يا مولاتي ما أرى بي شيئًا من هذا" ، ويبدو أن نفي ظهور أثر الحمل عليها هي حيلة أو محاولة للتخلص مما ثبت حتى لدى الشيعة من قيام جعفر (أخي الحسن العسكري) بحبس نساء الحسن وإمائه ـ بعد وفاة الحسن ـ لاستبرائهن حتى ثبت للقضاي والسلطان براءة أرحامهن من الحمل، وتم بعد ذلك قسمة ميراث الحسن، وهذه الرواية التي تنفي تبين أمارات الحمل حتى لأم الوليد تثبت في آخرها ما ينقض هذا الزعم وهو أن المولود كان يتكلم وهو في بطن أمه حتى قالت حكيمة: "فأجابني الجنين من بطنها يقرأ مثل ما أقرأ وسلم

علي"، وكذلك يروي الطوسي عن حكيمة نفسها أنها قالت حينما استدعاها الحسن إلى بيته للإشراف على ولادة المهدي من جاريته فقالت: "جعلت فداك يا سيدي الخلف ممن هو؟ قال: من سوسن ـ تقول ـ فأدرت نظري فيهن فلم أر جارية عليها أثر غير سوسن.." فهي في هذه الرواية تدرك حملها بمجرد النظر إليها، وفي رواية ابن بابويه تقلبها ظهراً لبطن فلا تجد أثراً، وهي هنا تسميها سوسن، وهناك تسميها نرجس، كما تسمى في بعض رواياتهم بأسماء أخرى [تسمى ريحانة، وصقيل] وكل يضع كما يشاء، وكتب الاثني عشرية تستوعب الجميع، وحينما ولد "سقط.. من بطن أمه جاثيًا على ركبتيه، رافعًا سبابتيه إلى السماء ثم عطس فقال: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله، زعمت الظلمة أن حجة الله داحضة، لو أذن لنا في الكلام لزال الشك" وفي رواية أخرى أنه سقط ساجداً لله وهو يتشهد، ويدعو بقوله: "اللهم أنجز لي ما وعدتني.." ثم عرج بهذا المولود إلى السماء بواسطة طيور خضر، وحينما تبكي الأم نرجس خوفًا على ولدها يجيبها الحسن بقوله: "سيعاد إليك كما رد موسى إلى أمه" أما نموه فهو مخالف تمامًا لسنة الله في خلقه، وخارج عن النواميس الطبيعية التي يخضع لها الكائن الحي بأمر الله، يصور ذلك الخبر المروي على لسان حكيمة بنت محمد، حيث تقول: "لما كان بعد أربعين يومًا [يعني من مولده] دخلت على أبي محمد عليه السلام فإذا مولانا الصاحب يمشي في الدار فلم أر وجهًا أحسن من وجهه، ولا لغة أفصح من لغته، فقال أبو محمد عليه السلام: هذا المولود الكريم على الله عز وجل، فقلت: سيدي أرى من أمره ما أرى وله أربعون يومًا، فتبسم وقال: يا عمتي أما علمت أنا معاشر الأئمة ننشأ في اليوم ما ينشأ غيرنا في السنة، وفي رواية القمي "إن الصبي منا إذا كان أتى عليه شهر كان كمن أتى عليه سنة، وإن الصبي منا يتكلم في بطن أمه ويقرأ القرآن، ويعبد ربه عز وجل عند الرضاع، تطيعه [كذا في الأصل المنقول عنه ولعله "تطعمه"] الملائكة وتنزل إليه صباحًا ومساءً" ولكن هذا المولود الذي يحمل كل هذه الظواهر الخارقة لا يعلم به أحد ولا يرى له أثر، فما فائدة إجراء هذه الخوارق إذن؟، ثم ما لبث أن غاب ولم يعلم بأمره ولا غيبته أحد إلا "حكيمة" والتي تقول ـ كما تنسب إليها الرواية -: إن الحسن أمرها ألا تفشي هذا الخبر في أمر هذا المولود حتى ترى اختلاف شيعته بعد وفاته، حيث قال ـ الحسن-: "فإذا غيب الله شخصي وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات منهم فإن ولي الله يغيبه الله عن خلقه ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد حتى يقدم له جبرائيل عليه السلام فرسه ليقضي الله أمراً كان مفعولاً"،

فمسألة المهدي وغيبته تسربت إلى الشيعة عن طريق حكيمة كما تقوله رواية شيخ الطائفة وما أدري كيف يقبل الشيعة قول امرأة واحدة غير معصومة في أصل المذهب، وهم الذين يردون إجماع الأمة بأسرها إذا لم يكن المعصوم فيهم ولو في مسألة فرعية؟!، وتلاحظ أن إمامهم يأمر بحجب أمر المهدي وغيبته إلا عن الثقات من شيعته، مع أن من لم يعرف الإمام ـ عندهم ـ فإنما يعرف ويعبد غير الله ، وإن مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق.

أما وقت غيبة المهدي فإن روايات الشيعة تتضارب في تحديده. فيروي الطوسي أن حكيمة قالت: ". . فلما كان بعد ثلاث (من مولده) اشتقت إلى ولي الله فصرت إليهم فبدأت بالحجرة التي كانت سوسن فيها، فلم أر أثرًا ولا سمعت ذكرًا، فكرهت أن أسأل فدخلت على أبي محمد عليه السلام فاستحيت أن أبدأ بالسؤال فبدأني فقال: هو يا عمة في كنف الله وحرزه وستره وغيه حتى يأذن الله له"

وفي رواية ثانية أن حكيمة فقدته بعد سبعة أيام ، وفي رواية ثالثة: أنها رأته بعد أربعين يومًا يمشي في الدار ثم فقدته بعد ذلك، وفي رواية أخرى أن حكيمة كانت تختلف إلى دار العسكري، تزوره كل أربعين يومًا، وقبل وفاته بأيام قلائل ـ كان عمر المهدي آنذاك خمس سنوات على الأكثر [لأن مولده كما تقول رواياتهم في سنة ٢٥٥ أو٢٥٦ ، ووفاة العسكري سنة ٢٦٠هـ] زارت دار العسكري كعادتها، تقول: فرأيته رجلاً فلم أعرفه، فقلت لابن أخي عليه السلام: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه؟ فقال لي: هذا ابن نرجس، هذا خليفتي من بعدي وعن قليل تفقدوني فاسمعي له وأطيعي" .

وهكذا غاب المهدي ولم يعلم بأمره أحد سوى حكيمة التي أودعت خبره ثقات الشيعة ـ كما تقول رواياتهم

أما مكان الغيبة فإنه كان موضع السرية والكتمان، ولما تناهى إلى شيعته خبر الغيبة المزعومة حاولوا التعرف على مكانه إلا أن الباب الذي يدعي الصلة به رفض البوح بشيء من ذلك وأخرج "توقيعًا" سريًا ينسبه للمهدي يقول فيه: ". . إن عرفوا المكان دلوا عليه" ، فهذا النص يشير إلى أنه في مكان معين، وفي مخبأ سري لا يعرفه إلا الباب، وأن سب كتمان مكان غيبته عن شيعته هو خوفه من إخبارهم للغير بمكانه، ولكن دلت بعض روايات الكافي على البلد الذي يختفي فيه، حيث قالت: "لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة، ولابد له في غيبته من عزلة، ونعم المنزل طيبة" فهي تشير إلى أنه يختبئ بالمدينة المنورة، لأن طيبة من أسمائها، ولما قال أحدهم

للحسن العسكري: إن حدث بك حدث فأين أسأل عنه؟ قال: بالمدينة: يحتمل أن يراد بالمدية سر من رأى وهذا الاحتمال قد لا يرد في الرواية التي قبلها] .بينما يروي الطوسي في الغيبة أنه مقيم بجبل يدعى رضوى، حيث يقول في روايته: "... عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: خرجت مع أبي عبد الله عليه السلام فلما نزلنا الروحاء [الروحاء: بفتح أوله: ممدود: قرية جامعة لمزينة، بينما وبين المدينة أحد وأربعون ميلاً ، نظر إلى جبلها مطلاً عليها، فقال لي: ترى هذا الجبل؟ هذا جبل يدعى رضوى [رضوى: وهو جبل بالمدينة فيه أشجار ومياه كثيرة، وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية به مقيم حي يرزق ، من جبال فارس أحبنا فنقله الله إلينا، أما إن فيه كل شجرة مطعم، ونعم أمان للخائف مرتين، أما إن لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين واحدة قصيرة والأخرى طويلة" وتذكر روايات أخرى أنه يختفي في بعض وديان مكة، فقد جاء في تفسير العياشي وغيره أن أبا جعفر قال: "يكون لصاحب هذا الأمر غيبة في بعض هذه الشعاب ـ ثم أومأ بيده إلى ناحية ذي طوى [ذي طوى: بفتح أوله، مقصور منون، على وزن فعل: واد بمكة، غير أن أحاديثهم في الأدعية والزيارة لمقامات الأئمة تلوح إلى أنه مقيم بسرداب سامراء [قال ياقوت: سامراء بلد على دجلة فوق بغداد بثلاثين فرسخًا يقال لها: سر من رأى فخففها الناس وقالوا: سامراء وفيها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه]، ولذلك جاء فيها "ثم ائت سرداب الغيبة وقف بين البابين، ماسكًا جانب الباب بيدك، ثم تنحنح كالمستأذن، وسم وانزل، وعليك السكينة والوقار، وصل ركعتين في عرضة السرداب وقل: .. اللهم طال الانتظار وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتصار، اللهم أرنا وجه وليك الميمون، في حياتنا وبعد المنون، اللهم إني أدين لك بالرجعة، بين يدي صاحب هذه البقعة، الغوث الغوث الغوث يا صاحب الزمان، قطعت في وصلتك الخلاف، وهجرت لزيارتك الأوطان، وأخفيت أمري على أهل البلدان لتكون شفيعًا عند ربك وربي.. يا مولاي يا ابن الحسن بن علي جئتك زائراً لك" وتشير بعض أخبارهم إلى أن معه في غيبته ثلاثين من أوليائه يؤنسونه في وحدته "وما بثلاثين من وحشة"

وتخصيص السرداب بتلك ادعية والمناجاة والاستئذان عند الدخول.. يدل على أن واضعي تلك الروايات يوهمون أتباعهم بوجوده في السرداب، ولهذا قال ابن خلكان: "والشيعة ينتظرون خروجه في آخر الزمان من السرداب بسر من رأى" ، وذكر ابن الأثير أنهم يعتقدون أن المنتظر بسرداب سامراء ورغم ذلك فإن بعض الشيعة

المعاصرين ينفي ما هو واقع ويقول: "لم يرد خبر ولا وجد في كتاب من كتب الشيعة أن المهدي غاب في السرداب.. ولا أنه عند ظهوره يخرج منه، بل يكون خروجه بمكة ويبايع بين الركن والمقام" ولكن عمل الشيعة يخالف ذلك، ويتفق مع ما جاء في كتب الزيارة عندهم. فقد ظل الشيعة ـ كما يقول الشيعي أمير علي ـ إلى أواخر القرن الرابع عشر الميلادي الذي صنف فيه ابن خلدون تاريخه الكبير يجتمعون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب سرداب سامراء فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون إلى بيوتهم بعد طول الانتظار وهم يشعرون بخيبة الأمل والحزن

وكان هذا الانتظار مثار سخرية الساخرين حتى قيل:

ما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنكم ... ثلثتم العنقاء والغيلانا

وقال ابن القيم: "ولقد أصبح هؤلاء عاراً على بني آدم، وضحكة يسخر منهم كل عاقل" ولهذا جاء في أدعيتهم ما يشعر بأنهم صاروا بهذا الاعتقاد موضع السخرية والشماتة فيدعو أحدهم ويقول ـ مناجيًا الغائب -: "طال الانتظار وشمت بنا الفجار.."

وقد جاء في بعض أدعية الزيارات عندهم ما ينبئ عن حيرتهم في مكانه الذي يختفي فيه، فهم يهتفون به ويقولون: ".. ليت شعري أي استقر بك النوى، بل أي أرض تقلك أو ثرى، أبرضوى أم غيرها، أم ذي طوى.." هذا وتذكر روايات أخرى لهم أنه ليس له مكان ثابت بل هو يعيش بين الناس "يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه" وهكذا تختلف أخبارهم في تحديد مكانه، وكل زمرة تذهب في هذا مذهبًا على اختلاف الفصائل الشيعية أو على اختلاف الأحوال والأزمنة، أو حتى تستمر لعبة التلبيس والتزوير.

ومن الطبيعي أن تختلف مادام غائبهم لا وجود له.

وإذا كان مكانه موضع السرية في بعض أخبارهم، فإن اسمه أيضًا قد حجب عن شيعته، فقد جاء في "توقيعات" المنتظر التي تصدر عن "بابه": "إن دللتم على الاسم أذاعوه.."

فهذا النص يشير إلى أنه مجهول الاسم، كما هو مجهول المكان والولادة والنشأة.. ولكن ورد في كتب الشيعة أن اسمه محمد، غير أن روايات الشيعة كانت تحرم تسميته باسمه حيث جاء فيها: "ولا يحل لكم ذكره باسمه" بل اعتبرت من يسميه باسمه في عداد الكافرين، وقالت: "صاحب هذا الأمر لا يسميه باسمه إلا

كافر "(١)، ولذلك تلاحظ حين يرد ذكره في رواياتهم يكتب اسمه بالحروف المقطعة هكذا: م ح م د. ولما قالوا: كيف نذكره؟ قال الحسن العسكري: "قولوا: الحجة من آل محمد صلوات الله عليه وسلامه" وكانت الدوائر الشيعية القديمة لا تذكره فيما بينها إلا بالرمز الذي لا يعرفه سواهم كالغريم، ولهذا قال المفيد عن إطلاق هذا اللقب عليه: "هذا رمز كانت الشيعة تعرفه قديمًا بينها، ويكون خطابها عليه السلام ـ كذا ـ للتقية"، ورموزهم التي يطلقونها عليه كثيرة مثل: "القائم والخلف، والسيد، والناحية المقدسة، والصاحب، وصاحب الزمان، وصاحب العصر، وصاحب الأمر وغيرها"، ويرى بعض شيوخهم أن النهي عن التصريح بالاسم خاص بزمن الخوف والتقية.

وعملية الكتمان تلك تنبئ عن تنظيم سري داخل الدولة الإسلامية، يتخذ أتباعه لغة الرمز والإشارة للتفاهم فيما بينهم، وهي من جانب آخر محاولة للتستر على الكذب، وإخفاء الحقيقة، ثم هي تنقض ما يدعونه أن مهديهم قد ذكر باسمه، ووصفه من قبل، باب ما نص الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحدًا واحدًا:

أما مدة الغيبة: فإن مخترعي هذه الفكرة كانوا صسيئ المدة، وسرعة العودة لغائبهم، حتى أكدوا في رواياتهم بأنها لا تعدو ست سنين في أقصى الأحوال، فقد جاء في الكافي عن علي بن أبي طالب ـ كما يفترون ـ أنه قال عن منتظرهم: "تكون له غيبة وحيرة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون" ولما سئل كم تكون الحيرة والغيبة، قال: "ستة أيام أو ستة أشهر، أو ست سنين.." ويبدو أن هذا النص قد وضع في الأيام الأولى لنشوء فكرة الغيبة، لتسكين النفوس الثائرة وتهدئة القلوب الحائرة التي أفاقت على الحقيقة المرة حينما مات الإمام بلا عقب، وانجلت الخدعة وتبينت الحقيقة، فربطت حينئذ دعوى الغيبة بهذا الوعد القريب لتكون أقرب للتصديق وأسهل، وليضمنوا الكسب الحاضر للمال الجاهز الذي ينتظر ظهور الإمام ليدفع إليه باسم حق آل البيت..، وفي البداء والتقية متسع للتأويل، والرجوع عن الكلام.. في المستقبل.. وهذا ما وقع بالنسبة لموقف شيوخهم المتأخرين من هذا النص، حيث قال بعضهم: يحتمل أن يكون المراد أن الغيبة والحيرة في ذلك القدر من الزمان أمر محتوم ويجري فيهما البداء بعد ذلك، ومنهم من حاول التخلص بغير هذا [حيث قال بعضهم: يحتمل أن المقصود تحديد مدة الحيرة بهذه الفترة لا الغيبة (نفس الموضع من المصدر السابق) مع أن الحيرة والشك قد صاحبتهم في أمر الغيبة كما يظهر ذلك لك

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٣٣٣، إكمال الدين: ص٦٠٧ .

من الكتب التي ألفت في هذه المسألة، وأن السبب في تأليفها يعود لعنصر الشك في الغيبة الذي سيطر على أذهان الكثير منهم، ولكن لم يجرؤ أحد منهم على الطعن في مسألة الغيبة ذاتها] . كما جاء عندهم توقيت ظهور هذا الأمر في السبعين من الغيبة، ثم غير إلى مائة وأربعين، ثم أخر إلى غير أمد معين، ونسبوا للأئمة استطلاع وقت خروج الغائب من الحروف المقطعة في أوائل السور ويظهر من رواياتهم أن الرموز التي تدير دفة التشيع كانت تمني أتباعها بقرب الفرج والظهور للغائب المستور، حتى كان من الشيعة من يتوقع خروج الغائب بين لحظة وأخرى، فقد جاء في أخبارهم أن منهم من ترك البيع والشراء والعمل بانتظار الغائب واشتكوا من هذه الحالة حتى قال بعضهم: "لقد تركنا أسواقنا انتظاراً لهذا الأمر حتى ليوشك الرجل منا أن يسأل في يده" ولكن الهدف من هذه الوعود هو ما أشرنا إليه من محاولتهم إمرار "لعبتهم" وإزالة شك الأتباع وحيرتهم، وهذا ديدنهم في تعليل الشيعة بالأماني، وتخديرهم بالوعود حتى اعترفوا في أخبارهم: "إن الشيعة تربى بالأماني منذ مائتي سنة"، وسبب ذلك أنه لو قيل لهم: "إن هذا الأمر لا يكون إلا مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقست القلوب، ولرجعت عامة الناس عن الإسلام (يعني مذهبهم)، ولكن قالوا: ما أسرعه وما أقربه تألفًا لقلوب الناس وتقريبًا للفرج" واختلفت رواياتهم التي وضعت لمعالجة مشكلة تحديد فترة الغيبة في طريقة معالجتها، فهي تارة أمر بالتسليم وتقول: "إذا حدثناكم بحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله، وإذا حدثناكم بحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرتين" وهي تارة تعزو سبب إخلاف الوعد للظهور الذي حددته الأئمة بإفشاء الشيعة لسره، ولذلك حينما قال بعضهم: "ما لهذا الأمر أمد ينتهي إليه ويريح أبداننا؟ قال (إمامهم): بلى، ولكنكم أذعتم فأخره الله" وتقول رواياتهم: "إن الله تبارك وتعالى قد كان وقّت هذا الأمر. . إلى أربعين ومائة، فحدثناكم" فأذعتم الحديث، فكشفتم قناع الستر [في بعض النسخ قناع السر] ولم يجعل الله له بعد ذلك وقتًا عندنا وهي تارة تعزو ذلك لقتل الحسين، يقول أبو عبد الله [من المعلوم أن جعفراً مات قبل نشوء فكرة الغيبة، ولكنهم ينسبون لجميع الأئمة أخباراً في وقوع الغيبة]: إن الله تبارك وتعالى قد كان وقت هذا الأمر في السبعين [قال شارح الكافي: في السبعين من الغيبة على الظاهر] فلما أن قتل الحسين صلوات الله عليه اشتد غضب الله تعالى على أهل الأرض، فأخره. . "

وهم ينظمون ذلك كله في عقيدة البداء، ولذلك قال المازندراني: "توقيت ظهور

هذا الأمر.. توقيت بدائي فلذلك جرى فيه البداء" وهي حينًا تنفض اليد من أخبار التوقيت كلها وتقول: "كذب الوقاتون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلمون، "كذب الوقاتون، إنا أهل بيت لا نوقت، ما وقتنا فيما مضى ولا نوقت فيما يستقبل، من وقت لك من الناس شيئًا فلا تهابن أن تكذبه فلسنا نوقت لأحد وقتًا" "أبى الله إلا أن يخالف وقت الموقتين" وهكذا تتضارب أخبارهم وتتناقض، لأن الوضع يتم حسب الظروف والمناسبات.

أما سبب غيبته: فقد جاء في الكافي عن زرارة قال: "سمعت أبا عبد الله يقول: إن للقائم عليه السلام غيبة قبل أن يقوم، قلت: ولم؟ قال: إنه يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه ـ يعني القتل"

وجاءت عندهم روايات عدة في هذا المعنى ، وأكد ذلك شيخ الطائفة الطوسي بقوله: "لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار وكان يتحمل المشاق والأذى، فإن منازل الأئمة وكذلك الأنبياء عليهم السلام إنما تعظم لتحملهم المشاق العظيمة في ذات الله تعالى" ولكن هذا التعليل للغيبة الذي يؤكده شيخ الطائفة لا يتصور في حق الأئمة ـ على ما يعتقد الشيعة ـ لأن الأئمة "يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم". كما أثبت ذلك الكليني في الكافي في روايات عديدة، وبوب لها بهذا اللفظ المذكور ، وأثبت ذلك المجلسي في بحار الأنوار وبوب له بلفظ: "أنهم عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنه لا يقع ذلك إلا باختيارهم ، فكيف يخرجون من هذا التناقض؟! [وقد رجعت إلى شرح الكافي للمازندراني لأطلع على ما يقوله في روايات الكافي التي تعلل غيبته بخوفه من القتل.. فوجدته مر عليها ولم يتعقبها بشيء] .كما أن الأئمة ـ على حد ما يعتقد الشيعة ـ «يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء" ، كما قرر ذلك الكليني في باب يحمل العنوان المذكور ، فبوسعهم أن يحترزوا من الخطر بما لا يخطر على بال أحد ، ثم لماذا لم يقتل واحد من أولئك النواب الأربعة الذين يدعون الصلة بالإمام مباشرة وهم ليسوا كالإمام لا يموتون إلا باختيار منهم؟!

كذلك قد توفر الأمن التام للإمام في أثناء قيام بعض الدول الشيعية فلماذا لم يخرج إليهم، ويأنسوا بطلعته، ويستفيدوا من علمه، وسلاحه، وقوته.. وإذا مازالت الدولة رجع إلى مكمنه؟ ولذلك قال أحمد الكسروي ـ الشيعي الأصل ـ: "إذا كان منتظرهم قد اختفى لخوفه على نفسه فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه الشيعيون على بغداد، وصيروا خلفاء بني العباس طوع أمرهم؟ فلم لم يظهر عندما قام الشاه

إسماعيل الصفوي وأجرى من دماء السنيين أنهاراً؟ فلم لم يظهر عندما كان كريمخان الزندي وهو من أكبر سلاطين إيران يضرب على السكة اسم إمامكم (صاحب الزمان) ويعد نفسه وكيلاً عنه؟ وبعد، فلم لا يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين مليونًا وأكثرهم من منتظريه؟" ، وكذلك اليوم ـ من بعد الكسروي ـ قامت دولة الآيات فلم لا يخرج إليهم ولا سيما وهم يجأرون بالدعوات، والاستغاثة لخروجه منذ مئات السنين.

كما وضعت روايات تعلل الغيبة بامتحان قلوب الشيعة واختبارهم، وقد يكون هذا التعليل الذي تحمله تلك الروايات محاولة منهم لمعالجة ظاهرة الشك الذي تسلل إلى قلوب الشيعة، حيث لم تجد هذه المسألة طريقها إلى عقول كثير منهم حتى اضطرهم ذلك إلى نبذ عقيدة التشيع ورفضها.

كما مل الشيعة الانتظار للغائب الموعود حتى قال قائلهم: "قد طال هذا الأمر علينا حتى ضاقت قلوبنا ومتنا كمداً.." وأطل عليهم شبخ الشك الرهيب وقد شهد بذلك ابن بابويه القمي حيث قال: "رجعت إلى نيسابور، وأقمت فيها فوجدت أكثر المختلفين عليّ من الشيعة قد حيرتهم الغيبة، ودخلت عليهم في أمر القائم عليه السلام الشبهة" وقد صورت رواياتهم ـ التي وضعت لمعاجلة هذا الأمر كما يظهر ـ حيرتهم في أمر الغائب، وطول غيبته وانقطاع أخباره، جاء في الكافي "عن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله يقول: إن للغلام غيبة قبل أن يقوم.. وهو المنتظر وهو الذي يشك في ولادته، منهم من يقول: مات أبوه بلا خلف، ومنهم من يقول: حمل، ومنهم من يقول: إنه ولد قبل موت أبيه بسنتين وهو المنتظر، غير أن الله عز وجل يحب أن يمتحن الشيعة، فعند ذلك يرتاب المبطلون".. فعللوا هذا الاختلاف بأنه امتحان للشيعة.

وقد نقلت لنا كتب الفرق أن هذا ما حدث لهم بعد موت الحسن العسكري ـ كما سبق ـ فكأن هذه الرواية وأمثالها اخترعت لمواجهة نزعة الحيرة والشك التي داهمتهم بعد موت إمامهم عقيمًا.

وقد أكثروا من الروايات التي تجري هذا المجرى، وتصور واقعهم أبلغ تصوير.

فقد جاء في الكافي: "لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تمحصوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم إلا بعد إياس، لا والله لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد"

فهم يدعون أن ما حل بهم بسبب دعوى الغيبة إنما هو من أجل التمحيص

والابتلاء، وأنه إذا تم ذلك رجع القائم، ونسبوا إلى جعفر الصادق: أنه دخل عليه بعض أصحابه وهو يبكي كالثكلى، لأنه نظر - كما يقولون - في كتاب الجفر المشتمل على علم البلايا والمنايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فقال: "تأملت فيه مولد قائمنا عليه السلام، وغيبته وإبطاءه وطول عمى وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان، وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته وارتداد أكثرهم عن دينه.. "

فهذه الرواية المنسوبة إلى جعفر تتحدث عن ردة كثير من الشيعة بسبب دعوى الغيبة التي طال أمدها، وهي قد وضعت - كغيره - بعدما حل بهم هذا الأمر لحضهم على البقاء في نطاق التشيع، وذلك بدعوى أن هذا أمر أخبرت به الأئمة وهو من أمارات رجعة الإمام المفقود.

وقد شهد شيخهم النعماني وهو من شيوخ القرن الثالث، وممن عايش واقع الشيعة في الفترة المبكرة لدعوى الغيبة، فشهادته في ذلك في غاية الأهمية، شهد بشك جميع الشيعة في أمر الغيبة - إلا القليل - يقول: "فإنا رأينا طوائف من العصابة المنسوبة إلى التشيع، المنتمية إلى نبينا محمد وآله صلى الله عليهم ممن يقول بالإمامة.. قد تفرقت كلمتها، وتشعبت مذاهبها، واستهانت بفرائض الله عز وجل، وخفت إلى محارم الله تعالى فطال بعضهم غلواً، وانخفض بعضهم تقصيراً، وشكوا جميعًا إلى القليل في إمام زمانهم وولي أمرهم وحجة ربهم.. للمحنة الواقعة بهذه الغيبة" وقد أخذ بعضهم يلعن بعضًا، ويبرأ منه ويشهد عليه بالكفر، كما تصور ذلك رواية النعماني التي تقول: "لا يكون الأمر الذي ينتظر حتى يبرأ بعضكم من بعض ويتفل بعضكم في وجوه بعض، فيشهد بعضكم على بعض بالكفر ويلعن بعضكم بعضًا" وجعلت الرواية هذه الظاهرة الخطيرة خيراً، لأنها مؤذنة بخروج القائم فقالت: "الخير كله في ذلك الزمان، يقوم قائمنا ويدفع ذلك كله" فيبدو من خلال هذه النصوص أن محدثي الشيعة عملوا على مواجهة هذه النكسة بوضع هذه الروايات على أهل البيت وجعلوها تشير إلى ما يلحق الشيعة من التمحيص والابتلاء والردة عند وقوع الغيبة وذلك من أجل إغرائهم بالبقاء داخل نطاق التشيع الإمامي.

ورغم هذه الاعترافات والشهادات فإن فكرة الغيبة التي اضطرت الإمامية للقول بها قد أحدثت هزة عنيفة زلزلت كيان التشيع الإمامي وكادت أن تؤدي إلى سقوطه بذهاب أتباعه.. رغم ذلك فإنهم يقولون في رواياتهم: "لو علم الله أنهم يرتابون ما خيب حجته طرفة عين" فأي ريبة أشد من شك الجميع إلا القليل، ومن التفرق والتلاعن؟!. ويلاحظ كثرة التكذيب للغيبة من لدن الشيعة، ولا سيما في مراحل

نشأتها، ولعل السبب يعود إلى وضوح كذبها لمن عاصرها وعايش ظروفها، ولذلك فقد نشط مؤسسو هذه الفكرة لسد الثغرات التي تهب عليهم منها رياح الشك، وتسديد الفجوات التي تتضح منها صورة الكذب، فعالجوا مشكلة التكذيب والتلاعن والتفرق بوضع روايات على أهل البيت تنبئ بحدوثها وتبشر بالخير عند وقوعها لأنها مؤذنة بعودة القائم (ولكنها وقعت ولم يخرج القائم)، حاولوا معالجة ما ترامى إلى أسماع الشيعة من تكذيب أسرة الحسن لهذه الدعوات بوضع روايات تقول: "إن للقائم غيبة ويجحده أهله" وحينما سأل زرارة ـ الموضوع عليه الخبر [لأنه مات قبل نشوء فكرة الغيبة] ـ عن سبب ذلك قال أبو جعفر ـ فيما تزعم الرواية -: "يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه" ومن الفجوات كذلك أنه لا أحد من أسرة الحسن ولا غيرهم، يعلم بولادته ولا بمنشئه فوضعوا روايات تقول: "يبعث الله لهذا الأمر غلامًا منا، خفي الولادة والمنشأ" ومن تتبع رواياتهم بهذه الطريقة وجد العجب.

كما قاموا من جهة أخرى بوضع روايات تجعل من انتظار الفرج بخروج القائم من أفضل الأعمال وأعظمها وذلك ـ فيما يظهر ـ لطرد الملل من طول الانتظار، وإزالة الأسى الناتج عن شدة الترقب، والشعور بالحرمان من صحبة القائم الإمام. جاء في الكافي: "أقرب ما يكون العباد من الله جل ذكره وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جل وعز ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جل ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقعوا الفرج صباحًا ومساءً" فجعلوا الغيبة أمارة على ظهور الفرج مع أنه قد مضى اليوم على الغيبة أكثر من ألف ومائة سنة، ولم يقع شيء من هذه الوعود، فما تأثير ذلك على من يقرأ أمثال هذه الأماني من الشيعة؟! ألا يزداد الشك ويضعف اليقين، وقد يبحث عن مذهب آخر سوى الإسلام، لأنه قيل له ـ زورًا وبهتانًا ـ إن هذا المهدي الموعود متفق عليه بين السنة والشيعة.

ولهم روايات كثيرة في عقيدة الانتظار، وقد ذكر المجلسي منها (٧٧) رواية في باب عقده بعنوان "باب فضل انتظار الفرج، ومدح الشيعة في زمن الغيبة وما ينبغي فعله في ذلك الزمان" حتى نسبوا إلى رسول الله ﷺ أنه قال: "أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل"، يعنون به خروج منتظرهم، وجعلوا الانتظار أحب الأعمال إلى الله و"المنتظرون لظهوره أفضل أهل كل زمان"، وزعموا أن رسول الله ﷺ قال عنهم لأصحابه: "سيأتي قوم من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم، قالوا: يا رسول الله نحن كنا معك ببدر وأحد وحنين ونزل فينا القرآن. فقال: إنكم لو تحملوا ما حملوا لم تصبروا صبرهم" وغاب عن واضع الرواية من زلة

الصحابة عند الرافضة.

وجاءت عندهم روايات تطفئ ذلك التطلع لخروجه وتقول "من عرف هذا الأمر ثم مات قبل أن يقوم القائم عليه السلام كان له مثل أجر من قتل معه" وبجانب هذا الترغيب فهناك التهديد والوعيد بالكفر والخلود في النار لمن أنكر غيبة القائم حتى جعلوا إنكارها كالكفر برسالة محمد ﷺ، بل عدّوا ذلك مثل كفر إبليس.

روى صدوقهم بسنده المزعوم "عن ابن أبي يعفور قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من أقر بالأئمة من آبائي وولدي، وجحد المهدي من ولدي كان كمن أقر بجميع الأنبياء وجحد محمداً ﷺ. فقلت: يا سيدي ومن المهدي من ولدك؟ قال: الخامس من ولد السابع، يغيب عنهم شخصه ولا يحل لهم تسميته"، وافتروا على رسول الله ﷺ أنه قال: "من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني" وقال صدوقهم: "مثل من أنكر القائم عليه السلام في غيبته مثل إبليس في امتناعه في السجود لآدم" ومسألة الغيبة صارت بفعل شيوخ الشيعة مصدر حقد، ضد الصحابة ومن تبعهم بإحسان، حتى قال شيخهم الجزائري: "إني كلما أشكلت عليّ مسألة أوجبت على نفسي لعنهم، لأنهم سبب في استتار الحجة"، فتلاحظ أنهم يحاولون توجيه السخط والحقد الكامن في نفوس الشيع من مرارة الانتظار، ولوعة الاعتقاد بأن "الإمام الغائب مقموع مقهور مزاحم في حقه قد غلب قهراً" وأنه بسبب غيبته ـ كما يزعمون ـ «جرى على شيعته من أعداء الله ما جرى من سفك الدماء ونهب الأموال.." فيوجهون هذا الحقد الناتج من هذا الشعور إلى سب ولعن لخير جيل عرفته البشرية.. ومن اقتفى أثرهم.

الاستدلال على وقوع الغيبة:

من تفسير الصافى

والقمي والعياشي عن الصادق (عليه السلام) ما بعث الله نبيا من لدن آدم فهلم جرا الا ويرجع إلى الدنيا وينصر امير المؤمنين وهو قوله لتؤمنن به يعني رسول الله ولتنصرنه يعني امير المؤمنين (عليه السلام).

وفي كتاب الواحدة عن الباقر (عليه السلام) قال قال امير المؤمنين (عليه السلام) ان الله تعالى احد واحد تفرد في وحدانيته تعالى ثم تكلم بكلمة فصارت نورا ثم خلق من ذلك النور محمدا (صلى الله عليه وآله وسلم) وخلقني وذريتي ثم تكلم بكلمة فصارت روحا فأسكنه الله في ذلك النور واسكنه في ابداننا فنحن روح الله وكلماته فبنا احتجب على خلقه فما زلنا في ظلة خضراء لا شمس ولا قمر ولا ليل

ولا نهار ولا عين تطرف نعبده ونقدسه ونسبحه وذلك قبل أن يخلق خلقه واخذ ميثاق الأنبياء بالأيمان والنصرة لنا وذلك قوله عز وجل (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه) يعني لتؤمنن بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولتنصرن وصيه وسينصرونه جميعا وان الله اخذ ميثاقي مع ميثاق محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بنصرة بعضنا لبعض فقد نصرت محمدا وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم ينصرني احد من انبياء الله ورسله وذلك لما قبضهم الله إليه وسوف ينصرونني ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها وليبعثهم الله أحياء من آدم إلى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) كل نبي مرسل يضربون بين يدي بالسيف هام الأموات والأحياء والثقلين جميعا فيا عجبا وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبون زمرة زمرة بالتلبية لبيك لبيك يا داعي الله قد اظلوا بسكك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون بها هام الكفرة وجبابرتهم واتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين حتى ينجز الله ما وعدهم في قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) اي يعبدونني آمنين لا يخافون احدا في عبادتي ليس عندهم تقية وإن لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة وأنا صاحب الرجعات والكرات وصاحب الصولات والنقمات والدولات العجيبات وانا قرن من حديد.

(٥٤) وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال يعني أن لا يعذبوا كما فعل بأشياعهم من قبل قال يعني من كان قبلهم من المكذبين هلكوا إنهم كانوا في شك مريب في المجمع عن السجاد والحسن بن الحسن بن علي عليهما السلام في هذه الآية هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وآله أنه ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون فيها أكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون أكثر من مأة إمرأة ويقتلون بها ثلاثمأة كبش من بني العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فتخرج رآية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينهبونها ثلاثة أيام بلياليها ثم يخرجون متوجهين

إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول يا جبرئيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول (وعند جهينة الخبر اليقين) فذلك قوله تعالى ولو ترى إذ فزعوا الآية قال وروى أصحابنا في أحاديث المهدي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثله. وفي الأكمال: عن الصادق (عليه السلام) وقد ذكر شق فرعون بطون الحوامل في طلب موسى كذلك بنو أمية وبنو العباس لما أن وقفوا على أن زوال ملك الامراء والجبابرة منهم على يد القائم ناصبونا العداوة، ووضعوا سيوفهم في قتل أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإبادة نسله طمعا منهم في الوصول إلى قتل القائم (عليه السلام) فأبى الله أن يكشف أمره لواحد من الظلمة إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون. القمي: نزلت في القائم من آل محمد عليه و (عليهم السلام)، وقال: وهو الذي ذكرناه مما تأويله بعد تنزيله. وفي الأكمال: عن الصادق (عليه السلام) في هذه الآية والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم، فإذا خرج القائم (عليه السلام) لم يبق كافر بالله العظيم، ولا مشرك بالأمام إلا كره خروجه حتى لو كان كافرا أو مشرك في بطن صخرة لقالت يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله.

وفي الكافي: هي دين الحق ليظهره على جميع الأديان عند قيام القائم (عليه السلام)، والله متم ولاية القائم ولو كره الكافرون بولاية علي (عليه السلام)، قيل: هذا تنزيل؟ قال: نعم هذا الحرف تنزيل وأما غيره فتأويل.

وفي الأحتجاج: عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وغاب صاحب هذا الأمر بايضاح الغدر له في ذلك لأشتمال الفتنة على القلوب حتى يكون أقرب الناس إليه أشدهم عداوة، وعند ذلك يؤيده الله بجنود لم تروها ويظهر دين نبيه على يديه على الدين كله ولو كره المشركون

وفي الأكمال، والعياشي: عن الباقر (عليه السلام) القائم منا منصور بالرعب، مؤيد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب، ويظهر الله به دينه على الدين كله، فلا يبقى في الأرض خراب إلا عمر، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه، الحديث.

سورة الزخرف (٢٧) إلا الذي فطرني فإنه سيهدين هدآية بعد هدآية.

وفي المناقب إن النبي صلى الله عليه وآله سئل عن هذه الآية فقال الأمامة في عقب الحسين عليه السلام يخرج من صلبه تسعة من الأئمة منه مهدي هذه الأمة والقمي لعلهم يرجعون يعني الأئمة عليهم السلام يرجعون إلى الدنيا. (٦٠) ويوم

القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة. القمي عن الصادق عليه السلام في هذه الآية قال من إدعى أنه إمام وليس بإمام قيل وإن كان علويا فاطميا قال وإن كان علويا فاطميا. وفي الكافي والعياشي مثله أليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الأيمان والطاعة.

سورة الرعد والقمي الذين آمنوا الشيعة وذكر الله أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

وفي الأكمال عن الصادق عليه السلام طوبى لمن تمسك بأمرنا في غيبة قائمنا فلم يزغ قلبه بعد الهداية

سورة الحجر والعياشي عنه عليه السلام إنه سئل عنه فقال اتحسب أنه يوم يبعث فيه الناس إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك يوم الوقت المعلوم.

وفي البصائر عن الباقر عليه السلام ليس مخلوق إلا وبين عينيه مكتوب مؤمن أو كافر وذلك محجوب عنكم وليس محجوبا عن الأئمة عليهم السلام من آل محمد صلوات الله عليهم ثم ليس يدخل عليهم أحد إلا عرفوه مؤمن أو كافر ثم تلا هذه الآية.

سورة الكهف عن الصادق عليه السلام أنه يخرج مع القائم من ظهر الكعبة سبعة وعشرون رجلا خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون وسلمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصارا وحكاما

سورة مريم في التهذيب عن السجاد عليه السلام خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعته في موضع قبر الحسين عليه السلام ثم رجعت من ليلتها. وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إنه كان يتخلل بساتين الكوفة فانتهى إلى نخلة فتوضأ عندها ثم ركع وسجد فأحصيت في سجوده خمس مأة تسبيحة ثم استند إلى النخلة فدعا بدعوات ثم قال إنها والله النخلة التي قال الله جل ذكره لمريم عليها السلام وهزّي إليك

في إرشاد المفيد عن الباقر عليه السلام إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فهدم فيها أربعة مساجد ولم يبق مسجد على وجه الأرض له شرف إلا هدمها وجعلها جما ووسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج في الطريق وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات ولا ترك بدعة إلا أزالها ولا سنة إلا أقامها ويفتح قسطنطنية والصين

وجبال الديلم فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كل سنة عشر سنين من سنينكم هذه ثم يفعل الله ما يشاء قيل فكيف تطول السنون قال يأمر الله الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الأيام لذلك والسنون قيل إنهم يقولون إن الفلك إن تغير فسد قال ذلك قول الزنادقة فأما المسلمون فلا سبيل لهم إلى ذلك وقد شق الله القمر لنبيه صلى الله عليه وآله ورد الشمس من قبله ليوشع بن نون وأخبر بطول يوم القيامة وإنه كألف سنة مما تعدون.

سورة طه ففي الكافي عن الصادق عليه السلام قال في قوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام من ذريتهم فنسي هكذا والله انزلت على محمد صلى الله عليه وآله وفيه.

وفي العلل عنه عليه السلام في حديث قال وأخذ الميثاق على أولي العزم إنني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي عليه السلام أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي واعبد به طوعا وكرها قالوا أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عجل الله فرجه الشريف ولم يكن لآدم عزم على الأقرار به وهو قوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال إنما هو فترك.

سورة الحديد ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله في الاكمال عن الصادق عليه السلام قال نزلت هذه الاية في القائم أقول: لعل المراد أنها نزلت في شأن غيبة القائم عليه السلام وأهلها المؤمنين. وفي الحديث النبوي: ستفرق امتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي التي تتبع وصيي عليا لست منهم في شيء: وفي الخصال عن الباقر عليه السلام أيام الله يوم يقوم القائم ويوم الكرة ويوم القيامة.

ما سبق نقلاً من تفسير الصافى وما ينقل عنهم من علماء الشيعة

عني الإمامية عناية شديدة بالبرهنة على صحة عقيدتهم في غيبة المهدي. . وقد اتجهوا إلى كتاب الله سبحانه يبحثون فيه عن سند لعقيدتهم، فلما لم يجدوا فيه ما يريدون استنجدوا كعادتهم بالتأويل الباطني المتسم بالتكلف الشديد والشطط البالغ وأولوا عدة آيات من كتاب الله بهذا المنهج.

جاء في أصل أصول التفسير عندهم (تفسير القمي) في قوله سبحانه: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل، آية: ٢] . قال: النهار هو القائم عليه السلام منا أهل البيت [تفسير

القمي: ٢/ ٤٢٥] . وجاء في أصح كتبهم الأربعة في قوله سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك، آية: ٣٠]، قال: إذا غاب عنكم إمامكم فمن يأتيكم بإمام جديد [أصول الكافي: ١/ ٣٣٩، وانظر: تفسير العياشي: ٢/ ٧٦، إكمال الدين: ص٣٣٩، البرهان: ٢/ ١٠٢] . وفي تفسير العياشي في قوله سبحانه: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ [التوبة، آية: ٣] . قال: "خروج القائم وأذان دعوته إلى نفسه" [تفسير العياشي: ٢/ ٧٦، البرهان: ٢/ ١٠٢] . والأمثلة في مثل هذا اللون من التأويل كثيرة حتى ألفوا في هذا كتبًا مستقلة مثل "ما نزل من القرآن في صاحب الزمان" [للرافضي عبد العزيز الجلودي (انظر: الذريعة ١٩/ ٣٠)]، و"المحجة فيما نزل في القائم الحجة" [لشيخهم هاشم البحراني]، وقد نشر الأخير في طبعة حديثة [نشر سنة (١٤٠٣هـ) عن مؤسسة الوفاء، بيروت] قام على تحقيقها بعض الروافض المعاصرين [يدعى محمد منير الميلاني، وقد أرجع نصوص الكتاب إلى مجموعة من كتبهم المعتمدة عندهم]، وقد أول فيه مؤلفه أكثر من (١٢٠) آية من كتاب الله بمهديهم المنتظر في تأويلات هي من فضائحهم التي لا تستر، ولكن المحقق لم يقتنع بهذا العدد فأضاف إليه تأويل اثنتي عشرة آية أخرى من كتاب الله ووضعها في آخر الكتاب تحت عنوان "مستدرك المحجة".

والنظر الموضوعي المنصف يرى في هذه التأويلات الباطنية التي يراد الاحتجاج بها لمسألة غيبة مهديهم غلوًا شديدًا وأنها تحريف لكتاب الله لا استدلال به، وهي تدل دلالة ظاهرة على فساد الفكرة التي يحاول تقريرها من أصلها.

ويلتمس الإمامية من الغيبة التي وقعت لبعض الأنبياء دليلاً على صحة وقوع غيبة مهديهم؛ فيحتجون ـ مثلاً ـ بغيبة "موسى بن عمران عليه السلام من وطنه وهربه من فرعون ورهطه كما نطق به القرآن"، وغيبة يوسف عليه السلام، واستتار خبره عن أبيه ـ كما جاءت به سورة في القرآن ـ إلى أن كشف الله أمره وظهر خبره وجمع بينه وبين أبيه وإخوته، وقصة يونس بن متى نبي الله عليه السلام مع قومه وفراره منهم حين تطاول خلافهم له، واستخفافهم بحقوقه، وغيبته عنهم وعن كل أحد حتى لم يعلم أحد من الخلق مستقره، وستره الله تعالى وأمسك عليه رمقه بضرب من المصلحة، إلى أن انقضت تلك المدة ورده الله تعالى إلى قومه، وجمع بينهم وبينه [الغيبة للطوسي: ص٧٧] . وكذلك استتار نبينا محمد ﷺ في الغار، وقد احتج بها الطوسي على من قال: "إذا كان (إمامكم) مكلفًا للقيام بالأمر وتحمل أعباء الإمامة

كيف يغاب؟" [انظر: الغيبة للطوسي: ص١٣] فيجيبه الطوسي بقوله: "أليس النبي ﷺ قد اختفى في الشعب ثلاث سنين لم يصل إليه أحد واختفى في الغار ثلاثة أيام" [الغيبة للطوسي: ص١٣] .والواقع أن هذه المقارنات التي يقوم بها الإمامية لإقناع أتباعهم والمتشككين في أمر الغيبة لا تجدي في نزع فتيل الشك المشتعل في أفئدة القوم كلما تأملوا أمر الغيبة بعين عقولهم، رغم أنهم يعولون على هذه المقارنات كثيراً، حتى إن ابن بابويه ألف في شأنه كتابًا لإقناع كبير شيوخهم الذي داخله الشك في أمر الغيبة ولإقناع الحافين به من الشيعة الذين داهمهم الريب والحيرة في شأنها كما أشار إلى ذلك في كتابه [انظر: إكمال الدين: ص٢-٤] .أقول: إن هذه المقارنات غير مجدية في إثبات فكرة غيبة إمامهم لأسباب كثيرة، منها أن غيبة موسى ويوسف ويونس ومحمد [أما غيبة الشعب فليست بغيبة، بل حصار ومقاطعة فلا تدخل في موضوعنا] عليهم السلام قد أخبر الله سبحانه بها في كتابه بنص واضح صريح لا لبس فيه ولا غموض، أما غيبة مهديهم فتنتهي رواياته إلى حكيمة إن صحت النسبة إليها، ثم أخبار الأبواب الأربعة المطعون في شهادتهم، لأنهم يجرون المصلحة إليهم، حيث المال المتدفق.

ولهذا ادعى كثيرون هذه البابية، كذلك غيبة الأنبياء معروفة لدى قومهم لأنهم عاشوا بينهم، وعرفوا، أما غائبهم فلم يعرفه أحد ولم ير له أثر، وكان أهله أنفسهم ينكرون وجوده. كما شهد ثقات المؤرخين أن الحسن العسكري لم يعقب ـ كما سيأتي-.

ثم إن غيبة هؤلاء الأنبياء محدودة الزمان والمكان، ما لبثوا أن عادوا إلى قومهم وأهلهم.

أما منتظرهم فقد مضت القرون ولم يعرف له أثر ولم يعلم له مكان.

كذلك رسل الله الذين غابوا قد أقاموا الحجة على قومهم، وبلغوا رسالات الله في جيلهم، أما غائبهم فقد مرت الأجيال ولم نسمع منه شيئًا.

يضاف إلى ذلك أن الغيبة للأنبياء كانت طبيعية في جملتها، فغيبة يوسف هي مفارقة لأبيه وظهوره عند قوم آخرين، كما يسافر المرء من بلد إلى بلد. وهي موقوته بزمن محدود، وهي حوادث استثنائية حتى بالنسبة للأنبياء عليهم السلام، فإنهم جم غفير، ولم ينقل أن هذا حدث لغير المذكورين.

أما احتجاج الاثني عشرية باختفاء النبي ﷺ في الغار "فإن هذا الاستدلال واقع في غير موقعه، لأن استتار النبي ﷺ لم يكن لإخفاء دعوى النبوة، بل كانت من جنس التورية في الحرب، حتى لا يسد الكفار عليه الطريق، ثم هذا الاختفاء كان

ثلاث أيام، فقياس ذلك على غيبة مهديهم في غاية الحماقة، فرق واضح بين الاختفاء الذي كان مقدمة عاجلة لظهور الدين وبين الاختفاء المتطاول الذي لازمه الخذلان وترك الدعوة وانتشار الطغيان" .

دفاعهم عن طول أمد الغيبة:

من رسالة أصول مذهب الشيعة

إن مما يعرف به كذب دعوى الشيعة وجود إمامها، هو استبعاد بقائه حيًا طول هذه المدة التي تجاوزت الآن ألف ومائة سنة. فإن تعمير واحد من المسلمين هذه المدة هو ـ كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ أمر يعرف كذبه بالعادة المطردة في أمة محمد، فلا يعرف أحد ولد في زمن الإسلام عاش مائة وعشرين سنة فضلاً عن هذا العمر، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في آخر عمره "أريأتكم ليلتكم هذه، فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى على وجه الأرض ممن هو اليوم عليها أحد" (١) .

فمن كان في ذاك الوقت له سنة ونحوها لم يعش أكثر من مائة سنة قطعًا، وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجاوز هذا الحد فما بعده من الأعصار أولى بذلك في العادة الغالبة العامة... ثم أعمار هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين، وقليل ممن يجوز ذلك (٢).

وانظر الحديث في سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في فناء أعمال هذه الأمة ما بين الستين إلى السبعين: وكتاب الدعوات، باب في دعاء النبي ﷺ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه، قال ابن حجر: وهو عجيب منه فقد رواه في الزهد أيضًا من طريق أخرى عن أبي هريرة. ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الأمل والأجل: وتعقب ذلك الألباني وقال: الصواب أنه حسن لذاته وصحيح لغيره.

هذا الاعتراض يأخذ بخناق الإمامية، ويجتث جذور اعتقادهم من أساسه.. وقد حاول شيوخ الشيعة دفعه بإجراء مقارنات بين مهديهم وبعض الأنبياء عليهم السلام الذي زادت أعمارهم عن المعدل الطبيعي المألوف للبشر، فالمهدي عندهم شبيه بنوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا.

---

(١) منهاج السنة: ٢/ ٦٥، وانظر الحديث في: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم: ١/ ٣٧، ومسند أحمد: ٢/ ١٢١، ١٣١] .

(٢) منهاج السنة: ٢/ ١٦٥ .

وأسندوا هذه المقارنة إلى بعض آل البيت لتحظى بالقبول عند أتباعهم، فروى ابن بابويه ـ بسنده ـ أن علي بن الحسين قال: "في القائم سنة من نوح عليه السلام وهو طول العمر". وكذلك يقولون إن بقاء مهديهم هو كبقاء عيسى بن مريم عليه السلام. والخضر وإلياس، ويعقدون المقارنة حتى بإبليس. ويسندون جملة من هذه المقارنات إلى بعض آل البيت لتكسب صفة القطع عن أتباعهم؛ لأنها من قول المعصوم وكذلك يحتجون بأخبار المعمرين من البشر، وفاتهم أن يعقدوا المقارنة مع جبرائيل وملك الموت، والملائكة عمومًا وبالسماوات والأرض.

وهذا الدفاع قد أبطله الشيعة أنفسهم؛ لأنهم يقولون بأن مهديهم هو الحاكم الشرعي للأمة منذ أحد عشر قرنًا أو يزيد، وهو القيم على القرآن ولا يحتج بالقرآن إلا به، ولا هداة للبشر إلا بواسطته.. وهو الذي معه القرآن الكامل ومصحف فاطمة والجفر والجامعة، وما يحتاجه الناس في دينهم ودنياهم، فمهديهم مسؤول عن الأمة، ومعه وسائل هدايتهم وسعادتها في الدنيا والآخرة.

أما غيره ممن يعقدون المقارنة به فيختلفون عنه اختلافًا كثيرًا، فإن نوحًا عليه السلام قد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم إلى الله سبحانه حتى أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود، آية: ٣٦] ولم يكن غائبًا في سردابه أو في مخبئه لا يعلم مستقره ومكانه، يرى الناس في ضلالهم وكفرهم ويتوارى عن الأنظار فلا يرونه مع تعاقب الأجيال وكر القرون. على أن عمر المهدي ـ الآن ـ قد زاد عن هذه المدة.

وكذلك عيسى عليه السلام قد بلغ رسالة ربه، وأقام الحجة وأدى الأمانة قبل رفعه إلى السماء فلم يكن يضير أتباعه أن يغيب عنهم بخلاف منتظرهم الذي غاب منذ طفولته وترك شيعته يختلفون في وجوده وبابيته، وتعميهم التقية عن معرفة حقيقة مذهبه، ويختلفون ويتنازعون حتى يكفر بعضهم بعضًا ويلعن بعضهم بعضًا.

أما الخضر وإلياس فإن الذي عليه المحققون من أهل العلم أنهما قد ماتا، ويرى ابن حزم أن القول بحياة إلياس والخضر.. فكرة مأخوذة عن اليهودية، فاليهود هم الذين قالوا بحياة إلياس وحياة فنحاس بن العازار ابن هارون عليه السلام، وسار في سبيلهما بعض الصوفية فادعى أنه يلقى إلياس في الفلوات، وكذلك قال الصوفية بحياة الخضر، ولهم حكايات في الاجتماع به والأخذ عنه، وقد اعتبر ابن حزم دعاوى الصوفية الأخذ عن الخضر خروجًا عن عقيدة ختم النبوة.

ودعوى بقاء الخضر إلى اليوم مخالف للدليل، وما عليه أهل التحقيق، انظر في

ذلك. ولابن حجر رسالة في تحقيق أمر الخضر، قال في خاتمتها: والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته (الزهر النضر في نبأ الخضر، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية:]، وعلى تقدير حياتها فلا تسلم لهما المقارنة، لأنهما ليسا بمكلفين في هداية هذه الأمة وقيادتها بخلاف إمامهم الذي هو مسؤول ـ في اعتقادهم ـ عن المسلمين جميعًا في كل أمورهم.

أما إبليس فالخبر في بقائه ورد به القرآن بخلاف مهديهم الذي أنكره حتى أهله وطوائف من شيعته، ثم إن إبليس يمارس مهمته في إضلال الخلق عن سبيل الله، ولا شك أن ضلال الشيعة باتباع هذا "المعدوم" من أعماله، أما منتظرهم فليس له أثر ولا خبر. كما أن إبليس ليس من جنس الناس.. فلا تسلم لهم المقارنة في كل الأحوال.

أما بقية المعمرين من البشر فإنهم مهما بلغوا من العمر فلا يصلوا إلى بعض ما يدعونه في غائبهم، وكل الأمثلة التي ضربها شيوخهم في القرن الرابع ليس لها قيمة اليوم لتجاوز عمر منتظرهم أضعافها، كما أن هؤلاء ليس لهم مهمة غائبهم ومسؤولياته.

ويحاول بعض المعاصرين من شيوخهم أن يستنجد بلغة العلم الحديث في التدليل على إمكانية بقاء منتظرهم، فيقول المظفر: "وطول الحياة أكثر من العمل الطبيعي أو الذي يتخيل أنه العمر الطبيعي لا يمنع منها الطب ولا يحيلها، غير أن الطب بعد لم يتوصل إلى ما يمكنه من تعميرة حياة الإنسان وإذا عجز عنه الطب فإن الله قادر على كل شيء" .

ويقول محمد حسين آل كاشف الغطا: "بأن أكابر فلاسفة الغرب قالوا بإمكان الخلود في الدنيا للإنسان". ثم قال: "قال بعض كبار علماء أوروبا: لولا سيف ابن ملجم [هذه مقالة شيعية اعتزالية مبنية على مذهب المعتزلة الذين يقولون بأن القاتل قد قطع على المقتول أجله، وهي مقالة مخالفة لما ثبت في الكتاب والسنة بأن كل من مات فقد استكمل أجله، شرح الطحاوية] لكان علي بن أبي طالب من الخالدين، لأنه قد جمع جميع صفات الكمال والاعتدال" .

هذا ما تقوله ـ نظريات بعض الكفار ـ إن صدق هؤلاء في نقلهم ـ ولكن الله سبحانه يقول لنبيه:

﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء، آية: ٣٤]، ويقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران، آية: ١٨٥، الأنبياء، آية: ٣٥، العنكبوت، آية: ٥٧]، ويقول سبحانه: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾

[الواقعة، آية: ٦٠] . وهو سبحانه أعلم بمن خلق، وأصدق القائلين، فلا عبرة بعد ذلك بقول كافر يحاول أن يتشبث بالبقاء في هذه الحياة ولو بالأوهام.

ولعلي الرضا ـ كما تنقل كتب الشيعة ـ كلمة صادقة قالها في الرد على الفرق الشيعية الكثيرة التي تقول بحياة بعض آل البيت ولا تصدق بموتهم وتدعي أنها غيبة وسيرجعون، وهي من أقوى الردود على الاثني عشرية من كلامهم أنفسهم، فقد جاء في رجال الكشي أن عليًا الرضا قيل له: إن قومًا وقفوا على أبيك ويزعمون أنه لم يمت، قال: "كذبوا وهم كفار بما أنزل الله عز وجل على محمد ﷺ، ولو كان الله يمد في أجل أحد لمدّ الله في أجل رسول الله ﷺ .ولكنهم يخالفون قول إمامهم ويزعمون أن الله مدّ في عمره لحاجة البشر إليه؛ بل لحاجة الكون وكل شيء في الحياة إليه؛ إذ لولاه ـ كما يفترون ـ لساخت الأرض، وماجت بأهلها.

من رسالة أصول مذهب الشيعة

المهدي بعد عودته المزعومة

أ - شريعة مهديهم المنتظر:

يشير ابن بابويه في الاعتقادات التي تسمى دين الإمامية إلى أن المهدي إذا رجع من غيبته ينسخ شريعة الإسلام فيما يتعلق بأحكام الميراث، فيذكر عن الصادق أنه يقول: "إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام، فلو قد قام قائمنا أهل البيت أورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة ولم يرث الأخ من الولادة" لعل هذه الرواية تكشف عما يختلج في نفوس أرباب تلك العصابة من رغبة في إحلال العلاقة الحزبية والتنظيمية بين أفرادها محل القرابة والولادة في الميراث، ونهب أموال الناس باسم هذه العلاقة والأخوة! وما تحلم به عند قيام دولتها الموعودة من تطبيق هذه التطلعات والتي أرادت إعطائها صيغة مقبولة بنسبها لآل البيت.

كما تفصح هذه الرواية عن موقف واضعي هذه الروايات من تطبيق الشريعة الإسلامية ورغبتهم في تعطيلها. . ثم هي تعكس مضمونًا إلحاديًا يسعى لهدم الشريعة، والخروج على عقيدة ختم النبوة.

وهذه الدعوى فضلاً عن أنها خروج عن شريعة الإسلام فهي مخالفة لمنطق العقل، فالتوارث منوط بالعلاقة الظاهرة من الولادة والقرابة، أما المؤاخاة الأزلية المزعومة فلا يدركها البشر، فكيف تكون أساسًا لقسمة الميراث؟. وكذلك يغير منتظرهم شريعة الإسلام فيما يتعلق بأخذ الجزية من أهل الكتاب، وتنص رواياتهم أن منتظرهم بهذا المنهج يخالف هدي رسول الله ﷺ فتقول: "ولا يقبل صاحب هذا

الأمر الجزية كما قبلها رسول الله ﷺ . ويكفي هذا الاعتراف في تأكيد خروجه عن سنة رسول الله ﷺ وتبديله لها عمداً. . فهل أراد واضع هذه الروايات أن يهون من شأن التشريع الإسلامي في نفوس الأتباع ويغري بالخروج عليه؟! بل إن الحكم والقضاء في دولة المنتظر يقام على غير شريعة المصطفى ﷺ . جاء في الكافي وغيره، قال أبو عبد الله: "إذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل بينة"، وفي لفظ آخر: "إذا قام قائم آل محمد حكم بين الناس بحكم داود عليه السلام ولا يحتاج إلى بينة" (١) .

وقد تبنى ثقة إسلامهم الكليني هذه العقيدة وبوب لها بابًا خاصًا بعنوان: "باب في الأئمة عليهم السلام أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة" (٢). ولا يخفى ما في هذا الاتجاه من عنصر يهودي. ولهذا علق بعضهم على هذا العنوان بقوله: " أي ينسخون الدين المحمدي ويرجعون إلى دين اليهود"(٣).

وانظر كيف يحلم واضعو هذه الروايات ـ الذين لبسوا ثوب التشيع زوراً وبهتانًا ـ بدولة تحكم بغير شريعة الإسلام. وتشير بعض رواياتهم إلى أنه أيضًا يحكم بحكم آدم مرة، ومرة بحكم داود، ومرة بقضاء إبراهيم. ولكن يعارضه في هذا الاتجاه للحكم بغير شريعة الإسلام بعض أتباعه، إلا أنه يواجه هذه المعارضة بشدة حيث يأمر بهم فتضرب أعناقهم (٤).

وتقدم رواياتهم بعض أحكامه وأقضيته فتقول: إنه يحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله؛ يقتل الشيخ الزاني، ويقتل مانع الزكاة، ويورث الأخ أخاه في الأظلة ، وأنه يقتل من بلغ العشرين ولم يتفقه في الدين(٥). . إلخ.

وتقوم دولة المنتظر على الحكم لأهل كل دين بكتابهم، مع أن الإسلام لم يجز لأحد أن يحكم بغير شريعة القرآن باتفاق المسلمين (٦).

---

(١) المفيد/ الإرشاد: ص٤١٣، الطبرسي/ أعلام الورى: ص٤٣٣ .

(٢) أصول الكافي: ١/ ٣٩٧ .

(٣) محب الدين الخطيب/ في تعليقه على المنتقى: ص٣٠٢ (هامش٤) .

(٤) ابن بابويه/ الخصال: ص١٦٩، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٥٩، الكاظمي/ بشارة الإسلام: ص٢٧٥ .

(٥) الطبرسي/ أعلام الورى: ص٤٣١، بحار الأنوار: ٥٢/ ١٥٢ .

(٦) انظر: ابن تيمية/ منهاج السنة النبوية: ٣/ ١٢٧، المنتقى: ص٣٤٣ .

جاء في أخبارهم "إذا قام القائم قسم بالسوية، وعدل في الرعية، واستخرج التوراة وسائر كتب الله تعالى من غار بأنطاكية، حتى يحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن" .

وهذا القانون الذي يطمح إلى تطبيقه واضعو هذه الروايات ويعدون بتنفيذه على يد المنتظر هو شبيه - إلى حد كبير - بفكرة الديانة العالمية التي ترفع شعارها الماسونية.. وهي فكرة إلحادية تقوم أساسًا على إنكار الأديان السماوية تحت دعوى حرية الفكر والعقيدة.

وفي حومة هذه الأفكار التي تسعى لنسخ شريعة القرآن وابتداع أحكام جديدة لم يأذن بها الله، والرجوع إلى حكم داود لا شريعة محمد ﷺ . وتطبيق شرائع الأديان لا حكم القرآن - نلتقي بعد ذلك بفكرة مسمومة تعد نتيجة لهذه المقدمات والتغييرات التي سبقتها، وفحوى هذه الفكرة هو إلغاء المهدي الحكم بالقرآن وإحلال كتاب آخر محله، وهذا ما تشير إليه رواية النعماني عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر رضي الله عنه: "يقوم القائم بأمر جديد، وكتاب جديد، وقضاء جديد" ، "لكأني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس على كتاب جديد" (١).

وتصف روايات أخرى عندهم ما يقوم به منتظرهم من محاولة لصرف الناس عن القرآن بدعوى أنه محرف وإخراج كتاب آخر مخالف له، وسعيه لتضليل الناس بدعوى أن كتابه هو الكتاب الكامل الذي أنزل على رسول الله ﷺ . وقيام "العجم" بالسعي لنشره بين الناس، وتعليمهم إياه، ومواجهتهم صعوبة بالغة لتغيير ما في أفئدة الناس وأذهانهم من كتاب الله .

هذه هي الروايات التي كانت موضع التداول السري [ولذلك نرى شيخهم النعماني يصدر روايات الغيبة بما روي عندهم في صون سر آل محمد عمن ليس من أهله، كما أشار إلى ذلك في بداية كتابه] في إبان قوة الدولة الإسلامية عن حكومة المهدي بعد رجعته، وقد يقول من لم يسلم بأمر منتظرهم إنه خيالات لا حقيقة لها، لأن القائم المنتظر لا وجود له، فلا تحقق لهذه الدولة الموعودة.. فالحديث عنها قد يكون حديثًا خياليًا. وهذا حق؛ لكن القيمة الواقعية لهذه الروايات أنها تفصح عن مكنون نفوس واضعيها، وأهدافها ضد شريعة الإسلام، فهي "إسقاطات" نفسية تنطوي على مدلولات خطيرة تحدد رغبات واضعي تلك الأخبار وتطلعاتهم إلى نوعية الحكم الذي ينشدونه، وهي أحلام قد تكشف عن خطط تلك العناصر التي اندست

---

(١) الغيبة للنعماني: ص١٧٦، بحار الأنوار: ٥٢/ ١٣٥ .

في صفوف الدولة الإسلامية مكتسبة مسوح التشيع لتغيير شريعة القرآن، وإن منازعتهم لحكم ولاة المسلمين تحت ستار (لا حكم إلا للأئمة) يرمي إلى إزالة الحكومة الإسلامية لإقامة دولة أخرى في مكانها تحكم بحكم القائم الموعود.

ب - سيرة القائم المنتظر:

أما سيرته فتحمل سمات من شريعته الجديدة، حيث يتولى مضايقة المسلمين في مقدساتهم ومساجدهم، فيقوم بعملية هدم وتخريب في الحرمين الشريفين، حيث تنص أخبارهم "أن القائم يهدم المسجد الحرام حتى يرده إلى أساسه، ومسجد الرسول ﷺ إلى أساسه، ويرد البيت إلى موضعه وإقامته على أساسه"(١) .

كذلك يتجه إلى قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه ويبدأ ـ كما تقول أخبارهم ـ «بكسر الحائط الذي على القبر... ثم يخرجهما (يعني صاحبي رسول الله) غضين رطبين فيلعنهما ويتبرأ منهما ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح" . وفي رواية أخرى "أول ما يبدأ به القائم.. يخرج هذين رطبين غضين فيحرقهما ويذريهما في الريح، ويكسر المسجد"(٢) .

ونسبوا إلى الله ـ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون ـ أنه قال لنبيه ـ حينما أسرى به -: "وهذا القائم... هو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين، فيخرج اللات والعزى (يعنون خليفتي رسول الله) طريين فيحرقهما" وتشير بعض رواياتهم إلى أن هذا العمل يثير المسلمين، حيث تقول: ".. ثم يحدث حدثًا فإذا فعل ذلك قالت قريش: اخرجوا بنا إلى هذا الطاغية، فوالله لو كان محمديًا ما فعل، ولو كان علويًا ما فعل، ولو كان فاطميًا ما فعل.." (٣).

قال شيخهم وفخرهم [لأن من ألقابه عندهم "فخر الأمة" كما تجد ذلك في صدور كتبه] المجلسي: "لعل المراد بإحداث الحدث إحراق الشيخين الملعونين فلذا يسمونه عليه السلام بالطاغية.

ولا يخفى أن هذه "الوعود" بصنائع المنتظر التي تطفح بها رواياتهم إنما تنم عن دخائل نفوسهم وما تكنه صدورهم من مناوأة لدين الإسلام وسعي في الكيد له حتى يتمنوا أن تتاح لهم فرصة لهدم الحرمين، ونبش القبرين الطاهرين، وحينما يحسون بعجزهم عن تحقيق ذلك لقوة الدولة الإسلامية آنذاك يعزون أنفسهم ويعللونها،

---

(١) [الطوسي/ الغيبة ص٢٨٢، بحار الأنوار: ٥٢/٣٣٨] .
(٢) بحار الأنوار: ٥٢/٣٨٦ .
(٣) تفسير العياشي: ٢/٥٨، بحار الأنوار: ٥٢/٣٤٢ .

ويشفون غيظ قلوبهم على الإسلام ورواده الذين فتحوا ديارهم، وأزالوا ملكهم، ونشروا الإسلام بينهم.. بهذه الأحلام والآمال.. فهي تكشف في الحقيقة ماذا يتمنون تحقيقه لو واتتهم فرصة الحكم والتسلط.

ولذلك فإن المعاصرين منهم يتمنون فتح مكة والمدينة، كما جاء على ألسنة آياتهم، ليحققوا أحلامهم التي أفصحت عنها أخبارهم - كما سيأتي [في باب الشيعة المعاصرين وصلتهم بأسلافهم] ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين.

ولم يكتف منتظرهم بهذا؛ بل إنه يقوم بقتل عام شامل للجنس العربي واستئصال وجوده، ولذلك فإن أخبارهم تعد العرب بملحمة على يد غائبهم - إذا رجع - لا تبقي ولا تذر على رجل أو امرأة ولا صغير ولا كبير بل تأخذهم جميعًا فلا تغادر منهم أحدًا. فيروي النعماني: ".. عن الحارث بن المغيرة وذريح المحاربي قالا: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح"(١).

وكأن رواياتهم هذه لا تفرق بين من يتشيع وغيره: لكن تؤكد أخبارهم أنه لن يتشيع أحد من العرب للقائم، ولهذا تحذر منهم فتقول: "اتق العرب فإن لهم خبر سوء أما إنه لم يخرج مع القائم منهم واحد"

ولكن في الشيعة من العرب كثير غير أن أخبارهم تقول بأنهم سيمحصون فلا يبقى منهم إلا النزر اليسير وتقول رواياتهم بأن القائم "يبهرج سبعين قبيلة من قبائل العرب" [بهرج الدماء: أهدرها، وفي الطبعة الأخرى للبحار يهرج، ومعنى الهرج: الفتنة والاختلاط والقتل.

ويخصون قبيلة رسول الله ﷺ :قريش التي منها صفوة أصحابه بالذكر التفصيلي لعمليات القتل التي يجريها عليها القائم، ففي الإرشاد للمفيد "عن عبد الله بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا قام القائم من آل محمد عليه السلام أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات. قلت: ويبلغ عدد هؤلاء هذا؟ قال: نعم منهم ومن مواليهم"(٢).

ولا يخفى أن تخصيص العرب بالقتل يدل على تغلغل الاتجاه الشعوبي لدى واضعي هذه الروايات.. وهي تبين مدى العداوة للجنس العربي لدى مؤسسي "الرفض" والرغبة في التشفي منهم بقتلهم، وذلك - في حقيقة الأمر - لا يعود

(١) الغيبة للنعماني: ص١٥٥، بحار الأنوار: ٣٤٩/٥٢ .
(٢) الإرشاد: ص٤١١، بحار الأنوار: ٣٣٨/٥٢ .

لجنسيتهم بل للدين الذي يحملونه.

ولا تنسى رواياتهم أن تخص البيت النبوي الطاهر ببائقة من بوائق منتظرهم حيث يزعمون أن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ تبعث من قبرها قبل يوم القيامة [وذلك حسب عقيدتهم في الرجعة التي ستتحدث عنها بعد هذا المبحث إن شاء الله]، وذلك لأنها ارتكبت ـ كما يفترون ـ حداً في عهد رسول الله ﷺ، ولكن رسول الله لم يقم عليها الحد ـ كما يزعمون -.

وهو الذي يقول: "وأيم الله لو أن فاطمة ابنة محمد سرقت لقطعت يدها" ، وقد أخذته الرحمة بها، مع أن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [النور، آية: ٢] فلم يقم عليها الحد ولكن قائمهم يتولى تنفيذ ما عجز أفضل الخليقة عن تنفيذه وذلك في عصر الرجعة المزعوم [ونص الأسطورة (المنسوبة لأبي جعفر) يقول: أما لو قام قائمنا لقد ردّت إليه الحميراء (تصغير حمراء وهو لقب لعائشة رضي الله عنها) حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد فاطمة عليها السلام منها.

قلت: جعلت فداك ولم يجلدها الحدّ؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم عليه السلام .قلت: فكيف أخره الله للقائم عليه السلام؟ فقال له: إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمة، وبعث القائم عليه السلام نقمة. ثم علق على ذلك شيخهم المعاصر بنص يبين الفرية المزعومة وأن عائشة قالت ـ كما يفترون -: "إن إبراهيم ليس منك وإنه ابن فلان القبطي" وأن الرسول ﷺ كلف عليًا برجمها ولكن عليًا اكتشف براءتها] ـ كما يفترون -.

وهذا يعني أن القائم أكمل من خاتم النبيين، وأقدر على تحقيق دين الله ممن أرسل قدوة للعالمين.

وهو ما صرحت به أخبارهم حيث روى شيخهم ابن بابويه: ". . عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة، آية: ٣٣] .فقال: والله ما نزل تأويلها بعد ولا ينزل تأويلها حتى يخرج القائم عليه السلام. . " أي أن القائم سيحقق ما عجز عنه الأنبياء.

وهذا ما صرح به بعض شيوخهم الكبار عندهم [وهو "الخميني"] ـ في هذا العصر ـ واستنكره العالم الإسلامي ، ذلك أنهم يزعمون أن ما عند القائم أضعاف ما عند الأنبياء من العلم، حتى جاء في بحار الأنوار وغيره "عن أبان عن أبي عبد الله

قال: العلم سبعة وعشرون حرفًا فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير الحرفين، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسة والعشرين حرفًا فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفًا"(١)، وهي مروية في الخرائج للراوندي كما أشار إلى ذلك المجلسي (نفس الموضع من المصدر السابق)] .وعملية الاجتياح الدموي الرهيب التي تحلم بها الشيعة الاثنا عشرية على يد مهديهم تكاد تتناول كل الفئات والأجناس البشرية باستثناء طائفتهم، حيث يخرج قائمهم "موتورًا غضبان أسفًا. . يجرد السيف على عاتقه" ويبدأ القتل، فيحصد أهل السنة الذين تلقبهم أخبار الشيعة ـ أحيانًا ـ بالمرجئة [قال شيخهم الطريحي: "وسماهم مرجئة لأنهم زعموا أن الله تعالى أخر نصب الإمام، ليكون نصبه باختيار الأمة بعد النبي ﷺ] حتى قال إمامهم: "ويح هذه المرجئة، إلى من يلجؤون غدًا إذا قام قائمنا" ولم يستثن من ذلك إلا من تاب، أي دخل بمذهبهم فقال: "من تاب تاب الله عليه، ومن أسر نفاقًا فلا يبعد الله غيره، ومن أظهر شيئًا أحرق الله دمه. ثم قال: يذبحهم والذي نفسي بيده كما يذبح القصاب شاته ـ وأومأ بيده إلى حلقه (٢) .وتسميهم أحيانًا بالنواصب وتقول: "فإذا قام القائم عرضوا كل ناصب عليه فإن أقر بالإسلام وهي الولاية وإلا ضربت عنقه أو أقر بالجزية فأداها كما يؤدي أهل الذمة"، وقوله: "أو أقر بالجزية"، يناقض رواياتهم التي تقول بأنه لا يقبل الجزية كما سبق ذكر بعضها في بيان "شرعته"] .لكن بعض رواياتهم تقول بأن الجزية لا تقبل منهم كما تقبل من أهل الذمة، فقد سئل إمامهم عن وضع أهل الذمة في دولة القائم فقال: "يسالمهم كما سالمهم رسول الله ﷺ ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون" أما غيرهم من المخالفين للرافضة فقال فيه: "ما لمن خالفنا في دولتنا من نصيب، إن الله قد أحل لنا دماءهم عند قيام قائمنا". حتى إن قائمنا يتتبع الشيعة الزيدية غير الغلاة، فيقتلهم. تقول أخبارهم: "إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة فيخرج منها بضعة عشر آلاف أنفس ـ كذا ـ يدعون البترية [البترية: هم أصحاب الحسن بن صالح بن حي، وأصحاب كثير النوى، وكان كثير يلقب بالأبتر، وقد يسمون "الصالحية" نسبة للحسن بن صالح، ومن مذهبهم ـ كما يقول الأشعري ـ أنهم ينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة، ولا يرون لعلي إمامة إلا حين بويع، وهي فرقة من الزيدية. عليهم السلاح فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة لنا في

---

(١) بحار الأنوار: ٥٢/٣٣٦ .

(٢) بحار الأنوار: ٥٢/٣٥٧، الغيبة للنعماني: ص١٩٠-١٩١ .

بني فاطمة فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم.. بل إنه يقتل من لا ذنب له. تقول رواياتهم: "إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها". وهكذا فإن قائمهم "ليس شأنه إلا القتل لا يستبقي أحداً" ولا يستتيب أحداً"، وفي لفظ: "ولا يستنيب أحداً" أي يتولى ذلك بنفسه

وتصور بعض رواياتهم مبلغ ما يصل إليه من سفك دماء الناس (من غير طائفته) حتى تقول: "لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه مما يقتل من الناس.. حتى يقول كثير من الناس: ليس هذا من آل محمد، لو كان من آل محمد لرحم" (١).

وهذا قول يدين القائم بالخروج عن سنن الرحمة والعدل التي عرف بها أهل البيت. بل إنه خرج عن سنة المصطفى ﷺ، وهذا ما يصرحون به؛ فقد سئل الباقر - على حد زعمهم - أيسير القائم بسيرة محمد؟ فقال: "هيهات! إن رسول الله ﷺ سار في أمته باللين وكان يتألف الناس، والقائم أمر أن يسير بالقتل وألا يستتيب أحداً، فويل لمن ناوأه فالشيعة تزعم أنه أمر بسيرة تخالف سيرة رسول الله ﷺ، وقد أجمع المسلمون أن كل ما خالف سيرته ﷺ؟ فهو ليس من الإسلام، فهل بعث برسالة غير رسالة الإسلام؟!

وكيف يؤمر بخلاف سيرة رسول الله ﷺ؟ فهل هو نبي أوحي إليه من جديد؟ ولا نبي بعد خاتم الأنبياء، ولا وحي بعد وفاته، وكل من ادعى خلاف ذلك فهو مفتر دجال؛ لمعارضته للنصوص القطعية وإجماع الأمة على ختم الوحي والنبوة بوفاة سيد المرسلين ﷺ. ولكن هذه الروايات تصور ما في قلوب واضعيها من حقد على الناس ولاسيما أمة الإسلام التي تخالفهم في نهجهم، وأنهم يتمنون يومًا قريبًا آتيًا يحققون فيه هذه "الأحلام" التي تكشف حقيقتها هذه الروايات ويترجمها واقع الشيعة في العهد الصفوي وفي دولة الآيات القائمة، وفي منظماتهم في لبنان - كما سيأتي - [في باب أثر الشيعة في العالم الإسلامي]. ومعلوم أن أمير المؤمنين عليًا الذي يزعمون التشيع له لم يكفر مخالفيه، ولم يقاتل إلا من بغى عليه، فقائمهم الذي يفعل هذه الأفاعيل ومن تبعه في نهجه، ليس من شيعة علي، وقد اعترفوا في رواياتهم أن قائمهم لا يأخذ بسيرة علي، فقد سئل الصادق - كما يزعمون - «أيسير القائم بخلاف سيرة علي؟ فقال: نعم، وذاك أن عليًا سار بالمن والكف لعلمه أن شيعته سيظهر عليهم من بعده، أما القائم فيسير بالسيف والسبي، لأنه يعلم أن شيعته

---

(١) غيبة للنعماني: ص١٥٤، بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٥٤.

لن يظهر عليهم من بعده أبدًا" وقال صادقهم يخاطب بعض الشيعة: "كيف أنت إذا رأيت أصحاب القائم قد ضربوا فساطيطهم في مسجد الكوفة، ثم أخرج المثال الجديد، على العرب شديد. قال (الراوي): قلت: جعلت فداك ما هو؟ قال: الذّبح، قال: قلت بأي شيء يسير فيهم؛ بما سار علي بن أبي طالب في أهل السواد؟ قال: لا، إن عليًا سار بما في الجفر الأبيض، وهو الكف، وهو يعلم أنه سيظهر على شيعته من بعده، وأن القائم يسير بما في الجفر الأحمر وهو الذبح، وهو يعلم أنه لا يظهر على شيعته" ، وهذه الرواية في بصائر الدرجات كما أشار إلى ذلك المجلسي.

وهكذا "يقوم المزعوم بأمر جديد، وكتاب جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد" وهذا كاف في إيضاح أن ما تحلم به الشيعة ليس له أصل في كتاب الله وسنة نبيه، بل هي بدعة جديدة يخرج بها قائمهم.

وبينما الناس في عصر القائم يعيشون بين الدماء والأشلاء، وفي خوف ورعب من قائم الشيعة الذي كان بعثه نقمة عليهم، كما أن بعث محمد ﷺ رحمة [روى الكليني في الكافي: "إن الله بعث محمداً ﷺ رحمة ويبعث القائم نقمة"(٤٩)، فإن عسكر القائم وأصحابه يعيشون في حياة أخرى حافلة بألوان النعيم وأنواع المسرات، فهو يأمرهم في مسيرهم ألا يحملوا "طعامًا ولا شرابًا ولا علفًا، فيقول أصحابه: إنه يريد أن يقتلنا يقتل دوابنا من الجوع والعطش [وهذا يدل على شكهم في أمر القائم فكيف يكونون من أصحابه؟!] فيسير ويسيرون معه؛ فأول منزل ينزله يضرب الحجر فينبع منه طعام وشراب وعلف فيأكلون ويشربون ودوابهم حتى ينزلوا النجف من ظهر الكوفة" ، وهكذا "لا ينزل منزلاً إلا انبعث منه عيون، فمن كان جائعًا شبع ومن كان ظمآن روي" ، وإنه إذا قام اجتمعت إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيعطي أصحابه ما لم يعطه أحد كان قبله، ويتضاعف الرزق على يديه فيرزق في الشهر رزقين ويعطي في السنة عطاءين ، حتى إن أحدًا من الشيعة لا يجد لديناره ودرهمه موضعًا يصرفه فيه وهذه روايات تصور التطلعات والأماني التي كانت تفيض بها قلوب الشيعة انتظاراً لهذا الغد المأمول، ويصور النزعة المادية التي يشتركون فيها مع اليهود! وهو حلم النظام الشيوعي في العالم حسب رأي ماركس.

أما عن جند القائم وأصحابه الذين يشاركونه في مجازره، ويرفلون في نعيمه ويتبوءون جنته فهذا ما سيتبين في الفقرة التالية (٢) .

١- بحار الأنوار: ٣٧٦/٥٢، حيث عزاه إلى الكافي، كتاب الروضة: ص٢٣٣ .
١- من رسالة أصول مذهب الشيعة.

ج -- جند القائم:

تشير بعض رواياتهم إلى أن جند القائم من الموالي والعجم ويبلغ عددهم اثني عشر ألفًا، وأنه يمنحهم القائم سلاحًا من عنده عبارة عن سيف وبيضة ذات وجهين، ثم يقول لهم: "من لم يكن عليه مثل ما عليكم فاقتلوه" وتذكر رواية للنعماني أن "أصحاب القائم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً أولاد العجم"

بينما تقول رواية في البحارك "إذا قام قائم آل محمد استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة وعشرين من قوم موسى الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أصحاب الكهف، ويوشع وصي موسى، ومؤمن آل فرعون، وسلمان الفارسي، وأبا دجانة الأنصاري ومالك الأشتر" ، ولم تتعقبه لجنة التصحيح بشيء، مع أنه ذكر أن مجموع العدد (٢٧) ولما فصّل زاد العدد إلى (٣٧، قال: "وخمسة عشر من قوم موسى" فيتوافق بهذا مع المجموع الكلي (٢٧)، فقد زاد واوًا لتلتئم العبارة فقال: "سبعة وعشرين رجلاً وخمسة وعشرين من قوم موسى.. إلخ" وواضح أن الواو مقحمة] .وواضح في هذا النص تغلغل العنصر اليهودي في المجموعة التي وضعت دين التشيع.

كما يظهر أن التشيع استوعب مجموعة من العناصر المختلفة، كل يصنع ما يشاء له هواه، وما تملي عليه عنصريته.. فالعجم يضعون روايات في صالحهم، واليهود كذلك.. وهكذا، وموسوعات الاثني عشرية استوعبت الجميع بلا تمييز.

وجاء في بعض أخبارهم البيان التفصيلي لأسماء جنده واحدًا واحدًا وموطن كل جندي أو قبيلته أو حرفته في رواية طويلة. منها قوله: "ومن أهل الشام رجلين يقال لهما إبراهيم بن الصباح، ويوسف بن جريا" (صريا) [هكذا وردت في الأصل، فيما يبدو أنه اهتمام من المحقق المعاصر في التثبيت من الاسم بإثباته في الأصل حسب ما جاء في اختلاف النسختين] .فيوسف عطار من أهل دمشق، وإبراهيم قصاب من قرية صويقان "ومضى في ذكرهم على هذا النسق حتى ذكر (٣١٣) رجلاً ليبلغ بهم عدة أهل بدر"(١) .

كما يقول: "ونسي موقفهم المخزي من أهل بدر وسائر الصحابة".

ولا تملك نفسك وأنت تقرأ تلك الأسماء من ابتسامة تغالبك، وأنت تلمح بوضوح التكلف في الكذب، والمحاولات الغبية لستره، ولا ينقضي العجب من تلك الجرأة على الكذب، وخفة العقل، والأغرب كيف لا يستحي شيعة هذا العصر من

---

(١) انظر: البحراني/ الحجة: ص٤٦، وأحال المحقق أيضًا على دلائل الإمامة ص٣١٤].

إخراج هذا "العار" للناس، وطبعه وتحقيقه ؟!، أو أن الله سبحانه أراد أن يكشف أمرهم ويفضح زيفهم.

الشيعة وغيبة مهديهم:

في ظل الغيبة التي دانت بها الشيعة، وعاشت في حكمها منذ أكثر من ألف ومائة سنة أوقف شيوخ الشيعة ـ بحكم نيابتهم عن المنتظر ـ العمل بجملة من أحكام الدين، كما استحدثوا عقائد وأحكامًا لم يأذن بها الله سبحانه. لقد أوقف الشيعة بسبب الغيبة للمنتظر إقامة صلاة الجمعة، كما منعوا إقامة إمام للمسلمين وقالوا: "الجمعة والحكومة لإمام المسلمين"(١) والإمام هو هذا المنتظر.

ولهذا فإن معظم الشيعة إلى اليوم لا يصلون الجمعة [يقول كاظم الكفائي ـ وهو من شيوخهم المعاصرين -: "في العراق الآن: الشيعة لا يصلون الجمعة إلا الشيخ الخالصي في المسجد الصفوي في الصحن الكاظمي ، وفي الكويت لا يقيم الجمعة إلا الشيخ إبراهيم جمال الدين مرجع الإخباريين هناك"(٢) .

وحينما سأل بعض أفراد الشيعة كبير شيوخهم وهو محسن الحكيم عن دليلهم في شرطية وجوب الإمام لصلاة الجمعة، كان جوابه بأن لا يسأل هذا السؤال، كما أن بعض شيوخهم يقول بوجوب صلاة الجمعة ولا يقيمها (٣)]، حتى قال بعض المتأخرين: "إن الشيعة من زمان الأئمة كانوا تاركين للجمعة" كما أن الشيعة لا ترى بيعة شرعية إلا للقائم المنتظر، ولذلك فإنهم يجددون البيعة له كل يوم، ففي دعاء لهم يسمونه "دعاء العهد" وفيه: "اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا، وما عشت من أيامي عهداً أو عقداً أو بيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبداً" وفي دعاء يومي آخر للغائب المنتظر يتضمن الإقرار له بالبيعة فيقول: "اللهم هذه بيعة له في عنقي إلى يوم القيامة".

قال المجلسي: ".. ويصفق بيده اليمنى على اليسرى كتصفيق البيعة"(٤) كذلك منع الشيعة الجهاد مع ولي أمر المسلمين، لأنه لا جهاد إلا مع الإمام، فقد جاء في الكافي وغيره عن أبي عبد الله قال: "القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام مثل

---

(١) مفتاح الكرامة/ كتاب الصلاة: ٢/ ٦٩ .

(٢) انظر: السالوس فقه الشيعة ص ٢٠٣ ، ٢٦٤ .

(٣) انظر: محمد عبد الرضا الأسدي/ نص الكتاب ومتواتر الأخبار عن وجوب الجمعة في جميع. الأعصار: ص٢٤/ ٢٧، ٢٨ .

(٤) بحار الأنوار: ١٠٢/ ١١١، وانظر: مفتاح الجنان: ص٥٣٨-٥٣٩ .

الميتة والدم ولحم الخنزير".

والإمام المفترض الطاعة على المسلمين منذ سنة ٢٦٠هـ إلى اليوم هو منتظرهم الغائب في السرداب. وما قبل سنة ٢٦٠هـ هم بقية الأئمة الاثني عشر، فالجهاد مع أبي بكر وعمر وعثمان وبقية خلفاء المسلمين إلى اليوم هو حرام كحرمة الميتة والدم.

وجنود الإسلام الذين يرابطون على الثغور، ويجاهدون في سبيل الله، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والذين فتحوا بلاد الفرس وغيرها! ما هم في اعتقاد الشيعة إلا قتلة، الويل لهم، يتعجلون مصيرهم. روى شيخهم الطوسي في التهذيب: ".. عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما تقول في هؤلاء الذين يقتلون في هذه الثغور؟ قال: فقال: الويل يتعجلون قتلة في الدنيا، وقتلة في الآخرة، والله ما الشهيد إلا شيعتنا ولو ماتوا على فرشهم" فأنت ترى أن الشيعة ترى أن جهاد المسلمين على مرور التاريخ جهاد باطل لا أجر فيه ولا ثواب، حتى يصفون المجاهدين المسلمين "بالقتلة" ويجردونهم من الأسماء التي شرفهم الله بها "كالمجاهد" و"الشهيد".

فهل يشك عاقل متجرد من الهوى والتعصب أن واضع هذا المبدأ عدو موتور، وزنديق حاقد.. يتربص بالأمة الدوائر ويبغي فيها الفشل، ولا يريد لها أن تبقى مجاهدة في سبيل الله، رافعة راية الله، ليحتفظ بدينه ودياره، وقد بلغ به التآمر لإشاعة هذا المبدأ أن نسبه لجعفر الصادق وغيره من أهل البيت حتى يجد الرواج بين الأتباع الجهلة من جانب، وحتى يسيء لأهل بيت رسول الله من جانب آخر.

كذلك صرح الشيعة أيضًا بمنع إقامة حدود الله سبحانه في دولة الإسلام بسبب غيبة إمامهم، لأن أمر الحدود موكول ـ كما يقولون ـ إلى الإمام المنصوص عليه، ولم ينص الله سبحانه ـ بزعمهم ـ إلا على اثني عشر إمامًا آخرهم قد غاب منذ منتصف القرن الثالث تقريبًا ولابد من انتظار عودته، حتى يقيم الحدود، إلا أنه بحكم التفويض الذي أجراه لشيوخ الشيعة بعد قرابة سبعين سنة من غيبته يحق للشيخ الشيعي فقط من دون سائر قضاة المسلمين أن يتولى إقامة الحدود، وإذا لم يوجد في قطر من أقطار الإسلام أحد من شيوخهم فلا يجوز إقامة الحدود، لأنه لا يتولاها إلا المنتظر أو نائبه من مراجع الشيعة وآياتهم.

روى شيخهم ابن بابويه وغيره: ".. عن حفص بن غياث قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: من يقيم الحدود: السلطان أو القاضي؟ فقال: إقامة الحدود من إليه الحكم" [ابن بابويه/ من لا يحضره الفقيه:

وقال المفيد: "فأما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله، وهم أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكام، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان" وتحذر روايات الشيعة من الرجوع إلى محاكم المسلمين وقضاتهم حتى تقول: "من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى طاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سحتًا، وإن كان حقه ثابتًا، لأنه أخذه بحكم الطاغوت"(١). هذه جملة من شرائع الإسلام حرمتها الشيعة بسبب غيبة مهديهم، وأوقفت العمل بها حتى خروجه من غيبته، كما أنهم شرعوا لأنفسهم أحكامًا في فترة اختفاء هذا المنتظر لم يأذن بها الله سبحانه، ومن ذلك: مسألة التقية والتي هي في الإسلام رخصة عارضة عند الضرورة جعلوها فرضًا لازمًا ودائمًا في فترة الغيبة لا يجوز الخروج عنها حتى يعود المنتظر الذي لن يعود أبدًا، لأنه لم يولد كما يؤكد ذلك المؤرخون، وأهل العلم بالأنساب، وفرق كثيرة من الشيعة نفسها، ومن ترك التقية قبل عودة المنتظر كان كمن ترك الصلاة [انظر: فصل التقية] .كذلك جعلوا الاستشهاد في سبيل الله يحصل بمجرد اعتناق التشيع، وانتظار عودة الغائب، لا في الجهاد في سبيل الله، فالشيعي شهيد ولو مات على فراشه.

قال إمامهم: "إذا مات منكم ميت قبل أن يخرج قائمنا كان شهيدًا، ومن أدرك قائمنا فقتل معه، كان له أجر شهيدين.." وعقد شيخهم البحراني في المعالم الزلفى بابًا بعنوان: "الباب ٥٩ في أن شيعة آل محمد شهداء وإن ماتوا على فرشهم" وأورد فيه جملة من أخبارهم.

ثم زادت مبالغاتهم - كالعادة - إلى أكثر من هذا القدر حتى روى ابن بابويه بسنده إلى علي بن الحسين قال: "من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله عز وجل أجر ألف شهيد من شهداء بدر وأحد"(٢). ومن أحكامهم فرضية البيعة للغائب المنتظر، حتى شرع عندهم تجديد البيعة مرات وكرات عبر الأدعية في الزيارات لمشاهد الأئمة - كما مر -، لأن "من أصبح من هذه الأمة لا إمام له من الله جل وعز ظاهرًا [هذه الكلمة تؤكد أن إمامهم المختفي ليس بإمام، لأنه ليس بظاهر] عادلاً أصبح ضالاً تائهًا، وإن مات على هذه الحال مات ميتة كفر ونفاق" (٣).

أما المبدأ الأكبر الذي اخترعوه في ظل الغيبة فهو مبدأ نيابة الفقيه الشيعي عن

---

(١) فروع الكافي: ٧/ ٤١٢، التهذيب: ٦/ ٢١٨، وسائل الشيعة: ١٨/ ٤ .
(٢) إكمال الدين: ص٣١٥، بحار الأنوار: ٥٢/ ١٢٥ .
(٣) أصول الكافي: ١/ ٣٧٥ .

الغائب المنتظر.

وقد استحل الفقيه الشيعي باسم النيابة أموراً كثيرة.

واختلف شيوخ الشيعة في حدود النيابة بين مقل ومستكثر، حتى بلغت النيابة الحد الأقصى لوظائف الإمام الغائب وهو رئاسة الدولة، والاستفتاء على تشكيل الحكومة في دولة "الآيات" الحاضرة، وهم الذين لا يؤمنون إلا بالإمام المنصوص عليه.. ولخطورة عقيدة النيابة، ولأنها ـ في اعتقادي ـ تمثل الخروج المقنع للمهدي، على يد مجموعة كبيرة من شيوخهم كل يزعم أحقيته في النيابة - سنخصها بالحديث التالي.

النيابة عن المنتظر:

من رسالة أصول مذهب الشيعة

أرسيت دعائم فكرة الغيبة لولد للحسن العسكري ـ كما سلف ـ وكان لابد من وجود وكيل مفوض يتولى شئون الأتباع في أثناء فترة الاحتجاب، ويكون الواسطة والباب للغائب في السرداب، أو في جبال رضوى، أو وديان مكة.

فكان أول زعيم تولى شئون الشيعة ـ كما كشفت ذلك أوراق الاثني عشرية ـ هي امرأة.. وما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة كما قال النبي ﷺ، إذ بعد وفاة الحسن العسكري، وإشاعة وجود الولد المختفي، وبقاء الشيعة بدون إمام ظاهر، بدأ الشيعة يتساءلون إلى من يرجعون؟

ففي سنة (٢٦٢هـ) أي بعد وفاة الحسن العسكري بسنتين،، توجه بعض الشيعة إلى بيت الحسن العسكري وسأل ـ كما تقول الرواية ـ خديجة بنت محمد بن علي الرضا عن ولد الحسن العسكري المزعوم، فسمته له [يلحظ أنهم يحرمون تسميته حتى قالوا: من سماه باسمه فهو كافر ـ كما سلف -]، يقول راوي الخبر: "قلت لها: فأين الولد؟ قالت: مستور، فقلت: إلى من تفزع الشيعة؟ قالت: إلى الجدة أم أبي محمد عليه السلام".

ويبدو أن رجال الشيعة أرادوا أن تبقى النيابة عن الغائب في بيت الحسن العسكري، فأشاعوا بين أتباعهم في بداية الأمر أن أم الحسن العسكري هي الوكيلة عن المنتظر، فهي الرئيسة العامة للمسلمين (بالنيابة). ويظهر أن هذا "التعين" كان القصد منه إيجاد الجو المناسب لنمو هذه الفكرة بين الأتباع لأن أم الحسن هي الوصية للحسن بعد وفاته كما تذكر أخبار الشيعة، فكان من الطبيعي أن تتولى عن ابنه، إلا أن محاربة بيت الحسن العسكري لفكرة الولد ـ كما سيأتي ـ قد وجه رجال الشيعة إلى

اختيار رجل من خارج أهل البيت، ولهذا جاء في الغيبة للطوسي "ولد الخلف المهدي صلوات الله عليه سنة ست وخمسين ومائتين، ووكيله عثمان بن سعيد، فلما مات عثمان بن سعيد، أوصى إلى أبي جعفر محمد بن عثمان، وأوصى أبو جعفر إلى أبي القاسم الحسين بن روح، وأوصى أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري. . " فهؤلاء النواب الأربعة، ويزاحمهم على مسألة النيابة آخرون، هم من خارج بيت الحسن، وتمثل نيابتهم صلة شخصية مباشرة بالمهدي المنتظر. ولذلك تسمى فترة نيابتهم في عرف الشيعة بالغيبة الصغرى. وهؤلاء النواب الأربعة لهم ما للإمام من حق الطاعة، وثقة الرواية، جاء في الغيبة للطوسي أن الحسن العسكري قال: "هذا إمامكم من بعدي (وأشار إلى ابنه) وخليفتي عليكم، أطيعوه، ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر فاقبلوا من عثمان (الباب الأول) ما يقوله، وانتهوا إلى أمره فهو خليفة إمامكم والأمر إليه ، فما قاله لكم فعنّي يقوله، ما أدى إليكم فعني يؤديه وهكذا أصبح للباب حق النيابة عن الإمام والأمر إليه، لقوله صفة القداسة والعصمة، لأنه ينطق عن الإمام، ويؤدي عنه، ولذلك فإن من خالف هؤلاء الأبواب حلت به اللعنة، واستحق النار. كما جاء في التواقيع التي خرجت من المتنظر في حق من خالف هؤلاء الأبواب

إذن مسألة النيابة لهؤلاء الأربعة تخولهم التشريع، لأنهم ينطقون عن المعصوم، وللمعصوم حق تخصيص، أو تقييد، أو نسخ نصوص الشريعة ـ كما مر ـ ولذلك كان للتوقيعات الصادرة منهم نفس المنزلة التي لكلام الإمام أو أقوى كما سلف وكذلك تخولهم إصدار صكوك الغفران أو الحرمان، وأخذ أموال الوقف والزكاة والخمس باسم الإمام. ولكن هذه النيابة انتهت إذ "لما حضرت السمري الوفاة سئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه. فالغيبة التامة هي التي وقعت بعد السمري" (١) .

وقد يكون من أهداف موافقة القواعد الشيعية لإغلاق السمري للبابية وإشاعة ذلك بين الأتباع هو المحافظة على فكرة غيبة المهدي من افتضاح حقيقتها وانكشاف أمرها؛ حيث كثر الراغبون فيها من شيوخ الشيعة ولا سيما في عهد سلفه أبي القاسم بن روح، وعظم النزاع بينهم ووصل الأمر إلى التلاعن والتكفير والتبري، كما يلحظ ذلك في التوقيعات التي خرجت على يد الأبواب منسوبة للمنتظر فأغلق السمري حكاية البابية، وهنا حصل تطور آخر في مسألة النيابة، وفي المذهب الشيعي عمومًا، حيث جعلت النيابة حقًا مطلقًا للشيوخ، فقد أصدرت الدوائر الاثنا عشرية "توقيعًا"

---

(١) [الغيبة للطوسي: ص٢٤١-٢٤٢] .

منسوبًا لـلمنتظر الموهوم. وخرج بعـد إعلان انتهـاء البابيـة على يد السمـري. يقول التوقيع: "أما الوقـائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حـديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله" فأعلن انقطاع الصلة المباشرة بالمهدي وفوض أمر النيابة عن المنتظر إلى رواة حديثهم وواضعي أخبارهم.

ولقد حقق هذا الإعلان مجموعة من الأهداف، فـقد أصبحت دعوى البابية غير مقصورة على واحد، والذي قد تكشف حقيقة أمـره بسهولة، وبمجرد مراقبة مجموعة له، ولذلك يلاحظ كثرة الشك والتكذيب في فترات الغيبة الأولى.

كما أن ذلك خفف التنافس عـلى البابية التي كان لها آثارها، فبقـيت مشاعة بين شيـوخ الشيـعة، وأطلق على انقطاع البـابية الخاصـة وتحولهـا إلى نيابة عامـة الغيـبة الكبرى؛ فصار للإمـام غيبتان صغرى وكـبرى رغم أن لهم روايات لا تتحدث إلا عن غيبة واحدة [جاءت عندهم روايات صنعت ـ فـيما يبدو ـ في الفترة الأولى من موت الحسن العـسكري تحكي غيبـة الابن المزعوم للحسن العـسكري، يقول بعضـها: "إن بلغكم عن صـاحبكم غيـبة فلا تنكروها" فـكأن هذه الرواية تلقي فكرة الغيـبة على الأتباع بدون تأكيد لتـتحسس ردة الفعل وتحسب لها حسابها، وهـي تذكر بأن له غيبة واحدة ، وتؤكد بعض رواياتهم بأنه بعد هذه الغيبة سيظهر. جاء في الكافي + عن أم هاني قالت: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ، الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ [التكوير: آية: ١٦، ١٧] قالت: فقال: إمام يخنس سنة ستين ومائتين ثم يظهر، فما بعد غيبته إلا الظهور" (١) .

فإعلان السمري البابية قـد يراد منه إشعارهم بقرب الظهور. . ولكن مرت الأيام والسنون ولم يظهر] .ولكن وضعت روايات تناسب هذا الوضع وتتحدث عن غيبتين، يقول بعضها: "قال أبو عبد الله عليه السلام: للقائم غيبتان أحدهما قصيرة والأخرى طويلة، الأولى لا يعلم بمكانه إلا خاصة شيعتـه، والأخرى لا يعلم إلا خاصة مواليه في دينه" فأنت ترى أن هذه الرواية أثبتت له غـيبتين الأولى يتصل به خاصة شـيعته، وهذا قد يكون إشارة إلى السفراء الذين تناوبوا على دعوى البابية، والأخرى يتصل به خـاصة مـواليه، وقـد أشـارت رواية في الكافي إلى أن عـددهم ثلاثون ، فلم تنف رواياتهم الصلة المباشرة بالمنتظر في الحالتين، رغم أن السمري حينما حل وظيفة البابية أصدر توقيعًـا على لسان المنتظر يقول فيه: "من ادعى المشاهدة للـمنتظر فهو كاذب" وإن شيوخهم يقولون بأنه وقعت في الغيبة الكبرى المحرومية العظمى من الإمام. يقول

---

(١) (أصول الكافي: ١/ ٣٤١).

شيخهم النعماني بعد ذكره لأخبارهم في الغيبتين: "هذه الأحاديث التي يذكر فيها أن للقائم غيبتين أحاديث قد صحت عندنا.. فأما الغيبة الأولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان يخرج على أيديهم الشفاء من العلم وعويص الحكمة والأجوبة [تقدم في فصل السنة ذكر نماذج من هذه الأجوبة الصادرة عن الإمام المزعوم، وقد تبين لنا ما فيها من جهل وسطحية، ولولا ضيق المجال وخشية الخروج عن المقصود لعرضناها بأكملها ودرسناها دراسة نقدية فاحصة، وأرجو أن ييسر الله سبحانه دراسة مستقلة لمسألة الغيبة يراعى فيها هذا الجانب] عن كل ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيامها وتصرمت مدتها.

والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط" ولكن شيوخ الشيعة يدعون في فترة الغيبة الثانية النيابة عن الإمام المنتظر ويستندون في ذلك على التوقيع الذي أظهره السمري عن منتظرهم، والذي يحيلهم إلى رواة حديثهم في كل الحوادث الواقعة الجديدة.

فيلحظ أنه لم يحملهم على الكتاب والسنة، وإنما أرجعهم إلى الشيوخ. وقد تبوأ شيوخ الشيعة بذلك منصب البابية عن الغائب واستمدوا القداسة بين الأتباع بفضل هذه النيابة عن الإمام الذي أضفوا عليه تلك الصفات الخارقة، والفضائل الكاملة.. ولذلك يطلقون على شيوخهم الذين وصلوا إلى منصب "النيابة عن الإمام" اسم "المراجع وآيات الله" فهم مظاهر للإمام المعصوم، ولذلك يقرر أحد شيوخهم المعاصرين بأن الراد على النائب كالراد على الله تعالى وهو على حد الشرك بالله وذلك بمقتضى عقيدة النيابة.

يقول شيخهم المظفر: "عقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط، أنه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، له ما للإمام في الفصل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الإمام، والراد على الإمام راد على الله تعالى، وهو على حد الشرك بالله كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت - عليهم السلام -. فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعًا في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة، فيرجع إليه في الحكم والفصل والقضايا، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه. ويرجع إليه في الأموال التي هي من حقوق الإمام ومختصاته.

وهذه المنزلة أو الرئاسة أعطاها الإمام عليه السلام للمجتهد الجامع للشرائط

ليكون نائبًا عنه في حال الغيبة ولذلك يسمى (نائب الإمام)"

فأنت ترى أن شيوخ الشيعة تخلوا عن آل البيت رأسًا، وتعلقوا بهذا المعدوم، ووضعوا أنفسهم مكان الإمام من أهل البيت باسم هذا المعدوم، وهذه غنيمة كبيرة، لذلك ما إن اتفقوا عليها بعد إخفاق فكرة البابية المباشرة، حتى اختفت الخلافات على منصب البابية، ورجعت فرق شيعية كثيرة، ودانت بهذه الفكرة، لأنها تجعل من كل واحد من تلك الرموز الشيعية "إمامًا" "ومهديًا" "وحاكمًا مطلقًا مطاعًا" "وجابيًا للأموال" ولا يقاسمهم في ذلك أحد من أهل البيت، ولا يفضحهم ويكشف أوراقهم رجل من أهل البيت.

ويبدو من التوقيع المنسوب للمنتظر أنه يجعل لشيوخ الشيعة حق النيابة في الفتوى حول المسائل الجديدة، إذ هو يقول: فأما المسائل الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ـ كما سلف ـ ولا يخلوهم النيابة العامة، ولكن الشيوخ توسعوا في مفهوم النيابة حتى وصلت إلى قمة غلوها في هذا العصر على يد الخميني (١).

كما نلحظ شيئًا من هذا في تقرير شيخهم المظفر لعقيدتهم في هذا الشأن، وكما تراه في دولتهم الحاضرة.

وقد كان لهؤلاء الشيوخ دعاوى عريضة حول الصلة بالمهدي بعد غيبته الكبرى ـ كما سلف.

نقد عقيدة الغيبة والمهدية عند الاثني عشرية:

إن فرق المسلمين تخالف الاثني عشرية في خلق المهدي ووجوده فكيف ببلوغه، فكيف برشده، فكيف بإمامته، فكيف بعصمته، فكيف بمهديته؟! والشيعة لا يقدرون ببرهان واضح على إثبات واحدة من هذه الأمور [أبو المحاسن الواسطي/ المناظرة بين أهل السنة والرافضة، الورقة (٥٩)] ـ كما سلف أثناء استعراضنا لعقيدتهم وأدلتهم.

فأهل السنة يقررون بمقتضى النصوص الشرعية، والحقائق التاريخية. . والدلائل العقلية أن مسألة غيبة المهدي عند الاثني عشرية لا تعدو أن تكون وهمًا من الأوهام، إذ "ليس له عين ولا أثر، ولا يعرف له حس ولا خبر، لم ينتفع به أحد لا في الدنيا ولا في الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد" وقد ذكر أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب ثم إنهم يقولون: إن المهدي دخل السرداب بعد موت أبيه، وعمره سنتان أو ثلاث أو خمس على اختلاف رواياتهم، وأصبح من ذلك الوقت هو الإمام

---

(١) انظر: فصل "دولة الآيات" من الباب الرابع من رسالة أصول مذهب الشيعة.

على المسلمين رغم طفولته واختفائه، مع أن الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون هذا اليتيم ـ على فرض وجـوده ـ عند من يستحق حضانته من قرابته، وأن يكون ماله عند من يحـفظه حتى يؤنس منه الرشد، فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إمامًا لجـميع المسلمين معصومًا لا يكون أحد مؤمنًا إلا بالإيمان به؟! (١). "فكيف إذا كان معدومًا أو مفقودًا مع طول هذه الغيبة؟! والمرأة إذا غاب وليها، زوجـها الحاكم أو الولي الحاضر لئلا تضيع مصلحـة المرأة بغيبة الولي الموجود، فكيف تضيع مصلحة الأمة مع هذا الإمام المفقود على طول الدهور" وبغض النظر عن موقف أهل السنة من مهـدي الاثني عشرية وغيبتـه.. فإن المتأمل لنصوص المهدية والغيبة في كتب الاثني عشرية المعتمدة، يلاحظ ملاحظة جديرة بالاهتمام وهي أن هذه الدعوى لم تلق قـبولاً لدى الشيعـة أنفسهم إلا في العصـور المتأخرة نسـبيًا، وذلك حين جدت الدعاية الشـيعية في ترويج هذه العقيـدة، وألغت فكرة البابية التي انكشف بواسطتها أمر الغيـبة، ولذلك فإن شيخهم النعماني وهو من معـاصري الغيبة الصغرى يقرر أن جميع الشيعة في شك من أمر الغيبة إلا قليلاً منهم.

ذلك أن أمـارات الشك واضحـة بيّنة لهم، حـيث إن الحـسن العـسكري ـ كمـا يعترفون ـ توفي ولم ير له أثـر، ولم يعرف له ولد ظاهر فاقتسم أخوه جعـفر وأمه ما ظهر من ميراثه (٢).

وقد ورد في الكافي ـ أصح كتب الحديث عندهم ـ وغيره عن أحمد بن عبد الله بن خاقان [كان أميرًا على الضياع والخـراج بقم في خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل. قال: . . . لما مـات الحسن العسكري سنة ستين ومـائتين ضجت سر من رأى ضجة واحـدة مات ابن الرضا، وبعث السلطان إلى داره من يفـتشها ويفـتش حجرها وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاءوا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن فـذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمـل، فوضعت تلك الجارية في حجرة ووكل بها بعض النسوة، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته. . . فلما فرغوا من ذلك بعث السلطان إلى أبي عيـسى بن المتوكل للصلاة عليه، فلمـا دنا أبو عيسى منه كشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم مـن العلوية والعباسية والقواد والكتاب. . . ثم قال: هذا الحسن بن علي بن محمد الرضا، مـات حتف أنفه على فراشه، حضره من حضره من خدم أمير المؤمـنين وثقاته. . ثم صلى عليه. . وبعد دفنه أخذ السلطان

---

(١) منهاج السنة: ٢/ ١٦٤ .

(٢) انظر: ص(٨٢٨) من رسالة أصول مذهب الشيعة.

والناس في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي وهم عليها الحمل ملازمين لها حتى تبين بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، فأنت تلاحظ أن الاثني عشرية ساقوا هذه الرواية للدلالة عن بطلان قول من قال من الشيعة بالوقف على الحسن العسكري في إنكار وفاته، ولكن تبين من خلالها بطلان دعوى الولد، لأن أسرة الحسن، ونقابة أهل البيت، والسلطان حققوا علنيًا في حقيقة الأمر وذلك لإبطال ما يزعمه الشيعة في هذا المجال، ولهذا قرر القمي والنوبختي وغيرهما بأن الشيعة افترقوا ـ بعد وفاة الحسن العسكري ـ إلى فرق عديدة أنكر أكثرها وجود الولد أصلاً حتى قال بعضهم: إنا قد طلبنا الولد بكل وجه فلم نجده، ولو جاز لنا دعوى أن للحسن ولداً خفيًا لجاز مثل هذه الدعوى في كل ميت من غير خلف، ولجاز أن يقال في النبي ﷺ أنه خلف ابنًا نبيًا رسولاً، لأن مجيء الخبر بوفاة الحسن بلا عقب كمجيء الخبر بأن النبي ﷺ لم يخلف ولداً من صلبه، فالولد قد بطل لا محالة وهذا الواقع ـ في نظري ـ هو الذي حدا بشيوخ الشيعة إلى وضع روايات تجعل من لوزام منتظرهم اختفاء حمله، وولادته، والشك فيه.. كمحاولة من شيوخهم لتجاوز هذه المرحلة التي كاد أن ينكشف فيها أمر التشيع.

وعلاوة على إنكار جل الشيعة لذلك، فإن لأهل البيت موقفًا صريحًا حاسمًا في هذا الأمر. وهو من البراهين الواضحة على بطلان هذه الدعوى، حيث جاء في تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٠٢هـ أن رجلاً ادعى ـ في زمن الخليفة المقتدر ـ أنه محمد بن الحسن بن علي بن موسى بن جعفر، فأمر الخليفة بإحضار مشايخ آل أبي طالب وعلى رأسهم نقيب الطالبيين أحمد بن عبد الصمد المعروف بابن طومار.

فقال له ابن طومار: لم يعقب الحسن. وقد ضج بنو هاشم من دعوى هذا المدعي وقالوا: يجب أن يشهر هذا بين الناس، ويعاقب أشد عقوبة. فحمل على جمل وشهر يوم التروية ويوم عرفة، ثم حبس في حبس المصريين بالجانب الغربي وهذه الشهادة من بني هاشم، وعلى رأسهم نقيب الطالبيين مهمة لأنها من نقيب العلويين الذي كان عظيم العناية بتسجيل أسماء مواليد هذه الأسرة في سجل رسمي، ولقدم فترتها الزمنية حيث إنها واقع في زمن الغيبة الصغرى التي كثر فيها ادعاء هذا الولد وادعاء بابيته من العديد من الرموز الشيعية.

وعلاوة على شهادة نقيب الطالبيين وبني هاشم، فإن أقرب الناس إلى الحسن العسكري وهو أخوه جعفر يؤكد أن أخاه مات ولا نسل له ولا عقب والشيعة يعترفون بذلك، بل ينقلون أنه حبس جواري أخيه وحلائله حتى ثبت له براءتهن من الحمل،

وأنه شنع على من ادعى ذلك وأبلغ دولة الخلافة الإسلامية بتآمره، ولكن الطوسي يقول: إن هذا الإنكار من جعفر "ليس بشبهة يعتمد على مثلها أحد من المحصلين لاتفاق الكل على أن جعفراً لم يكن له عصمة كعصمة الأنبياء فيمتنع عليه لذلك إنكار حق ودعوى باطل، والغلط غير ممتنع منه"(١).

فالطوسي لا يقبل الإنكار من جعفر، لأنه غير معصوم، ولكن الطوسي ومعه طائفة الاثني عشرية يقبلون دعوى عثمان بن سعيد في إثبات الولد ودعوى بابيته وهو غير معصوم، أليس هذا تناقضًا؟!.

كيف يكذب جعفر وهو أخو الحسن العسكري ومن سلالة أهل البيت، وعميد الأسرة بعد وفاة الحسن، ويصدق رجل أجنبي عن أهل البيت، وهو متهم في دعواه، لأنه يجر المصلحة لنفسه من المال والجاه باسم البابية، ومن هذا شأنه ألا يشك في قوله وترد شهادته؟! ولموقف جعفر المتميز ضد محاولات الرموز الشيعية اختراع ولد لأخيه، ضاق الشيعة ذرعًا بأمره، حتى لقبوه "بجعفر الكذاب" (٢) ، قالوا: إنه يلقب جعفر بن محمد بالصادق في مقابل جعفر هذا الذي يلقبونه بالكاذب أو الكذاب فقد يكون شيوع إطلاق لقب +الصادق؛ على جعفر، وتمييزه بذلك بين آبائه وأقرانه مصدره الشيعة، نكاية بحفيدة جعفر] ووضعوا روايات نسبوها لأوائل أهل البيت تتنبأ بالغيب فتتحدث بما سيقع من جعفر، وتندد به.

فنسبوا للسجاد أنه قال: "كأني بجعفر الكذاب قد حمل طاغية زمانه، على تفتيش أمر ولي الله المغيب في حفظ الله جهلاً منه بولادته، وحرصًا على قتله إن ظفر به طمعًا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حقه".

نلاحظ في هذه الرواية أنهم اتهموا جعفراً بأنه أنكر ولادته طمعًا في الميراث، على حد المثل القائل: رمتني بدائها وانسلت، ذلك أن صانعي هذه الروايات هم الذين ادعوا الولد وقالوا ببابيته حرصًا على الأموال ـ كما سلف ـ كذلك فإن الرواية تتناقض حينما تقول بأن جعفراً يجهل ولادته، ثم تقول بأنه يحرص على قتله، فإذا كان يجهل أنه ولد له ولد فكيف يحرص على قتل مجهول وجوده؟! ثم انظر كيف يدافعون عن عثمان بن سعيد، ويتهمون جعفراً وهم يدعون التشيع للآل.

وليس جعفر هو وحده من أسرة الرضا الذي ينكر هذه الدعوى. بل يظهر من

---

(١) الغيبة: ص٧٥ .

(٢) انظر: ابن بابويه/ إكمال الدين: ص٣١٢، سفينة البحار: ١/ ١٦٢، أصول الكافي: ١/ ٥٠٤ .(هامش٢)، مقتبس الأثر: ١٤/ ٣١٤

روايات الشيعة أن الإنكار كان من بيت الولد المزعوم ومن بني عمه، يدل على ذلك ما جاء في كتب الشيعة "عن إسحاق بن يعقوب [لاحظ الأسماء يهودية] قال: سألت محمد بن عثمان العمري [الباب الثاني لمهدي الاثني عشرية] أن يوصل لي كتابًا قد سألت فيه مسائل أشكلت علي، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان [وما يدريهم أنه خط صاحب الزمان ـ على فرض وجوده ـ والخطوط تتشابه، والرجل الذي خرجت على يده "الرقعة" غير معصوم، ومشكوك في أمره لأنه يجر المصلحة لنفسه، وناقل هذا التوقيع عن محمد بن عثمان أحد الأسماء اليهودية] صلى الله عليه: أما ما سألت عنه أرشدك الله من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا. فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل أخوة يوسف.." فيدل هذا على أن إنكار وجود الولد صدر من أهل بيته وعمومته، والدعوى جاءت من الخارج.. فأيهما أقرب للتصديق؛ أيكذب أشراف أهل البيت، ويصدق سمان لا يعرف له شأن في دين ولا علم ولا نسب ولا مقام ولا أصل؟!.

وقد يقال بأن أهل بيته وعمومته يتسترون عليه صيانة له، لكن التوقيع الصادر عن المنتظر المزعوم يدل على أن الإنكار حقيقي لأنه يحكم عليهم بأنهم كابن نوح في الكفر، إذ ليس بين الله وبين أحد قرابة، مع أن مذهبهم قائم على أن قرابة أئمتهم من الرسول ﷺ هي التي خولتهم تلك المكانة..

كذلك حملتهم على جعفر ووصفه "بالكذاب" ورميه بكل عيب ونقيصة يدل على أن الإنكار من أسرة الحسن حقيقي، ولذلك صنع أصحاب هذه الدعوة تلك الروايات التي تهاجم جعفرًا، وأهل بيت المنتظر وبني عمه وتندد بإنكارهم وتفيض بالحقد عليهم. وقد كان لموقفهم أثره في ذلك الوقت، حيث شك جميع الشيعة في هذه الدعوى إلا القليل، كما شهد بذلك شيخهم النعماني وغيره.

وعلاوة على ذلك كله فإن الحسن العسكري نفسه المنسوب له هذا الولد قد نفى ذلك وأنكره حيث أسند وصيته في مرضه الذي توفي فيه إلى والدته، وأوكل لها النظر في أوقافه وصدقاته وأشهد على ذلك وجوه الدولة وشهود القضاء، كما يروي ذلك الكليني في الكافي ، وابن بابويه في إكمال الدين، ولو كان له ولد هو إمام المسلمين، يحمل تلك الأوصاف الكاملة والخارقة لما وسعه إلا توكيله، فمن هو وكيل ورئيس على الأمة، ومن هو أمان للكون والناس لا يعجزه مع غيبته أن يقوم بأعباء النظر على أوقاف أبيه وصدقاته.. فلمّا لم يفعل دل على أنه لا ولد له أصلاً، وليس ينال من هذه الشهادة العملية للحسن العسكري قول الطوسي: إن الحسن فعل ذلك

قصداً إلى إخفاء ولادة ابنه وستراً له عن سلطان الوقت، لأن هذا القول دعوى بلا برهان، وبهذا يثبت بطلان وجوده، وبطلان ما ترتب على ذلك.

فهذه شهادة أهل السنة، وأكثر فرق الشيعة، ونقابة آل أبي طالب، وأسرة آل أبي طالب وأخيه جعفر، والحسن العسكري، وكل هذه الشهادات والبينات تنفي دعوى الولد، وهي ترد دعوى الأجانب البعداء في نواياهم مم ادعى البابية والمشاهدة. فكيف إذا أضيف إلى ذلك استبعاد بقائه ـ على فرض وجوده ـ مئات السنين ولو مدّ الله في عمر أحد من خلقه لحاجة الناس إليه لمد في عمر رسول الله ﷺ كما قال أبو الحسن الرضا، وهو مع طول هذه المدة لا يعرف أحد مكانه، ولا يعلم مستقره ومقامه، ولا يأتي بخبره من يوثق بقوله.

وكل من اتفق له الاستتار عن ظالم لخوف منه على نفسه أو لغير ذلك من الأغراض يكون مدة استتاره قريبة، ولا يخفى على الكل ، وكيف يغيب المسؤول الأول عن الأمة هذه الغيبة الطويلة؟ أليس هذا كله دليلاً واضحًا جليًا على أن حكاية الغيبة أسطورة من الأساطير التي صنعها المرتزقة والزنادقة والحاقدون؟!.

ويبدو أن هذه المقالة كان الدافع وراءها ماديًا وسياسيًا، فالرغبة في الاستئثار بالأموال، ومحاولة الإطاحة بدولة الخلافة كانا هدفين أساسيين في اختراع هذه الفكرة، والدليل على ذلك أن لغة المال تسود توجيهات الفرق الشيعية، وهي مصدر نزاعهم واختلافهم، كما حفظت نصوص ذلك كتب الاثني عشرية ـ كما مر -. كذلك فإن قضية "الإمامة والخلافة" هي حديث هذه الخلايا الشيعية وهم في فلكها يسيرون. . وابتداع فكرة الإمام الخفي يخلصهم من أهل البيت، ويجعل الزعامة في أيديهم.

ولم يتكلفوا شيئًا من عناء التفكير والبحث والتأمل للوصول إلى هذه الغاية، إذ إنهم وجدوا هذه الفكرة في الديانة المجوسية، ذلك أن "المجوس" تدعي أن لهم منتظراً حيًا باقيًا مهديًا. . من رسالة أصول مذهب الشيعة ـ كما مر -.

الردود والنقد:

من هو المهدي المنتظر؟

لقد ثبت عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة ذكر المهدي، فمنها ما أخرجه الإمام أبو داود عن رسول الله ﷺ أنه قال: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض عدلاً).

وجاء كذلك عند أبي داود من قول النبي ﷺ : (المهدي من عترتي، من ولد فاطمة) وجاء كذلك عند أحمد قول النبي ﷺ : (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة).

وجاء كذلك عند أحمد: (المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين).

وجاء عند مسلم تنبيه على المهدي، من قول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعال صلِ لنا، فيقول: لا، بعضكم على بعض أمراء، تكرمه الله هذه الأمة).

وقد ذكر أهل العلم أن هذا الرجل الذي يتقدم ويصلي بعيسى هو المهدي، ثم بعد ذلك يتولى عيسى ابن مريم صلوات الله وسلامه عليه زمام الأمور.

وفي رواية ذكر ابن القيم أن إسنادها جيد: (فيقول أميرهم المهدي)، ولذلك قال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى عن هذه الأحاديث: في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها -منها خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك أو شبهة.

كلامنا ليس لمناقشة أمر المهدي عند أهل السنة والجماعة، وإنما نريد أن نناقش المهدي الذي يتكلم عنه الشيعة، وأعني بالشيعة: الاثنى عشرية.

إن حكاية المهدي في معتقد الشيعة الاثنى عشرية حكاية غريبة نسج الخيال خيوطها، وصاغ أحداثها وأحوالها، وتحولت بعد ذلك إلى أسطورة من أساطير الزمان، يمجها العقل السليم والفطرة الصحيحة، حتى أنكرتها جل فرق الشيعة فضلاً عن غيرهم.

إن القصة بدأت بدعوى ولد للحسن العسكري اختفى، ثم تطورت إلى دعوى أخرى وهي أن هذا الولد إمام، ثم تطورت فجاءت دعوى النيابة عن هذا الإمام، ثم ادعاء أن هذا المختفي هو المهدي المنتظر.

إن غيبته عن الأنظار، وعدم خروجه، وقيادته للأمة سياسياً ودينياً، يشكل تحدياً كبيراً للقائلين بوجوده، وتمثل تناقضاً صارخاً مع القول بضرورة وجوده، فكيف يمكننا أن نقول: إن وجوده ضرورة لا بد منها، ثم نقول في الوقت نفسه: إنه غائب ولا بد له أن يغيب؟!

المهدي المنتظروالأدلة على خروجه عند أهل السنة:

(وأما الحديث الذي رواه عن ابن عمر عن النبي ﷺ « يخرج في آخر الزمان رجل من ولدي اسمه كاسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدي» .

فالجواب أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود [(١)] والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره.

كقوله: في الحديث الذي رواه ابن مسعود لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل مني أو من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما» [(٢)] ورواه الترمذي وأبو داود من رواية أم سلمة [(٣)].

وأيضا فيه المهدي من عترتي من ولد فاطمة» [(٤)] ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد وفيه يملك الأرض سبع سنين»[(٥)] ورواه عن على رضى الله عنه.

أنه نظر إلى الحسن وقال: إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض قسطا[(٦)].

المهدي ادعاه كثير من الطوائف:

الثاني: أن الاثنى عشرية الذين ادعوا أن هذا هو مهديهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن والمهدي المنعوت الذي وصفه النبي ﷺ اسمه محمد بن عبد الله. . . .

---

(١) هو سليمان بن الأشعث بن شداد بن عمرو بن عامر السجستاني، ولد سنة اثنين ومائتين، ت سنة ٢٧٥ هـ بالبصرة، السير ١٣/ ٢٠٣، تاريخ بغداد ٩/ ٥٥-٥٩ .

(٢) رواه أبو داود من رواية ابن مسعود وعلي ٤/ ٤٧٢-٤٧٤، ورواه الترمذي من رواية ابن مسعود. وقال: وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة ٤/ ٥٠٥ .

(٣) هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، بنت عم خالد بن الوليد، دخل بها النبي (سنة أربعة من الهجرة، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين، ت سنة ٦١ هـ، ودفنت بالبقيع. السير ٢/ ٢٠١-٢١٠، الطبقات الكبرى ٨/ ٨٦-٩٦ .

(٤) رواه أبو داود، كتاب المهدي ٤/ ٤٧٤، وروى نحوه في المسند ١/ ٨٤، ٩٩، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣/ ١٧، ٢٦ وغيرها والترمذي، كتاب المهدي ٤/ ٥٠٥ نحوه وابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي ٢/ ١٣٦٧، ١٣٦٨ نحوه.

(٥) أبو داود، كتاب المهدي ٤/ ٤٧٤-٤٧٥ .

(٦) أبو داود، كتاب المهدي ٤/ ٤٧٧، قال محققه: هذا منقطع . . .إلخ.

وأيضا فإن المهـدي المنعوت من ولد الحسن بن علي لا من ولد الحسين كـما تقدم لفظ حديث علي.

الثـالـث: أن طوائف ادعى كل منهم أن المهـدي المبشـر به مثل مـهدي القـرامطة الباطنية[١] الذي أقام دعوتهم بالمغرب وهو من ولد ميمون القداح[٢] وادعوا أن ميمونا هذا هو من ولد محمد بن إسماعيل... وممن ادعى أنه المهدي ابن التومرت [٣] الذي خرج أيضا بالمغرب، وسمي أصحابه الموحدين.. ومثل عدة آخرين ادعوا ذلك منهم: من قتل ومنهـم من ادعى ذلك فيه أصـحابه وهؤلاء كـثيرون لا يحـصي عددهم إلا الله... ومع هذا فهؤلاء مع ما وقع لهم مـــن الجهـل والغلـط كـانوا خيرا مـن منـتظر الرافضة ويـحصل بهم من النفع ما لا يحصل بمنتظر الرافـضة ولم يحصل بهم من الضرر مـا حصل بمنتظر الرافـضة بل مـا حصل بمنتظر الرافضـة من الضرر أكـثر مـنه)[٤].

المنتظر عند الرافضة:

(فإنهم يدعون أنه الغائب المنتظر محـمد بن الحسن الذي دخل سرداب سامراء[٥] سنة ستين ومائتين أو نحوها ولـم يميز بعد بل كان عمره إما سنتين أو ثلاثا أو خمسا أو

---

(١) ينتـسب القرامطة إلـى حمـدان بن الأشعث الأهوازي المُلقـب (قرمط) ويعـود في أصله إلى (خوزستان) وقد عرف في سواد الكوفة حوالي عام ٣٥٨ هـ، وكان أحد دعاتهم في الابتداء، وقيل هم أصحاب أبي سعيد بن بهرام الجنابي القائم بالبحرين صاحب مذهب القرامطة الذين يقيمون بالأحساء وكانوا يقولون بنبـوة عبد الله بن الحارث الكندي ويعبدونه، والمختار بن أبي عبـيد منهم وقد ادعى النبوة والقـرامطة جماعـة من الإسماعيليـة، القرامطة، لمحمود شـاكر ٥-٧، البرهان في معـرفة عقائد أهل الأديان/ ٨٠-٨١، ذكر مذاهب الفـرق الثنتين وسبعين المخالفة للسنة والمبتدعين/ ٩٢ .

(٢) هو المُلحد عـبيد الـله بن ميمـون القداح، وكان جـده يهودياً من بيتِ مـجوسي، وادعى أنه المهدي الذي بشـر به النبي= =وهم ملوك القرامـطة الباطنية أعـداء الدِّين، ولد سنة ٢٥٩هـ، وت سنة ٣٢٢ هـ في سلمـية (بسورية) وهو رأس الفـرقة الميـمونية من الإسـماعيـلية. المنار المنيف/ ١٥٣-١٥٤، الأعلام ٧/ ٣٤١ .

(٣) محـمد بن عـبد الـله بن تومرت، رجل كـذاب ظالم، مُتـغلب بالباطل، وسـمى أصحـابه الجـهمـية: "الموحـدين" ادعى أنه المهـدي الذي بشر به النـبي (، هلك سنة ٥٢٤ هـ. المنار المنيف/ ١٥٣، السير ١٩/ ٥٣٩-٥٥٢، تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٤ .

(٤) المنهاج ٨/ ٢٥٤-٢٦٠، انظر ٤/ ٩٤-٩٧ .

(٥) قال الفيروزآبادي: السرداب بالكسر، بناء تحت الأرض للصيف، مُعرب "القاموس المحيط"/ ١٢٤ .

نحو ذلك وله الآن على قولهم أكثر من أربعمائة وخمسين سنة (١) ولم ير له عين ولا أثر ولا سمع له حس ولا خبر.

فليس فيهم أحد يعرفه لا بعينه ولا صفته لكن يقولون إن هذا الشخص الذي لم يره أحد ولم يسمع له خبر هو إمام زمانهم ومعلوم أن هذا ليس هو معرفة بالإمام) (٢).

وهم يقولون بإمام منتظر موجود غائب لا يعرف له عين ولا أثر ولا يعلم بحس ولا خبر لا يتم الإيمان إلا به.

ويقولون أصول الدين أربعة: التوحيد والعدل والنبوة والإمامة وهذا منتهى الإمام عندهم: الإيمان بأنه معصوم غائب عن الأبصار كائن في الأمصار سيخرج الدينار من قعر البحار يطبع الحصى ويورق العصا دخل سرداب سامراء سنة ستين ومائتين وله من العمر إما سنتان وإما ثلاث وإما خمس أو نحو ذلك فإنهم مختلفون في قدر عمره ثم إلى الآن لم يعرف له خبر ودين الخلق مسلم إليه فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه والدين ما شرعه ولم ينتفع به أحد من عباد الله (٣).

الحسن العسكري ليس له عقب وبيان أنه لا يمكن بقاء مهدي الرافضة إلى الآن، (قد ذكر محمد بن جرير الطبري (٤) وعبد الباقي بن قانع (٥)، وغيرهما من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن الحسن بن علي العسكري لم يكن له نسل ولا عقب والإمامية الذين يزعمون أنه كان له ولد يدعون أنه دخل السرداب بسامراء وهو صغير منهم من قال: عمره سنتان ومنهم من قال ثلاث ومنهم من قال: خمس سنين وهذا لو كان موجودا معلوما لكان الواجب في حكم الله الثابت بنص القرآن والسنة والإجماع أن يكون محضونا عند من يحضنه في بدنه كأمه وأم أمه ونحوهما من أهل الحضانة وأن يكون ماله عند من يحفظه إما وصي أبيه إن كان له وصي وإما غير الوصي إما قريب وإما نائب لدى السلطان فإنه يتيم لموت أبيه. . . .

فكيف يكون من يستحق الحجر عليه في بدنه وماله إماما لجميع المسلمين معصوما

---

(١) وله الآن على زعمهم ١١٥٠ سنة.

(٢) المنهاج ١/١١٣-١١٤، انظر ١/ ١٢٠-١٢١، ٨/ ١٦١، ٧/ ٤٠٩ .

(٣) المنهاج ٥/ ١٧٦ .

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) هوالإمام الحافظ القاضي أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي مولاهم، البغدادي، صاحب كتاب "معجم الصحابة" ولد سنة ٢٦٥ هـ، وت سنة ٣٥١ هـ، السير ١٥/ ٥٢٦، تاريخ بغداد ١١/ ٨٨، ٨٩ .

لا يكون أحد مؤمنا إلا بالإيمان به؟

ثم إن هذا باتفاق منهم سواء قدر وجوده أو عـدمه لا ينتفعون به لا في دين ولا في دنيا ولا علم أحدا شيئا ولا يعرف له صفـة من صفات الخير ولا الشر فلم يحصل به شيء من مقاصد الإمامة ولا مصالحهـا لا الخاصة ولا العامة بل إن قدر وجوده فهو ضرر على أهل الأرض بلا نفع أصلا فإن المؤمنين به لم ينتـفعوا به ولا حصل لهم به لطف ولا مصلحة والمكـذبون به يعذبون عندهم على تكذيبهم به فهـو شر محض لا خير فيه وخلق مثل هذا ليس من فعل الحكيم العادل. . .

وهذا المنتظر لم يحصـل به لطائفته إلا الانتظار لمن لا يأتي ودوام الحـسرة والألم ومعاداة العـالم والدعاء الذي لا يستجـيبه الله لأنهم يدعون له بالخـروج والظهور من مدة أكثر من أربعمائة وخمسين سنة(١)لم يحصل شيء من هذا.

(ثم إن عمر واحـد من المسلمين هذه المدة أمر يعرف كذبه بالـعادة المطردة في أمة محمد فـلا يعرف أحد ولد في دين الإسلام وعاش مائة وعشـرين سنة فضلا عن هذا العمر وقد ثبت في الصحيـح عن النبي ﷺ : أنه قال في آخر عمره: أرأيتكم ليلتكم هذه فإنه على رأس مـائة سنة منها لا يبـقـى على وجـه الأرض ممن هو اليوم عليـها أحـد؛ (٢).

فمن كان في ذلـك الوقت له سنة ونحوها لم يعش أكثر من مـائة سنة قطعا وإذا كانت الأعمار في ذلك العصر لا تتجـاوز هذا الحد فما بعده من الأعصار أولى بذلك في العادة الغالبة العـامة فإن أعمار بني آدم في الغالب كلما تأخـر الزمان قصرت ولم تطل فإن نوحا عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما وآدم عليه السلام عاش ألف سنة كـما ثبت ذلك في حديث صحـيح رواه الترمذي وصحـحه(٣) فكان العمر في ذلك الزمـان طويلا ثم أعمار هذه الأمة ما بين السـتين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح (٤) (٥).

---

(١) والآن مر عليه أكثر من ١١٥٠ سنة.

(٢) رواه البخـاري في مواقيت الصـلاة باب السمر في الفـقه . . .إلخ ١/ ١٤٩، وفي العلم باب السمر في العلم ١/ ٣٧، وغيرها، وفي مسلم في فضائل الصحابة باب قوله (: +لا تأتي مائة سنة؛ . . .إلخ ٤/ ١٩٦٥-١٩٦٧ .

(٣) الترمذي في تفسير القرآن باب قبل الباب الأخير فيه ٥/ ٤٥٣-٤٥٤ .

(٤) الترمذي في الزهد باب مـا جاء في فنايا أعمار هذه الأمـة . . .إلخ ٤/ ٥٥٦، وابن ماجه في الزهد باب الأمل والأجل ٢/ ١٤١٥ .

(٥) المنهاج ٤/ ٨٧-٩٣، انظر ١/ ١٢٢ .

ثم رد على احتجاجهم على بقاء المهدي بحياة الخضر فقال: (واحتجاجهم بحياة الخضر احتجاج باطل على باطل فمن الذي يسلم لهم بقاء الخضر(١) والذي عليه سائر العلماء المحققون(٢) أنه مات وبتقدير بقائه فليس هو من هذه الأمة.

ولهذا يوجد كثير من الكذابين من الجن والأنس ممن يدعي أنه الخضر ويظن من رآه أنه الخضر وفي ذلك من الحكايات الصحيحة التي نعرفها ما يطول وصفها هنا.

وكذلك المنتظر محمد بن الحسن فإن عددا كثيرا من الناس يدعي كل واحد منهم أنه محمد بن الحسن منهم من يظهر ذلك لطائفة من الناس ومنهم من يكتم ذلك ولا يظهره إلا للواحد أو الاثنين وما من هؤلاء إلا من يظهر كذبه كما يظهر كذب من يدعى أنه الخضر) (٣).

بيان أن ما يدعيه الصوفية ونحوهم في شيوخهم -مع ضلالهم- أقر بإلى الحق ما تدعيه الرافضة في مهديهم: (وهو من جنس الهدى والإيمان الذي يدعى في رجال الغيب بجبل لبنان .... ونحو ذلك من الجبال والغيران فإن هذه المواضع يسكنها الجن ويكون بها الشياطين ويتراءون أحيانا لبعض الناس ويغيبون عن الأبصار في أكثر الأوقات فيظن الجهال أنهم رجال من الإنس وإنما هم رجال من الجن كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ .

وهؤلاء يؤمن بهم وبمن ينتحلهم من المشايخ طوائف ضالون لكن المشايخ الذين ينتحلون رجال الغيب لا يحصل بهم من الفساد ما يحصل بالذين يدعون الإمام المعصوم بل المفسدة والشر الحاصل في هؤلاء أكثر فإنهم يدعون الدعوة إلى إمام معصوم ولا يوجد لهم أئمة ذوو سيف يستعينون بهم إلا كافر أو فاسق أو منافق أو جاهل لا تخرج رءوسهم عن هذه الأقسام... فالداعون إلى المعصوم لا يدعون إلى سلطان معصوم بل إلى سلطان كفور أو ظلوم وهذا أمر مشهور يعرفه كل من له خبرة بأحوالهم.

وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِنْ

---

(١) هو بليان بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أفخشذ بن سالم بن نوح عليه السلام "صاحب موسى" قيل يكنى بأبي العباس، وقيل: إنه نبياً، وقيل: إنه من أبناء الملوك، قيل أنه مُخلد وهو قول ضعيف، والأرجح إن شاء الله أنه قد مات. تفسير ابن كثير ٣/ ٩٩-١٠٠، المعارف لابن قتيبة/ ٤٢ .

(٢)- هكذا في المنهاج والصواب: المحققين.

(٣) المنهاج ٤/ ٩٣-٩٤، انظر ٣/ ٣٨٩-٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٨٩، ٤٩٠ .

(٤) الجن/ ٦ .

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (١).

فأمر الله المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ولو كان للناس معصوم غير الرسول ﷺ لأمرهم بالرد إليه فدل القرآن على أنه لا معصوم إلا الرسول ﷺ (٢).

ومعلوم أن هؤلاء مع أن قولهم معلوم البطلان ضرورة فقول الإمامية أبطل من قولهم فإن هؤلاء ادعوا بقاء من كان موجودا حيا معروفا وأولئك ادعوا بقاء من لم يوجد بحال) (٣).

بيان أن كل من تولى - وإن كان ظالمًا - فهو خير من منتظر الرافضة:

(وكل من تولى كان خيرا من المعدوم المنتظر الذي تقول الرافضة إنه الخلف الحجة فإن هذا لم يحصل بإمامته شيء من المصلحة لا في الدنيا ولا في الدين أصلا فلا فائدة في إمامته إلا الاعتقادات الفاسدة والأماني الكاذبة والفتن بين الأمة وانتظار من لا يجيء فتطوى الأعمار ولم يحصل من فائدة هذه الإمامة شيء والناس لا يمكنهم بقاء أيام قليلة بلا ولاة أمور بل كانت تفسد أمورهم فكيف تصلح أمورهم إذا لم يكن لهم إمام إلا من لا يعرف ولا يدري ما يقول ولا يقدر على شيء من أمور الإمامة بل هو معدوم) (٤).

بيان أن مهدي الرافضة لا منفعة فيه لأحد:

(وهذا الذي تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم وإما معدوم عند العقلاء وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به لا في دين ولا في دنيا فمن علق دينه بالمجهولات التي لا يعلم ثبوتها كان ضالا في دينه لأن ما علق به دينه لم يعلم صحته ولم يحصل له به منفعة فهل يفعل مثل هذا إلا جاهل؟) (٥).

ومن المعلوم المتيقن أن هذا المنتظر الغائب المفقود لم يحصل به شيء من المصلحة واللطف، سواء كان ميتاً، كما يقوله الجمهور، أو كان حياً، كما تظنه الإمامية (٦).

بيان فساد احتجاجهم بأنه يجب على الله أن يجعل للناس إمامًا معصومًا ليكون

---

(١) النساء/ ٥٩ . (٢) المنهاج ٣/ ٣٧٩-٣٨١ .

(٣) أي الذين يقولون بأن الإمام هو محمد بن الحنفية وإنه حي بجبال رضوى.

(٤) المنهاج ١/ ٥٤٨ . (٥) المنهاج ٨/ ٢٦٢ .

(٦)-المنهاج ٣/ ٣٧٨ .

لطفا ومصلحة في التكيف: (وقد تبين فساد هذه الحجة من وجوه أدناها أن هذا مفقود لا موجود فإنه لم يوجد إمام معصوم حصل به لطف ولا مصلحة ولو لم يكن في الدليل على انتفاء ذلك إلا المنتظر الذي قد علم بصريح العقل أنه لم ينتفع به أحد لا في دين ولا دنيا ولا حصل لأحد من المكلفين به مصلحة ولا لطف لكان هذا دليل على بطلان قولهم فكيف مع كثرة الدلائل على ذلك؟) (١).

(١) المنهاج ٤/ ١٠٤ .

الفصل الخامس
الرجعـــة

إن المصنف يضيف بدعة جديدة الى كثير من البدع التى اخترعها أدعياء العلم عند الشيعة، فيزعمون أن هناك يوماً يسمى بالرجعة قبل يوم القيامة، مما يؤكد لنا أن هؤلاء القوم لاضابط لهم ولا رابط ولايتحاكمون فى منهجهم لا الى كتاب ولا الى سنة، ولكنه الهوى والشطط ويصدق فيهم قوله سبحانه ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ وقوله سبحانه ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾، فقولهم بهذا القول وغيره من الأقوال الباطلة وادراجهم عقيدة الرجعة عندهم ضمن العقائد التى يؤمن بها الشيعة، جعلوا من أنفسهم شركاء وأنداد مع الله حيث شرعوا لأتباعهم عقيدة محدثة باطلة لم ترد فى كتاب ولا سنة، وراحوا من أجل إثبات هذا الباطل يأتون بروايات مكذوبة على آل البيت وعلى النبى ﷺ، فمثلاً يزعمون أن النبى ﷺ بشر بظهور دولة الفرس، وبقولهم هذا ظهر وبان لنا خبثهم وعدائهم للعرب الذين فتح الله على أيديهم البلاد وهدى الله على أيديهم العباد ، وعلى رأس هؤلاء الأخيار أهل القرآن من أصحاب النبى العدنان ﷺ ، فكيف يعقل أن النبى الذى بشر المسلمين بفتح بلاد فارس والقضاء على الكفر والشرك ثم يعود ليبشر بعودتهم؟؟ اذاً هذا يدعونا لأن نؤكد على أن هؤلاء الأدعياء ليسوا بمسلمين ولكن تظاهروا بالاسلام ليخربوا فى عقائد الاسلام باسم الاسلام والاسلام منهم براء، ومثل آخر فى عقيدة الرجعة عندهم أن القائم سيبعث الصحابة ليعذبهم ثم يقتلهم وعلى رأسهم أبوبكر وعمر وكذلك أمنا عائشة ليقيم عليها الحد؟؟ ، اذاً هؤلاء أدعياء العلم من الشيعة حاقدون على الدين محاربين للدين وأهله ، حملهم هذا الحقد والكفر أن يقولوا على زوجة النبى عائشة التى هى زوجته فى الدنيا والآخرة ما قالوا وفى سورة الأحزاب سماها الله سبحانه هى وأزواج النبى بأمهات المؤمنين بقوله سبحانه (وأزواجه أمهاتهم)، الى غير ذلك من الخرافات والخزعبلات التى أتى بها المصنف واليك بعضها والردود والنقد :- ما سيأتى من تفسير الصافى

سورة يونس (٥٦) ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة. أقول: قيد البعث بالموت لأنه قد يكون عن اغماء ونوم وفيه دلالة واضحة على جواز الرجعة التي قال بها أصحابنا نقلا عن أئمتهم وقد احتج بهذه الآية أمير المؤمنين عليه السلام على ابن الكواحين أنكرها كما رواه عنه الأصبغ بن نباتة.

العـياشي: عن البـاقر (عليـه السلام) أنـه سئل عن الامـور العظام من الرجعـة وغيرها، والقمي: قال: نزلت في الرجعة كذبوا بها أي أنها لا تكون.

سورة الحجـر والقمي عنه عليه السلام قال يوم الوقـت المعلوم يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الصخـرة التي في بيت المقدس. أقول: يعني عند الرجعة.

سورة النحل (٢٢) إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون.

القمي والعياشي عن الباقر عليـه السلام لا يؤمنون بالآخرة يعني بالرجعة قلوبهم منكرة يعني كـافرة وهم مـسـتكبرون يعني عن ولاية عـلي عليه السـلام إنه لا يحب المستكبرين يعني عن ولاية علي عليه السلام .

فقال لي يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوما من شيعتنا قبايع سيوفهم على عواتقهم فيـبلغ ذلك قوما من شيعتنا لم يموتوا فيقـولون بعث فلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم فيبلغ ذلك.

سورة الاسراء (٨) عسى ربكم أن يرحمكم وإن عـدتم نوبة أخرى عدنا مرة ثالثة إلى عقـوبتكم وجعلنا جهنم للكافريـن حصيرا محـبسا لا يقدرون الخـروج منها أبدا والعامة فسروا الأفسادتين بقتل زكـريا ويحيى والعلو الكبير بإستكبارهم عن طاعة الله وظلمهم الناس والعباد أولي بأس بخت نصـر وجنوده ورد الكرة عليهم برد بهمن بن إسفنديار اسراءهم إلى الشـام وتمليكه دانيال عليهم ووعده الآخـرة بتسليط الله الفرس عليهم مرة اخرى .وفي الكافي والعياشي عن الصادق عليه السلام إنه فسر الأفسادتين بقتل علي بن أبي طالب علـيه السلام وطعن الحسن عليـه السلام والعلو الكبيـر بقتل الحسين عليه السلام والعـباد أولى بأس بقوم يبعثهم الله قبل خـروج القائم فلا يدعون وترا [١] لآل محمد صلوات الله عليهم إلا قتلوه ووعد الله بخروج القائم عليه السلام ورد الكرة عليهم بخـروج الحسين عليه السلام في سـبعين من أصحابه عليـهم البيض المذهب حين كان الحـجة القـائم بين أظهرهم. وزاد العـياشي ثم يملكهم الحـسين عليه السلام حتى يقع حاجباه ألى عينيـه. والعياشي عنه عليه السلام أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه ويزيد بن معوية وأصحابه فيقتلهم حذو القذة بالقذة ثم تلا هذه الآية ثم رددنا.

وفي رواية أخرى للعياشي عن الباقر علـيه السلام إن العباد أولي بأس هم القائم

(١) تفسير الصافي: ٧٦/٤ .

وأصحابه والقمي وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب أي أعلمناهم ثم إنقطعت مخاطبة بني إسرائيل وخاطب الله أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال لتفسدن في الارض مرتين يعني فلانا وفلانا وأصحابهما ونقضهم العهد ولتعلن علوا كبيرا يعني ما إدعوه من الخلافة فإذا جاء وعد أولاهما يعني يوم الجمل بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه فجاسوا خلال الديار أي طلبوكم وقتلوكم وكان وعدا مفعولا يعني يتم ويكون ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني لبني أمية على آل محمد وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا من الحسن والحسين عليهما السلام ابني علي وأصحابهما وسبوا نساء آل محمد صلوات الله عليهم فإذا جاء وعد الآخرة يعني القائم وأصحابه ليسوؤا وجوهكم يعني يسود وجوههم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وأمير المؤمنين عليه السلام ليتبروا ما علوا تتبيرا أي يعلو عليكم فيقتلوكم ثم عطف على آل محمد فقال عسى ربكم أن يرحمكم أي ينصركم على عدوكم ثم خاطب بني امية فقال وإن عدتم عدنا يعني إن عدتم بالسفياني عدنا بالقائم من آل محمد صلوات الله عليهم وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا حبسا يحصرون فيها.

وفي العلل عنه عليه السلام في حديث قال وأخذ الميثاق على أولي العزم إنني ربكم ومحمد رسولي وعلي أمير المؤمنين وأوصيائه من بعده ولاة أمري وخزان علمي وأن المهدي عليه السلام أنتصر به لديني وأظهر به دولتي وأنتقم به من أعدائي واعبد به طوعا وكرها قالوا أقررنا يا رب وشهدنا ولم يجحد آدم ولم يقر فثبتت العزيمة لهؤلاء الخمسة في المهدي عجل الله فرجه الشريف ولم يكن لآدم عزم على الأقرار به وهو قوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قال إنما هو فترك.

القمي عن الصادق عليه السلام إن له معيشة ضنكا قال هي والله للنصاب قيل له رأيناهم في دهرهم الأطول في الكفاية حتى ماتوا قال ذلك والله في الرجعة يأكلون العذرة.

(١٢٩) ولولا كلمة سبقت من ربك وعن الباقر عليه السلام قال إذا قام القائم وبعث إلى بني امية بالشام هربوا إلى الروم فيقول لهم الروم لا ندخلكم حتى تتنصروا فيعلقون في أعناقهم الصلبان فيدخلونهم فإذا نزل بحضرتهم أصحاب القائم عليه السلام طلبوا الأمان والصلح فيقول أصحاب القائم عليه السلام لا نفعل حتى تدفعوا إلينا من قبلكم منا قال فيدفعونهم إليهم فذلك قوله لا تركضوا إلى قوله لعلكم

تسئلون قال يسألهم الكنوز وهو أعلم بها قال فيقولون يا ويلنا إلى قوله خامدين أي بالسيف وهو سعيد بن عبد الملك الأموي صاحب نهر سعيد بالرحبة. ماتقدم نقلا عن تفسير الصافى

نقد مقالة الرجعة:

إن أهل البيت وعلى رأسهم ابن عباس وأبو جعفر الباقر أكدوا فى تفسير الآيات الآتية أنه لا رجوع الى الدنيا قبل يوم القيامة وروايات لعليّ ابن ابى طالب فى مدح اخوانه من الصحابة وقوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى(١٠١)﴾.

واليك البيان من تفسير ابن كثير:

[الأنبياء، آية: ٩٣: ١٠١]﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ* وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾. قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جُبَيْر، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يقول: دينكم دين واحد. وقال الحسن البصري؛ في هذه الآية: بيَن لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: سنتكم سنة واحدة. فقوله: ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ إنّ واسمها، و﴿أُمَّتُكُمْ﴾ خبر إن، أي: هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضحت لكم، وقوله: ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ نصب على الحال؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥١، ٥٢]، وقال رسول الله ﷺ : «نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد»، يعني: أن المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائع متنوعة لرسله، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] .وقوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفت الأمم على رسلها، فمن بين مُصَدق لهم ومكذب؛ ولهذا قال: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ أي: يوم القيامة ، فيجازَى كل بحسب عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر؛ ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أي: قلبه مصدق، وعمل عملا صالحا، ﴿فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾، كقوله: ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] أي: لا يُكفَر سعيُه، وهو عمله، بل يُشْكَر، فلا يظلم مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ أي: يُكتب جميعُ عمله، فلا يَضيع عليه منه شيء.

يقول تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ قال ابن عباس: وجب، يعني: قدراً مُقَدراً أن أهل كل قرية أهلكوا أنهم لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة. هكذا صرح به ابن عباس، وأبو جعفر الباقر، وقتادة، وغير واحد.

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ يعني: هذا كائن لا محالة، يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا، كما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وذلك واجب الوقوع، لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل، وهو القادر على ذلك. ولهذا قال: ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾. وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع وابن جعفر المعنى، قالا: حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال: "إنكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غُرْلا كما بدأنا أول خلق نعيده، وعدًا علينا إنا كنا فاعلين"؛ وذكر تمام الحديث، أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة. ورواه البخاري عند هذه الآية في كتابه. وقد روى ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن عائشة عن النبي ﷺ، نحو ذلك. وقال العوفي، عن ابن عباس في قوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ قال: نهلك كل شيء، كما كان أول مرة. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾. يقول تعالى مخبرا عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين، من السعادة في الدنيا والآخرة، ووراثة الأرض في الدنيا والآخرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]. وقال: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. وقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾، الآية [النور: ٥٥]. وأخبر تعالى أن هذا مكتوب مسطور في الكتب الشرعية والقدرية فهو كائن لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾، قال الأعمش: سألت سعيد بن جُبير عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ فقال الزبور: التوراة، والإنجيل، والقرآن. وقال مجاهد: الزبور: الكتاب. وقال ابن عباس، والشعبي، والحسن، وقتادة، وغير واحد: الزبور: الذي أنزل على داود، والذكر: التوراة، وعن ابن عباس: الزبور: القرآن. وقال سعيد بن جُبير: الذكر: الذي في السماء.

وقال مجاهد: الزبور: الكتبُ بعد الذكر، والذكر: أمّ الكتاب عند الله. واختار ذلك ابن جرير رحمه الله، وكذا قال زيد بن أسلم: هو الكتاب الأول. وقال الثوري: هو اللوح المحفوظ. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور: الكتب التي نزلت على الأنبياء، والذكر: أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: أخبر الله سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض، أن يُورثَ أمةَ محمد ﷺ الأرض ويدخلهم

الجنة، وهم الصالحون. وقال مجاهد، عن ابن عباس: ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ قال: أرض الجنة. وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والشعبي، وقتادة، والسدي، وأبو صالح، والربيع بن أنس، والثوري [رحمهم الله تعالى] . وقوله: ﴿إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أي: إن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغًا: لَمَنفعةً وكفايةً لقوم عابدين، وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحبه ورضيه، وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم. روايات لعليّ ابن ابى طالب فى مدح اخوانه من الصحابة وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ .

قال عكرمة: الرحمة. وقال غيره: السعادة، ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله، عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسله ، وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة، وأسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا، كما قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦]: وقال ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فكما أحسنوا العمل في الدنيا، أحسن الله مآلهم وثوابهم، فنجاهم من العذاب، وحَصَل لهم جزيل الثواب، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ أي: حريقها في الأجساد. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عمار، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبيه، عن الجريري، عن أبي عثمان: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾، قال: حيات على الصراط تلسعهم، فإذا لسعتهم قال: حَسَ حَسَ. وقوله: ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ فسلمهم من المحذور والمرهوب، وحصل لهم المطلوب والمحبوب. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن أبي سُرَيج، حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني، عن ليث بن أبي سليم، عن ابن عم النعمان بن بشير، عن النعمان بن بشير قال - وسَمَرَ مع علي ذات ليلة، فقرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ قال: أنا منهم، وعمر منهم، وعثمان منهم، والزبير منهم، وطلحة منهم، وعبد الرحمن منهم - أو قال: سعد منهم - قال: وأقيمت الصلاة فقام، وأظنه يجر ثوبه، وهو يقول: ﴿لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾. وقال شعبة، عن أبي بشر، عن يوسف المكي، عن محمد بن حاطب قال: سمعت عليا يقول في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ قال: عثمان وأصحابه. ورواه ابن أبي حاتم أيضا، ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد - وليس بابن ماهك - عن محمد بن حاطب، عن علي، فذكره ولفظه: عثمان منهم. وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾: فأولئك أولياء الله يمرون

على الصراط مرًا هو أسرع من البرق، ويبقى الكفار فيها جثيًا.

سورة المؤمنون

﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت، من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك، وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا، ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته؛ ولهذا قال: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [الأعراف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١١، ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، فذكر تعالى أنهم يسألون الرجعة، فلا يجابون، عند الاحتضار، ويوم النشور ووقت العرض على الجبار، وحين يعرضون على النار، وهم في غمرات عذاب الجحيم.

وقوله: هاهنا: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: كلا حرف ردع وزجر، أي: لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾: قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أي لا بد أن يقولها لا محالة كل محتضر ظالم. ويحتمل أن يكون ذلك علة لقوله: "كلا"، أي: لأنها كلمة، أي: سؤاله الرجوع ليعمل صالحا هو كلام منه، وقول لا عمل

معه، ولو رد لما عمل صالحا ، ولكان يكذب في مقالته هذه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وقال محمد بن كعب القرظي: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ قال: فيقول الجبار: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾. وقال عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة: إذا سمعت الله يقول: ﴿كَلَّا﴾ فإنما يقول: كذب. وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾: قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت، فاستقال ربه فأقاله، فليعمل بطاعة الله عز وجل. وقال قتادة: والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا إلى عشيرة، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها، ولا قوة إلا بالله. وعن محمد بن كعب القرظي نحوه. وقال محمد بن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا فضيل - يعني: ابن عياض - عن لَيْث، عن طلحة بن مُصَرِّف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: إذا وضع - يعني : الكافر - في قبره، فيرى مقعده من النار. قال: فيقول: رب، ارجعون أتوب وأعمل صالحا. قال: فيقال: قد عُمِّرت ما كنت مُعَمَّرا. قال: فيضيق عليه قبره، قال: فهو كالمنهوش، ينام ويفزع، تهوي إليه هَوَامّ الأرض وحياتها وعقاربها. وقال أيضا: حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن علي، حدثني سلمة بن تمام، حدثنا علي بن زيد. عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، أنها قالت: ويل لأهل المعاصي من أهل القبور!! تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو: دُهْم - حية عند رأسه، وحية عند رجليه، يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقال أبو صالح وغيره في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ يعني: أمامهم. وقال مجاهد : البرزخ : الحاجز ما بين الدنيا والآخرة. وقال محمد بن كعب: البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة. ليسوا مع أهل الدنيا يأكلون ويشربون، ولا مع أهل الآخرة يجازون بأعمالهم. وقال أبو صخر: البرزخ: المقابر، لا هم في الدنيا، ولا هم في الآخرة، فهم مقيمون إلى يوم. وفي قوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ﴾: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ، كما قال: ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ [الجاثية: ١٠] وقال ﴿وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ١٧] . وقوله: ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: يستمر به العذاب إلى يوم البعث، كما جاء في الحديث: "فلا يزال معذبا فيها"، أي: في الأرض. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾. يخبر تعالى أنه إذا نفخ في الصور نفخة النشور، وقام الناس من القبور، ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ أي:

لا تنفع الأنساب يومئذ، ولا يرثي والد لولده، ولا يلوي عليه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا. يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠، ١١] أي: لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره، وهو كان أعز الناس عليه - كان - في الدنيا، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧]. وقال ابن مسعود: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه: قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرا؛ ومصداق ذلك في كتاب الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ رواه ابن أبي حاتم.

من كتاب أصول مذهب الشيعة

الرجعة من أصول المذهب الشيعي، فمن رواياتهم "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا". وقال ابن بابويه في الاعتقادات: "واعتقادنا في الرجعة أنها حق" وقال المفيد: "واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات"

وقال الطبرسي والحر العاملي وغيرهما من شيوخ الشيعة: بأنها موضوع "إجماع الشيعة الإمامية (وقد ذكر المجلسي أنهم أجمعوا على القول بها في جميع الأعصار)، وأنها من ضروريات مذهبهم"، وأنهم "مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة" ومعنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت.

ويشير ابن الأثير: أن هذا مذهب قوم من العرب في الجاهلية معروف عندهم وقد ذهبت فرق شيعية كثيرة إلى القول برجوع أئمتهم إلى هذه الحياة، ومنهم من يقر بموتهم ثم رجعتهم، ومنهم من ينكر موتهم ويقول بأنهم غابوا وسيرجعون ـ كما مر في مبحث الغيبة ـ وكان أول من قال بالرجعة ابن سبأ، إلا أنه قال بأنه غاب وسيرجع ولم يصدق بموته، وكانت عقيدة الرجعة خاصة برجعة الإمام عند السبئية، والكيسانية وغيرها، ولكنها صارت عند الاثني عشرية عامة للإمام وكثير من الناس. ويشير الألوسي إلى أن تحول مفهوم الرجعة عند الشيعة من رجعة الإمام فقط إلى ذلك المعنى العام كان في القرن الثالث، وقد اشتهرت بعض الفرق الشيعية باسم "الرجعية" لقولهم بالرجعة وقد ذكرها كفرقة بهذا الاسم ابن الجوزي في تلبيس إبليس، والقرطبي في "بيان الفرق" وصاحب الرسالة الفرقية المشهور بعالم محمد أفندي واهتمامهم بها.

أما المفهوم العام لمبدأ الرجعة عن الاثني عشرية فهو يشمل ثلاثة أصناف:

الأول: الأئمة الاثني عشر، حيث يخرج المهدي من مخبئه، ويرجع من غيبته، وباقي الأئمة يحيون بعد موتهم ويرجعون لهذه الدنيا.

الثاني: ولاة المسلمين الذين اغتصبوا الخلافة - في نظرهم - من أصحابها الشرعيين (الأئمة الاثني عشر) فيبعث خلفاء المسلمين وفي مقدمتهم أبو بكر وعمر وعثمان.. من قبورهم ويرجعون لهذه الدنيا - كما يحلم الشيعة - للاقتصاص منهم بأخذهم الخلافة من أهلها فتجري عليهم عمليات التعذيب والقتل والصلب.

الثالث: عامة الناس، ويخص منهم: من محض الإيمان محضًا، وهم الشيعة عمومًا، لأن الإيمان خاص بالشيعة، كما تتفق على ذلك رواياتهم وأقوال شيوخهم - كما سلف ومن محض الكفر محضًا، وهم كل الناس ما عدا المستضعفين [المستضعفون: مصطلح عند الشيعة يرد في مصادرهم على ألسنة شيوخهم القدامى والمعاصرين، وهم كما يقول المجلسي: ضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم، ومن لم يتم عليه الحجة ممن يموت في زمن الفترة، أو كان في موضع لم يأت غليه خبر الحجة فهم المرجون لأمر الله، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم، فيرجى لهم النجاة من النار. ولهذا قالوا في تعريف الرجعة: إنها "رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة [المفيد/ وعودتهم إلى الحياة بعد الموت"(١) في صورهم التي كانوا عليها والراجعون إلى الدنيا هم: "النبي الخاتم، وسائر الأنبياء، والأئمة المعصومون، ومن محض في الإسلام، ومن محض في الكفر، دون الطبقة الجاهلية المعبر عنها بالمستضعفين".

أو بعبارة شيخهم المفيد: "من علت درجته في الإيمان، ومن بلغ الغاية في الفساد، كلهم يرجعون بعد موتهم" وكذا من كان له قصاص وإن لم يكن ماحضًا فيرجع ويقتص من قاتله.

وزمن الرجعة العامة هو كما يذكر شيخهم المفيد وغيره "عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام" ورجوعه من غيبته، ولكن بعض شيوخهم يقول: إن الرجعة العامة غير مرتبطة بأمر ظهور المهدي.

ذلك أن الرجعة - كما يقول: «غير الظهور، لأن الإمام عليه السلام حي غائب وسيظهر إن شاء الله ولم يسلب الملك فيرجع إليه، فمبدأ الرجعة من رجوع الحسين إلى الدنيا، وهذا قد يتفق مع رواياتهم التي تقول "أول من تنشق الأرض عنه ويرجع

---

(١) [الحر العاملي/ الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة].

إلى الدنيا، الحسين بن علي عليه السلام" وقد ذكرت بعض رواياتهم أن الرجعة تبدأ بعد هدم الحجرة النبوية وإخراج الجسدين الطاهرين للخليفتين الراشدين ـ كما يحلم القوم ـ حيث جاء في أخبارهم أن منتظرهم يقول: "وأجيء إلى يثرب، فأهدم الحجرة، وأخرج من بها وهما طريّان، فآمر بهما تجاه البقيع وآمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورقان من تحتهما، فيفتتن الناس بهما أشدّ من الأولى، فينادي منادي الفتنة من السماء: يا سماء انبذي، ويا أرض خذي فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن (أي إلا شيعي) ثم يكون بعد ذلك الكرة والرجعة" والغرض من الرجعة هو انتقام الأئمة والشيعة من أعدائهم وهم سائر المسلمين من غير الشيعة ما عدا المستضعفين، ولذلك فإن سيوف الشيعة تقطر دمًا من كثرة القتل للمسلمين حتى قال أبو عبد الله: "كأني بحمران بن أعين وميسر بن عبد العزيز يخبطان الناس بأسيافهما بين الصفا والمروة"، ولا شك بأن تحديد موضع القتل العام بالمسجد الحرام يدل دلالة أكيدة أن المقصود بالقتل هم المسلمون، وأن هذا ما تحلم به الإمامية.. وهذا الخبر وأمثاله يعطينا ـ بغض النظر عن العنصر الخرافيه ـ صورة لتفكير تلك الزمر الشيعية التي وضعت تلك الروايات، وأهدافها ومخططاتها، فهي "إسقاطات" لرغبات مكبوتة، ونوازع مقهورة لفرقة تتربص بالأمة الدوائر.

كما أن هذه الأخبار السرية [لأن الرجعة كانت سراً من الأسرار كما سيأتي] قد توضح لنا بعض ما جرى في التاريخ من قيام القرامطة بقتل حجاج بيت الله داخل الحرم، وأنها كانت تتخذ من مثل هذه الأخبار المنسوبة لآل البيت سنداً لها لدفع تلك العناصر التخريبية للقيام بدورها الدموي. كما أنها تكشف لنا فحوى الأماني التي يعلنها شيعة هذا العصر ويصرحون فيها بتحرقهم وتلهفهم لفتح مكة والمدينة وكأنها بأيدي كفار كذلك يتحقق في الرجعة حساب الناس على يد الحسين: يقول أبو عبد الله: "إن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة وبعث إلى النار".

وفي الرجعة يتحول صفوة الخلق وهم أنبياء الله ورسله إلى جند لعلي كما يقول هؤلاء الأفاكون حيث قالوا: "لم يبعث الله نبيًا ولا رسولاً إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين" كما يحلم الشيعة بأن حياتهم في الرجعة ستكون في نعيم لا يخطر على البال حتى "يكون أكلهم وشربهم من الجنة، ولا يسألون الله حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلى وتقضى لهم"

ويخير الشيعي وهو في قبره بين الرجعة أو الإقامة في القبر. ويقال له: يا هذا إنه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك

فأقم؛ .

وتنتهي الرجعة بالنسبة للشيعة بالقتل لمن مات من قبل، وبالموت لمن قتل، وهذه النهاية إحدى أغراض الرجعة فهم يقولون في أخبارهم: "ليس أحد من المؤمنين قتل إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل"(١).

هذا وكانت عقيدة الرجعة سرًا من أسرار المذهب الشيعي، ولذلك قال أبو الحسين الخياط ـ أحد شيوخ المعتزلة [كان حيًا قبل سنة ٣٠٠هـ .«بأنهم قد تواصلوا بكتمانها وألا يذكروها في مجالسهم ولا في كتبهم إلا فيما قد أسروه من الكتب ولم يظهروه" وقد وجدت في كتب الاثني عشرية ما أشار إليه الخياط من التواصي بكتمان أمر الرجعة، حيث روت بعض كتب الشيعة عن أبي جعفر قال: "لا تقولوا الجبت والطاغوت [قال المجلسي: أي لا تسموا الملعونين بهذين الاسمين، أو لا تتعرضوا لهما بوجه، وهو يشير بهذا إلى خليفتي رسول الله وصهريه وحبيبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.]، ولا تقولوا الرجعة، فإن قالوا لكم فإنكم قد كنتم تقولون ذلك فقولوا: أما اليوم فلا نقول"] .وفي رواية أخرى ينسبونها للصادق: "لا تقولوا الجبت والطاغوت وتقولوا الرجعة، فإن قالوا: قد كنتم تقولون؟ قولوا: الآن لا نقول، وهذا من باب التقية التي تعبد الله بها عباده في زمن الأوصياء" هذه تعميمات سرية، تتبادلها الخلايا الشيعية، وحتى تعطيها صفة القطع والقوة، أسندتها لبعض علماء آل البيت، للتعزيز بالأحداث والأعاجم وسائر الأتباع من الجهال.

ما سبق نقلا من كتاب أصول مذهب الشيعة .

اتجه المصنف وشيوخ الشيعة إلى كتاب الله سبحانه ليأخذوا منه الدليل على ثبوت الرجعة التي ينفردون بالقول بها عن سائر المسلمين. . ولما لم يجدوا بغيتهم تعلقوا كعادتهم بالتأويل الباطني، وركبوا متن الشطط، وتعسفوا أيما تعسف في هذا السبيل، حتى أصبح استدلالهم حجة عليهم، ودليلاً على زيف معتقدهم، وبرهانًا على بطلان مذهبهم.

وحتى تتبين هذه الحقيقة نستعرض أقوى أدلتهم وأشهرها ـ حسب نظرهم -.

يرى شيخ المفسرين عندهم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء، آية: ٩٥]؛ حيث يقول ما نصه: "هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحدًا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك" وقد وُضع عنوان في أعلى الصفحة لهذا الدليل المزعوم على الرجعة يقول: "أعظم آية دالة على الرجعة"(١). مع

(١) (بحار الأنوار)] .

أن الآية حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة إلى الدنيا؛ إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وهذا كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس، آية: ٣١]، وقوله: ﴿فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يس، آية: ٥٠]، وزيادة "لا" هنا لتأكيد معنى النفي من "حرام"، وهذا من أساليب التنزيل البديعة البالغة النهاية في الدقة. وسر الإخبار بعدم الرجوع مع وضوحه، هو الصدع بما يزعجهم ويؤسفهم ويلوعهم من الهلاك المؤبد، وفوات أمنيتهم الكبرى وهي حياتهم الدنيا.

وإذا كان المقصود إثبات الرجعة فهي رجعة للناس ليوم القيامة بلا ريب [من المفسرين من يذهب لهذا ويرى أن الآية لتقرير الإيمان بالبعث، وهي تتمة وتقرير لما قبلها وهو قوله تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ [الأنبياء، آية: ٩٣] فتكون "لا" فيها على بابها، وهي مع "حرام" من قبيل نفي النفي، فيدل على الإثبات.

والمعنى: وحرام على القرية المهلكة عدم رجوعها إلى الآخرة، بل واجب رجعها للجزاء، فيكون الغرض إبطال قول من ينكر البعث، أي ممتنع البتة عدم رجوعهم إلينا للجزاء.

وتخصيص امتناع رجوعهم بالذكر مع شمول الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾؛ لأنهم المنكرون للبعث والرجوع دون غيرهم.

ومن أشهر الآيات التي يستدل بها الإمامية على الرجعة ـ كما يقول الألوسي ـ قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ [النمل، آية: ٨٣] . والآية كما يقول المفسرون في يوم الجزاء والحساب، يوم يقوم الناس لرب العالمين، إلا أن هؤلاء يجعلونها في عقيدتهم في الرجعة، ولذا قال شيخهم شبر بأنها فسرت في أخبارهم في الرجعة [تفسير شبر] .وقال الطبرسي: "استدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال: إن دخول "من" في الكلام يوجب التبعيض فدل بذلك على أنه يحشر قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف، آية: ٤٧]«أما كون "من (الأولى) للتبعيض فهذا شائع" ؛ لأن كل أمة منقسمة إلى مصدق ومكذب، أي ويوم يجمع من كل أمة من أمم الأنبياء، أو من أهل كل قرن من القرون جماعة كثيرة مكذبة بآياتنا وهذا لا يدل على مسألة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت بحال من الأحوال، ولكن الشيعة تتعلق بكل آيات اليوم الآخر المتضمنة لرجوع الناس لربهم لتجعلها في

عقيدتهم في الرجعة كما هو دأبها.

وتخصيص المكذبين بهذا الحشر لا يدل على ما يزعمون؛ لأن هذا حشر للمكذبين للتوبيخ والعذاب، بعد الحشر الكلي الشامل لكافة الخلق أما من؛ الثانية فهي بيانية جيء بها لبيان "فوجًا" (١)، ولهذا فإن بعض مفسري الشيعة المعاصرين أدرك ضلال قومه في هذا التأويل فقال في تفسير الآية: من؛ هنا بيانية وليست للتبعيض تمامًا كخاتم من حديد، والمعنى: أن في الأمم مصدقين ومكذبين بآيات الله وبيناته، وهو يحشر للحساب والجزاء جميع المكذبين بلا استثناء، وخصهم بالحشر مع أنه يعم الجميع؛ لأنه تعالى قصد التهديد والوعيد [محمد جواد مغنية] .ومن الآيات التي يتأولونها في الرجعة قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس، آية: ١٧ .] الآيات؛ حيث جاء في تفسير القمي ﴿قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ قال: هو أمير المؤمنين، قال: ما أكفره أي ماذا فعل وأذنب حتى قتلوه.." ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ، ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ [عبس، آية: ٢١ ، ٢٢] قال: في الرجعة ﴿ كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ [عبس، آية: ٢٣]، أي لم يقض أمير المؤمنين ما قد أمره، وسيرجع حتى يقضي ما أمره".

فيلاحظ هنا عدة أمور:

- أوّل شيخهم القمي "الإنسان" في قوله سبحانه: ﴿قُتِلَ الإنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ بعلي بن أبي طالب ـ مع أن الآية تدل بنصها وسياقها على أن المراد "بالإنسان" هنا الكافر، ولهذا قال السلف في تفسيرها: "لعن الإنسان الكافر ما أكفره" .فهل وضع مثل هذا التأويل للإساءة لأمير المؤمنين من طرف خفي، أو أنه أثر من آثار طائفة الكاملية، [الكاملية: هم الذين كفروا عليًا ـ رضي الله عنه ـ لأنه ترك منازعة الصحابة ومنعهم من مبايعة أبي بكر، وكفروا سائر الصحابة؛ لأنها لم تسلم الإمامة لعلي، وقد وردت عند الناشئ الأكبر باسم الكميلية. وقال بأنهم أصحاب كميل بن زياد، وحكى مذهبهم على ما ذكر، وقد وردت عند الأشعري، والبغدادي والشهرستاني الكاملية. وقال الأشعري: أنهم أتباع أبي كامل من الشيعة التي تذهب إلى تكفير أمير المؤمنين وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتلقفته الاثنا عشرية وغيرت فيه أو أن مخترع هذا النص أعجمي جاهل بلغة القرآن وإنما كتب ما أملاه عليه تعصبه وزندقته؟!

على أية حال فهذا التأويل يدل على مدى إفلاس أصحاب هذا الاعتقاد في العثور على ما يدل على مبدئهم.

(١) روح المعاني: ٢٠/ ٢٦]. (٢) [تفسير الطبري: ٣٠/ ٥٤].

- أوّل قول سبحانه: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ وهي نص صريح في البعث والنشور أوله بالرجعة، وهذا فضلاً عن أنه تحريف لمعاني القرآن، فإنه يصرف من يصدق بهذه الروايات عن الإيمان باليوم الآخر إلى هذه العقيدة المبتدعة، ولهذا يلاحظ أن طوائف من غلاة الشيعة أنكرت الإيمان باليوم الآخر وقالت بالتناسخ

ويلاحظ أن الاثني عشرية قد عمدت إلى كل نص في اليوم الآخر فجعلته في الرجعة، وقد مر بنا أن هذا قد أصبح قاعدة عامة عندهم [انظر: ص(١٨٣)] من رسالة أصول مذهب الشيعة، جعلت هذه الروايات الغرض من الرجعة أن عليًا لم يقض ما أمره الله به.

وهذا بهتان كبير في حق أمير المؤمنين وأنه قد تخلى عن أوامر الله سبحانه، ليقضيها في الرجعة، فهل أرادوا بهذا تشبيهه بالمشركين الذين ابتعدوا عن شرع الله سبحانه فاذا عاينوا العذاب تمنوا الرجعة.. فكم أساء هؤلاء إلى أهل البيت.

ومن الآيات التي جعلوها في الرجعة قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران، آية: ١٨٥]؛ حيث قالا في تأويلها: "لم يذق الموت من قتل، ولابد أن يرجع حتى يذوق الموت" فهذه الرواية تجعل الرجعة لجميع الناس حتى يتحقق لكل أحد منهم موت وقتل ـ كما يعتقدون ـ بينما هم قالوا بأن الرجعة خاصة بمن محض الإيمان، ومحض الكفر ـ كما سلف ـ كما أن هذا التأويل يحمل جهلاً بلغة العرب التي نزل بها القرآن؛ حيث عدّ القتل ونحوه ليس من قبيل الموت الذي تنص عليه الآية وهذا مبلغ علمهم.

ويتعلق الشيعة بآيات كثيرة يؤولونها بمثل هذا التأويل الباطني، وتسابق شيوخهم كعادتهم في الإكثار من هذه التأويلات، والتي أسندوها للآل حتى تكتسب الرواج عند الأتباع.. فقد بلغ ـ مثلاً ـ عدد الآيات التي أولوها بالرجعة حسب ما جمعه شيخهم الحر العاملي، وصل فيها التأويل الباطني المتعسف الغاية القصوى [وإليك أمثلة من أدلته ـ بالإضافة لما مضى ـ لا تحتاج إلى تعليق، وتدل على مبلغ إفلاسهم، وأنهم يخبطون خبط عشواء. قال الحر العاملي: "الباب الثالث في جملة من الآيات القرآنية الدالة على صحة الرجعة" ومن الآيات التي استدل بها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلاً﴾ [سبأ، آية: ١٠]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ﴾ [الروم، آية: ٩]، وقوله: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ [غافر، آية: ٨١]، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف، آية: ١٥]، وقوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات، آية: ٢٢]، هذا مبلغ استدلالهم وغاية احتجاجهم، فجمعوا بين بدعة الرجعة وتحريف آيات القرآن]، مع أن العاملي لم يذكر كل ما

عندهم، وقد اعتذر عن ذلك ـ في نهاية استدلاله بالآيات التي ذكرها ـ بعدم حضور الكتب عنده .

كما يستدل الشيعة ببعض ما أخبر الله به سبحانه من معجزات الأنبياء كإحياء الموتى لعيسى عليه السلام، أو بما أخبر الله به سبحانه في كتابه من إحياء الموتى كقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة، آية: ٢٤٣] وكأنهم بهذا النهج يستدلون على قدرة الله سبحانه التي ليست هي موضع الخلاف؛ ذلك أنه لا أحد ينكر ما وقع مما ورد به الخبر الثابت القطعي المتواتر، ولكن الذي ينكر هو دعوى الرجعة إلى الدنيا بعد الموت للحساب والجزاء قبل يوم الحساب والجزاء، هذا هو المنكر الأعظم الذي ليس عليه دليل، والذي أريد به إضعاف جانب اليوم الآخر في النفوس، وإلا فمعجزات الأنبياء وآيات الله في خلقه ليست محل خلاف.

ويأخذ الشذوذ في الاستدلال على صحة الرجعة مداه الأكبر حينما يقررون أن أوضح دليل على صحتها، وأظهر برهان على ثبوتها هو أنه لا قائل بها من غير الشيعة الإمامية؛ حيث "لم يقل بصحتها أحد من العامة (وهم ما سوى الشيعة الإمامية) وكل ما كان كذلك فهو حق" ؛ لأن الأئمة قالوا في حق العامة: "والله ما هم على شيء مما أنتم عليه، ولا أنتم على شيء مما هم عليه فخالفوهم فما هم من الحنيفية على شيء" !!!

ولهذا أشار الطبرسي وغيره بأن المعول في ثبوتها إجماع الإمامية عليها.

ويلاحظ على هذا الاستدلال ما يلي:

أن الإجماع غير حجة عند الشيعة ـ كما سلف ـ فكيف يجعلونه عمدة ثبوت عقيدة الرجعة ؟! لكن لعلهم يعدّون عدم وجود مخالف من الشيعة في أمر الرجعة دليلاً على دخول المعصوم مع المجمعين فيكون الإجماع حجة بهذا الاعتبار، لأن حجة الإجماع عندهم إنما هو بكشفه عن قول المعصوم.

لكن الشيعة الزيدية ينقلون روايات عن أئمة أهل البيت تبين براءتهم من عقيدة الرجعة وتعارض روايات الإمامية، ولذلك فإن الزيدية الحقة ينكرون هذه الدعوى إنكاراً شديداً، وقد ردوها في كتبهم على وجه مستوفى، فكيف يجزم الإمامية بنسبة الرجعة إلى الأئمة والنقل عنهم مختلف بين فرق الشيعة نفسها ؟! بل إن من الإمامية من أنكر الرجعة وأول أخبارهم برجوع دولة الشيعة كما نقل ذلك شيوخ الشيعة، فأين بعد هذا إجماع الشيعة، وأين صدق النقل عن الأئمة؟!

ثم إن الصحابة بما فيهم أمير المؤمنين علي لم يؤثر عنهم شيء في خرافة الرجعة، كما اتفقت على ذلك مصادر أهل السنة والشيعة الزيدية، ولو وجد شيء من ذلك لعرف واشتهر.

وإنما تسبت خرافة الرجعة في ذلك العصر إلى ابن سبأ، كما تقر بذلك كتب الشيعة، وابن سبأ أحد الكذابين الملعونين على ألسنة الأئمة، كما تروي كتب الاثني عشرية وغيرها.

أما من بعد عصر الصحابة فقد تحمل وزر روايتها جابر الجعفي وهو متهم في كتب الشيعة فضلاً عن كتب أهل السنة.

من رسالة أصول مذهب الشيعة

فكرة الرجعة إلى الدنيا بعد الموت مخالفة صريحة لنص القرآن، وباطلة بدلالة آيات عديدة من كتاب الله سبحانه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون، آية: ٩٩-١٠٠] . فقوله سبحانه: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ صريح في نفي الرجعة مطلقًا.

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ﴾ [يس، آية: ٣١ .] . وقال سبحانه: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم، آية: ٤٤] . وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة، آية: ١٢] . وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام، آية: ٢٧-٢٨] . فهؤلاء جميعًا يسألون الرجوع عند الموت، وعند العرض على الجبار جل علاه، وعند رؤية النار فلا يجابون، لما سبق في قضائه أنهم إليها لا يرجعون ولذلك عدّ أهل العلم القول بالرجعة إلى الدنيا بعد الموت من أشد مراحل الغلو في بدعة التشيع.

قال ابن حجر: التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه ويطلع عليه رافضي، وإلا فشيعي، فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض، وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو.

وقد جاء في مسند أحمد أن عاصم بن ضمرة (وكان من أصحاب علي رضي الله

عنه) قال للحسن بن علي: إن الشيعة يزعمون أن عليًا يرجع. قال الحسن: كذب أولئك الكذابون، لو علمنا ذاك ما تزوج نساؤه، ولا قسمنا ميراثه ، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح (١). والقول بالرجعة بعد الموت إلى الدنيا لمجازاة المسيئين وإثابة المحسنين ينافي طبيعة هذه الدنيا وأنها ليست دار جزاء ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران، آية: ١٨٥] . كما أنه يضعف جانب الإيمان بيوم البعث والجزاء، ويبدوا أن هذا من أهداف واضع هذا المبدأ [وقد ذكر بعضهم أن ابن سبأ قال بالرجعة وإبطال الآخرة] . وقد تمثل هذا عمليًا في تأويلات الاثني عشرية لآيات اليوم الآخر بالرجعة، وفي تأثير هذه التأويلات، وهذا المذهب على بعض الفرق المتنسبة للتشيع، وإنكارها لليوم الآخر، واعتقادها بالتناسخ الذي ربما تكون عقيدة الرجعة هي البوابة إليه، كما أن تأويلاتهم تدعو له.

ويرى بعض الباحثين أن عقيدة الرجعة تسربت عن طريق المؤثرات اليهودية والنصرانية ، ودخلت التشيع بتأثير اتباع تلك الديانات.

وقد استنتج شيخهم الصادقي (من شيوخهم المعاصرين) أن مبدأ الرجعة عند قومه يرجع في أصله إلى ما ورد في كتب اليهود [ونقل بعض نصوص اليهود في ذلك، وأرجعها إلى كتاب دانيال: ١٢/ ١-١٣ .

واعتبر ذلك بشارة للشيعة (٢). وقد كان لابن سبأ اليهودي ـ كما تنقل ذلك كتب الشيعة، والسنة على السواء ـ دور التأسيس لمبدأ الرجعة، إلا أنها رجعة خاصة بعلي، كما أنه ينفي وقوع الموت عليه أصلاً كحال الاثني عشرية مع مهديهم الذي يزعمون وجوده.

لكن يبدو أن الذي تحمل كبر نشره، وتعميم مفهومه وتأويل آيات من القرآن فيه هو جابر الجعفي حتى امتدحته روايات الشيعة بفقهه في أمر الرجعة؛ حيث جاء في تفسير القمي أن أبا جعفر قال: "رحم الله جابراً بلغ فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص، آية: ٨٥، قال ابن كثير في تفسير الآية: يقول تعالى آمراً رسوله صلوات الله وسلامه عليه ببلاغ الرسالة، وتلاوة القرآن على الناس، ومخبراً بأنه سيرده إلى معاد وهو يوم القيامة فيسأله عما استرعاه من أعباء النبوة، ومعنى ﴿فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ أي: افترض عليك أداءه إلى

---

(١) وانظر: طبقات ابن سعد: ٣/ ٣٩] .

(٢) انظر: رسول الإسلام في الكتب السماوية: ص٢٣٩-٢٤١] .

الناس، كما فسر "المعاد" بأقوال أخرى ترجع - كما يقول ابن كثير - إلى قول من فسر ذلك بيوم القيامة وانظر في معنى الآية: تفسير الطبري:

وعقيدة الرجعة عند الإمامية هي - كما قال السويدي رحمه الله - خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، وأن الله تعالى كلما توعد كافراً أو ظالمًا إنما توعده بيوم القيامة [ولكن الشيعة تتوعد كل ما سوى الشيعة بالرجعة]، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدنيا قبل يوم القيامة (١) .ولكن شيوخ الإمامية يصرون على القول بها، ويعتبرون شذوذهم عن الأمة فيها دليل صحتها. .

وأعظم رد عليهم قوله سبحانه وتعالى : ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ .

---

(١) [السويدي/ نقض عقائد الشيعة: ص١ (مخطوط)] .

الفصل السادس
البـــداء

القول علي الله بالبداء من تخريفات وتحريفات المصنف العقائدية ومن ينقل عنهم من علمـاء الشيعـة، الذين وصل بهم الكفر مـبلغه حين تجـرأوا على الملك سبـحانه وتعالى ووصفوه بهذه الفـرية العظيمة، ولست أدرى كيف وصل بهم الشطط الى هذا الحد، ولكنه الـغلو واتباع الهوى واسـتحـلال الكذب الذى أوقعهم فى هذا المـستنقع الآسن، فوصفوا الحق سبحانه بزعمهم كذباً وزورا بأنه لا يعلم الأشياء الا بعد وقوعها ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا من أعظم الكفر، والمتأمل والمتـدبر فى كتاب الله وفى سنة النبى يجد أن الأدلة مـستفيضـة التى تثبت أن الله يعلم ما كـان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فالله سبحانه هو وحده الذى تفرد بعلم الغيب، فهو يعلم علم الماضى وعلم الحاضر وعلم المستقـبل لا يشركه فى ذلك أحد لا نبى مرسل ولا ملك مقرب اذ هو القائل سبـحانه (قل لا يعلم من فى السماوات والأرض الغيب الا الله) ويقـول سـبحـانه ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُـــولٍ﴾، وفى السنة أن الله كتب فى كـتاب عنده مقـادير كل شىء قبل أن يخلق السمـاوات والأرض بخمـسين ألف سنة، ثم يأتى هؤلاء المشعـوذين المخربين لعـقائد أتباعـهم بهذه الأباطيل، لكننى أقول أن هؤلاء القوم غـرضهم مفضـوح مكشوف ألا وهو نشر الكفر بين الشيعة وذلك من خلال ايهامهم أن الأئمة أعلم وأعظم عندهم من الله، ولست متجنيـاً عليهم فلقد ذكروا فى مواضع عديده روايات مكذوبـة يثبتون من خلالهـا ذلك راجع فى ذلك تفسـير المصنف الكـاشانى فى سورة الكـهف حين سأل موسى عليه السلام الخـضر، فقالوا أن الامام يعلم علم ما كـان وما سيكون، وكذلك فى سورة النمـل حين قال سليمـان علمنا منطق الطير، وكل قـصة سليـمان فى هذه السورة تجـد روايات مكذوبة يحاول المصنف أن يثبت هـذا الزعم الكاذب وكذلك فى سورة الأنعام والاسراء يقول أن الامام اذا صـار الأمر اليه ضرب له عمود من نور من السماء الى الأرض به يـبصر ما تعمل كل أهل بلدة، وراح يحـبك الكذب ويقول أن كل من لم يتصف بهذه الصفات من علم الغـيب وعلم منطق الطير فليس بامام، فهل هذا جديد علينا لا والله ليس هذا بجديد أو بمستغرب على قوم قالوا عن أئمتهم أنهم قالوا- استـعينوا بنا على الله -، أليس هذا هو الكفر البواح؟ والله يـرد عليهم بقوله سبحانه ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾

ويقول أيضاً ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، ثم لما وجدوا أنفسهم فى مأزق مع أتباعهم اخترعوا هذه البدعة والصقوها بالله ألا وهى بدعة البداء (تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا)، كل هذا من أجل أن يصبغوا باطالهم بصبغة الدين ليستمروا فى اضلال أتباعهم من الشيعة الذين عطلوا عقولهم وسلموا أنفسهم لما يسمون أنفسهم بالمراجع والملالى والآيات وهم فى الحقيقة كما وصفهم الله سبحانه ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ وقوله (وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا)، واليك أيها القارىء بعض أدلة المصنف وبعدها الردود والنقد :

ما سيأتى من تفسير الصافى - يزعم المصنف أن من لم يقل بالبداء جهال وكذبه.

سورة البقرة ومن الناس من يشرى يبيع نفسه يبذلها لله ابتغاء مرضات الله والعياشي وعدة من أصحابنا عن أئمتنا في عدة أخبار انها نزلت في أمير المؤمنين (عليه السلام) حين بات على فراش النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الغار. القمي عن الباقر (عليه السلام) قال ان الله إذا بدا له أن يبين خلقه ويجمعهم لما لا بد منه أمر مناديا ينادي فاجتمع الإنس والجن في اسرع من طرفة العين كان الناس أمة واحدة العياشي عن الصادق (عليه السلام) قال كان هذا قبل بعث نوح كانوا امة واحدة فبدا لله فأرسل الرسل قبل نوح (عليه السلام) قيل أعلى هدى كانوا ام على ضلالة قال بل كانوا ضلالا لامؤمنين ولا كافرين ولا مشركين. وفي رواية اخرى له عنه قال وذلك أنه لما انقرض آدم وصالح ذريته بقي شيث وصيه لا يقدر على اظهار دين الله الذي كان عليه آدم وصالح ذريته وذلك أن قابيل توعده بالقتل كما قتل أخاه هابيل فسار فيهم بالتقية والكتمان فازدادوا كل يوم ضلالا حتى لحق الوصي بجزيرة في البحر يعبد الله فبدا لله تبارك وتعالى أن يبعث الرسل ولو سئل هؤلاء الجهال لقالوا قد فرغ من الأمر وكذبوا وفي الكافي عنه (عليه السلام) قال كان قبل نوح امة ضلال فبدا لله فبعث المرسلين وليس كما يقولون لم يزل وكذبوا يفرق في ليلة القدر ما كان من شدة أو رخاء أو مطر بقدر ما يشاء أن يقدر إلى مثلها.

سورة المائدة (٦٤) وقالت اليهود يد الله مغلولة والقمي قال قالوا قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الأول فرد الله عليهم فقال بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أي يقدم ويؤخر ويزيد وينقص وله البداء والمشيّة. وفي العيون عن الرضا (عليه السلام) في كلام له في إثبات البداء مع سليمان المروزي وقد كان ينكره فقال احسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال أعوذ بالله من ذلك وما

قالت اليـهود قال قالت اليهـود يد الله مغلولة يعنون إن الله قد فـرغ من الأمر فليس يحدث شيئا الحديث.

هو الذي خلقكم من طين أي إبتدأ خـلقكم منه ثم قضى أجلا كتب وقـدر أجلا محتوما لموتكم لا يتقدم ولا يتأخـر وأجل مسمى عنده لموتكم أيضا يمحوه ويثبت غيره لحكمة الصدقة والدعاء وصلة الرحم وغيرها مما يحقق الخوف والرجاء ولوازم العبودية فان بهـا وبأضدادها يزيد العـمر وينقص وفيـه سر البداء وقـد بيناه في كتـابنا المسمى بالوافي مستوفى. فـي الكافي عن الباقر (عليه السلام) في تفسـيرها قال أجلان أجل محتوم وأجل موقوف.

سورة هود وقـال لهم لوط يا رسل ربي فما أمـركم ربي فيهم؟ قـالوا: أمرنا أن نأخذهم بالسحر، قال فلي إليكم حاجة، قـالوا وما حاجتك؟ قال تأخذونهم الساعة، فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم.

سورة الدخان (٤) فيها يفرق كل أمر حكيم. والقمي عنهما وعن الكاظم عليهم السلام مثله وزاد أنزل الله سبحانه القرآن فيـها إلى البيت المعمور جملة واحدة ثم نزل من البيت المعـمور على رسـول الله صلى الله عليه وآله في طول عـشرين سنة فيـها يفـرق يعني في ليلة القدر كل أمـر حكيم أي يقـدر الله عز وجل كل أمـر من الحق والباطل وما يكون في تلك السنة وله فيه البداء والمشيئة يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء من الاجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ويزيد فيه ما يشاء وينقص ما يشاء ويلقـيه رسول الله صلـى الله عليه وآله إلى أمـير المؤمنين عليـه السلام ويلقـيه أمـير المؤمنين إلى الأئمة عليـهم السلام حتى ينتـهي ذلك الى صاحب الزمان عليـه السلام ويشترط له فيه البداء والمشية والتقديم والتأخير.

ما سبق من تفسير الصافى

الردود والنقد: من تفسير ابن كثير

﴿وَعِندَهُ مَـفَاتِحُ الْغَيْبِ لَـا يَعْلَمُهَـا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْـرِ وَمَا تَسْقُطُ مِـنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَـا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَـاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٥٩) الأنعـــام وقوله: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ﴾ قال البخاري: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سـعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عـبد الله، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال: "مـفاتح الغيب خمس لا يعلـمها إلا الله: ﴿إِنَّ اللَّـهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَـةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَـامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَـدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ

أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤] (١) . وفي حديث عمر [رضي الله عنه] أن جبريل حين تَبدّى له في صورة أعرابي فسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان، قال له رسول الله ﷺ فيما قال له: "خمس لا يعلمهن إلا الله "، ثم قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤] . وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ أي: يحيط عَلمه الكريم بجميع الموجودات، بَريها وبحريها لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وما أحسن ما قال الصَّرْصَرِيّ : فَلا يَخْفَى عليه الذَّر إمَّا. . . تَرَاءىَ للنواظر أو تَوارى. . . وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا﴾ أي: ويعلم الحركات حتى من الجمادات، فما ظنك بالحيوانات، ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم، كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي، حدثَنا الحسن بن الرَّبيع، حدثنا أبو الأحْوَص، عن سعيد بن مسروق، عن حسان النمري، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا﴾ قال: ما من شجرة في بر ولا بحر إلا وملك موكل بها ، يكتب مَا يسقُط منها. وقوله: ﴿وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ قال محمد بن إسحاق، عن يحيي بن النضر، عن أبيه، سمعت عبد الله بن عَمرو بن العاص يقول: إن تحت الأرض الثالثة وفوق الرابعة من الجن ما لو أنهم ظهروا - يعني لكم - لم تروا معهم نوراً، على كل زاوية من زوايا الأرض خاتم من خواتيم الله، عزَّ وجل، على كل خاتم مَلَك من الملائكة يبعث الله، عزَّ وجل، إليه في كل يوم ملكا من عنده: أن احتفظ بما عندك. قال ابن أبي حاتم: حدثنا عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المِسوَر الزهري: حدثنا مالك بن سُعَير، حدثنا الأعمش، عن يزيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحَارث قال: ما في الأرض من شجرة ولا مغْرَز إبرة إلا عليها ملك موكل يأتي الله بعلمها: رطوبتها إذا رطبت، ويَبَسها إذا يبست.

وكذا رواه ابن جرير عن أبي الخطاب زياد بن عبد الله الحساني، عن مالك بن سعير، به (٢) ثم قال ابن أبي حاتم: ذُكر عن أبي حذيفة، حدثنا سفيان، عن عمرو بن قيس، عن رجل عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: خلق الله النون - وهي الدواة - وخلق الألواح، فكتب فيها أمر الدنيا حتى ينقضي ما كان من خلق مخلوق، أو رزق حلال أو حرام، أو عمل بر أو فجور وقرأ هذه الآية: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلا

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٢٧).
(٢) تفسير الطبري (١١/ ٤٠٤).

يَعْلَمُهَا﴾ إلى آخر الآيـة. وقوله: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قال سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلا﴾ يعني: الموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: الآخرة. وهكذا رُوي عن مجاهد، وعِكْرِمة، وسعيد بن جُبَيْر، والحسن، وقتادة، والضحاك، وزيد بن أسلم، وعطية، والسُّدِّي، ومُقاتل بن حيَّان، وغيرهم. وقول الحسن - في رواية عنه: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلا﴾ قال: ما بين أن يخلق إلى أن يموت ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ ما بين أن يموت إلى أن يبعث - هو يرجع إلى ما تقدم، وهو تقدير الأجل الخاص، وهو عمر كل إنسان، وتقدير الأجل العام، وهو عمر الدنيا بكمالها ثم انتهائها وانقضائها وزوالها، [وانتقالها] والمصير إلى الدار الآخرة. وعن ابن عباس ومجاهد: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلا﴾ يعني: مدة الدنيا ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: عمر الإنسان إلى حين موته، وكأنه مأخوذ من قوله تعالى بعد هذا: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٦٠] وقال عطية، عن ابن عباس ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلا﴾ يعني: النوم، يقبض فيه الروح ثم يرجع إلى صاحبه عند اليقظة ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ يعني: أجل موت الإنسان، وهذا قول غريب. معنى قوله: ﴿عِنْدَهُ﴾ أي: لا يعلمه إلا هو، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وكقوله ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٤] . وقوله: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ قال السُّدِّي وغيره: يعني تشكون في أمر الساعة.

الرعد ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ * يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: لم يكن يأتي قومه بخارق إلا إذا أُذنَ له فيه، ليس ذلكَ إليه، بل إلى الله، عز وجل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكل مدة مضروبة كتاب مكتوب بها، وكل شيء عنده بمقدار، ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠] . وكان الضحاك بن مزاحم يقول في قوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ أي: لكل كتاب أجل يعني لكل كتاب أنزله من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدار معين، فلهذا يمحوا ما يشاء منها ويثبت، يعني حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله، صلوات الله وسلامه عليه. وقوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ اختلف المفسرون في ذلك، فقال الثوري، ووكيع، وهُشَيْم، عن ابن أبي ليلى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس: يدبر أمر السنة، فيمحو ما

يشاء، إلا الشقاء والسعادة، والحياة والموت. وفي رواية: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ قال: كل شيء إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة فإنهما قد فرغ منهما. وقال مجاهد: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ إلا الحياة والموت، والشقاء والسعادة، فإنهما لا يتغيران. وقال منصور: سألت مجاهدا فقلت: أرأيت دعاء أحدنا يقول: اللهم، إن كان اسمي في السعداء فأثبته فيهم، وإن كان في الأشقياء فامحه عنهم واجعله في السعداء. فقال: حسن. ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر، فسألته عن ذلك، فقال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٣، ٤] قال: يقضي في ليلة القَدر ما يكون في السَّنة من رزق أو مصيبة، ثم يقدم مايشاء ويؤخر ما يشاء، فأما كتاب الشقاوة والسعادة فهو ثابت لا يُغير. وقال الأعمش، عن أبي وائل شَقِيق بن سلمة: إنه كان يكثر أن يدعو بهذا الدعاء: اللهم، إن كنت كتبتنا أشقياء فامحه، واكتبنا سعداء، وإن كنت كتبتنا سعداء فأثبتنا، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب. رواه ابن جرير(١) .وقال ابن جرير أيضا: حدثنا عمرو بن عليٍّ، حدثنا معاذ بن هشام ، حدثني أبي، عن أبي حكيمة عصمة، عن أبي عثمان النَّهدي؛ أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال وهو يطوف بالبيت وهو يبكي: اللهم، إن كنت كتبت علي شقوة أو ذنبًا فامحه، فإنك تمحو ما تشاء وتثبت، وعندك أم الكتاب، فاجعله سعادة ومغفرة.(٢) وقال حماد عن خالد الحذَّاء، عن أبي قلابة عن ابن مسعود أنه كان يدعو بهذا الدعاء أيضا. ورواه شريك، عن هلال بن حميد، عن عبد الله بن عُكَيْم، عن ابن مسعود، بمثله. وقال ابن جرير: حدثني المثنى ، حدثنا حجاج، حدثنا خصاف، عن أبي حمزة، عن إبراهيم؛ أن كعبا قال لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين، لولا آية في كتاب الله لأنبأتك بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٣) ومعنى هذه الأقوال: أن الأقدار ينسخ الله ما يشاء منها، ويثبت منها ما يشاء، وقد يستأنس لهذا القول بما رواه الإمام أحمد : حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان، وهو الثوري، عن عبد الله بن عيسى، عن عبد الله بن أبي الجَعد، عن ثَوْبان قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يُصيبه، ولا يرد القَدَر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر» . ورواه النسائي وابن مَاجه، من حديث سفيان

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨١).
(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٨١).
(٣) تفسير الطبري (١٦/ ٤٨٤).

الثـوري، به(١). وثبت في الصحيح أن صلة الرحم تزيد في العمر(٢) وفي الحـديث الآخر: "إن الدعاء والقضاء ليعـتلجان بين السماء والأرض". وقال عكرمة، عن ابن عباس: الكتاب كتابان: فكتاب يمحو الله منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب.

وروي عن سعيد بن جبير: أنها بمعنى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقـرة : ٢٨٤] . وقال علي بن أبـي طلحة، عن ابن عـباس: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ، والمنسوخ، وما يبدل، وما يثبت كل ذلك في كتاب. وقال قتادة في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ كقـوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] واسـتدلالهم بهذه الآية على أن المحو والإثبات بداء شطـط في الاستدلال، وتعسف بالغ، ذلك أن المحو والإثـبات بعلمـه وقدرته وإرادته، من غـير أن يكون له بداء في شيء، وكـيف يتوهم له البداء وعنده أم الكتاب، وله في الأزل العلم المحيط ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام، آية: ٥٩]، ﴿..وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ، آية: ٣] .

البـــداء

البداء في اللغـة: من بدا يبدو بدواً، إذا ظهـر، قال في معـجم مقـاييس اللغة: الباب والدال والواو أصل واحـد وهو ظهور الشيء، يقال: بدا الشيء يبـدو إذا ظهر فهو باد. . . .، وتقول: بدا لي في هذا الأمر بداء، أي تغير رأيي عما كان عليه(٣). وقال في اللسان: قال ابن الأثير: (والبـداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم(٤)، وذلك على الله غير جائز (٥) (٦).

وقـد ذكر الأشعري في المقـالات: أنهم ثلاث فـرق في جواز البـداء (*) على

---

(١) المسند (٥/ ٢٢٧) وسنن ابن ماجة برقم (٩٠).
(٢) صحيح مـسلم برقم (٢٥٥٧) من حديث أنس ولفظه : "من سره أن يبـسط عليه رزقه ، أو ينسأ في أثره ، فليصل رحمه" .
(٣) معجم مقاييس اللغة ١/ ٢١٢ .
(٤) انظر تهذيب اللغة ١٤/ ٢٠٢، مختار الصحاح صـ ٤٤ .
(٥) النهاية في غريب الحديث ١/ ١٠٩ (مادة بدو).
(٦) اللسان ١٤/ ٦٦ .

الله(١). قال شيخ الإسلام: (بل قال الجاحظ في كتابه: "الحجج في النبوة" ليس على ظهرها رافضي إلا وهو يزعم أن ربه مثله وأن البدوات تعرض له وأنه لا يعلم الشيء قبل كونه إلا بعلم يخلقه لنفسه) (٢).

وقال: (وكل الروافض -إلا شرذمة قليلة- يزعمون أن الله يريد الشيء ثم يبدو له فيه)(٣). وهذا نقله عن الأشعري في المقالات (٤).

فهذا من جرأتهم على الله، ومع ذلك فهم ينزهون أئمتهم عما يصفون الله به قال شيخ الإسلام: (وأيضا فكثير من شيوخ الرافضة من يصف الله تعالى بالنقائص كما تقدم حكاية بعض ذلك- فزرارة بن أعين (٥)، وأمثاله يقولون: يجوز البداء عليه وأنه يحكم بالشيء ثم يتبين له ما لم يكن علمه فينتقض حكمه لما ظهر له من خطئه فإذا قال مثل هؤلاء بأن الأنبياء والأئمة لا يجوز أن يخفى عليهم عاقبة فعلهم فقد نزهوا البشر عن الخطأ مع تجويزهم الخطأ على الله وكذلك هشام بن الحكم وزرارة بن أعين وأمثالهما ممن يقول إنه يعلم ما لم يكن عالما به.

(ومعلوم أن هذا من أعظم النقائص في حق الرب) (٦).

ودلالة هذا على جرأتهم على الكذب على الله لا تحتاج إلى إيضاح، وقد قال شيخ الإسلام: (وليس في الطوائف المنتسبة إلى القبلة أعظم افتراء للكذب على الله وتكذيبا بالحق من المنتسبين إلى التشيع؛ ولهذا لا يوجد الغلو في طائفة أكثر مما يوجد فيهم. ومنهم من ادعى إلهية البشر... [إلى أن قال:] واتفق أهل العلم على أن الكذب ليس في طائفة من الطوائف المنتسبين إلى القبلة أكثر منه فيهم) (٧).

حتى إنه بلغ بهم الغلو إلى أذية الله ورسوله، قال شيخ الإسلام: (كما يذكر عن بعض الرافضة أنه آذى الله ورسوله بسبب تقديم الله ورسوله لأبي بكر وعمر)(٨) .

من كتاب أصول مذهب الشيعة - فصل البداء :

المصنف ومن ينقل عنهم يؤمنون بأن من أصول الاثني عشرية القول بالبداء على

---

(١) المقالات ١/ ١١٣ . (٢) المنهاج ١/ ٧٣ .

(٣) المنهاج ٢/ ٢٣٦ . (٤) المنهاج ١/ ١١١ .

(٥) زرارة بن أعين ين سنسن الشيباني بالولاء الكوفي الرافضي رأس الفرقة الزرارية، وإليه تنسب. ت سنة ١٥٠ هـ. لسان الميزان ٢/ ٤٧٣، ٤٧٤، المقالات ١/ ١١٠، ١١١، اللباب ٢/ ٦٣، الأعلام ٣/ ٤٣ .

(٦) المنهاج ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥، ٥٨٩، ٥٩٠ .

(٧) المنهاج ٢/ ٣٤ .

(٨) المنهاج ٥/ ١٣٧ .

الله سبحانه وتعـالى حتى بالغوا في أمره، فقالوا: "ما عـبد الله بشيء مثل البداء" [أصول الكافي، كتـاب التوحيد، باب البداء: ، "ولو علم الناس مـا في القول بالبداء من الأجر ما افتـروا من الكلام فيه"، + وما بعث الله نبيًا قط إلا بتـحريم الخمر وأن يقر لله بالبداء" ويبدو أن الذي أرسى أسس هذا المعـتقد عند الاثني عشريّة هو الملقّب عندهم بثـقة الإسـلام وهو شيـخهم الكليني (ت٣٢٨ أو ٣٢٩هـ) حـيث وضع هذا المعتقد في قـسم الأصول من الكافي، وجعله ضمن كتاب التـوحيد، وخصّص له بابًا بعنوان "باب البداء" وذكر فيه ستّة عشر حديثًا من الأحاديث المنسوبة للأئمة.

وجاء من بـعده ابن بابويه (ت٣٨١هـ) ، وسـجل ذلك ضمن عـقائد طائفـته، وعقد له بابًا خاصًا بعنوان "باب البداء" وذلك في كـتاب "الاعتقادات" الذي يسمى دين الإمامية ومثل ذلك فعل في كتابه "التوحيد"

وقد اهتمّ شيخهم المجـلسي (ت١١١١هـ) بأمر البداء وبوّب له في بحاره بعنوان "باب النّسخ والبداء"، وذكـر (٧٠) حديثًا من أحـاديثهم عن الأئمة وكـذلك جاءت هذه المقالة ضمن كتب العقيدة عند المعاصرين

ولعل القـارئ المسلم يعجب من أمـر هذه العقـيدة، التي لا يعـرفها المسـلمون، وليس له ذكر في كـتاب الله سبحانه، وسنـة نبيه ﷺ مع أنها من أعظم مـا عبد الله به، ومن أصول رسـالات الرسل، وفيـها من الأجـر ما لو علم به المسلم لأصـبحت تجري على لسانه دائمًا كشهادة التوحيد (كما يزعمون).

إذا رجعت إلى اللغة العربية لتعرف مـعنى البداء تجد أن القاموس يقول: بدا بدواً وبدواً وبداءة: ظهر. وبدا له في الأمـر بدواً وبداء وبداة: نشأ له فيه رأي [الـقاموس المحيط، مادة: بدو (٤/ ٣٠٢)] . فالبداء في اللغة ـ كما ترى ـ له معنيان:

الأول: الظهور بعد الخفاء. تقول: بدا سور المدينة أي: ظهر.

والثاني: نشـأة الراي الجديد. قال الفراء: بدا لي بداء أي: ظهـر لي رأي آخر، وقال الجوهري: بدا لـه في الأمر بداء أي: نشأ له فيـه رأي [الصحاح (٦/ ٢٢٧٨)، ولسان العـرب (١٤/ ٦٦)، وانظر هذا المعنى في كتب الشيعـة مثل: مجمع البـحرين للطريحي: ١/ ٤٥] . وكـلا المعنيين وردا في القرآن، فـمن الأول قوله تعـالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة، آية: ٢٨٤] . ومن الثاني قولهَ: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ﴾ [يوسف، آية: ٣٥] . وواضح أن البداء بمعنييـه يستلزم سبق الجهلَ وحدوث الـعلمَ وكلاهما محال على الله سـبحانه. ونسبتـه إلى الله سبحانه من أعظم الكفـر، فكيف تجعل الشيعة الاثـنا عشرية هذا من

أعظم العبادات، وتدعي أنه ما عظم الله عز وجل بمثل البداء؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وهذا المعنى المنكر يوجد في كتب اليهود، فقد جاء في التوراة التي حرفها اليهود وفق ما شاءت أهواؤهم نصوص صريحة تتضمن نسبة معنى البداء إلى الله سبحانه [جاء في التوراة: "فرأى الرب أنه كثر سوء الناس على الأرض. فندم الرب خلقه الإنسان على الأرض وتنكد بقلبه، وقال الرب: لأمحون الإنسان الذي خلقته عن وجه الأرض.. " (١) .

هذا ما جاء في توراة اليهود، مع أنهم ينكرون النسخ، لأنه بزعمهم يستلزم البداء(٢)، فانظر إلى تناقضهم وردهم للحق وقبولهم بالباطل] .ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة، التي ارتضعها من توراته؛ في المجتمع الإسلامي الذي حاول التأثير فيه باسم التشيع وتحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي، ذلك أن فرق السبئية "كلهم يقولون بالبداء وأن الله تبدو له البداوات" ثم انتقل هذه المقالة إلى فرقة "الكيسانية" أو "المختارية" أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهي الفرقة التي اشتهرت بالقول "بالبداء" والاهتمام به، والتزامه عقيدة.

ويذكر أصحاب المقالات أن السبب الذي جوزت لأجله الكيسانية البداء على الله تعالى هو: أن مصعب بن الزبير أرسل جيشًا قويًا لقتال المختار وأتباعه فبعث المختار إلى قتالهم أحمد بن شميط مع ثلاثة آلاف من المقاتلة وقال لهم: أوحي إلي أن الظفر يكون لكم، فهزم ابن شميط [وهو من قواد المختار، وقتل سنة (٦٧هـ) .] فيمن كان معه فعادوا إليه فقالوا: أين الظفر الذي قد وعدتنا؟ فقال المختار: هكذا كان قد وعدني ثم بدا فإنه سبحانه وتعالى قد قال: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد، آية: ٣٩] فالسبب كما ترى أن المختار كان يدعي علم الغيب وما يحدث بالمستقبل، فكان إذا وقع خلاف ما أخبر به قال: قد بدا لربكم. وتجد هذا المعنى في

---

(١) (سفر التكوين، الفصل السادس، فقرة: ٥) ومثل هذا المعنى الباطل وما أشبه يتكرر في توراتهم (انظر: سفر الخروج، الفصل: ٣٢ فقرة: ١٢، ١٤، وسفر قضاة، الفصل الثاني، فقرة: ١٨، وسفر صموئيل الأول، الفصل الخامس عشرة فقرة: ١٠، ٣٤، وسفر صموئيل الثاني، الفصل: ٢٤، فقرة: ١٦، وسفر أخبار الأيام الأول، الفصل: ٢١، فقرة: ١، وسفر أرميا، الفصل: ٤٢، فقرة: ١٠، وسفر عاموس، الفصل: ٧، فقرة: ٣، وسفر يونان، الفصل: ٣، فقرة: ١٠ وغيرها).

(٢) (انظر: مسائل الإمامة: ص٧٥، مناهل العرفان: ٢/ ٧٨).

أخبار الاثني عـشرية، فإنهم قد أشاعوا بين أتـباعهم أن أئمتهم "يعلمون مـا كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء" [أصول الكافي، باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى علـيهم الشيء: ١/ ٢٦٠] . فإذا نسبوا إلى الأئمـة أخبارًا لم تقع قالوا: هذا من باب البداء.

جاء في البحار في باب البـداء "عن أبي حمزة الثمالي قال: قـال أبو جعفر وأبو عبد الله علـيهما السلام: يا أبا حـمزة إن حدثناك بأمر أنه يجيء من هاهـنا فجاء من هاهنا، فإن الله يصنع ما يشاء، وإن حدثناك اليوم بحـديث وحدثناك غداً بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت" وكان شيوخ الشّيـعة يمنون أتباعهم بأنّ الأمر سيعود إليهم، والدّولة سـتكون لهم، حتـى إنّهم حدّدوا ذلك بسـبعين سـنة في رواية نسبـوها لأبي جعـفر، فلمّا مضت السّـبعون ولم يتـحقّق شيء من تلك الوعود اشـتكى الأتباع من ذلك، فحاول مؤسّسو المذهب الخروج من هذا المأزق بالقول بأنّه قد بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا.

وكانت روايات الشّيعة في حـياة جعفر الصّادق تتحدّث بأخبار تنسـبها لجعفر أنّ الإمامة ستكون بعـد موته لابنه إسماعيل، ولكن وقع ما لم يكن بالحـسبان، إذ مات إسماعيل قبل موت أبيه فكانت قاصمة الظّهر لهم، وحدث أكبر انشقاق باق إلى اليوم في المذهب الشّيعي، وهو خروج طائفة كبيرة منـهم ثبتت على القول بإمامة إسماعيل وهم الإسمـاعيليّة، رغم أنّهم فـزعوا إلى عقـيدة البداء لمعـالجة هذه المعضلة فنسـبوا روايات لجعفر تقول: "ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني. . إذ اخترمه قبلي ليعلم بذلك أنّه ليس بإمام بعـدي" واستجاب لهذا التّأويل طائفـة الاثني عشريّة الذين قالوا بإمامة موسى دون إسماعيل.

ومؤسـسو التشيع يدعون في الأئمة أنهم يـعلمون الحوادث الماضـية والمستـقبلة والآجال والأرزاق. . إلخ. ولكن الأتبـاع وسائر الناس لا يرون فـيهم شيـئًا من هذه الدعاوى، والأئمة لا يخبرون الناس بشيء من ذلك، لأنهم لا يملكون ذلك أصلاً ولا يدعونه في أنفسـهم فلم يجد مؤسسو التـشيع تعليلاً يبررون به هذا العجز إلا عـقيدة البداء فنقلوا عنهم أنهم لا يخبرون عن الغيب مخافة أن يبدو له تعالى فيغيره [زعموا ـ مثلاً ـ أن علي بن الحسين قال: لولا البداء لحدثتكم بما يكون إلى يوم القيامةوزعموا أن الأئمة يعطون علم "الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض والأمراض ويشترط (لهم) فيه البداء" وهذه حيلة أخرى منهم ليستروا بها كذبهم إذا أخبروا خلاف الواقع.

وقد أمر الشيعة بمقتضى هـذه العقيدة بالتسليم بالتـناقض والاختلاف والكذب،

ففي رواية طويلة في تفسير القمي تخبر عن نهاية دولة بني العباس، قال فيها إمامهم: "إذا حدثناكم بشيء فكان كما نقول فقولوا: صدق الله ورسوله، وإن كان بخلاف ذلك فقولوا: صدق الله ورسوله تؤجروا مرتين.." وقد كان لعقيدة البداء في إبان نشأتها أثرها في ظهور بوادر الشك لدى العقلاء من أتباع المذهب، وقد اكتشف بعضهم حقيقة اللعبة، فتخلى عن المذهب الإمامي أصلاً، وقد حفظت لنا بعض كتب الفرق قصة أحد هؤلاء وهو سليمان بن جرير الذي تنسب إليه فرقة السليمانية من الزيدية، فقال ـ كما تنقل ذلك كتب الفرق عند الشيعة نفسها ـ: "إن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين، لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبداً وهما القول بالبداء وإجازة التقية" ثم كشف ـ من خلال حياته في المجتمع الشيعي، ومخالطته لهم ـ كيف يتخذون من عقيدة البداء وسيلة للتستر على كذبهم في دعوى علم الأئمة للغيب فقال: "إنّ أئمتهم لمّا أحلّوا أنفسهم من شيعتهم محلّ الأنبياء من رعيّتها في العلم فيما كان ويكون، والإخبار بما يكون في غد، وقالوا لشيعتهم إنّه سيكون غداً وفي غابر الأيّام كذا وكذا، فإن جاء ذلك الشّيء على ما قالوه، قالوا لهم: ألم نعلّمكم أنّ هذا يكون فنحن نعلم من قبل الله عزّ وجلّ ما علمته الأنبياء، وبيننا وبين الله عزّ وجلّ مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت، وإن لم يكن ذلك الشّيء الذي قالوا إنّه يكون على ما قالوه، قالوا لشيعتهم: بدا لله في ذلك فلم يكونّه ، وسليمان بن جرير ينسب الخداع إلى بعض أهل البيت، والحقّ أنّ ذلك من أولئك الزّنادقة المنتسبين إلى أهل البيت لأكل أموال النّاس بالباطل والتّآمر والتّخريب] .ثم شرح أيضًا كيف يخدعون أتباعهم بمقتضى عقيدة التقية، فتأثر بقوله طائفة من الشيعة واتبعوه [المقالات والفرق] .فأنت ترى بعد هذا العرض أنه لو سقطت عقدية البداء لانتقض دين الاثني عشرية من أصله، لأن أخبارهم ووعودهم التي لم يتحقق منها شيء تنفي عنهم صفة الإمامة.

وهذا سر مغالاة شيوخهم بأمر البداء، ودفاعهم عنه، وجعله من أعظم العبادات. لكن مقالة البداء ارتدت عليهم بأوخم العواقب وهي إضافة سبب جديد لكفرهم وردتهم [انظر: الغزالي/ المستصفى] لأنهم بهذا المعتقد نزهوا المخلوق وهو الإمام عن الخلف في الوعد، والاختلاف في القول، والتغير في الرأي، ونشأة رأي جديد، ونسبوا ذلك إلى عالم الغيب والشهادة. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً [الوشيعة: فنزهوا المخلوق دون الخالق، لأن غلوهم في الإمام ـ فيما يظهر ـ لم يجعل للحق جل شأنه في قلوبهم وقاراً، فتاهوا في بيداء هذا الضلال والكفر

والإلحاد.

ولقد حاول شيوخ الشيعة أن يجدوا مخلصًا من وصمة هذا العار، ومهربًا من التكفير.

فالنصير الطوسي الذي يلقبه المجلسي بالمحقق (المتوفى سنة ٦٧٢هـ) أنكر وجود البداء كعقيدة للاثني عشرية وقال عن طائفته: "إنهم لا يقولون بالبداء، وإنما القول بالبداء ما كان إلا في رواية رووها عن جعفر الصادق أنه جعل إسماعيل القائم مقامه، فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه، فجعل القائم موسى فسئل عن ذلك فقال: بدا لله في أمر إسماعيل، وهذه رواية، وعندهم أن خبر الواحد لا يوجب علمًا ولا عملاً" ولكن هذا - كما ترى - مخالف للواقع؛ إذ إن البداء من عقائدهم المقررة، ورواياتهم وأخبارهم فيه كثيرة، ولذلك قال المجلسي بأن هذا الجواب عجيب من الطوسي، وعزا ذلك "لعدم إحاطته بالأخبار".

وصنف من الشيعة يقر بالبداء كعقيدة ويحاول أن يجد له تأويلاً مقبولاً.

فابن بابويه القمي يوجه "أحاديثهم" في البداء توجيهًا +تبدو؛ عليه ملامح الاضطراب، فهو في البداية يقول: "ليس البداء كما يظنه جهال الناس بأنه بداء ندامة تعالى الله عن ذلك، ولكن يجب علينا أن نقر لله عز وجل بأن له البداء معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره" فأنت ترى أن حديثه هنا خارج الموضوع تمامًا لأنه تكلم عن البدء لا البداء ولا يخالف مسلم في هذا الأمر الذي يقوله، ولو كان هذا مقصودهم بالبداء لما أنكره عليهم أحد، ولما وجدوا فيه مخرجًا لتناقض رواياتهم، وتخلف وعودهم. فالله سبحانه: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [السجدة، آية: ٧] وهو ﴿يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس، آية: ٤]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص، آية: ٦٨] وليس هذا من البداء.

ولكنه رجع وفسر البداء بالنسخ، فقال بعد الكلام السابق مباشرة: "أو يأمر بأمر ثم ينهى عن مثله، أو ينهى عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه، وذلك مثل نسخ الشرايع، وتحويل القبلة، وعدة المتوفى عنها زوجها" وهذا جهل أو تجاهل؛ إذ لا بداء في النسخ، والحكم كان مؤقتًا في علم الله، وأجل الحكم، وانتهاء الحكم عند حلول الأجل معلوم لله قبل الحكم. نعم بدا لنا ذلك من الله بعد نزول الناسخ، والبداء لنا في علمنا لا لله "من أجل ذلك تنزه الله سبحانه عن أن يوصف بالبداء؛ لأن البداء ينافي إحاطة علم الله بكل شيء، ولم يتنزه عن النسخ؛ لأن النسخ لا يعدو أن يكون بيانًا لمدة الحكم الأول على نحو ما سبق في علم الله تعالى، وإن كان رفعه لهذا

الحكم بداء بالنسبة لنا" "فإن الله سبحانه قدر في علمه الأزلي لكل حكم ميقاتًا وزمانًا معلومًا فإذا انتهى زمانه حل محله حكم آخر بأمره ونهيه سبحانه، فليس فيه تغيير في علمه الأزلي" (١). قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة، آية: ١٠٦] .وقد شنع عبد القاهر البغدادي على الشيعة؛ حيث "جعلت النسخ من قبيل البداء فزعمت أنه إذا أمر سبحانه بشيء ثم نسخه فإنما نسخه لأنه بدا له منه" [وقد تمادت الشيعة في هذا الغي، وساق صاحب البحار بعض الروايات المنسوخة واعتبرها من قبيل البداء ، مع أنه لا صلة للنسخ بالبداء [راجع أيضًا في التفريق بين النسخ والبداء والرد على أوهام الرافضة واليهود في عدم التفريق بينهما: (٢)

ثم إن ابن بابويه عاد في نهاية توجيهه لعقيدة البداء إلى القول بأن البداء "إنما هو ظهور أمر، يقول العرب: بدا لي شخص في طريقي أي: ظهر. قال الله عز وجل: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر، آية: ٤٧] أي: ظهر لهم، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره. ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره" فهذا عودة منه لتقرير ذلك المنكر في معتقدهم في البداء، بعد تلون وتقلب.

وزيادة عمر من وصل رحمه ليست من باب البداء، وظهور ما لم يكن في علم الله، بل صلة الرحم سبب لطول العمر، والله قدر الأجل وسببه فهو سبحانه "قدر أن هذا يصل رحمه فيعيش بهذا السبب إلى هذه الغاية، ولولا ذلك السبب لم يصل إلى هذه الغاية، ولكن قدر هذا السبب وقضاه، وكذلك قدر أن هذا يقطع رحمه فيعيش إلى كذا" [شرح الطحاوية] .ولكن شيخ الطائفة الطوسي يسلك في تأويل البداء طريقًا أسلم من طريق ابن بابويه، حيث يقول: "قوله: بدا لله فيه معناه بدا من الله فيه، وهكذا القول في جميع ما يروي من أنه بدا لله في إسماعيل معناه أنه بدا من الله، فإن الناس كانوا يظنون في إسماعيل بن جعفر أنه الإمام بعد أبيه، فلما مات علموا بطلان ذلك" هذا اعتذار الطوسي، ولا شك بأن البداء إذا كان للخلق بأن يقع لهم ما لم يحتسبوا، فليس فيه ما يمس العقيدة الإسلامية" .

---

(١) [محمد أبو زهرة/ الإمام الصادق: ص٢٤١] .

(٢) الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس: ص٤٤، المعتمد في أصول الفقه لأبي الحسين البصري: ١/٣٦٨-٣٦٩، الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي القيسي: ص٩٨-٩٩، الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم: ٤/٦٨-٦٩، الآمدي/ الإحكام في أصول الأحكام: ٣/١٠٩-١١٢، دراسات الأحكام والنسخ في القرآن/ محمد حمزة.

وقد تابع الطوسي في الاعتذار نفسه أحد مراجع الشيعة في هذا العصر وهو محمد حسين آل كاشف الغطا فقال: "البداء وإن كان في جوهر معناه هو ظهور الشيء بعد خفائه، ولكن ليس المراد به هنا ظهور الشيء لله جل شأنه وأي ذي حريجة ومسكة يقول بهذه المضلة، بل المراد ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم، وقولنا: (بدا لله) أي بدا حكم الله أو شأن الله" ولكن المطلع على رواياتهم لا يرى أنها تتفق مع هذا التأويل، إذ تدل على نسبة البداء إلى الله لا إلى الخلق، ولذلك اعتذر أئمتهم عن الإخبار بالمغيبات خشية البداء.. ونسبوا إلى نبي الله لوط أنه كان يستحث الملائكة لإنزال العقوبة بقومه خشية أن يبدو لله، ويقول: "تأخذونهم الساعة فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم. فقالوا: يا لوط إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب" فهل مثل هذا "الإلحاد" يقبل التأويل؟!.

وجاء في الكافي ".. عن أبي هاشم الجعفري قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام بعد مضي ابنه أبو جعفر وإني لأفكر في نفسي أريد أن أقول كأنهما أعني: أبا جعفر وأبا محمد في هذا الوقت كابي الحسن موسى وإسماعيل ابني جعفر بن محمد عليهم السلام، وإن قصتهما كقصتهما، إذ كان أبو محمد المرجي بعد أبي جعفر عليه السلام، فأقبل علي أبو الحسن قبل أن أنطق فقال: نعم يا أبا هاسم بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر عليه السلام ما لم يكن يعرف له، كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون" فانظر إلى قوله "بدا لله.. ما يكن يعرف له.." تجد أنهم ينسبون "البداء" إلى الله صراحة، فهؤلاء القوم لا يرجون لله وقاراً، وقد اتخذوا من عقيدة البداء وسيلة لإبقاء فرصة الاختيار في أهل البيت، والرجوع عن الاختيار بدون تثريب عليهم من أتباعهم.. ولم يراعوا في هذه الحيلة حق الله جل شأنه، لأن واضعي هذه النصوص قد فرغت نفوسهم من خوف الله ورجائه. ثم إن التأويل للبداء بظهور الأمر للناس من الله لا يسوغ كل هذه المغالاة في البداء وجعله من أعظم الطاعات وأصول الاعتقادات، كما أن لفظ البداء يحمل معنى باطلاً في لغة العرب التي نزل بها القرآن، فكيف يعد أصل في الدين وهو بهذه المثابة، ويلتمس له تأويل ومخرجٌ؟!

نقد استدلاله على البداء:

من كتاب أصول مذهب الشيعة

وبعد أن استقرت مسألة البداء عندهم كعقيدة بمقتضى روايات الكليني وأضرابه، حاول شيخ الشيعة ـ كعادته ـ البحث في كتاب الله عن سند لدعواهم.

وكأنه لم يكفهم أن نسبوا هذه الفرية إلى الله، حتى زعموا أن كتاب الله أثبت

فريتهم، فتعلقوا بقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ [يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ]﴾الآية [الأنعام: ٦٠] . ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [الرعد، آية: ٣٩] .ويلحظ أن أول من استدل بهذه الآية على فرية البداء هو المختار بن أبي عبيد وتابعه شيوخ الشيعة، ووضعوا روايات في ذلك أسندوها لبعض علماء آل البيت لتحظى بالقبول

وروي عن سعيد بن جُبير: أنها بمعنى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ يقول: يبدل ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله، ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ، والمنسوخ، وما يبدل، وما يثبت كل ذلك في كتاب. وقال قتادة في قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ كقوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] واستدلالهم بهذه الآية على أن المحو والإثبات بداء شطط في الاستدلال، وتعسف بالغ، ذلك أن المحو والإثبات بعلمه وقدرته وإرادته، من غير أن يكون له بداء في شيء، وكيف يتوهم له البداء وعنده أم الكتاب، وله في الأزل العلم المحيط ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام، آية: ٥٩]، ﴿..وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ، آية: ٣] .وقد اختلف المفسرون في المراد بالذي يمحو ويثبت على ثمانية أقوال (ابن الجوزي/ زاد المسير: ٤/ ٣٣٧-٣٣٨) فمنهم من قال: يمحو الله ما يشاء من الشرائع وينسخه، ويثبت ما يشاء فلا ينسخه، قال شارح الطحاوية: والسياق أدل على هذا الوجه

قال ابن جرير الطبري: "وأولى الأقوال التي ذكرت في تأويل الآية.. أن الله تعالى ذكره توعد المشركين الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات بالعقوبة، وتهددهم بها، وقال لهم: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد، آية: ٣٨] . يعلمهم بذلك أن لقضائه فيهم أجلاً مثبتًا في كتاب هم مؤخرون إلى وقت ذلك الأجل، ثم قال لهم: فإذا جاء ذلك الأجل يجيء الله بمن شاء ممن قد دنا أجله، وانقطع رزقه.. فيقض ذلك في خلقه، فذلك محوه، ويثبت ما شاء ممن بقي أجله ورزقه.. فيتركه على ما هو عليه فلا يمحوه" ورجح بعضهم عموم المحو والإثبات في جميع الأشياء واعترض ابن جزي على من قال بالعموم في تأويل الآية بقوله: "وهذا ترده القاعدة المتقررة أن القضاء لا يبدل وأن علم الله لا يتغير" ولكن قال الشوكاني:

بأن القول بالعموم لا ينافي ذلك "لأن المحو والإثبات هو من جملة ما قضاه الله وقدره".

ورجح القاسمي أن المراد: الآيات (التي تسمى المعجزات) هذه أقوال مفسري المسلمين في تأويل الآية، لم يقل أحد منهم بمثل شناعة الرافضة] . وقد بين الله تعالى في آخر الآية أن كل ما يكون منه من محو وإثبات وتغيير، واقع بمشيئته ومسطور عنده في أم الكتاب "من أجل ذلك تنزه الله سبحانه عن أن يوصف بالبداء؛ لأن البداء ينافي إحاطة علم الله بكل شيء، ولم يتنزه عن النسخ؛ لأن النسخ لا يعدو أن يكون بيانًا لمدة الحكم الأول على نحو ما سبق في علم الله تعالى، وإن كان رفعه لهذا الحكم بداء بالنسبة لنا" "فإن الله سبحانه قدر في علمه الأزلي لكل حكم ميقاتًا وزمانًا معلومًا فإذا انتهى زمانه حل محله حكم آخر بأمره ونهيه سبحانه، فليس فيه تغيير في علمه الأزلي قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة، آية: ١٠٦] . وقد شنع عبد القاهر البغدادي على الشيعة؛ حيث "جعلت النسخ من قبيل البداء فزعمت أنه إذا أمر سبحانه بشيء ثم نسخه فإنما نسخه لأنه بدا له منه"

روايات في كتب الاثني عشرية تنقض عقيدة البداء:

من كتاب أصول مذهب الشيعة

إن نقض الخصم كلامه بنفسه، من أبلغ النقض، لأنه يقضي على نفسه بسلاحه، وإن ظهور تناقضه من أوضح أمارات بطلان معتقده، وأنت تجد في كتب الاثني عشرية روايات عن الأئمة ترمي من قال بالبداء بالخزي، وتناقض ما سلف من روايات.

وهذه الروايات قد تكون روايات وثيقة الصلة بعلماء آل البيت لأنها تعبر عن المعنى الحق وهو ما يليق بأولئك الصفوة، وقد تكون من آثار الشيعة المعتدلة بقيت آثارها في كتب الاثني عشرية، ولا يبعد أن تكون هذه الروايات ستارًا وضعه أولئك الزنادقة على عقيدتهم في البداء.

وعلى أية حال فإن إثبات مثل هذه الروايات تبين مدى تناقض هذه الطائفة في رواياتها، وأن دينها قائم على الأخذ بالجانب الشاذ، والمخالف للجماعة من أخبارهم، لأن ما خالف الجماعة ففيه الرشاد كما هو قانون أولئك الزنادقة، الذي يخرج من أخذ به عن الدين رأسًا.

جاء في كتاب التّوحيد لابن بابويه: ". . عن منصور بن حازم قال: سألت أبا

عبد الله ـ عليه السّلام ـ هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله تعالى بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله، قلت: أرأيت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق" ولا شك بأن عقيدة البداء بمقتضى معناها اللّغوي، وبموجب روايات الاثني عشريّة، وحسب تأويل بعض شيوخهم تقتضي أن يكون في علم الله اليوم ما لم يكن في الأمس.

وحسب الاثني عشرية عاراً وفضيحة أن تنسب إلى الحق جل شأنه هذه العقيدة، على حين تبرئ أئمتها منها، فإذا وقع الخلف في قول الإمام نسبت ذلك إلى الله لا إلى الإمام.

ردود ونقد من تفسير ابن كثير من سورة الحديد:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه قبل أن يبرأ البرية فقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: في الآفاق وفي نفوسكم ﴿إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ أي: من قبل أن نخلق الخليقة ونبرأ النسمة. وقال بعضهم: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾عائد على النفوس. وقيل: عائد على المصيبة. والأحسن عوده على الخليقة والبرية؛ لدلالة الكلام عليها، كما قال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن منصور بن عبد الرحمن قال: كنت جالسًا مع الحسن، فقال رجل: سله عن قوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ فسألته عنها، فقال: سبحانَ الله! ومن يشك في هذا ؟ كل مصيبة بين السماء والأرض، ففي كتاب الله من قبل أن يبرأ النسمة وقال قتادة: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ﴾ قال: هي السنون. يعني: الجَدْب، ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يقول: الأوجاع والأمراض. قال: وبلغنا أنه ليس أحد يصيبه خدش عود ولا نكبة قدم، ولا خلجان عرق إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر. وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القَدَرية نُفاة العلم السابق - قبحهم الله - وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا حيوة وابن لَهيعة قالا حدثنا أبو هانئ الخولاني: أنه سمع أبا عبد الرحمن الحُبُلي يقول: سمعت عبد الله بن عَمرو بن العاص يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "قدّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة". ورواه مسلم في صحيحه، من حديث عبد الله بن وهب وحيوة بن شريح ونافع بن يزيد، وثلاثتهم عن أبي هانئ، به. وزاد بن وَهب: "وكان عرشه على الماء". ورواه الترمذي وقال: حسن

صحيح[1] وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: أن علمه تعالى الأشياء قبل كونها وكتابته لها طبق ما يوجد في حـينها سهل على الله، عز وجل؛ لأنه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

وإذا رجعت إلى معتـقدهم في توحيد الألوهية والربوبية، والأسـماء والصفات، وجدت أن الإمام قد حل محل الرب سبحانه في قلوبهم وعقولهم، بتأثير ذلك الركام المظلم من الأخبار. . فعقيدة البداء أثر لغلوهم في الإمام ، ولو دعا أى رجل أو امرأة ربه قائلا" كما علم النبى ﷺ الحسن اللهم اهدنى فيـمن هديت وعافنى فيمن عافيت . . . الخ الدعاء لاستـجاب الله دعاءه ووفقه لقرآءة الـقرآن وتدبر آياته، لكن العيب الذى وقع فيـه الشيـعة أنهم هجروا كـتاب الله وسلمـوا أنفسهم الـى هؤلاء الضالين فتلاعبوا بهـم وبدينهم، وأدعوهم فقط أن يجلسوا مع كتاب الله بدون خلفيـة مسبقة ولو لساعة واحدة فى اليوم يقرأوا كتاب الله بتدبر كما قال سبحانه ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ وقوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

---

(١) المسند (٢/١٦٩) وصحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) وسنن الترمذي برقم (٢١٥٦).

الفصل السابع
آراؤه فــى التقيــة

فى هذا المبحث وجدت المصنف ومن ينقل عنهم يخترعون كعادتهم أقوالاً محدثة مبتدعة ليتسنى لهم اضلال الشيعة وايقاعهم فى البدعة تلو البدعة ليحكموا قبضتهم عليهم من خلال اخفاء عقائدهم الباطلة تحت ستار التقية وما هى الا أخت الكذب، التى استحلوا بها كل شيء، وكل ما عرضناه عليكم من مباحث من تفسير المصنف الكاشانى خير دليل على ما قلته، فلقد جاء بأكاذيب وأباطيل ملأ بها مصنفه، والمتأمل والمتدبر لآيات الله سبحانه وتعالى يجد أن الله سبحانه أمر بالصدق وحث عليه فى كتابه وفى سنة رسوله ﷺ ففى القرآن تجد قوله سبحانه (والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) وقوله سبحانه (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) وفى سورة الحشر وفى مقام المدح والثناء على الصحابة يصفهم بأعظم وصف ألا وهو الصدق فيقول سبحانه (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون)، وفى السنة تجد أمر النبى ﷺ لأمته بالصدق وتحذيرهم من الكذب كما قال ﷺ : «عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) والسنة ملأى بالأحاديث التى تحث على الصدق وثمرات الصدق، وحين نقرأ مزاعم المصنف تجد العجب العجاب واليك بعضها ثم الردود والنقد:

١- يزعم المصنف أنه لولا التقية لأظهر الكثير مما يخفيه من حقائق حول القرآن والصحب الكرام الذى يصفهم بالأعداء وغير ذلك من أمور الدين.

٢- ينقل روايات عن العياشى والكافى وغيرهم فى التمسك بالتقية وأهميتها والتحذير من تركها (يقول لا إيمان لمن لا تقية له - ولا دين لمن لا تقية له).

٣- يزعم أن موعد رفع التقية (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء قال رفع التقية عند الكشف فأنتقم من أعداء الله).

ما سيأتى من تفسير الصافى

المقدمة السادسة في نبذ مما جاء في جمع القرآن وتحريفه وزيادته ونقصه وتأويل

ذلك: وليس يسوغ مع عموم التقيـة التصريح بأسماء المبدلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقـائهم في فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمـعت فان شريعة التقية تحظر التصريح بأكثـر منه ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل مما يجري هذا المجرى لطال وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء. إن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما انزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ومنه ما هو مغيـر ومحرف وإنه قد حذف عنه أشياء كثيـرة منها اسم عليّ (عليه السلام) في كـثير من المواضع ومنها غـير ذلك وأنه ليس أيضا على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

آل عمران في الاحتجاج عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث وامرك أن تستعمل التقية فـي دينك والعياشي عن الصادق (عليه السلام) قـال كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول لا إيمان لمن لا تقية له ويقول قال الله الا أن تتقوا منهم تقاة. وفي الكافي عنه (عليه السلام) قال التقية ترس الله بينه وبين خلقه.

سورة الكهف والعياشي عن الصادق عليـه السلام في قوله عز وجل أجعل بينكم وبينهم ردما قال التقيـة فما استطاعوا أن يظهروه وما استطاعـوا له نقبا قال إذا عملت بالتقية لم يقدروا لك على حيلة وهو الحصن الحصين وصار بينك وبين أعداء الله سدا لا يستطيعون له نقبا فإذا جاء وعد ربي جـعله دكاء قال رفع التقية عند الكشف فأنتقم من أعداء الله .

سورة الحـجرات وفي الاعتـقادات عن الصادق عليـه السلام إنه سـئل عن قوله تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم قال أعملكم بالتـقية. وفي المجمع عن الصادق عليه السلام التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقـية له والتقية ترس الله في الأرض لأن مؤمن آل فرعون لو أظهر الأسلام لقتل. ما سبق نقلا من تفسير الصافى

الردود والنقد :

أقول أنا الباحث أن أمر التقية الذى جعله علماء الشيعة أصلاً من أصول دينهم لم يكن فى الاسلام الا استثـناء فى فترة مخصوصة، ألا وهى عند غـلبة العدو وظهوره على أهل الاسـلام وخوفـاً على العـرض والنفس من الاعتـداء عليـهمـا يعمل بهـا بضوابطها الشرعـية وان زال الأمر وعاد الأمن رفع أمر التقية، وسـيأتى بعد قليل قول أهل العلم أنه يجـوز للمسلم أن يعمل بهـا عند الضرورة والأولى الثـبات على الدين ولو كلفه ذلـك حياته، كـما هو مـقرر عند أهل العلم، لكن الشـيعة جـعلوا التقـية أمراآخر وبخاصة مع أهل السنة فقط والتاريخ يشهد بهذا، ولبيان الأمر وضوحاً نقلت

من تفسير ابن كثير أقوال أهل العلم فى هذا المبحث الهام بدأت أولا بآيات من سورة آل عمران وبعدها آيات من سورة النحل، وهى تتعلق بمبحث التقية وتردها :-
قوله سبحانه وتعالى ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ نهى الله ، تبارك وتعالى، عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يُسرُّون إليهم بالمودة من دون المؤمنين ، ثم توعد على ذلك فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي: من يرتكب نهى الله في هذا فقد برئ من الله كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء : ١٤٤] وقال [تعالى]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ [إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ]﴾ [المائدة: ٥١] .[وقال تعالى]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [الممتحنة : ١] وقال تعالى - بعد ذكر موالاة المؤمنين للمؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب - : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال : ٧٣] .وقوله: ﴿إِلا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي : إلا من خاف في بعض البلدان أوالأوقات من شرهم ، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: "إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ" .

وقال الثوري: قال ابن عباس، رضي الله عنهما: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان ، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية ، وأبو الشعثاء والضحاك، والربيع بن أنس. ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى: ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ[وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]﴾ [النحل : ١٠٦] .ثم قال تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يحذركم نقمته ، أي مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه.ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ أي : إليه المرجع والمنقلب ، فيجازي كل عامل بعمله. ﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩) ﴾ ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾ يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية ، بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والآنات واللحظات وجميع الأوقات، وبجميع ما في السموات والأرض، لا يغيب عنه مثقال ذرة، ولا

أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال ، وهو ﴿ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: قدرته نافذة في جميع ذلك.

وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يَبْغضه منهم ، فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإنْ أنظر من أنظر منهم ، فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا [وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا]﴾ الآية ، يعني : يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] فما رأى من أعماله حسنا سره ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه، وود لو أنه تبرأ منه، وأن يكون بينهما أمد بعيد، كما يقول لشيطانه الذي كان مقترنًا به في الدنيا، وهو الذي جرأه على فعل السوء: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨] .ثم قال تعالى مؤكدا ومهددا ومتوعدا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أي: يخوفكم عقابه، ثم قال مرجيًا لعباده لئلا ييأسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذرهم نفسه. وقال غيره: أي: رحيم بخلقه، يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم، وأن يتبعوا رسوله الكريم.

وقوله سبحانه وتعالى كما فى سورة النحل﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٠٥) مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ﴾

يخبر تعالى أنه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله ، ولم يكن له قصد إلى الإيمان بما جاء من عند الله، فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الإيمان بآياته وما أرسل به رسله في الدنيا ، ولهم عذاب أليم موجع في الآخرة. ثم أخبر تعالى أن رسوله ليس بمفتر ولا كذَّاب ؛ لأنه ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾ على الله وعلى رسوله شرارُ الخلق، ﴿الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس.

والرسول محمد ﷺ ، كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعملا وإيمانا وإيقانا، معروفًا بالصدق في قومه ، لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يُدْعى بينهم إلا بالأمين محمد؛ ولهذا لما أخبر تعالى عمن كفر به بعد الإيمان والتبصر،

وشرح صدره بالكفر واطمأن به: أنه قد غَضب عليه ، لعلمهم بالإيمان ثم عدولهم عنه، وأن لهم عذابا عظيما في الدار الآخرة؛ لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة، فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا، ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق، فطبع على قلوبهم فلا يعقلون بها شيئا ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها، ولا أغنت عنهم شيئا، فهم غافلون عما يراد بهم. ﴿لا جَرَمَ﴾ أي: لا بد ولا عجب أن من هذه صفته، ﴿ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أي: الذين خسروا أنفسهم وأهاليهم يوم القيامة.

سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سألها من صفة رسول الله ﷺ، كان فيما قال له: أو كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال: لا. فقال: هرقل فما كان ليَدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل.

وأما قوله: ﴿ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرها لما ناله من ضرب وأذى ، وقلبه يأبى ما يقول ، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله. وقد روى العَوفيّ عن ابن عباس : أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر ، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد ﷺ ، فوافقهم على ذلك مُكرَها وجاء معتذرا إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال الشعبي، وأبو مالك وقتادة. وقال ابن جرير: حدثنا ابن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن ثَور، عن مَعْمَر، عن عبد الكريم الجَزَريّ، عن أبي عبيدة [بن] محمد بن عمار بن ياسر قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فعذبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا، فشكا ذلك إلى النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ : «كيف تجد قلبك ؟» قال: مطمئنا بالإيمان قال النبي ﷺ: «إن عادوا فعد»(١). ورواه البيهقي بأبسط من ذلك ، وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير، وأنه قال: يا رسول الله، ما تُركتُ حتى سَبَبتك وذكرت آلهتهم بخير! قال: "كيف تجد قلبك ؟" قال: مطمئنا بالإيمان. فقال: "إن عادوا فعد". وفي ذلك أنزل الله: ﴿إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ﴾ (٢). ولهذا اتفق العلماء على أنه يجوز أن يُوَالي المكرَهَ على الكفر، إبقاءً لمهجته، ويجوز له أن يستقتل، كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الأفاعيل، حتى أنهم ليضعون الصخرة العظيمة على صدره في شدَّة الحر، ويأمرونه أن يشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول: أحَد، أحَد. ويقول: والله لو أعلم كلمة هي أغيظ لكم منها لقلتها، رضي

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٢٢).

(٢) سنن البيهقي الكبرى (٨/ ٢٠٩).

الله عنه وأرضاه. وكذلك حبيب بن زيدالأنصاري لما قال له مسيلمة الكذاب: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم. فيقول: أتشهد أني رسول الله ؟ فيقول: لا أسمع. فلم يزل يقطعه إربًا إربًا وهو ثابت على ذلك (١). وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب، عن عكرمة، أن عليا، رضي الله عنه، حَرَّق ناسا ارتدوا عن الإسلام، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لم أكن لأحرقهم بالنار، إن رسول الله ﷺ قال: "لا تعذبوا بعذاب الله". وكنت قاتلهم بقول رسول الله ﷺ : «من بدل دينه فاقتلوه" فبلغ ذلك عليا فقال: ويح أم ابن عباس. رواه البخاري(٢). وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا مَعمَر، عن أيوب، عن حُمَيد بن هلال العَدَويّ، عن أبي بردة قال: قدم على أبي موسى معاذُ بن جبل باليمن، فإذا رجل عنده، قال: ما هذا ؟ قال رجل كان يهوديا فأسلم، ثم تهود، ونحن نريده على الإسلام منذ - قال: أحسب - شهرين فقال: والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه. فضربت عنقه. فقال: قضى الله ورسوله أن من رجع عن دينه فاقتلوه - أو قال: من بدل دينه فاقتلوه (٣).وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر(٤). والأفضل والأولى أن يثبت المسلم على دينه، ولو أفضى إلى قتله، كما قال الحافظ ابن عساكر، في ترجمة عبد الله بن حُذَافة السهمي أحد الصحابة: أنه أسرته الروم، فجاءوا به إلى ملكهم، فقال له: تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك ابنتي. فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب، على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين، ما فعلت! فقال: إذا أقتلك. قال: أنت وذاك! فأمر به فصلب، وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه، وهو يعرض عليه دين لنصرانية، فيأبى ثم أمر به فأنزل، ثم أمر بِقِدْر. وفي رواية: ببقرة من نحاس، فأحميت، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر، فإذا هو عظام تلوح. وعرض عليه فأبى، فأمر به أن يلقى فيها، فرفع في البَكَرَة ليلقى فيها، فبكى فطمع فيه ودعاه فقال له: إني إنما بكيت لأن نفسي إنما هي نفس واحدة، تُلْقى في هذه القدر الساعة في الله، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله. وفي بعض الروايات: أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياما، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير، فلم يقربه، ثم استدعاه فقال: ما

---

(١) انظر : الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٣٢٧) وأسد الغابة لابن الأثير (١/ ٤٤٣).
(٢) المسند (١/ ٢١٧) وصحيح البخاري برقم (٦٩٢٢).
(٣) المسند (٥/ ٢٣١).
(٤) صحيح البخاري برقم (٦٩٢٣) وصحيح مسلم برقم (١٧٣٣).

منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حَلَّ لي، ولكن لم أكن لأشمتك فيّ. فقال له الملك: فَقَبِّلْ رأسي وأنا أطلقك. فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين ؟ قال: نعم. فقبل رأسه، فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده، فلما رجع قال عمر بن الخطاب: حَقّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ. فقام فقبل رأسه[1]. ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)﴾ ولهذا يرى بعض السلف أنه لا تقية بعد أن أعز الله الإسلامَ، قال معاذ بن جبل، ومجاهد: كانت التقية في جدة الإسلام قبل قوة المسلمين، أما اليوم فقد أعز الله المسلمين أيتقوا منهم تقاة [2] .

تعريف التقية

[اتَّقَيْتُ الشيء، وتَقَيتُه أتقيه وأتَّقيه تقَى وتَقِيّةً وتقاء: حَذِرته، (لسان العرب مادة: وقي). ولهذا قال ابن حجر: التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره للغير [3]، وهذا يعني الكتمان، وقد يضطر لإظهار خلاف ما في النفس بلسانه، قال ابن عباس: "التقية باللسان، والقلب مطمئن بالإيمان" وقال أبو عالية: التقية باللسان وليس بالعمل [4].

فالتقية: إظهار خلاف ما في الباطن (النهاية لابن الأثير: ١/ ١٩٣)، وأكثر العرب ينطقون التقيّة +تقاة؛، ولهذا جاء في القرآن: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران، آية: ٢٨] . وإن كان نطقها تقية صوابًا كما قال الفراء، وقد قرئ: "تقية"[5].

تعريفها عند الشيعة :

من كتاب أصول مذهب الشيعة

يعرف المفيد التقية عندهم بقوله: "التقية كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا" [6]. والتقية عندهم حالة مستمرة، وسلوك جماعي دائم، قال ابن بابويه في كتابه "الاعتقادات"

---

(١) تاريخ دمشق (٩/ ١١٦ "المخطوط").

(٢) [تفسير القرطبي: ٤/ ٥٧، فتح القدير للشوكاني: ١/ ٣٣١] .

(٣) (فتح الباري: ١٢/ ٣١٤).

(٤) تفسير الطبري: ٦/ ٣١٤-٣١٥، تحيق شاكر، فتح الباري: ١٢/ ٣١٤).

(٥) (معاني القرآن للفراء ص٢٠٥، تفسير الطبري: ٦/ ٣١٧).].

(٦) [شرح عقائد الصدوق: ص٢٦١ (ملحق بكتاب أوائل المقالات)] .

المسمى دين الإمامية: "والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله - تعالى - وعن دين الإمامية وخالف الله ورسوله والأئمة" [الاعتقادات] . وروت كتب الشيعة عن علي بن موسى الرضا - عليه السلام - قال: "لا إيمان لمن لا تقية له، وإن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقية" [وكأنهم يفسرون قوله - سبحانه -: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] . فقيل له: يا ابن رسول الله إلى متى؟ قال: "إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا، فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا" (١). والتقية ملازمة للشيعي في كل ديار المسلمين حتى إنهم يسمون دار الإسلام "دار التقية"، جاء في رواياتهم: ". . والتقية في دار التقية واجبة" .

ويسمونها "دولة الباطل". قالوا: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يتكلم في دولة الباطل إلا بالتقية" .

ويسمونها: "دولة الظالمين" قالوا: "التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين، فمن تركها فقد خالف دين الإمامية وفارقه" .

ويؤكدون على أن تكون عشرة الشيعة مع أهل السنة التقية، وقد ترجم لذلك الحر العاملي فقال: "باب وجوب عشرة العامة (أهل السنة) بالتقية" ونسبوا لأبي عبد الله أنه قال: "من صلى معهم في الصف الأول فكأنما صلى مع رسول الله ﷺ في الصف الأول" وقال: "من صلى خلف المنافقين بتقية كان كمن صلى خلف الأئمة".

وقال صاحب كشف الغطاء: "التقية إذا وجبت فمتى أتي بالعبادة على خلافها بطلت، وقد ورد فيها الحث العظيم، وأنها من دين آل محمد، ومن لا تقية له لا إيمان له". بل إن التقية تجري حتى وإن لم يوجد ما يبررها، فأخبارهم تحث الشيعي على استعمال التقية مع من يأمن جانبه حتى تصبح له سجية وطبيعة فيمكنه التعامل بها حينئذ مع من يحذره ويخافه بدون تكلف ولا تصنع، فقد روت كتبهم: "عليكم بالتقية فإنه ليس منا من لم يجعلها شعاره ودثاره مع من يأمنه، لتكون سجيته مع من يحذره".

ولأن التقية لا تعني - بهذه الصورة - سوى الكذب والنفاق، وهو مما تكرهه الفطرة السليمة وتمجه النفوس السوية ولا تقبله العقول، حاولت روايات الشيعة أن تحببها للأتباع، وتغريهم بالتزامها؛ فزعموا أنها عبادة لله، بل هي أحب العبادات إليه، روى الكليني: ". . عن هشام الكندي قال: سمعت أبا عبد الله يقول: والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخبء، فقلت: ما الخبء؟ قال: التقية" [أصول

---

(١) [ابن بابويه/ إكمال الدين ، وبحار الأنوار] .

الكافي] .وجاء في الكافي وغيره: ". . عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: كان أبي ـ عليه السلام ـ يقول: وأي شيء أقر لعيني من التقية" [أصول الكافي.]، وفي رواية: "ما خلق الله شيئًا أقر لعين أبيك من التقية" [ابن بابويه/ الخصال] .هذه هي معالم التقية عند الشيعة الاثني عشرية، وقد ذكر صاحب الكافي أخبارها في "باب التقية" وذكر المجلسي في بحاره من رواياتهم فيها مائة وتسع روايات في باب عقده بعنوان "باب التقية والمداراة".

أما سبب هذا الغلو في أمر التقية فيعود إلى عدة أمور منها:

أولاً: أن المصنف وعلماء الشيعة يعدون إمامة الخلفاء الثلاثة باطلة، وهم ومن بايعهم في عداد الكفار، مع أن عليًا بايعهم، وصلى خلفهم، وجاهد معهم، وزوجهم وتسرى من جهادهم، ولما ولي الخلافة سار على نهجهم ولم يغير شيئًا مما فعله أبو بكر وعمر، كما تعترف بذلك كتب الشيعة نفسها، وهذا يبطل مذهب الشيعة من أساسه. . فحاولوا الخروج من هذا التناقض المحيط بهم بالقول بالتقية.

ثانيًا: أنهم قالوا بعصمة الأئمة وأنهم لا يسهون ولا يخطئون ولا ينسون، وهذه الدعوى خلاف ما هو معلوم من حالهم. . حتى إن روايات الشيعة نفسها المنسوبة للأئمة مختلفة متناقضة حتى لا يوجد خبر منها إلا وبإزائه ما يناقضه، كما اعترف بذلك شيخهم الطوسي وهذا ينقض مبدأ العصمة من أصله.

فقالوا بالتقية لتبرير هذا التناقض والاختلاف والتستر على كذبهم، روى صاحب الكافي عن منصور بن حازم قال: "قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام -: ما بالي أسألك عن المسألة فتجيبني فيها بالجواب، ثم يجيئك غيري فتجيبه فيها بجواب آخر؟ فقال: إنا نجيب الناس على الزيادة والنقصان. ." [أصول الكافي] .قال شارح الكافي: "أي زيادة حكم عند التقية، ونقصانه عند عدمها. . ولم يكن ذلك مستندًا إلى النسيان والجهل بل لعلمهم بأن اختلاف كلمتهم أصلح لهم، وأنفع لبقائهم إذ لو اتفقوا لعرفوا بالتشيع وصار ذلك سببًا لقتلهم، وقتل الأئمة عليهم السلام" [المازندراني] .ولذلك رأى سليمان بن جرير الزيدي في مقالة التقية أنها مجرد تستر على الاختلاف والتناقض؛ إذ لما رأوا في أقوال الأئمة في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة متضادة، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة، فلما وقفوا على ذلك منهم، قالت لهم أئمتهم [حسب مقالة شيوخ السوء عنهم.]: إنما أجبنا بهذا للتقية، ولنا أن نجيب بما أجبنا وكيف شئنا، لأن ذلك إلينا، ونحن نعلم بما يصلحكم، وما فيه بقاؤنا وبقاؤكم، وكف عدوكم عنا وعنكم، قال: فمتى يظهر من هؤلاء على كذب، ومتى يعرف لهم حق من باطل؟! [القمي/ المقالات والفرق] .ثالثًا: تسهيل مهمة الكذابين

على الأئمة ومحاولة التعتيم على حقيقة مذهب أهل البيت بحيث يوهمون الأتباع أن ما ينقله (واضعو مبدأ التقية) عن الأئمة هو مذهبهم، وأن ما اشتهر وذاع عنهم، وما يقولونه، ويفعلونه أمام المسلمين لا يمثل مذهبهم وإنما يفعلونه تقية فيسهل عليهم بهذه الحيلة رد أقوالهم، والدس عليهم، وتكذيب ما يروى عنهم من حق، فتجدهم مثلاً يردون كلام الإمام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذي قاله أمام ملأ من الناس، أو نقله العدول من المسلمين بحجة أنه حضره بعض أهل السنة فاتقى في كلامه، ويقبلون ما ينفرد بنقله الكذبة أمثال جابر الجعفي بحجة أنه لا يوجد أحد يتقيه في كلامه.

وبحسبك أن تعرف أن الإمام زيد بن علي وهو من أهل البيت يروي عن علي ـ رضي الله عنه ـ كما تنقله كتب الاثني عشرية نفسها ـ أنه غسل رجليه في الوضوء، ولكن من يلقبونه بـ«شيخ الطائفة» لا يأخذ بهذا الحديث ولا يجد حجة يحتج بها سوى دعوى التقية، فهو يورد الحديث في الاستبصار عن زيد بن علي عن جده علي بن أبي طالب قال: "جلست أتوضأ فأقبل رسول الله ﷺ حين ابتدأت الوضوء ـ إلى أن قال ـ وغسلت قدمي، فقال لي: يا علي خلل بين الأصابع لا تخلل بالنار".

فأنت ترى أن عليًا كان يغسل رجليه في وضوئه، وأن رسول الله ﷺ أكد عليه بأن يخلل أصابعه، والشيعة تخالف سنة رسول الله ﷺ وهدي علي في ذلك، ولا تلتفت لمثل هذه الروايات، وإن جاءت في كتبها بروايات أئمة أهل البيت، ولا يكلف شيوخ الشيعة أنفسهم بالتفكر في أمر هذه الروايات ودراستها، فلديهم هذه الحجة الجاهزة "التقية"، ولهذا قال الطوسي: "هذا خبر موافق للعامة (يعني أهل السنة) وقد ورد مورد التقية لأن المعلوم الذي لا يتخالج منه الشك من مذاهب أئمتنا ـ عليهم السلام ـ القول بالمسح على الرجلين، ثم قال: إن رواة هذا الخبر كلهم عامة، ورجال الزيدية، وما يختصون به لا يعمل به .

ثم ساق رواية أخرى عن أبي عبد الله جعفر الصادق في النص على غسل الرجلين وحملها على التقية .

وفي الأذان حمل ما لم يتفق ومذهب شيوخه على التقية (مثل ما جاء عندهم أنه يقول في أذان الفجر: الصلاة خير من النوم).] .وفي قسمة المواريث يقررون أن المرأة لا ترث من العقار والدور والأرضين شيئًا الاستبصار للطوسي، باب في أن المرأة لا ترث من العقار والدور شيئًا ولما يأتي عندهم نص عن الأئمة يخالف ذلك وهو حديث أبي يعفور عن أبي عبد الله قال: "سألته عن الرجل هل يرث من دار امرأته أو أرضها من التربة شيئًا؟ أو يكون في ذلك منزلة المرأة فلا يرث من ذلك شيئًا؟ فقال: يرثها وترثه من كل شيء ترك وتركت".

قال الطوسي: "نحمله على التقية، لأن جميع من خالفنا يخالف في هذه المسألة، وليس يوافقنا عليها أحد من العامة، وما يجري هذا المجرى يجوز التقية فيه".

وفي النكاح: "جاءت عندهم روايات في تحريم المتعة، ففي كتبهم عن زيد بن علي عن آبائه عن علي ـ عليه السلام ـ قال: حرّم رسول الله ﷺ يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة.

قال شيخهم الحر العاملي: "أقول: حمله الشيخ [إذا أطلق الشيخ في كتب الشيعة فالمراد به "شيخهم الطوسي".] وغيره على التقية يعني في الرواية، لأن إباحة المتعة من ضروريات مذهب الإمامية".

رابعًا: وضع مبدأ التقية لعزل الشيعة عن المسلمين لذلك، جاءت أخبارهم فيها على هذا النمط، يقول إمامهم (أبو عبد الله): "ما سمعتَ مني يشبه قول الناس فيه التقية، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس فلا تقية فيه"

وهذا مبدأ خطير، تطبيقه يخرج بالشيعة من الإسلام رأسًا وينظمهم في سلك الملاحدة والزنادقة، لأنهم جعلوا مخالفة المسلمين هي القاعدة، فتكون النتيجة أنهم يوافقون الكافرين ويخالفون المسلمين، فانظر إلى أي مدى لعب بهم زنادقة القرون البائدة.

وكان من آثار عقيدة التقية ضياع مذهب الأئمة عند الشيعة، حتى إن شيوخهم لا يعلمون في الكثير من أقوالهم أيها تقية وأيها حقيقة [انظر: احتجاج السويدي على علماء الشيعة في هذا النص، وانقطاعهم وعجزهم عن الإجابة، ووضعوا لهم ميزانًا، أخرج المذهب إلى دائرة الغلو، وهو أن ما خالف العامة فيه الرشاد (١). وقد اعترف صاحب الحدائق بأنه لم يُعلم من أحكام دينهم إلا القليل بسبب التقية حيث قال: "فلم يعلم من أحكام الدين على اليقين إلا القليل لامتزاج أخباره بأخبار التقية، كما قد اعترف بذلك ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني في جامعه الكافي، حتى إنه تخطأ العمل بالترجيحات المروية عند تعارض الأخبار والتجأ إلى مجرد الرد والتسليم للأئمة الأبرار".

أما تطبيق التقية عندهم فإنه خير كاشف بأن تقيتهم غير مرتبطة بحالة الضرورة.

وقد اعترف ـ أيضًا ـ صاحب الحدائق بأن الأئمة "يخالفون بين الأحكام وإن لم يحضرهم أحد من أولئك الأنام، فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة،

---

(١) من كتاب أصول مذهب الشيعة .

وإن لم يكن بها قائل من المخالفين".

والأمثلة في هذا الباب كثيرة جداً.

روى الكليني "... عن موسى بن أشيم قال: كنت عند أبي عبد الله فسأله رجل عن آية من كتاب الله ـ عز وجل ـ فأخبره بها، ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول، قال: فدخلني من ذلك ما شاء الله حتى كأن قلبي يشرح بالسكاكين فقلت في نفسي: تركت أبا قتادة بالشام لا يخطئ في الواو وشبهه، وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله. فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرني وأخبر صاحبي، فسكنت نفسي فعلمت أن ذلك منه تقية، قال: ثم التفت إليّ فقال لي: يا ابن أشيم إن الله فوض إلى نبيه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ فما فوض إلى رسول الله ﷺ فقد فوضه إلينا" [أصول الكافي]. فانظر كيف نسبوا إلى جعفر أنه يضل بتأويل القرآن على غير تأويله؛ بل وإشاعة التأويلات المختلفة المتناقضة بين الأمة، ثم يزعمون أنه قد فوض له أمر الدين، يفعل ما يشاء.. فهذه ليست تقية، هذا إلحاد في كتاب الله وصد عن دينه، ثم هل هناك حاجة للتقية في تفسير القرآن وفي القرون المفضلة ومن عالم أهل البيت في عصره؟!

ويزعمون أن أئمتهم كانوا يفتون بتحريم الحلال وتحليل الحرام بموجب التقية بلا مبرر، ففي الكافي "عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله يقول: كان أبي ـ عليه السلام ـ يفتي في زمن بني أمية أن ما قتل البازي والصقر فهو حلال، وكان يتقيهم، وأنا لا أتقيهم وهو حرام ما قتل" (١). ومما يدل صراحة على أن التقية ليست إلا الكذب الصريح بلا مبرر ما رواه شيخهم الكليني عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ (جعفر الصادق) وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة، فقال لي: يا ابن مسلم هاتها إن العالم بها جالس، وأومأ بيده إلى أبي حنيفة (فعرض الراوي الرؤيا على أبي حنيفة فأجابه أبو حنيفة عليها ـ كما يزعمون) فقال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: أصبت والله يا أبا حنيفة.

قال (الراوي): ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت له: جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم لا يسؤك الله فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا، ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك: فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ؟ قال: نعم حلفت علي أنه أصاب الخطأ.

فهل استعمال التقية في هذا النص له مسوغ؟ هل أبو حنيفة ذو سلطة وقوة حتى

---

(١) [فروع الكافي، باب صيد البزاة والصقور: ٦/٢٠٨].

يخشى منه ويتقى، وهل من ضرورة لمدحه والقسم على صواب إجابته ثم لما خرج يحكم عليه بالنصب ويخطئ في جوابه، هل لهذا تفسير غير أن الخداع والكذب بلا مسوغ ونحن نبرئ جعفر الصادق من هذا الافتراء ونقول: إن هذا سب وطعن في جعفر ممن يزعم التشيع له ومحبته.

وكلما كان الرافضي أبرع في الكذب والخداع كلما عظم مقامه عندهم ونال أعلى شهادة، ولذلك أثنى محمد باقر الصدر على الحسين بن روح [وهو الباب الثالث من أبواب مهديهم.]، وقال بأنه قام بمهمة "البابية" خير قيام لأنه "كان من مسلكه الالتزام بالتقية المضاعفة، بنحو ملفت للنظر بإظهار الاعتقاد بمذهب أهل السنة" [تاريخ الغيبة الصغرى] .وجاء في الغيبة للطوسي: ". . عن عبد الله بن غالب قال: ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح، ولعهدي به يومًا في دار ابن يسار، وكان له محل عند السيد والمقتدر عظيم، وكانت العامة ـ أيضًا ـ تعظمه. . وعهدي به وقد تناظر اثنان، فزعم واحد أن أبا بكر أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ ثم عمر ثم علي [كذا ورد بدون ذكر عثمان، فكأن مجلسهم يسوده اتجاه شيعي عام، ومع ذلك تجري فيه التقية.]، وقال الآخر: بل علي أفضل من عمر، فزاد الكلام بينهما، فقال أبو القاسم ـ رضي الله عنه -: الذي اجتمعت الصحابة عليه هو تقديم الصديق ثم بعده الفاروق، ثم بعده عثمان ذو النورين ثم علي الوصي، وأصحاب الحديث على ذلك، وهو الصحيح عندنا.

فبقي من حضر المجلس متعجبًا من هذا القول، وكاد العامة الحضور يرفعونه على رؤوسهم، وكثر الدعاء له، والطعن على من يرميه بالرفض، فوقع عليّ الضحك، فلم أزل أتصبر وأمنع نفسي، وأدس كمي في فمي، فخشيت أن أفتضح فوثبت عن المجلس، ونظر إلي ففطن بي، فلما حصلت في منزلي فإذا الباب يطرق، فخرجت مبادرًا فإذا بأبي القاسم الحسين ابن روح راكبًا بغلته قد وافاني من المجلس قبل مضيه إلى داره فقال لي: يا أبا عبد الله ـ أيدك الله ـ لم ضحكت؟ فأردت أن تهتف بي كأن الذي قلته عندك ليس بحق، فقلت: كذلك هو عندي، فقال لي: اتق الله أيها الشيخ فإني لا أجعلك في حل تستعظم هذا القول مني؟ فقلت: يا سيدي، رجل يرى بأنه صاحب الإمام ووكيله يقول ذلك القول يتعجب منه ويضحك من قوله هذا، فقال لي: وحياتك [الحلف بغير الله من شريعة "نائب المعصوم وبابه"] لئن عدت لأهجرنك وودعني وانصرف".

نقلت هذه القصة رغم طولها؛ لأنها تصور كيف يخادعون أهل السنة، ويقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ويتندرون فيما بينهم على تصديق بعض أهل السنة لنفاقهم وكذبهم، وعقلية شيعة هذا العصر لا تزال تؤمن بهذا النفاق وجدواه، فقد

نقل هذه الحادثة عن ابن روح مؤيداً لمنهجه. مثنيًا على مسلكه، وقد جاءت عندهم أخبار كثيرة على هذا النهج، لولا ضيق المجال لعرضت لها، وأعقبتها بالنقد والتحليل، وهي تستحق دراسة خاصة لما فيها من كشف لحيل الروافض وأساليبهم.

الردودوالنقد :

نقد استدلاله على التقية: من كتاب أصول مذهب الشيعة

يستدل المصنف والاثنا عشرية بآيتي آل عمران [الآية (٢٨): ﴿إلاَّ أن تَتَّقُوا منهُمْ تُقَاةً﴾]، والنحل [الآية (١٠٦): ﴿مَن كَفَرَ باللَّه من بَعْد إيمَانه إلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئنٌ بالإيمَان﴾]، وغيرهما [وهي الآيات التي يؤلونها بحسب المنهج الباطني عندهم كتأويلهم قوله ـ سبحانه ـ: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ [الكهف: ٩٧]، بقولهم: ما استطاعوا له نقبًا إذا عمل بالتقية.

وفي قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ [الكهف: ٩٨] . قالوا: "رفع التقية عند الكشف فينتقم من أعداء الله" . (انظر في تأويلهم للآيتين بذلك في: (١) وغيرها من الآيات على عقيدتهم في التقية، ولكن استدلالهم (بالآيتين) واقع في غير موقعه كما تبين أثناء توضيح معالم التقية عندهم، ولذلك قرر أهل العلم من خلال معرفتهم بواقع الشيعة أن تقيتهم إنما هي الكذب والنفاق ليس إلا. وقد تبينت لنا هذه الحقيقة من خلال "النص الشيعي" أيضًا.

فأنت ترى أن التقية عندهم هي الكذب والنفاق، ومع هذا يعتبرون ذلك من الدين، بل هو الدين كله. وأن حالهم من جنس حال المنافقين لا من جنس حال المكره الذي أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحًا الفرق بين تقية النفاق، والتقية في الإسلام: التقية... ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي فإن هذا نفاق، ولكن أفعل ما أقدر عليه.. فالمؤمن إذا كان بين الكفار والفجار، لم يكن عليه أن يجاهدهم بيده مع عجزه، ولكن إن أمكنه بلسانه، وإلا فبقلبه مع أنه لا يكذب ويقول بلسانه ما ليس في قلبه، إما أن يظهر دينه وإما أن يكتمه، وهو مع هذا لا يوافقهم على دينهم كله، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون؛ حيث لم يكن موافقًا لهم على جميع دينهم، ولا كان يكذب، ولا يقول بلسانه ما ليس في قلبه، بل كان يكتم إيمانه، وكتمان الدين شيء، وإظهار الدين الباطل شيء آخر، فهذا لم يبحه الله قط إلا لمن أكره بحيث أبيح له النطق بكلمة الكفر فيعذره الله في ذلك، والمنافق والكذاب لا

---

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٣٥١، البرهان: ٢/ ٤٨٦، الصافي: ٣/ ١٦٨)..

يعذر بحال.

ثم إن المؤمن الذي يعيش بين الكفار مضطرًا ويكتم إيمانه يعاملهم ـ بمقتضى الإيمان الذي يحمله ـ بصدق وأمانة ونصح وإرادة للخير بهم، وإن لم يكن موافقًا لهم على دينهم، كما كان يوسف الصديق يسير في أهل مصر وكانوا كفارًا.. بخلاف الرافضي الذي لا يترك شرًا يقدر عليه إلا فعله بمن يخالفه ، فالمفيد يعرف التقية بأنها الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين ـ وهم أهل السنة كما هو الغالب في إطلاق هذا اللفظ عندهم ـ أي هي إظهار مذهب أهل السنة (الذي يرونه باطلاً)، وكتمان مذهب الرافضة الذي يرونه هو الحق، من هنا يرى بعض أهل السنة: أن أصحاب هذه العقيدة هم شر من المنافقين؛ لأن المنافقين يعتقدون أن ما يبطنون من كفر هو باطل، ويتظاهرون بالإسلام خوفًا، وأما هؤلاء فيرون أن ما يبطنون هو الحق، وأن طريقتهم هي منهج الرسل والأئمة (١) .

قال ابن جرير الطبري:

والتقية في الإسلام غالبًا إنما هي مع الكفار، قال تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران، آية:٢٨] . قال ابن جرير الطبري: "التقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم" (٢). فالأغلب من معاني هذا الكلام: إلا أن تخافوا منهم مخافة. فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار، لا من غيرهم.

ولكن تقية الشيعة هي مع المسلمين ولاسيما أهل السنة حتى إنهم يرون عصر القرون المفضلة عهد تقية كما قرره شيخهم المفيد، وكما تلحظ ذلك في نصوصهم التي ينسبونها للأئمة؛ لأنهم يرون أهل السنة أشد كفرًا من اليهود والنصارى؛ لأن منكر إمامة الاثني عشر أشد من منكر النبوة والتقية رخصة في حالة الاضطرار، ولذلك استثناها الله ـ سبحانه ـ من مبدأ النهي عن موالاة الكفار فقال ـ سبحانه ـ: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران، آية: ٢٨] . فنهى الله ـ سبحانه ـ عن موالاة الكفار، وتوعد على ذلك أبلغ الوعيد فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ﴾ أي ومن يرتكب نهي الله في هذا فقد برئ من الله، ثم قال ـ سبحانه ـ: ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته.

---

(١) [ابن تيمية: رسالة في علم الظاهر والباطن، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية: ١/ ٢٤٨].
(٢) [تفسير الطبري: ٦/ ٣١٦ (تحقيق شاكر)] .

وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: "أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر".

ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطال: "وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه أعظم أجرًا عند الله" (١). ولكن التقية التي عند الشيعة خلاف ذلك، فهي عندهم ليست رخصة بل هي ركن من أركان دينهم كالصلاة أو أعظم، قال ابن بابويه: "اعتقادنا في التقية أنها واجبة، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة".

قال الصادق: "لو قلت أن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقًا بل نسبوا إلى النبي ﷺ أنه قال: "تارك التقية كتارك الصلاة"] ثم زادوا في درجة التقية فجعلوها "تسعة أعشار الدين".

ثم لم يكفهم ذلك فجعلوها هي الدين كله ولا دين لمن لا تقية له، جاء في أصول الكافي وغيره أن جعفر بن محمد قال: "إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له" وعدّوا ترك التقية ذنبًا لا يغفر على حد الشرك بالله، قالت أخبارهم: "يغفر الله للمؤمن كل ذنب، يظهر منه في الدنيا والآخرة، ما خلا ذنبين: ترك التقية، وتضييع حقوق الإخوان".

والتقية في دين الإسلام دين الجهاد والدعوة، لا تمثل نهجًا عامًا في سلوك المسلم، ولا سمة من سمات المجتمع الإسلامي، بل هي - غالبًا - حالة فردية مؤقتة، مقرونة بالاضطرار، مرتبطة بالعجز عن الهجرة، وتزول بزوال حالة الإكراه.

ولكنها في المذهب الشيعي تعد طبيعة ذاتية في بنية المذهب، يقول أبو عبد الله: "إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله"، وقال: "... أبى الله - عز وجل - لنا ولكم في دينه إلا التقية" (٢). فالأغلب من معاني هذا الكلام: إلا أن تخافوا منهم مخافة. فالتقية التي ذكرها الله في هذه الآية إنما هي تقية من الكفار لا من غيرهم.

صفات الصادقين كما جاءت في سورة البقرة

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي

---

(١) [فتح الباري: ١٢/٣١٧].   (٢) [أصول الكافي: ٢/٢١٨]

الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾

اشتملت هذه الآية الكريمة، على جمل عظيمة، وقواعد عميمة، وعقيدة مستقيمة، وأما الكلام على تفسير هذه الآية، فإن الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه إلى بيت المقدس، ثم حولهم إلى الكعبة، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل، وامتثال أوامره، والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق إلى المغرب بر ولا طاعة، إن لم يكن عن أمر الله وشرعه ؛ ولهذا قال: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية ، كما قال في الأضاحي والهدايا: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [وقال الثوري: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ الآية، قال: هذه أنواع البر كلها. وصدق رحمه الله؛ فإن من اتصف بهذه الآية، فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله، وهو الإيمان بالله، وهو أنه لا إله إلا هو، وصدق بوجود الملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله ﴿وَالْكِتَابِ﴾ وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء، حتى ختمت بأشرفها، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، الذي انتهى إليه كل خير، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة، ونسخ [الله] به كل ما سواه من الكتب قبله، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم إلى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين. وقوله: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أي: أخرجه، وهو محب له، راغب فيه.

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ [الإنسان : ٨ ، ٩] .وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران : ٩٢] وقوله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر : ٩] نمط آخر أرفع من هذا [ومن هذا] وهو أنهم آثروا بما هم مضطرون إليه ، وهؤلاء أعطوا وأطعموا ما هم محبون له.

وقوله: ﴿ذَوِي الْقُرْبَى﴾ وهم: قرابات الرجل، وهم أولى من أعطى من الصدقة،

﴿وَالْيَتَامَى﴾ هم: الذين لا كاسب لهم، وقد مات آباؤهم وهم ضعفاء صغار دون البلوغ والقدرة على التكسب، وقد قال عبد الرزاق: أنبأنا معمر، عن جويبر، عن الضحاك، عن النزال بن سبرة، عن علي، عن رسول الله ﷺ قال: "لا يتم بعد حلم".

﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ وهم: الذين لا يجدون ما يكفيهم في قوتهم وكسوتهم وسكناهم، فيعطونَ ما تُسَدُّ به حاجتهم وخلتهم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذي تَرده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن له فَيُتَصَدَق عليه(١).

﴿وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ وهو: المسافر المجتاز الذي قد فرغت نفقته فيعطى ما يوصله إلى بلده، وكذا الذي يريد سفرا في طاعة، فيعطى ما يكفيه في ذهابه وإيابه، ويدخل في ذلك الضيف، كما قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: ابن السبيل هو الضيف الذي ينزل بالمسلمين، وكذا قال مجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو جعفر الباقر، والحسن، وقتادة، والضحاك والزهري، والربيع بن أنس، ومقاتل بن حيان.

﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ وهم: الذين يتعرضون للطلب فيعطون من الزكوات والصدقات ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ وهم : المكاتبون الذين لا يجدون ما يؤدونه في كتابتهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عبد الحميد، حدثنا شريك، عن أبي حمزة، عن الشعبي، حدثتني فاطمة بنت قيس: أنها سألت رسول الله ﷺ: أفي المال حق سوى الزكاة ؟ قالت: فتلا علي ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾(٢) . وقوله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ أي : وأتم أفعال الصلاة في أوقاتها بركوعها، وسجودها، وطمأنينتها، وخشوعها على الوجه الشرعي المرضي.

وقوله: ﴿وَآتَى الزَّكَاةَ﴾ يُحتَمَلُ أن يكون المراد به زكاة النفس، وتخليصها من الأخلاق الدنية الرذيلة، كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩ ، ١٠] وقول موسى لفرعون:

﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ [النازعات: ١٨ ، ١٩] وقوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ * الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦ ، ٧] . ويحتمل أن يكون المرادُ زكاة المال كما قاله سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان، ويكون المذكور من إعطاء هذه الجهات والأصناف المذكورين إنما هو التطوع والبر والصلة؛ ولهذا تقدم في الحديث عن فاطمة بنت قيس: أن في المال حقا سوى الزكاة، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ كقوله: ﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ [الرعد : ٢٠] وعكس هذه الصفة النفاق ، كما صح في الحديث: "آية

(١) صحيح البخاري برقم (١٤٧٩) وصحيح مسلم برقم (١٠٣٩).

(٢) هو في صحيح البخاري برقم (٣٣) وصحيح مسلم برقم (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". وفي الحديث الآخر: "إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"(١).

وقوله: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي: في حال الفقر، وهو البأساء، وفي حال المرض والأسقام، وهو الضراء. ﴿وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ أي: في حال القتال والتقاء الأعداء، قاله ابن مسعود، وابن عباس، وأبو العالية، ومرّة الهمداني، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان، وأبو مالك، والضحاك، وغيرهم.

وإنما نُصبَ ﴿وَالصَّابِرِينَ﴾ على المدح والحث على الصبر في هذه الأحوال لشدته وصعوبته، والله أعلم، وهو المستعان وعليه التكلان. وقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ أي: هؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم؛ لأنهم حققوا الإيمان القلبي بالأقوال والأفعال، فهؤلاء هم الذين صدقوا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات.

فى هذه الآيات بيان فضل الصدق ومنزلته وأن الصدق فيه النجاة ولو رأى صاحبه فيه الهلكه :

﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن أخي الزهري محمد بن عبد الله، عن عمه محمد بن مسلم الزهري ، أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، أن عبد الله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عَمى - قال: سمعت كعب بن مالك يحدّث حديثه حين تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فقال كعب بن مالك: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزاة غيرها قط إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزاة بدر، ولم يعاتَب أحدٌ تخلف عنها، وإنما خرج رسول الله ﷺ يريد عِير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم على غير ميعاد ، ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين توافقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكَر في الناس منها وأشهر، وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلّفت

---

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه. لأنهم اتقوا المحارم وفعلوا الطاعات.

عنه في تلك الغزاة، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة، وكان رسول الله ﷺ قلَّما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله ﷺ في حَرٍّ شديد، واستقبل سفرا بعيدا ومفازًا، واستقبل عدوا كثيرًا فَجَلَّى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم، فأخبرهم وَجْهَه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - فقال كعب : فَقَلّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله، عز وجل، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل، وأنا إليها أصعر. فتجهز إليها رسول الله ﷺ والمؤمنون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض من جهازي شيئا ، فأقول لنفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شمَّربالناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ غاديا والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا، وقلت: الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فغدوت بعدما فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا من جهازي. ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل [ذلك] يَتمادى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم - وليت أنّي فعلتُ - ثم لم يقدر ذلك لي، فطفقت إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فَطُفتُ فيهم يحزنني ألا أرى إلا رجلا مَغْموصا عليه في النفاق، أو رجلا ممن عذره الله ، عز وجل ، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: "ما فعل كعب بن مالك ؟" قال رجل من بني سَلمة: حبسه يا رسول الله بُرْداه ، والنظر في عَطْفيه. فقال له معاذ بن جبل: بئسما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا! فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد تَوجَّه قافلا من تبوك حضرني بَثّي فطفقت أتذكرالكَذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا ؟ أستعين على ذلك كلّ ذي رأي من أهلي. فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظلّ قادما، زاح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدا. فأجمعتُ صدقه، وصَبَّح رسول الله ﷺ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له - وكانوا بضعة وثمانين رجلا - فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ويستغفر لهم، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى، حتى جئت، فلما سلَّمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال لي: "تعال"، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: "ما خلَّفك، ألم تك قد اشتريت ظهرك" ؟ قال: فقلت: يا رسول الله، إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سَخَطه بعذر ، لقد أعطيتُ

جَدلًا ولكنه والله لقد علمتُ لئن حَدّثتك اليوم حديث كَذب ترضى به عني ، ليوشكن الله يُسْخطك علي ، ولئن حدثتك بصدق تَجدُ عَليّ فيه، إني لأرجو أقرب عقبى ذلك [عفوًا] من الله، عز وجل والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال: فقال رسول الله ﷺ: "أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك". فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني ، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عَجَزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به المتخلفون فقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك. قال: فوالله ما زالوا يؤنّبوني حتى أردت أن أرجع فأُكذِّب نفسي: قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، لقيه معك رجلان، قالا ما قلتَ، وقيل لهما مثل ما قيل لك. قلت: فمن هما؟ قالوا: مُرَارة بن الربيع العامري ، وهلال بن أمية الواقفي. فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة. قال: فمضيت حين ذكروهما لي - قال: ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا - أيها الثلاثة - من بين من تخلف عنه، فاجتنبَنَا الناس وتغيّروا لنا، حتى تنكرَتْ لي في نفسي الأرضُ، فما هي بالأرض التي كنت أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشَب القوم وأجلَدهم ، فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم ، وأقول في نفسي : حَرّك شفتيه برد السلام عليّ أم لا ؟ ثم أصلي قريبا منه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، فإذا التفت نحوه أعرَض ، حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مَشَيت حتى تسورت حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي - فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت له : يا أبا قتادة ، أنشدُك الله : هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت. قال : فعدتُ فنشدته فسكت ، فعدت فنشدته فقال : الله ورسوله أعلم. قال : ففاضت عيناي وتوليت حتى تسوّرت الجدار. فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نَبَطيٌّ من أنباط الشام ، ممن قَدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فطفقَ الناس يشيرون له إليّ ، حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان ، وكنت كاتبا فإذا فيه : أما بعد ، فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هَوان ولا مَضيَعة ، فالحق بنا نُواسكَ. قال : فقلت حين قرأتها : وهذا أيضًا من البلاء. قال : فتيممت به التنور فَسَجرته حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين ، إذا برسول رسول الله ﷺ يأتيني ، فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك. قال : فقلت : أطلقها أم ماذا

أفعل ؟ قال : بل اعتزلها ولا تقربها. قال : وأرسل إلى صاحبيّ بمثل ذلك قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك ، فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر. قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت له : يا رسول الله ، إن هلالا شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : "لا ولكن لا يقربنَّك" قالت : وإنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما يزال يبكي من لدن أن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا. قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال : فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ ، وما أدري ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته وأنا رجل شاب؟ قال: فلبثنا [بعد ذلك] عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال: ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله تعالى منا: قد ضاقت علي نفسي، وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى على جبل سَلْع يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر. قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، فآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيّ مبشرون، وركض إلي رجُل فرسًا، وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس. فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، فنزعت ثوبي، فكسوتهما إياه ببشارته، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت أؤم رسول الله ﷺ ، يلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة، يقولون: لِيَهْنك توبة الله عليك. حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد حوله الناس ، فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يُهرول، حتى صافحني وهنَّأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره قال : فكان كعب لا ينساها لطلحة. قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال وهو يبرُق وجهه من السرور: "أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمّك". قال : قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ قال: "لا بل من عند الله". قال: وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، حتى يعرف ذلك منه. فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله. قال: "أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك". قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله، إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقا ما بقيت. قال : فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني الله تعالى،

والله ما تعمدت كَذْبَةً منذ قلت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ قال كعب: فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظمَ في نفسي من صدقي رسولَ الله ﷺ يومئذ ألا أكون كَذَبْتُه فأهلك كما هلك الذين كَذَبوه [حين كَذَبُوه]؛ فإن الله تعالى قال للذين كَذَبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦]. قال: وكنا خُلِّفنا - أيها الثلاثة - عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسولُ الله أمرنا، حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خُلِّفنا بتخلفنا عن الغزو، وإنما هو عمن حلف له واعتذر إليه، فقبل منه.

هذا حديث صحيح ثابت متفق على صحته، رواه صاحبا الصحيح: البخاري ومسلم من حديث الزهري، بنحوه (١).

فقد تضمن هذا الحديث تفسير هذه الآية الكريمة بأحسن الوجوه وأبسطها. وكذا رُوي عن غير واحد من السلف في تفسيرها، كما رواه الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر بن عبد الله في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ قال: هم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن ربيعة وكلهم من الأنصار.

وكذا قال مجاهد، والضحاك، وقتادة، والسدي وغير واحد - وكلهم قال: مُرارة بن ربيعة.

ولما ذكر تعالى ما فرّج به عن هؤلاء الثلاثة من الضيق والكرب، من هجر المسلمين إياهم نحوا من خمسين ليلة بأيامها، وضاقت عليهم أنفسهم، وضاقت عليهم الأرض بما رَحُبت، أي: مع سعتها، فسدّدت عليهم المسالك والمذاهب، فلا

---

(١) المسند (٣/٤٥٦ - ٤٥٩) وصحيح البخاري برقم (٨٨٩) وبرقم (٢٧٥٧) وصحيح مسلم برقم (٢٧٦٩).

يهتدون ما يصنعون، فصبروا لأمر الله، واستكانوا لأمر الله، وثبتوا حتى فرج الله عنهم بسبب صدقهم رسول الله ﷺ في تخلفهم، وأنه كان عن غير عذر، فعوقبوا على ذلك هذه المدة، ثم تاب الله عليهم، فكان عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم؛ ولهذا قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ أي: اصدقوا والزموا الصدق تكونوا مع أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم، ومخرجا، وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش عن شقيق؛ عن عبد الله، هو ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتىيكتب عند الله كذابا".

وقال شعبة، عن عمرو بن مُرّة، سمع أبا عبيدة يحدث عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، أنه قال: [إن] الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل، اقرءوا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ - هكذا قرأها - ثم قال: فهل تجدون لأحد فيه رخصة. وعن عبد الله بن عمر: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ مع محمد ﷺ وأصحابه. وقال الضحاك: مع أبي بكر وعمر وأصحابهما.

وقال الحسن البصري: إن أردت أن تكون مع الصادقين، فعليك بالزهد في الدنيا، والكف عن أهل الملة.

آيات من سورة الأحزاب نستكمل بها بعضا" من صفات الصادقين :

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)﴾ لمّا ذكر عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق و ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾، قال بعضهم: أجله. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ أي: وما غيروا عهد الله، ولا نقضوه ولا بدلوه (١).

وقال البخاري أيضا: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني أبي، عن ثُمَامَة، عن أنس بن مالك قال: نرى هذه الآية نزلت

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٤) والمسند (١٨٨/٥) وسنن الترمذي برقم (٣١٠٤) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٠١).

في أنس بن النضر: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾(١) . انفرد به البخاري من هذا الوجه، ولكن له شواهد من طرق أخر. قال الإمام أحمد:

حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا سليمان بن المغيرة، عن ثابت قال: قال أنس: عمي أنس بن النضر سُميت به، لم يشهد مع رسول الله ﷺ يوم بدر، فشق عليه وقال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيّبتُ عنه، لئن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله ﷺ لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول غيرها، فشهد مع رسول الله ﷺ [يوم] أحد، فاستقبل سعدَ بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو، أين. واهًا لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قُتل قال: فَوُجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية، فقالت أخته - عمتي الرُّبيِّع ابنة النضر - : فما عرفتُ أخي إلا ببنانه. قال : فنزلت هذه الآية: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ . قال: فكانوا يُرون أنها نزلت فيه ، وفي أصحابه.

وقال الحسن: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ يعني: موته على الصدق والوفاء. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ الموتَ على مثل ذلك ، ومنهم مَنْ لم يبدل تبديلا. وكذا قال قتادة ، وابن زيد.

وقوله: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾ أي: وما غيَّروا عهدهم، وبدَّلوا الوفاء بالغدر، بل استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه كفعل المنافقين الذين قالوا: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِرَارًا﴾، ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ﴾ وقوله: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: إنما يختبر عباده بالخوف والزلزال ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر أمر هذا بالفعل، وأمر هذا بالفعل، مع أنه تعالى يعلم الشيء قبل كونه، ولكن لا يعذب الخلق بعلمه فيهم حتى يعملوا بما يعلمه فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد : ٣١] ، فهذا علم بالشيء بعد كونه، وإن كان العلم السابق حاصلا به قبل وجوده. وكذا قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] . ولهذا قال هاهنا:

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ أي: بصبرهم على ما عاهدوا الله عليه، وقيامهم به، ومحافظتهم عليه.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٧٨٣).

﴿ويُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ﴾ : وهم الناقضون لعهد الله ، المخالفون لأوامره، فاستحقوا بذلك عقابه وعذابه، ولكن هم تحت مشيئته في الدنيا، إن شاء استمر بهم على ما فعلوا حتى يلقوه به فيعذبهم عليه، وإن شاء تاب عليهم بأن أرشدهم إلى النزوع عن النفاق إلى الإيمان، وعمل الصالح بعد الفسوق والعصيان. ولما كانت رحمته ورأفته بخلقه هي الغالبة لغضبه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيمًا﴾ .

منازل أهل الصدق

من سورة يونس

وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، يقول تعالى منكرا على من تعجب من الكفار من إرسال المرسلين من البشر وقوله : ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ اختلفوا فيه ، فقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ [عِنْدَ رَبِّهِمْ]﴾ يقول : سبقت لهم السعادة في الذكر الأول. وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يقول: أجرا حسنا، بما قدموا. وكذا قال الضحاك، والربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهذا كقوله تعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَنًا مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢ ، ٣]

وقال مجاهد: ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قال: الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم.

[وقال عمرو بن الحارث عن قتادة أو الحسن ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ]﴾ قال: محمد ﷺ شفيع لهم. وكذا قال زيد بن أسلم، ومقاتل بن حيان. وقال قتادة: سلفُ صدق عند ربهم. واختار ابن جرير قول مجاهد - أنها الأعمال الصالحة التي قدموها - قال: كما يقال: "له قدم في الإسلام" ومنه قول [حسان] رضي الله عنه. لنا القَدَمُ العُليا إليك وخَلْفُنا لأوَّلنا في طاعَة الله تَابعُ. . . وقول ذي الرُّمة :

لكُم قَدَمٌ لا يُنكرُ الناسُ أنَها مَعَ الحَسَبِ العَادِيِّ طَمَّت على البَحْرِ

دعاء بالصدق

وأمر من الله بأن يدعو العبد ويسأل ربه أن يدخله مدخل صدق وأن يخرجه مخرج صدق وجاء بيانها على هذا النحو من سورة الاسراء

﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً﴾ . قال الإمام أحمد: حدثنا جرير، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة، فأنزل الله: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ

وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ . وقوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ قال الحسن البصري في تفسيرها: وعده ربه لينزعن ملك فارس، وعز فارس، وليجعلنه له، وملك الروم، وعز الروم، وليجعلنه له.

وقال قتادة فيها إن نبي الله ﷺ، علم ألا طاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان، فسأل سلطانًا نصيرًا لكتاب الله، ولحدود الله، ولفرائض الله، ولإقامة دين الله؛ فإن السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده، ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض، فأكل شديدهم ضعيفهم.

قال مجاهد: ﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾ حجة بينة. واختار ابن جرير قول الحسن وقتادة، وهو الأرجح؛ لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وناوأه ؛ ولهذا قال [سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [الحديد : ٢٥] وفي الحديث : "إن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن" أي : ليمنع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام ، ما لا يمتنع كثيرٌ من الناس بالقرآن، وما فيه من الوعيد الأكيد ، والتهديد الشديد، وهذا هو الواقع.

وهذا دعاء ابراهيم ﷺ كما فى سورة الشعراء

﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ (٨٤) ﴾ . أي : واجعل لي ذكرًا جميلا بعدي أذكرَ به ، ويقتدى بي في الخير ، كما قال تعالى : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ. سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الصافات : ١٠٨ - ١١٠] .

منازل الصادقين فى الآخرة

من سورة الزمر﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٥)﴾ . يقول تعالى مخاطبا للمشركين الذين افتروا على الله، وجعلوا معه آلهة أخرى، وادعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولدا - تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا - ومع هذا كذبوا بالحق إذ جاءهم على السنة رسل الله، صلوات الله [وسلامه] عليهم أجمعين، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله، وكذّب رسول الله ، قالوا الباطل وردوا الحق؛ ولهذا قال متوعدا لهم: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴾ وهم الجاحدون المكذبون.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ هو رسول الله ﷺ

﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ المسلمون. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ قال ابن عباس: اتقوا الشرك.
﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: في الجنة، مهما طلبوا وجدوا، ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف : ١٦] .

وها هنا بيان للفرق بين حال الصادقين وحال الكاذبين ومنازلهم فى الآخرة كما فى آيات سورة الزمر

ولما تمنى أهل الجرائم العودَ إلى الدنيا، وتحسروا على تصديق آيات الله واتباع رسله، قال [الله سبحانه وتعالى] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا، وقامت حججي عليك ، فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها ، وكنت من الكافرين بها، الجاحدين لها. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)﴾ . يخبر تعالى عن يوم القيامة أنه تسود فيه وجوه، وتبيض فيه وجوه، تسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف، وتبيض وجوه أهل السنة والجماعة، قال تعالى هاهنا: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أي: في دعواهم له شريكا وولدا ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ أي: بكذبهم وافترائهم.

قوله: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ أي: أليست جهنم كافية لها سجنا وموئلا لهم فيها [دار] الخزي والهوان ، بسبب تكبرهم وتجبرهم وإبائهم عن الانقياد للحق.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، حدثنا عمي، حدثنا عيسى بن أبي عيسى الخياط، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن رسول الله ﷺ قال: "إن المتكبرين يحشرون يوم القيامة أشباه الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنا من النار في واد يقال له بولس، من نار الأنيار، ويسقون عصارة أهل النار، ومن طينة الخبال" .

وقوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾ أي: مما سبق لهم من السعادة والفوز عند الله، ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي: ولا يحزنهم الفزع الأكبر، بل هم آمنون من كل فزع، مزحزحون عن كل شر، مؤملون كل خير.

وقوله كما فى آخر سورة القمر: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ أي: بعكس ما الأشقياء فيه من الضلال والسعر والسحب في النار على وجوههم، مع التوبيخ والتقريع

والتهديد. وقوله: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي: في دار كرامة الله ورضوانه وفضله، وامتنانه وجوده وإحسانه، ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي: عند الملك العظيم الخالق للأشياء كلها ومقدرها، وهو مقتدر على ما يشاء مما يطلبون ويريدون؛ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو - يَبلُغُ به النبي ﷺ - قال: "المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور، عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين: الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا". انفرد بإخراجه مسلم والنسائي، من حديث سفيان بن عيينة، بإسناده مثله .

الفصل الثامن
زواج المتعة

المصنف وما ينقل عنهم يستمرون فى اضلال الشيعة، وكعادتهم يستدلون بروايات مكذوبة ويكذبون الروايات الصحيحة الثابتة عن النبى ﷺ وأصحابه وآل البيت، ويا ليت الأمر وقف عند هذا الحد بل تطور الأمر عندهم حتى وصل الأمر الى أبعد من هذا ، وصل الأمر الى أن تبادل الجار وجاره الزوجات طالما أنه يعطى لامرأة جاره أجرة على هذا الوقت الذى تقضيه معه، ولقد قرأت قصة عن أحد أساتذة الجامعة فى ايران الذين يسافرون الى بغداد منذ عشرات السنين وأثناء سفره الى بغداد فى بعثة علميه نزل أحد الفنادق وطلب من ادارة الفندق أن يحضروا له من يتمتع بها أثناء اقامته بالفندق واحضروا له امرأة ظلت معه يتمتع بها حتى انتهت بعثته العلمية وكانت حوالى شهراً ثم رجع الى بلاده وتركها، وبعد حوالى عشرين سنة رجع الى بغداد ايضا فى رحلة علمية ونزل نفس الفندق وكرر طلبه بأن يأتوا له بمن يتمتع بها وأتوا له ببنت تمتع بها وبعد ان قضى معها أيام سألها عن قصتها وبعد أن سألها عن أمها وبعد أن أجابته تذكر أنها أمها الذى تمتع بها منذ عشرين سنة، اذاً هى ابنته التى تمتع بها، ولما عاد الى ايران أعلن الحرب على زواج المتعة لأنه عاش التجربة الأليمة وذاق مرارة مخالفة سنة النبى ﷺ الذى حرم زواج المتعة ونسخ العمل به الى يوم القيامة، وأقول أن سيدنا علىّ ابن أبى طالب أنكر على ابن عباس رضى الله عنهم أجمعين حين رخص فى هذا الأمر وذكره بتحريم النبى له ، وفى هذا أبلغ الرد على الشيعة، لكنهم كعادتهم ينكرون كل ما يخالف هواهم ويردونه حتى ولو كان القائل هو علىّ، وفى هذا أيضاً أكبر دليل على هؤلاء أنهم لا يقيمون للدليل وزناً اذا خالف هواهم لأنهم كما قلت سالفاً أن هؤلاء القوم مجموعة من الأعداء اندسوا فى صفوف المسلمين وتظاهروا بالاسلام ليهدموه باسم الاسلام، وأمر المتعة بصفة خاصة النفس المريضة تتعلق به فما البال اذا صبغ بصبغة الدين، ولكونه مرغوباً فيه دخل هؤلاء الشياطين من هذا المدخل وتتابعت الفتاوى والتنازلات والتسهيلات حتى وصل الأمر بأنه لم يعد شىء اسمه حرام وأصبح التمتع متطوراً بفضل فتاوى المراجع الشيعية وما أكثرهم واليك الدليل من أقوال المصنف ثم الردود والنقد باذن الله:

ما سيأتى من تفسير الصافى

سورة النساء فـي الكافي عن الصادق (عليه السلام) انما نزلت فما استمتعتم به

منهن إلى اجل مسمى فآتوهن اجورهن فريضة. والعياشي عن الباقر (عليه السلام) انه كان يقرؤها كذلك وروته العامة ايضا عن جماعة من الصحابة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة من زيادة في المهر أو الأجل أو نقصان فيهما أو غير ذلك مما لا يخالف الشرع.

في الكافي مقطوعا. والعياشي عن الباقر (عليه السلام) لا بأس بأن تزيدها وتزيدك إذا انقطع الأجل فيما بينكما يقول استحللتك بأجل آخر برضى منها ولا تحل لغيرك حتى تنقضي عدتها وعدتها حيضتان إن الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الأحكام. في الكافي عن الصادق (عليه السلام) المتعة نزل بها القرآن وجرت بها السنة من رسول الله. وعن الباقر (عليه السلام) كان علي يقول لولا ما سبقني به بني الخطاب ما زنى الا شفي. أقول: الا شفي بالفاء يعني الا قليل، اراد انه لولا ما سبقني به عمر من نهيه عن المتعة وتمكن نهيه في قلوب الناس لندبت الناس عليها ورغبتهم فيها فاستغنوا بها عن الزنا فما زنى منهم الا قليل وكان نهيه عنها تارة بقوله متعتان كانتا على عهد رسول الله انا محرمهما ومعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء واخرى بقوله ثلاث كن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انا محرمهن ومعاقب عليهن متعة الحج ومتعة النساء وحيّ على خير العمل في الأذان، وفيه جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى ابي جعفر (عليه السلام) فقال له ما تقول في متعة النساء فقال احلها الله في كتابه وعلى لسان نبيه فهي حلال إلى يوم القيامة فقال يا ابا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها فقال وان كان فعل قال فاني اعيذك بالله من ذلك ان تحل شيئا حرمه عمر فقال له فأنت على قول صاحبك وانا على قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهلم ألاعنك ان القول ما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان الباطل ما قال صاحبك قال فأقبل عبد الله بن عمير فقال يسرك ان نساءك وبناتك واخواتك وبنات عمك يفعلن ذلك قال فاعرض عنه أبو جعفر حين ذكر نساءه وبنات عمه وفيه سأل أبو حنيفة ابا جعفر محمد بن النعمان صاحب الطاق فقال له يا ابا جعفر ما تقول في المتعة أتزعم انها حلال قال نعم قال فما يمنعك ان تأمر نساءك يستمتعن ويكسبن عليك فقال له أبو جعفر ليس كل الصناعات يرغب فيها وان كانت حلالا وللناس اقدار ومراتب يرفعون اقدارهم ولكن ما تقول يا ابا حنيفة في النبيذ أتزعم انه حلال قال نعم قال فما يمنعك ان تقعد نساءك في الحوانيت نباذات فيكسبن عليك فقال أبو حنيفة واحدة بواحدة وسهمك انفذ ثم قال له يا ابا جعفر ان الآية التي في سأل سائل تنطق بتحريم المتعة والرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جاءت بنسخها فقال له أبو جعفر يا

ابا حنيفة ان سورة سأل سائل مكية وآية المتعة مدنية وروايتك شاذة ردية فقال أبو حنيفة وآية الميراث ايضا تنطق بنسخ المتعة فقال أبو جعفر قد ثبت النكاح بغير ميراث فقال أبو حنيفة من اين قلت ذاك فقال أبو جعفر لو أن رجلا من المسلمين تزوج بامرأة من اهل الكتاب ثم توفى عنها ما تقول فيها قال لا ترث منه فقال قد ثبت النكاح بغير ميراث ثم افترقا.

وعن الصادق (عليه السلام) انه سأله أبو حنيفة عن المتعة فقال عن اي المتعتين تسأل قال سألتك عن متعة الحج فأنبئني عن متعة النساء أحق هي فقال سبحان الله اما تقرأ كتاب الله فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة فقال ابو حنيفة والله لكأنها آية لم اقرأها قط.

وفي الفقيه عنه (عليه السلام) ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا.

أقول: الكرة الرجعة وهي اشارة إلى ما ثبت عنهم (عليهم السلام) من رجوعهم إلى الدنيا مع جماعتهم من شيعتهم في زمن القائم (عليه السلام) لينصروه وقد مضت الاشارة إليه فيما سلف ويأتي اخبار اخر فيها ان شاء الله.

سورة المؤمنون وفي الكافي عن الصادق عليه السلام إنه سئل عن المتعة فقال حلال ، وعن أبيه عن النبي صلوات الله عليهما إن الله أحل لكم الفروج على ثلاثة معان فرج مورث وهو الثبات وفرج غير مورث وهو المتعة وملك أيمانكم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك القمي قال من جاوز ذلك فأولئك هم العادون الكاملون في العدوان. ماسبق من تفسير الصافى.

الردود والنقد:

يقول ابن كثير

وقوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذَلَك، كقوله: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء : ٢١] وكقوله ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وكقوله [النساء : ٤] ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [البقرة : ٢٢٩] .وقد استدل بعموم هذه الآية علَى نكاح المتعة، ولا شك أنه كان مشروعًا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك. وقد ذهب الشافعي وطائفة من العلماء إلى أنه أبيح ثم نسخ، ثم أبيح ثم نسخ، مرتين. وقال آخرون أكثر من ذلك، وقال آخرون: إنما أبيح مرة، ثم نسخ ولم يبح بعد ذلك.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس وطائفة من الصحابة القولُ بإباحتها للضرورة ، وهو

رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى. وكان ابن عباس، وأبيّ بن كعب، وسعيد بن جُبَيْر، والسُّدِّي يقرءون: "فما استمتعتم به منهن إلى أجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضة". وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة، ولكن الجمهور على خلاف ذلك.

والعمدة ما ثبت في الصحيحين، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [رضي الله عنه] قال: نهى النبي ﷺ عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية يوم خيبر(١) ولهذا الحديث ألفاظ مقررة هي في كتاب "الأحكام". وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سَبْرَة بن معبد الجهني، عن أبيه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فقال: "يأيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حَرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا" وفي رواية لمسلم في حجة الوداع(٢) وله ألفاظ موضعها كتاب "الأحكام".

وقوله [تعالى] ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أي: وحرم عليكم الأجنبيات المحصنات وهي المزوجات ﴿ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ يعني: إلا ما ملكتموهن بالسبي، فإنه يحل لكم وطؤهن إذا استبرأتموهن، فإن الآية نزلت في ذلك.

وقد روي عن أبي الخليل، عن أبي عَلْقَمَةَ الهاشمي، عن أبي سعيد قال الإمام أحمد:

حدثنا ابن أبي عَدِيّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أبي الخليل، عن أبي عَلْقَمَةَ، عن أبي سعيد الخدري؛ أن أصحاب رسول الله ﷺ أصابوا سبايا يوم أوطاس، لهن أزواج من أهل الشرك، فكان أناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ كفوا وتأثموا من غشيانهن قال: فنزلت هذه الآية في ذلك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾(٣). وقد روى الطبراني من طريق الضحاك عن ابن عباس: أنها نزلت في سبايا خيبر، وذكر مثل حديث أبي سعيد، وقد ذهب جماعة من السلف إلى أن بيع الأمة يكون طلاقا لها من زوجها، أخذا بعموم هذه الآية.

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري، عن ابن المسيب قوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قال: هُن ذوات الأزواج، حرّم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها وقال معمر: وقال الحسن مثل ذلك.

---

(١) صحيح البخاري رقم (٤٢١٦) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٧).

(٢) صحيح مسلم برقم (١٤٠٦).

(٣) المسند (٣/ ٨٤) وصحيح مسلم برقم (١٤٥٦) وسنن أبي داود برقم (٢١٥٥) وسنن النسائي (٦/ ١١٠) وسنن الترمذي برقم (٣٠١٦).

وقد قيل : المراد بقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يعني: العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهن بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثًا أو أربعا. حكاه ابن جرير عن أبي العالية وطاوس وغيرهما. وقال عُمَر وعبيدة : ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ ما عدا الأربع حرام عليكم إلا ما ملكت أيمانكم.

وقوله: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: هذا التحريم كتاب كتبه الله عليكم، فالزموا كتابه، ولا تخرجوا عن حدوده، والزموا شرعه وما فرضه.

وقد قال عبيدة وعطاء والسدّي في قوله: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُم﴾ يعني الأربع.

وقال إبراهيم: ﴿كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: ما حرم عليكم.

وقوله: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ أي: ما عدا من ذكرن من المحارم هن لكم حلال ، قاله عطاء وغيره. تقدم. وقال قتادة ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ يعني : ما ملكت أيمانكم.

وقوله: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أي: تحصلوا بأموالكم من الزوجات إلى أربع أو السراري ما شئتم بالطريق الشرعي؛ ولهذا قال: ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾

وقوله: ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: كما تستمتعون بهن فآتوهن مهورهن في مقابلة ذلك، كقوله: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ [النساء : ٢١] وكقوله ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ وكقوله [النساء : ٤]﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [البقرة : ٢٢٩] .وفي صحيح مسلم عن الربيع بن سَبْرَة بن معبد الجهني، عن أبيه: أنه غزا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، فقال: "يأيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا" وفي رواية لمسلم في حجة الوداع. وله ألفاظ موضعها كتاب "الأحكام".

ومن قال بالقول الأول جعل معناه كقوله: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً [فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا](١٠)﴾ [النساء : ٤] أي: إذا فرضت لها صداقًا فأبرأتك منه، أو عن شيء منه فلا جناح عليك ولا عليها في ذلك.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه قال: زعم الحضرمي أن رجالا كانوا يفرضون المهر، ثم عسى أن يدرك أحدهم العسرة، فقال: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ يعني: إن وضعت لك منه شيئا فهو لك سائغ، واختار هذا القول ابن جرير ، وقال [

علي] بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ والتراضي أن يُوفيها صداقها ثم يخيرها، ويعني في المقام أو الفراق. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ مناسب ذكر هذين الوصفين بعد شرع هذه المحرمات [العظيمة].

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)﴾.

يقول [تعالى] ومن لم يجد ﴿طَوْلًا﴾ أي: سعة وقدرة ﴿أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي الحرائر.

وقال ابن وهب: أخبرني عبد الجبار، عن ربيعة: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ قال ربيعة الطول الهوى، ينكح الأمة إذا كان هواه فيها. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

ثم شرع يشنع على هذا القول ويرده ﴿فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أي: فتزوجوا من الإماء المؤمنات اللاتي يملكهن المؤمنون، ولهذا قال: ﴿مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ قال ابن عباس وغيره: فلينكح من إماء المؤمنين، وكذا قال السدي ومقاتل بن حيّان.

ثم اعترض بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ﴾ أي: هو العالم بحقائق الأمور وسرائرها، وإنما لكم أيها الناس الظاهر من الأمور.

ثم قال: ﴿فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ فدلَّ على أن السيد هو ولي أمته لا تزوج إلا بإذنه، وكذلك هو ولي عبده، ليس لعبده أن يتزوج إلا بإذنه، كما جاء في الحديث: «أيما عبد تزوّج بغير إذن مواليه فهو عاهر»(١) أي زان.

فإن كان مالك الأمة امرأة زوجها من يزوج المرأة بإذنها؛ لما جاء في الحديث: «لا تُزَوِّجُ المرأةُ [المرأةَ، ولا المرأةُ نفسها] (٢) فإن الزانية هي التي تزوج نفسها»(٣).

---

(١) رواه أبو داود في السنن برقم (٢٠٧٨) والترمذي في السنن برقم (١١١١) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه. قال الترمذي: حديث جابر حديث حسن.

(٢) زيادة من جـ، أ، وابن ماجه.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه برقم (١٨٨٢) من طريق محمد بن مروان عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: وادفعوا مهورهن بالمعروف، أي: عن طيب نفس منكم، ولا تبخسوا منه شيئًا استهانة بهن؛ لكونهن إماء مملوكات.

وقوله: ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ أي: عفائف عن الزنا لا يتعاطينه؛ ولهذا قال: ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ﴾ وهن الزواني اللاتي لا يمتنعن من أرادهن بالفاحشة.

وقوله: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ قال ابن عباس: المسافحات، هن الزواني المعالنات يعني الزواني اللاتي لا يمنعن أحدًا أرادهن بالفاحشة. (ومتخذات أخدان) يعني: أخلاء.

وكذا روي عن أبي هريرة ، ومجاهد والشعبي، والضحاك، وعطاء الخراساني، ويحيى بن أبي كثير، ومقاتل بن حيان ، والسدي ، قالوا : أخلاء. وقال الحسن البصري: يعني: الصديق. وقال الضحاك أيضا: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ ذات الخليل الواحد [المسيس] المقرة به، نهى الله عن ذلك، يعني [عن] تزويجها ما دامت كذلك.

وقوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ اختلف القراءُ في ﴿أُحْصِنَّ﴾ فقرأه بعضهم بضم الهمزة وكسر الصاد ، مبني لما لم يسم فاعله، وقُرئ بفتح الهمزة والصاد فعل لازم ثم قيل: معنى القراءتين واحد. واختلفوا فيه على قولين:

أحدهما: أن المراد بالإحصان هاهنا الإسلام. رُوي ذلك عن عبد الله بن مسعود، وابن عمر، وأنس، والأسود بن يزيد، وزِرّ بن حُبيش، وسعيد بن جُبير، وعطاء، إبراهيم النّخعي، والشعبي، والسُّدي.

وروى نحوه الزهري عن عمر بن الخطاب، وهو منقطع. وهذا هو القول الذي نص عليه الشافعي [رحمه الله تعالى] في رواية الربيع، قال: وإنما قلنا [ذلك] استدلالا بالسنة وإجماع أكثر أهل العلم.

وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثًا مرفوعًا، قال: حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد، حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله [الدمشقى] حدثنا أبي، عن أبيه، عن أبي حمزة، عن جابر، عن رجل، عن أبي عبد الرحمن، عن علي قال: قال رسول الله صلى عليه وسلم: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ﴾ قال: "إحصانها إسلامها وعفافها".

وقال المراد به هاهنا التزويج، قال: وقال علي: اجلدوهن.

والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج ؛ لأن سياق الآية يدل عليه ، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمْ ﴾ والله أعلم. والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ ﴾ أي: تزوجن، كما فسره ابن عباس ومن تبعه.

وعلى كل من القولين إشكال على مذهب الجمهور؛ وذلك أنهم يقولون: إن الأمة إذا زنت فعليها خمسون جلدة، سواء كانت مسلمة أو كافرة، مزوجة أو بكرا مع أن مفهوم الآية يقتضي أنه لا حد على غير المحصنة ممن زنا من الإماء، وقد اختلفت أجوبتهم عن ذلك ، فأما الجمهور فقالوا: لا شك أن المنطوق مقدم على المفهوم. وقد وردت أحاديث عامة في إقامة الحد على الإماء ، فقدمناها على مفهوم الآية، فمن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، عن علي -رضي الله عنه- أنه خطب فقال: يا أيها الناس، أقيموا على أرقَّائكم الحد من أحْصَنَ منهم ومن لم يُحْصَن ، فَإنَّ أمة لرسول الله ﷺ زَنَتْ فأمرني أن أجلدها، فإذا هي حديثة عهد بنفاس، فخشيت إنْ جلدتها أن أقتلها، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: "أحْسَنْتَ ، اتركها حتى تَماثَل "(١).

وعند عبد الله بن أحمد، عن غير أبيه: "فإذا تَعالتْ من نَفَسِها حدَّها خمسين".

ثم قد روى الإمام أحمد [حديثا] نَصا في رَدِّ مذهب أبي ثور من رواية الحسن بن سعد عن أبيه أن صفية كانت قد زنت برجل من الحمس، فولدت غلاما، فادعاه الزاني، فاختصما إلى عثمان [بن عفان] فرفعهما إلى علي بن أبي طالب، فقال علي: أقضي فيهما بقضاء رسول الله ﷺ : "الولد للفِرَاش وللعَاهِر الحَجَر" وجلدهما خمسين خمسين .

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ العَنَتَ مِنكُمْ ﴾ أى: إنما يباح نكاح الإماء بالشروط المتقدمة لمن خاف على نفسه الوقوع في الزنا، وشق عليه الصبر عن الجماع، وعنت بسبب ذلك [كله، فحينئذ يتزوج الأمة، وإن ترك تزوج الأمة] وجاهد نفسه في الكف عن الزنا، فهو خير له؛ لأنه إذا تزوجها

جاء أولاده أرقاء لسيدها إلا أن يكون الزوج عربيا فلا تكون أولاده منها أرقاء في قول قديم للشافعي، ولهذا قال: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ومن هذه الآية الكريمة استدل جمهورُ العلماء في جواز نكاح الإماء، على أنه لا بد من عدم الطَّوْل لنكاح الحرائر ومن خوف العنت؛ لما في نكاحهن من مفسَدة رق الأولاد، ولما

(١) صحيح مسلم برقم (١٧٠٥).

فيهن من الدناءة في العدول عن الحرائر إليهن. وخالف الجمهورَ أبو حنيفة وأصحابه في اشتراط الأمرين، فقالوا: متى لم يكن الرجل مزوجا بحرّة جاز له نكاح الأمة المؤمنة والكتابية أيضا ، سواء كان واجدًا الطول لحرة أم لا وسواء خاف العنت أم لا وعمدتهم فيما ذهبوا إليه [عموم] قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة : ٥] أي: العفائف، وهو يعم الحرائر والإماء، وهذه الآية عامة، وهذه أيضا ظاهرة في الدلالة على ما قاله الجمهور والله أعلم.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)﴾ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨)﴾ يخبر تعالى أنه يُريدُ أن يبين لكم - أيها المؤمنون - ما أحل لكم وحرم عليكم ، مما تقدم ذكره في هذه السورة وغيرها، ﴿وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: طرائقهم الحميدة واتباع شرائعه التي يحبها ويرضاها ﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي من الإثم والمحارم، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي في شرعه وقدره وأفعاله وأقواله.

وقوله: ﴿ [وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ](٤)وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ أي : يُريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى والزناة ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ يعني : عن الحق إلى الباطل ﴿مَيْلًا عَظِيمًا. يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ أي: في شرائعه وأوامره ونواهيه وما يقدره لكم، ولهذا أباح [نكاح] الإماء بشروطه ، كما قال مجاهد وغيره: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ فناسبه التخفيف؛ لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل [الأحمسي] حدثنا وكيع، عن سفيان، عن ابن طاوس، عن أبيه: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ أي: في أمر النساء، وقال وكيع: يذهب عقله عندهن.

سورة النور ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٣٤)﴾

اشتملت هذه الآيات الكريمات المبينة على جمل من الأحكام المحكمة ، والأوامر المبرمة ، فقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: هذا

أمر بالتـزويج. وقد ذهب طائفـة من العلماء إلى وجـوبه، على كل من قَـدَر عليه. واحتجوا بظاهر قوله ﷺ: "يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". أخرجاه من حديث ابن مسعود (١).

وجاء في السنن - من غير وجـه - أن رسول الله ﷺ قال : "تَزَوَّجوا ، توالدوا تناسلوا ، فإني مُبَاهٍ بكم الأمم يوم القيامة"(٢) وفي رواية: "حتى بالسقط".

الأيامى: جمعُ أَيِّم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها، وللرجل الذي لا زوجة له. وسواء كان قـد تزوج ثم فارق، أو لم يتزوج واحد منهـما، حكاه الجوهري عن أهل اللغة، يقال: رجل أَيِّم وامرأة أَيِّم أيضا.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ، قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عبـاس: رغبهم الله في التزويج، وأمر به الأحرار والـعبيد ، ووعدهم عليه الـغنى، فقال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .وقـال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمود بن خالد الأزرق ، حدثنا عمر بن عبد الواحد، عن سعيد - يعني : ابن عبـد العزيز - قال: بلغني أن أبا بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: أطيـعوا الله فيـما أمركـم به من النكاح ، ينجز [لكم] ما وعـدكم من الغنى، قـال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ .وعن ابن مسعود: التـمسوا الغنى في النكاح، يقول الـله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ رواه ابن جـرير، وذكر البغوي عن عمر بنحوه.

وعن الليث، عن محمد بن عَجْلان، عن سعيد المقْبُري ، عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قـال: قـال رسول الله ﷺ : "ثلاثـة حَقٌّ على الله عَـونُهم : الناكح يريد العـفـاف، والمكاتَب يريد الأداء، والغـازي في سـبيـل الله". رواه الإمام أحـمـد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه (٣).

وقد زوّج رسـول الله ﷺ ذلك الرجل الذي لم يجد إلا إزاره ، ولم يـقدر على خاتم من حديد، ومـع هذا فزوّجه بتلك المرأة ، وجعل صـداقها عليه أن يعلمـها ما يحفظه من القرآن.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).
(٢) سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠) وسنن النسائي (٦/ ٦٥).
(٣) المسند (٢/ ٢٥١) وسنن الترمذي برقم (١٦٥٥) وسنن النسائي (٦/ ٦١) وسنن ابن ماجه برقم (٢٥١٨).

والمعهود من كرم الله تعالى ولطفه أن يرزقه [وإياها] ما فيه كفاية له ولها. وقوله تعالى: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحًا حتى يغنيهم الله من فضله﴾ . هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجًا [بالتعفف] عن الحرام ، كما قال - عليه الصلاة والسلام - : "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضُّ للبصر وأحصَنُ للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" . وهذه الآية مطلقة، والتي في سورة النساء أخص منها ، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾، إلى أن قال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النساء : ٢٥] أي صبركم عن تزويج الإماء خير؛ لأن الولد يجيء رقيقا، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .قال عكرمة في قوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ قال : هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض حاجته منها ، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السموات [والأرض] حتى يغنيه الله. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ هذا أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوا، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيده المال الذي شارطه على أدائه. وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمر إرشاد واستحباب ، لا أمر تحتم وإيجاب ، بل السيد مخير ، إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه، وإن شاء لم يكاتبه. وذهب آخرون إلى أنه يجب على السيد إذا طلب منه عبدُه ذلك ، أن يجيبه إلى ما طلب؛ أخذاً بظاهر هذا الأمر.

قال البخاري: وقال روح ، عن ابن جُرَيْج قلت لعطاء: [أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه؟ قال: ما أراه إلا واجبًا. وقال عمرو بن دينار : قلت لعطاء]، أتأثُره عن أحد؟ قال: لا. ثم أخبرني أن موسى بن أنس أخبره، أن سيرين سأل أنسًا المكاتبةَ - وكان كثير المال، فأبى.

فانطلق إلى عمر بن الخطاب فقال: كاتبه. فأبى، فضربه بالدِّرة، ويتلو عمر، رضي الله عنه: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ ، فكاتبه (١) .

هكذا ذكره البخاري تعليقًا. ورواه عبد الرزاق: أخبرنا ابن جريج قال: قلت لعطاء: أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه؟ قال: ما أراه إلا واجبًا. وقال عمرو بن دينار، قال: قلت لعطاء: أتأثره عن أحد؟ قال: لا (٢) وقال ابن جرير : حدثنا

---

(١) صحيح البخاري (٥/ ١٨٤) "فتح".

(٢) ورواه الطبري في تفسيره (١٨/ ٩٨) من طريق عبد الرزاق به.

محمد بن بَشَّار، حدثنا محمد بن بكر، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: أن سيرين أراد أن يكاتبه، فتلكأ عليه، فقال له عمر: لتكاتِبَنَّه. إسناد صحيح(١). وكذا قال الثوري، وأبو حنيفة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وغيرهم. واختار ابن جرير قول الوجوب لظاهر الآية.

وروى أبو داود في كتاب المراسيل، عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ قال: "إن علمتم فيهم حرفة، ولا ترسلوهم كَلا على الناس". وقوله: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ اختلف المفسرون فيه، فقال قائلون: معناه اطرحوا لهم من الكتابة بعضها، ثم قال بعضهم: مقدار الربع. وقيل: الثلث. وقيل: النصف. وقيل: جزء من الكتابة من غير واحد.

وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب. وقد تقدَّمَ في الحديث، عن النبي ﷺ أنه قال: "ثلاثة حق على الله عونهم": فذكر منهم المكاتَب يريد الأداء، والقول الأول أشهر.

وقوله: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية: كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمَة، أرسلها تزني، وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كلّ وقت. فلما جاء الإسلام، نهى الله المسلمين عن ذلك.

وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة - فيما ذكره غير واحد من المفسرين، من السلف والخلف - في شأن عبد الله بن أبي بن سلول [المنافق](٧) فإنه كان له إماء، فكان يكرههن على البِغاء طلبا لخَراجهن، ورغبة في أولادهن، ورئاسة منه فيما يزعم [قبحه الله ولعنه](٨) وقال السدي: أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، وكانت له جارية تدعى معاذة، وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها، إرادة الثواب منه والكرامة له. فأقبلت الجارية إلى أبي بكر، رضي الله عنه فشكت إليه ذلك، فذكره أبو بكر للنبي ﷺ، فأمره بقبضها. فصاح عبد الله بن أبي: من يَعْذُرني من محمد، يغلبنا على مملوكتنا؟ فأنزل الله فيهم هذا.

وقوله: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا خرج مخرج الغالب، فلا مفهوم له. وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا عَرَضَ [الْحَيَاةِ] الدُّنْيَا﴾ أي: من خَرَاجهن ومهورهن وأولادهن. وقد نهى رسول الله ﷺ، عن كَسب الحجّام، ومهر البَغيّ وحُلْوان الكاهن - وفي رواية:

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٩٨).

"مهر البغي خبيث ، وكسب الحجّام خبيث، وثمن الكلب خبيث" (١).

وقوله : ﴿وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [أي: لهن، كما تقدم في الحديث عن جابر.

ولما فصل تعالى هذه الأحكام وبيّنها قال: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ يعني : القرآن فيه آيات واضحات مفسرات، ﴿وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أي: خبرا عن الأمم الماضية، وما حلّ بهم في مخالفتهم أوامرَ الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: زاجراً عن ارتكاب المآثم والمحارم ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمن اتقى الله وخافه.

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- في صفة القرآن: فيه حكم ما بينكم، وخبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وهو الفَصْل ليس بالهَزْل، مَنْ تركه من جبَّار قَصَمَه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله.

انتهى قول ابن كثير

ومن آثارهم في المجال الاجتماعي، تلك الإباحية التي يدعون إليها، ويسهلون أسبابها ويمارسونها وسط المجتمع الإسلامي باسم عارية الفرج [جاء في كتبهم: "عن الحسن العطار قال: سالت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج قال: لا بأس.(٢)]، أو التي يسمونها بالمتعة والتي يقارفون باسمها الزنا، لأن متعتهم تعني الاتفاق السري [قال الطوسي: يجوز أن يتمتع بها من غير إذن أبيها وبلا شهود، ولا إعلان(٣)] . على فعل الفاحشة مع أي امرأة تتفق لهم ولو كانت من الموسات [قال الطوسي: لا بأس أن يتمتع الرجل بالفاجرة (٤)، وقال الخميني: يجوز التمتع بالزاني(٥) ، وجاء في أخبارهم "عن إسحاق بن جرير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن عندنا بالكوفة امرأة معروفة بالفجور أيحل أن أتزوجها متعة؟ قال: فقال: رفعت راية؟ قلت: لا لو رفعت راية أخذها السلطان، قال: نعم تزوجها متعة، قال:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٢٣٧) ومسلم في صحيحه برقم (١٥٦٧) من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه : "أن النبي ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن" وأما كسب الحجام ، فروى ابن ماجه في السنن برقم (٢١٦٥) من حديث عقبة بن عمرو : "نهى النبي ﷺ ، عن كسب الحجام"..

(٢) وسائل الشيعة: ٧/٥٣٦-٥٣٧، تهذيب الأحكام للطوسي: ٢/ ١٨٥ ، والاستبصار ٣/ ١٤١

(٣) النهاية: ص٤٩٠ (٤) النهاية: ص٤٩٠

(٥) تحرير الوسيلة: ٢/ ٢٩٢

ثم أصغى إلى بعض مواليه فأسر إليه شيئاً، فلقيت مولاه فقلت له: ما قال لك؟ فقال: إنما قال لي: ولو رفعت راية ما كان عليه في تزويجها شيء إنما يخرجها من حرام إلى حلال [(١)]، أو من ذوات الأزواج [جاء في أخبارهم: عن محمد بن عبد الله الأشعري قال: قلت للرضاع: الرجل يتزوج بالمرأة فيقع في قلبه لها زوجاً، فقال: وما عليه..[(٢)]، وقيل له (أي جعفر كما يزعمون) إن فلاناً تزوج امرأة متعة، فقيل له إن لها زوجاً، فسألها، فقال أبو عبد الله (ع): ولم سألها؟ (الموضع نفسه من المصدرين السابقين)، ولذا قال شيخهم الطوسي: "وليس على الرجل أن يسألها هل لها زوج أم لا" [(٣)]]، ولذلك قالوا: ممكن أن يتفق معها على يوم أو مرة أو مرتين [(٤)] وجاء في أخبارهم عن خلف بن حماد، قال: أرسلت إلى أبي الحسن (ع) كم أدنى أجل المتعة؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟ فقال: نعم[(٥)]]، وقد صرح بعضهم للشيخ محمد نصيف بأنه يجري عندهم استعمال المتعة الدورية بحيلة وضعها شيوخهم [المتعة الدورية أن يستمتع جماعة بامرأة واحدة ويقرروا الدورة والنوبة لكل منهم [(٦)] وانظر ما ذكره الشيخ العاني عن شيوع استعمالها في بعض مدارس النجف[(٧)] وقد استطاع الشيخ محمد نصيف رحمه الله أن يكتشف إقرار شيوخ الشيعة بأمر المتعة الدورية في حوار له مع شيخهم أحمد سرحان، حيث قال نصيف للشيعي: إن أهل السنة ثبت عندهم نسخ المتعة، ولم يثبت عند الشيعة ذلك، لكني لم أعرف دليلكم على جواز المتعة الدورية، فأجاب الشيعي بأن المتمتع بالمرأة يعقد عليها بعد نهاية متعته منها عقد زواج دائم ثم يطلقها قبل الدخول فتصبح لا عدة عليها، فيتمتع بها آخر ويفعل كالأول.. فتدور المرأة على مجموعة من الرجال بهذه الطريقة بلا عدة.[(٨)]] .ولذا قال الألوسي: "من نظر إلى أحوال الرافضة في المتعة في هذا الزمان لا يحتاج في حكمه عليهم بالزنا إلى برهان، فإن المرأة الواحدة تزني بعشرين رجلاً في يوم وليلة، وتقول إنها متمتعة، وقد هيئت عندهم أسواق عديدة

---

(١) وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٥٥، تهذيب الأحكام: ٢/ ٢٤٩
(٢) وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٥٧، عن تهذيب الأحكام: ٢/ ١٨٧
(٣) النهاية: ص٤٩٠
(٤) انظر: النهاية للطوسي: ص٤٩١، الخميني/ تحرير الوسيلة: ٢/ ٢٩٠
(٥) فروع الكافي: ٢/ ٤٦، وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٧٩
(٦) انظر: مختصر التحفة الاثني عشرية ص٢٢٧
(٧) الذريعة لإزالة شبه كتاب الشيعة ص٤٥-٤٦
(٨) انظر: مجلة الفتح العدد ٨٤٥، الصادر في رجب سنة ١٣٦٦هـ

للمتعة توقف فيها النساء ولهن قوادون يأتون بالرجال إلى النساء وبالنساء إلى الرجال فيختارون ما يرضون ويعينون أجرة الزنا ويأخذون بأيديهن إلى لعنة الله تعالى وغضبه.. " ثم ذكر رحمه الله بعض تفاصيل وحكايات ما يجري هنالك (١).

وهذه الفاحشة يدفعون إليها النساء والرجال دفعاً بالتهديد والترغيب فهم يعدونها من أفضل أعمالهم [جاءت عندهم أخبار كثيرة في اعتبارها أعظم عبادة، حتى قالوا في حديثهم الموضوع على رسول الله ﷺ : من تمتع مرة فدرجته كدرجة الحسين، ومن تمتع مرتين فدرجته كدرجة الحسن، ومن تمتع ثلاث مرات فدرجته كدرجة علي، ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي (٢).

بل لم يدعوا باباً من أبواب الإغراء بالفاحشة إلا وفتحوه، ومن يقرأ أخبارهم في ذلك يجزم بأن واضعيها من الإباحيين الذين يريدون أن يتمتعوا بنساء المسلمين، ومما قالوه: إذا تزوجها متعة "لم يكلمها كلمة إلا كتب الله لها بها حسنة، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة - إلى أن يقول -: فإذا اغتسل غفر الله له.. بعدد الشعر "(٣).

وزعموا أن امرأة كانت ترد الخطاب لأنها لا رغبة لها في الزواج ولكنها أرسلت لابن عم لها لتتزوجه متعة رغبة في عصيان عمر كما تقول الرواية... فهي تفضل الزنا على شرعة الزواج.(٤)] .والذي يتنزه عنها فالويل له يوم القيامة [من رواياتهم في ذلك أن من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع "يعني مقطوع الأنف والأذن" (٥).

كذلك يبيح شيوخهم اللواط بالنساء حتى قال شيخهم الخميني "والأقوى والأظهر جواز وطئ الزوجة مع الدبر" (٦) فأين هذا الهبوط من قول ابن نجيم: "استحلال اللواطة بزوجته كفر عند الجمهور" (٧).

فهذه الصور بمجموعها لا تبعد عن إباحية الخرمية من أتباع مزدك وبابك، وقد لا

---

(١) كشف غياهب الجهالات/ الورقة ٣ (مخطوط).

(٢) تفسير منهج صادقين: ص٣٥٦

(٣) وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٤٢، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ١٥١

(٤)- انظر: أخبارهم في فضل المتعة المزعوم في وسائل الشيعة، باب استحباب المتعة: ١٤/ ٤٤٢ وما بعدها

(٥) تفسير منهج الصادقين: ص٣٥٦

(٦) تحرير الوسيلة: ٢/ ٢٤١ .

(٧)- الأشباه والنظائر: ص١٩١ .

تقل عن "إباحية أوربا".

وقد استغلوا هذه الفوضى الأخلاقية في إغراء طلاب المتعة الرخيصة في اعتناق مذهبهم كما سلف بل جاء في أخبارهم ما يبيح الزنا الصريح إذا كان بأجرة "عن عبد الرحمن ابن كثير عن أبي عبد الله قال: جاءت امرأة إلى عمر فقالت: إني زنيت فطهرني فأمر بها أن ترجم فأخبر بذلك أمير المؤمنين (ع) فقال: كيف زنيت؟ قالت: مررت بالبادية فأصابني عطش شديد فاستقيت أعرابياً فأبى أن يسقيني إلا أن أمكنه من نفسي، فلما أجهدني العطش وخفت على نفسي سقاني فأمكنته من نفسي فقال أمير المؤمنين: "تزويج وربّ الكعبة"(١).

وهم لا يخصون إباحيتهم ببني قومهم، بل يوصي إمامهم بأن يعرض التمتع على نساء أهل السنة(٢)، ونساء اليهود والنصارى (٣).

فإباحيتهم شاملة لا تذر مجتمعاً أتت عليه إلا أفسدته.. فهم "زناة" يعيشون بين المسلمين، ويحملون اسم الإسلام، ويسعون في الأرض فساداً وأقوالهم تشهد على آثارهم.

أقول أنا الباحث فى نهاية هذا المبحث أن الاسلام جاء ليقضى على كل مظاهر الجاهلية الأولى التى كان من منهجها الانحلال والتفلت من كل القيم ومنها أمر الزواج ومعلوم أنه كانت رايات توضع على أماكن البغاء يذهب اليها أصحابها، أما هؤلاء الأعداء فعلوا هذا بالشيعة وهم بهذا أشد ضلالا" من الجاهلية الأولى، لم ؟ لأن أصحاب الجاهلية الأولى فعلوها وهم يعلمون أنه مخالف للفطرة والقيم التى فطر عليها البشر فهى عندهم منبوذة لما فطروا عليه من الغيرة على العرض وعلى النساء ، لكن أدعياء العلم من الشيعة أمروهم بهذا البغاء ووضعوا لهم روايات مكذوبة كعادتهم تجعل هذه القاذورات وهذا العفن أمراً شرعياً مأموراً به من الله بزعمهم، والمتدبر لكتاب الله سبحانه وسنة نبيه ﷺ يجد الطهارة والصفاء والنقاء بأسمى معانيه فالزواج فى الاسلام له ضوابط وشروط وقواعد وأصول وعلما" مبنى" على القرآن والسنة مبثوث فى كثير من سور القرآن وكثير من الأحاديث النبوية يفهمها العامى والبدوى والجاهل والعالم، أمر الله ونبيه ﷺ به وحث ورغب فيه وأنظر الى قوله

---

(١) فروع الكافي: ٢/ ٤٨، وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٧١-٤٧٢ .

(٢) انظر: وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٥٢، وفروع الكافي: ٢/ ٤٤ .

(٣) انظر: وسائل الشيعة: ١٤/ ٤٥٢ ، تهذيب الأحكام: ٢/ ١٨٨، من لا يحضره الفقيه: ٢ / ١٤٨ .

سبحـانه (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبـادكم) وقوله سبحـانه (فانكحوهن باذن أهليهن) وقوله سبحانه(وأشهدوا ذوى عدل منكم) لماذا لأنه سبحانه سماه ميثاقا" غليظا كما فى قـوله سبحانه (وأخذنا منكم ميـثاقاً غليظا) واقرأ قوله سبـحانه (يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الـتى ءاتيت أجورهن) وقوله سبحانه (وآتوهن أجورهن) وفى السنة الكثير والكثـير وهى كما سنرى تأكيد لما جـاء فى القرآن الكريم لقول النبى ﷺ : (لا نكاح الا بولى وشـاهدى عـدل) وقـوله (أعلنوا النكـاح) وانظر الى ابطال النبى لزواج المرأة بدون اذن وليـها لقـوله (ايما امرأة نكحت نـفسهـا بدون اذن وليـها فزواجهـا باطل) وشرع النبى ﷺ لولى المرأة أن يستـأمرها أو يستأذنهـا وان لـم يفعل كان ظالما" ويعـد الزواج باطل، أرأيتم عباد الـله الى النظام والعدل والرحمـة وحفظ الحـقوق واحـترام وتكريم الاسـلام للانسان وخـاصـة المرأة التى نزلت سورة كـاملة باسمهـا، من هنا نرى االفرق بين زواج المتعة وتطوراته من زنا جمـاعى وخلافه الذى جعله علماء الشيعة من ضروريات ولوازم الدين عندهم وهى والله نجاسات وقاذورات ورجس من وحى وعمل الشـياطين ويصدق فيـهم قوله سبـحانه (وان كثيـراً ليضلون بأهوائهم بغـير علم)، والفـرق بين الزواج الشـرعى الربانى الذى رضيـه الله لعبـاده الطاهرين المباركين ، وما كان زواج المتعة الذى أحله النبى ﷺ لأصحابه لعلة معينة ثم نسخ العـمل به وحرمه عليـهم شأنه شـأن أى أمر تم نسـخه وامر الناسـخ والمنسوخ لايخفى على اى مسلم عنده مسحة علم ، ويصـدق فيهم قوله سبحانه (الا لنعلم من يتبع الرسـول ممن ينقلب على عقـبيه)، من هنا يتـبين لنا ان الدين هو ما شـرعه الله سبحانه فى كتابه وفى سنة نبيه ﷺ والله أسأل أن يثبتنا على دينه حتى نلقاه وندعو بما دعـا به نبـينا (اللهم يا مـقلب القلوب ثبـت قلوبنا على دينك ويا مـصـرف القلوب والأبصار اصرف قلوبنا الى طاعتك).

قائمة المراجع

١- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط: الثالثة ١٣٧٠هـ.

٢- أثر الإمامة في الفقه الجعفري وأصوله: علي أحمد السالوس، دار وهدان للطباعة، القاهرة، ط: الأولى ١٤٠٢هـ.

٣- أثر التشيع في الأدب العربي: محمد سيد كيلاني، دار الكتاب العربي بمصر.

٤- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي، تعليق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، ط: الثانية ١٤٠٢هـ.

٥- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصل الاعتقاد: أبو المعالي الجويني، تحقيق: محمد يوسف موسى - علي بعد المنعم، مكتبة الخانجي، مصر.

٦- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الكتاب العربي، بيروت (المطبوع مع الإصابة لابن حجر).

٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة: أبو الحسن علي بن أبي الكرم، المعروف بابن الأثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٨- إسلام بلا مذاهب: مصطفى الشكعة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط: الخامسة ١٣٩٦هـ.

٩- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين البيهقي، تعليق: محمد زاهد الكوثري، ط: أمين الكردي ١٣٥٨هـ.

١٠- الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

١١- أصول الدين: أبو اليسر محمد الزدوي، تحقيق: هانز بيتر لينس، دار إحياء الكتب العربية ١٣٨٣ القاهرة.

١٢- أصول الكافي: محمد بن يعقوب الكليني، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط: الثالث: ١٣٨٨هـ.

١٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين الشنقيطي، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣ه.

١٤- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى، تصحيح: أحمد محمد مرسى، المطبعة العربية، باكستان.

١٥- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين: فخر الدين محمد بن عمر الرازى، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ.

١٦- إعلام الموقعين: محمد بن أى بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تعليق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت.

١٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: أبو عبد الله محمد بن أبى بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد سيد كيلانى/ مطبعة البابى الحلبى ١٣٨١هـ.

١٨- الإمامة عند الجعفرية فى ضوء السنة: على السالوس، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط: الأولى ١٤٠١هـ.

١٩- البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، ط: الثالثة ١٩٧٩م.

٢٠- البرهان فى علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، تحقيق: محمد أبو الفصل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية.

٢١- البيانات فى الرد على أباطيل المراجعات: محمود الزغبى، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٢- تاريخ الصفويين وحضارتهم: بديع جمعه ـ أحمد الخولى، دار الرائد العربى.

٢٣- تاريخ الطبرى (تاريخ الأمم والملوك): تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويد، بيروت.

٢٤- تاريخ الفرق الإسلامية: على مصطفى الغرابى، مطبعة محمد على صبيح، القاهرة.

٢٥- تاريخ المذاهب الإسلامية: محمد أبو زهرة، ، دار الفكر العربى، القاهرة.

٢٦- التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية من الفرق الهالكين: أبو المظفر الإسفراييني، تحقيق: محمد زاهر الكوثرى، مطبعة الأنوار، ط: الأولى ١٣٥٩هـ.

٢٧- تثبيت دلائل النبوة: عبد الجبار بن أحمد الهمذانى، تحقيق: عبد الكريم عثمان، دار العربية، بيروت.

٢٨- تجريد التوحيد: المقريزى، ضمن مجموعة باسم (عقيدة الفرقة الناجية)، إعداد: عبد الله حجاج، دار الوحى، القاهرة.

٢٩- تحت راية القرآن: مصطفى صادق الرافعى، مطبعة الاستقامة ـ القاهرة، ط: السادسة ١٣٨٥هـ.

٣٠- تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى: جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار إحياء السنة النبوية، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ.

٣١- التدمرية: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد بم عودة السعوى، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٢- التسعينية: أحمد بن تيمية، ضمن المجلد الخامس من مجموع فتاوى ورسائل لابن تيمية، مطبعة كردستان ١٣٢٩هـ.

٣٣- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، مطبعة الفجالة، القاهرة، ط: الأولى ١٣٨٤هـ.

٣٤- تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى، تحقيق: خالد العك، ومروان سرور، دار المعرفة، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٥- تفسير الخازن: على بن محمد الخازن، المكتبة التجارية بمصر.

٣٦- تفسير الصافى: الفيض الكاشانى، تصحيح: حسين الأعلمى، مؤسسة الأعلمى، بيروت.

٣٧- تفسير العياشى: محمد بن مسعود العياشى، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولى المحلاتى، المكتبة العلمية، طهران.

٣٨- تفسير الفخر الرازى (التفسير الكبير): دار الكتب العلمية، طهران ط: الثانية.

٣٩- تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن): أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصار، دار الكتاب العربى، مصر ١٣٨٧هـ.

٤٠- تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

٤١- التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى، مكتبة وهبه، الطبعة السابعة، ٢٠٠٠ .

٤٢- تقريب التهذيب: أحمد بن على بن حجر، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية ١٣٩٥هـ.

٤٣- تلبيس إبليس: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، تحقيق: خير الدين على، دار الوعى العربى، بيروت.

٤٤- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: أبو الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الثانية ١٤٠١هـ.
٤٥- التيارات الفكرية والحركات المعاصرة: مبارك حسن إسماعيل، دار الطباعة المحمدية، ط: الأولى ١٤٠٣هـ.
٤٦- تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد: سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، المكتب الإسلامى، ط: الخامسة ١٤٠٢هـ.
٤٧- تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدى، تحقيق: محمد زهرى النجار، نشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٤هـ.
٤٨- الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف: ليوسف الدجوى، مطبعة النهضة الأدبية، مصر ١٣٣١هـ.
٤٩- حاضر العالم الإسلامى وقضاياه المعاصرة: جميل المصرى، ط: الأولى ١٤٠٧هـ.
٥٠- حوار مع الشيعة حول الخلفاء الراشدين وبنى أمية: عبد المتعال الجبرى، دار الصحوة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
٥١- الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٩٣هـ.
٥٢- الخلاصة ونشأة الأحزاب الإسلامية: محمد عمارة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، ط: الأولى ١٩٧٧م.
٥٣- خلق أفعال العباد: للبخارى، ضمن مجموعة بعنوان: " عقائد السلف "، نشرته منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧١م.
٥٤- درء تعارض العقل والنقل: أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى ١٤٠٣هـ.
٥٥- دراسات الأحكام والنسخ فى القرآن الكريم: محمد حمزة، دار قتيبة، دمشق، ط: الأولى.
٥٦- دعوة التوحيد: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.

٥٧- الرد على الجهمية: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، تحقيق: على بن محمد بن ناصر الفقيهى، ط: الأولى ١٤٠١هـ.

٥٨- الرد على من يقول القرآن مخلوق: أحمد بن سلمان النجاد، تحقيق: رضا الله محمد إدريس، مكتبة الصحابة الإسلامية، الكويت.

٥٩- رسالة فى علم الظاهر والباطن: ابن تيمية، ضمن مجموعة الرسائل المنيرية.

٦٠- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم: شهاب الدين محمود الألوسى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

٦١- زاد المعاد فى هدى خير العباد: لابن قيم الجوزية، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالث ١٤٠٢هـ.

٦٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألبانى، المكتب الإسلامى.

٦٣- السنن الكبرى: أحمد بن الحسين البيهقى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية فى الهند، ط: الأولى ١٣٤٤هـ.

٦٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين: أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائى، تحقيق: أحمد حمدان، دار طيبة، الرياض.

٦٥- شرح العقيدة الطحاوية: على بن على بن أبى العز الحنفى، مكتبة المؤيد، الطائف، ط: الأولى ١٤٠١هـ.

٦٦- شرح النووى على صحيح مسلم: دار إحياء التراث العربى، ط: الثانية ١٣٩٢هـ.

٦٧- شرح حديث النزول: شيخ الإسلام ابن تيمية، المكتب الإسلامى، ط: الثالثة، ١٣٨١هـ.

٦٨- الشيعة القرآن: إحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ.

٦٩- الشيعة والسنة: إحسان إلهى ظهير، دار الرياض.

٧٠- الشيعة وأهل البيت: إحسان إلهى ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ط: الثالث: ١٤٠٣هـ.

٧١- الصارم المسلول: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية،

بيروت.
٧٢- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيثمى، تخريج وتعليق: عبد الوهاب عبد اللطيف، شركة الطباعة المتحدة، القاهرة، ط: الثانية ١٣٨٥هـ.
٧٣- عبد الله بن سبأ وأثره فى أحداث الفتنة فى صدر الإسلام: سليمان العودة، دار طيبة، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.
٧٤- العقيدة: والشريعة فى الإسلام: جولد تسيهر، نقله إلى العربية: محمد يوسف، على حسن، عبد العزيز بن الحق، مطابع دار الكتاب العربى بمصر.
٧٥- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن على الشوكانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، مصر، ط: الثانية: ١٣٨٣هـ.
٧٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد: عبد الرحمن بن حسن النجدى، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط مكتبة دار البيان، ط: الأولى ١٤٠٢هـ.
٧٧- الفتنة الخمينية: محمد آزاد، مطبعة عبير الكتاب، مصر، ط: الأولى ١٤٠٦هـ.
٧٨- فجر الإسلام: أحمد أمين، دار الكتاب العربى، بيروت، ط: العاشر ١٩٦٩م.
٧٩- الفرق بين الفرق: عبد القاهرة بن طاهر البغدادى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة المدنى، القاهرة.
٨٠- الفصل فى الملل والأهواء والنحل: أبو محمد على بن أحمد المعروف بابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط: الأولى ١٤٠٢هـ.
٨١- فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالى، تحقيق: عبد الرحمن بدوى، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.
٨٢- فضائل القرآن: وهو ذيل تفسير الحافظ ابن كثير وضعه فى آخر التفسير، ط: القاهرة ١٣٨٨هـ.
٨٣- فقه الشيعة الإمامية ومواضع الخلاف بينه وبين المذاهب الأربعة: على السالوس، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط: الأولى ١٣٩٨هـ.
٨٤- الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة: عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط: الثانية.

٨٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرءوف المناوى، دار المعرفة، بيروت، ط: الثانية ١٣٩١هـ.

٨٦- الكامل فى التاريخ: أبو الحسن على بن أبى الكرم المعروف بابن الأثير الجزرى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٣هـ.

٨٧- كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن أبى داود بن الأشعث السجستانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٥هـ.

٨٨- الكشاف: جار الله محمود الزمخشرى، دار المعرفة، بيروت.

* لسان الميزان: أحمد بن على بن حجر العسقلانى، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، ط: الأولى ١٣٣٠هـ.

٨٩- لمعة الاعتقاد: عبد الله بن احمد بن قدامة، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٧٠هـ.

٩٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: على بن أبى بكر الهيثمى، دار الكتاب العربى، بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٢هـ.

٩١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية: جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: الأولى ١٣٩٨هـ.

٩٢- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمى، تعليق: محمد فؤاد عبد الباقى، دار الفكر، بيروت.

٩٣- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحقيق: المجلس العلمى بفاس، مطابع فضالة، المغرب، ط: الثانية ١٤٠٣هـ.

٩٤- المحلى: أبو محمد على بن أحمد بن حزم، تصحيح: محمد خليل هراس، مطبعة الإمام بمصر.

٩٥- محمد الصباغ، المكتب الإسلامى.

٩٦- محمد بن أحمد الذهبى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية ١٤٠٢هـ.

٩٧- محمد بن جرير الطبرى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ط: الثالث: ١٣٨٨هـ.

٩٨- مختصر أخبار الخلفاء.

٩٩- مختصر التحفة الاثنى عشرية: ألف أصله باللغة الفارسية شاه عبد العزيز الدهلوى، نقله إلى العربية: غلام محمد الأسلمى، اختصره: محمود شكرى

الألوسى، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط: الثانية ١٣٨٧هـ.
١٠٠- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: (الأصل) لابن القيم الجوزية، اختصره: محمد بن الموصلى، دار الندوة، بيروت ١٤٠٥هـ.
١٠١- مسائل الإمام احمد: أبو داود سليمان بن الأشعث، دار المعرفة، بيروت.
١٠٢- معارج الوصول إلى معرفة أصول الدين وفروعها قد بينها الرسول: أحمد بن تيمية، ط: المؤيد ١٣١٨هـ.
١٠٣- معجم البلدان: يا قوت بن عبد الله الحموى البغدادى، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
١٠٤- معجم ما استجعم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكرى، عالم الكتب، بيروت.
١٠٥- المقاصد الحسنة: محمد بن عبد الرحمن السخاوى، صححه وعلق عليه: عبد الله محمد الصديق، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ.
١٠٦- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعرى، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط: الثانية ١٣٨٩هـ.
١٠٧- مقدمة بن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. تحقيق: على عبد الواحد وافى، دار نهضة مصر، القاهرة.
١٠٨- الملل والنحل: محمد بن عبد الكريم الشهرستانى تحقيق: محمد سيد كيلانى، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٨٧هـ.
١٠٩- مناهل العرفان فى علوم القرآن: د. عبد العظيم الزرقانى، دار الحديث، ١٤٢٢هـ.
١١٠- المنتقى من منهاج الاعتدال فى نقض كلام أهل الرفض والاعتزال وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية: اختصره: أبو عبد الله محمد الذهبى، تحقيق: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية.
١١١- المنهاج فى شعب الإيمان: لأبى عبد الله الحسين بن الحسن الحليمى، تحقيق: حلمى فوده، دار.
١١٢- المهدى والمهدوية: عبد الرازق الحصان، مطبعة المعانى، بغداد، ط: الأولى ١٣٧٧هـ.
١١٣- الموطأ: مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه: محمد فؤاد عبد

الباقى، ضمن سلسلة الكتب الستة، نشر دار الدعوة.
١١٤- ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: محمد بن عثمان الذهبى، تحقيق: على البجاوى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ.
١١٥- نشأة التشيع وتطوره والأسس التى يقوم عليها: محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية.
١١٦- نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثنى عشرية: أحمد محمود صبحى، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
١١٧- نكت الانتصار لنقل القرآن: محمد بن الطيب الباقلانى، تحقيق: محمد زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية.
١١٨- وجاء دور المجوس: عبد الله محمد الغريب، دار الجيل للطباعة ١٩٨١م.
١١٩- الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة: موسى جار الله، تحقيق: جماعة من كبار العلماء، مكتبة الكليات الأزهرية.

فهرس الموضوعات


٠١١/٥٠٩٣٥٦٥ - ٠١٠/٦١٨٦٠٥٩